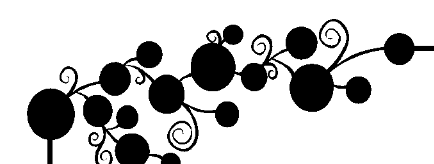


موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام

تأليف

أحمد بن سليمان أيوب

ونخبة من الباحثين

فكرة وإشراف

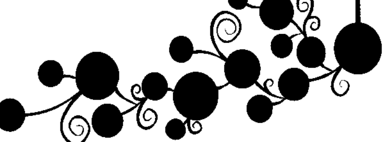
د. سليمان الدريع

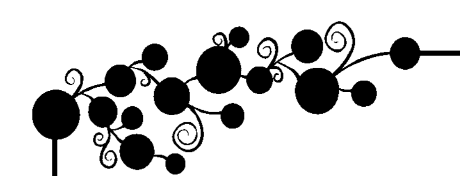
المجلد الثاني

الصلب والفداء والتحريف

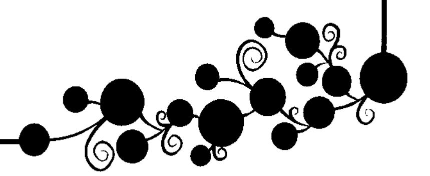
دار إيلاف الدولية

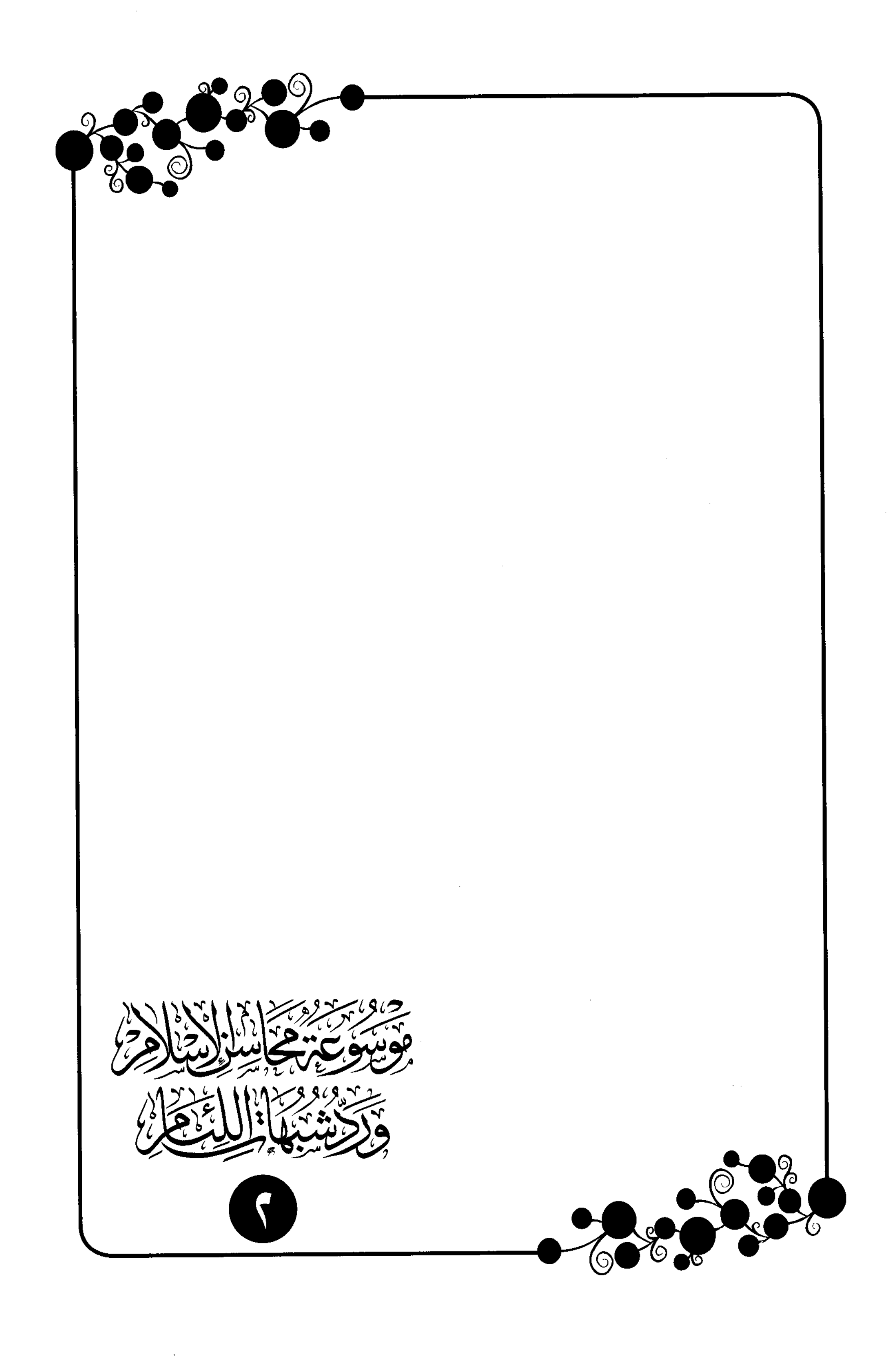
للنشر والتوزيع






بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠




موسوعة محاسن الإسلام
ورد شبهات اللئام
٢



١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

(دار وقفية دعوية)

المدير العام: د/ فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

الإدارة: مجمع المخيال - هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢ - ٩٦٩٩٩١٨٢ - الكويت.

الفرع الأول: الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول مكتب ١٠ هاتف ٢٤٥٥٧٥٥٩

الفرع الثاني: حولي - شارع المثنى ، هاتف وناسوخ: ٢٢٦٤١٧٩٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٠٤٥/ ٢٠١٥م

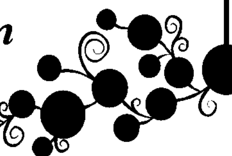
التوزيع داخل جمهورية مصر العربية:



للبحث العلمي وتحقيق التراث

لصاحبها : أحمد بن سليمان

ah.solaiman1970@gmail.com



ت : ٠١١٥٨٩٨٠٥٨٠

تابع
شبهات العقيدة

٣- الصلب والفداء

٣ـ شبهة: ادعاؤهم أن تكفير الخطايا لايكون إلا بالإيمان بالفداء والصلب.

مقدمة ونص الشبهة:

إن مما يلفت الانتباه إليه هو وجود كم كبير من الشبهات التي يلقيها النصارى للتشكيك في اعتقاد المسلمين بصلاح الأعمال الصالحة للتكفير عن الذنب، وقد وجدنا أن هذه الشبهات تُبنى على أمرين (نفي وإثبات).

نفي: الأعمال الصالحة باعتبارها أسباب للتكفير عن الذنب.

إثبات: أن صلب المسيح الإله كما يزعمون هو الوسيلة الوحيدة ليُكفر عن خطايا البشر وذنوبهم.

ولذا كان الرد متمثلًا في هذه الوجوه إجمالًا:

الوجه الأول: إبطال عقيدة الفداء والصلب كما في القرآن والسنة.

الوجه الثاني: إبطال الصلب والفداء في الكتاب المقدس.

ويتكون هذا الوجه من أربعة أبواب:

الباب الأول: دعوى الخطية ولزوم الفداء والرد عليها، وينقسم إلى:

الفصل الأول: الرد على ادعاءات النصارى حول هذه العقيدة.

الفصل الثاني: الأدلة على بطلان عقيدة الفداء.

الباب الثاني: دعوى التجسد والرد عليها، وينقسم إلى:

الفصل الأول: عقيدة النصارى في التجسد وأقوالهم فيها.

الفصل الثاني: الرد على هذه الدعوى.

الباب الثالث: دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص والرد عليها، وينقسم إلى:

الفصل الأول: أهمية الصلب عند النصارى.

الفصل الثاني: هل صلب المسيح أم لا؟ وما أدلتهم على ذلك؟

الفصل الثالث: الرد على دعوى الصلب، وينقسم إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: تناقضات رواية قصة الصلب، وينقسم إلى عدة مطالب:

المطلب الأول: تناقض روايات مقدمة أحداث الصلب.

الوجه الثاني: كل هذا التصوير الظالم لحال آدم لكي يصبح لصلب المسيح مبررًا.

الوجه الثالث: أليس من العدل أن تتناسب العقوبة مع الذنب؟

الوجه الرابع: ألا يُعد تكرار العقوبة على العاصي ظلمًا؟

الوجه الخامس: إذا كان ذنب آدم احتاج لتجسد الإله والصلب، فما بال معاصي بني آدم الكثيرة كم تحتاج؟

الفصل الثاني: أليس في تقدير الله بوقوع آدم في الذنب كان لحكمة بليغة.

الوجه الأول: أليس قد قضى الله بأن يكون آدم خليفته في الأرض، وأخبر بذلك ملائكته قبل خلق آدم؟

الوجه الثاني: أليس في ابتلاء آدم بالذنب سبب لسعادته؟ فخرج من الجنة ليعود إليها على أحسن الأحوال؟.

الوجه الثالث: لم يكن خروج آدم عليه السلام من الجنة عقوبة، فقد تاب الله عليه.

الوجه الرابع: أليس قد عهد الله لآدم بأن يعود إلى الجنة هو وكل من اتبع هدى الله من ذريته؟.

الفصل الثالث: كيف لا تكون توبة آدم مقبولة؟ (الرد على دعوى عدم قبول توبة آدم)

الوجه الأول: أليس قد أخبر الله بتوبة آدم، وليس عند النصارى في كتابهم المقدس ما ينفي هذه التوبة؟

الوجه الثاني: كيف يجوز أن يكون رسل الله في حبس الشيطان في جهنم؟

الوجه الثالث: أليس الإنسان ضعيفًا ومُعرَّضًا للخطأ، فماذا يفعل إذا أذنب؟

الوجه الرابع: أليس مكتوب في الإنجيل أن الله قد تاب على أهل نينوى والعشارين؟

الوجه الخامس: أليس من رحمة الله أن يفتح لعباده باب التوبة والغفران؟

الوجه السادس: أليست توبة الله على آدم موافقة للعقل والنقل؟

الفصل الرابع: كيف يحمل الإنسان إثم ذنب لم يرتكبه؟ (الرد على وراثة الذنب)

الوجه الأول: هل يعقل أن تتوارث الخطيئة؟

الوجه الثاني: أليس في ادعاء غضب الله على البشر بدون ذنب لم يرتكبوه وصفٌ له بالظلم؟

الوجه الثالث: أليس في تحميل البشر ذنباً لم يرتكبوه ظلمًا لهم؟

الوجه الرابع: أليس منطق العقل يقضي بأن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله؟

الوجه الخامس: نصوص التوراة والإنجيل تقضي بأن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله.

الوجه السادس: أليس الهدف من توريث الخطيئة إيجاد مبررٍ لصلب المسيح وذبحه؟

الوجه السابع: الإسلام يقرر أن كل إنسان مُحاسب عن نفسه.

الفصل الخامس: **كيف يكون في العفو عن المذنب تناقض بين العدل والرحمة الإلهية؟**

الوجه الأول: بيان المقصود بالعدل، وبم تحقق العدل.

الوجه الثاني: ما الذي جعل الإله في مأزق بين العدل والرحمة؟

الوجه الثالث: ما هو الأليق بجلال الله: أن يعفو عن المذنب، أم يصلب الإله نفسه فداءً له؟

الوجه الرابع: أن دعوى أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة فيها تجريد للإله من الرحمة.

الوجه الخامس: أليس حال المسيح عند الصلب ينفي أنه رضي بالصلب المزعوم؟

الوجه السادس: أليس في الإقرار بعقيدة الفداء دعوى للتحلل والشرور؟

الفصل السادس: **هل لا يغفر الإله للبشر إلا بعد الحصول على ثمن لذلك؟**

الوجه الأول: هل الله يحتاج إلى العوض حتى يغفر الذنب؟

الوجه الثاني: بطلان الزعم بأن المسيح وحده الفادي لأنه المبرَّأ من كل ذنب.

الوجه الثالث: هل يقبل العقل فكرة الاستعاضة التي يقوم عليها اعتقادكم؟

الفصل السابع: **هل يعقل أن يتجسد الإله فيصبح إنسانًا ثم يُصلب ويموت من أجل خطايا البشر؟**

الوجه الأول: كيف حال الوجود والإله في اللحود؟ ومن دبَّر شئون الخلق في غيابه؟

الوجه الثاني: من هو أقدر على الخلاص اللاهوت أم الناسوت؟

الوجه الثالث: أليس من الجهل والضلال الادعاء بأن إله الخلق حل به الضرب والإذلال والصلب؟

الوجه الرابع: هل الإهانة التي حلت بالمصلوب لحقت الإله فإن ذلك لازم القول بالاتحاد؟

الوجه الخامس: هل يعقل أن يولد الإله من بشر، ويعيش مثل البشر يعتريه الآفات والأوجاع؟

الوجه السادس: هل يعقل أن يُصلب الناسوت بدون اللاهوت وهما متحدان؟

الوجه السابع: هل المصلوب إله أم إنسان، وكيف يعقل ذلك؟

الوجه الثامن: ما الفائدة من إرسال الرسل إذا كان الخلاص لا يتم إلا بصلب الإله؟

الوجه التاسع: إذا كان الناسوت مأخوذاً من مريم فلا بد أن تلحقه الخطية الموروثة المزعومة؟

الوجه العاشر: هل كان الإله المصلوب قادرًا على منع وقوع الصلب أم لا؟

الوجه الحادي عشر: أليس هروب الإله واستغاثته عند صلبه دليلاً على أن صلبه كان بدون اختياره؟

الوجه الثاني عشر: كيف يوقع الإله العقوبة على الذي هو إله مثله؟

الفصل الثامن: لماذا تأخر الصلب المزعوم للإله؟ وما هو موقف الذين ماتوا قبل صلب المسيح؟

الوجه الأول: كيف يُترك الأنبياء في الجحيم في حبس الشيطان قروناً عديدة حتى يأتي المسيح ليُصلب؟

الوجه الثاني: هل ضاقت الأمور بالإله بحيث لم يجد وسيلة للتوفيق بين العدل والرحمة إلا الصلب؟

الوجه الثالث: كيف يكون أمر الصلب مخفيًا عن الأنبياء فلم يذكروه في كتبهم حتى أتى بولس بعد المسيح فذكره؟

الوجه الرابع: ما بال الذين ماتوا قبل مجيء المسيح كفاراً كانوا أم مؤمنين؟

الوجه الخامس: ما قولكم في الذين أخبر عنهم كتابكم المقدس بأنهم خلصوا بدون الحاجة للصلب المزعوم؟

الفصل التاسع: ماذا تحقق من الخلاص بالصلب المزعوم للإله؟

الوجه الأول: أي شيء تغير بوقوع الصلب المزعوم؟ وأي فتنة انطفأت؟ وأي آثام مُحيت؟

الوجه الثاني: أي خلاص تم لكم وأنتم ما زلتم مطالبون بالتكاليف والحساب يوم القيامة؟

الوجه الثالث: هل رفع الصلب حكم الموت الذي كان على آدم وذريته كما تدعون؟

الوجه الرابع: هل بالصلب تم الخلاص أم لم يتم؟ وإذا كان قد تم فما فائدة أسرار

الكنيسة السبعة؟

الوجه الخامس: إذا كان الخلاص إنما هو عن خطيئة آدم فما بال الذنوب الأخرى لبني آدم كيف يتم الخلاص منها؟

الوجه السادس: لماذا سيكون حساب يوم الدينونة (القيامة) إذا كان الخلاص قد تم؟

الفصل العاشر: حقيقة الخلاص (الغفران) في الإسلام.

الوجه الأول: الخلاص بالإخلاص لله وترك الشرك وعبادة الله وحده واتباع نبيه محمدﷺ.

الوجه الثاني: طريق الخلاص في تحقيق العبودية بالإيمان والتوبة الصادقة وفعل الأعمال الصالحة.

الوجه الثالث: الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب، ولم يقل بالصلب أحد الأنبياء.

الوجه الرابع: الحق في أمر المسيح عيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، وبذلك يبطل الإنجيل

الوجه الخامس: القول بألوهية المسيح وصلبه قول اخترعه بولس وعارضه تلاميذ المسيح.

الوجه السادس: الرسائل القانونية في الإنجيل تخبر أن طريق الخلاص بالإيمان والعمل الصالح.

الوجه السابع: أليس في طلب الخلاص بالإيمان بالله والعمل الصالح أنفع من الاتكال على قصة صلب الإله المزعومة التي لا يقبلها عقل؟

الوجه الرابع: كفارة الذنب عند المسلمين.

الوجه الخامس: شبهات متعلقة بالفداء والصلب والرد عليهاوفيه شبهات:

الشبهة الأولى: الرد على تبريرات النصارى من قتل المسيح.

الشبهة الثانية: الرد على أن الأعمال الصالحة لاتفي حق الله فيما وقع فيه الإنسان من خطايا.

الشبهة الثالثة: أن التوبة ناقصة ولاتصلح لتكفير الذنب.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: إبطال عقيدة الفداء والصلب كما في القرآن والسنة.

أولًا: الأدلة على النجاة من القتل والصلب:

١-قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨).

قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: رأوا شبهه فظنوه إياه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سلَّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسُعُر. ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين.[١]

واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقي على جميع أصحابه.[٢]

٢-وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠).

ومعنى كففتهم عنك أي: منعتهم -وأعجزتهم- عن إيذائك والنيل منك.

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (آل عمران: ٤٩).

فإذا كانت أعظم أو من أعظم معجزات المسيح عليه السلام إحياء الموتى، فكيف يقضي الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٣٧٦.

تعالى عليه أن يموت- بل أن يقتل - بهذه الطريقة البشعة؟! إن في ذلك لإهانةً له ﷺ وإبطالًا لمعجزته. . . كما لو قَدَّرَ الله تعالى على موسى ﷺ أن يُسحَر مثلًا.

٤-وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ (النساء: ١٥٩).

قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ يعني بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يعنى: قبل موت عيسى-يُوَجِّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيمﷺ، وعن ابن عباس: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم.

وكذا قال أبو مالك والحسن وابن زيد وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد، وهذا القول هو الحق، كما سنبينه بعدُ بالدليل القاطع، إن شاء الله، و به الثقة وعليه التكلان. [١]

وعن الحسن أيضًا قال: (قبل موت عيسى، إن الله رفع إليه عيسى (إليه) وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر والفاجر). [٢]

ثانيًا- الأدلة على بطلان عقيدة الفداء:

قال الله تعالى على لسان المسيح ﷺ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١١٨)

فهذا يبين أن عيسى ﷺ لم يصلب من أجل أمته، فلو كان ذلك كذلك لشفع لأمته فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، يبين تبرؤه منهم، إذ لم يقل: فإني قد صلبت لأجلهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٨-١٩. بتصرف يسير

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٤ / ١١١٣.

كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ (فاطر: ١٨).

أي لا تُعَذَّبُ نفسٌ بذنب نفسٍ أخرى، ولو كانت من أقرب الأقربين.

قال الله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦)، وقال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٧)

فإذا كان الله تعالى قد تاب على آدم وزوجه – عليهما السلام- فما سبب صلب المسيح إذن؟!

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩).

الآيات التي فيها مدح لبعض الأنبياء السابقين لعيسى ﷺ كـ (نوح، وإدريس، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون،. . . .).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم: ٥١-٥٨).

وهذا ينقض عقيدة الفداء التي تقول: إن خطيئة آدم ظلت معلقةً في أعناق البشر جميعًا، وإن غضب الله ظل ملازمًا لهم حتى جاء المسيح فصلب فمات ففداهم وخلصهم من ذلك!!.

الشفاعة يوم القيامة تبطل عقيدتهم في الفداء والصلب.

قال الله تعالى عن الملائكة المكرمين: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ

وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ (طه: ١٠٩).

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"**[(١)].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي. . . . وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"**. [(٢)]

ولو كانت عقيدة الفداء حقًا لكفت وما احتجنا لشفاعة أحدٍ يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٠-١٢٤).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال: ٣٣).

في هذه الآية بين رب العالمين أنه لا سبيل للنجاة من العذاب إلا بأحد أمرين: وجود النبي ﷺ فينا، واستغفارنا. . . ولم يذكر شيئًا عن صلب المسيح وفدائه ذنوب بني آدم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) رواه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١).

بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١٨).

فتعذيب الله تعالى للنصارى بذنوبهم مناقض لما يدَّعونه من أن المسيح عليه السلام صلب ليفديهم ويكفر خطاياهم.

ثالثا: الأدلة على الوفاة والرفع:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٤-٥٥)، ﴿.. وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨)

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (الأنعام: ٦٠).

قال ابن كثير: قال مطر الوراق: متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه. وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام: ٦٠) وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٢) وكان رسول الله ﷺ يقول -إذا قام من النوم-: "**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ**"، وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء. وكذا قال الحسن.

رابعًا: الأدلة على النزول:

قال الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه: ٥٥)

فإذا كان المسيح عليه السلام قد رُفِعَ إلى السماء وقد أخبر رب العالمين أن مآل جميع البشر إلى

التراب دل هذا على ضرورة نزوله ﷺ يومًا ليموت ويدفن في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ (الزخرف: ٦١) وفي قراءة: (وإنه لعَلَمٌ. . .) الآية.

عن ابن عباسٍ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم، وقال أيضًا: نزول عيسى بن مريم قبل يوم القيامة . وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك . [1]

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾**". [2]

الوجه الثاني: إبطال الصلب والفداء في الكتاب المقدس

ويتكون هذا الوجه من أربعة أبواب:

الباب الأول: دعوى الخطية ولزوم الفداء والرد عليها، وينقسم إلى:

١ـ تمهيد.

٢ـ الفصل الأول: الرد على ادعاءات النصارى حول هذه العقيدة.

٣ـ الفصل الثاني: الأدلة على بطلان عقيدة الفداء.

الباب الثاني: دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص والرد عليها، وينقسم إلى: تمهيد وفصول.

الفصل الأول: أهمية الصلب عند النصارى.

الفصل الثاني: هل صلب المسيح أم لا؟ وما أدلتهم على ذلك؟

الفصل الثالث: الرد على دعوى الصلب، وينقسم إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: تناقضات رواية قصة الصلب، وينقسم إلى عدة مطالب:

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/ ٩٠-٩١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٤) واللفظ له، و مسلم (١٥٥).

المطلب الأول: تناقض روايات مقدمة أحداث الصلب.

المطلب الثاني: تناقضات روايات قبل الصلب.

المطلب الثالث: تناقضات روايات أحداث الصلب.

المطلب الرابع: تفرد أحد الإنجيلين في الرواية.

المبحث الثاني: إبطال صلب المسيح بنبؤات التوراة (المزامير)، وينقسم إلى:

المطلب الأول: أهمية النبؤات في التوراة بالنسبة للنصارى.

المطلب الثاني: البحث في المزامير.

المبحث الثالث: هل ما جاء في سفر إشعيا نبؤة عن صلب المسيح؟

المبحث الرابع: إبطال وقوع الصلب تاريخياً.

المبحث الخامس: عدم تنبؤ المسيح بصلبه.

المبحث السادس: عدم وجود شهود على صلب المسيح.

المبحث الثامن: من الذي مات على الصليب الإنسان أم الإله؟

المبحث التاسع: نجاة المسيح من الصلب، وينقسم إلى:

المطلب الأول: هل قبض اليهود على المسيح ؟

المطلب الثاني: كيف نجا المسيح من الصلب؟

الباب الثالث: دعوى قيامة المسيح من أجل الخلاص والرد عليها، وينقسم إلى:

الفصل الأول: أقوالهم في إثبات القيامة والرد عليها، وينقسم إلى:

المبحث الأول: أقوالهم في إثبات القيامة.

المبحث الثاني: الرد على هذه الأقوال.

الفصل الثاني: تناقضات روايات قصة القيامة.

الفصل الثالث: من الذي أقامه من الأموات ؟

وأخيراً: ما السبيل إلى النجاة؟

وإليك التفصيل

الباب الأول: دعوى الخطية ولزوم الفداء والرد عليها

وقبل أن نتحدث عن عملية الصلب ينبغي أن نناقش القضية من أصلها، إذ إن عملية الصلب تعتمد اعتمادًا كليًا على فكرة الفداء، وسنحاول في هذا المبحث – بإذن الله تعالى – أن نثبت بالأدلة العلمية من الكتاب المقدس بطلان عقيدة الفداء والتي كانت الأساس الأوحد لعقيدة الصلب[١].

تمهيد:

١ـ معنى كلمة (الخلاص) في الكتاب المقدس:

أطلقت هذه الكلمة في الكتاب المقدس بمعنى الإنقاذ والنجاة.

ففي قاموس الكتاب المقدس:

يراد بالخلاص في العهد القديم: النجاة من الشر أو الخطر. [٢]

أما في العهد الجديد فقد خلع عليه معنى آخر هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح.[٣]

والمعنى الرئيسي - عندهم - هو الخلاص من خطيئة آدم التي ورَّثها لأبنائه والجنس البشري من بعده، والخلاص من الخطايا الأخرى التي يفعلها الإنسان في حياته.

فالخلاص من الخطيئة عندهم يشمل الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، بمعنى غفران الخطايا التي فعلها الإنسان في ماضيه، والتي يفعلها في حاضره، والتي سيفعلها في المستقبل. [٤]

يقول إلياس مقار: " الخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطية[٥]، ومرضها وسلطانها واستعبادها نفسًا وروحًا وجسدًا ، والأخذ بيده حتى يقف أمام الله في كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبد الآبدين. [٦]

---

(١) أشرنا إجمالًا لهذا الكلام في الوجه السابق وآن تفصيله.

(٢) راجع خروج ١٤: ١٣، مزمور ١٠٦: ٨- ١٠.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤).

(٤) هذه عقائدنا، كلايد تارنر (١١٣)، قضاء الله ومسئولية الإنسان، القس بخيت متى (١١٥).

(٥) دين الخطية: وراثة خطية آدم.

(٦) قضايا المسيحية الكبرى (٢٨٨).

٢- معنى كلمة (فداء) عند النصارى:

وكلمة (فداء) قريبة في المعنى لكلمة (خلاص) ولذلك يراد بها في بعض الأحيان ما يراد بكلمة (خلاص).

في قاموس الكتاب المقدس: تشير لفظة " فداء " في العهد القديم في أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد.

أما في العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة ومن نتائجها. [(١)]

يقول أندرو وطسون: " يراد بالفداء كل بركات الخلاص المعلن في الكتاب المقدس للخطاة الهالكين ". [(٢)]

وقد يراد بها أيضًا – عند النصارى – الفدية التي نال البشر بها الخلاص.

يقول القس صموئيل حبيب: " تستخدم كلمة الفداء أصلا لشخص يسترد أرضه التي وقعت في يد غيره فيشتريها لنفسه ثانية، فإذا رأي الله الإنسان قد باع نفسه للخطية وصار عبدًا لها، قدم نفسه في المسيح فداء للبشرية ثانية. "[(٣)]

٣- أصل عقيدة الفداء في التصور النصراني.

تبدأ هذه العقيدة – في التصور النصراني – من آدم عليه السلام. وهاك التفصيل:

١ – يعتقد النصارى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على حالة الطهارة والبر والقداسة والنعمة[(٤)] ووضعه في جنة غرسها الله بيده " ٩وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ " (تكوين ٢ / ٨).

٢- وفي وسط هذه الجنة غرس الله شجرتين عجيبتين هما – كما يقول كلايد تارنر: شجرة الحياة التي جعلها الله لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (٦٧٢).

(٢) شرح أصول الإيمان (٢١٠).

(٣) الخلاص في مفهومه الكتابي، صموئيل حبيب (٤٢، ٤٣).

(٤) المسيح حياة النفس، دوم كولومبا مرميون (٦٦).

والشر التي جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله. [١]

٣- ثم بعد ذلك أوصى الله آدم بألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

" عاش الإنسان (آدم) الحياة أسعد ما تكون الحياة، ولكي يحفظ له الرب هذه القامة الشامخة في السمة والترفع فإنه علمه بوصية ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يقع في المخالفة وتكون عقوبته الموت (لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».) (تكوين ٢ / ١٧). وفي نفس الوقت أعطاه شجرة الحياة التي تثبته في مكانه من الحياة وقداسة الحق". [٢]

جاء في سفر التكوين عن هذا (١٥وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. ١٦وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، ١٧وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ) (تكوين ٢ / ١٨ : ١٥).

٤- ولكن آدم خالف وصية الله فأكل هو وحواء من شجرة معرفة الخير والشر، في نظرهم – وحينئذ – كما يقول سفر التكوين " ٧فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. " (٣ / ٧).

٥ – ونتيجة لهذه المعصية – كما يعتقد النصارى – فقد آدم حالة الكمال الأدبي الذي خلقه الله عليها وأصبح خاضعا لناموس الفساد وسلطان الخطية. [٣]

ويقول حبيب جرجس: " وكان من نتيجة مخالفتهما لعهد الله تعالى ما يأتي:

١- سقطا من حال القداسة وحياة النعمة وفقدا الشركة مع الله.

٢- صارا أسيرين للخطية والموت.

٣- طردًا من الفردوس وخضعا للبلايا كالتعب والجوع والعطش والفقر والأمراض والشيخوخة.

٤- فقدا ميراث الحياة الأبدية واستحقا غضب الله. [٤]

---

(١) هذه عقائدنا (٥٤).

(٢) شجرة الحياة، راغب عبد النور (٨).

(٣) المسيحية في الإسلام، إبراهيم لوقا (١٥٨).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية (٢١، ٢٢).

ويقول إلياس مقار: " وأجرة الخطية هي موت، وقد مات آدم وحواء في اللحظة التي سقطا فيها وانفصلا عن الله، لقد ماتا في الحال الموت الروحي والأدبي. . . ، بل لقد شعرا للمرة الأولى بأن غشية من الظلام استولت على عيونهما فلم يعودا يميزان بين الحق والباطل والنور والظلام، والجمال والقبح والخير والشر. . . ". (١)

ونرد عليهم فنقول: هذا كلام مناقض تماما لما ورد في كتابكم، إذ كيف يمكن القول بأن آدم بعدما أكل من شجرة معرفة الخير والشر لم يعد يميز بين الخير والشر والحق والباطل؟.

يقول سفر التكوين: " ٢٢وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». ٢٣فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. ٢٤فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ. " (٣/ ٢٢ – ٢٤).

كيف يمكن بعد هذا أن نقول إنهما – أي آدم وحواء – أصبحا لا يفرقان بين الخير والشر والحق والباطل والنور والظلام؟

الفصل الأول: الرد على ادعاءات النصارى

أولًا: يدعى النصارى أن الخطية سبّبت الموت لآدم وحواء، وهذا ادعاء خاطئ.

ذلك أننا لو نظرنا في قصة مخالفة آدم وحواء لأمر الله تعالى وأكلهما من الشجرة والملابسات المصاحبة لها – في سفر التكوين – نجد أنه يمكن استنباط أن الإنسان خاضع للموت قبل أن يأكل من الشجرة، ذلك أن سفر التكوين يوضح لنا أن هناك شجرتين في الجنة التي سكن فيها آدم قبل نزوله إلى الأرض إحداهما تسمى شجرة الحياة وثمرها يمنح الإنسان – في نظر المسيحيين – الحياة الخالدة، فلو تناول الإنسان من هذه الشجرة – في نظرهم – لأصبح خالدا وعاش إلى الأبد بدليل قوله "وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». " (تكوين ٣/ ٢٢).

---

(١) رجال الكتاب المقدس، إلياس مقار (١/ ١٢)، قضايا المسيحية الكبرى (٣٧٨).

وحيث إن آدم وحواء لم يأكلا من هذه الشجرة التي تمنح الخلود فمعنى ذلك أنهما كانا معرضين للموت قبل المخالفة وبعدها.

هذا فضلًا عن أن الكتاب المقدس يبين أن آدم كان قابلًا للفناء والموت حتى قبل المخالفة وذلك لأنه من التراب، يقول سفر التكوين " لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». (تكوين ٣/ ١٩).

ثانيًا: ويدعون أيضًا أن أكل آدم من الشجرة سبب له الفساد والبعد عن الله.

وهذا قول يفتقر إلى الحجة والبرهان، خاصة وأن سفر التكوين قد جاء فيه فقرة تدل على أن آدم وحواء تابا، والله سبحانه وتعالى قبل توبتهما، ذلك أنهما حين أكلا من الشجرة انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، واختبآ خوفا وخجلا من الله، ثم بعد ذلك يبين سفر التكوين أن الله صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد وألبسهما، والتوبة تغفر الذنب وتكفره. يقول سفر الأعمال: " ١٩فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ " (أعمال ٣ / ١٩). [١]

ثالثا: يعتقد المسيحيون أن آدم وحواء لم يجلبا الدمار والهلاك والفساد على أنفسهما بعصيانهما فحسب، بل على كل ذريتهما أيضا؛ لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعتهما الساقطة الآثمة. [٢]

يقول حبيب جرجس: " إن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشري، وصار محكوما عليهم بأن يولدوا أثمة وعبيدا للخطية والموت، وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو في حالة الإثم والمعصية والغضب، فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثما ومخطئا وواقعا في المعصية ومعاقبا عليها كما عوقب آدم وزوجته من قبل، ولذلك حسبت المعصية عليهم كما حسبت عليه ". [٣]

وأصبح الإنسان بموجب هذه الفكرة – عند المسيحيين – عاجزًا عن كل خير روحي. يقول الأب بولس إلياس اليسوعي: " إن سقطة الإنسان الأول كانت جسيمة أفقدته توازن قوة الروحية فأصيب بجراح بليغة وبنوع خاص في عاقلته وإرادته، فعاقلته

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٣٥ – ٥٣٦).

(٢) هذه عقائدنا، كلايد تارنر (٥٩)، طريق الخلاص، عوض سمعان (١٢).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية (٢٣).

أصبحت محدودة القدرة تعجز عن إدراك الله كما في أول عهدها وشلت إرادته وأصبحت عاجزة عن صنع الخير والشر وحتى السعي إليه ". (١)

وبناء عليه لا يستطيع الإنسان في - نظرهم - أن يخلص نفسه من هذا الفساد.

رابعًا: دعوى عدم التوفيق بين عدل الله ورحمته:

لقد وضع المسيحيون فكرتهم عن توارث الخطيئة على هيئة مأزق لله سبحانه وتعالى، فباعتبار أن الإنسان في نظرهم غير مؤهل لأن يشق طريقه إلى الله لأنه متصف بالعجز لأن طبيعته فاسدة، فماذا يفعل الله في نظرهم إزاء هذا؟

والجواب: أن الله تعالى في نظرهم لا يستطيع أن يغفر هذه الخطية أو يعفو عنها. وهاهي بعض أقوالهم:

يقول إلياس مقار: " قد يقال: أليس من حق الله وسلطانه وهو صاحب السلطان الأعلى أن يعفو بكلمة عمن يريد أو يشاء؟ وهل يكون الله أقل من الملوك والرؤساء الذين يستطيعون بكلمة أن يعفو عن المجرمين والمحكوم عليهم بأقسى العقوبات؟

إنه قياس مع الفارق؛ لأن عفو الملوك الأرضيين أو الرؤساء إذا صح أنه نبيل أو عظيم إلا أنه على حساب العدالة في إطلاقها وكمالها ومجدها، وأنه إذا صح أن البشر لأنهم ناقصون يعفون أو يتساهلون بدافع من نقصهم أو ضعفهم عن العدالة المطلقة، فإن الله لا يمكن أن يعفو أو يتساهل قيد شعرة عن العدالة المطلقة، وأن القول إن الله قادر على العفو بمجرد كلمة وإن أحدًا لا يمكن أن يجرده أو يطلب إليه أن يتنازل عن السلطان عن هذا القول يفهم القدرة الإلهية فهما خاطئًا؛ لأن الله مع قدرته اللانهائية تُورد أشياء نقول بكل احترام وإجلال لا يقدر عليها ". (٢)

ثم يقول: " يمكن أن نقول بملء اليقين إن الله لا يمكن أن يغفر الخطية بمجرد كلمة

---

(١) يسوع المسيح (٨٣).

(٢) قضايا المسيحية الكبرى (٣٩٠).

إلهية تصدر منه؛ لأنه لا يقدر أن يكون غير عادل أو غير قدوس أو غير حق. . . ومن ثم فإن المسيحية ترفض رفضًا باتًا تصور أن الله يعفو لمجرد العفو من غير جزاء كامل تحتمه العدالة الإلهية المطلقة ". (١)

وإذا كان الله لا يستطيع أن يغفر الخطية، فماذا يفعل الله سبحانه وتعالى – في نظرهم – إزاء ذلك؟ يقول لبيب ميخائيل: " ماذا يفعل الله بذلك الإنسان الشرير الأثيم الذي أصبحت نفسه أمارة بالسوء؟ كيف يوفق جل شأنه بين عدله الذي يطالبه بتوقيع القصاص على الإنسان وهو قصاص رهيب أبدي عظيم يتناسب مع عدله وقداسته، وبين رحمته التي تطالبه بأن يصفح عن خطيئة الإنسان؟ "(٢).

كيف يوفق الله في نظرهم بين عدله ورحمته؟

ويجيب عن هذا التساؤل نقولا يعقوب: ولما كان الله عادلًا فهو لا يترك مثقال ذرة، لذلك وجب علينا أن نسلم أن كل الخاطئين ضد الله لابد أن يقيموا في النار مخلدين عقابا لهم، فإذا تم هذا فأين رحمة الله؟ وإذا رحم الله هؤلاء الخطاة وغفر لهم ولم يعذبهم فأين عدله؟. (٣)

يقول لبيب ميخائيل: " فالغفران الإلهي للإنسان الخاطئ يحتم أن يوفق الله بين عدله ورحمته، ذلك لأنه إذا غفر الله خطيئة الإنسان على أساس رحمته وحدها استهان الإنسان بعدالة الله ووصاياه، وأصبح فعل الخطية سهلا لديه، إذ يرى أن الله لم يتكلف شيئًا لمنحه غفرانه لخطاياه، وإذا نفذ الله في الإنسان حكمه ضد خطاياه على أساس عدله وحده لرأى الإنسانُ (الله) إلهًا جبارًا منتقمًا، ولأصبح بتأثير إحساسه بقسوة الله عنيدًا قاسيًا، بليد الشعور، ولاستمر في عناده ومعاصيه حتى الهلاك. "(٤)

وحتى تُحل هذه المعادلة الصعبة – في نظرهم – فلابد من وجود فادي عن الإنسان

---

(١) المصدر السابق (٣٩١).

(٢) هل المسيح هو الله؟ (٨٧ – ٨٨).

(٣) أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين (٣٧).

(٤) هل المسيح هو الله؟ (٨٤).

يتحمل عنه وزر الخطيئة.

وهذا الفادي عندهم ليس مجرد إنسان كبقية الناس، ولذلك دبر الله – كما يعتقدون – طريقة الفداء بنفسه.

يقول إبراهيم لوقا: " إن المسيحية تعلم أن الله يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه، دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه واكتملت رحمة الله فنال البشر العفو والغفران ".[(١)]

والرد على هذه الشبهات فيما يلي في الفصل القادم.

الفصل الثاني: الأدلة على بطلان عقيدة الفداء من الكتاب المقدس.

أولا: لا يؤخذ الأبناء بجرائم الآباء.

ورد في حزقيال (١٨ / ٢٠) "٢٠اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. " ومثله ما جاء في التثنية (٢٤ / ١٦): " ١٦«لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ. "، ومثله في رومية (٢ / ٦) " ٦الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. " وكذلك ما ورد في سفر الخروج (٣٢ / ٣٠ – ٣٢) " ٣٠وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى قَالَ لِلشَّعْبِ: «أَنْتُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ خَطِيَّةً عَظِيمَةً، فَأَصْعَدُ الآنَ إِلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أُكَفِّرُ خَطِيَّتَكُمْ». ٣١فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: «آهِ، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. ٣٢وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ». ٣٣فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَنْ أَخْطَأَ إِلَيَّ أَمْحُوهُ مِنْ كِتَابِي. " وأيضا ما ورد في سفر التكوين (٤٤ / ١٧) من قول يوسف لإخوته عن شقيقه " الرَّجُلُ الَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ هُوَ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاصْعَدُوا بِسَلاَمٍ إِلَى أَبِيكُمْ». "وكل ذلك يثبت أن خطيئة آدم لا تتعدى نفسه، ولا يقع إثمه على غيره، ولا يتحمل خطأه سواه.

ثانيًا: إذا كانت معصية آدم أوجبت تضحية الله، فما بالك بالفواحش والمنكرات التي نسبوها للأنبياء والمرسلين؟.

---

(١) المسيحية في الإسلام (١٧١).

يقول المسيحيون إن في خطيئة آدم من القبح والفحش، ما أوجب اللعنة الإلهية عليه وعلى سائر نسله من بعده، ومن جملتهم الأنبياء والمرسلون، فإذا كانت خطيئة آدم، وهي أكله من الشجرة المحرمة أدت إلى تجسد الله، وتحمله العذاب دون البشر، فما بالك بالمنكرات والفواحش التي ارتكبها - على زعمهم - الأنبياء والرسل. ألا تدعو هذه المعاصي – ولا تعد معصية آدم بجانبها شيئا – أن يضحي الله بأقنوم آخر كفارة عنها؟

ولكي يتضح الأمر أكثر، أرى أن أذكر هنا بعض الأمثلة من الفواحش التي نسبوها للأنبياء والرسل، ليقيس القارئ عليها ما اقترفه آدم من نسيان، وأكله من الشجرة المحرمة:

(١) نوح يسكر ويكشف عورته ويلعن كنعان ظلما:

ورد في سفر التكوين (٩ / ٢٠ – ٢٧): " [٢٠]وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. [٢١]وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. [٢٢]فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. [٢٣]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. [٢٤]فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، [٢٥]فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». [٢٦]وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. [٢٧]لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». " اقرأ وتأمل ! ! !

(٢) لوط يسكر ويزني بابنتيه:

أتجد فاحشة في الوجود أبشع من أن يزني الوالد بابنتيه، الكبيرة في الليلة الأولى والصغيرة في الليلة الثانية، اقرأ هذا النص في التكوين١٩/ ٣٠-٣٨: " [٣٠]وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. [٣١]وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. [٣٢]هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». [٣٣]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. [٣٤]وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا

فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». [٣٥]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، [٣٦]فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. [٣٧]فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. [٣٨]وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. "

(٣) موسى وهارون يخونان الله ولا يقدسانه ولا يصدقانه:

لقد روى النصارى في كتبهم أن الله تعالى عاقب موسى بالموت، وكذلك هارون من قبل؛ لأنهما خاناه ولم يقدساه ولم يصدقاه.

ويروون كذلك أن موسى طلب من الله أن يعفيه من الرسالة، وأنه رفضها، وأن هارون صنع عجلًا لبني إسرائيل ليعبدوه دون الخالق القهار. [(١)]

(٤) داود يزني ويقتل بريئًا:

يتهم النصارى داود ﷺ بالزنا مع امرأة، وأنه أرسل زوجها إلى الحرب وأمر بقتله هناك.

وانظر التفصيل في (صموئيل الثاني ١١/ ١ – ٢٧) وغيره.

وهذا جزء قليل جدًّا مما ذكر في كتابهم من خطايا نسبوها للأنبياء.

ثالثًا: قتل الناس إلههم وإهانته أكبر من معصية آدم:

ثم أنه لو جاز أن الله تعالى يطالب بني آدم بذنب أبيهم، فليس في صلب المسيح ما يمحو ذلك الذنب، بل إن في ذلك ما يضيف خطيئة أخرى، فسيطالب الجنس البشري بجريمة آبائه وإخوانه اليهود الذين قتلوا إلههم أو الأقنوم الثاني منه ظلمًا وعدوانًا.

وبهذا لا يمكن أن تساوي معصية آدم شيئا إذا قيست بمعصية الناس حين صلبوا ربهم، حين أتى إليهم، وقبل الهوان واللعن والعذاب من أجل خلاصهم.

رابعًا: المسيح يضن على امرأة بالمساعدة فهل يبذل حياته عن الناس؟

روى متى (١٥ / ٢١ – ٢٨) عن المسيح فقال: " ٢١ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. [٢٢]وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». [٢٣]فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا

---

(١) انظر (سفر التثنية ٣٢/ ٤٨ – ٥٢، ٢٠/ ٢٤)، (سفر الخروج ٤، ٣٢/ ١ – ٦).

إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» [٢٤]فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». [٢٥]فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» [٢٦]فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». [٢٧]فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!». [٢٨]حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. "

فهل يقدم المسيح نفسه عن الناس، ويقبل القتل والصلب والإهانة من البشر، كل ذلك عن طيب خاطر، مع أنه ثبت في الإنجيل أنه ضن على المرأة بالمساعدة، وأنه قابلها بالتحقير والسباب، ولم يقبل مساعدتها إلا بعد هذه الشدة، ووساطة تلاميذه الذين طلبوا منه مساعدتها لا للخير، وإنما لأنهم أرادوا التخلص منها ومن صياحها؟.

(وهذا بحسب ما ورد في الإنجيل وإلا فأنبياء الله تعالى هم أولى الناس بمكارم الأخلاق)

خامسا: تسليم النصارى بكون دعوى الكفارة لم تتحقق:

ويقولون إن الله تعالى قال لآدم ((إن أكلت من هذه الشجرة موتا تموت)) ويفسرون (موتًا تموت) بأن الله يعني أن يدخل آدم وذريته الجحيم، ولكن تفسيرهم هذا يؤخذ منه أن الله تعالى لم تنفذ إرادته؛ لأن الأقنوم الثاني – بزعمهم – نجاهم. بل إن الله تعالى لم تنفذ إرادته بعد ذلك كذلك، لأن معظم الناس لا يزالون لا يؤمنون بالفداء، وذلك - بحسب عقيدتهم - بسبب دخولهم الجحيم، فما معنى أن المسيح نجىَّ العالم من الخطيئة حتى استحقوا دخول الجنان؟!

يقولون عن المسيح: "[٢]وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا. " (يوحنا الأولى ٢ / ٢)، فكيف يكون المسيح كفارة لكل العالم، مع أن في العالم ملايين من عبدة الأوثان واللادينيين، ويوجد في العالم كذلك الملايين من المسلمين الذين لا يؤمنون إلا بالتوحيد الحقيقي، وينزهون الله تعالى عما لا يليق به من الصفات التي ينسبها إليه المسيحيون، بل لِمَ يتوعدُ المسيءَ والمخطئ والعاصي بالعذاب ويهدده بدخول النار؟

وإذا كان النصارى يقولون إنهم وحدهم الناجون، فلم يتحقق قول يوحنا إن المسيح كفارة عن العالم، وإذا قالوا بصدق قول يوحنا كذبوا حيث ادعوا هلاك غير النصراني، وكفر

كل فريق منهم الآخر، وحيث تعارض الدليلان، فلا اعتبار لهما. فلا كفارة على ذلك ولا فداء.

سادسا: عقيدة الفداء لا يقبلها العقل:

(أ) التفكير في الشر دون وقوعه لا يوجب العقاب.

فمجرد وجود الوازع إلى الشر في نفس الإنسان، بدون الوقوع فيه لا يوجب حكما بالمعصية، إنما المعصية هي الوقوع الفعلي فيها. ولقد جاء المسيح والعالم لا تزال فيه هذه الغريزة، ومضى المسيح والجنس البشري أشد شرًا مما كان.

(ب) لا يعذب الله ذاته:

إن الله لا يخلق لذاته العذاب الذي أعد للعاصين من عباده، فلقد خلق الله المحسن والمسيء، وأوجد الصالح والطالح، وأعد لأحدهما الثواب وللآخر العقاب، أم كان يجهل الله طبيعة خلقه، وأنه ما كان يقصد أنه يخلق فيهم الشر، وأنه فوجئ بالمعصية " ٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». " (سفر التكوين ٦ / ٦ – ٧).

(ج) لا ينقسم الله على ذاته :

قال المسيح للفريسيين حين زعموا أنه يخرج الشياطين بوساطة (بِعَلْزَبُول) رئيسهم " ٢٦فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. " (متى ١٢ / ٢٦). ونقول نحن أيضًا " إن كان الله يصلب ويهين الله فقد انقسم على ذاته ".

(د) هل يخطئ الإنسان فيتعذب خالقه؟

وإذا فرضنا أن الإنسان قد أخطأ لأنه ورث عن آدم المعصية، فما ذنب الله تعالى ليتعذب، ويهان، ويشتم، ويتفل عليه، ويتهكم به الناس، ويضرب، ويصلب، ويقتل قتلة الأشرار المجرمين؟!.

(هـ) هل فدى الله آدم ببعض آدم؟

وإذا قيل إن الله لم يتعذب، بل الذي تعذب هو ناسوت المسيح، قلنا إما أن يكون ناسوت المسيح جزءا من الله فيكون العذاب قد وقع على الله كما قدمنا، وهو غير جائز

عقلا، أو يكون ناسوت المسيح جزءا من آدم كسائر البشر الذي توالد منه، فيكون آدم قد فدى ببعضه، وأن يفدي الناس بأحد منهم يبطل عقيدة الفداء، ولا يكون هناك معنى لنزول الله أو لتجسده أو لقيامه بالكفارة، إذ إن عقيدة المسيحيين كما بينا لا تنص على كون الله انتقم من الناس في شخص أحدهم، أو قبل فداء واحد منهم عن الآخرين.

وإما أن يكون العذاب قد وقع على ناسوت المسيح ولاهوته، ولا يخرج حكم ذلك عما قدمنا، فيثبت بذلك بطلان جواز دعوى الفداء.

(و) يذبح الله الله فما دخل البشر؟!

يقول النصارى (رؤيا ١٣ / ٨) أنه كان في الأزل، قبل وجود الكائنات، ثلاث وجودات أزلية، وهي: كائن، وخروف مذبوح، وروح القدس " أي الله والمسيح المصلوب والروح القدس " فمن ذبح الخروف غير أحد الكائنين الآخرين! فأية علاقة بين البشر وما تفعله الآلهة فيما بينهم؟! ! !.

سابعًا: المسيح لم يدع أنه جاء ليخلص الناس من خطيئة آدم:

إن المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء والرسل قبله لم يذكروا لنا شيئا مطلقا عن هذا الذنب المغروس، وإلا فها هي التوراة بين أيديهم، وهاهي الأناجيل التي يؤمنون بها، هاهي أمامهم ولم يذكر في أحدها أن بني آدم وصموا بذنب لم يقترفه أحدهم.

يقول المسيحيون: إن المسيح هو الله وأنه ما نزل في هذا العالم، وما انحط إلى مستوى البشر إلا ليخلص الناس من ذاك الذنب المزعوم، فإذا كان هذا هو السبب الوحيد الذي أرسل من أجله المسيح، فلم لم يقل عنه شيئا! ! ولم لم يبينه! !

لقد كان المسيح معلم الشعب، فإذا كان نزل للفداء فكان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة، وما كان هناك أدنى داع للتعليم والتهذيب والإرشاد إلى الطريق الذي يدخل الجنة، ما دام محض مجيئه يكفي لخلاصهم وخلاص العالم معهم. [1]

---

(١) المسيح والتثليث، محمد وصفي (١٤٧ - ١٥٦) وانظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، محمد بن صفي الدين الحنفي (٦٤).

وأيضا: فقد كان واجب عيسى عليه السلام الأساسي هو البشارة بملكوت الله، والمعزي أو إيليا الذي سيأتي من بعده.

وها هي النصوص على ذلك:

١- ورد في لوقا (٤ / ٤٣): "٤٣فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضًا بِمَلَكُوتِ اللهِ، لأَنِّي لِهذَا قَدْ أُرْسِلْتُ». ٤٤فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِ الْجَلِيلِ. "

٢- كما أوصى يسوع تلاميذه قائلا: " ٧وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. " (متى ١٠ / ٧).

٣- وورد في متى (١١ / ١٤): " ١٤وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. "

٤- ورد في يوحنا (١٤ / ١٥ – ١٧): " «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، ١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، ١٧رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. "[1]

ومما سبق يتبين أن أساس عقيدة النصرانية يقوم على عدة أركان:

الأول: دعوى الخطية ولزوم الفداء (وقد سبق الكلام عنهما).

الثاني: دعوى تجسد ابن الله من أجل الخلاص.

الثالث: دعوى الصلب من أجل الخلاص.

الرابع: دعوى قيامة المسيح من أجل الخلاص.

الباب الثاني : الرد على دعوى تجسد ابن الله من أجل الخلاص

١ـ عقيدة النصارى في التجسد وأقوالهم فيها والرد عليها.

يدعي النصارى أن الإنسان لا يستطيع أن يتحرر ويتخلص بنفسه من الطبيعة الخاطئة التي ورثها عن آدم – بناء على فكرتهم في توارث خطيئة آدم – وذلك لأنه خاطئ .

وها هي بعض أقوالهم في تقرير هذا المعنى:

---

(١) انظر: إعدام الإله بين المسيحية والوثنية (٣١ – ٣٢).

يقول عوض سمعان: " فالإنسان لانتقال الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة وتسلطها على كيانه تبعًا لذلك لا يستطيع بمجهوده أن يتحرر منها أو يرتقي فوقها ".(١)

" فالبشر جميعًا بما فيهم الأنبياء محتاجون إلى من يفديهم ".(٢)

وهل يستطيع أن يقوم بهذه المهمة ملاك من الملائكة ؟

والجواب هو أنه: لا يستطيع – في نظرهم – أن يقوم بمهمة الفداء أيضا ملاك .

ففي تاريخ الأمة القبطية " لم يكن باستطاعة إنسان أو ملاك أن يقوم بهذه الفدية لأن الإنسان خاطئ ولأن الملاك مخلوق ".(٣)

كذلك لا يستطيع أي مخلوق آخر – في نظرهم – أن يقوم بالفداء .

يقول حبيب جرجس: " ولم يستطع إنسان ولا ملاك ولا خليقة أخرى أن تصلح الجنس البشري من فساده لأن ذلك ضرب من المحال "(٤) .

ويقول حبيب جرجس: " وهذا الفادي ليس إنسانًا ولا ملاكًا ولا خليقة أخرى بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح ". (٥)

ويقول عوض سمعان: " بما أنه لا يستطيع فدائنا إلا الله، وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصا نظيره؛ لأن المخلوق يكون محدثًا، والمحدث لا يكون مثل الأزلي إذن ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا." (٦)

ولكي يقوم ابن الله بالخلاص لابد وأن يتجسد ويظهر في صورة بشرية أي في ثوب الخطية حتى يستطيع الانتصار عليها بثوبها .

---

(١) طريق الخلاص (١٣) .

(٢) مطلعات في الكتاب المقدس (٢٥١) .

(٣) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢٨) .

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية (٢٥) .

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية (٢٦) .

(٦) طريق الخلاص (١٩).

يقول القس صموئيل حبيب: " لذلك جاء يسوع في جسد الخطية ليفتدي الخطاة ".[١]

ولكي يستطيع أن يموت على الصليب ويتحمل الخطايا والآثام كان ولابد أن يظهر في صورة الجسد القابل للموت .

يقول اثناسيوس الرسولي: " وإنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت، ولأنه ابن الآب لهذا أخذ لنفسه جسدا قابلا للموت حتى باتحاده بالكلمة الذي هو فوق الكل يكون جديرا أن يموت نيابة عن الكل ." [٢]

٢ـ الرد على هذه الدعوى

إذا كان كل أفراد الجنس البشري متصفين بالسقوط في الخطيئة نتيجة لعصيان آدم فكيف يكون المسيح بجسد بشري وهو غير خاطئ ؟ ذلك أن المسيح ولد من مريم وهي واحدة من أفراد الجنس البشري الساقط – في نظرهم – الذي ورث الخطية عن آدم، فكيف يكون مبرأ من الخطية وهو قد ولد من جسد خاطئ ؟ خاصة وأن الأناجيل تقول "[١٧]هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، [١٨]لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. " (متى ٧ / ١٧ – ١٨) .

فالنسل الفاسد – في نظرهم – لا يستطيع أن يثمر نسلًا جيدًا.

فإذا كان المسيح – في نظرهم – قد ولد من جسد فاسد أو من نسل فاسد أو من طبيعة فاسدة فإن طبيعته كذلك فاسدة – هذا على اعتقادهم – أما نحن المسلمين فنعتقد في عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله.

والجواب عند المسيحيين على مثل هذه الاعتراضات أن المسيح اتخذ جسدا مبرأ من الخطية؛ لأنه ابن الله المتجسد.

ونرد عليهم فنقول:

---

(١) الخلاص في مفهومه الكتابي والتطبيقي (٣٩) .

(٢) تجسد الكلمة (٣٩) .

إنه على ذلك ليس من نسل آدم، والشرط عندكم أن يكون الفادي من نسل آدم حتى يستطيع أن يقوم بالفداء .

يقول أنسلموس اللاهوتي: " وبما أنه من آدم وحواء قد سرت الخطية إلى العالم فلا يقتضي أن يكفر عن خطايا العالم إلا هما بالذات أو واحد من نسلهما، ولما كانا هما غير قادرين على ذلك وجب أن يعمله واحد من ذريتهما ".[١]

وتقول فرنسس يونغ: " الادعاءات الخاصة أن هناك طريقة واحدة لفهم موضوع الخلاص عن طريق المسيح لم تكن قط جزءا من قوانين الكنيسة المسيحية لا في الاعتقاد ولا في التعريف ." [٢]

الباب الثالث: دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص والرد عليها.
تمهيد:

يدعي المسيحيون أن المسيح ابن الله الذي تجسد وظهر في صورة بشرية كان ولابد أن يموت على الصليب حتى يستطيع أن يفدي البشرية ويخلصها من خطيئة آدم والخطايا الأخرى. يقول يوحنا " وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. " (يوحنا (١) ١ / ٧).

يقول إلياس مقار: " إنه لابد أن يدفع الثمن كاملا لرفع الخطية، وإلا لكان الأمر مجرد تمثيلية بعيدة عن الحقيقة والواقع، ومن ثم لم يكن صلب المسيح مجرداً عن دفاع عن مبدأ يؤثر الناس الموت على تركه واستشهاده من أجل عقيدة يتمسك بها صاحبها وإلا لما افترق موت المسيح عن موت الشهداء وأصحاب المبادئ والمثل، لكن موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت للجنس البشري كله بسقوط وخطية نائبه الأول (آدم) فالصليب هو رافع العقوبة والدين وشاف ومطهر من اللوثة والطبيعة الفاسدة. "[٣]

من هنا كان الصلب في نظرهم هو مركز الدائرة وقطب الرحى الذي تدور عليه

---

(١) لماذا تجسد الكلمة (٥٥) .

(٢) أسطورة تجسد الإله (٤١) ، وانظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٤٤ - ٥٤٧) .

(٣) قضايا المسيحية الكبرى (٣٩٨).

النصرانية كلها، ولننظر أهمية الصلب وسفك الدماء عندهم من أجل الخلاص.

الفصل الأول: أهمية الصلب عند النصارى.

يدعي النصارى أن هناك ارتباطًا بين غفران الذنوب وسفك الدماء، وذلك أن أساس غفران الخطايا عندهم هو سفك الدماء. [1]

ففي الرسالة الموجهة إلى العبرانيين يقول الكاتب " ٢٢وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ! " (عبرانيين ٩ / ٢٢).

ويقول بولس " الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ " (أفسس ١/ ٧).

يقول باركلي: " وهناك صلة بين الكفارة والذبيحة ففي ناموس العهد القديم كان المخطئ يقدم لله ذبيحة يهدف منها إلى جلب رضا الله وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه، لنفترض أن إنسانا أخطأ، فالخطية تفسد العلاقة بينه وبين الله، ولكي تعود العلاقة السليمة يقدم المخطئ ذبيحة. "[2]

يقول إنسطاسي شفيق " والذبائح كانت جزءا من عبادة الله التي وضعها منذ البدء وعلى ذلك نرى في الكتاب أن هابيل ونوحًا والآباء وإبراهيم وإسحاق ويعقوب قدموا الذبائح "[3]

والمسيح ابن الله – في نظر المسيحيين – هو الذبيحة الحقيقة التي حصل بها الغفران والخلاص والفداء للبشرية.

يقول حبيب جرجس: " وكلمة الكفارة معناها في الأصل التغطية والستر أي أن خطايانا سترت بواسطة ذبيحة المسيح وكفارته من انتقام العدل الإلهي "[4]

ويقول باركلي: " إن الذبائح الحيوانية فشلت في تحقيق هذا " ١٦لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. " (مزمور ٥١ / ١٦).

" ٦بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُول أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟

---

(١) يقين الخلاص، القس لبيب ميخائيل (٢٥).

(٢) تفسير رسالة روميا (٧٣).

(٣) الفداء في إنجيل لوقا (٣٩).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية (٢٧).

[٧]هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ " (ميخا ٦ / ٦ – ٧).

ونرد عليهم فنقول:

لقد جاء في أسفار العهد القديم أن الذبائح الحيوانية كانت وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى، وأن الله قبل بعضها ورد أخرى.

يقول سفر التكوين: " [٣]وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، [٤]وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، [٥]وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. " (تكوين ٤ / ٣ – ٥).

فواضح من هذا أن الله قبل قربان هابيل ولم يقبل قربان قايين.

وأيضًا: " [٢٠]وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، [٢١]فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. " (تكوين ٨ / ٢٠ – ٢١).

فالله قبل ذبائح نوح عليه السلام التي تقرب بها إلى الله تعالى.

وهناك دليل أوضح من هذا، وهو أن ذبائح موسى وقومه كانت سببًا في نجاتهم من عذاب الرب، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية في التكفير عن الخطية، لما نجى الله موسى وقومه من العذاب.

يقول سفر الخروج " [٢١]فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْحَبُوا وَخُذُوا لَكُمْ غَنَمًا بِحَسَبِ عَشَائِرِكُمْ وَاذْبَحُوا الْفِصْحَ. [٢٢]وَخُذُوا بَاقَةَ زُوفَا وَاغْمِسُوهَا فِي الدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ وَمُسُّوا الْعَتَبَةَ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ بِالدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ. وَأَنْتُمْ لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ، [٢٣]فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ. [٢٤]فَتَحْفَظُونَ هذَا الأَمْرَ فَرِيضَةً لَكَ وَلأَوْلاَدِكَ إِلَى الأَبَدِ. " (١٢ / ٢١ – ٢٥).

فالنص يبين أن موسى فدى بني إسرائيل بأن دلهم على الذبائح الحيوانية التي كانت سببا في نجاته هو وقومه من عذاب الرب الذي عذب به المصريين.

وعلى هذا ففكرة المسيحيين بأن الذبائح الحيوانية فشلت في تحقيق غفران الخطايا فكرة مناقضة لما جاء في أسفار العهد القديم الدالة على أن هابيل ونوحًا وموسى وقومه قد قدموا الذبائح الحيوانية، والله قبلها منهم وغفر لهم خطاياهم ونجاهم من العذاب.

وعليه فلا داعي للادعاء بأهمية صلب وسفك دماء المسيح، ولا داعي لأن ننسب إلى الله الظلم - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - فقد كان من الممكن أن يقوم بهذه المهمة حيوان بدلا من تعذيب إنسان برئ لا ذنب له. (١)

ونأتي الآن للسؤال الأهم وهو:

الفصل الثاني: هل صلب المسيح فعلًا أم لا؟ وما أدلتهم على ذلك؟

أما بالنسبة للأدلة التي تثبت وقوع صلب المسيح، فليس للنصارى من أدلة سوى ما بين أيديهم من الأناجيل الأربعة، والنصارى أنفسهم يعترفون بذلك.

يقول د/ حنا جرجس الخضري: " إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته، كما أنها أيضا تذكر أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم الروماني الذين اشتركوا في محاكمة يسوع، ولكن الوثائق التاريخية غير الإنجيلية التي تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدًا الأمر الذي أدهش المؤرخين كثيرًا بل يعتبر حجر عثرة بالنسبة لهم. "(٢)

ويذكر أيضًا أن السجلات والوثائق الرومانية لا تذكر شيئًا عن صلب المسيح. وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين: كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطي حكمه بإعدام شخص في أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريرًا مفصلًا أو حتى موجزًا عن هذه القضية خصوصا وأن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الروماني كمفسد

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٥١ - ٥٥٢).

(٢) تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٣٣٨).

للأمة[١] وكإنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة ". [٢]

فبما أنه لا دليل في أيديهم على صلب المسيح سوى الأناجيل فلنناقش هذه الروايات التي وردت في الأناجيل ونرى هل تثبت أمام النقد الصحيح في إثبات هذه القضية أم لا؟ والله المستعان.

الفصل الثالث: الرد على دعوى الصلب، وينقسم إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: تناقضات روايات قصة الصلب.

لقد تحدثت الأناجيل عن حياة المسيح من الميلاد إلى الصلب والقيامة – كما يزعمون – وسنحاول بإذن الله تعالى أن نثبت الخطأ والتناقض بين هذه الروايات، من أول مقدمات حادثة الصلب إلى الانتهاء من صلب المسيح ودفنه – كما يزعمون –. وينقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب:

المطلب الأول: تناقض روايات مقدمة أحداث الصلب

١ـ مسح جسد المسيح بالطيب

يقول إنجيل مرقس (١٤ / ١ – ٨): " ١وَكَانَ الْفِصْحُ وَأَيَّامُ الْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ، ٢وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي الْعِيدِ، لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ».

٣وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ. ٤وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: «لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هذَا؟ ٥لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ». وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا. ٦أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «اتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟ قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا!. ٧لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. ٨عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ. "

---

(١) يشير بذلك إلى ما جاء في إنجيل لوقا " ١فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ، ٢وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلًا: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». . . . ٥فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا». " (لوقا ٢٣ / ١ – ٥).

(٢) تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٣٣٩).

ويقول إنجيل لوقا: " ٣٦وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. ٣٧وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ ٣٨وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. ٣٩فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قِائِلًا: «لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». ٤٠فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «يَاسِمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ». فَقَالَ: «قُلْ، يَامُعَلِّمُ». ٤١«كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. ٤٢وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ » ٤٣فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ». ٤٤ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: «أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. ٤٥قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. ٤٦بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. ٤٧مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا». ٤٨ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». (٧/ ٣٦ – ٤٨).

ويقول إنجيل يوحنا: " ١ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. ٢فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدُمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. ٣فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. ٤فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: ٥«لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟ » ٦قَالَ هذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. ٧فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، ٨لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». (١٢ / ١ –٨).

فمما سبق يتبين لنا التناقض الواضح في قصة (المسح بالطيب) ويتجلى ذلك في عدة أمور:

أولًا: وقت حدوثها.

فنجد أن يوحنا يذكرها مبكرا عما أورده مرقس ببضعة أيام (يوحنا ١٢ / ١) ويذكرها لوقا في موقع مختلف تماما من سيرة يسوع (٧ / ٣٦).

ثانيًا: في مكان حدوثها.

فبينما نجدها قد حدثت في منزل سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا (حسب مرقس ومتى)– وفي بيت فريسي (حسب لوقا) – وفي بيت مريم ومرثا ولعازر (حسب يوحنا ١٢ / ١-٢).

ثالثًا: في شخصية المرأة.

فهي مجهولة (حسب مرقس ومتى) – وخاطئة (حسب لوقا) – وامرأة صديقة هي مريم أخت لعازر (حسب يوحنا).

رابعًا: ماذا فعلت؟

دهنت رأس يسوع بالطيب (حسب مرقس ومتى) - دهنت رجليه بالطيب (حسب لوقا ويوحنا).

خامسًا: رد الفعل عند المشاهدين.

اغتاظ قوم لإسرافها (حسب مرقس) – واغتاظ التلاميذ (حسب متى ٢٦ / ٨) – وكان تساؤل الفريسي مع نفسه حول معرفة يسوع بشخصية المرأة (حسب لوقا) – واغتاظ يهوذا الإسخريوطي لإسرافها (حسب يوحنا). (١)

٢ـ خيانة يهوذا

يقول مرقس: " ''ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَاحِدًا مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ. ''وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا، وَوَعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُرْصَةٍ مُوافِقَةٍ. " (١٤ / ١٠ – ١١).

أما متى فقد غير – كما يقول جون فنتون – " في قول مرقس: ووعدوه أن يعطوه فضة

---

(١) انظر: تفسير إنجيل مرقس، نينهام (٣٧٠، ٣٧١)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٢٨ – ١٣١).

– إلى: فجعلوا له (بمعنى دفعوا له) ثلاثين من الفضة.

لكن كلمات متى مقتبسة من سفر زكريا الذي يقول: " ١٢فَقُلْتُ لَهُمْ: «إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي وَإِلاَّ فَامْتَنِعُوا». فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. " (١١ / ١٢).

كذلك يوجد تلميح إلى ما في الإصحاحات الأخيرة من زكريا وقد ذكرها متى في ٢١ / ٥، ٢٤ / ٣، ٣٠، ٣١، ٢٦ / ١٨، ٢٧ / ٩ لقد قرأ متى هذه التفاصيل من العهد القديم ". [(١)]

٣ـ التحضير للعشاء الأخير

يقول مرقس: " ١٢وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْفَطِيرِ. حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ، قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» ١٣فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُلاَقِيَكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ. ١٤وَحَيْثُمَا يَدْخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ ١٥فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُعَدَّةً. هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا». ١٦فَخَرَجَ تِلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. فَأَعَدَّا الْفِصْحَ. "(١٤ / ١٢ -١٦)

" إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة (بأعدادها من رقم ١٢ إلى ١٦) إنما كانت في الواقع إضافة أدخلت فيها بعد إلى الرواية التي كان يتبعها مرقس في هذا الجزء من إنجيله. ومن أسباب ذلك ما يلي:

١- وصف اليوم الذي قيل إن القصة حدثت فيه بأسلوب لا يستخدمه اليهودي العادي الذي كان معاصرًا لها.

٢- وصف اتباع يسوع في كل فقرة من هذا الإصحاح (الرابع عشر) بأنهم تلاميذه، بينما أشير إليهم بإصرار في هذه الفقرة بأنهم الاثنى عشر.

٣- إن كاتب العدد ١٧ (الذي يقول: ولما كان المساء جاء مع الإثنى عشر) لا يعلم شيئا عن رحلة التلميذين التي ذكرت في العدد ١٣. فلو كان كاتب العدد ١٧ يعلم محتويات تلك الفقرة، لكان عليه أن يتحدث عن العشرة (وليس عن الاثنى عشر، أي أن

---

(١) تفسير إنجيل متى، جون فنتون (٤١٣).

العدد ١٧ كان يجب أن يقرأ هكذا: ولما كان المساء جاء مع العشرة). (١)

ويختلف متى عن مرقس في قصة الإعداد للعشاء، إذ يجعل التلاميذ جميعا يشتركون في هذا الإعداد(٢) فيقول: "١٨فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي». ١٩فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ. " (٢٦ / ١٨ - ١٩).

٤- توقيت العشاء الأخير وأثره على قضية الصلب.

يتفق متى مع مرقس (وكذلك لوقا ٢٢/ ٨) في أن العشاء الأخير كان هو الفصح، وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل في المساء بعد موت يسوع (يوحنا ١٨ / ٢٨).

ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس ولوقا صحيح، وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية ". (٣)

ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذي حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح: " ١أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ. . . ٢فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ. . . ٤قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا. . . ٥ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا ". (١٤ / ١ - ٥)

وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع في مساء اليوم السابق لأكل الفصح، وذلك في قوله: " ٢٨ثُمَّ جَاءُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ، وَكَانَ صُبْحٌ. وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ لِكَيْ لاَ يَتَنَجَّسُوا، فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ. " (١٨ / ٢٨).

إن اختلاف الأناجيل في توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، ألا وهي تحديد يوم الصلب. فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض بعد

---

(١) تفسير إنجيل مرقس، ننهام (٣٧٦).

(٢) تفسير إنجيل متى، جون فنتون (٤١٤).

(٣) المصدر السابق (٤١٥).

ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة.

أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعني أن القبض كان مساء الأربعاء، وأن الصلب حدث يوم الخميس.

فهل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة؟! ! !. [1]

٥ـ العشاء الأخير والتلميذ الخائن.

يقول مرقس (١٤/ ١٦ – ٢١): " ١٧وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. ١٨وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. اَلآكِلُ مَعِي! » ١٩فَابْتَدَأُوا يَحْزَنُونَ، وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِدًا فَوَاحِدًا: «هَلْ أَنَا؟ » وَآخَرُ: «هَلْ أَنَا؟ » ٢٠فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يَغْمِسُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ. ٢١إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ! »."

أما التغييرات التي أدخلها متى على رواية مرقس فتعتبر بسيطة، إذ قد حذف قول مرقس في العدد ١٨: الآكل معي – وهذا غريب، حيث إن هذا النص يعطي تلميحًا لما في المزمور ٤١ / ٩ (اَلَّذِي يَأْكُلُ مَعِي الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ.) وقد اقتبسه يوحنا في ١٣ / ١٨ علمًا بأن متى لا يترك أي نقطة تشير إلى تتمة كتب العهد القديم إلا استخدمها.

وكذلك أضاف متى كلمة ربي في العدد ٢٢ (٢٢فَحَزِنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَارَبُّ؟ » ".

كما أضاف العدد ٢٥ بأكمله (٢٥فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟ » قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ». [2]

ويقول لوقا (٢٢/ ١٤، ١٥، ١٩، ٢٠): " ١٤وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاثْنَا عَشَرَ رَسُولًا

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٣٣ – ١٣٥).

(٢) تفسير إنجيل متى، جون فنتون (٤١٥ – ٤١٦).

مَعَهُ، ١٥وَقَالَ لَهُمْ: «شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ، ١٦لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ». . . ١٩وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». ٢٠وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلًا: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ. "

يقول جورج كيرد في تفسيره لهذه الفقرات " إن قصة العشاء الأخير في لوقا تعتبر كابوسًا، فهي تثير مشاكل في أغلب مواضيع دراسة العهد الجديد، كما أنها أعطت الأساس لطوفان من النظريات المتصارعة " ولتوضيح هذا التصارع والتناقض نقول:

١- أغلب النسخ تشتمل على ما يعرف بالنص الأطول وهو الذي يحتوي على جزء من العدد ١٩، والعدد ٢٠ (وهما المكتوبان بالبنط العريض وتحتها خط) كما أن هناك النص الغربي – وقد سارت عليه النسخة القياسية المراجعة – الذي يحذف هذين العددين.

ويبدو أنهما أخذا مما جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١/ ٢٤، ٢٥ وجزءا من مرقس ١٤ / ٢٤، ثم أدخلا إلى النص في عهد مبكر على يد كاتب اعتقد أن قصة لوقا خاطئة. "[(١)]

٢- رواية يوحنا فيها اختلاف عن بقية الأناجيل الثلاثة الأخر فهو يقول: " لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». ٢٢فَكَانَ التَّلاَمِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ. ٢٣وَكَانَ مُتَّكِئًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ. ٢٤فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ. ٢٥فَاتَّكَأَ ذَاكَ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ؟» ٢٦أَجَابَ يَسُوعُ: «هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ!». فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ. ٢٧فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ». (١٣ / ٢١- ٣١).

٣- ولتحديد شخصية الخائن نجد الأناجيل قد أوردت إجابات مختلفة لسؤال التلاميذ

---

(١) تفسير إنجيل لوقا، كيرد (٢٣٦ - ٢٣٧).

معلمهم عمن يكون، فقد قال مرقس على لسان المسيح "الَّذِي يَغْمِسُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ. ".

وقال متى كلامًا يقرب من هذا إلا أنه أضاف: "فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟ » قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ». " وتوقف لوقا عند القول بكلام شبيه بكلام مرقس.

أما يوحنا فقد قال: " الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ! ». فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ. "

وهناك أيضًا اختلاف آخر وهو:

٤ - أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء (حسب رواية لوقا ٢٢/ ٣) إذ قد خرج بعد ذلك ليتآمر مع رؤساء الكهنة. لكن يوحنا يقرر أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة أثناء العشاء (١٣ / ٢٧). [1]

٦ـ شك التلاميذ.

يقول مرقس: " ٢٧وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ. ٢٨وَلكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ». ٢٩فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ! » ٣٠فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». ٣١فَقَالَ بِأَكْثَرِ تَشْدِيدٍ: «وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ! ». وَهكَذَا قَالَ أَيْضًا الْجَمِيعُ. " (١٤ / ٢٧ - ٣١).

والشيء الهام هنا هو قول يسوع بوضوح لتلاميذه - كل تلاميذه - " إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ ".

فرغم أن الجملة واضحة تمامًا وتعني شك التلاميذ في معلمهم، إلا أن المعنى يزداد وضوحا حين نعلم أن كلمة: تشكون تعني: ترتدون عن عقيدتكم، وتزلون - كما في التراجم غير العربية.

ومن المعلوم كذلك أن الإنكار غير الشك: فقد ينكر الإنسان أمرًا أمام الناس بينما هو

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٣٥ - ١٣٨).

يعلمه في قرارة نفسه بيقين، أما الشك فيمكن تعريفه في إحدى صوره التي تنطبق على حالتنا هذه بأنه تراجع – يجري داخل النفس – عن التصديق بالشيء.

لقد آمن التلاميذ بالمسيح رسولًا من الله يقول الصدق، وهو إذا تنبأ بمستقبل كانت تنبؤاته صادقة ولابد أن يحدث ما سبق وأن تنبأ به. أما إذا رأى التلاميذ أن ما حدث يعتبر مخالفًا لما سبقت به نبوءة المسيح فعندئذ يكون الشك، وهنا فقط يشك التلاميذ في المسيح، ويرتدون عن عقيدتهم في الإيمان به والتصديق برسالته . فهل حدث الشك أم لا؟ لننظر ونتأمل. (١)

٧ـ آلام المسيح.

يقول مرقس: " ٣٢وَجَاءُوا إِلَى ضَيْعَةٍ اسْمُهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. ٣٤فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا». ٣٥ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. ٣٦وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ». ٣٧ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٣٨اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». ٣٩وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلًا ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ. ٤٠ثُمَّ رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا يُجِيبُونَهُ. ٤١ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! يَكْفِي! قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ! هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. ٤٢قُومُوا لِنَذْهَبَ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ! ». " (١٤ / ٣٢- ٤٢) .

إن هذا الجزء " يصف آخر مرة كان فيها يسوع مع تلاميذه، إذ أننا نجد أن نهاية الفقرة التالية لنظيره متى تقول: "حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. " (٢٦ / ٥٦). (٢)

ويروي لنا لوقا آلام المسيح أيضا فيقول: " ٣٩وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ،

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٣٨ - ١٣٩).

(٢) تفسير إنجيل متى، مرجع سابق (٤٢١).

وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلاَمِيذُهُ. ⁴⁰وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». ⁴¹وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ⁴²قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». ⁴³وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. ⁴⁴وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. ⁴⁵ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. ⁴⁶فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». " (٢٢/ ٣٩ _ ٤٦).

فنلاحظ من خلال هذه الروايات مدى الفزع والهلع الذي حل بيسوع، يقول جورج كيرد في تفسيره لهذه الفقرات: " حسب رواية مرقس (الذي كان مصدرًا للوقا) نجد أن يسوع بدأ يكتنفه الآن الفزع والذهول، وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها، ولما كان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فإنه قضى الليل في تشنجات متتالية من صلاة المكروب ".

وعندما نتذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان، بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط، فلا يسعنا إلا أن نتسائل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله – في صلاته – أن يجيزها عنه. [1]

" إن تحذير يسوع لتلاميذه من خطر التجربة يكشف لنا عن شعوره بأنه شخصيًا وتلاميذه قد أحاطت بهم سلطات الظلمة الروحية، التي جاهدها في مستهل دعوته.

ولقد كان من بواعث محنته، ما شعر به من أن جهاده وما كان يمثله من طهر وكمال، يتعرض آنذاك بصورة مروعة لعملية اغتصاب نهائي على يد سلطات الظلمة ". [2]

أما رواية يوحنا فإنها تذكر أن يسوع استنفد الفترة ما بين خروج يهوذا لتنفيذ مؤامرته، وعودته مع القوة التي جاءت للقبض على معلمه، في جعل يسوع يلقي محاضرة طويلة على

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٤٠ – ١٤٢).

(٢) تفسير إنجيل لوقا، مرجع سابق (٢٤٣).

تلاميذه استغرقت أكثر من أربعة إصحاحات هي: بقية الإصحاح ١٣ ثم الإصحاحات ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ فكانت تمثل بذلك نحو ٢٠ في المائة من حجم إنجيل يوحنا يركز على ما اعتبره البعض – فيما بعد – تأكيدا على لاهوت المسيح.

ولقد صمت يوحنا عن آلام المسيح ومعاناته في الحديقة، ولم يذكر لنا سوى نبذه يسيرة عن حالة الفزع والاضطراب التي لحقت به حين شعر بخطر المؤامرة يقترب منه، وكان ذلك أثناء العشاء الأخير – إذ قال يوحنا: " [٢١] لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». " (يوحنا ١٣ / ٢١).

٨ـ القبض على المسيح.

يقول مرقس (١٤ / ٤٣ – ٥٢): " [٤٣] وَلِلْوَقْتِ فِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أَقْبَلَ يَهُوذَا، وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ. [٤٤] وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلًا: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ، وَامْضُوا بِهِ بِحِرْصٍ». [٤٥] فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلًا: «يَا سَيِّدِي، يَاسَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. [٤٦] فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ. [٤٧] فَاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ، وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ.

[٤٨] فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! [٤٩] كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ أُعَلِّمُ وَلَمْ تُمْسِكُونِي! وَلكِنْ لِكَيْ تُكْمَلَ الْكُتُبُ». [٥٠] فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا. [٥١] وَتَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، [٥٢] فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا. " ونقول تعليقًا على هذه الفقرات:

١- لقد طعن أحد علماء الكتاب المقدس وهو " باكون " في القيمة التاريخية لكل هذه الفقرات في مقال هام وشهير " ماذا كانت خيانة يهوذا؟ " – وذلك على أساس أن السلطات كانت تعرف يسوع، كما كانت على علم تام بتحركاته، وكان في استطاعتها أن تكتشف مكانه بسهولة وتقبض عليه في هدوء، دون ما حاجة إلى معاونة غير مضمونة من خونة مأجورين. . . .

٢- أن العدد ٤٧ ([٤٧] فَاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ، وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ.) من الواضح أنه قد ألحق بأسلوب مفكك جدا بما قبله.

٣- أن القول (وَلكِنْ لِكَيْ تُكْمَلَ الْكُتُبُ) قد أدخل هنا على الرغم من عدم ورود فقرة معينة من كتب العهد القديم تناسب هذا الموقف.

٤- أن العددين ٥١، ٥٢ (٥١وَتَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، ٥٢فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا.) يدعوان للحيرة، فقد وضعا بطريقة مربكة بعد العدد (٥٠)، ولهذا فإن بعض النساخ قد نقحوا الأصل الإغريقي لكي ينصقل الترابط مع ما قبلهما، كما أن كلا من متى ولوقا قد حذفهما من إنجيله. "(١)

أما رواية متى فقد دخل فيها بعض التغييرات مثل إضافته إلى قول يهوذا: السلام يا سيدي، وكذلك قول يسوع إلى أحد تابعيه بعد قطع أذن عبد رئيس الكهنة: " «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! ٥٣أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ ٥٤فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟ ». "

وأيضًا حذف متى قصة مرقس عن الشاب الذي هرب عريانًا. (٢)

وأما لوقا فإنه يسير في روايته بمحاذاة متى، إلا أنه يرفض رواية الإثنى عشر جيشًا من الملائكة، كما لم يذكر شيئًا عن الشاب الذي هرب عريانًا.

ثم هو يذكر شيئًا مختلفًا عن قُبلة يهوذا إذ يقول: " ٤٧وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ، وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ، يَتَقَدَّمُهُمْ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. ٤٨فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟ » " (٢٢ / ٤٧ – ٤٨).

وأما رواية يوحنا فإنها تعطي صورة مختلفة تمامًا عما روته الأناجيل الثلاثة عن حادث القبض – فهو يقول: " ٣فَأَخَذَ يَهُوذَا الْجُنْدَ وَخُدَّامًا مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلاَحٍ. ٤فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ » ٥أَجَابُوهُ:

---

(١) تفسير إنجيل مرقس، مرجع سابق (٣٩٤ – ٣٩٦).

(٢) تفسير إنجيل متى، مرجع سابق (٤٢٤ – ٤٢٦).

«يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. ٧فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». ٨أَجَابَ يَسُوعُ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ». ٩لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا». ١٠ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْخُسَ. ١١فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ: «اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ! الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟». "(١٨/ ٣–١١).

التعليق:

وبعد عرض الروايات الأربع لهذه الحادثة الخطيرة، يحق لنا أن نسأل: أين شك التلاميذ؟ ، لقد سبق أن ذكرت الأناجيل على لسان المسيح قوله لتلاميذه: ": «كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ ".

ونحن هنا أمام احتمالين:

أحدهما: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، ورغم أنها ستسبب له ألما ومعاناة إلا أنها ستفشل وينقذه الله من القتل الذي ينتظره على أيدي مدبريها.

ثانيهما: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألما ومعاناة وتنتهي بقتله.

فإن كانت الحالة الأولى، ورأى التلاميذ – حسب ما ترويه الأناجيل – بكل وضوح أن المسيح قبض عليه في تلك الليلة، واستطاعت قوى الشر أن تنتصر عليه، وتحقق ما تريد فعندئذ لا بد أن يشك التلاميذ في معلمهم الذي تنبأ لهم بنجاته، وقد يكون الارتداد عن العقيدة أيضًا.

ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكوا في المسيح في تلك الليلة.

فإن هذا يعني أن الأحداث سارت حسبما جاء في تلك الحالة التي تنتهي بنجاة المسيح من القبض والقتل.

وأما إن كانت الحالة الثانية، وهي أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله، فإن ما شاهده التلاميذ – حسب رواية الأناجيل أيضًا – هو أن ذلك ما حدث، ولا محل للشك

إذن في هذه الحالة.

والخلاصة:

أن الأناجيل الأربعة اختلفت في قصة القبض وملابساتها:

١-روى كل من (مرقس ومتى) أن يهوذا قبَّل المسيح، وروى (لوقا) أن يهوذا كان على وشك التقبيل، بينما لا يعرف (يوحنا) شيئًا عن التقبيل.

٢- ويذكر كل من مرقس ومتى أن تحية وكلامًا جرى بين يهوذا والمسيح ويصمت لوقا عن تلك التحية بينما لا يذكر يوحنا شيئًا عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التي جاءت للقبض عليه في البستان.

ونستطيع أن نضع أيدينا على ثلاث نقاط أساسية:

١-أن القبلة كانت الوسيلة الوحيدة لتعريف أفراد القوة بشخصية المسيح (حسب مرقس ومتى ولوقا) - بينما تم ذلك بعد أن أظهر المسيح ذاته لهم بطريقة تنم عن التحدي والثبات الذي يتحلى به الشجعان في مثل هذه المواقف.

٢-وأن حادثًا غير عادي وقع في تلك اللحظة مما أذهل أفراد القوة وجعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض.

٣-أن التلاميذ - حسب ما يرويه كتبة الأناجيل - لم يشكوا في المسيح ولو للحظة واحدة في تلك الليلة.

٤- ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها ترد دائمًا إلى تنبؤات العهد القديم وخاصة سفر المزامير، فإن المزمور ٩١ الذي يستشهد به كثيرًا - يقول: " [٩]لأَنَّكَ قُلْتَ: «أَنْتَ يَا رَبُّ مَلْجَإِي». جَعَلْتَ الْعَلِيَّ مَسْكَنَكَ، [١٠]لاَ يُلاَقِيكَ شَرٌّ، وَلاَ تَدْنُو ضَرْبَةٌ مِنْ خَيْمَتِكَ. [١١]لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. [١٢]عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. . . . أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. [١٥]يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. [١٦]مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلاَصِي». " (٩ / ١٦).

أليس من حق القائل أن يقول : إن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة

التي كادت تزيغ فيها قلوب المؤمنين؟ وأليس هذا هو ما تنطق به المزامير؟.[1]

المطلب الثاني: تناقضات روايات قبل الصلب

١ـ هل ذهب رؤساء الكهنة للقبض على المسيح؟

مَن الذي ذهب للقبض على يسوع؟

يقول متى: " جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. " (متى ٢٦/ ٤٧).

وزاد مرقس بأن ذكر أن من الجمع الكتبةَ والشيوخ (انظر مرقس ١٤/ ٤٣)، فيما ذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساءِ الكهنة (انظر يوحنا ١٨/ ٣) ولم يذكر أي من الثلاثة مجيء رؤساء الكهنة، ولو كانوا قد حضروا لما صح إغفال ذكرهم مع الحاضرين، فهم ليسوا أقل أهمية من الكتبة والشيوخ والدهماء.

ولكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول: "٥٢ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ " (لوقا ٢٢/ ٥٢). فالتناقض بين لوقا والباقين ظاهر.

٢ـ هل قبله يهوذا أم لم يقبله؟

قال متى: إن اليهود استأجروا أحد الحواريين ليرشدهم عن المسيح فأعطاهم علامة أن يقبضوا على الذي يقبله، فلما أقبل ومن معه " ٤٩فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي! » وَقَبَّلَهُ. ٥٠فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟ » حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. " (متى ٢٦ / ٤٧ – ٥٠).

وقد روى يوحنا هذه الحادثة بشكل مختلف عما ذكره متى، فقد قال: " ٣فَأَخَذَ يَهُوذَا الْجُنْدَ وَخُدَّامًا مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلاَحٍ. ٤فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ » ٥أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ:

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٤٣ – ١٤٩) بتصرف يسير.

«إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. [٧]فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ » فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». [٨]أَجَابَ يَسُوع: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ». " (يوحنا ١٨ / ٣- ٨).

ونلاحظ هنا الاختلاف بين الروايتين، حيث إنه لم يذكر هنا أن يهوذا تقدم إليه وقبله.

٣ـ متى حوكم المسيح؟

وتذكر الأناجيل محاكمة المسيح، وتتفق في وصف الكثير مما جرى في أثناء المحاكمة، كاستفسار كبير الكهنة عن شخص الماثل بين يديه، وإجابته له أن ابن الإنسان عن يمين قوة الله، وأنه سوف يأتي في سحاب السماء. (لوقا ٢٢/ ٦٧-٦٩).

ولكنهم اختلفوا في موعد هذه الجلسة من جلسات المحاكمة، إذ يجعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها فيقول: "[٦٦]وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ [٦٧]قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَقُلْ لَنَا! " (لوقا ٢٢/ ٦٦ – ٦٧).

وأما الإنجيليون الثلاثة فإنهم يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه، فيقول مرقس: " [٥٣]فَمَضَوْا بِيَسُوعَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ. . . . . " (مرقس ١٤/ ٥٣) (وانظر: متى ٢٦/ ٥٧، ويوحنا ١٨/ ٣).

٤ـ كم مرة سيصيح الديك؟

وتبع بطرس المسيح من بعيد ليرى محاكمته، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين حسب مرقس " قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». " (مرقس ١٤/ ٧٢) ومَرةً حسب الثلاثة، يقول لوقا: " إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». " (لوقا ٢٢/ ٦١) (انظر: متى ٢٦/ ٧٤، يوحنا ١٨/ ٢٧) وقد ذكر الثلاثة خلال القصة صياحًا واحدًا فقط، خلافًا لما زعمه مرقس، فقد ذكر صياحين للديك.

٥ـ أين تعرفت الجارية على بطرس أول مرة؟

وأثناء متابعة بطرس للمحاكمة تعرف بعض الموجودين في المحاكمة عليه، وعرفوا أنه

من أتباع المسيح، مما اضطر بطرس لإنكار ذلك ثلاث مرات.

وتتفق الأناجيل في أنه تعرفت عليه في المرة الأولى جارية، وتختلف في تحديد المكان الذي تعرفوا فيه على بطرس، فيذكر متى ويوحنا أنه كان حينذاك خارج الدار " ٦٩أَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ! ». " (متى ٢٦/ ٦٩، ٧٥).

وذكر مرقس ولوقا أنه كان داخل الدار يستدفئ من البرد، يقول مرقس: "٦٦وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. ٦٧فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِئُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ! » " (مرقس ١٤/ ٦٦).

وفي لوقا: " ٥٥وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَارًا فِي وَسْطِ الدَّارِ وَجَلَسُوا مَعًا، جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ. ٥٦فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ جَالِسًا عِنْدَ النَّارِ فَتَفَرَّسَتْ فيهِ وَقَالَتْ: «وَهذَا كَانَ مَعَهُ! ». " (لوقا ٢٢/ ٥٥-٥٦)، فهل كان بطرس داخل الدار أم خارجها؟

كما نلحظ اختلافًا ثانيًا بين الأناجيل في الفعل الذي كان يصنعه بطرس حين تعرفت الجارية عليه، فقد ذكر الإنجيليون الثلاثة أنه كان جالسًا عند النار يستدفئ، فخالفوا يوحنا الذي أخبرنا أن الجارية تعرفت عليه عند البوابة، فهذه الجارية مسئولة عن البوابة، وقد صرح به يوحنا حين أخبرنا أن تلميذًا من تلاميذ المسيح توسط لبطرس عند رئيس الكهنة ليدخله إلى الدار، " ١٧فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ الْبَوَّابَةُ لِبُطْرُسَ: «أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلاَمِيذِ هذَا الإِنْسَانِ؟ » قَالَ ذَاكَ: «لَسْتُ أَنَا! ». " (يوحنا ١٨/ ١٧)، إذًا اكتشف أمر بطرس عند البوابة، خلافًا لما ذكره الإنجيليون الثلاثة الذين أخبرونا بأنه كان جالسًا عند النار.

٦- من الذي تعرف على بطرس في المرة الثانية والثالثة؟

وأما المرة الثانية، فقد تعرفت عليه حسب مرقس نفس الجارية التي تعرفت عليه في المرة الأولى، يقول: "٦٩فَرَأَتْهُ الْجَارِيَةُ أَيْضًا وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ: «إِنَّ هذَا مِنْهُمْ! »" (مرقس ١٤/ ٦٩).

ولكن حسب متى فإن الذي تعرف عليه جارية أخرى غير الأولى " ٧١ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ! » " (متى ٢٦/ ٧١).

ويخالفهما جميعًا لوقا الذي ذكر أن الذي تعرف عليه هذه المرة رجل من الحضور وليس جارية، فيقول: " ٥٨وَبَعْدَ قَلِيل رَآهُ آخَرُ وَقَالَ: «وَأَنْتَ مِنْهُمْ!» فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَنَا!» " (لوقا ٢٢/ ٥٨).

ويحاول يوحنا الخروج من الخلاف والجمع بين الأقوال المتناقضة للثلاثة الذين سبقوه، فيستعير قصة الإنكار الثالث لبطرس حين أشار جمع إليه، فيجعلها في الإنكار الثاني، فيقول: "٢٥وَسِمْعَانُ بُطْرُسُ كَانَ وَاقِفًا يَصْطَلِي. فَقَالُوا لَهُ: «أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلاَمِيذِهِ؟» فَأَنْكَرَ ذَاكَ وَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا!». " (يوحنا ١٨/ ٢٥).

وهذه الصيغة في التعرف على بطرس بواسطة الجموع ذكرها مرقس ومتى في سياق الإنكار الثالث، حيث يقول مرقس: " ٧٠فَأَنْكَرَ أَيْضًا. وَبَعْدَ قَلِيل أَيْضًا قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ، لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ!». ٧١فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ!» " (مرقس ١٤/ ٧٠-٧١).

وكذا ذكرها متى في الإنكار الثالث، فقال: " ٧٣وَبَعْدَ قَلِيل جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ!» ٧٤فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» " (متى ٢٦/ ٧٣-٧٤).

وأما لوقا ويوحنا فجعلا المتعرف على بطرس هذه المرة (الثالثة) رجل واحد، وليس مجموعة من الموجودين في المحكمة، يقول لوقا: "٥٩وَلَمَّا مَضَى نَحْوُ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَّدَ آخَرُ قَائِلًا: «بِالْحَقِّ إِنَّ هذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ، لأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا!». ٦٠فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ!». " (لوقا ٢٢/ ٥٩-٦٠).

ويصادق على كلامه يوحنا، فيذكر أن هذا الرجل أحد عبيد رئيس الكهنة " ٢٦قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَهُوَ نَسِيبُ الَّذِي قَطَعَ بُطْرُسُ أُذْنَهُ: «أَمَا رَأَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبُسْتَانِ؟» ٢٧فَأَنْكَرَ بُطْرُسُ أَيْضًا. " (يوحنا ١٨/ ٢٦).

فهل الذي تعرف على بطرس في المرة الثانية نفس الجارية؟ أم جارية أخرى؟ أم رجل؟

وهل أنكر بطرس المسيح في المرة الثالثة بسبب تعرف الجمع على لهجته؟ أم بسبب عبد رئيس الكهنة الذي رأى بطرس في البستان مع تلاميذ المسيح؟ ويعترف بهذا التضارب بين الروايات الأب متى المسكين، فيقول: " أقوال القديس لوقا اختلفت عن أقوال القديس مرقس في المضمون وأنواع الأفراد الذين تصدوا لبطرس وأسباب كل مرة". [1]

٧ـ لماذا حبس باراباس؟

وتختلف الأناجيل في تحديد السبب الذي من أجله حبس باراباس في سجن بيلاطس، فيذكر يوحنا بأنه كان لصًا " وَكَانَ بَارَابَاسُ لِصًّا. " (يوحنا ١٨/ ٤٠).

واتفق مرقس ولوقا على أنه صاحب فتنة، وأنه حصل فيها قتل، فاستوجب حبسه، يقول لوقا: " وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ! » ١٩وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ. " (لوقا ٢٣/ ١٩، وانظر: مرقس ١٥/ ٧).

وأما سفر أعمال الرسل فينصُّ على أن باراباس كان قاتلًا، وليس مجرد لص أو مشارك في الفتنة، إذ يقول: "١٤وَلكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. " (أعمال ٣/ ١٤).

٨ـ قصة نهاية يهوذا.

ويتحدث العهد الجديد عن نهايتين مختلفتين للتلميذ الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح، وسعى في الدلالة عليه وتسليمه مقابل ثلاثين درهمًا من الفضة، فيقول متى: " ٣حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ ٤قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! » ٥فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. ٦فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». ٧فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. ٨لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (متى ٢٧/ ٣-٨).

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا، الأب متى المسكين (٧٠٥)، وانظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٥٤ - ١٥٨)، هل افتدانا المسيح على الصليب (١٠ – ١١).

ولكن سفر أعمال الرسل يحكي نهاية أخرى ليهوذا وردت في سياق خطبة بطرس، حيث قال: " فَقَالَ: [١٦]«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ، عَنْ يَهُوذَا الَّذِي صَارَ دَلِيلًا لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ، [١٧]إِذْ كَانَ مَعْدُودًا بَيْنَنَا وَصَارَ لَهُ نَصِيبٌ فِي هذِهِ الْخِدْمَةِ. [١٨]فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلًا مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ، وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا. [١٩]وَصَارَ ذلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، حَتَّى دُعِيَ ذلِكَ الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ «حَقْلَ دَمَا» أَيْ: حَقْلَ دَمٍ. " (أعمال ١/ ١٦- ١٩).

فقد اختلف النصان في جملة من الأمور:

١- كيفية موت يهوذا، فإما أن يكون قد خنق نفسه ومات " ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. "، وإما أن يكون قد مات بسقوطه، حيث انشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه فمات " وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا. "، ولا يمكن أن يموت يهوذا مرتين، كما لا يمكن أن يكون قد مات بالطريقتين معًا، ويجدر هنا أن نذكر أن المؤرخ الأسقف باباس (١٥٥م) ذكر أن يهوذا مات دهسًا بعربة فانسكبت أحشاؤه!

٢- من الذي اشترى الحقل، هل هو يهوذا " [١٨]فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلًا مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ "، أم الكهنة الذين أخذوا منه المال "[٧]فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ"؟

٣- هل مات يهوذا نادمًا " لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ [٤]قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». "

أم معاقبًا بذنبه كما يظهر من كلام بطرس؟

٤- هل رد يهوذا المال للكهنة " وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ "، أم أخذه واشترى به حقلًا " [١٨]فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلًا مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ"؟.

٥- هل كان موت يهوذا قبل صلب المسيح وبعد المحاكمة "وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي. حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى

رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ " أم أن ذلك كان فيها بعد، حيث مضى واشترى حقلًا ثم مات في وقتٍ الله أعلم متى كان؟.

٦- هل سمي الحقل حقل دم؛ لأنه كان ثمنًا لدم المسيح "٦فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». ٧فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. ٨لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. "، أم سمي بذلك لأن دم يهوذا قد سال فيه لما انشق بطنه " ١٨فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلًا مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ، وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا. ١٩وَصَارَ ذلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، حَتَّى دُعِيَ ذلِكَ الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ «حَقْلَ دَمَا» أَيْ: حَقْلَ دَمٍ. ".

٩ـ من الذي طلب ترك المسيح ليحقق المعجزات؟

ويحدثنا مرقس أن المسيح لما كان على الصليب صرخ يطلب الماء "٣٦ فَرَكَضَ وَاحِدٌ وَمَلأَ إِسْفِنْجَةً خَلًّا وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ قَائِلًا: «اتْرُكُوا. لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا لِيُنْزِلَهُ! »" (مرقس ١٥/ ٣٦)، فقائل العبارة السابقة هو ذلك الذي سقى المسيح، ويوجه خطابه للآخرين قائلًا: " اتْرُكُوا. لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا لِيُنْزِلَهُ! ".

وهذا وصف ناقضه فيه متى حيث كتب: " ٤٨وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلًّا وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. ٤٩وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ! ». " (متى ٢٧/ ٤٨-٤٩)، فجعل القائل لتلك العبارة الآخرون، فقد طلبوا من الذي يسقي المسيح أن يتركه " اتْرُكْ"، فمن القائل؟ ومن المخاطَب؟.

١٠ـ متى انشق حجاب الهيكل؟

ويرى الإنجيليون أنه لا يليق أن تكون نهاية المسيح عادية كسائر الأموات، بل لابد أن تصحبها بعض الأحداث الكبيرة، والتي يختلفون في نسجها وفقًا لخيالاتهم الخصبة، لكنهم على أي حال يتفقون على واحدة منها، وهي انشقاق حجاب الهيكل، من غير أن يتفقوا على لحظة حصوله، فمرقس يجعله بعد وفاة المسيح، فيقول: " ٣٧فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. ٣٨وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. "

(مرقس ١٥/ ٣٧-٣٨).

أما لوقا المتتبع لكل شيء بتدقيق فإنه يخالف البشير مرقس أول الإنجيلين تأليفًا، ويرى أن تلك الأعجوبة كانت قبل موت المسيح، فيقول: " [44]وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. [45]وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسْطِهِ. [46]وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ. " (لوقا ٢٣/ ٤٤-٤٦)، فانشقاقه كان قبل موت المسيح خلافًا لما زعمه مرقس.

المطلب الثالث: تناقضات روايات أحداث الصلب.

١ـ من كان يحمل الصليب؟

قال لوقا (٢٣ / ٢٦): " [26]وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سِمْعَانَ، رَجُلًا قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ. "

ويقول يوحنا (١٩ / ١٧ – ١٨): " فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ. [17]فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ»، [18]حَيْثُ صَلَبُوهُ. . "

١ـماذا كان عنوان علة المصلوب؟

يقول متى إنه كان (يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ) (٢٧ / ٣٧). ويقول مرقس («مَلِكُ الْيَهُودِ» (١٥ / ٢٦). ويقول لوقا (: «هذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ».) (٢٣ / ٣٨). ويقول يوحنا (: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». (١٩ / ١٩). فيا ترى ما هو العنوان الحقيقي الذي كان مكتوبا على الصليب أو فوقه؟.

٢ـمتى كان المصلوب على الصليب؟

يقول كل من متى ومرقس ولوقا إن المسيح كان على الصليب نحو الساعة السادسة، ويعارضهم يوحنا في ذلك ويقول: إن المسيح لم يكن وقتئذ على الصليب، بل كان في حضرة بيلاطس (يوحنا ١٩ / ١٤).

٣ـماذا قدم للمصلوب؟

يقول مرقس (١٥ / ٢٣) إن جند بيلاطس قدموا له " خَمْرًا مَمْزُوجَةً بِمُرّ لِيَشْرَبَ، فَلَمْ

يَقْبَلْ. "، ويقول متى (٢٧ / ٣٤) " خَلًّا مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. "، ويقول يوحنا (١٩ / ٢٨ – ٣٠) أن يسوع قال ": «أَنَا عَطْشَانُ». [٢٩] وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلًّا، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. [٣٠] فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». "

وهنا تلحظ تناقضًا آخر: فالأول يقول: إن الذي قدم إليه خمر ومر ولم يقبلها، ويقول الثاني: إن الذي قدم إليه خل ومر لما ذاقها ردهما، والثالث يقول: إن المقدم إليه هو الخل طلبه يسوع وشربه.

٤ـ ماذا قال المصلوب؟

قال متى (٢٧ / ٤٦) " [٤٦] وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ » أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ "

ويقول مرقس (١٥ / ٣٤) إنه صرخ قائلا: " إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ "

ويقول لوقا (١٣ / ٤٦) " [٤٦] وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ. ".

٥ـ حال الرجلين المصلوبين مع المصلوب.

يقول متى (٢٧ / ٤٤) إن المسيح صلب مع لصين، وكان اللصان يعيرانه، وقال لوقا (٢٣ / ٣٩) " [٣٩] وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلًا: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا! » [٤٠] فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلًا: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ [٤١] أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». [٤٢] ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». [٤٣] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». "

ويقول مرقس (١٥ / ٣٧) إن المسيح صلب مع لصين ولم يذكر أنهما كانا يعيرانه، أو أن أحدهما كان يعيره والآخر يمدحه. ويقول يوحنا: إنهم صلبوه مع اثنين ولم يبين حالهما

فواضح من كل هذه التناقضات أن حدوث قصة الصلب أمر لا يمكن تصوره مع كل هذه الاختلافات والتناقضات؛ إذ لو كانت صحيحة لاتحدت في تفاصيلها وأحداثها، وهكذا دائما تبقى الحقيقة ناصعة وواضحة وضوح الشمس لا يغفل عنها إلا الأعمى.

المطلب الرابع: تفرد أحد الإنجيليين في الرواية.

وينفرد أحد الإنجيليين بذكر حوادث قد تكون مهمة، مع ذلك أغفلها الآخرون، قد يتبادر للذهن لأول وهلة أن ذلك يرجع لنظرية تكامل الروايات التي لا تعتبر زيادات البعض في روايتهم ضربًا من التناقض والتعارض.

وهذا ليس بصحيح، إذ معرفتنا البسيطة بتدوين الإنجيل وتاريخه تُنبئنا بأن الإنجيليين اعتمد اللاحق فيهم على السابق، فإغفال اللاحق لبعض ما ذكره سلفه، إنما يرجع لتشككه في جدوى الرواية، أو صحتها، أو تناسقها مع المعتقد، وهو ما يقال أيضًا في الإضافة التي قرر المتأخر زيادتها عن السابق.

ولعل مما يوضح الصورة ويجليها نقل مقدمة لوقا الذي يقول: " ٣رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، ٤لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ. " (لوقا ١/ ٣- ٤)، فهو ينقل عن السابقين له بتدقيق وإمعان في رواياتهم، وما يدعه من مروياتهم إنما تركه لعدم وثوقه بهذه الروايات.

وقد انفرد بعض الإنجيليين بذكر أحداث مهمة تثير أسئلة استفهام كبيرة، تبحث عن إجابة، ومن هذه الأمور التي انفرد بها أحد الإنجيليين:

١-انفرد لوقا فذكر في وصف ليلة القبض على المسيح أمورًا لم يذكرها غيره، ومنها:

أنه بالغ في إظهار جزع المسيح، حتى إن الله أيده بملاك يقويه، وكأنه أوشك على الانهيار. يقول لوقا: " ٤٣وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. ٤٤وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. " (لوقا ٢٢/ ٤٣ - ٤٤).

وهاتان الفقرتان - رغم وجودهما في أكثر النسخ المتداولة - فإن المراجع القديمة تحذفهما، كما نقل أحمد عبد الوهاب عن جورج كيرد مفسر إنجيل لوقا حيث يقول: " فإن هذا الحذف

يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا قد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة ". [(١)]

ولعل هذا ما دعا الإنجيليين إلى تجاهل هذا الوصف الدقيق، بل إن يوحنا لم يذكر شيئًا عن معاناة المسيح وآلامه تلك الليلة، وذلك للسبب نفسه بالطبع.

ولنا أن نتساءل كيف عرف لوقا بنزول الملاك؟ وكيف شاهد عرقه وهو يتصبب منه على هذه الكيفية؛ كيف ذلك وجميع التلاميذ نيام كما وصفهم لوقا بعدها مباشرة بقوله: " ٤٥ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. " (لوقا ٢٢/ ٤٥)؛ كما أن المسيح لم يكن بجوارهم، فقد كان يصلي بعيدًا عنهم "٤١وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى" (لوقا ٢٢/ ٤١).

٢- ذكر الإنجيليون ضرب أحد التلاميذ لعبد رئيس الكهنة بالسيف، وأنه قطع أذنه، وتتكامل الروايات، فيذكر يوحنا أن اسم العبد ملخس، وأن الأذن هي اليمنى، فيما لم يحدد متى ومرقس اسم الضارب، كما لم يحددا الأذن المضروبة.

لكن أحدًا منهم - سوى لوقا الغائب حينذاك - لم يذكر أن المسيح أبرأ أذن العبد وردّها، وهي ولاشك معجزة كبيرة ستترك أثرًا في تلك الجموع الكافرة. "٥١فَأَجَابَ يَسُوعُ وقَالَ: «دَعُوا إِلَى هذَا! » وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا. " (لوقا ٢٢/ ٥١)، ولم يذكر لوقا أي ردة فعل للجند والجموع تجاه هذه المعجزة الباهرة. وكأن شيئًا لم يكن.

٣- كما انفرد مرقس بواحدة أخرى، وهي: قصة الشاب الذي هرب من الشبان، فأمسكوا بإزاره الذي يلبسه على عري، فترك الإزار، وهرب منهم عريانًا (مرقس١٤/ ٥١ -٥٢).

٤- وأيضًا انفرد يوحنا بأن المسيح طلب من الجند أن يدعوا تلاميذه يهربون. (انظر: يوحنا ١٨/ ٨) مع أن أحدًا لم يتعرض لتلاميذه، لكن يوحنا يريد بذلك أن يحقق نبوءة

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٤٠ – ١٤٣)، وانظر حاشية النص في الترجمة العربية المشتركة.

توراتية، فقد قال بعدها " [٩]لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا». " (يوحنا ١٨/ ٩).

٥- وانفرد يوحنا عن بقية الإنجيليين، فذكر أن الجند لما همّوا بالقبض على يسوع، وقعوا على الأرض، يقول يوحنا: "[٦]فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. " (يوحنا ١٨/ ٦)، ولم يذكر هذا الخبر - على أهميته - غيره، فما الذي أخاف الجنود حتى سقطوا؟

إنه خوفهم من الملائكة الذين حموا المسيح، فذاك الذي سبب لهم هذا السقوط، كما في النبوءة التوراتية: " [١٠]لاَ يُلاَقِيكَ شَرٌّ، وَلاَ تَدْنُو ضَرْبَةٌ مِنْ خَيْمَتِكَ. [١١]لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. [١٢]عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. " (المزمور ٩١/ ١٠ - ١٢).

٦- وانفرد يوحنا فذكر ذهاب الجند بالمسيح إلى حنان - حما رئيس الكهنة قيافا-، ثم أخذه بعدها إلى قيافا الكاهن. (انظر يوحنا ١٨/ ١٢ - ١٣).

٧- وانفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل (انظر لوقا ٢٣/ ٨)، مع أن هيرودس مات قبل ذلك بكثير، وذلك إبان طفولة المسيح، يقول متى: " [١٩]فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ [٢٠]قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». [٢١]فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. [٢٢]وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ. . . " (متى ٢/ ١٩ - ٢٠).

فلو صدق متى في خبر وفاة هيرودس زمن طفولة المسيح فإن لوقا حينذاك من الكاذبين رغم تتبعه لكل شيء بتدقيق.

والذي دعاه لإحضار هيرودس من الموت-كما يرى مفسر إنجيل لوقا جورج كيرد -: أنه أراد أن يشرك ملكًا آخر مع بيلاطس، ليحقق نبوءة المزمور الثاني، وفيه: "[٢]قَامَ مُلُوكُ

الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ " (المزمور ٢/ ٢). [١]

٨- وانفرد متى فذكر عجائب حصلت والمسيح على الصليب في اللحظة التي فارق فيها الحياة، فيقول: " ٥١وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقٍ إِلَى أَسْفَلٍ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ٥٢وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ ٥٣وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ. " (متى ٢٧/ ٥١ - ٥٣)، فهذه الأعاجيب ينفرد بها دون سائر الإنجيليين والمؤرخين ومنهم لوقا المتتبع بالتدقيق لكل شيء.

ولو صح مثل هذا لكان من أعظم أعاجيب المسيح، ولحرص الجميع على ذكره، لذا فهو إلى الكذب أقرب، يقول نورتن المسمى " حامي الإنجيل ": " هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعدما صارت أورشليم خرابًا، فلعل أحدًا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكُتاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه ".

وقد نقلت هذه الأخبار عن الأساطير القديمة، يقول المفسر كيرد في تفسيره[٢] "كان الشائع قديمًا أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته ".

ويقول المفسر نينهام في تفسيره[٣]: " لقد قيل: إن مثل تلك النذر لُوحِظَتْ عند موت بعض الأحبار الكبار، وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة والوثنية، وخاصة عند موت يوليوس قيصر ".

ويقول المفسر جون فتتون في تفسيره مدافعًا عن تحريف متى، مبررًا إضافاته في القصة: "لقد

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٦٢ – ١٦٣).

(٢) المصدر السابق صـ ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق صـ ٤٢٧.

كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملًا من صنع الله". [١]

ومما يدل على كذب كاتب إنجيل متى في هذه الزيادة، أن نتأمل أثر ظهور هذه العجائب في الأحداث التالية، فلو وقع ما ذكره متى لما تجرأ اليهود على الرجوع إلى بيلاطس، وطلب حراسة القبر، ولو وقعت هذه الأحداث الخرافية لما تجاسر قيافا أن يصف المسيح وقتئذ بالمضل، ولانتقم منهم بيلاطس، بل وعامة اليهود، ولآمن كثيرون بالمسيح، كما آمن كثيرون في أعجوبة أقل من ذلك، حين نزل روح القدس على التلاميذ، فآمن ثلاثة آلاف شخص. (انظر أعمال ٢/ ٤٠ - ٤١)، وما ذكره متى من عجائب تزامنت مع موت المسيح أعظم من ذلك.

ثم ماذا عن هؤلاء الأموات؟ هل عادوا بأكفانهم؛ أم حفاة عراة؟ ومع مَن تكلموا؟ هل كان خروجهم حزنًا عليه أم نصرة له؛ أم فرحًا به؟ ثم كم عاشوا؟ وكيف ماتوا؟ ومتى؟.

٩- وانفرد يوحنا بذكر وجوده إلى جوار المسيح، وأم المسيح معه وقت الصلب (يوحنا ١٩/ ٢٥ - ٢٦)، وأمر كهذا لا يتصور أن تغفله الأناجيل لو كان حقًا، كما لا يمكن تصور أن الجند يسمحون لذوي المسيح من الاقتراب منه وهو على الصليب، وهم الذين أنكر بطرس بين أيديهم معرفة المسيح ثلاث مرات، لخوفه من بطشهم. [٢]

المبحث الثاني: إبطال صلب المسيح بنبوءات التوراة.

المطلب الأول: أهمية النبوءات في التوراة بالنسبة للمسيحيين

تحتل النبوءات في الفكر المسيحي مكانة سامقة، جعلت بعض النصارى يشترطون لصحة النبوة أن يسبقها نبوءة.

وحادثة صلب المسيح - كما يعتبرها النصارى - أحد أهم أحداث المعمورة، فكان لابد وأن يتحدث عنها الأنبياء في أسفارهم، وأن يذكرها المسيح لتلاميذه.

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي (٤٤١ - ٤٤٧)، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر، صـ(٢٦٤، ٣٠٠-٣٠١)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، صـ(١٧٤).

(٢) انظر: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ (٢١ - ٢٤).

فهل أخبرت الأنبياء بصلب المسيح وقيامته؟ وهل أخبر المسيح تلاميذه بذلك؟

والإجابة النصرانية عن هذه التساؤلات: نعم، وحدث ذلك في مواضع كثيرة من الأناجيل والرسائل والأسفار التوراتية.

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن النصارى يعتبرون أسفار التوراة جزءًا مقدسًا من كتابهم المقدس، كيف لا والأناجيل ما فتئت تحيل إلى هذه الأسفار، تستمد منها تنبؤاتها المستقبلية، التي تحققت في شخص المسيح في حياته أو حين صلبه – كما يزعمون –.

وللأسفار التوراتية دور عظيم في قصة صلب المسيح، فقد أكثر الإنجيليون في سردهم للقصة من الإحالة إلى أسفار التوراة؛ التي يرونها تتنبأ بالمسيح المصلوب، وكانت نصف هذه الإحالات إلى المزامير المنسوبة لداود وغيره.

وقد أكد عيسى عليه السلام لتلاميذه ضرورة أن تتحقق فيه النبوءات التوراتية بقوله: " أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ». " (لوقا ٢٦/ ٤٤)، وقد قال لهم: " ٣٩فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. "

يقول جوش مكدويل: "هناك تسع وعشرون نبوءة في العهد القديم تتحدث عن خيانة المسيح (أي خيانة يهوذا للمسيح) ومحاكمته وموته ودفنه. . . وتحققت كلها حرفيًا في أربع وعشرين ساعة من الزمان". (1)

وبعض هذه النبوءات استشهد بها الإنجيليون في سياق روايتهم لقصة صلب المسيح، ومجموع هذه النبوءات أربع عشرة نبوءة، ذكر متى منها ستًا، ومرقس أربعًا، ولوقا اثنتين، بينما ذكر منها يوحنا سبع نبوءات.

ونخلص من هذا إلى أهمية النبوءات التوراتية المتعلقة بصلب المسيح.

ويبالغ النصارى في التركيز على أهمية وكثرة النبوءات التوراتية المتحدثة والمشيرة إلى المسيح، فيقول القمّص سرجيوس في كتابه " هل تنبأت التوراة عن المسيح؟ ":

---

(١) انظر: برهان يتطلب قرارًا، جوش مكدويل (١٩٧).

" فالمسيح ساطع في كل الكتاب المقدس في إشراق دائم، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلًا، إذ ليس في التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح، بل يشع اسمه، وشخصه، وصفاته، وأعماله، وظروفه، وأحواله في التوراة، وكتب الأنبياء، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل جملة، وفي كل إصحاح، وفي كل سفر من أسفارها. وما حروفها وكلماتها إلا خطوط أو ظلال لصورة المسيح المجيدة. . . فنحن المسيحيين لا نهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح. . . "[(١)]، ورغم ما في الكلام من مبالغة، فإننا نستشف منه أهمية النصوص التوارتية في الدلالة على المسيح.

ولسفر المزامير وموضوع الصلب شأن خاص، يصفه سرجيوس فيقول: " أما سفر المزامير فكان الهالة التي أحاطت بكوكب يسوع، فتكلم حتى عن إحساساته العميقة، وآلامه المبرحة، ناهيك عن صفاته وألقابه، أكثر من أي نبي آخر، ويمكننا القول : إن سفر المزامير هو سفر "مسِيّا" الخاص، بدليل أن الاقتباسات التي اقتبسها كتبة العهد القديم من سفر المزامير هذا بلغت نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله ".

المطلب الثاني: البحث في المزامير وتوجيهها:

دعونا نتجرد ونبحث عن الجواب الصحيح في سفر المزامير الذي فاقت أهميته عند اللاهوتيين جميع الأسفار، ولسوف نستعرض في هذه العجالة ثلاثة عشر مزمورًا فقط، من نبوءات المزامير، وهي تتحدث عن المسيح المصلوب.

أولًا: المزمور الثاني (نبوءة عن المؤامرة الفاشلة لصلب المسيح).

وفيه: " ١لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ ٢قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: ٣«لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا ٤اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. ٥حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ. " (المزمور ٢/ ١ – ٥).

والمزمور الثاني يراه العلماء النصارى نبوءة بالمسيح الموعود.

---

(١) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام، منصور حسين عبد العزيز (٤٢ – ٤٣).

يقول د. هاني رزق في كتابه "يسوع المسيح ناسوته وألوهيته" عن هذا المزمور:

" وقد تحققت هذه النبوءة في أحداث العهد الجديد، إن هذه النبوءة تشير إلى تآمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب، وهذا ما تحقق في أحداث العهد الجديد في فترتين، في زمان وجود يسوع المسيح له المجد في العالم " ويقصد تآمر هيرودس في طفولة المسيح، ثم تآمر رؤساء الكهنة لصلب المسيح.

ووافقه "فخري عطية" في كتابه "دراسات في سفر المزامير" و"حبيب سعيد" في كتابه "من وحي القيثارة" وويفل كوبر في كتابه "مسيا عمله الفدائي" وياسين منصور في كتابه "الصليب في جميع الأديان"، فيرى هؤلاء جميعًا أن المزمور نبوءة بالمسيح المصلوب. (١)

وقولهم بأن النص نبوءة بالمسيح تصديق لما ورد في سفر أعمال الرسل: " ٢٤فَلَمَّا سَمِعُوا، رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى اللهِ وَقَالُوا: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، ٢٥الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟ ٢٦قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ. ٢٧لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، ٢٨لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ. . . . " (أعمال ٤/ ٢٤-٣١).

ولا نرى مانعًا في موافقتهم بأن المزمور نبوءة عن المسيح، فالمزمور يتحدث عن مؤامرات اليهود عليه، وهذا لا خلاف عليه بين المسلمين والنصارى، وإنما الخلاف: هل نجحوا أم لا؟ فبماذا يجيب النص؟.

يجيب المزمور بأن الله ضحك منهم واستهزأ بهم، وأنه حينئذ، أي في تلك اللحظة أرجف المتآمرين بغيظه وغضبه. فهل يكون ذلك دليل نجاحهم في صلب المسيح، أم أن الرب يضحك لنجاة عبده المسيح من بين أيديهم، ووقوعهم في شر أعمالهم؟

---

(١) انظر: يسوع المسيح ناسوته وألوهيته، د. هاني رزق (٤٦)، دراسات في سفر المزامير، فخري عطية (٦١-٦٦)، ومن وحي القيثارة، حبيب سعيد (١٨)، ومسيّا عمله الفدائي، ويفل كوبر (٣٢)، والصليب في جميع الأديان، يسي منصور (١٣)، نقلًا عن "دعوة الحق بين المسيحية والإسلام (٥١- ٥٢).

ويفسر المزمور السابع والثلاثون سبب ضحك الرب واستهزائه، فيقول: "١٢الشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ. ١٣الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ! ١٤الأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا السَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرَمْيِ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، لِقَتْلِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقُهُمْ. ١٥سَيْفُهُمْ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِمْ، وَقِسِيُّهُمْ تَنْكَسِرُ. " (المزمور ٣٧/ ١٢-١٥)، لقد ضحك الرب لفشل المؤامرة، وعودها على أصحابها، فقد وقعوا في الحفرة التي حفروها للمسيح الذي نجاه الله بقوته.

ثانيًا: المزمور السابع (نبوءة عن عود المؤامرة على أصحابها).

وفيه نقرأ: " ١يَا رَبُّ إِلهِي، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي، ٢لِئَلاَّ يَفْتَرِسَ كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِمًا إِيَّاهَا وَلاَ مُنْقِذَ ٣يَا رَبُّ إِلهِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هذَا. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ. ٤إِنْ كَافَأْتُ مُسَالِمِي شَرًّا، وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلاَ سَبَبٍ، ٥فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا، وَلْيَدُسْ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي، وَلْيَحُطَّ إِلَى التُّرَابِ مَجْدِي. سِلاَهْ.

٦قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ارْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَانْتَبِهْ لِي. بِالْحَقِّ أَوْصَيْتَ. ٧وَمَجْمَعُ الْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ، فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى. ٨الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ. اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ. ٩لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ. فَإِنَّ فَاحِصَ القلوب والكلى الله الْبَارُّ. ١٠تُرْسِي عِنْدَ اللهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

١١اللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. ١٢إِنْ لَمْ يَرْجعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا، ١٣وَسَدَّدَ نَحوَهُ آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً.

١٤هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. حَمَلَ تَعَبًا وَوَلَدَ كَذِبًا. ١٥كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ. ١٦يَرْجعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ. ١٧أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ، وَأُرَنِّمُ لاسْمِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ. " (المزمور ٧/ ١-١٧).

ولكن هل المزمور نبوءة تتعلق بالمسيح؟، والجواب نعم، فعلى قول الترنم في هذا المزمور: " اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ.

" يعلق القديس جيروم فيقول: "لا يقدر داود أن يذكر هذه الكلمات عن نفسه، إنما هي

بالحقيقة تخص المخلص الكامل الذي لم يخطئ قط"[١] فهو يرى أن هذا المزمور نبوءة عن المسيح.

ويؤكد ذلك فخري عطية في كتاب " دراسات في المزامير " فيقول عن هذا المزمور: " واضح أنه من مزامير البقية، إذ يشير إلى زمن ضد المسيح، وفيه نسمع صوت البقية، ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة، في أيام الضيق العظيمة". [٢]

والربط واضح وبيّن بين دعاء المزمور المستقبلي " ١يَا رَبُّ إِلهِي، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي. . . " وبين دعاء المسيح ليلة أن جاءوا للقبض عليه " إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ ".

ثم يطلب الداعي من الله عونًا؛ أن يرفعه إلى فوق، في لحظة ضيقه "فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى "، ويشير إلى حصول ذلك في لحظة الإحاطة به " ٧وَمَجْمَعُ الْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ، فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى. ".

ثم يذكر المزمور بأن" ١١الله قَاضٍ عَادِلٌ" فهل من العدل أن يصلب المسيح أم يهوذا؟ ثم يدعو الداعي في المزمور الله أن يثبت الصديق، وأن ينتهي شر الأشرار، ويؤكد لجوءه إلى الله، مخلص القلوب المستقيمة.

ثم يتحدث المزمور عن خيانة يهوذا. وقد جاء ". مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا، ١٣وَسَدَّدَ نَحوَهُ آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً. " (القُبلة الآثمة) " يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً".

ولكن حصل أمر عظيم، لقد انقلب السحر على الساحر، " ١٤هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. حَمَلَ تَعَبًا وَوَلَدَ كَذِبًا. ١٥كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ. ١٦يَرْجعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ. " لقد ذاق يهوذا ما كان حفره لسيده المسيح، ونجا المسيح من مجمع القبائل إلى العلا. لقد تحقق في يهوذا سنة الله وعادته في عقوبة الخائنين " ٢٧مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يُدَحْرِجُ حَجَرًا يَرْجعُ عَلَيْهِ. " (الأمثال ٢٦/ ٢٧).

---

(١) كتاب المزامير، القمّص تادرس يعقوب ملطي (١٥٣).

(٢) دراسات في سفر المزامير، فخري عطية (١١٨).

وفي موضع آخر: "٢٢الشِّرِّيرُ تَأْخُذُهُ آثَامُهُ وَبِحِبَالِ خَطِيَّتِهِ يُمْسَكُ. ٢٣إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ عَدَمِ الأَدَبِ، وَبِفَرْطِ حُمْقِهِ يَتَهَوَّرُ. " (الأمثال ٥/ ٢٢-٢٣).

وفي سفر الجامعة: "مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغْهُ حَيَّةٌ. " (الجامعة ١٠/ ٨).

وهذا ما أسفر عنه المزمور التاسع بوضوح حين قال: " ٤لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ. جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِيًا عَادِلًا. ٥انْتَهَرْتَ الأُمَمَ. أَهْلَكْتَ الشِّرِّيرَ. . . . ١٥تَوَرَّطَتِ الأُمَمُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا. فِي الشَّبَكَةِ الَّتِي أَخْفَوْهَا انْتَشَبَتْ أَرْجُلُهُمْ. ١٦مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. " (المزمور ٩/ ٤ - ١٦)، فهل تراه علق يهوذا بشرِّ يديه أم نجا من قانون الله وقضائه، وأفلت من الشبكة التي نصبها للمسيح؟

ثم ينتهي المزمور بحمد الله على هذه العاقبة "١٧أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ، وَأُرَنِّمُ لاسْمِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ. " وهكذا نرى في هذا المزمور صورة واضحة لما حصل في ذلك اليوم، حيث نجى الله ﷻ نبيه، وأهلك يهوذا.

ولا مخرج للنصارى إزاء هذا النص إلا إنكاره، أو التسليم له، والقول بأن المسيح له ظلم، وله إثم، وأنه ذاق ما كان يستحقه، وأن الله عادل؛ بقضائه قتل المسيح، وأن ذلك أعدل وأفضل من القول بنجاته؛ وصلبِ يهوذا الظالم الآثم، جزاءً لفعله وخيانته، وإلا فعليهم الرجوع إلى معتقد المسلمين؛ بأن النص نبوءة عن يهوذا الخائن. [١]

ثالثا: المزمور العشرون (نبوءة باستجابة الله وتخليصه للمسيح وسقوط أعدائه).

وفيه: "١لِيَسْتَجِبْ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ الضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلهِ يَعْقُوبَ. ٢لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْنًا مِنْ قُدْسِهِ، وَمِنْ صِهْيَوْنَ لِيَعْضُدْكَ. ٣لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ، وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ. سِلاَهْ. ٤لِيُعْطِكَ حَسَبَ قَلْبِكَ، وَيُتَمِّمْ كُلَّ رَأْيِكَ. ٥نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا. لِيُكَمِّلِ الرَّبُّ كُلَّ سُؤْلِكَ. ٦اَلآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ، يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلاَصِ يَمِينِهِ. ٧هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ

---

(١) دعوة الحق بين المسيحية والإسلام (٥٦ – ٥٧)، هل افتدانا المسيح على الصليب (٤٠ – ٤٢)

إِلَهِنَا نَذْكُرُ. ٨هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا. ٩يَا رَبُّ خَلِّصْ! لِيَسْتَجِبْ لَنَا الْمَلِكُ فِي يَوْمِ دُعَائِنَا! " (المزمور ٢٠/ ١ – ٩).

يقول هاني رزق في كتابه " يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته ": " تنبأ داود النبي (١٠٥٦ ق. م)، و (حبقوق النبي ٧٢٦ ق. م)، بأن الرب هو المسيح المخلص، نبوءة داود النبي، مزمور ٢٠/ ٦ "٦اَلآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ. . . . "[1].

وفي كتاب " دراسات في سفر المزامير" يؤكد فخري عطية هذا، ويقول عن الفقرة السادسة من هذا المزمور: " في هذا العدد تعبير يشير في الكتب النبوية إلى ربنا يسوع المسيح نفسه، تعبير يستخدمه الشعب الأرضي عن المخلص العتيد ". [2]

وتقول كنيسة السيدة العذراء بالفجالة في تفسيرها لسفر المزامير: "ويرى عدد من آباء اليهود أن هذا المزمور خاص بالمسيا، وهكذا رأى عدد من آباء الكنيسة (أثناسيوس وأغسطينيوس) أنه نبوءة عن آلام المسيح وانتصاره". [3]

وتخلص الكنيسة إلى القول: "خلاص المسيح كان بقيامته" أي من الموت، وهذا بالضبط ما قاله البابا أثناسيوس الذي يرى أن هذا المزمور نبوءة عن المسيح المصلوب. [4]

وهكذا فالسفر حديث ونبوءة عن المسيح، فهل تراه يتحدث عن المسيح المصلوب أو المسيح الناجي؟.

القراءة المتأنية لهذا المزمور ترينا أن داود صاحب المزمور يدعو الله طالبًا أن يستجيب لوليه الضعيف، داود يدعو الله أن ينجي المسيح، وأن يرفعه للسماء لما صنع من بر وخير

---

(١) يسوع المسيح وناسوته وألوهيته (٨٩ – ٩٠).

(٢) انظر: دراسات في سفر المزامير (٣٠٨).

(٣) تفسير سفر المزامير، كنيسة السيدة العذراء بالفجالة (٩٧)، وانظر: كتاب المزامير، القمّص تادرس يعقوب ملطي (٣٣٣).

(٤) تفسير سفر المزامير، كنيسة السيدة العذراء بالفجالة (٩٧)، وانظر: كتاب المزامير، القمّص تادرس يعقوب ملطي (٣٤١).

(تقدمات ومحرقات)، ويبتهل صاحب المزمور طالبًا النجاة له "في يوم الضيق"، "في يوم دعائنا"، وليس من يوم مرّ على المسيح أضيق من ذلك اليوم الذي دعا فيه طويلًا، طالبًا من الله أن يصرف عنه هذا الكأس " ٤٤وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. " (لوقا ٢٢/ ٤٤).

ويطلب داود من الله إجابة دعاء المسكين وإعطاءه ملتمس شفتيه وسؤله وكل مراده "٤لِيُعْطِكَ حَسَبَ قَلْبِكَ، وَيُتَمِّمْ كُلَّ رَأْيِكَ. ٥نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا. لِيُكَمِّلِ الرَّبُّ كُلَّ سُؤْلِكَ. ".

وهذا العون والنجاء يطلبه له داود لما سبق وتقدم به المسيح من أعمال صالحة " ٣لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ، وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ ".

وينص المزمور على اسم المسيح، وأن الله خلصه من الموت في فقرة ظاهرة لا تخفى حتى على أعمى، فقد عرف داود نتيجة دعائه " ٦اَلآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ، يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلاَصِ يَمِينِهِ. "، فالمزمور يذكر المسيح بالاسم، ويتحدث عن خلاصه، أن الله رفعه، وأنه أرسل له ملائكة يحفظونه " لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلهِ يَعْقُوبَ. ٢لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْنًا مِنْ قُدْسِهِ ".

ويبتهج المزمور لهذه النهاية السعيدة "٥نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا. ".

ويتحدث المزمور أيضًا عن تلك اللحظة العظيمة، لحظة الخلاص التي نجا فيها المسيح " ٨هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا. "، فهو يتحدث عن لحظة وقوع الجند كما في يوحنا " ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. " (يوحنا ١٨/ ٦).

وهذه اللحظة العظيمة، لحظة الخلاص يسجلها أيضًا المزمور التاسع، فهي إحدى آيات الله وأعاجيبه في خلقه، "١أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أُحَدِّثُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ. ٢أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ. ٣عِنْدَ رُجُوعِ أَعْدَائِي إِلَى خَلْفٍ، يَسْقُطُونَ وَيَهْلِكُونَ مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، ٤لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ. جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِيًا عَادِلًا.

٥انْتَهَرْتَ الأُمَمَ. أَهْلَكْتَ الشِّرِّيرَ. مَحَوْتَ اسْمَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. " (المزمور ٩/ ١-٥).

فالقاضي العادل أهلك الشرير، عندما رجع المبطلون إلى خلف وسقطوا، لتتحقق الأعجوبة وينجو العبد البار، فيحمد الله لأنه " يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْتِ " (المزمور ٩/ ١٣)، لقد انتشله من فم الموت، ونجاه.

كما سجل المزمور السابع والعشرون هذه اللحظة العظيمة فقال: " ٢عِنْدَ مَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا. . . . ٥لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي. " (المزمور ٢٧/ ٢-٥).

فدلالة هذا المزمور على نجاة المسيح أوضح من الشمس في رابعة النهار.

رابعًا: المزمور الحادي والعشرون (نبوءة بفشل المؤامرة وإجابة طلب المسيح).

وفيه: "١يَا رَبُّ، بِقُوَّتِكَ يَفْرَحُ الْمَلِكُ، وَبِخَلاَصِكَ كَيْفَ لاَ يَبْتَهِجُ جِدًّا! ٢شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَعْطَيْتَهُ، وَمُلْتَمَسَ شَفَتَيْهِ لَمْ تَمْنَعْهُ. سِلاَهْ. ٣لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُهُ بِبَرَكَاتِ خَيْرٍ. وَضَعْتَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنْ إِبْرِيزٍ. ٤حَيَاةً سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ. طُولَ الأَيَّامِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. ٥عَظِيمٌ مَجْدُهُ بِخَلاَصِكَ، جَلاَلًا وَبَهَاءً تَضَعُ عَلَيْهِ. ٦لأَنَّكَ جَعَلْتَهُ بَرَكَاتٍ إِلَى الأَبَدِ. تُفَرِّحُهُ ابْتِهَاجًا أَمَامَكَ. ٧لأَنَّ الْمَلِكَ يَتَوَكَّلُ عَلَى الرَّبِّ، وَبِنِعْمَةِ الْعَلِيِّ لاَ يَتَزَعْزَعُ. تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ. ١٠تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ. ١١لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ. لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. ١٢لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ. ١٣ارْتَفِعْ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ. نُرَنِّمْ وَنُنَغِّمْ بِجَبَرُوتِكَ. " (المزمور ٢١/ ١ - ٣).

يقول فخري عطية في كتابه "دراسات في سفر المزامير": " إن المسيح هو المقصود بهذا المزمور" ووافقه كتاب " تأملات في المزامير " لآباء الكنيسة الصادر عن كنيسة مار جرجس باسبورتنج.[1]

---

(١) انظر: دراسات في سفر المزامير، فخري عطية (٣١١)، وتأملات في المزامير، لآباء الكنيسة القديسين الصادر عن كنيسة مارجرجس باسبورتنج (١٠).

ويعتبر القمص ملطي هذا المزمور من المزامير التي تنبأت عن المسيح، وينقل عن العلماء قولهم: "هذا المزمور مسياني، يعلم الترجوم والتلمود بأن الملك المذكور في هذا المزمور هو المسيّا"، ويعلق القمص ملطي بالقول: "بعض أجزاء من هذا المزمور (مثل عدد ٤) لا يمكن أن تنطبق حرفيًا إلا على المسيا". (١)

وقولهم صحيح، فقد حكى المزمور العشرون عن دعاء المسيح وعن استجابة الله له، ويحكي هذا المزمور (الواحد والعشرون) عن فرحه بهذه الاستجابة " ١يَا رَبُّ، بِقُوَّتِكَ يَفْرَحُ الْمَلِكُ، وَبِخَلاَصِكَ كَيْفَ لاَ يَبْتَهِجُ جِدًّا. . . نُرَنِّمْ وَنُنَغِّمْ بِجَبَرُوتِكَ".

وينص المزمور أن الله أعطاه ما سأله وتمناه "٢شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَعْطَيْتَهُ، وَمُلْتَمَسَ شَفَتَيْهِ لَمْ تَمْنَعْهُ"، وقد كان المسيح يطلب من الله بشفتيه النجاة من المؤامرة ": «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ" (متى ٢٦/ ٣٩)، لقد كان يخاف الموت، ويطلب من الله أن يصرفه عنه، وقد استجاب الله له كما في رسالة العبرانيين "٧الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ" (عبرانيين ٥/ ٧)، لقد كان المسيح متيقنًا من استجابة الله له، فالله لا يرده أبدًا "وقال: ": «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، ٤٢وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي" (يوحنا ١١/ ٤٠) فقد سمع الله له وأجاب دعاءه.

ويذكر المزمور أن الله أعطاه حياة جديدة طويلة إلى قبيل قيام الساعة " ٤حَيَاةً سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ. طُولَ الأَيَّامِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. "، كما وضع عليه إكليل حياة، وهو غير إكليل الشوك الذي وضع على المصلوب، يقول المزمور: " وَضَعْتَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنْ إِبْرِيزٍ. ".

ويحكي المزمور عن أعداء المسيح الذين تآمروا عليه وفكروا في " بِمَكِيدَةٍ. لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. " فهم لم يلحقوا الأذى به، فقد فشلت المؤامرة، لأنه رُفع " ١٣ارْتَفِعْ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ. ".

وأما هؤلاء الأعداء: فترجع مكيدتهم عليهم " ٨تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ

---

(١) كتاب المزامير، القمّص تادرس يعقوب ملطي (٣٤٣-٣٤٤).

تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍفِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ. ١٠تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ. ١١لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ. لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. ١٢لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ. "، فهل يقول أحد بعد ذا كله بأن المصلوب هو المسيح؟.

خامسًا: المزمور الثاني والعشرون (نبوءة بصلب الدودة العار، لا المسيح العظيم).

وفيه: " ١إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ ٢إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي. ٣وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ. ٤عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ. ٥إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا. ٦أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ. ٧كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: ٨«اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ». ٩لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنًّا عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي. ١٠عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي. ١١لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي، لأَنَّ الضِّيقَ قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لاَ مُعِينَ. ١٢أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي. ١٣فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ. ١٤كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي. ١٥يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي. ١٦لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. ١٧أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. ١٨يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ. " (المزمور ٢٢/ ١-١٨).

ويُجمع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن المسيح، فقد اقتبس منه كُتّاب الأناجيل في سياق روايات الصلب، يقول متى: "٣٥وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». " (متى ٢٧/ ٣٥)، ومثله في (يوحنا ١٩/ ٢٤).

والاقتباس من هذا المزمور في قوله: "١٨يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ.

"، كما أن الرواية التي في المزمور توافق رواية الصلب في صراخ المصلوب: " إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " (متى ٢٧/ ٤٦)، (مرقس ١٥/ ٣٤).

ويوافق نص المزمور ما جاء في الأناجيل في بيان حال المصلوب " ٣٩وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ ٤٠قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ الله فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! ». ٤١وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: ٤٢«خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! ٤٣قَدِ اتَّكَلَ عَلَى الله، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ الله! ». " (متى ٢٧/ ٣٩ – ٤٣). فهذا يشبه ما جاء في هذا المزمور " وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ. ٧كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: ٨«اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ». ".

كما يوافق النص الأناجيلَ كرّة أخرى في قوله: " جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. ١٧أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي "، فهي عبارة تدل على أخذ المصلوب يوم سُمرت يداه ورجلاه على الصليب.

لهذا كله كان إجماع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن حادثة الصلب، خاصة أن داود لم يمت مصلوبًا، فهو إذن يتحدث عن غيره.

والحق أن المزمور نبوءة عن المصلوب، لكنه ليس عيسى ﷺ، بل هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، فنراه وهو جزع، يائس، يصرخ: " إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ "، بينما المسيح ﷺ يخبرنا أن الله يستجيب له دومًا " ٤٢وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. " (يوحنا ١١/ ٤٠)، ويؤكده كاتب رسالة العبرانيين بقوله: "٧الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ" (عبرانيين ٥/ ٧).

المزمور نبوءة عن المصلوب اليائس الذي يدعو فلا يستجاب له "٢إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي. . . ٤عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ.

٥إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا. ٦أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. . . ".

لقد وصف المزمور المصلوب بأنه " فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ" فمَن هو هذا اليائس الموصوف بأنه دودة، وأنه عار عند البشر، وأنه محتقر، وأنه لا يستجاب له؟

إنه يهوذا، حيث جعلتْه خستهُ وخيانتهُ كالدودة الحقيرة، وأصبح عارًا على البشر، كلَّ البشر، المسلمين واليهود والنصارى، بل وحتى البوذيين وغيرهم؛ لأنه خائن، والخيانة خسة وعار عند كل أحد، يحتقره الشعب، ولا يستجيب الله دعاءه.

والعجب لمن يصر على أن النبوءة عن المسيح، إذ كيف يوصف المسيح بالدودة والعار، وهو مجد وفخر للبشر؛ بل العار هو يهوذا.

ونلحظ أن النص يصف المصلوب بالدودة لمكانته عند الله، ويتضح هذا لمن تأمل المقابلة التي يجريها النص بين الآباء المقبولين عند الله، الذين يدعون الله فيستجيب لهم، وفي مقابل هؤلاء يقول المصلوب: " ٦أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. . . . "، فهو دودة محتقرة عند الله الذي لا يستجيب دعاءه، ولا يقبله كما قبِل آباءه من قبل.

كما لا يفوتنا التنبيه على أن النص وصف المصلوب بالعار، ليس فقط عند جلاديه وأعدائه، بل عند البشر جميعًا، في كل أجيالهم، وجميع مِللهم، ولا يمكن أن يكون المسيح كذلك، بل تفخر البشرية أن فيها مثل هذا الرجل العظيم الذي اصطفاه الله برسالته ووحيه.

كما نلحظ أن كلمة "عار" تلحق بالشخص نفسه، لا الصلب الواقع عليه، فهو العار، وهو الدودة، وحاشا للمسيح العظيم أن يكون دودة أو عارًا عليه السلام.

لقد مجد الله المسيح فلم يكن عارًا، بل كان فخرًا وعزًا، وإن تاهت عنه عيون البعض، فرأوا مجده عارًا، ونجاته خزيًا، لقد غفلوا عن النبوءة القائلة: " ١عِنْدَ دُعَائِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلهَ بِرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاَتِي. ٢يَا بَنِي الْبَشَرِ، حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَارًا؟ حَتَّى مَتَى تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ؟ سِلاَهْ. ٣فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَيَّزَ تَقِيَّهُ.

الرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَ مَا أَدْعُوهُ. " (المزمور ٤/ ١-٣)، فخلاصه ﷺ هو المجد الذي لم يؤمن به النصارى، واعتبروه ﷺ لعنة وعارًا، لكنه كذب وباطل، فقد سمع الله دعاء تقيه ومسيحه.

سادسًا: المزمور التاسع والستون (نبوءة عن يهوذا المصلوب، صاحب الحماقات والذنوب).

وهذا المزمور نبوءة أخرى تتناول حادثة الصلب، وهو نبوءة متحدثة عن حادثة الصلب، فقد اقتبس منه كُتّاب الأناجيل، ورأوا فيه نبوءة عن المصلوب، تحققت – حسب رأيهم – في المسيح حين صلب، يقول يوحنا: " ٢٨بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ». ٢٩وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلًّا، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. ٣٠فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. " (يوحنا ١٩/ ٢٨-٣٠)، أي كملت النبوءات والكتب، ومقصده ما جاء في الفقرة الحادية والعشرين من هذا المزمور، وفيها: "٢١وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاً. ".

وأيضًا استشهد فيه بطرس في خطبته عن يهوذا، فقال: "٢٠لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ. وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ. " (أعمال ١/ ٢٠).

فقول بطرس عن يهوذا: " لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ " اقتبسه بطرس من الفقرة الخامسة والعشرين في هذا المزمور: "٢٥لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَابًا، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ" (المزمور ٦٩/ ٢٥).

يقول جامع تفسير أعمال الرسل من كتابات الآباء: "الروح القدس بفم داود قد تنبأ عن يهوذا في المزمورين ٦٩ و ١٠٩". [1]

فالمزمور نبوءة عن المصلوب بشهادة يوحنا، وهو في نفس الوقت نبوءة عن يهوذا الخائن بشهادة بطرس والمفسرين، أليس في هذا ما يستحق وقفة عند المؤمنين بصدق

---

(١) تفسير أعمال الرسل، جون ويسلي وآخرون (١١)، فقوله: " ٢٠لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ. وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ. " إحالة إلى فقرتين من هذين المزمورين (انظر ٦٩/ ٢٥ و ١٠٩/ ٨)، وانظر: الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح)، الأب متى المسكين (٥٧٨).

شهادة العهد القديم؟ من هو صاحب الحماقات والذنوب الذي سقي الخل في عطشه؟ من تراه يكون: المسيح البار أم يهوذا الخائن؟.

السفر التوراتي وحده كفيل بالإجابة عن السؤال، وفيه يهتف المصلوب ويصرخ بيأس يرجو رحمة الله الذي لم يستجب له، فيقول: "١خَلِّصْنِي يَا اللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. ٢غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ، وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ، وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي. ٣تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي. يَبِسَ حَلْقِي. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنِ انْتِظَارِ إِلهِي. ٤أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. اعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ أَعْدَائِي ظُلْمًا. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ. ٥يَا اللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ. . . . ".

ويذكرنا المزمور بصراخ المصلوب اليائس " إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ "، وقد يبس حلقه، وكلّت عيناه، وما من مجيب.

ويعجب المصلوب لحال أولئك الذين أبغضوه وعلقوه بلا سبب، فقد جاء ليدلهم على المسيح، فإذا به يؤخذ بدلًا عنه، من غير أن يصنع سببًا واحدًا يستحق بغضهم له وصلبهم إياه.

لكنه يعلم أن سبب ما حاق به هو حماقته وذنوبه والعار، عار الخيانة الذي غطاه، فيقول: "٥يَا اللهُ أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ. ٦لاَ يَخْزَ بِي مُنْتَظِرُوكَ يَا سَيِّدُ رَبَّ الْجُنُودِ. لاَ يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ. ٧لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي. ٨صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيبًا عِنْدَ بَنِي أُمِّي. ٩لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ. ١٠وَأَبْكَيْتُ بِصَوْمٍ نَفْسِي، فَصَارَ ذلِكَ عَارًا عَلَيَّ. ١١جَعَلْتُ لِبَاسِي مِسْحًا، وَصِرْتُ لَهُمْ مَثَلًا. ١٢يَتَكَلَّمُ فِيَّ الْجَالِسُونَ فِي الْبَابِ، وَأَغَانِيُّ شَرَّابِي الْمُسْكِرِ. ١٣أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضًى. يَا اللهُ، بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِحَقِّ خَلاَصِكَ. ١٤نَجِّنِي مِنَ الطِّينِ فَلاَ أَغْرَقَ. نَجِّنِي مِنْ مُبْغِضِيَّ وَمِنْ أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ. ١٥لاَ يَغْمُرَنِّي سَيْلُ الْمِيَاهِ، وَلاَ يَبْتَلِعَنِّي الْعُمْقُ، وَلاَ تُطْبِقِ الْهَاوِيَةُ عَلَيَّ فَاهَا. ١٦اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ لأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ الْتَفِتْ إِلَيَّ. ١٧وَلاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ،

لأَنَّ لِي ضِيْقًا. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعًا. ١٨اقْتَرِبْ إِلَى نَفْسِي. فُكَّهَا. بِسَبَبِ أَعْدَائِي افْدِنِي. ١٩أَنْتَ عَرَفْتَ عَارِي وَخِزْيِي وَخَجَلِي. قُدَّامَكَ جَمِيعُ مُضَايِقِيَّ. ٢٠الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ. ٢١وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ. " (المزمور ٦٩/ ٥ - ٢١)، فمن هو صاحب الحماقة والذنوب والعار والخزي والخجل؟ من هو ذاك الذي كسر العار قلبه؟ إنه ذاك الذي سقوه الخل وهو على الصليب، هل يعقل أن نقول: إنه المسيح؟ لا وألف لا، إنه يهوذا الخائن.

لكن المصلوب البائس لا ييأس، فيواصل الصراخ والاستجداء طالبًا من الله الخلاص، مستعينًا فقط برحمة الله التي تسع كل شيء، ولكن بلا فائدة.

وتأتيه نتيجة دعائه وخيانته، إذ يقول السفر: "٢٢لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ قُدَّامَهُمْ فَخًّا، وَلِلآمِنِينَ شَرَكًا. ٢٣لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ الْبَصَرِ، وَقَلْقِلْ مُتُونَهُمْ دَائِمًا. ٢٤صُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَكَ، وَلْيُدْرِكْهُمْ حُمُوُّ غَضَبِكَ. ٢٥لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَابًا، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ. ٢٦لأَنَّ الَّذِي ضَرَبْتَهُ أَنْتَ هُمْ طَرَدُوهُ، وَبِوَجَعِ الَّذِينَ جَرَحْتَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ. ٢٧اِجْعَلْ إِثْمًا عَلَى إِثْمِهِمْ، وَلاَ يَدْخُلُوا فِي بِرِّكَ. ٢٨لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ الأَحْيَاءِ، وَمَعَ الصِّدِّيقِينَ لاَ يُكْتَبُوا. " (المزمور ٦٩/ ٢٢-٢٨).

فمن تراه يكون هذا الهالك الذي صارت مائدته فخًا وشركًا للآمنين، لكن عميت عيونهم عن البصر، فلم تبصر الصديق، وهو ينجو، لقد باء الخائن بالإثم، وأصبحت داره خرابًا، ومحي اسمه من سفر الأحياء، فمات ولم يستجب له، كما حذف من قائمة الصديقين، فكتب مع الأشرار الهالكين، فمن تراه يكون؟ إنه يستحيل أن يكون السيد المسيح.

ثم يعود المزمور ليحدثنا عن المسيح الذي نجاه الله، فيقول عن نفسه: "٢٩أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَكَئِيبٌ. خَلاَصُكَ يَا الله فَلْيُرَفِّعْنِي. ٣٠أُسَبِّحُ اسْمَ الله بِتَسْبِيحٍ، وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ. ٣١فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ. ٣٢يَرَى ذلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي الله. ٣٣لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ. ٣٤تُسَبِّحُهُ" (المزمور ٦٩/ ٢٩-٣٣)، لقد سمع الله دعاءه، وخلاص الله رفعه وإنجاؤه، ففرح بنجاته المؤمنون،

فالرب يسمع دعاء المساكين، لذا فهو يستحق المزيد من الحمد والتسبيح.

وقد يشكل على القارئ الكريم قوله: "١٣أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضًى. يَا اللهُ، بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِحَقِّ خَلاَصِكَ. . . . "، فيرى - خطئاً - أن هذا السائل المستغيث هو المسيح، وهذا فهم خاطئ، إذ السائل هنا يستغيث مستشفعًا بما سبق من صلوات له زمن صحبته للمسيح، ويشفعها بطلب الرحمات من الله الرحيم كثير الرحمات، وهو الحبل الوحيد الذي يتشبث به الغريق، ولو كان خائنًا فاجرًا.

أما المسيح ﷺ فكان في دعائه المستجاب يستشفع بكماله وصلاحه وعبادته لله، ومنه قوله: " اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ. " (المزمور ٧/ ٨).

ومثله في المزمور الواحد والأربعين "١٢أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي، وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ. ١٣مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ. " (المزمور ٤١/ -١٢- ١٣).

وقد أوضحته المزامير في مواضع، منها قوله: " أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي، وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجعُ. " (المزمور ٣٥/ ١٣)، وفي المزمور الواحد والتسعين " «لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. ١٥يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ" (المزمور ٩١/ ١٤- ١٥).

وكذا في المزمور العشرين اعتمد المسيح واتكل على صالح عمله وبره لله "١لِيَسْتَجِبْ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ الضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلهِ يَعْقُوبَ. ٢لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْنًا مِنْ قُدْسِهِ، وَمِنْ صِهْيَوْنَ لِيَعْضُدْكَ. ٣لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ، وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ. " (المزمور ٢٠/ ٣).

سابعًا: المزمور الخامس والثلاثون (نبوءة بعود المؤامرة على أصحابها).

وهذا المزمور شاهد آخر يتحدث عن المسيح، فقد اقتبس منه يوحنا في إنجيله، حين قال: " وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي. ٢٥لكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ. " (يوحنا ١٥/ ٢٤-٢٥)، وهذا الاقتباس من الفقرة السابعة من المزمور، وفيها: " ٧لأَنَّهُمْ بِلاَ سبب أخفوا لِي هُوَّةَ شَبَكَتِهِمْ"، فهو متحدث عن

المسيح باتفاق النصارى، وبشهادة يوحنا. [١]

فهل كان المزمور نبوءة عن المسيح المصلوب، أم كان بشارة بنجاته عليه السلام؟

يقول المزمور متحدثًا عن دعاء مؤمن محتاج إلى رعاية ربه وحمايته له من أعدائه، فيقول: " ١خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ. ٢أَمْسِكْ مِجَنًّا وَتُرْسًا وَانْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي، ٣وَأَشْرِعْ رُمْحًا وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ. قُلْ لِنَفْسِي: «خَلاَصُكِ أَنَا». " (المزمور ٣٥/ ١-٣).

ويطلب ذلكم الداعي المؤمن من ربه أن يقع عدوه في الشبكة التي نصبها، ويطلب من الله أن يؤيده بالملائكة، فيقول: "٤لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إلى الوراء وَيَخْجَلِ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِسَاءَتِي. ٥لِيَكُونُوا مِثْلَ الْعُصَافَةِ قُدَّامَ الرِّيحِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ دَاحِرُهُمْ. ٦لِيَكُنْ طَرِيقُهُمْ ظَلاَمًا وَزَلَقًا، وَمَلاَكُ الرَّبِّ طَارِدُهُمْ. ٧لأَنَّهُمْ بِلاَ سبب أخفوا لي هُوَّةَ شَبَكَتِهِمْ. بِلاَ سبب حفروا لِنَفْسِي. ٨لِتَأْتِهِ التَّهْلُكَةُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، وَلْتَنْشَبْ بِهِ الشَّبَكَةُ الَّتِي أَخْفَاهَا، وَفِي التَّهْلُكَةِ نَفْسِهَا لِيَقَعْ. " (المزمور ٣٥/ ٤ -٨)، لقد طلب الداعي المسكين من الله طُلبة في شأن عدوه، طلب منه أن يقتله بشبكته التي نصبها، أي في ذات المؤامرة التي سعى فيها، فهل استجاب الله لوليه أم خيبه؟.

السفر يجيب بوضوح أن الله استجاب له، ويبتهج بخلاص المسيح ونجاته "٩أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ. ١٠جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: «يَا رَبُّ، مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَالْفَقِيرَ وَالْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ؟ ». ١١شُهُودُ زُورٍ يَقُومُونَ، وَعَمَّا لَمْ أَعْلَمْ يَسْأَلُونَنِي. ١٢يُجَازُونَنِي عَنِ الْخَيْرِ شَرًّا، ثَكَلًا لِنَفْسِي. ١٣أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحًا. أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي، وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجعُ. " (المزمور ٣٥/ ٩-١٣).

ويعود المزمور للحديث عن أعدائه الذين عادوا بالخيبة، فيقول: " ١٩لاَ يَشْمَتْ بِي الَّذِينَ هُمْ أَعْدَائِي بَاطِلًا، وَلاَ يَتَغَامَزْ بِالْعَيْنِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. ٢٠لأَنَّهُمْ لاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّلاَمِ، وَعَلَى الْهَادِئِينَ فِي الأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلاَمِ مَكْرٍ. ٢١فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ. قَالُوا: «هَهْ! هَهْ! قَدْ رَأَتْ أَعْيُنُنَا». ٢٢قَدْ رَأَيْتَ يَا رَبُّ، لاَ تَسْكُتْ. يَا سَيِّدُ، لاَ تَبْتَعِدْ عَنِّي. ٢٣اسْتَيْقِظْ وَانْتَبِهْ إِلَى حُكْمِي، يَا إِلهِي وَسَيِّدِي

(١) وانظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٦٢).

إِلَى دَعْوَايَ. ٢٤اقْضِ لِي حَسَبَ عَدْلِكَ يَا رَبُّ إِلهِي، فَلاَ يَشْمَتُوا بِي. ٢٥لاَ يَقُولُوا فِي قُلُوبِهِمْ: «هَهْ! شَهْوَتُنَا». لاَ يَقُولُوا: «قَدِ ابْتَلَعْنَاهُ!». ٢٦لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الْفَرِحُونَ بِمُصِيبَتِي. لِيَلْبَسِ الْخِزْيَ وَالْخَجَلَ الْمُتَعَظِّمُونَ عَلَيَّ. ٢٧لِيَهْتِفْ ويفرح المبتغون حَقِّي، وَلْيَقُولُوا دَائِمًا: «لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ الْمَسْرُورُ بِسَلاَمَةِ عَبْدِهِ». ٢٨وَلِسَانِي يَلْهَجُ بِعَدْلِكَ. الْيَوْمَ كُلَّهُ بِحَمْدِكَ. " (المزمور ٣٥/ ١٩-٢٨)، لقد كان دعاء حارًا من العبد المؤمن، وهو يطلب من الله العادل أن يخزي أعداءه الذين أبغضوه بلا سبب.

وقد استجاب الله له " ٩أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ. ١٠جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: «يَا رَبُّ، مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَالْفَقِيرَ وَالْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ؟». ١١شُهُودُ زُورٍ يَقُومُونَ، وَعَمَّا لَمْ أَعْلَمْ يَسْأَلُونَنِي. ١٢يُجَازُونَنِي عَنِ الْخَيْرِ شَرًّا، ثَكَلاً لِنَفْسِي. ١٣أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحًا. أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي، وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجعُ. " (المزمور ٣٥/ ٩-١٣)، لقد شفع له عند ربه صلاته وصيامه ولباسه للمسوح عبادة لله وتذللًا.

ثامنًا: المزمور الأربعون (نبوءة باستجابة الله دعاء المسيح وفشل المؤامرة).

المزمور الأربعون شاهد آخر بنجاة المسيح وهلاك غيره من المتآمرين عليه، وقد اقتبس الكاتب المجهول للرسالة إلى العبرانيين من هذا المزمور، ليدلل لنا على أنه نبوءة عن المسيح فقال: " ٥لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. ٦بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ٧ثُمَّ قُلْتُ: هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اللهُ». " (عبرانيين ١٠/ ٥-٧).

وهو اقتباس من الفقرتين السادسة والسابعة من هذا المزمور، ففيهما يقول كاتب المزمور: "٦بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. ٧حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هاأنذا جِئْتُ. بدرج الكتاب مَكْتُوبٌ عَنِّي: ٨أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ " (المزمور ٤٠/ ٦-٧).

ويؤكده اختيار محرري قاموس الكتاب المقدس لهذا المزمور ضمن المزامير المسيحية، وكذلك قول القس جيمس أنِس بأن هذا المزمور أحد المزامير "التي موضوعها آلام المسيح". [(١)]

فماذا يقول المزمور وقد ثبت أنه يتحدث عن المسيح؟

---

(١) انظر علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس (٥١٥)، وانظر قاموس الكتاب المقدس (٤٣٢).

يبدأ المزمور بالبشارة باستجابة الله للمسيح وإنجائه له من المؤامرة؛ لأنه توكل على الله، فيقول: " اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، ٢وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي، ٣وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ. ٤طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الغطا ريس وَالْمُنْحَرِفِينَ إِلَى الْكَذِبِ. ٥كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ. ٦بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. ٧حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هاأنذا جِئْتُ. بدرج الكتاب مَكْتُوبٌ عَنِّي: ٨أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي». ٩بَشَّرْتُ بِبِرّ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ. ١٠لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ وَخَلاَصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ. " (المزمور ٤٠/ ١-١٠).

ثم يعود المسيح للتضرع بين يدي الله طالبًا أن ينجيه من المؤامرة التي تحيط به، كما يطلب أن تحيق المؤامرة بالمتآمرين عليه، وأن يعودوا بالخزي والخجل حين يرتدون إلى الوراء "١١أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِمًا. ١٢لأَنَّ شُرُورًا لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثامِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي. ١٣اِرْتَضِ يَا رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ. ١٤لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي. ١٥لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ الْقَائِلُونَ لِي: «هَهْ! هَهْ! ». ١٦لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَدًا مُحِبُّو خَلاَصِكَ: «يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ». ١٧أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلهِي لاَ تُبْطِئْ. " (المزمور ٤٠/ ١١-١٧).

وقد كان كما طلب المسيح، فعادوا بالخزي والخجل، حين ارتدوا إلى الوراء، تلك اللحظة العظيمة التي سجلها يوحنا في إنجيله حين قال: "٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. " (يوحنا ١٨/ ٦).

لقد طلب من الله أن ينقذه "١٧أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلهِي لاَ تُبْطِئْ".

فلم تبطئ عنه معية الله "فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، ٢وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي".

كما سمع الله دعاءه بحق أعدائه، فعادوا بالخزي والخجل "١٤لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي".

تاسعًا: المزمور الواحد والأربعون (نبوءة بنجاة المسيح من مؤامرة تلميذه في يوم الضيق).

المزمور الواحد والأربعون هو أيضًا أحد الأسفار التي تحدثت عن نجاة المسيح وخيانة يهوذا له، وقد اقتبس منه يوحنا في ثنايا حديثه عن يهوذا فقال متنبئًا بخيانته: "١٧إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ. ١٨«لَسْتُ أَقُولُ عَنْ جَمِيعِكُمْ. أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ. لكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ: اَلَّذِي يَأْكُلُ مَعِي الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ." (يوحنا ١٣/ ١٧-١٨).

فقد اقتبس يوحنا من المزمور الواحد والأربعين الفقرة التاسعة وفيها: " ٩أَيْضًا رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ! "، فالمزمور نبوءة عن المسيح بدليل قول المسيح: "لكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ". [1]

ودعونا نتأمل المزمور من أوله، حيث يتنبأ المزمور بنجاة المسيح في يوم ضيقه، فإن الرب حفظه ولم يسلمه لمرام أعدائه، فيقول: "١طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمَسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ. ٢الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ. ٣الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ." (المزمور ٤١/ ١-٣).

ثم يتحدث المزمور عن أعداء المسيح، وعن الخائن الذي وثق به، فيقول: "٥أَعْدَائِي يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرّ: «مَتَى يَمُوتُ وَيَبِيدُ اسْمُهُ؟» ٦وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَذِبِ. قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْمًا. يَخْرُجُ. فِي الْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ. ٧كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجَوْنَ مَعًا عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي. ٨يَقُولُونَ: «أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ انْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ اضْطَجَعَ لاَ يَعُودُ يَقُومُ». ٩أَيْضًا

---

(١) وانظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٦٢).

رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ! " (المزمور ٤١/ ٥-٩)، لقد كان تلميذه يهوذا، رجل سلامته أحد المتآمرين عليه.

لكن كمال المسيح وحسن طاعته لله نجياه من كيد عدوه، وأبطل مؤامرة يهوذا، فيقول المزمور: "١٠أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَارْحَمْنِي وَأَقِمْنِي، فَأُجَازِيَهُمْ. ١١بِهذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي، أَنَّهُ لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ عَدُوِّي. ١٢أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي، وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ. ١٣مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ. " (المزمور ٤١/ ١٠-١٣)، لقد سُر به ربه، ولم يهتف عليه عدوه، بل بكماله وصلاحه كتبت له النجاة.

خلاصة نبوءات المزامير

" مِن جماع ما تقدم لا نخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بأن الله مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرفعه من أبواب الموت، يرفعه فوق القائمين عليه، يرسل من العُلا فيأخذه.

أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضوا عليه، على المسيح سيده، فإنه في الحفرة نفسها يقع، وبعمل يديه يعلق، رجع تعبه على رأسه، وعلى هامته هبط ظُلمه، صار عارًا عند البشر، فقبض عليه هو بدلًا من المسيح، وحوكم هو، وصلب بدلًا منه.

وهكذا تستقيم النبوءة في المزامير، وهكذا تتجلى النبوءة في المزامير، في أسطع وأروع وأسمى ما تكون النبوءة، ليست آية نحرفها، أو كلمة نُحوّر معناها، بل صورة كاملة، عشرات الآيات، عشرات المزامير، كلها تنطق بصورة واحدة متكاملة، تتكرر كثيرًا، ولكن أبدًا لا تتغير.

هذه الحقيقة هي تلك التي نطق بها القرآن، واعتقدها المسلمون. . . ولمن يريد أن يزيد يقينًا، فها هي المزامير كلها في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المسيحيون، ويتداولونه، وإليها فليرجع، ولن يزيده هذا إلا يقينًا وتقديرًا لهذه الحقيقة التي انتهينا إليها. . ". [1]

المبحث الثالث: هل ما جاء في سفر إشعيا نبوءة عن صلب المسيح؟

---

(١) كان الاعتماد في هذا المبحث على دراسة الأستاذ حسين منصور في كتابه دعوة الحق بين المسيحية والإسلام (٥٠ – ١٢٠)، وتلخيص منقذ السقار لهذا المبحث من الكتاب السابق في كتابه هل افتدانا المسيح على الصليب؟ (٣٥– ٦٢).

يرى النصارى أن ثمة نبوءة في غير المزامير قد وردت عن صلب المسيح، ألا وهي ما جاء في إشعيا (٥٢، ٥٣) وفيه: " ١٣هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا. ١٤كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. ١٥هكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ. " (٥٢ / ١٣ – ١٥).

" ١مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ ٢نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. ٣مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. ٥وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. ٦كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ٧ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. ٨مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. ١٠أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. ١١مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. ١٢لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ. " (٥٣ / ١ – ١٢).

ويربط النصارى بين هذا السفر وبين ما جاء في مرقس " ٢٨فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ». " (مرقس ١٥ / ٢٨)، ومقصوده كما لا يخفى ما جاء في إشعيا " سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ " ومثله في سفر أعمال الرسل. (انظر أعمال ٨/ ٢٢ – ٢٣).

والنص ولا ريب قد تعرض للكثير من التلاعب والتحوير، وتجزم بهذا التلاعب

عندما تلحظ غموض عباراته، وحين تقارن نص إشعيا مع ما جاء في أعمال الرسل، وهو ينقل عنه، وفيه " [٣٢]وَأَمَّا فَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُهُ فَكَانَ هذَا: «مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. [٣٣]فِي تَوَاضُعِهِ انْتُزِعَ قَضَاؤُهُ، وَجِيلُهُ مَنْ يُخْبِرُ بِهِ؟ لأَنَّ حَيَاتَهُ تُنْتَزَعُ مِنَ الأَرْضِ» " (أعمال ٨/ ٣٢- ٣٣)، فثمة فروق بين ما جاء في إشعياء وما نقله عنه أعمال الرسل.

فالنعجة في سفر إشعيا تحولت في أعمال الرسل إلى خروف، و ". [٨]مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. " أضحت: " [٣٣]فِي تَوَاضُعِهِ انْتُزِعَ قَضَاؤُهُ ".

لكن الفارق الأكبر بين السفرين نجده في قول إشعيا: " وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ "، فيما يقول سفر الأعمال: " وَجِيلُهُ مَنْ يُخْبِرُ بِهِ؟ لأَنَّ حَيَاتَهُ تُنْتَزَعُ مِنَ الأَرْضِ ".

كما أن النص الكاثوليكي للسفر يزيد عبارة أسقطتها الطبعات البروتستنتية لما فيها من إبهام، ففي نسخة الشرق الأوسط الكاثوليكية "من الضيق والقضاء أُخذ، ومن يصف مولده، إنه قد انقطع من أرض الأحياء"، فقوله: "ومن يصف مولده" نص موجود في الترجمة السبعينية واللاتينية، وتسقطه النسخ التي اعتمدت النص العبراني فقط.

أما نسخة الرهبانية اليسوعية فقد حورت النص ليتلائم مع السياق الذي تريده، فجعلته "بالإكراه والقضاء أُخذ، فمن يفكر في مصيره، قد انقطع من أرض الأحياء"، فأضحى النص فيها متحدثًا عن صلب المسيح بدلًا من مولده! كما أضحى انتزاع حياته بالإكراه، لا مجرد ابتلاء وضيق.

وجاء في خاتمة القصة في سفر أعمال الرسل في نسخة الشرق الأوسط البرتستنتية، والأخرى الكاثوليكية أن فيلبُس مر مع العبد الحبشي على ماء " [٣٦]وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلاَ عَلَى مَاءٍ، فَقَالَ الْخَصِيُّ: «هُوَذَا مَاءٌ. مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ؟ » [٣٧]فَقَالَ فِيلُبُّسُ: «إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ». [٣٨]فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ، فَنَزَلاَ كِلاَهُمَا إِلَى الْمَاءِ، فِيلُبُّسُ وَالْخَصِيُّ، فَعَمَّدَهُ. . . . " (أعمال

٨/ ٣٦-٣٨)، وهذا الحوار الذي جرى بعد رؤيتهما للماء لم تذكره نسخة شهود يهوه المسماة ترجمة العالم الجديد، كما حذفته نسخة الرهبانية اليسوعية الكاثوليكية، والنص فيها: "فقال الخصي: هذا ماء، فما يمنع أن أعتمد؟ ثم أمر بأن تقف المركبة، ونزلا كلاهما في الماء".

وهذه الفروق وذلك التحريف يدلنا على مدى الحرية التي تعامل بها القديسون أو المترجمون للنصوص الكتابية.

لكن التحريف الأكبر الذي صنعه النصارى لنص إشعيا هو اجتثاثه من سياقه الذي كان يتحدث عن عودة بني إسرائيل من السبي وفداء الله لهم وخلاصهم من ذلهم، فالقصة التوراتية لا تبدأ من حيث يبدأ النصارى "هوذا عبدي يعقل ويتسامى"، فإن الابتداء بها بتر للنص وإخراج له عن سياقه ومعناه الطبيعي، حيث يقول:

" ٤لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «إِلَى مِصْرَ نَزَلَ شَعْبِي أَوَّلًا لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ. ثُمَّ ظَلَمَهُ أَشُّورُ بِلاَ سَبَبٍ. ٥فَالآنَ مَاذَا لِي هُنَا، يَقُولُ الرَّبُّ، حَتَّى أُخِذَ شَعْبِي مَجَّانًا؟ الْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِ يَصِيحُونَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَدَائِمًا كُلَّ يَوْمٍ اسْمِي يُهَانُ. ٦لِذلِكَ يَعْرِفُ شَعْبِيَ اسْمِي. لِذلِكَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ الْمُتَكَلِّمُ. هأَنَذَا». ٨صَوْتُ مُرَاقِبِيكِ. يَرْفَعُونَ صَوْتَهُمْ. يَتَرَنَّمُونَ مَعًا، لأَنَّهُمْ يُبْصِرُونَ عَيْنًا لِعَيْنٍ عِنْدَ رُجُوعِ الرَّبِّ إِلَى صِهْيَوْنَ. ٩أَشِيدِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خِرَبَ أُورُشَلِيمَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ. ١٠قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ، فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلهِنَا. ١١اِعْتَزِلُوا، اعْتَزِلُوا. اخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ. لاَ تَمَسُّوا نَجِسًا. اخْرُجُوا مِنْ وَسَطِهَا. (في نسخة كتاب الحياة التفسيرية: اخرجوا من وسط بابل) تَطَهَّرُوا يَا حَامِلِي آنِيَةِ الرَّبِّ. ١٢لأَنَّكُمْ لاَ تَخْرُجُونَ بِالْعَجَلَةِ، وَلاَ تَذْهَبُونَ هَارِبِينَ. لأَنَّ الرَّبَّ سَائِرٌ أَمَامَكُمْ، وَإِلهَ إِسْرَائِيلَ يَجْمَعُ سَاقَتَكُمْ.

١٣هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا. . . " (إشعيا ٥٢/ ٣-١٣).

وبعد انتهاء النبوءة - المدعاة عن المسيح - عاد النص للحديث عن عزاء أمة بني إسرائيل بعد عذابها الطويل في بابل، فيقول مخاطبًا أورشليم: " ١«تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي

لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. [٢] أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لاَ تُمْسِكِي. أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ، [٣] لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً. [٤] لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صِبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. [٥] لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. " (إشعيا ٥٤/ ١-٥).

لذا حق للمحققين أن يروا ما ورد في إشعيا نصًا حُور لفظًا ومعنىً لينطبق على المسيح، ودليل ذلك أن المسيح لم يخبر أن ما جاء في إشعيا نبوءة عنه المسيح، فالمسيح لم يشر إلى هذه النبوءة من قريب أو بعيد.

والمسلمون لا يرون في هذا النص أي نبوءة عن المسيح، ويستغربون ويستنكرون ربط النصارى بين نص إشعيا وقصة الصلب في الأناجيل، فنص إشعيا يتحدث وفي أكثر من موضع عن عبد، فيما يقول النصارى بألوهية المسيح، فكيف يجمعون بين عبوديته لله وألوهيته في وقت واحد.

وهذا العبد قبيح في منظره، مخذول محتقر لا يعتد به، فهو ليس المسيح على أي حال " [١٣] هُوَذَا عَبْدِي. . . كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. . . لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. [٣] مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. " (إشعياء ٥٢ / ١٣، ٥٣ / ١)، أفهذه صورة المسيح عندهم؟.

والنص أيضًا يتحدث عن الذي " وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. " (إشعياء ٥٣ / ٧)، بينما المسيح تكلم مرارًا وتكرارًا، فقد تكلم طويلًا في البستان، وهو يناجي، طالبًا من الله أن يعبر عنه هذه الكأس. . . ثم نطق فقال لبيلاطس أثناء محاكمته: " أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ

أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». " (يوحنا ١٨/ ٣٧).

وكان قد قال له قبل: " «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». " (يوحنا ١٨/ ٣٦).

كما تكلم في المحاكمة لما لطمه أحد الخدم فأجابه المسيح: ": «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟ »" (يوحنا ١٨/ ٢٢).

فإن أصر النصارى بعد ذلك على أن النبوءة تنطبق على المسيح، فقد قالوا إذًا بأن المسيح تكلم وهو مغلق الفم!!!

كما يذكر نص إشعيا شجاعة وتماسكًا لا تتناسب وصراخ المصلوب، وجزعه، وقنوطه، فالمصلوب لم يظهر كشاة أمام جازيها صامتة، " وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ "، بل كان يصرخ على الصليب: " إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " (متى ٢٧/ ٤٦).

والنص متحدث عن صاحب نسل وولد، فيقول: " يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ" (إشعياء ٥٣ / ١٠)، وقد سُرّ الرب بعذابه وبالعاهات التي تصيبه "١٠أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. "، والنص في النسخة الكاثوليكية يفسر الحزن بالعاهات، فيقول: "والرب رضي أن يسحقه بالعاهات"، وفي نسخة الرهبانية اليسوعية: "والرب رضي أن يسحق ذاك الذي أمرضه"، فهل يُسَرُّ الله لأحزان عبده البار، المسيح عليه السلام، وهل كان المسيح مصابًا بعاهة من العاهات أو مرض من الأمراض؟

ويرى الأستاذ محمد الأفندي[1] أن لا علاقة بين هذا الإصحاح في إشعيا، وبين حادثة الصلب، فالإصحاح يتحدث عن قصة بني إسرائيل، وذلهم في بابل بسبب معاصيهم ومعاصي سلفهم، فحاق بهم عقوبة الله التي عمّت صالحيهم وفجارهم، ثم أنعم الله عليهم بالعود من بابل مرة أخرى إلى فلسطين، وهذا المعنى هو ما كان يتحدث عنه السياق التوراتي في سفر إشعيا.

وقوله: " ١٣هُوَذَا عَبْدِي. . . كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي

---

(١) انظر: عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا (١٠٦ - ١٢٢، ١٩٦)، فقد ضمنه كتاب الأفندي.

آدَمَ. . . لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ" فالمقصود بالعبد شعب إسرائيل.

وقد عُهد في التوراة إطلاق لفظ الفرد، والمراد الشعب كما في إشعيا: " خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسْرَائِيلُ: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. [٢]إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللهيبُ لاَ يُحْرِقُكَ. [٣]لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ. " (إشعيا ٤٣/ ١ - ٣)، وفي سفر ميخا: " [١٢]«إِنِّي أَجْمَعُ جَمِيعَكَ يَا يَعْقُوبُ. " (ميخا ٢/ ١٢)، ومثله في مواضع كثيرة، منها (إشعيا ٤١/ ٨) و (ميخا ١/ ٥)، والمقصود من ذلك كله شعب إسرائيل.

وفي إشعيا (٥٢، ٥٣) يتنبأ النبي عن غربة بني إسرائيل ويصف ذلتهم، ثم يتحدث عن عودة أبنائهم من أرض السبي " [٢]نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ " فقد عادوا للأرض المقدسة، ونبتوا فيها، من جديد، كما في سفر النبي إرمياء " [٦]وَأَجْعَلُ عَيْنَيَّ عَلَيْهِمْ لِلْخَيْرِ، وَأُرْجِعُهُمْ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، وَأَبْنِيهِمْ وَلاَ أَهْدِمُهُمْ، وَأَغْرِسُهُمْ وَلاَ أَقْلَعُهُمْ. " (إرمياء ٢٤/ ٦)، وقوله: " [٤١]وَأَفْرَحُ بِهِمْ لأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَأَغْرِسُهُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ بِالأَمَانَةِ بِكُلِّ قَلْبِي وَبِكُلِّ نَفْسِي. " (إرمياء ٣٢/ ٤١).

وقد تغيرت صورتهم بسبب الذل فكان الشعب " [٣]مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ. . . وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. " ويفسره قول إرميا وقد شاهد الأسر البابلي: " [٧]آبَاؤُنَا أَخْطَأُوا وَلَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ، وَنَحْنُ نَحْمِلُ آثَامَهُمْ. [٨]عَبِيدٌ حَكَمُوا عَلَيْنَا. لَيْسَ مَنْ يُخَلِّصُ مِنْ أَيْدِيهِمْ. [٩]بِأَنْفُسِنَا نَأْتِي بِخُبْزِنَا مِنْ جَرَى سَيْفِ الْبَرِّيَّةِ. [١٠]جُلُودُنَا اسْوَدَّتْ كَتَنُّورٍ مِنْ جَرَى نِيرَانِ الْجُوعِ. " (المراثي ٥/ ٧-١٠).

وقوله: " [٧]ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ " كقول سفر إشعيا عن اضطهاد بني إسرائيل على يد الآشوريين: "«إِلَى مِصْرَ نَزَلَ شَعْبِي أَوَّلًا لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ. ثُمَّ ظَلَمَهُ أَشُّورُ بِلاَ سَبَبٍ. " (إشعيا ٥٢/ ٤)، وكقوله: " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي يَهُوذَا مَعًا مَظْلُومُونَ " (إرميا ٥٠/ ٣٣).

وأما قوله: " كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ. . . " فهو حديث ذبح ملك بابل لبني إسرائيل، وقد ساقهم كما تساق الشياه إلى الذبح، كما في قوله: " ٤٠أُنَزِّلُهُمْ كَخِرَافٍ لِلذَّبْحِ وَكَكِبَاشٍ مَعَ أَعْتِدَةٍ. " (إرميا ٥١/ ٤٠) فمات أكثرهم جوعًا، ونحوه قوله عنهم: "١٩وَأَنَا كَخَرُوفٍ دَاجِنٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا عَلَيَّ أَفْكَارًا، قَائِلِينَ: «لِنُهْلِكِ الشَّجَرَةَ بِثَمَرِهَا، وَنَقْطَعْهُ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، فَلاَ يُذْكَرَ بَعْدُ اسْمُهُ». " (إرميا ١١/ ١٩).

وقوله: " ٩وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. " إشارة إلى أن دفنهم في بابل كان مع الوثنيين، ولا يمكن للنصارى حمله على المسيح المدفون - حسب كتابهم - وحده في بستان، في قبر جديد، لم يدفن فيه معه لا شرير ولا غني.

وقوله: " وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ " هو أيضًا يحكى عن وجود بني إسرائيل مع الوثنيين في بابل، ولا يصح أن يقال: الأثمة هما اللصان، إذ قد وعد أحدهما الفردوس، فكيف يوصف بعد ذلك بالآثم؟!

وقوله: " يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ"، وفي النسخة الكاثوليكية يتضح المعنى أكثر: "والرب رضي أن يسحقه بالعاهات، فإنه إذا جعل نفسه ذبيحة إثم يرى ذرية، وتطول أيامه"، وفي الترجمة التفسيرية المسماة كتاب الحياة: "فقد سُر الله أن يسحقه بالحزن، وحين يقدم نفسه ذبيحة إثم فإنه يرى نسله وتطول أيامه"، فالنص كما هو واضح ليس حديثًا عن المسيح الفادي، بل هو إشارة إلى تكفير الله خطايا بني إسرائيل بسبب توبتهم، حيث يرفع الله عنهم الاضطهادات، ويعيدهم إلى وطنهم، حيث تطول أيامهم ويعيشون ويتوالدون في فلسطين بعد السبي وآلامه وعاهاته وبلاياه.

وقوله: " عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. " حديث عن طهر أولئك الذين يعودون من السبي الذين عنهم " يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ. " (إرمياء ٣١/ ٣٤)، كما قال عنهم: "٧وَأَرُدُّ سَبْيَ يَهُوذَا وَسَبْيَ إِسْرَائِيلَ وَأَبْنِيهِمْ كَالأَوَّلِ. ٨وَأُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ إِثْمِهِمِ الَّذِي أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيَّ، وَأَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِهِمِ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا

إِلَيَّ، وَالَّتِي عَصَوْا بِهَا عَلَيَّ. " (إرمياء ٣٣/ ٧-٨).

وأما قوله: " وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. " يتحدث كيف شمل البؤس بررة بني إسرائيل وعصاتهم، كما قال الله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ١٢٥).

وإكرامًا لهؤلاء البررة من بني إسرائيل، طهرهم الله من ذنبهم، ورفع عنهم هذه العقوبة، كما في إرميا: " يَقُولُ الرَّبُّ، يُطْلَبُ إِثْمُ إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَكُونُ، وَخَطِيَّةُ يَهُوذَا فَلاَ تُوجَدُ، لأَنِّي أَغْفِرُ لِمَنْ أُبْقِيهِ. " (إرميا ٥٠/ ٢٠)، فقد حملوا خطيئة آبائهم، ثم غفرت ذنوبهم.

سوف يبدأ عهد جديد لا تضرس فيه أسنان الأبناء بحصرم آبائهم، ولا يعاقبون ثانية بجريرتهم، فقد تحملوا من آثامهم ما يكفي " ٢٩فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ. ٣٠بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ. ٣١«هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. " (إرميا ٣١/ ٢٩-٣١). (١)

وهكذا فالإصحاح يتحدث عن شعب إسرائيل، وسبيه، وذلته، ثم نجاته. وهذا هو مفهوم النص عند اليهود وهم أصحاب الكتاب الأصليين، بل هو رأي كثير من المفسرين المسيحيين، كما نقل القس الخضري حين قال: "إن عددًا لا بأس به من المفسرين يتردد كثيرًا في نسب هذه النصوص إلى المسيح ظنًا منهم بأن النبي يتكلم عن إسرائيل كله كشخص محتقر مخذول ومطرود". (٢)

المبحث الرابع: إبطال وقوع صلب المسيح تاريخيًا.

عند الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومَن المصلوب فيها؟ يتبين الآتي:

---

(١) ينقل القس صموئيل عن بعض العلماء رأيه في معنى هذا النص أنه يشير "إلى الأبناء الذين ولدوا في أرض المعاناة والضيق، وكل كرب وألم في أرض سبيهم، وحملوا من إثم آبائهم في هذه الأرض الغريبة [بابل] ". المدخل إلى العهد القديم، القس الدكتور صموئيل يوسف (٢٩٨).

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ٣٦).

١ - أن قدماء النصارى كُثُرٌ منهم ينكرون صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب.

وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه "الهرطقات مع دحضها " ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: " إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشكل ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء. "

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى: " إن إحدى الطوائف الغنوطسية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلًا من يسوع". [١]

فمن ذلك يتبين أنه في الفترة التي أعقبت رفع المسيح حتى كتابة الأناجيل قد وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه. [٢]

٢- كذلك وجدت جماعات أخرى تقول بأنه لم يمت على الصليب وإنما أنزل حيا، وهذا ما قاله الفيلسوف الألماني " فنتيوريني " في بداية القرن التاسع عشر حيث خلص من دراسة لما قيل عن الصلب والدفن إلى أن " يسوع قد أغمي عليه فقط، ثم أفاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة ". [٣]

---

(١) شرح إنجيل متَّى لجون فنتون (ص ٤٤٠).

(٢) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٢٧٣، ٢٧٤)، وانظر تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ٢٠٧)، وقاموس الكتاب المقدس (١١١٢).

(٣) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (٢٧٤).

وقد نقل أوريجانوس تقليدًا شائعًا في عهده بأن يسوع كان يستطيع في حياته أن يغير شكله وقتما وكيفما يشاء، ويقول إن هذا كان السبب في ضرورة قلبه يهوذا الخائن؛ وإلا فإن المسيح كان معروفًا لدى عموم أهل أورشليم. [١]

٣- وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد.

وهذه الفرقة كانت تقول أيضًا ببشرية المسيح، يقول باسيليوس الباسليدي: " إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح".

ولعل هؤلاء المنكرين لصلب المسيح قديمًا هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه ". [٢]

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلًا عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبهًا تامًا، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصًا آخر صلب بدلًا من المسيح.

وثمة فِرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية. [٣]

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية (مادة أبو كريفا).

(٢) أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا (٧٥)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي (٤٦٥ – ٤٦٦).

(٣) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي (٤٦٥)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (٥٠٣).

٤- كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم، وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله.

ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقة " ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية ": " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدّقهم القرآن ". [1]

٥- وأخيرًا نذكر بما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل.

ومن المنكرين أيضًا هيام ماكبي في كتاب " الدم المقدس، وكأس المسيح المقدس " وفيه أن السيد المسيح لم يصلب، وأنه غادر فلسطين، وتزوج مريم المجدلية، وأنهما أنجبا أولادًا، وأنه قد عثر على قبره في جنوب فرنسا، وأن أولاده سيرثون أوربا، ويصبحون ملوكًا عليها.

وذكر أيضًا أن المصلوب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، الذي صلب بدلًا من المسيح المرفوع. [2]

وأما الطائفة التي يسميها القس الخضري بالرومانسيين (القرن التاسع عشر) فقد ذكروا أن المسيح " أنزل من على الصليب فاقد الوعي، وعالجه أطباء أسينيون إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات". [3]

وهكذا فإن التاريخ أيضًا ناطق بالحقيقة، مُثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي (٣٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (٥٠٣).

(٢) انظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد، (٥٣٠ – ٥٣١).

(٣) تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٥٨).

وصلب غيره.[1]

المبحث الخامس: عدم تنبؤ المسيح بصلبه.

تتحدث الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، كخاتمة لوجوده على الأرض، ولكن:

هل تنبأ المسيح بأنه سيصلب؟ وهل عرف بذلك تلاميذه؟

لا تخطئ عين الناظر في الأناجيل أن ترى أن الإنجيليين نقلوا عن المسيح تنبؤه بتعرضه لمؤامرة تودي به إلى الموت والصلب، فهل تصح هذه الأقوال في نسبتها إلى السيد المسيح؟

الحقيقة أن خبر تنبؤ المسيح بقتله أو صلبه (انظر متى ١٧/ ٢٢ و٢٠/ ١٦، ٢٦/ ٢، ٢٦/ ٢٣)، قول دخيل على الأناجيل، ملحق بها، والأدلة على ذلك تتضح باستقراء عدد من الملاحظات التي يقوي بعضها بعضًا:

١- أن العبارة في إنجيل متى والتي يخبر فيها المسيح عن مؤامرة يتعرض لها ابن الإنسان وتودي به إلى الموت وردت بلا مقدمة، ولا مناسبة، ولا تعليق عليها من قبل الحواريين، حتى وكأنها تتحدث عن حدث عادي، فلئن صحت، دل ذلك على أن ابن الإنسان المصلوب المسلّم لأيدي الخطاة، هو غير المسيح.

تتحدث المواضع الأربعة- التي ذكرت تنبؤه بالموت - عن تسليم ابن الإنسان، وقتله أو صلبه، ولا تنص على عيسى، لكن اللفظ – وإن تبادر في الذهن إلى المسيح – فإنه يصح أن يطلق على غيره، بدليل أنهم سألوه عن ابن الإنسان مَن هو بقولهم: " فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟ »" (يوحنا ١٢/ ٣٤) ولو كان هذا اللقب بالمسيح خاصًا لما كان في سؤالهم وجه.

يقترن وصف الأناجيل الثلاثة لردة فعل التلاميذ حيال هذا الخبر بكثير من الغرابة، ففي متى (٢٦/ ١ - ٢) لم يذكر لهم حسًا ولا خبرًا، بيد أنه في (متى ٢٦/ ٢٣) ذكر بأنهم " حَزِنُوا جِدًّا "، ويفهم منه أنهم فهموا مراده فحزنوا، لكن مرقس يقول: " ٣٢وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ

---

(١) انظر: هل افتدانا المسيح على الصليب؟، منقذ السقار (٣٣ – ٣٤).

يَفْهَمُوا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ. " (مرقس ٩/ ٣٢)، ويؤكد لوقا هذا بقوله: " ٣٤وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ هذَا الأَمْرُ مُخْفىً عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ. ".

وإضافة إلى تناقض النصوص، فإن في خوف التلاميذ من المسيح وترددهم في سؤاله ما يدعو للعجب، فقد عرف عليه الصلاة والسلام بدماثة خلقه، وبتحببه لهم، حتى إنه غسل أرجلهم، وكثيرًا ما كانوا يسألوه، فِلمَ لم يسألوه في هذا الأمر الخطير؟

٢- ذكر الإنجيليون الثلاثة الذين ذكروا الخبر بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث (انظر متى ١٧/ ٢٣، مرقس ٩/ ٣٢، لوقا ١٨/ ٣٣)، وهذا لم يحصل، بل مكث ما لا يزيد بحال عن ليلتين ويوم.

٣- ومما يدل على عدم صحة التنبؤ بالصلب والقتل: فرار التلاميذ، وفيهم بطرس الذي قال له المسيح: "٣٢وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ». ٣٣فَقَالَ لَهُ: «يَارَبُّ، إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ! ». " (لوقا ٢٢/ ٣٢ - ٣٣)، فدل هذا على معرفتهم بأن المأخوذ غيره، كما قد عرفوا ذلك فهربوا، وقد قال عنهم المسيح: " الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهَلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. " (يوحنا ١٧/ ١٢).

ثم بعد ذلك ولأن أمر المصلوب لا يهمهم وقد عرفوا بنجاة سيدهم لم يهتموا بمتابعة المصلوب وهو على الصليب، أو في أثناء المحاكمة، إلا ما جاء عن بطرس ويوحنا وبعض النسوة.

٤- كما تذكر الأناجيل دليلًا آخر يشهد على عدم صحة هذه النبوءات المتنبئة بصلب المسيح، بل تدلل على أن المسيح تنبأ بنجاته، وأن التلاميذ فهموا منه ذلك قول مرقس أن المسيح قال لتلاميذه: ": «إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ " (مرقس ١٤/ ٢٧).

هذا ولا تذكر الأناجيل شيئًا عن شك التلاميذ، سوى ما ذكرته عن بطرس الذي أنكر المأخوذ ثلاث مرات ليلة المحاكمة، وأما الآخرون فصمت مطبق، فكيف شك التلاميذ؟

لقد شك التلاميذ في المسيح وهم يرون المأخوذ من البستان (يهوذا) وقد قبض عليه،

وظنوه المسيح، فوقعوا فيما حذرهم منه المسيح، وهو الشك فيه، لقد كان أخبرهم بنجاته من المؤامرة ثم يرون أنه قد أخذ ولم ينج.

ويوضح العلامة أحمد عبد الوهاب هذه المسألة، فيقول بأن الشك هو تراجع داخل النفس، ويستشهد لتفسيره بما جاء في غير الترجمة العربية، فالنص في التراجم الأخرى تعريبه هكذا: " كلكم ترتدون عن عقيدتكم وتزلون ".

ويفرق بين الإنكار والشك، فالشك عمل قلبي، والإنكار: قد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده في قلبه، والذي وقع من التلاميذ شك لا إنكار. فلقد آمن التلاميذ بالمسيح، وصدقوه فيما تنبأ به، فإذا رأوا ما اعتبروه مخالفًا لنبوءاته، فسوف يحصل منهم الشك، والردة عن العقيدة.

ويورد الأستاذ أحمد عبد الوهاب احتمالين:

الأول: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، وستُحدث له ألمًا ومعاناة، إلا أنها ستفشل، وسينقذه الله من القتل، كما في قوله: " سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي " (يوحنا ٧ / ٣٦). وهذا الذي حصل ولم يشاهده التلاميذ، بل هم قد رأوا ما حسبوه وظنوه نقيضَه، فقد رأوا المسيح مأخوذًا مصلوبًا، فوقعوا في الشك فيه، لأن كلامه لم يتحقق، وهذا هو الصحيح.

والآخر: أن المسيح تنبأ بأن المؤامرة ستنتهي بقتله، وليس هناك ما يدعو للشك والارتياب حسب هذه الصورة، سواء تحقق قوله أم لم يتحقق، إذ تحققه تصديق لقوله، وتخلُفه إكرام من الله له وحفظ ورعاية.

وهذا الفرض خاطيء، ويدحضه العود إلى لحظة القبض على المسيح، حيث نجد أن التلاميذ جميعًا قد هربوا، وتركوا المسيح وحده. ويبدو هنا شكهم واضحًا، لقد حصل أمام التلاميذ ما لم يتوقعوه – فيما يظهر لهم –، أي ما لم يتنبأ به المسيح.

فلئن كان أخبرهم بأن سيُقبض عليه وسيقتل، فليس ثمة ما يثير الشك، وإن كان

الاحتمال الأول بأنه سينجو، وأن المؤامرة ستفشل، ولكنهم يجدونه - فيما يظهر لهم - قد قبض عليه، ولم تتحقق نبوءته، فحينئذ وقعوا في الشك.[(١)]

ويؤكد العلامة ديدات على قرينة وحدة أفعال الله، لإبطال صلب المسيح والحكم بنجاته، فقد نجى الله النبي دانيال، وإبراهيم، والفتية الثلاثة الذين ألقوا في النار.

أما نجاة إبراهيم، فقد ذكرت في قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨ - ٧٠).

وأما دانيال، فقد ألقاه الملك في جُبٍّ مع الأُسود، وختم الجب بخاتمه، ثم لما فتحه ناداه: " «يَا دَانِيآلُ عَبْدَ اللهِ الْحَيِّ، هَلْ إِلهُكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِمًا قَدِرَ عَلَى أَنْ يُنَجِّيَكَ مِنَ الأُسُودِ؟ » [٢١]فَتَكَلَّمَ دَانِيآلُ مَعَ الْمَلِكِ: «يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، عِشْ إِلَى الأَبَدِ! [٢٢]إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لأَنِّي وُجِدْتُ بَرِيئًا قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا». [٢٣]حِينَئِذٍ فَرِحَ الْمَلِكُ بِهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُصْعَدَ دَانِيآلُ مِنَ الْجُبِّ. فَأُصْعِدَ دَانِيآلُ مِنَ الْجُبِّ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِ ضَرَرٌ، لأَنَّهُ آمَنَ بِإِلهِهِ. [٢٤]فَأَمَرَ الْمَلِكُ فَأَحْضَرُوا أُولئِكَ الرِّجَالَ الَّذِينَ اشْتَكَوْا عَلَى دَانِيآلَ وَطَرَحُوهُمْ فِي جُبِّ الأُسُودِ هُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى أَسْفَلِ الْجُبِّ حَتَّى بَطَشَتْ بِهِمِ الأُسُودُ وَسَحَقَتْ كُلَّ عِظَامِهِمْ. " (دانيال ٦/ ١٥ - ٢٤).

وأما الفتية الثلاثة فقد أُلقوا في النار، ولكن " لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ، وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ، وَسَرَاوِيلُهُمْ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَرَائِحَةُ النَّارِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِمْ" (دانيال ٣/ ٢٧).

ومما يؤكد استجابة الله للمسيح: ظهور ملاك له ليقويه (انظر لوقا ٢٢/ ٤٣) فهل كان ذلك الملاك يضحك عليه ويهزأ به، أم يعينه فينجيه؟

وهذا الأخير هو ما يليق بعدل الله ورحمته، فقد استجاب الله للمسيح فأنجاه، وصلب

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٣٨ - ١٣٩، ١٤٧ - ١٤٨)، المناظرة الإسلامية النصرانية (٨٩ - ٩٠).

يهوذا الخائن، فهذا أليق بعدل الله وكرمه من القول بعدم استجابته للمسيح، وصلبه وتسليمه إلى مرام أعدائه ومبغضيه.

لقد حفظ الله مسيحه، وأمكنه من النجاة ويسّر له سُبلها، كما يسرها لكثيرين دونه في الفضل والمكانة، منهم بطرس الذي دخل ملاك الرب إلى سجنه، وحطم سلاسله وهو نائم، وأمره بالخروج. (انظر أعمال ١٢/ ٧).

وكذلك زعم لوقا أن بولس نجا من السجن بأعجوبة، فقد تزلزلت الأرض، وتصدع السجن، وتحطمت القيود. وانفتحت الأبواب، فهرب وصاحبه سِيلا من سجنهما. (انظر أعمال ١٦/ ٢٦).

كما أن توراة القوم تتحدث عن معونة الله لعدد من القديسين رفعوا إلى السماء، منهم: أخنوخ "[٢٤]وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ." (التكوين ٥/ ٢٤).

ومثله النبي إيليا "[١١]وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ." (الملوك (٢) ٢/ ١١).

فِلمَ أمكن هذا لبطرس وبولس وغيرهما، ولم يمكن للمسيح، وهو أولى منهم برعاية الله وحفظه؟!

وهكذا، ومن خلال هذه الأمثلة، نرى أن رعاية الله التي أحاطت بالمؤمنين من قبل قد أحاطت بالمسيح، وأنجته من يدي أعدائه، فتحقق ما كان قد تنبأ به بقوله: "[٢٩]وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ»" (يوحنا ٨/ ٢٩).

المبحث السادس: عدم وجود شهود على صلب المسيح.

فقد تركه الجميع وهربوا، بل إن حادثة الصلب فيها من التناقضات التي تضطر كل عاقل أن يرفضها.

(إن المأخوذ للقتل كان في شرذمة من تلاميذه فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته فقالت: وهذا كان معه، فحلف بطرس أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله وخادعهم فذهب

ولم يعد، وأن شابًا تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره في أيديهم وأفلت عريانًا). [١]

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر أصلًا، بل كانوا آحادًا وأفرادًا، فمن نازع فيما قلناه ونقلناه فهذا الإنجيل الذي بأيديهم حكما فيما بيننا وبينه، وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد، واليهود الذين حضروا عصابة قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو والغلط واعتماد الكذب، لم يجب قبول أقوالهم فلا جرم يقدم تواتر الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء/ ١٥٧). [٢]

المبحث السابع: من الذي مات على الصليب، الإنسان أم الإله؟

يَرد على المسيحيين أسئلة كثيرة: من الذي صلب على الصليب؟ ومن الذي أسلم روحه ومات على الصليب؟ هل المسيح الإنسان؟ أم أنه المسيح الإله؟ أو بمعنى آخر: هل فارق اللاهوت الناسوت وقت الصلب والموت؟ أم أن اللاهوت لم يفارق الناسوت؟

مقتضى فكرة المسيحيين عن المخلص تحتم أن الذي صلب هو المسيح ابن الله، فهو في- نظرهم - تجسد خصيصا من أجل الصلب والموت ليخلص البشرية.

لذلك جاء في كتاب (السنكسار): " وتعلمنا الكنيسة المقدسة أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين. "[٣]

ويقول الأب لويس برسوم: " وإذن ظل اللاهوت متحدًا بالناسوت على الدوام دون أن يفارقه قط، وحتى حينما أسلم يسوع روحه لم يفارق اللاهوت الناسوت، بل ظل متحدًا مع الجسد الذي دفن في القبر. "[٤]

ويقول الأب ساويرس: " لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده ولم يفارق

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: متى (٢٦)، مرقس (١٤)، لوقا (٢٢)، يوحنا (١٨).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٣٣٧- ٣٣٨).

(٣) كتاب السنكسار (٢ / ٩٩).

(٤) المسيح الإله والإنسان (٦٥).

روحه ولا جسده عند موته. "[١]

كل هذا يقتضي أن اللاهوت وقع عليه الآلام وتعرض هو والناسوت إلى المعاناة والمشقة، ولكن المسيحيين يقولون نعم إن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة إلا أن الذي تألم ومات هو الناسوت أما اللاهوت فلم يتألم ولم يمت.[٢]

يقول أفلاطون مطران موسكو: " إن الذي تألم هو الناسوت لا اللاهوت المنزه عن كل ألم، ثم دفن مع الجسد لئلا يظن موت المسيح خياليًا. "[٣]

ويقول إلياس اليسوعي: " إن المسيح لم يمت بوصفه إلهًا – فالإله لا يموت – ولكنه مات بوصفه إنسانًا وليس في موت الإنسان ما يدعو على الاستغراب. "[٤]

فالمسيح في – نظرهم – مات بوصفه (ابن الإنسان) لأن اللاهوت لا يتأثر بالصلب أو الموت.[٥]

يقول باسيليوس: " المسيح ابن الله مات يقينا ليس بلاهوته بل بناسوته قد مات ومع ذلك فإن إنسانية المسيح اتحدت بشخصه الإلهي وتشخصت فيه، ولذلك فرغم أن لاهوت المسيح كان حرا من الآلام وقت آلامه، وغير مائت في وقت موته إلا أن هذه الآلام قد اتخذها ابن الله وتبناها لنفسه بطريقة ما تفوق الفهم، ولهذا السبب يمكننا أن نقول عن ابن الله الأزلي المتجسد تألم ومات على الصليب بناسوته بينما ظل غير متألم بلاهوته. "[٦]

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: من الذي مات على الصليب الناسوت أم اللاهوت؟

١ – القول بأن الناسوت هو الذي تحمل الآلام والصلب والموت يعني الحط من شأن الفداء والخلاص؛ لأنه بذلك يصير خلاصًا ناسوتيًا بشريًا لا لاهوتيًا، أو أن معناه أن

---

(١) الدر الثمين في إيضاح الدين (٦٢ – ٦٥).

(٢) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٦٠).

(٣) الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية (٩٤).

(٤) يسوع المسيح (١١٥).

(٥) قيامة المسيح، عوض سمعان (٦).

(٦) سر الفداء (٢١ – ٢٢).

الناسوت أقدر على الخلاص والفداء من اللاهوت.

" ويقال لهم أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فصارا مسيحا؟ فإذا قالوا بلى. قلنا فالميت أيهما؟ فإذا قالوا الناسوت. قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عن ذلك لاهوت حي؟ أفتقولون إن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته؟. [(١)]

الوجه الثاني: لابد في المخلص أن يكون إلها، وهذا يبطل فكرة الناسوت.

إن هذا القول مناقض لفكرتهم وشروطهم في المخلص، إنه لابد وأن يكون المسيح ابن الله، فإذا كان الذي صلب وتألم ومات هو ابن الإنسان، فمعنى ذلك أنه لم يتوافر فيه وقت الفداء هذا الشرط.

هذا إلى جانب أن هذا القول مناقض لما جاء في العهد الجديد الذي يقول: " وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. " (يوحنا الأولى ١ / ٧).

فدم ابن الله – لا ابن الإنسان – هو الذي يطهرهم من كل الخطايا.

الوجه الثالث: لوكان المصلوب ناسوتا فهي مهمة يقوم بها أي بشر سوى عيسى.

أنه على هذا القول لا داعي لتجسد ابن الله، لأن أي إنسان كان يكفي أن يقوم بهذا ويتحمل الآلام ويصلب ويموت نيابة عن البشر. [(٢)]

الوجه الرابع: أنتم وصفتم الإله بعدم الموت ثم تثبتون موته على الصليب!

ورد في الكتاب عندهم عدة نصوص تفيد بأن الإله لا يموت سواء أكان ذو طبيعة واحدة أم ذو طبيعتين؟ فسواء كان ابن الإله أو الإله الرئيسي، فهو في النهاية إله والإله لا يموت باعتراف الكتاب والعقل.

وها هي الأدلة:

١- ورد في سفر التثنية ٣٢/ ٣٩: " [٣٩]اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. "

---

(١) المنتخب الجليل (١١٥)

(٢) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٦٢).

أما يسوع " قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. " (يوحنا ١٩/ ٣٠).

٢- ورد في التثنية (٣٢ / ٤٠): " ٤٠إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. "، لكن يسوع " ٥٠فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ" (متى ٢٧ / ٥٠).

٣- ورد في إرمياء (١٠ / ١٠): " ١٠أَمَّا الرَّبُّ الإِلهُ فَحَقٌّ. هُوَ إِلهٌ حَيٌّ وَمَلِكٌ أَبَدِيٌّ. "، أما يسوع " ٤٦وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ. " (لوقا ٢٣ / ٤٦).

٤- ورد في سفر دانيال (٦ / ٢٦): " ٢٦مِنْ قِبَلِي صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُلْطَانِ مَمْلَكَتِي يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ قُدَّامَ إِلهِ دَانِيآلَ، لأَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى. "، ولكن يسوع: "٥٠فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. " (متى ٢٧ / ٥٠).

٥- ورد في سفر دانيال ٦ / ٢٦: " ٢٦مِنْ قِبَلِي صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُلْطَانِ مَمْلَكَتِي يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ قُدَّامَ إِلهِ دَانِيآلَ، لأَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى. ".

٦- ورد في متى ١٦ / ١٦: " سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!»".

وكل هذه النصوص - وغيرها مما لم نذكره هنا - لا تنطبق على يسوع بأي حال من الأحوال، لأنه مات: " ٥٠فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. " (متى ٢٧ / ٥٠).

إذن، فلمن أسلم عيسى روحه يا ترى؟ لقد أسلمها إلى بارئها، إلى خالقها.

إذن فليس هو الله، وبما أنه ليس هو الله، فلا يوجد داع لأن ينزل ويتجسد، وبما أنه ليس هو الله، فلا سلطان له لغفران الذنوب، وبما أنه لا سلطان له لغفران الذنوب، إذن فأسطورة الصلب والفداء ليس لها أصل في دين السماء إنما هي مقتبسة من الأديان الوثنية.[1]

الوجه الخامس: إن لله تعالى صفات لا تتغير فكيف هذا التلون في قضية الصلب؟

(١) انظر: إعدام الإله بين المسيحية والوثنية (١٠ – ١١).

يؤيد هذا الكتاب المقدس في نصوص كثيرة منها :

" ٦لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ " (ملاخي ٣ / ٦).

" فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟ " (إشعياء ٤٠ / ١٨).

" ٢٥«فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ » يَقُولُ الْقُدُّوسُ. " (إشعياء ٤٠ / ٢٥).

فلا يمكن أن يكون الرب إنسان، ولا حيوان، ولا جماد ولا نبات، ولا أي صورة يمكن الإنسان أن يتخيلها، فهو لا مثيل له، ليس كمثله شئ.

وقد أكد كتابهم على هذه النقطة عدة مرات حتى لا يلبس الشيطان على الناس أمر دينهم، فقال: " ١٢فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا. . . ١٥«فَاحْتَفِظُوا جِدًّا لأَنْفُسِكُمْ. فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً مَّا يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ فِي حُورِيبَ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. " (تثنية ٤ / ١٢ – ١٥).

وعندما طلب موسى من الله أن يراه: " ٢٠وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ». (الخروج ٢٣ / ٢٠).

فإذا كان الله روح، ولا يمكن أن يرى الإنسان هذا الروح لأن " ١٨اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. " فكيف يكون عيسى عليه السلام هو الله، وهل الله له جسد أو مولود من الجسد؟ الجواب بالطبع: لا " ٦اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. " يوحنا ٣ / ٦. و " كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، ٣وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ" (رسالة يوحنا (١) ٤ / ٢-٣)

فهذا نفي قاطع من عيسى عليه السلام، وتحذير أن يتخذه إنسان ما إله، لأنه مولود من جسد امرأة، فكان عظامًا وكان لحمًا.

أما الذين اتخذوا إنسانًا إلهًا وعبدوه بعد أن أنعم الله عليهم بنعمة العقل وعرفوا الإله الحقيقي الذين يدين ولا يدان، الحي الذي لا يصلب ولا يموت، القدوس الذي لا يهان، فهم من الأنجاس الخالدين في النار: " ٢١لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا

فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. [٢٢]وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهلاَءَ، [٢٣]وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. [٢٤]لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. [٢٥]الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. [٢٦]لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ " (رومية ١ / ٢١ – ٢٦).

الفصل الثامن: نجاة المسيح من الصلب.

المطلب الأول: هل قبض اليهود على عيسى عليه السلام؟

الإجابة: لا، وهذه هي إجابة عيسى عليه السلام نفسه، انظروا كيف وقف يتحدى اليهود علانية، قائلا لهم إنهم لن يتمكنوا منه، ولن يقبضوا عليه، وسيرفعه الله إلى مكان آمن، لا يستطيعون الوصول إليه، وها هي الأدلة على ذلك:

١- " [٣٢]سَمِعَ الْفَرِّيسِيُّونَ الْجَمْعَ يَتَنَاجَوْنَ بِهذَا مِنْ نَحْوِهِ، فَأَرْسَلَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ خُدَّامًا لِيُمْسِكُوهُ. [٣٣]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. [٣٤]سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا». يوحنا (٧/ ٣٢– ٣٤).

٢- وأكد ذلك مرة أخرى فقال: " [٢١]قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» [٢٢]فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟ ». [٢٣]فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. [٢٤]فَقُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ». [٢٥]فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ » فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضًا بِهِ. [٢٦]إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ». [٢٧]وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ الآبِ. [٢٨]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. [٢٩]وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ». " يوحنا (٨/ ٢١ – ٢٩).

إذن فقد أعلمهم عيسى أن الله سوف يتوفاه إليه أي يستخلصه وينقذه منهم ويرفعه إليه، أما الشخص الذي ستقبضون عليه، وتهينونه، فعندما ترفعونه على الصليب فسوف تفهمون أني أنا هو هذا الشخص المعلق: " مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. " وهو فهم خاطئ، لأني سأغلب العالم " وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ». " (يوحنا ١٦ / ٣٣)

فلن تتمكنوا مني، وهذه هي إرادة الله "[٢٩]وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ». (يوحنا ٨ / ٢٩).

واللغز المحير هو: هل المقصود بقوله " مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ" هو يسوع؟ الإجابة: لا، للأدلة الآتية:

١ - لو كان يقصد نفسه لما تكلم عن نفسه بصيغة الغائب.

٢- ثم إن قوله هذا الذي قاله هو نبوءة، بمعنى يجب أن تتحقق، فهل لو كان هو الذي علق على الصليب لكان إلهًا تافهًا كاذبًا، فقد تحدى اليهود وأخبرهم أنه سوف يغلبهم ويغلب العالم كله. فهل بعد كلامه هذا تغلبه شرذمة قليلة من اليهود؟

وأيضًا لا يمكن أن يكون رسولًا؛ لأن الرسول لا يخبر إلا الصدق ويتكلم بما يوحي إليه، فكيف يتحداهم رسول الله، بناء على تعليمات من الإله ثم يخدعه هذا الإله ويتركه يصلب؟

٣- كما أنها نبوءة في المقام الأول، ولابد أن تتحقق، وإلا كان نبيًّا كاذبًا وحاشاه، وعلى ذلك فإن الذي فهمه اليهود كان خطأ، وماتوا في خطيتهم وهم يؤمنون أنهم صلبوا رسول الله، ولو سلمتم أن يسوع هو ابن الإنسان هنا، لانتفت عنه صفة الألوهية لقول الكتاب إن الله ليس كمثله أحد قط.

" [١٩]لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ " (عدد ٢٣ / ١٩). " [٩]هَلْ تَقُولُ قَوْلًا أَمَامَ قَاتِلِكَ: أَنَا إِلهٌ؟ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ فِي يَدِ طَاعِنِكَ! " (حزقيال ٢٨ / ٩). " هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ

وَقُلْتَ: أَنَا إِلهٌ. فِي مَجْلِسِ الآلِهَةِ أَجْلِسُ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ. وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ، وَإِنْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ كَقَلْبِ الآلِهَةِ! " (حزقيال ٢٨ / ١ -٢).

ولقول الكتاب إن الله حي لا يموت " [٤٠]إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. " (تثنية ٣٢ / ٤٠).

وبهذا يكون عيسى قد تحدى اليهود بأنهم سيؤمنون أنه هو ابن الإنسان الذي سيكون معلقًا على الصليب، ويموتون على هذا الفهم وعلى هذه الخطية، خطية محاولتهم قتل رسول الله.

٤- لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها اليهود قتل عيسى عليه السلام فقد سبقها عدة محاولات، نجح عيسى عليه السلام من الافلات منهم، بما أعطاه الله من قدرة على التخفي، وهذه أمثلة:

١- أرادوا مرة أن يقذفوه من فوق الجبل فمكنه الله من تغيير هيئته وخرج من وسطهم ولم يعرفوه: " [٢٨]فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، [٢٩]فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةَ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. [٣٠]أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى. " (لوقا ٤ / ٢٨ – ٣٠).

٢- لم يعرفه اثنان من أتباعه وأحبائه "[١٥]وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. [١٦]وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. " (لوقا ٢٤ / ١٥ –١٦).

٣- بل لم يعرفه سبعة من تلاميذه وخاصته: " [١]بَعْدَ هذَا أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلاَمِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ. ظَهَرَ هكَذَا: [٢]كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ. [٣]قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لأَتَصَيَّدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئًا. [٤]وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلكِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. [٥]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟ ». أَجَابُوهُ: «لاَ! » [٦]فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقَوْا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ. [٧]فَقَالَ ذلِكَ التِّلْمِيذُ

الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ! ». فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ، اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ، لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ. " (يوحنا ٢١ / ١ – ٧).

٤- وكذلك لم يعرفه اليهود، الذين كانوا يسمعونه في المعبد في كل حين، ولو كان بإمكان اليهود القبض عليه والتعرف عليه لفعلوا، ولكن تغيير صورته وشكله وصوته أشكل عليهم الأمر، مما اضطرهم للجوء لأحد تلاميذه ليرشدهم عليه:

" ٣فَأَخَذَ يَهُوذَا الْجُنْدَ وَخُدَّامًا مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلاَحٍ. ٤فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ » ٥أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. ٧فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ » فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». ٨أَجَابَ يَسُوعُ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ». " (يوحنا ١٨ / ٣– ٨)

٥- كذلك أمسك عين مريم المجدلية أن تعرفه: " ١٤وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ١٥قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ » فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ». ١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي! » الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. " (يوحنا ٢٠ / ١٤ – ١٦).

٦- كذلك تحدى يسوع كل اليهود قائلا: " وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ " (يوحنا ١٦ / ٣٣).

فكيف يكون قد غلب العالم لو قبض عليه وقهر وصلب؟

٧- قضى الله أن يعلق الشرير بعمل يديه: " ١٦مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. " (مزامير ٩ / ١٦). " ٨تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ.

١٠تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ. ١١لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ. لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. " (مزامير ٢١ / ٨ – ١١).

الخلاصة: تحدى عيسى عليه السلام اليهود، وأعلمهم أنهم سيموتون في خطيتهم أي على فهمهم الخاطيء، وعلى محاولتهم قتل نبي الله، ولن يمكنهم الله منه.[1]

المطلب الثاني: كيف نجي المسيحُ من الصلب؟

إذا كانت الأدلة قد أثبتت أن المسيح قد نجا من عملية الصلب، فإن ثمة سؤالًا يطرح نفسه وهو: كيف نجا المسيح من عملية الصلب؟

ملخص ما ذكرته الأناجيل في ذلك ما يلي:

١) أن المسيح خرج إلى البستان برفقة تلاميذه، وأنه أخبرهم بأنه سيتعرض لمؤامرة من أحد التلاميذ مع اليهود الذين يريدون صلبه.

٢) أن المسيح دعا في تلك الليلة طويلًا، وبإلحاح كبير طالبًا من الله أن يصرف عنه كأس الموت.

٣) أن المسيح استسلم لقضاء الله وقدره، فقال: " وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ». " (متى ٢٦/ ٣٩) وقال: " فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ " (متى ٢٦/ ٤١).

٤) المسيح يصلي، والتلاميذ نيام، ويحاول إيقاظهم مرة بعد مرة.

٥) وصل يهوذا الأسخريوطي الخائن، ومعه الجند، يحملون مشاعل وسيوفًا وعصيًا، للقبض على المسيح، وقد جعل يهوذا علامة للجند أن يقبل المسيح.

٦) وصلت الجموع؛ فخرج إليهم المسيح، وقال: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري. فقال المسيح: " قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». . . ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ " (يوحنا ١٨/ ٥-٦).

٧) حاول بطرس الدفاع، لكنه كان أعجز من ذلك، فهرب وجميع التلاميذ.

---

(١) إعدام الإله بين المسيحية والوثنية، علاء أبو بكر (٥- ٩).

٨) اقتيد المأخوذ (وهو غير المسيح) للمحاكمة عند رئيس الكهنة، ثم بيلاطس، وبطرس يتابعه في بعض ذلك، وقد أنكره تلك الليلة ثلاث مرات.

٩) في المحاكمة سأل رئيس الكهنة، واستحلف المأخوذ إن كان هو المسيح، فأجابه: " ٦٤قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ»" (متى ٢٦/ ٦٤).

١٠) حكمت المحكمة على المأخوذ بالقتل، واقتيد إلى بلاط بيلاطس الذي سأله: إن كان هو ملك اليهود، فأجابه: " أنت تقول "، ثم لم يجبه بكلمة واحدة، حتى تعجب بيلاطس منه.

١١) لم يجد الوالي للمأخوذ علة في القبض عليه يستحق عليها القتل، فأراد أن يطلقه، لكن الجموع أصرت على صلبه، وإطلاق باراباس، فأعلن براءته من دم هذا البار، وأسلمه لهم.

١٢) اقتيد المأخوذ إلى موضع الصلب، وصلب بجوار لصين.

١٣) صرخ المصلوب على الصليب، فسقوه خلًا، ثم أسلم الروح.

ويفترق المسلمون عن الأناجيل في مسألة مهمة، وهي من هو المأخوذ من ساحة القبض على المسيح؟ فيراه المسلمون يهوذا الأسخريوطي، التلميذ الخائن، ويلزمنا إقامة الدليل على ذلك، إذ هي موضع النزاع، وقد كنا قد أقمنا الأدلة على ذلك من سفر المزامير. (انظر وجه الإبطال بنبؤات التوراة).

ولنتصور القول بأن يهوذا هو المأخوذ، وأنه حصل التباس عند آخذيه، فإنا نتصور الجموع الكثيرة والتي تقارب الألف وهي تسير، تحمل المشاعل والسيوف والعصي، وتتكون من جنود وغوغاء يتقدمهم يهوذا.

ولما وصل الجمع إلى المسيح كان التلاميذ نيامًا، وقد حاول المسيح إيقاظهم مرارًا فلم يستطع، برغم أن الموقف كان صعبًا، فقد كانت عيونهم ثقيلة، واقتربت الجموع من المسيح يتقدمهم يهوذا، والتلاميذ نيام "٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. " (يوحنا ١٨/ ٦).

وهنا نتوقف مليًا، لنقرأ ما غفلت عن ذكره السطور.

فما فائدة سقوطهم على الأرض؟ وما الذي أسقطهم؟ وماذا أفاد المسيحَ سقوطهم، إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها؛ وَلم لَمْ يتكرر السقوط عندما أرادوا أخذه بعدها؟

ولنحاول أكثر أن نتصور ما حدث في تلك اللحظة، فقد اقترب يهوذا لتقبيل المسيح كعلامة للجند على أنه المطلوب، وفي تلك اللحظة اقترب الجند، حملة المشاعل والسيوف للقبض على المسيح، فتدخلت قدرة الله العظيم - كما ذكر يوحنا-، فسقطوا على الأرض، بعد أن رجعوا للوراء.

ولك أن تتخيل ما حصل، من هرج، وتدافع، من جراء سقوط مقدمة هذه الجموع التي تحمل المشاعل، والتي هي فقط تنير لها ظلمة الليل البهيم.

بعد ذلك الاضطراب والفوضى قام الساقطون من الأرض، وأفاقوا من ذهولهم لما حصل لهم، ورأوا يهوذا وحده مبهوتًا أصابه الذهول، وقد رأى المسيح يرفع للسماء، وقد ألقى الله عليه الكثير من شبه المسيح، ولكن من سيتوقع أن هذا المذهول هو يهوذا، ومن الذي يعرفه وقتذاك؟

فكانت لحظةُ وقوع الجند: لحظة الخلاص كما وصفتها المزامير " [٦]اَلآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ " (المزمور ٢٠/ ٨)، وفي مزمور آخر: " وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ. قَامُوا وَخَزُوا " (المزمور ١٠٩/ ٢٨)، وفي مزمور آخر يسجل تلك اللحظة الخالدة: " [٩]حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ " (المزمور ٥٦/ ٩)، و " لِيَرْتَدَّ إِلَى خَلْفٍ وَيَخْجَلِ الْمُشْتَهُونَ لِي شَرًّا. " (المزمور ٧٠/ ٢)، و" [٢]عِنْدَ مَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا. " (المزمور ٢٧/ ٢)، " [١٤]لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي. " (المزمور ٤٠/ ١٤-١٥) وغيرها.

بعدها حُمل يهوذا إلى المحاكمة وإلى ديوان بيلاطس، والشك في حقيقة شخصه يلاحقه في كل هذه الخطوات، فقد شك فيه رئيس الكهنة، وكانت إجاباته لبيلاطس وهيرودس تنبيء عن الذهول الذي أصابه، وعن عجزه عن بيان الحقيقة، التي لن يُقنع أحدًا إن ذكرها، فكان يجيبهم: " أَنْتَ تَقُولُ " (متى ٢٧/ ١١)، " [١]وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ

الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ [٦٧]قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَقُلْ لَنَا!». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ، [٦٨]وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِي وَلاَ تُطْلِقُونَنِي. [٦٩]مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ». [٧٠]فَقَالَ الْجَمِيعُ: «أَفَأَنْتَ ابْنُ اللهِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ». " (لوقا ٢٢/ ٦٦ - ٧٠).

ولا يفسر هذه الإجابات الغريبة، بل وتلك الأسئلة الغريبة من أناس كانوا يرون المسيح في كل يوم، لا يفسره إلا أن نقول بأن المأخوذ هو غير المسيح، وإن أشبهه، وهذا الشبه حير رؤساء الكهنة في حقيقة المأخوذ، فحاولوا استجلاء الحقيقة بسؤال المأخوذ، فلم ينكر ولم يثبت.

وأما يهوذا فقد عرف أن لا فائدة من إنكاره، إذ لن يصدقه أحد، ولربما ولفرط ندمه قد استسلم لرداه، ورضي بعقوبة الله له، أن يصلب عن المسيح، لعله بذلك أن يفديه، لذلك تكرر سكوته.

وهذا الموقف ليس بعيدًا عمن ذكرت الأناجيل أنه لفرط ندمه خنق نفسه، وانتحر.

لقد تحققت فيه نبوءات المزامير "[٧]إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِبًا، وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً. [٨]لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ. " (المزمور ١٠٩/ ٧- ٨)، لقد أتى ليخطف المسيح، فلم يستطع. . " رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ " (المزمور ٦٩/ ٤).

وقد يشكل هنا أن متى ذكر في إنجيله أن يهوذا مات مخنوقًا (انظر متى ٢٧/ ٢ - ٥)، ويكفي في دفعه أن نتذكر ما ذكره سفر أعمال الرسل عن موته حين سقوطه وخروج أحشائه. (انظر أعمال ١/ ١٦ - ٢٠)، وسبب وقوع الإنجيليين في هذا التناقض اختفاء يهوذا، فاخترع كل من متى ولوقا نهاية ليهوذا تليق بجريمته، فهذا التناقض بين الروايتين الإنجيليتين، مشعر بوجود نهاية حقيقية، خفيت على الكاتبين، ودفعتهما لاختلاق روايتيهما.

الباب الرابع: دعوى قيامة المسيح من أجل الخلاص والرد عليها.

الفصل الأول: أقوالهم في إثبات القيامة والرد عليها، وينقسم إلى:

المبحث الأول: أقوالهم في إثبات القيامة:

يدعي النصارى أن المسيح عليه السلام صلب ومات ثم بعد ذلك قام من القبر بعد ثلاثة أيام حيث ظهر لتلاميذه. وهاهي أقوالهم في ذلك:

يقول حبيب جرجس: " بعدما دفن السيد المسيح ومكث في القبر ثلاثة أيام عادت نفسه الطاهرة ونهض بقوة لاهوته قائما من القبر في يوم الأحد باكرًا. . . وظهر بعد قيامته لتلاميذه. [١]

والاعتقاد بقيامة المسيح ركيزة أساسية من العقيدة النصرانية – حتى إنه بدون قيامة لا تكون المسيحية سوى وهم لا جدوى منه. "[٢]

ويقول باركلي: " ويجب ألا ننسى أنه بدون قيامة لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق. "[٣]

وهذه العقيدة – في نظر المسيحيين – هي المنطلق الأساسي الذي بُني عليه الإيمان المسيحي كله فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالقيامة. [٤]

ويقول بولس: " ١٤وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ " (كورنثوس الأولى ١٤).

يقول بولس إلياس اليسوعي " يظهر بولس بهذه العبارة أهمية القيامة بالنسبة للدين المسيحي، لو لم يقم المسيح من بين الأموات لكان إيمان المسيحيين باطلًا. "[٥]

يقول كلايد تارنر: " إن مسيحا ميتا لا يمكن أن يكون مخلصًا، فقيامة المسيح أكدت أن الله قد قبل عمله الكفاري على الصليب. "[٦]

ويقول بولس " ٢٥الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا. "

ويقول د/ فهيم عزيز: " إن قيامة المسيح كانت ركنًا أساسيًا في هذا العمل العظيم. "[٧]

وذلك لأن المسيح بقيامته – في نظرهم – أظهر انتصاره على الموت الذي هو أجرة الخطية.

---

(١) خلاصة الأصول الإيمانية (٤٨ – ٤٩).

(٢) سر الفداء، باسيليوس (٣٠).

(٣) تفسير أعمال الرسل (٤٧).

(٤) القيامة والصعود (٤٢).

(٥) يسوع المسيح (١٤٨).

(٦) هذه عقائدنا (٩٢).

(٧) المدخل إلى العهد الجديد (٨٩).

يقول اسبيروجبور: " ففي آدم مات الجميع بآدم حيث انتقل الموت إلى الجميع، أما في المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت إلى الحياة. "(١)

ويقول أفلاطون مطران موسكو: " وقد أظهر يسوع بقيامته أنه غلب الموت، وكيف كان ممكنا أن ينضبط الموت المتسلط على الحياة. "(٢)

يقول دوم كولومبا مرميون: " فالمسيح بقيامته أباد الخطيئة التي سببت الموت لآدم ونسله، ذلك أن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذي سببته الخطية، وعليه فإن القيامة أعادت الحياة الجديدة للإنسان التي لا سلطان للموت عليها. "(٣)

المبحث الثاني: الرد على هذه الأقوال من وجوه:

الوجه الأول: إذا كان المسيح قد مات فمن الذي أحياه؟

فإن قالوا: نفسه، قلنا: وهو حي أو ميت؟

فإن قالوا وهو حي لزمهم تحصيل الحاصل، وإن قالوا وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتًا، بل أقل أحواله أن يكون عالمًا بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحي محال، وإن قالوا أحياه غيره وهو الذي أماته. قلنا: فذلك الغير الذي تولى موته وإحيائه أحي أم ميت؟ فإن قالوا ميت كان ذلك محالا إذ الميت لا يحيي ولا يميت، وإن قالوا كان حيا قادرا أمات المسيح ثم أحياه قلنا فقد اعترفتم أن المسيح عبد من العبيد تجري عليه الأحكام من الأموات والأحياء وفي هذا بطلان شريعة إيمانكم. "(٤)

الوجه الثاني: من كان يحكم الكون أيام موت المسيح ؟

هم يقولون إن المسيح الابن – الأقنوم الثاني -هو الذي يمثل العلم أو النطق للذات الإلهية، وهنا نتسائل: هل كان الله في هذه الأيام الذي مات ودفن فيها جاهلًا بدون علم؟

---

(١) سر التدبير الإلهي (التجسد ص ١٦٨).

(٢) الخلاصة الشهية (١٠٠).

(٣) المسيح حياة النفس (١٩٤).

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة (١٩٩)، المنتخب الجليل (١١٥). وانظر تفصيل ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب.

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

هل كان الله في هذه الأيام أخرسًا بدون نطق! ! تنزه وتعالى سبحانه وتعالى عن ذلك.

هم يقولون أيضًا إنه الله وهنا أيضًا نتسائل – كما يقول ابن القيم – " أخبرونا من كان المسك للسماوات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطًا على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم فهل بقيت السموات والأرض خلوا من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟ أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه. . . "(١)

الوجه الثالث: تناقض روايات الصلب تبطل معتقدهم.

وأيضًا إن روايات القيامة متناقضة فيما بينها تناقضًا عظيمًا – كما سبق –.

يقول شارل جنيبير: " إن روايات الإنجيل التي وصلت إلينا والتي تتعلق بقيامة المسيح لتبدو للمؤرخ الناقد نوعًا من الانشاءات التي لا تنسجم عناصرها، قد بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة ".(٢)

وقد وضحنا ذلك بالأدلة في الفصول السابقة.

الفصل الثاني: تناقضات روايات قصة القيامة.

وتتحدث الأناجيل الأربع عن قيامة المسيح بعد دفنه، وتمتلئ قصص القيامة في الأناجيل بالمتناقضات التي تجعل من هذه القصة أضعف قصص الأناجيل.

١-الخلاف في رؤية المسيح بعد ذلك يقول متى (٢٨): إن ملكًا لاقى امرأتين وأخبرهما أن المسيح قام من الأموات: "فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. ٩وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. ١٠فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ

---

(١) هداية الحيارى، ابن القيم (١٤٨).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها (٤٩) وانظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٦٥ – ٥٦٦).

لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي». "

ويقول لوقا: إن ملكين قابلا النساء، وذاكرهن بقول المسيح أنه سيقوم فرجعن من القبر وأخبرن التلاميذ فلم يصدقوهن، وحسب هذه الرواية لم يقابلن المسيح مطلقًا.

ويختلف يوحنا في الرواية كذلك، فيقول: إن المرأة قابلت المسيح أثناء وجودها مع الملكين عند القبر، وأنه قال لها: " وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ». "

٢-من ذهب إلى القبر ؟ وماذا حدث وقتئذ ؟ ومتى كان ذلك؟

يقول متى (٢٨ / ١) " ١وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. ٢وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. ".

ويقول مرقس (١٦ / ١) " ١وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ. ٢وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. ٣وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ » ٤فَتَطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا. ٥وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. "

ويقول لوقا (٢٤ / ١) " ١ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. ٢فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ، ٣فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. ٤وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذلِكَ، إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. "

فتأمل الاختلاف والتناقض الغريب في الحالة الواحدة:

١- يقول الأول: من ذهب إلى القبر هما مريم المجدلية ومريم الأخرى.

ويقول الثاني: إنهن ثلاثة لا اثنتان والثالثة هي سالومة.

ويقول لوقا (٢٣ / ٥٥): إنهن نساء عديدات ولم يعينهن، وذكر أن معهن أناس.

٢- يقول الأول: حين أتيتا إلى القبر حدثت زلزلة عظيمة، والآخران يظهر من كلاهما

واضحا، أنه لم تحدث أية زلزلة.

٣- يقول الأول: إنهما حين جاءتا إلى القبر، نزل ملاك الرب أمامهما ودحرج الحجر وجلس عليه.

ويقول الثاني: إنهن وجدن الحجر موضوعا على القبر فقلن لأنفسهن من يدحرج الحجر فرأين الحجر قد دحرج.

ويقول الثالث: إنهن أقبلن على القبر فوجدن الحجر مدحرجا من قبل.

٤ - يقول الأول: إن ملاك الرب جلس على الحجر.

ويقول الثاني: إنه كان جالسا في القبر على اليمين.

ويقول الثالث: إنهن لقين رجلين في القبر بثياب براقة.

٥ - يقول مرقس: إن مريم ومريم وسالومة ذهبن إلى القبر إذ طلعت الشمس.

ويقول يوحنا: إنه لم تكن إلا امرأة واحدة هي مريم المجدلية وقد أتت " الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. " (يوحنا ٢٠ / ١).

وأيضًا يخالفهم يوحنا مخالفات كبيرة: " ١وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ. ٢فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ، وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». ١١أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، ١٢فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا. ١٣فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» (يوحنا ٢٠).

فأي تناقض بعد هذا ؟! ثم يزعم النصارى أن هذا هو كلمة الله، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/ ٧٩).

٣ - متى أتت الزائرات إلى القبر؟

تتحدث الأناجيل عن زائراتٍ للقبر في يوم الأحد، ويجعله مرقس بعد طلوع الشمس، فيقول: "[٢]وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. [٣]وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ »" (مرقس ١٦/ ٢-٣).

لكن لوقا ومتّى يجعلون الزيارة عند الفجر، وينصُّ يوحنا على أن الظلام باقٍ، يقول يوحنا: "[١]وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ. " (يوحنا ٢٠/ ١)، (انظر: متى ٢٨/ ١، لوقا ٢٤/ ١).

ولنقرأ محاولة الأب متى المسكين في الجمع بين الفجر وطلوع الشمس، فقد قال: "فالاختلاف ناتج أن النسوة قمن باكرًا جدًا والظلام باق، وأتين إلى الباب، باب غربي المدينة، وانتظرن هناك إلى أن فتحوا الباب الذي لا يفتح إلا في شروق الشمس، وهكذا بين أن قمن ووصلن في الفجر عند الباب وخرجن والشمس قد طلعت؛ كانت المفارقة". [(١)]

ولا ريب أن القارئ يدرك أن أحدًا من الإنجيليين ولا المؤرخين يدري عما يكتبه الأب المسكين عن باب المدينة المغلق، كما يدرك أن تفسير الأب للقصة يكذب ما قاله يوحنا الذي يقول: " جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. "، لقد وصلت المجدلية إلى القبر والظلام باق، وليس إلى باب المدينة الغربي الذي لا يفتح إلا بعد شروق الشمس!

٤- من زار القبر؟

أما الزائرات والزوار، فهم حسب يوحنا مريم المجدلية وحدها كما في النص السابق " جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا " (يوحنا ٢٠/ ١ - ٣).

وأضاف متى مريمَ أخرى أبهمها " جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. " (متى ٢٨/ ١).

لكن مرقس يخبر قراءه أن الزائرات هن مريم المجدلية وأم يعقوب وسالومة، فيقول: " اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ. " (مرقس ١٦/ ١).

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) الأب متى المسكين (٨٣٠).

وأما لوقا فيخبر أن القادمات للزيارة كن نساء كثيرات ومعهن أناس، يقول لوقا: " ٥٥وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ. ٥٦فَرَجَعْنَ وَأَعْدَدْنَ حَنُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ. "، " ١ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. ٢فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ " (لوقا ٢٣/ ٥٥ - ٢٤/ ١ - ٢). وهذا كله إنما كان في زيارة واحدة.

٥- متى دحرج الحجر؟

ثم هل وجد الزوار الحجر الذي يسد القبر مدحرجًا أم دُحرج وقت الزيارة؟

يقول متى: "٢وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. " (متى ٢٨/ ٢)، فيفهم منه أن الدحرجة حصلت وقتذاك.

بينما يذكر الثلاثة أن الزائرات وجدن الحجر مدحرجًا، يقول لوقا: " أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. ٢فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ" (لوقا ٢٤/ ٢) (وانظر: مرقس ١٦/ ٤، يوحنا ٢٠/ ١).

٦- ماذا رأت الزائرات؟

وقد شاهدت الزائرات في القبر شابًا جالسًا عن اليمين، لابسًا حُلة بيضاء حسب مرقس (انظر: مرقس ١٦/ ٥)، ومتّى جعل الشاب ملاكًا نزل من السماء. (انظر: متى ٢٨/ ٢)، ولوقا جعلهما رجلين بثياب براقة. (انظر: لوقا ٢٤/ ٤).

وأما يوحنا فقد جعلهما ملكين بثياب بيضٍ، أحدهما عند الرأس، والآخر عند الرجلين. (انظر يوحنا ٢٠/ ١٢).

٧- أين لقيت المجدلية المسيح؟ ومن الذي بشرها بقيامة المسيح؟

لقد كانت زائرات القبر أول من رأين المسيح، فأين حصل هذا اللقاء.

يجيب يوحنا بأنه كان داخل قبر المسيح، حين كانت المجدلية (وهي الزائرة الوحيدة

حسب يوحنا) تتحدث إلى الملائكة، " ١٣فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ » قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ! ». ١٤وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ١٥قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ » فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ». ١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي! » الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. " (يوحنا ٢٠/ ١٣-١٦)، ونلحظ هنا أنها اكتشفت أن المسيح مازال حيًا من غير إخبار الملائكة لها، فقد رأته وتعرفت عليه بعد برهة من حديثه معها.

وأما إجابة متى عن السؤال فهي مختلفة، فإنه يرى أن المجدلية وصاحبتها قد لقيتاه خارج القبر، بل بعيدًا عنه، فقد قال لهما الملاك مبشرًا بنجاة المسيح: ": «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. ٦لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. ٧وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا». ٨فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. ٩وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. ١٠فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لاَ تَخَافَا. اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي». " (متى ٢٨/ ٥-١٠).

وهكذا فحسب متى كان اللقاء بعيدًا عن القبر، وكانت البشارة بقيامته من قبل الملائكة، لا المسيح نفسه، ليتجدد السؤال: أي الإنجيلين أصاب كبد الحقيقة وأيهما أخطأها؟ وهل يمكن أن يكون مصدر ذا وذاك الله؟

٨- هل أسرت الزائرات الخبر أم أشاعته؟

ويتناقض مرقس مع لوقا في مسألة: هل أخبرت النساء أحدًا بما رأين أم لا؟ فمرقس يقول: " وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئًا لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ. " (مرقس ١٦/ ٨)، ولوقا يقول: " ٩وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ الأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بِهذَا كُلِّهِ. " (لوقا ٢٤/ ٩).

٩- لمن ظهر المسيح أول مرة؟

وتختلف الأناجيل مرة أخرى في عدد مرات ظهور المسيح لتلاميذه، وفيمن لقيه المسيح في أول ظهور؟ فمرقس ويوحنا يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية. (انظر: مرقس ١٦/ ٩، يوحنا ٢٠/ ١٤). ويضيف متى: مريم الأخرى. (انظر: متى ٢٨/ ٩).

بينما يعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس (انظر: لوقا ٢٤/ ١٣).

١٠- كم مرة ظهر المسيح؟ وأين؟

ويجعل يوحنا ظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات. (يوحنا ٢٠/ ١٩، ٢٦) بينما يذكر الثلاثة للمسيح ظهورًا واحدًا (انظر: متى ٢٨/ ١٦، مرقس ١٦/ ١٤، لوقا ٢٤/ ٣٦).

ويجزم لوقا المتتبع لكل شيء بتدقيق أن المسيح ظهر للتلاميذ مرة واحدة، وقد رُفع في نهاية هذه المقابلة، فيقول: " وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» [٣٧]فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. . . [٥٠]وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجًا إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. [٥١]وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. " (لوقا ٢٤/ ٣٦ - ٥١).

وهذا اللقاء الأول والأخير بين المعلم وتلاميذه يرى لوقا أنه قد تم في أورشليم، فيقول: " وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ [٣٤]وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ!» [٣٥]وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ. [٣٦]وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!»" (لوقا ٢٤/ ٣٣ - ٣٦).

بينما يقول صاحباه (متى ومرقس) بأن ذلك كان في الجليل "[١٦]وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. [١٧]وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، " (متى ٢٨/ ١٦- ١٧)، (وانظر مرقس ١٦/ ٧)، فهل كان لقاؤهم الأول مع المسيح في الجليل أم في أورشليم؟

١١- هل حضر توما اللقاء الأول مع المسيح؟

وعند غض الطرف عن عدد ظهورات المسيح للتلاميذ فإنا نتساءل عن الحضور الذين رأوا المسيح في اللقاء الأول حيث كان التلاميذ مجتمعين في أورشليم أو الجليل، هل كانوا جميعًا موجودين أم أن أحدهم وهو توما الشكاك كان غائبًا عن هذا اللقاء؟

متّى يرى أن التلاميذ الاثني عشر كانوا موجودين خلا يهوذا الخائن، فيقول: "[١٦]وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. [١٧]وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا. " (متى ٢٨/ ١٦-١٧)، يفهم منه أن توما كان أحد أولئك الساجدين حينذاك، ولعله هو من عناه متى حين قال: " وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا".

لكن يوحنا يجزم بغياب توما عن اللقاء الأول، ويقول: "[٢٤]أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. [٢٥]فَقَالَ لَهُ التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». " (يوحنا ٢٠/ ٢٤-٢٥)، والحديث بالطبع عن اللقاء الأول، وقد لقيه بعد ذلك بثمانية أيام، وشكّ في شخص من يراه، وأراه المسيح يديه ورجليه كما قال يوحنا. (انظر يوحنا ٢٠/ ٢٦-٢٧).

لكن العجب كل العجب فيما أضافه بولس في اللقاء الأول، لقد أضاف ضيفًا غريبًا ثقيلًا، وهو يهوذا الأسخريوطي، التلميذ الخائن الهالك، فقد قال: " [٤]وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، [٥]وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. " (كورنثوس (١) ١٥/ ٤- ٥)، إنه تناقض صارخ آخر من تناقضات هذه الرواية التي تعتبر بحق أضعف أجزاء العهد الجديد.

١٢- كم بقي المسيح في الأرض قبل رفعه؟

ونشير أخيرًا إلى تناقض كبير وقعت فيه الأناجيل، وهي تتحدث عن ظهور المسيح، ألا وهو مقدار المدة التي قضاها المسيح قبل رفعه.

ويفهم من متى ومرقس أن صعوده كان في يوم القيامة (انظر: متى ٢٨/ ٨ - ٢٠، مرقس ١٦/ ٩ - ١٩، ولوقا ٢٤/ ١ - ٥٣).

بيد أن مؤلف أعمال الرسل - والمفترض أنه لوقا - جعل صعود المسيح للسماء بعد

أربعين يومًا من القيامة. (انظر: أعمال ١/ ١٣).

وبهذه التناقضات وغيرها سقطت شهادة الشهود في هذه المسألة، وصح لأي محكمة أن تعتبرهم شهود زور، وهل يُعرف شهود الزور إلا بمثل هذه التناقضات، أو أقل منها؟ ، أما الأب متى المسكين فأعياه أن يواجه تناقضات قصة القيامة، فبدلًا عنه رأى أن يقدم "رجاء وتوعية لكل قارئ أن لا يعثر من الاختلافات الواضحة في قصة القيامة، لأن الذي يتحدث عن القيامة إنما يتحدث عن أمور ليست تحت ضبط العقل والفكر والحواس والتمييز البصري. . فكل ما يخص القيامة لا يدخل تحت النقد أو الفحص أو التحقيق والإيضاح". [1]

فهل القارئ الكريم ممن يلتمس العذر لكتاب الأناجيل فيما عثروا به في قصة القيامة؟

أم يعتبرها دليلًا آخر على كذب الشهود وسقوط شهاداتهم المتخالفة عن الشهادة في مثل هذه القضية العظيمة؟ [2]

"وملاك القول أن ثمة تناقضًا كثيرًا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطًا تاريخية مشكوكًا في صحتها، وكثيرًا من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يُروى عن آلهة الوثنيين، وكثيرًا من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس من طقوسها. . . ، ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح". [3]

الفصل الثالث: من الذي أقامه من الأموات؟

يقول بولس مجددًا: " ١٤وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح)، الأب متى المسكين (٨٣٢).

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (١٤٤: ١٧٩)، المسيح والتثليث، محمد وصفي (١٦٠: ١٦٤) هل افتدانا المسيح على الصليب؟، منقذ السقار (٩- ٢٠).

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت (١١ / ٢١٠) بتصرف يسير.

" (كورنثوس الأولى ١٥ / ١٤)، فهل هو الذي أقام نفسه؟ لا، فإن الذي أقامه هو الله، ومعنى ذلك أنه كان هناك أحد الثالوث ميتًا والآخر حيًا. وهذا دليل يضاف إلى ما سبق على أن يسوع ليس متحدا مع الآب ولا الروح القدس. ومعنى ذلك أيضًا أنه لا يوجد داع مطلقًا لأن يتجسد الإله ليهان وتراق كرامته على مذبح اليهود، ويفقد قداسته بين أيديهم، ليغفر للبشرية خطيئة لم يرتكبوها.

وسنذكر بعون الله تعالى الأدلة على أن يسوع لم يقم من الأموات، ولكن الله الذي يحيي ويميت هو الذي أقامه، وساعتها يبطل إيمانكم بنص كتابكم، وتبطل كرازتكم، وتقام عليكم الحجة في عدم اتحاد الخالق بالمخلوق والمحيي والمميت بالميت.

١- ورد في سفر أعمال الرسل (٢ / ٢٤) " ٢٤اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ. "

٢- ورد أيضا في أعمال الرسل (٢ / ٣٢) " ٣٢فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ. "

٣- وورد أيضًا في اعمال الرسل (٣ / ١٥): " ١٥وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ. "

٤- وورد أيضًا في أعمال الرسل (٣ / ٢٦): " ٢٦إِلَيْكُمْ أَوَّلًا، إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ». "

والغريب حقا أن المترجم غير كلمة " عبده: إلى " فتاه "، فقد جاءت في الكثير من التراجم كلمة عبده:

Act ٣: ٢٦ To you, first , God sent his servant. blessing you by turning every one of you from his sins. (BBE)

Unto you first God, having raised up his servant. sent him to bless you, in turning away every one of you from your iniquities> (ASV)

Euch zuerst hat gott, al ser seinen Knecht erweckte. ihn gesandt, euch zu segnen, indem er einen jeden von euren Bosheiten abwendet (GEB)

Euch zuvorderst hat gott auferweckt seinen knecht gesus und hat ihn zu euch ges andt, auch zu segnen, daB ein jeglicher sich bekehre von seiner bosheit. (GLB)

وانظر إلى هذه الترجمة يتضح لك تحريف المترجم ليتناسب ما يكتبه وإيمان طائفته، فقد حذف المترجم كلمة (إذ أقام الله عبده يسوع):

God sent his choosen son to you first, because God wanted to bless you and make each one of turn away from your sins. (CEV)

والسبب في هذا التغيير هو أن عيسى ﷺ قال ما معناه: إن العبد لا يمكن أن يكون أعظم من سيده، ولا الرسول أعظم من مرسله، أي أنه بذلك ينفي الاتحاد المزعوم بينه وبين الله "١٦اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. " (يوحنا ١٣ / ١٦).

فهو بذلك يقر بأن الله أعظم منه، فهو رسوله إلى بني إسرائيل، ويستحيل أن يتحد الإله القدوس بالعبد الذليل: " ٢٨سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. " (يوحنا ١٤ / ٢٨).

٥- ورد أيضًا في أعمال الرسل ٤ / ١٠ : " فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِذَاكَ وَقَفَ هذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحًا. "

٦- وفي أعمال الرسل ٥ / ٣٠: " ٣٠إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. "

٧- وفي أعمال الرسل (١٠ / ٤٠): " ٤٠هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا ".

٨- وفي أعمال الرسل (١٣ / ٣٠): "٣٠وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. ".

٩- وفي أعمال الرسل (١٣ / ٣٣ – ٣٧): " ٣٣إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ. . . ٣٤إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. . . ٣٧وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَادًا ".

١٠ – وفي أعمال الرسل (١٧ / ٣١): "٣١لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ

الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ». "

١١ - ورد في سفر رومية (٤ / ٢٤): " ٢٤بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. ".

١٢ - وفي سفر رومية أيضًا (٨ / ١١): " ١١وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ. ".

١٣ - وفي سفر رومية ١٠ / ٩: " ٩لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. "

١٤ - وفي غلاطية (١ / ١): " ١بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ".

١٥ - وفي أفسس (١ / ٢٠): " ٢٠الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ".

١٦ - وفي كولوسي (٢ / ١٢): " ١٢مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. "

١٧ - وفي تسالونيكي الأولى (١ / ١٠): " ١٠وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي. "

١٨ - وفي بطرس الأولى ١ / ٢١): " ٢١أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ. "(١)

وأخيرًا: ما السبيل إلى النجاة؟

لقد أوضح لهم عيسى عليه السلام كيفية دخول الجنة، وتأمل هذه النصوص:

١ - ورد في يوحنا ١٧ / ٣: " ٣وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ

---

(١) وانظر: إعدام الإله بين المسيحية والوثنية، علاء أبو بكر (٢١ - ٢٤).

وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. "

٢- وورد في متى (٥ / ١٦): " ١٦فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. "

٣- وورد في متى ٥ / ٢٠: " ٢٠فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. ".

٤- وورد في متى ١٩ / ١٦ - ١٧: " ١٦وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ » ١٧فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». "

الوجه الثالث: بيان بطلان عقيدة الصلب والفداء عند النصارى فيما يُكفِّر به الذنب عقلًا ومنطقًا.

الفصل الأول: لماذا كل هذا التضخيم لذنب آدم؟.

النصارى يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب وأنه كانت الذرية في حبس إبليس فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى[1].

وأن آدم لما تخطى ما أُمر به وزلّ استحقّ العقاب، فلما توجه عليه العتاب أشفق من ذنبه وتقطع أسفًا على مخالفة ربّه، فرحمه الله ولطف له وفداه بابنه المسيح، فكان كلّ ما نزل بالمسيح من ضربٍ وإذلالٍ وصلبٍ وموتٍ إنما هو فداء وقضاء عن آدم، فضرب عوضًا من رفاهية آدم، ومات بدلًا عن موت المعصية الذي كان آدم يتوقعه[2].

فمن تمام رحمته بالناس أنه رضي بإراقة دمه ليرفع عنهم وزر خطيئة آدم على خشبة الصليب، فمكّن اليهود أعداءه من نفسه ليتم سخطه عليهم فأخذوه وصلبوه، لأنه لم يكن

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ١/ ٢١٣.

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٨٠.

في الحكمة الأزلية أن لا ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذي ظلمه واستهان بقدره، لم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد فأراد الله أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله فصُلب ابن الله ﷺ الذي هو الله في تمام الساعة التاسعة من يوم الجمعة صلبه اليهود الملاعين(١).

ومن رحمته بعباده جسد كلمته وهو ابنه الأزلي تجسدًا ظاهرًا، ورضي بموته على الصليب وهو غير مستحق لذلك لكي يكون ذلك فداءً عن الخطية الأولى، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بهذا الفداء سوى ابن الله وابن الإنسان منا، وكان ذلك الابن وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء أرسل الله إليها ملاكه جبريل وبشرها بأن المسيح مخلِّص الدنيا يولد منها، وأن الروح القدس يحل فيها، فتلد الكلمة الأزلية وتصير والدة الإله.

فلهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله وبين عدله ورحمته، إذ إن مقتضى العدالة أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسيط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب.(٢)

وجواب ذلك من وجوه

الوجه الأول: أبأكلة من شجرة يغضب الرب، ويحكم بالموت الأبدي على آدم وذريته؟

فالنصارى يعتقدون أن سبب خطيئة آدم عليه السلام أبي البشر أكلة من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة، وعلى هذا الأساس قامت نظرية (عقيدة) الصلب والفداء والتي تعني صلب المسيح عليه السلام (ابن الله كما يعتقدون) نيابةً عن الجنس البشري وفداءً لهم وهذا ما يعبِّر عنه النصارى بالخلاص(٣).

الوجه الثاني: كل هذا التصوير الظالم لحال آدم لكي يصبح لصلب المسيح مبررًا.

وكل هذا التصوير الظالم لحال آدم وذريته اللعنة المؤبدة الموروثة لماذا؟ لكي يصبح فداء

---

(١) بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي (٧٧)، وانظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٨٠.

(٢) محاضرات في النصرانية (١٠٧).

(٣) الميزان في مقارنة الأديان (١٥٥).

المسيح – صلبه –مبَرَّرًا[١].

ومن المعلوم أن الديانة النصرانية بجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها، فهذه الفكرة هي الأساس الأول والأخير الذي قامت عليه كل عقائد النصارى، فعلى أساسها جعلوا عيسى ابنًا وجعلوه إلهًا وجسدوا الإله وجعلوه مصلوبًا[٢].

الوجه الثالث: أليس من العدل أن تتناسب العقوبة مع الذنب؟

من المسلَّم به في جميع الشرائع العادلة أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل تتناسب العقوبة بصلب المسيح (كما يزعمون) مع خطيئة آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة، إن كل خطيئة آدم التي أحال عليها النصارى عملية قتل المسيح وصلبه لا تعدو أن تكون أكلًا من شجرة نُهي عنها، وثبت بنصوص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كافٍ، فالحرمان من الجنة والخروج منها إلى الكدح والتعب في الدنيا عقاب ليس بالهين[٣].

لكن النصارى يمنعون أن يعفو الله عن آدم وأبنائه، ويصرون أن لابد من العقوبة المستحقة لهم، لكنهم قد نالوها بالفعل، فما بال الخطيئة تتوارث وعقوبتها في أبنائهم.

الوجه الرابع: ألا يُعد تكرار العقوبة على العاصي ظلمًا؟

أليس تكرار العقوبة للعاصي صورة من صور الظلم الذي يتنزه عنه الله! ، وقد ذكر في سفر التكوين (٣/ ١٧): " ملعونة الأرض بسببك، وبالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ".

الوجه الخامس: إذا كان ذنب آدم احتاج لتجسد الإله والصلب، فما بال معاصي بني آدم الكثيرة؟

وليس ثمة تناسبًا بين الذنب والعقوبة، ونلحظ في العقوبة شدة متمثلة في لعن الأرض كلها والأتعاب الطويلة للرجال والنساء، ونلحظ أن ليس ثمة تناسبًا بين الذنب والعقوبة، فقد كان يكفيهم الإخراج من الجنة[٤].

إذا كان خطأ آدم قد احتاج لتجسد إله وصلبه من أجل أن يُغفر، فكم تحتاج معاصي

---

(١) ما هي حتمية كفارة المسيح؟ (٢٢).

(٢) مشكلات في العقيدة النصرانية (١٤٤).

(٣) الميزان في مقارنة الأديان لعزت طهطاوي (١٥٨).

(٤) هل افتدانا المسيح ؟ لمنقذ سقار (١٦٢ : ١٦١).

بنيه من آلهة تصلب، إن جريمة قتل المسيح التي يدعيها النصارى أعظم وأكبر من معصية آدم، وأعظم منها ما نسبه القوم إلى أنبيائهم من القبائح التي لا تصدر إلا من حثالة البشر، وإن كان خطأ آدم في أكله من شجرة الإله قد ورث أبناءه الخطيئة الكبرى التي لن يغفرها الرب الإله إلا بقتل ابنه الوحيد، فكم تكون خطيئة بني آدم لقتلهم ابن الإله، إنها لا تُقارن بخطيئة أبيهم آدم، أي الخطيئتين أعظم؟، وأي المعصيتين أفدح عند الإله؟، وإن الرضا عن جريمة قتل ابن الإله التي يدعيها النصارى أعظم وأكبر من معصية آدم[١].

الفصل الثاني: أليس في وقوع آدم عليه السلام في الذنب حكمة بليغة؟

وفيه وجوه:

الوجه الأول: أليس قد قضى الله بأن يكون آدم خليفته في الأرض، وأخبر بذلك ملائكته قبل خلق آدم؟

خلق الله آدم وقد علم سبحانه أنه خلقه ليجعله خليفة في الأرض ويستخلف أولاده واقتضت حكمته سبحانه أن يبتلي الأبوين لتمام سعادتهم، فإن كمال العبودية المحبة والطاعة إنما يظهر عند المعارضة، والدواعي إلى الشهوات والإرادات المخالفة للعبودية[٢].

فلما نسي آدم عليه السلام عهد الله إليه في أن إبليس عدو له أحسن الظن بيمينه. فأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيًا ومتأولًا وقاصدًا إلى الخير[٣].

إن الله عز وجل قد علم منهما (الأبوين) أنه يتناول من الشجرة فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه، وإنما خلق للأرض وأنه لا يترك في الجنة بل ينتقل منها إلى الأرض فكان تناوله من الشجرة سببا لإهباطه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى قبل خلقه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤].

فإن الله سبحانه سبق حكمه وحكمته بأن يجعل في الأرض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد بكون هذا الخليفة وذريته في الأرض قبل خلقه لما له في ذلك

---

(١) ولكن شُبه لهم، لجمال شرقاوي (٦٦).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٢٦٨.

(٣) الفصل لابن حزم ٤/ ٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٥١٧.

من الحِكَم والغايات الحميدة فلم يكن بد من إخراجه من الجنة إلى دار قد أسكناها قبل أن يخلقه وكان ذلك التقدير بأسباب وحكم فمن أسبابه النهي عن تلك الشجرة وتخليته بينه وبين عدوه حتى وسوس إليه بالأكل وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية.

الوجه الثاني: أليس في ابتلاء آدم بالذنب سبب لسعادته؟ فخرج من الجنة ليعود إليها على أحسن الأحوال؟.

وكانت تلك الأسباب موصلة إلى غايات محمودة مطلوبة تترتب على خروجه من الجنة ثم يترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لِحكم ومن تلك الغايات عوده إليها على أكمل الوجوه. (١)

فإن الله سبحانه لما اهبط آدم أبا البشر من الجنة لما له في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفتها فكان إهباطه منها عين كماله ليعود إليها على أحسن أحواله. (٢)

الوجه الثالث: لم يكن خروج آدم عليه السلام من الجنة عقوبة، فقد تاب الله عليه.

لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له؛ لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقَبِلَ توبته وإنما أهبطه إما تأديبًا وإما تغليظًا للمحنة.

والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة، ولله أن يفعل ما يشاء(٣).

وبُلي الحبيب بالذنب فاعترف وتاب وندم وتضرع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة وهو التوحيد والاستغفار فأزيل عنه العتب وغفر له الذنب وقبل منه المتاب وفتح له من الرحمة والهداية كل باب ونحن الأبناء ومن أشبه أباه فما ظلم ومن كانت شيمته التوبة

---

(١) شفاء العليل لابن القيم صـ٢٤١.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٣.

(٣) تفسير القرطبي١/ ٢١٣.

والاستغفار فقد هدي لأحسن الشيم[(١)].

الوجه الرابع: أليس قد عهد الله لآدم بأن يعود إلى الجنة هو وكل من اتبع هدى الله من ذريته؟.

وإذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجل عوض وأفضله وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردا عنه وإقباله عليه بعد أن كان نائيا عنه وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضًا وللوقوف على أبواب غيره متعرضًا وكانت البلية في هذا عين النعمة وإن ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾[(٢)].

الفصل الثالث: كيف لا تكون توبة آدم مقبولة؟.

الوجه الأول: ليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبة آدم.

إن آدم عليه السلام وإن كان أكل من الشجرة فقد تاب الله عليه واجتباه، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم: إنا لا نعلم أنه تاب، أو ليس عندنا توبته وعدم العلم بشيء ليس علمًا بعدمه وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر ففي التوراة ما ليس في الإنجيل وفيهما ما ليس في الزبور وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل وقد بين الله تعالى فضله عليهما في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ﴾، وقال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٩٣.

(٢) طريق الهجرتين ودار السعادتين لابن القيم ١/ ١٥٢.

عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

الوجه الثاني: كيف يجوز أن يكون رسل الله في حبس الشيطان في جهنم؟

وسواء تاب آدم أو لم يتب فكيف يجوز أن يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه وإبراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافرًا ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله في جهنم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم مع أنه كان نبيًا ونوح عليه السلام قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم(١).

والمسلمون يثبتون بالدلائل الكثيرة أنهم بدلوا معاني التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من نبوات الأنبياء وابتدعوا شرعا لم يأت به المسيح ولا غيره ولا يقول عاقل مثل زعمهم إن جميع بني آدم من الأنبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان لأجل أن أباهم آدم أكل من الشجرة وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح.

فإن هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذبه عليهم فكيف وهذا الكلام ليس منقولًا عندهم عن أحد من الأنبياء وإنما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة فإن كثيرا من دينهم مأخوذ عن رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء.

فإذا قطعنا بكذب من ينقله عن الأنبياء فكيف إذا لم ينقله عنهم وذلك أن الأنبياء عليهم السلام يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع فيخبرونهم بمحيرات العقول لا محالات العقول(٢).

الوجه الثالث: أليس الإنسان ضعيفًا ومُعرَّض للخطأ، فماذا يفعل إذا أذنب؟

وهكذا نلاحظ أن آدم قد ارتكب خطيئته وأخذ جزاءه وهو الخروج من الجنة، ثم

---

(١) الجواب الصحيح ١/ ٣٥٤: ٣٥٥.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٤١٣: ٤١٥.

أدرك خطأه فتاب إلى الله فقبل توبته واجتباه، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾، إذ انتهت الخطيئة على صاحبها، ولكن النصارى يدعون شيئين كليهما لا يمكن تسليمه إطلاقًا:

الأول: أن الخطيئة باقية لم تزل، وأن الله لم يغفرها لآدم.

الثاني: أن الخطيئة لم تقف عند حد آدم، بل انتقلت منه إلى جميع أبنائه، ومن هنا أصبحوا مخطئين بطبيعتهم.

ونحن لا نسلم الأمر الأول؛ لأن الله قد تاب على آدم، وهو التواب الرحيم يفتح باب التوبة للإنسان، لأنه يعلم أن الإنسان ليس مَلَكًا مجردًا من الشهوة، وإنما هو مركب من الخير، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، ومن هنا كان من الممكن أن يسقط الإنسان في الخطأ بحكم طبيعته ومنطق العدل والرحمة يستلزم أن يفتح الله باب توبته لمن يتوب، ولكن النصارى لا يؤمنون بالتوبة كطريق إلى مغفرة الذنوب، ويقولون: ليست هناك توبة كاملة لأي مخلوق، وليس هناك إلا طريق واحد لمغفرة الذنوب، وهو أن يصلب الله نفسه على الصليب تكفيرًا عن خطايا البشر.

وهم (أي النصارى) يزعمون أن الله لا يمكن أن يغفر الخطيئة بمجرد كلمة إلهية تصدر منه لأنه لا يقدر أن يكون غير عادل، والذي نود أن نفهمه من هؤلاء ما وجه معارضة غفران الخطايا للعدالة، وألا يتعارض هذا مع صفة الرحمة.

الوجه الرابع: البرهان من التوراة والإنجيل على أن التوبة وحدها تكفي لغفران الذنوب، ولا حاجة للصلب.

في الإنجيل الذي بين أيديكم أن الله صفح (وتاب على أهل نينوى عندما صاموا وقاموا)، ويقولون: إن الصوم والصلاة والصدقة والتوبة لا تجدي شيئًا لأنها طرق بشرية ولا بد في التوبة من وسيلة إلهية، وهي (صلب نفسه على الصليب)[1].

---

(١) مشكلات العقيدة النصرانية د. سعد الدين صالح (١٥٦).

ويقال لمن زعم خطيئة آدم قد عمّت سائر أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلاّ قتل المسيح: فالتوراة والنبوات ترد هذه المقالة الشوهاء؛ وذلك أن التوراة تقول في السفر الأوّل وهو الذي يعرف بسفر الخليقة لقابيل الذي قتل هابيلًا، وردّ الله عليه قربانه ولم يتقبله: "إنك إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطية رابضة ببابك" (التكوين٤/ ٧: ٦)، وإذا كان الأمر كذلك فقد صار إحسان المحسن من بني آدم مطهرًا له ومخلصًا، فلا حاجة إلى شيء آخر.

وقال الله تعالى في السفر الأوّل من التوراة: "إني سأجزي هابيل عن الواحد سبعة" (التكوين٤/ ١٥)، وفي ذلك مندوحة عن التطهير بقتل وصلب، إذ الجزاء طهرة وزيادة.

وقد قال الله تعالى في بعض النبوات: "لا آخذ الولد بخطية والده ولا الوالد بخطية ولده، طهارة الطاهر له تكون، وخطية الخاطئ عليه تكون" (حزقيال١٨/ ٢٠)، وذلك موافق لقول ربنا جلّ اسمه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

وقد قال الله في المزمور الرابع: " **يَا بَنِي الْبَشَرِ، حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَارًا؟ حَتَّى مَتَى تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ؟ سِلاَهْ. ٣فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَيَّزَ تَقِيَّهُ. الرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَ مَا أَدْعُوهُ. ٤اِرْتَعِدُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَاسْكُتُوا. سِلاَهْ. ٥اِذْبَحُوا ذَبَائِحَ الْبِرِّ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ.** " (مزمور٤/ ٥: ٢)، فهذا المزمور من مزامير داود يقول: إنه لا حاجة إلى قتل المسيح إذ كان الندم والتوكل على الرّبّ تعالى فيه مندوحة عن ذلك.

وقال الله تعالى في المزمور الأوّل: "**طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. ٢لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً.** " (مزمور١/ ٢: ١)، فقد أخبر الله تعالى على لسان داود عليه السلام أن الاشتغال بأسباب الخير ومفارقة أهل الشّرّ مخلص فلا حاجة إلى الخلاص بقتل المسيح وصلبه.

وقال بولس - خطيب النصارى ومتكلمهم -: "أولا تعلم أن إمهال الله لك إنما هو ليقبل بك إلى التوبة؟ " (بولس٢/ ٥: ٣). فإن كان لا بدّ من قتل المسيح لضرورة

خلاصهم فلا معنى لتوبة الله على عبده[١].

الوجه الخامس: أليس من رحمة الله أن يفتح لعباده باب التوبة والغفران؟

فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلا؛ لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله. والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون إليها ويسابقون إليها؛ لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون عليه السلام[٢].

فما وقع فيه آدم عليه السلام من مخالفته بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها، فقد نص القرآن أن الله ألقى في روع آدم عليه السلام أن يتوسل إليه بكلمات ألهمه إياها ليتوب عليه فاستقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حتى تعلمها فتاب عليه، وأصبحت خطيئته كأن لم تكن لأن التوبة الصادقة تمحو الذنب، وبالتالي فلا حاجة إلى تسلسل الخطيئة من ذرية آدم أو توارثها في الأجيال التي من بعده، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾، بذلك فتح الله للعصاة طريق التوبة إذا عصوا فيتوب عليهم كما تاب على أبيهم آدم بدون واسطة من الكهان أو الرهبان، لأنه سبحانه التواب الرحيم[٣].

فالتوبة من الذنب كفارة له، وهي من فضل الله عز وجل على الخاطئين، فالتوبة تغسل الذنب وتنقي القلب، فيكون الخاطئ التائب حبيبًا إلى الله، فلم لا يقول النصارى بأن آدم تاب وقبلت توبته ؟ لم يصرون على القصاص ؟ ولِمَ يصر الكاتب المجهول لرسالة العبرانيين على أنه " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" ؟ (عبرانيين ٩/ ٢٢).

الوجه السادس: أليست توبة الله على آدم موافقة للعقل والنقل؟

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٨٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٠٩.

(٣) الميزان في مقارنة الأديان لعزت طهطاوي (١٦٢).

لقد تحدثت نصوص التوراة والإنجيل بإسهاب عن التوبة وقصصها وقبول الله لها، فها هو المسيح يجلس مع العشارين والخطاة، ولقد وعد الله التائبين بالقبول ففي سفر حزقيال: " **فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ. ٢٢ كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا. ٢٣ هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟** " (حزقيال ١٨/ ٢١-٢٣)، فالتوبة مقبولة عند الله كوسيلة للخلاص من الذنب، ولا تتناقض مع قدر الله القاضي بالقصاص من العاصي، ولكن النصارى يقولون إن التوبة مهما كان شأنها ليست كافية للصفح عما مضى من خطايانا[1].

فالتوبة هي الطريق إلى المغفرة والخلاص، فالتوبة التي ذكر الله في القرآن أن آدم قد تاب، وهي باب عظيم من أبواب فضل الله جعله للخاطئين، فلمَ لا يقولون بأن آدم تاب وقُبلت توبته؟ ولم يصرون على القصاص الدموي؟[2].

وذلك لأن في القول بالتوبة والأعمال الصالحة وسائل لتكفير الذنوب هدمٌ لأصل معتقدهم، والأساس الذي بُنيت عليه عقيدة الصلب هو خطيئة آدم عليه السلام الموروثة منه إلى أبنائه عقيدة باطلة من أساسها؛ لأن آدم عليه السلام عندما عصا ربه بالأكل من الشجرة المحرمة قد استغفر الله تعالى وتاب وأناب إليه، وقد قبل الله تعالى توبته، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في عدة آيات من الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (البقرة: ٣٥- ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا

---

(١) هل افتدانا المسيح ؟ لمنقذ سقار (١٦١: ١٦٢).

(٢) ولكن شُبه لهم ، لجمال شرقاوي (٦٦).

عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٩: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه ١١٥: ١٢٢).

الفصل الرابع: كيف يحمل الإنسان إثم ذنب لم يرتكبه؟ (الرد على وراثة الذنب)

الوجه الأول: هل يعقل أن تتوارث الخطيئة؟

ولو فرضنا جدلًا أن آدم وحواء عليهما السلام لم يتوبا إلى الله ولم يستغفراه، فهل يُعقل أن تنتقل الخطيئة أو غيرها وراثيًا إلى أبنائهما من البشر، إنه قول يؤكد كل عقل سليم وكل فطرة سليمة على أنه ظاهر البطلان والفساد، وأنه لا يمكن أن يرث شخص خطيئة أبيه أو أمه أو أي فرد مهما كانت قرابته، فكلٌ مسؤول عما جنت يداه إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر، وقد قرر القرآن الكريم المسؤولية الفردية في عدة آيات من الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة٨: ٧)، وقال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦)، وقال أيضًا: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر: ١٧)، وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الإسراء: ١٥).

الوجه الثاني: أليس في ادعاء غضب الله على البشر بدون ذنب لم يرتكبوه وصفٌ له بالظلم؟

النصارى يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب وأنه كانت الذرية في حبس إبليس، فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء: نوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وغيرهم، ومعلوم أن إبراهيم كان أبوه كافرًا ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه، فكيف يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد؟ ، هذا لو قدر أن آدم لم يتب فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة ؟ ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصيًا لله مستحقًا للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم إلى حين مبعث المسيح والرب قادر على عقوبته وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن ثم أضحى قولهم مثل هذه الخرافات مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل؟.

وإن قيل: إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله أن لا ينقص أحدًا من حسناته ولا يعاقبه إلا بذنبه لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية آدم بذنبأبيهم، ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلا ذنباً تابوا منه بذنب غيرهم، فإن الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصرًا على الذنب؟ مع أن هذا تقدير باطل ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من هو من الكفار؟[1].

الوجه الثالث: أليس في تحميل البشر ذنباً لم يرتكبوه ظلم لهم؟

من العقائد المسيحية المرفوضة إسلاميًا، وذلك لأن الخطيئة كما يعتقدون بدأت بآدم، وأن آدم في خطيئته كان نائبًا عن كل نسله في الخطيئة، أي أن النسل الذين لم يكونوا قد

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ١/ ٢١٣: ٢١٨.

وُجدوا بعد قد أنابوا أباهم آدم ليخطيء بالنيابة عنهم، ومن ثَمَّ فإن كل إنسان فاسد بطبيعته وأيضًا خاطيء وفاسد بأعماله، هذا هو جوهر الخطأ والباطل والظلم، واللامعقول الذي بُنيت عليه عقائد المسيحية كلها، ففيه مصادمة للعدالة الإلهية التي قضت، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (النجم٣٨: ٤١)، وقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه١٢١: ١٢٢).

وهم يعتقدون أن آدم عليه السلام عندما أخطأ قد ناب عن نسله في الخطيئة، وفي هذا الاعتقاد مصادمة للحقيقة التي تقول إن الإنسان يُولد على الفطرة والبراءة، كما تدَّعي هذه العقيدة – في الخطيئة– أن سبب كل هذا السقوط الجماعي والأبدي وكل هذه اللعنة إنما هو التطلع إلى شجرة المعرفة، وكل هذا التصوير الظالم لحال آدم وذريته واللعنة المؤبدة والموروثة لماذا؟ لكي يصبح فداء المسيح -بذبحه وصلبه- مبَرَّرًا.

ومن النصوص التي تكشف عن المنطق الظالم لهذه العقائد ما ينسبونه إلى الله تعالى عن ذلك من قوله (من عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل)، فأين هذا من العدل الإلهي القائل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [1].

الوجه الرابع: أليس منطق العقل يقضي بأن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله؟

القول بأن خطيئة آدم يتحملها كل أبنائه من بعده، فإن كتبهم المقدسة تنفي أن يتحمل الولد ذنب الوالد، ويرفض أن تزر وازرة وزر أخرى، فقد جاء في التوراة كتابهم المقدس (الابن لا يحمل إثم أبيه، والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه)، وهذا يتفق مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

(١) رد الأزهر على كتاب ما هي حتمية كفارة المسيح ؟ لمحمد عمارة (١٤٢٦ هـ).

أُخۡرَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾.

ثم هذا هو منطق العقل أن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله، حتى يقول الرسولﷺ: " يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئًا"، وهكذا يتبرأ الرسولﷺ من أن يتحمل ذنب ابنته، فكيف يتحمل عيسى﵇ كل خطايا البشر؟ وهل من العدل أن يُضار البشر كلهم جميعًا بسبب خطيئةٍ ارتكبها آدم؟ وكيف رضي الله أن يخلد موسى صفيه وإبراهيم خليله وسائر الأنبياء في النار بسبب خطيئة آدم؟ وما ذنبهم؟وما أعجب إلا من قولهم: إن آدم هو النائب عنا فتعود خطاياه علينا، فبأي وجه حق؟ وما ذنبنا؟ هل هذا عدل؟ ولماذا كان عيسى وحده مسئولًا من بين كل البشر عن خطيئة آدم؟ ولماذا يتحملها وحده؟ والغريب أن عيسى عندهم متحمل لكل خطايا البشر، والإيمان والنجاة عندهم مختصرة في طريق واحد، وهو الاعتقاد بأن عيسى قد صُلب فداءً عن خطايا البشر. هذا هو طريق البراءة من النار والعودة إلى الجنة، وهو طريق ما أسهله لو كان حقًا![1].

الوجه الخامس: نصوص التوراة والإنـجيل تقضي بأن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله.

ومما يبطل نظرية وراثة الذنب أيضًا النصوص التي تحمل كل إنسان مسئولية عمله، وقد تعاقَب الأنبياء على التذكير بهذا المعتقد في نصوص كثيرة ذكرتها التوراة والأناجيل، ومنها ما جاء في التوراة " لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته " (الأيام (٢) ٢٥/ ٤)، وأيضًا يقول المسيح: " فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله " (متى ١٦/ ٢٧)[2].

وفي (حزقيال١٨/ ٢٠): اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ)، وهذا ما

---

(١) مشكلات العقيدة النصرانية (١٥٦: ١٥٨).

(٢) موقف اليهود والنصارى من المسيح﵇ (٤٤٦).

يقضي به القرآن الكريم دستور العدالة الإلهية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

والمبدأ العام المُعترف به في الديانات جميعًا وفي القوانين الوضعية وعرف جميع الناس أنه لا يُورَّث عن الآباء والأجداد سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تُورَّث عنهم ولا تواخَذ بها ذرياتهم، ويعلل النصارى لتلك الفكرة المزعومة من أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم[١].

يؤكد المسلمون أن صلب المسيح البريء نيابة عن المذنب آدم وأبناءه حاملي الإثم ووارثيه نوع من الظلم الذي لا تقره الشرائع باختلاف أنواعها، فإن كان آدم قد تاب من فعلته وتاب الله عليه، فقد انقطعت عنا خطيئته ولم تحط بنا معصيته، فقد تاب آدم وتاب الله عليه، فلِمَ تُحمل فوق كواهلنا خطيئته؟[٢].

الوجه السادس: أليس الهدف من توريث الخطيئة إيجادَ مبرر لصلب المسيح وذبحه؟

إن الإسلام يستهجن مبدأ الخطيئة الأصلية وينظر إلى الأولاد على أنهم أبرار وأطهار منذ ولادتهم. وبشأن الخطيئة فالإسلام يقرر بأنها لا تورث. ولكنها شيء ما يكتسبه الإنسان بنفسه بعمل ما لا ينبغي أن يعمله ولا يعمل ما ينبغي أن يعمله.

ومن المنطق أن يعتبر الإسلام مبدأ الخطيئة الأصلية ذروة في الظلم لإدانة كافة الجنس البشري لخطيئة اقترفت منذ آلاف السنين مضت بواسطة أبوينا الأولين، إن الخطيئة الأصلية التي تنادي بها المسيحية هي انتهاك عنيد لناموس الله أو لقانون الصواب والخطأ، ذلك لأن المسئولية والملامة باقتراف الخطيئة الأصلية ينبغي أن تقع فقط على الإنسان الذي اقترفها وليس على أولادهم[٣].

الخطيئة كما يعتقدون بدأت بآدم، وأن آدم في خطيئته كان نائبا عن كل نسله في الخطيئة،

---

(١) هل افتدانا المسيح على الصلب؟ لمنقذ سقار (١٦٧).

(٢) الميزان في مقارنة الأديان (١٥٥).

(٣) الغفران بين المسيحية والإسلام.

أي أن النسل الذين لم يكونوا قد وُجدوا بعد قد أنابوا أباهم آدم ليخطئ بالنيابة عنهم، ومن ثَمَّ فإن كل إنسان فاسد بطبيعته وأيضًا خاطئ وفاسد بأعماله، هذا هو جوهر الخطأ والباطل والظلم واللامعقول الذي بُنيت عليه عقائد المسيحية كلها ففيه مصادمة للعدالة الإلهية، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١)﴾ (النجم ٣٨: ٤١)، وفيه تجاهل لتوبة آدم من معصيته، وقبول الله سبحانه لتوبته، والاعتقاد أن آدم عليه السلام عندما أخطأ قد تاب عن نسله في الخطيئة، هذا القول مصادم للحقيقة التي تقول: إن الإنسان يُولد على الفطرة والبراءة، فكل هذا التصوير الظالم لحال آدم وذريته واللعنة المؤبدة والموروثة لماذا؟ لكي يصبح فداء المسيح –بذبحه وصلبه– مبررًا[1].

الوجه السابع: الإسلام يقرر أن كل إنسان مُحاسب عن نفسه.

فالإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة، ولا يعرف السقوط عن طبيعة إلى ما دونها، فلا يُحاسب أحد بذنب أبيه ولا تزر وازرة وزر أخرى، وليس مما يدين به المسلم أن يرتد النوع الإنساني ما دون طبيعته، ولكنه مما يؤمن به أن ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف، وقوامه الحرية والتبعة، فهو بأمانة التكليف قابل للصمود إلى قمة الخليقة، وهو قابل للهبوط إلى أسفل سافلين، فهذا الإنسان من أحسن تكوين إلى أسفل سافلين، ولا يزال في الحالين إنسانًا مكلفًا قابلًا للنهوض بنفسه بعد العثرة قابلًا للتوبة بعد الخطيئة محاسبًا لما جنت يداه غير محاسبٍ لما جناه غيره، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠)﴾، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[2].

الفصل الخامس: كيف يكون في العفو عن المذنب تناقض بين العدل والرحمة الإلهية؟.

الوجه الأول: بيان المقصود بالعدل، وبم تحقق العدل.

قال أهل السنة والحديث ومن وافقهم: إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه،

---

(١) دراسات في اليهودية والنصرانية لمحمد ضياء الأعظمي (٥٠٤).

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس العقاد (٥٩: ٦٢).

وهو سبحانه حكم عدل لا يضع الشيء إلا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والمصلحة، وهو سبحانه لا يفرق بين متماثلين ولا يساوي بين مختلفين ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ويضعها بوضعها لما في ذلك من الحكمة ولا يعاقب أهل البر والتقوى، وهذا قول أهل اللغة قاطبةً.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ قال المفسرون من السلف والخلف قاطبةً إن الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم هو أن ينقص من حسنات العامل[1].

فإن من عدل الرب أن لا ينقص أحدًا من حسناته ولا يعاقبه إلا بذنبه لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلا ذنباً تابوا منه بذنب غيرهم فإن الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم؟ إن قدر أنه مات مصرًا على الذنب مع أن هذا تقدير باطل[2].

والعدل إذا كان مصدرًا فمعناه خلاف الجور (الظلم) وهو ما قام بالنفوس أنه مستقيم، وقال الراغب: الظلم هو الانحراف عن العدل، ولذلك حد بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به[3].

والنصارى يظنون أن العدل معناه وجوب معاقبة المذنب على ذنبه، والحق أن العدل معناه المساواة، فإذا ساوى الله تعالى بين جميع عباده في معاملته معهم بأن غفر مثلًا لجميع المذنبين وزاد في مقابلة ذلك في أجر المحسنين فهو لا شك عادل لغةً وعرفًا وعقلًا، وكذلك إذا وفَّى كل مخلوق حقه تمامًا بلا نقص في الأجر ولا زيادة في العقاب عما يستحقه كل شخص، ولا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٢٢٢.

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية ١/ ٢٢٠.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٠/ ٤٨٧٢.

ينافي العدل بعد ذلك أن يزيد في الثواب أو ينقص من العقاب بمقتضى فضله ورحمته، فإذا أُريد بالعدل والمساواة في أصل الخلق وكل ما يلزمه، فهذا قطعًا غير موجود، وإن أُريد به المساواة في مجازاة العاملين بما يستحقونه – في الظاهر- بلا مراعاة ولا محاباة فهذا حق، وهو صفة من صفاته تعالى، فإنه كما يسميه المسلمون الحكم العدل لجميع مخلوقاته[1].

الوجه الثاني: ما الذي جعل الإله في مأزق بين العدل والرحمة؟

يقولون إن الله أراد برحمته أن يخلص الأرض من اللعنة التي أصابتها بسبب معصية آدم، لكن عدله يأبى إلا أن يعاقب أصحاب الذنب، فكيف المخرج للتوفيق بين العدل والرحمة، فمن أين علموا أن معصية آدم كانت لعنة أصابت الأرض بمن عليها، وما ذنب الأرض والمعصية قد فعلها آدم في الجنة في السماء، وليست على الأرض؟ ومن الغريب أنهم بعد أن وضعوا الإله الأب في مأزق من صنع أيديهم راحوا يخترعون له مخرجًا يخرج منه بأقلامهم وألسنتهم[2].

قولهم: (إن صلب المسيح كان لا بد منه للتوفيق بين العدل والرحمة التي تنتج عن خطية آدم بالأكل من الشجرة والتي ترتب عليها الانفصال بين البشر والإله والحكم عليهم بالموت ففداهم المسيح الإله وصُلب كفارةً عن خطايا البشر).

وللرد على ذلك نقول:

لا يمكن أن يَقبل هذه القصة (صلب المسيح كما يزعمون) من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد أن يكون بكل شيء عليمًا، وفي كل صنعه حكيمًا، لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري ﷻ، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره، وحين عصاه ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه حتى اهتدى إلى ذلك بعد ألوف السنين مرت على خلقه، كان فيها حائراً كيف يُجمع بين الصفتين من صفاته وواقعًا في ورطة التناقض بينهما، ولكن قد يقبلها من يشترط الدين عندهم أن لا يتفق مع العقل.

---

(١) نظرة في كتب العهد الجديد (١٢٤).

(٢) ولكن شُبِّه لهم (٦٣).

يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق ﷻ عن اتهام مراده بالجمع بين العدل والرحمة، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح، لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب على ما زعموا لا يصدر من عادل ولا رحيم بالأحرى. فكيف يعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلًا رحيمًا فيخلق خلقا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين، فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معًا؟.

فما رأينا أحدًا من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول: إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه، أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ينافي العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل، ونرى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون: إنه أهل للمغفرة، فدعوى الصليبيين أن العفو والمغفرة مما ينافى العدل مردودة غير مسلمة[1].

الوجه الثالث: ما هو الأليق بجلال الله: أن يعفو عن المذنب، أم يصلب الإله نفسه فداءً له؟

فالله فتح باب التوبة للإنسان لأنه يعلم أن الإنسان ليس ملكًا مجردًا من الشهوة، وإنما هو مركب من الخير والشر، ومنطق العدل يستلزم أن يفتح باب توبته لمن يتوب، ولكن النصارى لا يؤمنون بالتوبة كطريق إلى مغفرة الذنوب، ويقولون ليست هناك توبة كاملة لأي مخلوق، وأن الأعمال الصالحة كالتوبة لا تجدي شيئًا لأنها طرق بشرية، ولا بد من غفران الذنوب من وسيلة إلهية (وهي صلب المسيح الإله نفسه على الصليب)[2].

وإذا كان الأب عادلًا فكيف يعاقب الذرية من آدم إلى المسيح بالبعد عن رحمته وما ذنب الأبناء في إثم ارتكبه أبوهم، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾، وإذا كان الله محبة لمَ ترك بني آدم في هذه الفترة الطويلة من غير أن يغفر لهم، وإذا كان قد حرمهم هذه

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٦/ ٢٦: ٢٧.

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية (١٥٩).

المدة الطويلة من رحمته فما الجدوى إذًا من بعث الرسل قبل المسيح عليهم السلام ليبينوا لهم طريق الهدى من طريق الضلال.

إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان يلاقي الابن الوحيد ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في بدنه، من هذا الذي قيَّد الله ﷻ وجعل عليه أن يلزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟ [1].

الوجه الرابع: أن دعوى أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة فيها تجريد للإله من الرحمة.

وإن كان لابد من سفك الدم فهي دعوى لا دليل لكم عليها، ولم يكن موت المسيح بسفك دمه وذبحه، ولِمَ لم يزل عن الإنسان ذلك القصاص بعد الصلب؟ ، وإذا كان الله لا يكتفي بما حل ويحل بالإنسان في هذه الحياة من المصائب والبلايا والموت والقتل وغيره ويصر على الانتقام منه في شخص أحد أفراد هذا النوع (المسيح) الذي حمله من أنواع الإهانات والفظائع ما جعله يستغيث به، فلم يغثه ولم يرحمه (لوقا٢٢/ ٣٩: ٤٦)، (رومية٨/ ٣٢)، مع أنه اتخذه له ابنًا وحلّ فيه.

وإذا كان أيضًا لا يكتفي بحلول روح القدس في الناس لتطهيرهم ولتوبتهم واستقامتهم ولا باستشهاد كثير منهم في سبيله إلا بعد سفك دم عيسى ولحب الضحايا البشرية من قديم الزمان وبتفضيلها من مقربيها (قضاة١١/ ٢٩: ٤٠)، وبأمر أنبيائه وأتباعهم بسفك دم ما لا يحصى من الحيوانات (مل ٨/ ٦٢: ٦٣)، وقتل ما لا يُعد من البشر (التثنية٢٠/ ١٦)، ورائحة المحرقات (لاويين١/ ١٧)، وإذا كانت كل هذه صفات إلههم فهو مجرد من كل رحمة وشفقة وحنان وعدو للإنسان والحيوان، حتى أنه ندم على خلقه للإنسان (التكوين٦/ ٦) لشدة غيظه منه وبغضه له وخوفه منه (التكوين٣/ ٢٢) (التكوين١١/ ٦)، فكيف يمكن للإنسان أن يحبه بعد ذلك كله؟ ، مع أن الله وهو أقدر منا طبعًا لم يحب الإنسان ولم يرحم إلا بعض أفراد هذا النوع بعد أن شبع ورُوي من الدماء التي تملأ الأنهار، فهل يا قوم هذه العقيدة هي التي تدعون

---

(١) موقف اليهود والنصارى من المسيح.

أنها الطريقة الوحيدة لإظهار محبة الله للإنسان؟ وهل هذا إله محب كما يسميه يوحنا؟ (يوحنا٤/ ١٦)، وهل كل هذه الأشياء التي صدرت منه ضد الإنسان تحملنا على حبنا له، ولا طريقة تحملنا على حبه غيرها؟ إن هذا لشيء عجيب[1].

الوجه الخامس: أليس حال المسيح عند الصلب ينفي أنه رضي بالصلب المزعوم؟

يدَّعي النصارى أن صلب المسيح وقتله كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه، فإن قالوا إنه قبل ذلك تجد ما ورد بأسفارهم عكس هذا القول، فقد جاء في إنجيل (متى٢٧/ ٤٦): (وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ » أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)، كما ورد في إنجيل (مرقص ١٥/ ٣٤).

وإذا كان المسيح ابن الله -كما يزعمون- فأين كانت عاطفة الأبوة وأين الرحمة حينما كان هذا الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية؟ ويرى المسلمون في هذا الفكر النصراني انحرافًا وتجافيًا عن المعقول والمنقول، فإن فيه إساءة الأدب مع الله وكفرًا به كان ينبغي أن ينزهه النصارى عنه، إذ كيف يُقبل عقلًا ودينًا القول بتناقض العدل الإلهي مع الرحمة الإلهية قرونًا متطاولة من غير أن يهتدي الرب -تعالى عن ذلك- إلى سبيل التوفيق بين صفاته المتناقضة، وأخيرًا جاء الحل الدموي بصلب المسيح البريء رحمةً من رب العالمين؟[2].

ويشبه النصارى إلههم وقتذاك بصورة مستقذرة، بصورة المرابي وهو يريد عوضًا على كل شيء، ونسي هؤلاء أن الله حين يعاقب لا يعاقب للمعاوضة أو لإرضاء نفسه أو للانتقام، بل لكبح الشر وتطهير النفس من درن الذنب[3].

الوجه السادس: أليس في الإقرار بعقيدة الفداء دعوى للتحلل والشرور؟

---

(١) نظرة في كتب العهد الجديد (١١٣).

(٢) الميزان في مقارنة الأديان لعزت طهطاوي (١٥٨).

(٣) هل افتدانا المسيح على الصلب؟ لمنقذ سقار (١٥٩).

إذا كان الفداء عامًا لكل البشر ولكل الخطايا، فإن هذا الفداء يشمل الإباحيين الذين يرتكبون الموبقات ويملئون الأرض بالفساد، وتكون عقيدة الفداء دعوة للتحلل والفساد باسم الدين، ثم القول بالفداء للجميع يجعل ضمن الناجين أعداء الأنبياء كفرعون وقارون واليهود الذين تآمروا على المسيح(١).

إذا كان كل من يقول بهذه العقيدة أو القضية ينجو من عذاب الآخرة كيفما كانت أخلاقه وأعماله لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين، وأن يكون الشرير الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ويفسدون في الأرض ويهلك الحرث والنسل من أهل الملكوت الأعلى لا يُعذَّب على شروره وخطيئاته، ولا يُجازى عليها بشيء، فله أن يفعل في هذه الدنيا ما شاء هواه وهو آمن من عذاب الله، وإذا كان يُعذب على شروره وخطيئاته كغيره من الصليبيين فما هي فرية هذه العقيدة؟ وإذا كان امتياز عند الله في نفس الجزاء فأين العدل الإلهي؟ (٢).

فهم يزعمون أن المسيح اختار الصلب ليتحمل خطايا البشر، فمن آمن فقد تطهر من جميع الذنوب والآثام، وإن ارتكب الفواحش والمنكرات فالإيمان بالمسيح وحده كافٍ للنجاة ولا حاجة إلى العمل في الحصول على النجاة(٣).

الفصل السادس: هل لا يغفر الإله للبشر إلا بعد الحصول على ثمن منهم؟.

وفيه وجوه:

الوجه الأول: هل الله يحتاج إلى العوض حتى يغفر الذنب؟

فإن كلّ ما نزل بالمسيح من ضربٍ وإذلالٍ وصلبٍ وموتٍ إنما هو فداء وقضاء عن آدم، ضرب عوضًا من رفاهية آدم، وأهين بدلًا من عزّه الذي أمله بالخلود في الجنة، وذلك رحمة من الله ولطف لآدم وبنيه وإظهار الشرف للمسيح، إذ جعله كبش قربان العالم بأسره(٤).

من هنا وضع النصارى للفدية شروطًا كلها لا تنطبق إلا على عيسى عليه السلام وحده،

---

(١) لكن شُبِّه لهم (٧٨).

(٢) تفسير المنار ٦/ ٢٧.

(٣) دراسات في اليهودية والنصرانية (٥٠٤).

(٤) تخجيل من حرف الإنجيل ١/ ٣٨٠.

وبذلك يبرروا صلبه، وأن المسيح عليه السلام إنما هو الإله كما يزعمون الذي تجسد وتأنس من أجل هذه المهمة العظيمة، فكان أداة خلاصنا[١].

الوجه الثاني: بطلان الزعم بأن المسيح وحده الفادي لأنه المبرأ من كل ذنب.

إن شرط النصارى في براءة الفادي من الذنب لم يتحقق حتى في عيسى ابن مريم رغم أنه وُضع له، فيسوع عندهم جسد أرضي ويكتنفه حلول إلهي (المسيح) وهم يقولون بالصلب فإن أحدًا منهم لا يقول بصلب الإله (المسيح) ولكن بصلب الناسوت (يسوع) وناسوت المسيح جاءه من مريم هي أيضًا حاملة للخطيئة، فالمسيح بجسده الفادي الحامل للخطيئة وراثةً لا يصلح أن يكون فاديًا، فإن زعموا أن مريم قد تطهرت من خطيئتها بوسيلة ما من غير حاجة للفداء، فلِمَ لا يطهر جميع الناس بهذه الوسيلة؟.

فالنصارى يرون نوع البشر مذنب بصورة فظيعة، ويستحق الهلاك الأبدي، والله لا يخلص أحدًا من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم بدون شفيع، والشفيع لا بد أن يكون إلهًا تامًا وبشرًا تامًا، ويرون أن الشفيع لا بد أن يكون مطهرًا من خطيئة آدم، ويرون أنه كذلك وُلد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه، وسؤالنا لهم ألم يأخذ عيسى نصيبًا من الخطيئة عن طريق أمه؟ ، وهم يجيبون عن ذلك بأن الله قد طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الابن رحمها، والسؤال إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه من الخطيئة فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر، وبدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب؟[٢].

القول بأن جميع البشر مذنبون منذ آدم إلى المسيح وما بعده افتراء يرده كتابهم المقدس حين يصف يحيى نبي الله وهابيل بن آدم ودانيال نبي الله وزكريا نبي الله وزوجته بأنهم كانوا من المعصومين، وأنهم لم يقترفوا شيئا من الذنوب[٣].

---

(١) هل افتدانا المسيح؟ (١٦٩).

(٢) موقف اليهود والنصارى من المسيح (٤٤٨).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية.

الوجه الثالث: هل يقبل العقل فكرة الاستعاضة التي يقوم عليها اعتقادكم؟
تنقسم عقيدة الفداء إلى ثلاثة أقسام:

١-الخطيئة الأصلية.

٢-الإيمان بأن عدالة الله تتطلب بأن يكون القصاص بسفك دم ثمنًا للخطيئة.

٣-الإيمان بأن يسوع المسيح قد دفع الثمن عن خطايا الناس بموته على الصليب، وهذا هو الخلاص الوحيد لأولئك الذين يؤمنون بكونه ذبيحة عوضًا عنهم.

إن مبدأ توريث الخطيئة لا تجد له سندًا في كلمات يسوع المسيح ولا كلمات الأنبياء الذين جاءوا قبله، لقد علموا أن كل إنسان مسئول عن أعماله الشخصية.

والإسلام يقرر أن الخطيئة لا تُورث، وأن المسئولية والملامة باقتراف الخطيئة الأصلية ينبغي أن تقع فقط على الذي اقترفها وليس على أولاده.

ثانيًا: أن غفران الخطيئة للخاطئ بعد القصاص منه أو القصاص من إنسان نيابةً عنه ليس بالغفران على الإطلاق أن الله يقدر ويقضي بالمغفرة لأولئك الذين يبدو صلاحهم حقًا، وأولئك الذين تنحوا كليةً عن خطاياهم، وتلك القدرة ليست ضد العدالة، وفي الواقع هذا هو الغفران الحقيقي وحده.

ثالثًا: إن تطلَّب الدم ثمنًا لمغفرة خطايا الناس ومعاقبة إنسان بريء لم يقترف إثمًا من أجل خطايا الآخرين، سواء كان السلف راغبًا أم لا، إن هذا هو ذروة الظلم وفيه إنكار لرحمة الله ودحض لعدالته.

إن فكرة الاستعاضة أو الذبيحة (الضحية) العويصة غير معقولة ولا معنى لها بل هي ظالمة، ونحن لا نجد ارتباطًا بين الخطيئة والدم، وأن تطهير الإنسان من الخطيئة يكون بالتوبة الصادقة وتأنيب الضمير والمثابرة على الجهاد ضد الميول الشريرة، ولذلك تبين أن عقيدة الكفارة مختلة للأسباب التالية:

١-أن الإنسان لم يولد بالخطيئة.

٢-أن الله لم يطلب ثمنًا لمغفرة الخطايا.

٣-أن فكرة الذبيحة العويصة ظالمة وقاسية.

٤-أن خطيئة الإنسان لا تؤذي الله، بل تؤذي الإنسان نفسه[1].

الفصل السابع: هل يعقل أن يتجسد الإله فيصبح إنسانًا ثم يُصلب ويموت من أجل غفران خطايا بني آدم؟.

الوجه الأول: كيف حال الوجود والإله في اللحود؟ ومن دبَّر شئون الخلق في غيابه؟

نقول للنصارى: قد زعمتم أن المسيح هو إله العباد وخالقهم وبارئهم ورازقهم وآمرهم وناهيهم ومدبِّرهم في جميع أحوالهم وحافظهم إلى منتهى آجالهم، ثم زعمتم مع ذلك أن اليهود عدوا عليه فأخذوه قهرًا وسحبوه قسرًا بعد أن هرب واختفى، وإنما دَلَّ عليه بعض أصحابه، فلما ظفروا به أهانوه وبذلوه وما صانوه، ثم جعلوا على رأسه إكليلًا من الشوك، وعبثوا به كما يعبث بأهل النوك، ثم رفعوه على جذع ضمانًا واستسقى ماء فسقي خلًا هوانًا، ثم ترك حتى ألصقت الشمس جسده بالصليب، ولم يكفن لولا تصدّق عليه بالكفن إنسان غريب، وبقي برهة تحت التراب تبكيه الأحباب والأتراب، فأخبرونا يا سخفاء العقول ومنتحلي هذا المحال المنقول-مَنِ الذي كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟!.

وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟! ومَن الذي دَبَّر السماء والأرض وخلقه فيها بالبسط والقبض والرفع والخفض؟! وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته وهربت مع تلاميذه؟.

فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبرًا وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فَرَّت وأسلمته، فكيف تصحّ مفارقتها له بعد اتّحادها به؟! أين ذهب الاتّحاد وكيف بطل الامتزاج؟!.

وما شأن هذا الإله المسكين - أسلمه قومه لأعدائه وخذله سائر أوذائه؟. أين قولكم في الأمانة: "إن المسيح أتقن العوالم بيده وخلق كلّ شيء"؟ أين ما وصفتم عن الإنجيل أن العالم بالمسيح كُوِّن؟ [2].

الوجه الثاني: من هو أقدر على الخلاص اللاهوت أم الناسوت؟

---

(١) الغفران بين المسيحية والإسلام (١٠٦).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٩٦.

من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانًا، وحُبل به ووُلد من مريم البتول وألم واتجع وقُتل وصُلب ودُفن في اليوم الثالث، فهذا قول من هُدم عقله وسُلب فهمه وغلب عليه هواه، وطبع الله على قلبه وأعماه لأنهم جعلوا إلههم يعجز عن خلاصهم، ففعل بنفسه ما لا يليق من هذه الخصال الرذيلة، ولم يكن يقدر على خلاصهم حتى نزل بنفسه من السماء وتجسد بجسد، ودخل في بطن أمه وخرج من فرجها، ثم حل به بعد ذلك ما وصفوه (قتل وصلب وإهانة) فكأنه لو لم يكن. . . المرأة ويحمل بها أخذه من ناسوتها لم يقدر على خلاصهم، وما ترى الناسوت إلا أقوى من الإله، إذ لولاه لم يقدر لكم الإله على خلاص(١).

الوجه الثالث: أليس من الجهل والضلال الادعاء بأن إله الخلق حل به الضرب والإذلال والصلب؟

قولهم إن الله فداهم بنفسه ودمه فهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم إذ كان ذنبه باقيًا في أعناق جميعهم فخلصهم منه بأن مكن أعداءه من صلبه وتسميره وصفعه إلا من أنكر صلبه أو شك فيه أو قال: بأن الإله يجل عن ذلك، فنسبوا الإله الحق سبحانه إلى ما يأنف أسقط الناس وأقلهم أن يفعله بمملوكه، وكذبوا الله ﷻ في كونه تاب على آدم عليه السلام وغفر له خطيئته ونسبوه إلى أقبح الظلم حيث زعموا أنه سجن أنبياءه ورسله وأولياءه في الجحيم بسبب خطيئة أبيهم ونسبوه إلى غاية السفه حيث خلصهم من العذاب بتمكينه أعداءه من نفسه حتى قتلوه وصلبوه وأراقوا دمه ونسبوه إلى غاية العجز حيث عجزوه أن يخلصهم بقدرته من غير هذه الحيلة ونسبوه إلى غاية النقص حيث سلط أعداءه على نفسه وابنه ففعلوا به ما فعلوا وبالجملة فلا نعلم أمة من الأمم سبت ربها ومعبودها وإلهها بما سبت به هذه الأمة(٢).

الوجه الرابع: هل الإهانة التي حلت بالمصلوب لحقت الإله فإن ذلك لازم القول بالاتحاد؟

إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنسانًا واحدًا

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للإمام القرافي (١٤٦).

(٢) إغاثة اللهفان (٢٦٢).

وجوهرًا واحدًا وشخصًا واحدًا وأن هذه الطبيعة الواحدة والشخص والواحد هو المسيح وهو إله كله وإنسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين.

ومما يوضح تناقضهم أنهم يقولون إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد وأقنوم واحد مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين أقنومًا واحدًا ويقولون هو شخص واحد ثم يقولون إن رب العالمين إله واحد وأقنوم واحد وجوهر واحد وهو ثلاثة أقانيم فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم وللجوهرين المتحدين أقنومًا واحدًا مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين ومع هذا هما عندهم شخص واحد أقنوم واحد وهذا يقتضي غاية التناقض سواء فسروا الأقنوم بالصفة أو الشخص أو الذات مع الصفة أو أي شيء قالوه.

وهو يبين أن الذين تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه بل كانوا ضلالًا جهالًا بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق فلهذا لا يوجد عن المسيح ولا غيره من الأنبياء ما يوافق قولهم في التثليث والأقانيم والاتحاد ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل بل ألقوا أقوالًا مخالفة للشرع والعقل.

ويقولون باتحاد اللاهوت والناسوت: فيشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن وهذا تشبيه الأرثوذوكس وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم وهذا تشبيه الكاثوليك وغيرهم، ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء شيء إلا وصل إلى اللبن فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم له وإيلامهم له والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الأخر فيه لم يكن هنا اتحاد، بل تعدد[1].

إلهكم الذي صُلب مات أم لم يمت؟

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٥٩.

يقول النصارى: **إن مريم ولدت إلها وأن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم لا يشكون في ذلك مات بالجسد وأن الله لم يمت والذي قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته فكيف يكون ميت لم يمت.**

وإذا كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله وأن الذي ولدته مريم وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال التي تحكي النصارى أنها فعلت بالمسيح إلا عليهما، فكيف يصح لذي عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات.

وقانون الإيمان عندهم الذي أجمعوا عليه هو: أن الرب المسيح الذي هذه صفته على ما اقتصصناه منها الإله الحق من الإله الحق نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانًا وحبل به وولد من مريم البتول وتألم وصلب.

في هذا الإقرار شبهة أو علقة يتعلق بها العنت المدافع عن الحجة فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى فإنه لا يمكن أحد منكم أن يخرج عنه ولا أن يدفع ما صرح به فإنكم إن قلتم إن المقتول المصلوب هو الله فمريم على قولكم ولدت الله سبحانه وتعالى عما يقولون وإن قلتم إنه إنسان فمريم ولدت إنسانًا وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أي القولين شئتم فإن فيه نقض الدين.

الوجه الخامس: هل يعقل أن يولد الإله من بشر، ويعيش مثل البشر يعتريه الآفات والأوجاع؟

وقد يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إله ولدته مريم وهي امرأة آدمية ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة تجري عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وخوف وأمن وتعلم وتعليم لا يتهيأ لكم أن تدعوا أنه كان منه في تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجتهم وضروراتهم وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم مخرج ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله تعالى.[1]

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٣٠: ٣٥.

يقول النصارى: إن مريم ولدت الله - تعالى الله عما يقولون - وإن الله مات وتألم وصلب متجسدًا ودفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء فجاءوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت أو على الجبال لانهدت فلم يكن لمحاجة هؤلاء وجه إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك.

الوجه السادس: هل يعقل أن يُصلب الناسوت بدون اللاهوت وهم متحدون؟

إن ما ذكروه من موته قد بينا أن الله لم يذكر ذلك وأن المسيح لم يمت بعد وما ذكروه من أنه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين:

الأول: أن ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوت وهم ذكروا ذلك دعوى مجردة فيكتفى في مقابلتها بالمنع.

الثاني: لازم على القول بالاتحاد فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الأخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد.

هؤلاء الضلال لم يكفهم أن جعلوا إله السماوات والأرض متحدًا ببشر في جوف امرأة وجعلوه له مسكنًا ثم جعلوا أخابث خلق الله (اليهود) أمسكوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول (إلهي إلهي لم تركتني) وهم يقولون اللاهوت صوت شخص واحد، إما أن يكون مستغيثًا وإما أن يكون مستغاثًا به وإما أن يكون داعيًا وإما أن يكون مدعوا فإذا قالوا إن الداعي هو غير المدعو لزم أن يكونا اثنين لا واحدا وإذا قالوا هما واحد فالداعي هو المدعو[1].

الوجه السابع: هل المصلوب كان إله أم إنسان، وكيف يعقل ذلك؟

ثم كيف كان المسيح عندما علق على الصليب؟ ، هل كان لاهوتًا أم ناسوتًا؟ فإن قالوا بأنه كان ناسوتًا فقط فهو إذًا ليس بإله كما يقولون بل إنسان فقط، والإنسان لا يستحق التأليه فهو مخلوق.

وإن قالوا بأنه كان لاهوتًا فقط، أو لاهوتًا وناسوتًا معًا فيلزم من ذلك بأن نقول بقتل

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٧.

الإله، إذ إن المسيح إله مطلق في نظرهم وابن الإله متساوٍ معه من القدم.

إذًا فالقول بقتل الإله خروج عن العقل والدين معًا، فالإله الذي لا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ليس بإله ولا يستحق الإلوهية، فإن قالوا قُتل الناسوت، فهذا القول يناقض قولهم بأن المسيح ليس ناسوتًا محضًا مع أنهم يطلقون القول بالصلب، إذًا فقد ثبت بطلان وتناقض قد صُلب مع أنه إله؟[1].

الوجه الثامن: ما الفائدة من إرسال الرسل إذا كان الخلاص لا يتم إلا بصلب الإله؟

فلو كان الإنسان واقعًا تحت حكم اللعنة والخطيئة التي لا يُرجى خلاص منها إلا على يد الله في تلك الصورة التي تنتهي بصلب الإله وإراقة دمه، فلو كان الأمر كذلك لما كان هناك داعٍ لإرسال الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين، ولا تزال الكتب التي تحض على الفضائل، ولما كان هناك داعٍ لأي عمل يعمله الإنسان، ولما كان هناك فرق بين محسن ومسيء.

الوجه التاسع: إذا كان الناسوت مأخوذًا من مريم، فكيف لا يلوثه الخطية الموروثة (المزعومة) كسائر الخلق؟.

وإذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم مولود من مريم، وتكوَّن من رحمها ودمها، فهو كباقي أولاد آدم واقع في الذنب، فهو أيضًا يحتاج إلى كفارة مثلهم، وإذًا يكون غير طاهر ولا معصومًا من الذنوب كما تزعمون لأن (ابن الإنسان الخاطئ) وناسوته مخلوق من مريم بمقتضى التولد الجثماني، وإن كان لم يتلوث بذنب آدم، فلِمَ لم يتلوث غيره، وكلنا من نسل آدم وطبيعتنا هي من طبيعته، أو أن الله طهره من الخطيئة بحلوله فيه، فإذًا يجوز التطهير من الذنوب بدون سفك الدم، وهو خلاف ما تدعون، وإن كان حلول الابن مطهرًا من ذلك، فلِم لم يطهركم حلول روح القدس فيكم، وكلكم هيكل الله الحي كما يقول بولس (أفسس ٤/ ٦)، (أعمال الرسل٢/ ٤).

فإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الإنسان مطهرًا له من الذنوب، فأية حاجة إذًا إلى صلب المسيح؟ ولِمَ لم يحصل موت شهدائهم الكثير بزعمهم كفارة عن باقي النوع الإنساني،

---

(١) موقف اليهود والنصارى من المسيح (٤٤٥).

وكلهم ممتلئون من روح القدس، وإن قيل: إنه باعتبار ناسوته واقع مثلنا في خطيئة آدم، ولكن صلبه وهو ابن الله كان لتكفير الخطيئة عن جميع بني آدم وهو من ضمنهم.

قلت: إن كان صلبه باعتباره إله جاز على الله الموت والألم والجزع والاستغاثة بغيره والضعف وغير ذلك مما أظن أنكم تنزهون الله تعالى عنه وخصوصًا بعد قول المصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني)، وإن كان صلبه باعتباره إنسان فهو خاطئ مثلنا بمقتضى طبيعته البشرية، فكيف لايكون موته مكفرًا عنه وحده، ويكون ما ينال كلًا من في هذه الحياة من المشاق والأحزان والموت أو القتل وغير ذلك كفارةً له عن ذنبه، وقد كان أصل العقاب على ذنب آدم (كما في سفر التكوين) الموت والألم والتعب والعداوة للشيطان أو الحية، ونحو ذلك، وكل هذه الأشياء واقعةً بنا وباقيةً علينا إلى الآن[1].

الوجه العاشر: هل كان الإله المصلوب قادرًاعلى منع الصلب أم لا؟.

إما أن يقولوا: إن اللاهوت كان قادرًا على دفعهم على ناسوته وإما أن يقولوا لم يكن قادرًا فإن قالوا: لم يكن قادرًا لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين، وأن يكون رب العالمين مقهورا مأسورا مع قوم من شرار اليهود وهذا من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين وهذا أعظم من قولهم إن لله ولدًا وأنه بخيل وأنه فقير ونحو ذلك مما يسب به الكفار رب العالمين.

الوجه الحادي عشر: أليس هروب الإله واستغاثته عند صلبه دليل على أن صلبه كان بدون اختياره؟

وإن قالوا كان قادرًا فإن كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك فسنة الله في مثل ذلك نصر رسله المستغيثين به فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر فإن أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء والناسوت عندهم استغاث وقال: (إلهي إلهي لماذا تركتني) وإن كان هو قد فعل ذلك مكرا كما يزعمون أنه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق فناسوته أعلم بذلك من

(١) نظرة في كتب العهد الجديد (١٢٢).

جميع الخلق فكان الواجب أن لا يجزع ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره. ويقول بعضهم مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت بل لو يشاء اللاهوت ما يكرهه كانا متباينين وقد اتفقا على المكر بالعدو ولم يجزع الناسوت كما جرى ليوسف مع أخيه لما وافقه على أنه يحمل الصواع في رحله ويظهر أنه سارق لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع في رحله كما جزع إخوته حيث لم يعلموا وكثير من الشطار العيارين يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية. [1]

الوجه الثاني عشر: كيف يوقع الإله العقاب على الذي هو إله مثله؟

تقولون: إن عيسى إله، فكيف يوقع الإله العقاب على الذي هو إله مثله، وهو جزء مثله؟ ، فالنصارى يعتقدون أن الصلب وقع على الناسوت فقط، وهم يقولون إن الناسوت في اللاهوت كالماء في اللبن، جوهران أصبح جوهرًا واحدًا، من يعقل هذا؟

إذا كان عيسى عليه السلام إلهًا وقد صُلب ودُفن كما يقولون، فمن الذي أمسك السماوات من السقوط؟ والأرض أن تميد، ومن دبر شئون الخلق في هذه اللحظات التي غاب فيها الإله؟ [2].

الفصل الثامن: لماذا تأخر الصلب؟ وما هو حال الذين ماتوا قبل الصلب؟.

الوجه الأول: كيف يُترك الأنبياء في الجحيم في حبس الشيطان قرونًا عديدة حتى يأتي المسيح ليُصلب؟

مناسبة بين الصلب الذي هو من أعظم الذنوب سواء صلبوا المسيح أو المشبه به وبين تخليص هؤلاء من الشيطان فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديًا والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم، فلماذا أخر منعه من ظلمهم إلى زمن المسيح وهو سبحانه ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٦١.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (٣١٨: ٣٢٠).

يظلمهم ويجعل أرواحهم في جهنم هذا إن قدر أن الشيطان كان قادرا على ذلك وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأوليائه وسقوط التكليف عنهم واستحقاقهم كرامته وإحسانه وجنته بحكم وعده ومقتضى حكمته فجعله مسلطا على حبسهم في جهنم.

وإن قالوا الرب ﷻ ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان مع علمه بأنه ظالم معتد عليهم بعد الموت إلا بأن يحتال عليه بإخفاء نفسه ليتمكن الشيطان منه كما يزعمون فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم وجعل الرب سبحانه عاجزًا كما جعلوه أولًا ظالمًا فيه من التناقض ما يقتضي عظيم جهلهم الذي جعلوا به الرب جاهلًا فإنهم يقولون إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل كما احتال الشيطان على آدم بالحية فاختفى منه لئلا يعلم أنه ناسوت الإله.

الوجه الثاني: هل ضاقت الأمور بالإله بحيث لم يجد وسيلة للتوفيق بين العدل والرحمة إلا الصلب؟

أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح (في زعمهم)، فهل كان الله حائرًا بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ ألفي عام فقط أن يُصلب للتكفير عن خطيئة آدم ﷺ، ثم كيف ضاقت الأمور على رب العالمين في نظر النصارى حتى استحال عليه أن يجد طريقًا آخر للخلاص ووسيلة أخرى من الممكن بواسطتها أن يغفر خطيئة آدم بدلًا من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أن صلب ابنه بتلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر، فهل يُعالج المرض بمرض أخطر منه؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة غفرت لكم بدلًا من هذه التمثيلية البشعة؟ وكيف يُستساغ أن يظل سبحانه مضمرًا السوء للجنس البشري غاضبًا عليه آلاف السنين حتى جاءت رسالة المسيح، وهنا فقط ينتهي الغضب بحادثة الصلب والقتل المنسوبة إليه؟[1].

الوجه الثالث: كيف يكون أمر الصلب مخفيًا عن الأنبياء فلم يذكروه في كتبهم حتى أتى بولس بعد المسيح فذكره؟

إن من العجب أن يعتقد النصارى أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتومًا عن كل الأنبياء والرسل السابقين، ولم تكتشفه إلا

---

(١) الميزان في مقارنة الأديان (١٥٥).

الكنيسة، ومتى كان ذلك؟ لقد كان ذلك بعد حادثة الصلب والقتل، وإذا كان ذلك هو قصد الله ﷻ فلماذا لم يعلنه للجنس البشري من بدء الخليقة على ألسنة الأنبياء والرسل، ولماذا لم يوضحه الله في كتابه؟ ولماذا لم يوضحه المسيح في الإنجيل؟ [1].

وتظهر العقيدة النصرانية الله ﷻعاجزًا عن العفو عن آدم وذنبه، حائرًا في الطريقة التي ينبغي أن يعاقبه بها بعد أن قرر عقوبته، ويظهر قرار العقوبة وكأنه قرار متسرع يبحث له عن مخرج، وقد امتد البحث عن هذا المخرج قرونًا عديدة، ثم اهتدى إليه بعدُ، فكان المخرج الوحيد هو ظلم المسيح وتعذيبه على الصليب كفارة عن ذنب لم يرتكبه[2].

وفي هذا الصدد نسأل سؤالًا لا يجوز إغفاله أو الحيدة عن إجابته: كيف جهل الأنبياء ذلك المعتقد الهام، فلم يذكروه في كتبهم كما لم يذكره المسيح ولم يعرفه تلاميذه من بعده، حتى جاء به بولس وآباء الكنيسة، فكشفوا ما غاب عن الأنبياء والمرسلين؟[3].

الوجه الرابع: ما بال الذين ماتوا قبل مجيء المسيح كفاراً كانوا أم مؤمنين؟

ويقال للنصارى: ما تقولون فيمن اخترم قبل مجيء المسيح، أكفارًا كانوا أم مؤمنين؟ ، فإن قالوا: مؤمنين، فقد سَلَّموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح في تخليصهم، إذ إيمانهم هو الذي خلصهم.

وإن قالوا: بل كانوا كفارًا، أكذبهم المسيح إذ يقول في الإنجيل: "إني لم أرسل إلاّ إلى الذين ضلّوا من بيت إسرائيل، وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء" (متى ٩/ ١٥: ١٢).

ثم نقول لهم: ألستم تزعمون أن المسيح إنما تجشَّم ونزل من السماء لخلاص معشر الناس كما عقدتم في الأمانة التي لكم؟! فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فما قولكم فيمن مات قبل نزوله عليه السلام؟!. وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟!.

فإن قالوا: تعذّر تلافي أمره وفات استدراكه بموته. قلنا لهم: جوَّزتم المسيح ونسبتموه إلى الظلم والحيف حيث لم ينْزل لخلاصهم قبل موتهم، فلِمَ أخَّر ذلك حتى اخترموا على

---

(١) أقانيم النصارى (١١٦).

(٢) هل افتدانا المسيح؟ (١٥٩).

(٣) هل افتدانا المسيح؟ (١٦٧).

الكفر والضلال؟! وكيف صار الأحياء أحقّ برحمة المسيح عندكم من الأموات؟ وفي هذه المقالة هدم أصلكم في التحسين والتقبيح، وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح لما جاء دعا الأحياء وهو حيّ، ثم مات فدعا الأموات. في أجداثهم، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك. . . ، فنقول: أدعاهم في أجداثهم وهو حيّ أم دعاهم وهو ميّت؟! ، فإن قالوا: دعاهم وهو ميّت، سقطت مكالمتهم لتبيّن جنونهم، فإن قالوا: دعاهم وهو حيّ، نقضوا قولهم أنه مات فدعا الأموات(١).

الوجه الخامس: ما قولكم في الذين أخبر عنهم كتابكم المقدس بأنهم خلصوا بدون الحاجة للصلب المزعوم؟.

ثم إن هناك من لا يملك النصارى دليلًا على موتهم، فنجوا من الموت من غير فداء المسيح، وذلك متمثل في أخنوخ وإيليا اللذين رفعا إلى السماء وهما حيين كما في الأسفار المقدسة (انظر: التكوين ٥/ ٢٤، والملوك (٢) ٢/ ١١، وعبرانيين ١١/ ٥)(٢).

وتشهد الكتب المقدسة عند النصارى لكثيرين بالخيرية، وتثني عليهم، ولو كانوا مسربلين بالخطيئة الأصلية لما استحقوا هذا الثناء، ومن هؤلاء الأطفال الذين قال فيهم المسيح في إحدى وصاياه: " **اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. ٤فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.** " (متى ١٨/ ٣ – ٤)، ومن الأبرار أيضًا لاوي بن يعقوب، وأيضًا شهد المسيح بنجاة لعازر، وقد مات قبل الصلب المزعوم للمسيح.

ويجزم المسيح بخلاص العشار زكا الذي أنفق نصف ماله في سبيل الله من غير أن يحتاج لدم يخلصه أو فادٍ يصلب عنه، لقد نال الخلاص بالبر والعمل الصالح.

والعفو من الصفات الإلهية التي اتصف بها الرب، وطلب من عباده أن يتصفوا بها، وهو أولى بها لما فيها من كمال وحُسن، وقد عفا عن بني إسرائيل من غير كفارة ولا مصلوب "

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٣٨١: ٣٨٢.

(٢) هل افتدانا المسيح؟ (١٦٦).

رَضِيتَ يَا رَبُّ عَلَى أَرْضِكَ. أَرْجَعْتَ سَبْيَ يَعْقُوبَ. ٢غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيَّتِهِمْ. سِلاَهْ. ٣حَجَزْتَ كُلَّ رِجْزِكَ. رَجَعْتَ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ. " (المزمور ٨٥/ ١-٣).

ويقول بولس: " طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. ٨طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً " (رومية ٤/ ٧-٨)، فثمة أناس عفا الله عن خطاياهم وذنوبهم، وسترها عليهم، من غير دم يسفك عنهم، ولا تناقض بين عدل الله ورحمته بشأنهم[1].

الفصل التاسع: ماذا تحقق من الخلاص بالصلب المزعوم للإله؟

الوجه الأول: أي شيء تغير بوقوع الصلب المزعوم؟ وأي فتنة انطفأت؟ وأي آثام مُحيت؟

وأما قولهم: إنه أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداء عن الناس لينقذهم من الخطيئة والبأس، فهذا كلام من الكلام السخيف، وذلك أنه لا يخلو أن يفديهم بنفسه من عقاب نفسه أو عقاب غيره.

فإن كان إنما فداهم من عقاب نفسه، فما حاجته أن يرذل نفسه في أمر هو يملكه وزمامه بيده؟ فهلا عفا عنهم وأعفا نفسه من القتل والإهانة!

وإن كان إنما افتداهم من عقاب غيره فقد صار ضعيفًا عاجزًا لم يمكنه صلاح عباده إلاّ بأن يشفع لهم، ثم لا تقبل شفاعته حتى يبذل نفسه للصفع والإهانة والموت.

والعجب أنه مع بذل نفسه لهذه المحن لم تقبل شفاعته، ولم يحصل لهم الفداء الذي يدعون، هذا مع أن المشفوع إليه أبوه، أفلم يكن له عند أبيه من الجاه ما يُشَفِّعه في مطلوبه وهو معافى من هذه المحن بلا قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده؟

ومثل هذا الفعل لا يصدر إلاّ من العدوّ المشاحن وأرباب الحقود والضغائن، ومما يتعجب منه أن هذا الرّبّ الذي تدعون بعد أن تعنَّى ونزل إلى الأرض وحَلَّ به ما وصفتم يبتغي بذلك خلاصكم، لم يحصل لكم خلاص ولا تَمَّ له مراد. لأنه إن كان أراد خلاصكم من محن الدنيا فها أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر ومعالجة

---

(١) هل افتدانا المسيح؟ (١٥٣-١٥٤-١٦٣).

الهرم والكبر ومضاجعة الأجداث والحُفر. [1]

الوجه الثاني: أي خلاص تم لكم وأنتم ما زلتم مطالبين بالتكاليف والحساب يوم القيامة؟

تتحدث نصوص الكتب المسيحية عن الدينونة والجزاء الأخروي الذي يصير إليه العصاة والمذنبون من المسيحيين وغيرهم، وهو مبطل لمعتقدات كافة الفرق المسيحية في الفداء، فالمسيحيون يتحدثون في أناجيلهم عن الدينونة التي يعطيها الله يومئذ للمسيح (وقد أعطاه السلطان لأن يدين) (يوحنا٥/ ٢٧)، كما تتحدث النصوص المسيحية عن وعيد في النار لبعض أبناء البشر فدل ذلك على أنهم غير ناجين، فلم ينالهم الخلاص المزعوم (وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. . . ثُمَّ يَقُولُ أيضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ) (متى٢٥/ ٣١: ٤٢)، فلو كان الناس كلهم ينجون بالفداء كما قالت أكبر الكنائس لم يكن لهذه النصوص معنى[2].

ونحن نطرح سؤالًا على النصارى، فنقول لهم: إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟.

والنصارى يجيبون عن ذلك فيقولون بالحرف الواحد: إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم نسوا النور وعشوا عنه مؤْثرين الظلمة بإرادتهم، ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة مُحيت، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدَّت بعد ذلك، وسيُحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم، فلماذا كانت مظاهرة التجسد لخطيئة واحدة وتُركت خطايا لا تُعد. [3]

يقول بولس: " **مُخَلِّصِنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ** "، فهل رُفعت العقوبات بموت المسيح، وهل رُفع حكم الصلب عن ذرية آدم؟.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صـ ٤٠٨.

(٢) لكن شُبِّه لهم (٧٧: ٧٨).

(٣) موقف اليهود والنصارى من المسيح (٤٤٧).

والصحيح أن شيئًا لم يتغير، فما زال الناس يموتون من لدن المسيح، يموت أبرارهم وفجارهم، فلم يبطل حكم الموت فيهم، فالمسيح لم يبطل بصلبه ولا بدعوته أي موت، لا الموت الحقيقي ولا الموت المجازي، إذ مازال الناس في الخطيئة يتسربلون، ثم بعد ذلك يموتون.

وأما الموت الحقيقي فليس في باب العقوبة في شيء، بل هو أمر قد كتب على بني آدم، بَرهم وفاجرهم على السواء، قبل المسيح وبعده، وإلى قيام الساعة، وعليه نستطيع القول بأن ليس ثمة علاقة بين الموت وخطيئة آدم.

وكذلك فإن القصاصات الأخرى ما تزال قائمة، فما زال الرجال يكدون ويتعبون، وما تزال النساء تتوجع في الولادة. . . ويستوي في ذلك النصارى المفديون - حسب العهد الجديد- بدم المسيح وغيرهم.

والعجب من إصرار النصارى بعد وقوع هذه العقوبات على أن الذنب ما زال مستمرًا، وأنه لابد من فادٍ بعد هذه العقوبات الشديدة التي نالها أصحابها[1].

فما السبيل للنجاة من هذه الخطايا التي لا تزال تُصدر وتُمارس من بني آدم إذا كانت التوبة والأعمال لا تؤدي إليها كما زعم بولس، وقد تم الصلب والخلاص من خطيئة آدم منذ ألفي سنة، وقد حار علماؤنا في فهم نصوص الفداء المتناقضة كما حاروا في فهم ما يريده المسيحيون من الخلاص؟ ، هل الخلاص -أي الغفران- خاص بالمسيحيين تحديدًا أم هو لقوم يسوع من بني إسرائيل تعيينًا، أم أنه عام لكل البشر؟ [2].

وهل هو خاص بخطيئة آدم الموروثة، أم أنه خلاص عام من جميع الخطايا والذنوب؟ ، ثم إننا نسأل النصارى هذين السؤالين: هل تغير حال الدنيا من بعد المسيح عما كان قبله؟ سيقولون: لا، هل أنتم امتزتم عن سائر الناس بشيء؟ سيقولون: لا، ذلك أنه لا مزية لهم عن سائر البشر، فإنهم يسعون في طلب الرزق كسائر الناس[3].

---

(١) هل افتدانا المسيح؟ (١٦٦).

(٢) لكن شُبِّه لهم (٧٠: ٧٥).

(٣) أقانيم النصارى (١١٦).

الفصل العاشر: حقيقة الخلاص في الإسلام.

الوجه الأول: الخلاص بالإخلاص لله وترك الشرك وعبادة الله وحده واتباع نبيه محمدﷺ.

بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابن مريم فجدد لهم الدين وبين لهم معالمه ودعاهم إلى عبادة الله وحده والتبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة فعادوه وكذبوه ورموه وأمه بالعظائم وراموا قتله فطهره الله تعالى منهم ورفعه إليه فلم يصلوا إليه بسوء وأقام الله تعالى للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه ودخل فيه الملوك وانتشرت دعوته واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلثمائة سنة.

ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء بل ركَّبوا دينًا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

ومن المعلوم أن هذه الأمة ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة:

أحدهما: الغلو في المخلوق حتى جعلوه شريك الخالق وجزءًا منه وإلهًا آخر معه وأنفوا أن يكون عبدًا له.

والثاني: تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم حيث زعموا أنه - سبحانه وتعالى عن قولهم علوًا كبيرًا - نزل من العرش عن كرسي عظمته ودخل في فرج امرأة وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن ثم خرج من حيث دخل رضيعًا صغيرًا يمص الثدي ويبكي ويجوع ويعطش ويتغوط، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا قفاه وصلبوه جهرًا بين لصين وألبسوه إكليلًا من الشوك وسمروا يديه ورجليه وجرعوه أعظم الآلام هذا هو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم وهو المعبود المسجود له.

ولعمر الله إن هذه مسبة لله سبحانه ما سبه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم كما قال تعالى فيما يحكي عنه رسوله الذي نزهه ونزه أخاه المسيح عن هذا الباطل الذي: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ فقال: شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته[1].

إبطال التثليث بأقوال المسيح:

في الآية الثالثة من الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في خطاب الله هكذا: (**وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.**) فبين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية، عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى عليه السلام رسوله. وما قال: إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إله مجسم ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه، وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله واعتقاد الرسالة للمسيح فضدهما يكون موتًا أبديًا وضلالًا بينًا ألبتة، والتوحيد الحقيقي ضد للتثليث الحقيقي، وكون المسيح رسولًا ضد لكونه إلهًا، لأن التغاير بين المرسِل والمرسَل ضروري، وهذه الحياة الأبدية توجد في أهل الإسلام بفضل الله. وأما غيرهم فالمجوس ومشركوا الهند والصين محرومون منها لانتفاء الاعتقادين فيهم، وأهل التثليث من المسيحيين محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الأول، واليهود كافة محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الثاني[2].

الخلاص الحقيقي في الإسلام:

لا جدال أنه لا فداء ولا خلاص بتلك المفاهيم التي تعتنقها الطوائف النصرانية، بل

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ٤٥٠: ٤٦١.

(٢) إظهار الحق لرحمت الله هندي٣/ ٧٣٦.

الحق أن الخلاص كل الخلاص هو الخلاص من دعاوي الشرك بالله وتصحيح الاعتقاد السائد لديهم، ولا يكون ذلك إلا باتجاههم إلى عقيدة التوحيد في الإسلام التي لا لبس فيها ولا التواء، وهو أن الله واحد لا شريك له، وأن المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله دعا إلى التوحيد الخالص الذي أمر الله به"[1].

الجزاء أثر لازم للعمل:

إن مدار نجاة الإنسان في الآخرة من العقاب وفوزه بالنعيم والسعادة الأبدية إنما هو على تزكية نفسه وتطهيرها من العقائد الوثنية الباطلة والأخلاق الفاسدة حتى تكون متخلية من الأباطيل والشرور، متحلية بالفضائل وعمل البر والخير، ومدار الهلاك على ضد ذلك، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، فالله جعل كل إنسان متمسكًا بقواه الفطرية من أعمال الفجور والشرور، ومن أعمال التقوى والخيرات، وهو الذي يزكي نفسه بهذه أو يدسها بتلك، فإن صحت عقيدته وحسن عمله صلحت نفسه وزكت كانت أهلاً للنعيم في ذلك العالم العلوي، ومن كانت عقيدته خرافية باطلة، وأعماله سيئة فسدت أخلاقه وخبثت نفسه، وكان هو الذي تكلف تدسيتها ودهورتها إلى هاوية الجحيم، ولا يُشترط في التزكية أن لا يلم الإنسان بخطأ ولا تقع منه سيئة البتة، بل المدار على طهارة القلب وسلامته من الخبث وسوء النية بحيث إذا غلبه بعض انفلات النفس أَلَمَّ بذنب يبادر إلى التوبة ويلجأ إلى الندم والاستغفار، وتكفير ذلك الذنب بعمل صالح، فيكون مثل نفسه كمثل بيت تتعاهده ربته من التراب بالكنس والمسح وسائر وسائل النظافة، فإذا أَلَمَّ به غبار أو أصابه دنس بادرت بإزالته، فيكون الغالب عليه النظافة، ولا يشترط في الشهادة له بذلك ما لا تخلو منه البيوت النظيفة عادةً من قليل غبار أو وسخ لا يلبث أن يزال، فالجزاء أثر لازم للعمل، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

فمن أخلص لله في تزكية نفسه وإصلاحها بالإيمان والعمل الصالح بقدر استطاعته كان

---

(١) الميزان في مقارنة الأديان (١٦٠).

مقبولًا مرضيًا عند الله تعالى، ولا يؤاخذه تعالى بما لا يستطيع، ومن لم يكن كذلك غضب الله عليه، وكان محرومًا من رضوانه الأكبر، ولا ينفعه في الآخرة شفاعة شافع ولا يُقبل منه فداء لو ملك الفداء، ولا يستطيع أحد من أهل السماوات والأرض أن يشفع لأحد لم يرض الله تعالى بالإيمان والإخلاص وتزكية النفس التي يقلب بها الحق والخير على ضدها[١].

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾،﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾، وقد علم مما ذكرناه من تزكية النفس، وتدسيتها بعمل الإنسان وكسبه الاختياري أن الجزاء في الآخرة أثر لازم للتزكية والتدسية مرتب عليهما ترتيب المسبب على السبب، والمعلول على العلة بفضل الله وحكمته ومقتضى سننه في خلقه، والله يضاعف لمن يشاء ويزيدهم من فضله.

أليست هذه التعاليم الإسلامية هي التي ترفع قدر الإنسان وتُعلي همته وتحفزه إلى طلب الكمال بإيمانه وإخلاصه وأعماله الصالحة، أليست أفضل وأنفع من الاتكال على تلك القصة الصليبية المأثور مثلها عن خرافات الوثنيين التي لا يصدقها عقل مستقل[٢].

الوجه الرابع: كفارة الذنب عند المسلمين.

وفيه مسائل:

الأولى: بيان أن الله قد تاب على آدم

خلق الله آدم وقد علم سبحانه أنه خلقه ليجعله خليفة في الأرض ويستخلف أولاده، واقتضت حكمته سبحانه أن يبتلي الأبوين لتمام سعادتهم، فإن كمال العبودية والمحبة والطاعة إنما يظهر عند المعارضة والدواعي إلى الشهوات والإرادات المخالفة للعبودية[٣].

---

(١) تفسير المنار٦/ ٢٩: ٣٠.

(٢) تفسير المنار٦/ ٣١.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ٢٦٨).

كما قال تعالى قبل خلقه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

فإن الله سبحانه سبق حكمه وحكمته بأن يجعل في الأرض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد بكون هذا الخليفة وذريته في الأرض قبل خلقه لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة فلم يكن بد من إخراجه من الجنة إلى دار قد سكناهم فيها قبل أن يخلقه وكان ذلك التقدير بأسباب وحكم فمن أسبابه النهي عن تلك الشجرة وتخليته بينه وبين عدوه حتى وسوس إليه بالأكل وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية وكانت تلك الأسباب موصلة إلى غايات محمودة مطلوبة يترتب على خروجه من الجنة ثم يترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لحكم ومن تلك الغايات عوده إليها على أكمل الوجوه[٢].

لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له لأنه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وإنما أهبطه إما تأديبا وإما تغليظا للمحنة والصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة ولله أن يفعل ما يشاء[٣].

وبلي الحبيب آدم عليه السلام بالذنب فاعترف وتاب وندم وتضرع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة وهو التوحيد والاستغفار فأزيل عنه العتب وغفر له الذنب وقبل منه المتاب وفتح له من الرحمة والهداية كل باب ونحن الأبناء ومن أشبه أباه فما ظلم ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدي لأحسن الشيم[٤].

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لما اقتضت حكمته ورحمته إخراج آدم وذريته من الجنة أعاضهم أفضل منها وهو ما أعطاهم من عهده الذي جعله سببا موصلا لهم إليه، فمن أتيه

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥١٧).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٢٤٢).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢١٣).

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣).

منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١].

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (طه: ١٢١، ١٢٢)، فبهذا الإطلاق وهذا التصريح، وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة، وكأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعتب على النبيّ المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع، فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلًا عن أن تجسروا عن التورط في الكبائر[٢].

وأجمع أهل الإسلام أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي معصية بعمد سواء كانت صغيرة أو كبيرة، ونقول أنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضًا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين وينبههم عليه[٣].

اتفق العلماء على أن الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص اجتماعًا، إنما اختلف العلماء في هل وقع من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا؟ ، والذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات،

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢٢٥).

(٢) تفسير البحر المحيط (٦/ ٢١٥).

(٣) الفصل في الملل لابن حزم (٤/ ١٩).

(بالنسبة) إلى مناصبهم وعلو أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة - صلوات الله وسلامه عليهم - وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم(١).

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم، وعصمتهم هي من أن يقروا على الذنوب والخطأ(٢).

الثانية: وقوع الأنبياء في الذنب لا ينقص من قدر النبوة والعصمة.

اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيا لا يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة يستلزم هذا وقول القائل لو لم يكن كذلك لم تحصل ثقة فيما يبلغونه عن الله كذب صريح فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأه الله بعد ذلك كما نبأ إخوة يوسف ونبأ لوطا وشعيبًا وغيرهما وأيده الله تعالى بما يدل على نبوته فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان. والتوبة قد صار أفضل من غيره والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من عهد الرسول ﷺ وقبل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث كانوا من خيار الخلق وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام.

ولا ريب أن السيئات لا يؤمر بها وليس للعبد أن يفعلها ليقصد بذلك التوبة منها فإن هذا مثل من يريد أن يحرك العدو عليه ليغلبهم بالجهاد، وهذا جهل بل إذا قدر من ابتلى بالعدو

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٦٤: ٢٦٣).

(٢) رسالة في التوبة لابن تيمية (٢١٦).

فغلبه كان أفضل ممن لم يكن كذلك، والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها[1].

وهو سبحانه وله الحمد لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر معه توبته لينزهه عن النقص والعيب ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته وعظمت حسناته وقربه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة، وأما من ذكر الله تعالى وتبارك عنه ذنبا كآدم عليه السلام فإنه لما قال﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه: ١٢١-١٢٢)، وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧).

ومن احتج على امتناع ذلك بأن الإقتداء بهم مشروع والاقتداء بالذنب لا يجوز قيل له إنما يقتدي بهم فيما أقروا عليه لا فيما نهوا عنه كما أنه إنما يقتدي بهم فيما أقروا عليه ولم ينسخ ولم ينسه فيما نسخ وحينئذ فيكون التأسي بهم مشروعا مأمورا به لا يمنع وقوع ما ينهون عنه ولا يقرون عليه لا من هذا ولا من هذا وإن كان اتباعهم في المنسوخ لا يجوز بالاتفاق.

والذي أجمع عليه جمهور المسلمين من سلف الأمة وأئمتها في شأن الأنبياء أن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والله أعلم حيث يجعل رسالاته فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره وفي عقله ودينه واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته، فالأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون، فالنبي مع وقوع الذنب الذي هو بالنسبة إليه ذنب وقد لا يكون ذنبا من غيره مع تعقبه بالتوبة والإستغفار لا يقدح في كون الرجل من المقربين السابقين ولا الأبرار ولا يلحقه بذلك وعيد في الآخرة فضلا عن أن يجعله من الفجار.

فليس من تاب إلى الله تعالى وأناب إليه بحيث صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها منقوصًا ولا مغضوضًا منه، بل هذا مفضل عظيم مكرم وبهذا ينحل جميع ما يوردونه من

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣٩٦: ٤٠٠).

الشبه حول آدم عليه السلام.

والإنسان ينتقل من نقص إلى كمال فلا ينظر إلى نقص البداية ولكن ينظر إلى كمال النهاية، وإذا ابتلى العبد بالذنب وقد علم أنه سيتوب منه ويتجنبه ففي ذلك من حكمة الله ورحمته بعبده أن ذلك يزيده عبودية وتواضعا وخشوعا وذلا ورغبة في كثرة الأعمال الصالحة ونفرة قوية عن السيئات فإن النبي ﷺ قال: " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين "، وذلك أيضًا يدفع عنه العجب والخيلاء ونحو ذلك مما يعرض للإنسان وهو أيضًا يوجب الرحمة لخلق الله ورجاء التوبة والرحمة لهم إذا أذنبوا وترغيبهم في التوبة.

وهو أيضًا يبين من فضل الله وإحسانه وكرمه ما لا يحصل بدون ذلك كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم، وهو أيضًا يبين قوة حاجة العبد إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه في أن يستعمله في طاعته ويجنبه معصيته وأنه لا يملك ذلك إلا بفضل الله عليه وإعانته له فإن من ذاق مرارة الابتلاء وعجزه عن دفعه إلا بفضل الله ورحمته كان شهود قلبه وفقره إلى ربه واحتياجه إليه في أن يعينه على طاعته ويجنبه معصيته أعظم ممن لم يكن كذلك.

ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه، ولهذا تجد التائب الصادق أثبت على الطاعة وأرغب فيها وأشد حذرا من الذنب من كثير من الذين لم يبتلوا بذنب، وقد تكون التوبة موجبة له من الحسنات ما لا يحصل لمن يكن مثله تائبا من الذنب[1].

فمن يجعل التائب الذي اجتباه الله وهداه منقوصا بما كان من الذنب الذي تاب منه وقد صار بعد التوبة خيرًا مما كان قبل التوبة فهو جاهل بدين الله تعالى وما بعث الله به رسوله، ولسنا نقول إن كل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم يذنب ذلك الذنب بل هذا يختلف باختلاف أحوال الناس فمن الناس من يكون بعد التوبة أفضل ومنهم من يعود إلى ما كان ومنهم من لا يعود إلى مثل حاله والأصناف الثلاثة فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٤٣٤).

ويتب وفيهم من هو مثله وفيهم من هو دونه[1].

الثالثة: أسباب مغفرة الذنوب للعبد.

فإن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب:

السبب الأول: التوبة

فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة مقبولة من جميع الذنوب الكفر والفسوق والعصيان، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال ٣٨)، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة ٧٤: ٧٣)، فالتوبة عامة لكل عبد مؤمن كما قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ (الأحزاب: ٧٣).

وقد أخبر الله في كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (البقرة ٣٧)، وقال موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (القصص ١٦)، فالتوبة مشروعة لكل عبد للأنبياء ولمن دونهم وأن الله سبحانه يرفع عبده بالتوبة وإذا ابتلاه بما يتوب منه فالمقصود كمال النهاية لا نقص البداية فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو يبدل بالتوبة السيئات حسنات والذنب مع التوبة يوجب لصاحبه من العبودية والخشوع والتواضع والدعاء وغير ذلك مالم يكن يحصل قبل ذلك ولهذا قال طائفة من السلف إن العبد ليفعل الذنب فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة فيدخل بها النار يفعل الذنب فلا يزال نصب عينيه إذا ذكره تاب إلى الله ودعاه وخشع له فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة

---

(١) المصدر السابق.

فيعجب بها فيدخل النار.

السبب الثاني: الاستغفار.

فإن الاستغفار هو طلب المغفرة وهو من جنس الدعاء، والسؤال وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو وقد يدعو ولا يتوب، والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة.

السبب الثالث: الأعمال الصالحة.

فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (هود ١١٤)، وقال النبي ﷺ لأبي ذر يوصيه: " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[١]، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"[٢]، وقالﷺ: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[٣]، وغير ذلك الكثير من الآيات والأحاديث.

إن الإنسان قد يقول إذا كفر عنى بالصلوات الخمس فأي شيء تكفر عني الجمعة أو رمضان وكذلك صوم يوم عرفة وعاشوراء وبعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجد ما تكفره من السيئات، فيقال: أولًا العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول، والله تعالى إنما يتقبل من المتقين.

فإن الله لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصًا لوجه الله تعالى، صاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال تقبل الله منه ومن هو أفضل منه إذا لم يتق الله في عمل لم يتقبله منه وإن تقبل منه عملًا آخر، وإذا كان الله يتقبل ممن يعمل العمل على

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٣٩٢)، والترمذى (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٠).

(٢) مسلم (٢٣٣).

(٣) البخاري (١٧٢٣)، مسلم (١٣٥٠).

الوجه المأمور به.

ففي السنن عن عمار عن النبي ﷺ أنه قال: "إن العبد لينصرف عن صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها حتى قال إلا عشرها"[١]، وقال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها، وفي الحديث: "رب صائم حظه من صيامه العطش ورب قائم حظه من قيامه السهر "[٢]، وكذلك الحج والجهاد وغيرهما.

فالمحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال وأكثر الناس يقصرون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم فالسعيد منهم من يكتب له نصفها وهم يفعلون السيئات كثيرًا فلهذا يكفر بما يقبل من الصلوات الخمس شيء وبما يقبل من الجمعة شيء وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر وكذلك سائر الأعمال وليس كل حسنة تمحو كل سيئة بل المحو يكون للصغائر تارة ويكون للكبائر تارة باعتبار الموازنة.

والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر كما في الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: " يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلًا كل سجل منها مد البصر فيقال هل تنكر من هذا شيئًا فيقول لا يا رب فيقول لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله فيقول أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع هذه البطاقة في كفيه والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات". [٣]

فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص وإلا فأهل الكبائر (من المسلمين) الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجم قول صاحب البطاقة. وفي الصحيحين إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم

---

(١) مسند أحمد (١٨٨٩٩)، سنن النسائي (٦١١). وحسنه الألباني في الإيمان لابن تيمية ١/ ٢٩.

(٢) مسند أحمد (٨٨٤٣)، سنن النسائي (٣٢٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٩٥).

حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فسقته به فغفر لها.

فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل ما بغى سقت كلبا يغفر لها وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وليس كل من نحى غصن شوك عن الطريق غفر له، قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (الحج ٣٧)، فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكول والتصدق به لكن يناله تقوى القلوب، فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب وما في القلوب يتفاضل لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق ولم يضرب بعضه ببعض.

والمقصود أن فضل الأعمال وثوابها ليس بمجرد صورها الظاهرة بل لحقائقها التي في القلوب، والناس يتفاضلون في ذلك تفاضلًا عظيمًا.

السبب الرابع: الدعاء للمؤمنين.

فإن صلاة المسلمين على الميت ودعاءهم له من أسباب المغفرة

السبب الخامس: دعاء النبي ﷺ.

واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة.

السبب السادس: ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدي له مثل من يتصدق عنه ويحج عنه ويصوم عنه.

السبب السابع المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا

كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه. (١)

---

(١) مسلم (٢٥٧٢).

السبب الثامن: ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.

السبب التاسع:ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.

السبب العاشر: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[١].

الرابعة: الله ﷻ يقضي بين عباده ولا يظلم أحدا، ولا تزر وازرة وزر أخرى

الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، فإن ذلك ينزه الله عنه بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺأن الله تعالى يقول: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا "[٢]، فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾، فالله سبحانه يحسن ويعدل ولا يخرج فعله عن العدل والإحسان ولهذا قيل كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل.

وعلى هذا فعقوبة الإنسان بذنب غيره ظلم ينزه الله عنه وأما إثابة المطيع ففضل منه وإحسان[٣].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾، فالصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وإرادة هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل المرء سيئات غيره ولا يعذب بما لم تكسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازي بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٦/ ٢٠٦: ٢٢٦).

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

(٣) منهاج السنة١/ ١٣٧ -٢/ ٣٠٩.

العبد بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [١].

قال أهل السنة والحديث ومن وافقهم: إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهو سبحانه حكم عدل لا يضع الشيء إلا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والمصلحة، وهو سبحانه لا يفرق بين متماثلين ولا يساوي بين مختلفين ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ويضعها بوضعها لما في ذلك من الحكمة ولا يعاقب أهل البر والتقوى، وهذا قول أهل اللغة قاطبةً.

وقال المفسرون من السلف، والخلف قاطبةً: أن الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم هو أن ينقص من حسنات العامل[٢].

إن سائر أهل السنة الذين يقرون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجبًا ولا أن يفعل قبيحًا، فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام[٣].

وإن الظلم مقدور ممكن والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئا والمدح إنها يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع، قالوا: وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾، قالوا: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ أي لا تنقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزه الله عنه، ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٤٥٨: ٤٦٠.
(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٢٢٢.
(٣) منهاج السنة النبوية ١/ ١٣٤: ١٣٦.

وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره[(١)].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ أي لا يضيع جزاء من أحسن ولو بمثقال ذرة فدل على أن إضاعتها وترك المجازاة بها مع عدم ما يبطلها ظلم يتعالى الله عنه ومعلوم أن ترك المجازاة عليها مقدور يتنزه الله عنه لكمال عدله وحكمته ولا تحتمل الآية قط غير معناها المفهوم منها وقال تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾، وقوله: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾، فالله لا يعاقب العبد بغير إساءة ولا يحرمه ثواب إحسانه، ولا يحمل أحد في وزر غيره شيء، وأنه لا يستحق إلا ما سعاه وأن هذا هو العدل الذي نزه نفسه عن خلافه[(٢)].

الله ﷻ ليس كمثله شيء، فلا تماثل صفات الله وأفعاله صفات خلقه وأفعالهم

فسلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم كالأربعة وغيرهم وأهل العلم بالكتاب والسنة متفقون على أن الله موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يتأولون كلام الله بغير ما أراده ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق بل يعلمون أن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل هو موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص وليس له مثل في شيء من صفاته[(٣)].

الخامسة: أعمال العبد الصالحة هي من توفيق الله وليست ثمنًا ولاعوضًا

الله ﷻ يتصرف في خلقه بالعدل لا بالظلم وبالإحسان لا بالإساءة وبالصلاح لا بالفساد، فهو يأمرهم وينهاهم إحسانًا إليهم وحمايةً وصيانةً لهم ولا حاجة إليهم ولا بخلًا عليهم، بل جودًا وكرمًا ولطفًا وبرًا، ويثيبهم إحسانًا وتفضلًا ورحمةً لا لمعاوضة

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/ ٣٠٤: ٣٠٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٦١.

(٣) الجواب الصحيح ١/ ٢٤١.

واستحقاق منهم، ودين واجب لهم يستحقونه عليه، ويعاقبهم عدلًا وحكمةً لا تشفيًا ولا مخافةً ولا ظلمًا[١].

وأنه سبحانه له الحكمة البالغة في خلقه وأمره، وله النعمة السابغة على خلقه، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأنه سبحانه لم يكلف عباده إلا وسعهم، وأنه سبحانه لا يعاقب أحدًا بغير فعله ولا يعاقبه على فعل غيره[٢].

أعمالنا لا توجب على الله لنا ثوابًا:

فأعمالنا لا أثر لها في إيجاب شيء أو تحريمه على الله، ومصدر الإيجاب والتحريم هو الله سبحانه وتعالى، إذ أنه لم يخل بما وعد به، فإذا كانت الجنة ثوابه والنار عقابه، وقد أوعد بهما، فإنه يفي بوعده دون أن يوجب عليه الخلق شيئًا، ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه، وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه فهو ضال، والغاية المرادة به الجزاء بالعدل، والثواب والعقاب، وفضل الله على عباده غير مقيد بقدر أعمالهم[٣].

دخول العباد الجنة بفضل الله ورحمته:

إن الله قدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال، وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول السرور في الدنيا الآخرة في كتابه على الأعمال ترتيب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب[٤].

عمل العبد الصالح لا يوفي حق الله ﷻ عليه:

فالرب تبارك وتعالى هو المنعم حقيقة بصنوف النعم التي لا يحصيها أهل سماواته وأرضه، ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويقتضيه، فإذا وُزعت طاعات العبد كلها على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها إلا جزءًا يسيرًا جدًا لا نسبة له إلى قدر تلك النعمة بوجه من الوجوه، وأنه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤١١.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (١٢٠).

(٣) قضية الثواب والعقاب بين مدارس الإسلاميين .

(٤) الداء والدواء (٢٧: ٣٠).

عليه، وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب من دونه، فيكون حق الله عليه أعظم، وأعماله لا تفي بحقه عليه فنعم الله تطالبه بالشكر، وأعماله لا تقابلها، وذنوبه وغفلته وتقصيره قد تستنفد عمله، فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبدًا مملوكًا مستعملًا فيما يأمره به سيده، فنفسه مملوكة، وأعماله مستحقة بموجب العبودية، فليس له شيء، فلا هو مالك لنفسه ولا صفاته ولا أعماله، بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه لمالكه[1].

الأعمال الصالحة أسباب لا أعواض ولا أثمان:

قال النبيﷺ: لن ينجي أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل.

وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، فإنها إنما تدل على أن الأعمال أسباب لا أعواض وأثمان والذي نفاه النبي ﷺ في الدخول بالعمل هو نفي استحقاق العوض ببذل عوضه فالمثبت باء السببية والمنفي باء المعاوضة والمقابلة وهذا فصل الخطاب[2].

شكر الله على نعمه لا يقدر على القيام به أحد، لكثرة نعم الخالق وتقصير المخلوق:

الله هو المنعم المالك على الحقيقة الذي لا تُعد نعمه وحقوقه على عبده، ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجه، فلو عذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له، وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله، ولا تكون أعماله ثمنًا لرحمته البتة، فلولا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنا أحدًا عيش البتة، ولا عرف خالقه ولا ذكره ولا آمن به ولا أطاعه، ومن لم ينظر في حقه عليه وتقصيره وعجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق بربه وبنفسه ولا تنفعه طاعاته ولا يسمع دعاؤه.

وسر المسألة أنه لما كان شكر المنعم على قدره، وعلى قدر نعمه، ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد، وله المطالبة به، وأن لم يغفر له ويرحمه وإلا عذبه، فحاجتهم إلى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه، فإن لم يحفظهم

(١) شفاء العليل لابن القيم (٢٤٠).

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٤٥.

هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا، وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا، ولهذا قال أبوهم آدم وأمهم حواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [1].

ولا يخاف أن يحمل عليه من سيئات غيره، ولا ينقص من حسناته ما يتحمل، فهذا هو العقول من الظلم ومن عدم خوفه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلما نفى الظلم عن نفسه وأثبته لهم دل على أن الظلم المنفي أن يعذبهم بغير جرم، وأنه إنما عذبهم بجرمهم وظلمهم، ولا تحتمل الآية غير هذا، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

ولا ريب أن هذا مذكور في سياق التحريض على الأعمال الصالحة والاستكثار منها، فإن صاحبها يجزي بها ولا ينقص منها بذرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فأخبر أنه ليس على أحد في وزر غيره شيء، وأنه لا يستحق إلا ما سعاه وأن هذا هو العدل الذي نزه نفسه عن خلافه.

فالنصوص تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه، ووضعه العقوبة والثواب مواضعهما، وأنه لا يعدل بهما عن سننهما، وأنه لو عذَّب أهل سماواته وأرضه لكان ذلك تعذيبًا لحقه عليهم، وكانوا إذ ذاك مستحقين للعذاب؛ لأن أعمالهم لا تفي بنجاتهم (ولو رحمهم لكان رحمته خيرًا لهم من أعمالهم)، فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكان ذلك لمجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم [2].

فجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله، فما نجى منهم أحدًا إلا بعفوه ومغفرته، ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته [3].

---

(١) شفاء العليل (٢٤٠: ٢٤٦).

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٦٢: ٤٦١.

(٣) المصدر السابق.

الله ﷻ غني عن خلقه، فلا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي:

فبين سبحانه أن ما أمرهم به من الطاعات، وما نهاهم عنه من السيئات لا يتضمن استجلاب نفعهم ولا استدفاع ضررهم؛ كأمر السيد عبده والوالد ولده، والإمام رعيته بما ينفع الآمر والمأمور، ونهيهم عما يضر الناهي والمنهي، فبين تعالى أنه المنزه عن لحوق نفعهم وضرهم به في إحسانه إليهم بما يفعله بهم وبما يأمرهم به، وأنهم لو أطاعوه كلهم لم يزيدوا في ملكه شيئًا، ولو عصوه كلهم لم ينقصوا من ملكه شيئًا، وأنه الغني الحميد، ومن كان هكذا فإنه لا يتزين بطاعة عباده، ولا تشينه معاصيهم، ولكن له من الحكم البوالغ في تكليف عباده وأمرهم ونهيهم ما يقتضيه ملكه التام وحمده وحكمته، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يستوجب من عباده شكر نعمه التي لا تحصى بحسب قواهم وطاقتهم، لا بحسب ما ينبغي له، فإنه أعظم وأجلُّ من أن يقدر خلقه عليه، ولكنه سبحانه يرضى من عباده بما تسمح به طبائعهم وقواهم، فلا شيء أحسن في العقول والفطر من شكر المنعم، ولا أنفع للعبد منه فهذان مسلكان آخران في حسن التكليف والأمر والنهي:

أحدهما: يتعلق بذاته وصفاته وأنه أهل لذلك وإن جماله تعالى وكماله وأسماءه وصفاته تقتضي من عباده غاية الحب والذل والطاعة له.

والثاني: متعلق بإحسانه وإنعامه ولا سيما مع غناه عن عباده وانه إنما يحسن إليهم رحمة منه وجودًا وكرمًا لا لمعاوضة ولا لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة وأي المسلكين سلكه العبد أوقفه على محبته وبذل الجهد في مرضاته.[1]

فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْهَا، وَحَاصِلٌ بِهَا، وَكُلُّ نَقْصٍ فِي الْوُجُودِ فَسَبَبُهُ مِنْ إضَاعَتِهَا، فَالشَّرِيعَةُ الَّتِي بَعَثَ الله بِهَا رَسولَهُ هِيَ عَمُودُ الْعَالَمِ[2].

الله ﷻ أفعاله كلها حكمة، فلا يناقض عدل رحمته:

---

(١) مفتاح دار السعادة٢/ ٤٥٠.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم٣/ ٣.

أسماء الله كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب وأفعاله كلها حكمة ورحمة مصلحة وإحسان وعدل لا تخرج عن ذلك البتة وهو المحمود على ذلك كله فيستحيل إضافة الشر إليه، فالنعم كلها من نعم الله وفضله على عبده وهو سبحانه لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها ولا يناقض جوده ورحمته وفضله حكمته وعدله(١).

فأهل الإيمان من أهل السنة والجماعة يعملون أن الله أنعم عليهم بالطاعات، وأنها من نعمته عليهم وفضله وإحسانه، وأن المعاصي من نفوسهم الظالمة الجاهلة(٢).

الله ﷻ خلق خلقه وأقدرهم على فعل الخير والشر ابتلاء :

ويتساءل أهل الباطل ويقولون: إذا كان الرب قادرًا على الفضل بمثل الثواب والعقاب ابتداءً بلا واسطة عمل، فلما شرع التكاليف والبلوى والمشاق في هذه الحياة وأهل السنة يجيبونهم عن ذلك بالقول: لو أن الرب تعالى خلق خلقه ممنوعين من المعاصي غير قادرين عليها بوجه لم يكن لإرسال الرسل وإنزال الكتب والأمر والنهى والثواب والعقاب سبب يقتضيه ولا حكمة تستدعيه وفي ذلك تعطل الأمر جملة، بل تعطيل الملك والحمد والرب تعالى له الخلق والأمر وله الملك والحمد والغايات المطلوبة والعواقب المحمودة التي لأجلها أنزل كتبه وأرسل رسله وشرع شرائعه وخلق الجنة والنار ووضع الثواب والعقاب وذلك لا يحصل إلا بأقدار العباد على الخير والشر وتمكينهم من ذلك فأعطاهم الأسباب والآلات التي يتمكنون بها من فعل هذا وهذا(٣).

إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجل عوض وأفضله وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردًا عنه وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (٩٠: ٨٨).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (١٠٥: ٩٠).

(٣) مفتاح دار السعادة ٤/ ٤٣٠: ٤٢٩.

وإن لم يرده ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه والضراعة إليه والتذلل بين يديه والتوبة والرجوع إليه فهو علامة شقاوته وإرادته الشر[(١)].

فالعبد الموحد يشهد انفراد الرب بالخالق ونفوذ مشيئته وتعلق الموجودات بأسرها به وجريان حكمه على الخليقة وانتهاءها إلى ما سبق لها في علمه وجرى به قلمه ويشهد ذلك أمره ونهيه وثوابه وعقابه وارتباط الجزاء بالأعمال واقتضاءها له ارتباط المسببات بأسبابها التي جعلت أسبابًا مقتضية لها شرعًا وقدرًا وحكمة فشهوده توحيد الرب وانفراده بالخلق ونفوذ مشيئته وجريان قضائه وقدره يفتح له باب الاستعاذة ودوام الالتجاء إليه والافتقار إليه وذلك يدنيه من عتبة العبودية ويطرحه بالباب فقيرا عاجزًا مسكينًا لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وشهوده أمره تعالى ونهيه وثوابه وعقابه يوجب له الحمد والتشمير وبذل الوسع والقيام بالأمر والرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير فيكون سيره بين شهود التقصير والإساءة منه وتطلب عيوب نفسه وأعمالها فهذا هو العبد الموفق المعان الملطوف به المصنوع له الذي أقيم مقام العبودية وضمن له التوفيق وهذا هو مشهد الرسل فهو مشهد أبيهم آدم إذ يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)].

حكمة الله ﷻ في التخلية بين العبد والذنب:

فالله ﷻ هو الحكيم الخبير يشهد له بالحكمة في تخليته بينه وبين الذنب، وإقداره عليه وتهيئة أسبابه له، وأنه لو شاء لعصمه وحال بينه وبينه، ولكنه خلى بينه وبينه لحكم عظيمة لا يعلم مجموعها إلا الله:

١- أنه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم.

٢- تعريفه العبد بحاجته إلى ربه، وأنه إن لم يحفظه ربه وهلك.

---

(١) طريق الهجرتين (١٥٢).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١٥٥: ١٥٢).

٣- استجلابه من العبد استعانته به واستعاذته به من عدوه وشر نفسه

٤- تكميل مقام الذل والانكسار عندما يذنب، فلا يغتر إليه بعمله وصلاحه.

٥- تعريف الإنسان بحقيقة نفسه الحاصلة، وأن كل خير هو فضل الله.

٦- تعريف العبد بعلم الله، وأنه لو شاء لعجل له العقوبة، ولكنه يعفو عنه.

٧- تعريف العبد أن سبيل النجاة، وهو عفو الله وأنه كريم يقبل توبته.

٨- أن يرحم الخلق ويقبل معاذيرهم، كما يحب أن يعفو الله عن ذنبه.

٩- أن يستخرج من قلبه عبوديته بالخزف والخشية.

١٠- أن يعرف العبد مقداره مع معافاته وفضله في توفيقه وعصمته.

١١- من تربى في العافية لا يعرف ما يقاسيه المبتلى، ولا يعرف مقدار العافية.

١٢- توبة العبد إلى ربه توجب مزيد حبه وشكر ورضا لا يحصل بدون التوبة.

١٣- إن شهد إساءته وظلمه استقل عمل الكثير لعلمه أن الذي يصلح لفعل ذنوبه أضعاف ما يفعله، فهو دائمًا مستقل عمله ولا يعجب به.

١٤- الوقوع في الذنب يوجب له الحذر والتيقظ من مصايد العدو ومكايده.

١٥- أنه قد يكون هناك أمراض في القلب لا يشعر بها، فعندما يقع في ذنب يطلب منه دواء فيشفى من ذنبه الخفي.

١٦- أنه يذيقه ألم الحجاب، والبعد عن الله بارتكاب الذنب، فيدفعه للتوبةوالإنابة.

١٧- امتحان العبد واختباره هل يصلح لعبوديته أم لا؟ ، فإن كان ممن يصلح تضرع لربه ليرده إليه، وإن استمر العبد في أعراضه وما سُلب منه من حلاوة الطاعة، وإصراره على ذنبه عُلم أنه لا يصلح لله.

١٨- الحكمة الإلهية في الابتلاء والاختبار لا يتم إلا بالوقوع في الذنب الذي من موجبات البشرية.

١٩- أن ينسيه رؤية أعماله الحسنة، ويشغله برؤية ذنوبه.

٢٠- أن وقوع الذنب الذي يجعله أن لا يرى لنفسه على أحد فضلًا، ويشتغل بعيب نفسه يوجب له المسامحة للخلق عن تقصرهم في حقه لعلمه أنه لم يقوم بحق الله عليه. [١]

معنى العبادة، وبمَ تتحقق العبودية:

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فجميع ما يحبه الله داخلًا في اسم العبادة، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها وبها أرسل جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، و العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة لله، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا لله.

فالإله الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه ومحتاج إليه عرف عبوديته المتعلقة بربوبية الله، وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه. [٢]

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم[٣].

وكلما قوى طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته، ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحريته مما سواه، وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، من استعبد قلبه فصار عبدًا لغير الله فهذا يضره ذلك كل الضرر.

ومن أعظم هذا البلاء إعراض القلب عن الله فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله

---

(١) طريق الهجرتين ٢٦٦-٢٧٠ بتصرف واختصار.

(٢) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٣٩٨: ٣٩٤).

(٣) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٤١٥: ٤٠٠).

والإخلاص له لم يكن شيء قط عنده أحلى من ذلك ولا أطيب ولا ألذ ولا أقنع، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوى في قلبه انقهر له هواه بلا علاج، فالله يصرف عن عبده ما يسوءه من الميل إلى المحرمات بإخلاصه لله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك فإنه يفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل[1].

المؤمن يحب الله لذاته:

فطريق أهل العلم والإيمان الذين عقلوا عن الله أمره ودينه وعرفوا مراده بها أمرهم ونهاهم عنه، وهي أن نفس معرفة الله ومحبته وطاعته والتقرب إليه وابتغاء الوسيلة إليه أمر مقصود لذاته، وأن الله سبحانه يستحقه لذاته، وهو سبحانه المحبوب لذاته الذي لا تصلح العبادة والمحبة والذل والخضوع والتأله إلا له فهو يستحق ذلك، لأنه أهل أن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا نارًا ولو لم يضع ثوابًا ولا عقابًا، و هو غاية سعادة النفس وكمالها والنفس إذا فقدت ذلك كانت بمنزلة الجسد الذي فقد روحه وحياته[2].

فالله ﷻ فطر عباده على الحنيفة المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون غيره وهذا من الحق الذي خلقت له، وبه قامت السموات والأرض وما بينهما، وعليه قام العالم، ولأجله خلقت الجنة والنار، ولأجله أرسل رسله وأنزل كتبه، ولأجله أهلك القرون التي خرجت عنه وآثرت غيره، فكونه سبحانه أهلًا أن يُعبد ويُحب ويُحمد ويُثنى عليه أمر ثابت له لذاته، فلا يكون إلا كذلك، فهو سبحانه الإله الحق المبين والإله هو الذي يستحق أن يوله محبةً وتعظيمًا، فهو الإله الحق، ولو لم يخلق خلقه وهو الإله الحق، ولو لم يعبدوه فهو المعبود حقًا إلا له حقًا المحمود حقًا، ولو قدر أن خلقه لم يعبدوه ولم يحمدوه ولم يألهوه، فهو الله الذي لا اله إلا هو قبل أن يخلقهم وبعد أن خلقهم وبعد أن يغنيهم.

---

(١) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٤٢٤: ٤٢٠).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٤١٦.

ولا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة، فإن القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه ما دامت فطرها وعقولها سليمة، فلا ريب أن محبته توجب عبوديته وطاعته وتتبع مرضاته واستفراغ الجهد في التعبد له والإنابة إليه وهذا الباعث أكمل بواعث العبودية وأقواها حتى لو فرض تجرده عن الأمر والنهي والثواب والعقاب[١].

فعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله، فجعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول والجهاد في سبيله، وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبًا إلا باحتمال المكروهات[٢].

فكلما ازداد القلب حبًا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبًا وحرية عما سواه، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣].

ولن يخلص العبد من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله؛ بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئًا لذاته إلا لله، ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة لا إله إلا الله، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان، فكلما قوى إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عن الخلق، فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه، ومحبوبه لا

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٤٤١: ٤٤٠.

(٢) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٤٢٨: ٤٢٥).

(٣) المصدر السابق.

يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان، ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغض منه ذلك، ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه بصحة مزاجه، فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب(١).

فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعى محبة الله، فالدين الحق تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا(٢).

فإن من باشر قلبه الإيمان بقيام الله عليه ورؤيته له وتحريمه لما حرم عليه وبغضه له ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار عمل بموجب هذا العلم، ومن ظن أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، ومحبة الله هي أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه فإن المحب لمن يحب مطيع.

وأمر الله ﷻ جميع المؤمنين من أولهم إلى أخرهم بالتوبة ولا يستثني من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، وهو سبحانه لمحبته للعفو والتوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم إليه واستغفارهم وطلبهم عفوه ومغفرته، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم.

والله تعالى يحب التوابين والتوبة من أحب الطاعات إليه ويكفي في محبتها شدة فرحه بها، فتأمل محبته سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها، فإن من زعم أن أحدًا من الناس يستغني عنها ولا حاجة به إليها فقد جهل حق الربوبية ومرتبة العبودية،

---

(١) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٤٢٨ : ٤٣٨).

(٢) مجموعة التوحيد لابن تيمية (٤٤٠ : ٤٤٥).

وينتقص بمن أغناه بزعمه عن التوبة من حيث زعم أنه معظِّم له، إذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التي هي من أجل الطاعات، وأكمل الخلق أكملهم توبةً وأكثرهم استغفارًا[١].

فحال العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفي هذا المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل، والعارف يسير بين مشاهدة المنة من الله ومطالعة عيب النفس والعمل، فشهود المنة يوجب له المحبة لربه سبحانه وحمده والثناء عليه ومطالعة عيب النفس والعمل يوجب استغفاره ودوام توبته وتضرعه واستكانته لربه سبحانه[٢].

السادسة: كيف تكون الأعمال الصالحة أسبابًا للتكفير عن الذنب؟

لكي نفهم صلاحية الأعمال الصالحة لتكفير الذنوب فإننا نحتاج أن نتعرف على معنى الإسلام والإيمان، فإن الإسلام يعني الاستسلام والانقياد والخضوع لك، والإيمان يدخل في مسماه جميع ما يحب الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وجميع الطاعات فرضها ونقلها تدخل في مسماه سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب، فأصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك.[٣]

ولا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى تقصت الأعمال الظاهرة كانت لنقص الإيمان الذي في القلب فلا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة، ولذا قالﷺ: "في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله"، فإن إيقان العبد بلقاء ربه واطمئنان قلبه الإيمان ببعث الجوارح كلها للقيام بالعمل الصالح، وعندما يكون الإيمان في القلب فإن ذلك يدعوا صاحبه لعمل المأمور وترك المحظور، والناس يتفاوتون في إيمانهم على أقسام ثلاثة (سابق بالخيرات، ومقتصد، وظالم لنفسه)، فالسابقون مختصون بالمستحبات، والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقون

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (٢٤٢: ٢٤٣).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (١٥٧).

(٣) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ١/ ١٠.

للجنة، والظالم لنفسه هو الواقع في المعاصي والآثام. (١)

والناس يتفاضلون في أعمالهم بتفاضل الإيمان في قلوبهم، فإذا فسد القلب فسد إرادته ففسدت الجوارح كلها، وانبعثت في معاصي الله ﷻ، و لم تقنع بالحلال، و المؤمن يزيد إيمانه بالعمل الصالح، ولحصول هذه الزيادة فإنه لابد له من التوكل على الله والاستعانة به فيما لا يقدر عليه، ومن طاعته فيما لايقدر عليه، فالإيمان ليس مجرد التصديق بل لابد من أعمال قلبية تستلزم أعمال ظاهرة، فحسب ما أمر الله وبنقص ما نهى عنه من أخص الأمور بالإيمان، و العبد حين يقع في الذنب يكون ناقص الإيمان، لذلك قال النبيﷺ: "لا يزني الزاني وهو مؤمن. . . "، لأنه لو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة أوجب الله الذي يغلبها لم يزن ولم يعص الله فمن كان مخلصًا الله حق الإخلاص لم يعصِ الله (لم يزن)، إنما يعصي (أويزني) لخلوه من ذلك.

والإيمان الذي ينزع من المسلم حال وقوعه في الذنب لا ينزع منه نفس التصديق ولهذا قيل هو مسلم وليس بمؤمن، فإن المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصدقًا، و إلا كان منافقًا ولكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الأحوال الإيمانية مثل كمال محبة الله ورسوله وخشيته لله والإخلاص له في الأعمال، بل يكون مصدقًا بما جاء به الرسول ﷺ وهو واقع في المعصية مثل الزنا والرياء. . . إلخ.

ولابد أن يكون مع التصديق شيء من حب الله وخشيته وإلا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانًا البتة، وكل عاص لله فهو جاهل وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله، وإنما يكون جاهلًا لنقص خوفه من الله إذ لو تم خوفه من الله لم يعصه، فإنه لوكمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان فاستغنى بها عن استحلاء المعصية، فمن عرف الله أحبه ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة فمن ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده فهو كاذب. (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى٧/ ٢٩.

(٢) فتح الباري لابن رجب١/ ٤٧ بتصرف.

والأعمال الصالحة من توفيق الله وفضله ومنه، وصدقته على عبده، فإنه أعانه عليها ووفقه لها، وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها وحببها إليه وزينها في قلبه، وكره إليه أضدادها، فالحسنات التي هي الإيمان والعمل الصالح مصدرها من الله وغايتها منتهية إليه، والسيئات من النفس قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، فليس للحسنات سبب إلا مجرد فضل الله ومنه، فالأعمال الصالحة وإن كانت أسباب النعم والخيرات فمن وفقه لها وأعانه عليها وشاءها له سواه، فالنعم وأسبابها من الله وقبول العمل منه وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (المائدة: ٢٧) أي من الذين يتقونه في العمل، والتقوى في العمل بشيئين أحدهما إخلاصه لله، والثاني أن يكون مما أمره الله به، ولا يقبل العمل حتى يكون خالصًا وصوابًا، خالصًا بأن يكون لله صوابًا أن يكون على السنة فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقا في إخلاصه الدين لله أو أن لا تكون موافقة لما أمر الله به على لسان رسوله، وهذا حال الصالحين كانوا يتهمون أعمالهم وتوباتهم ويخافون ألا يكون قبل منهم ذلك فكان ذلك يوجب لهم شدة الخوف وشدة الاجتهاد في العمل الصالح، وإن التائب توبة نصوحًا، مغفور له جزمًا، ولكن المؤمن يتهم توبته، ولا يجزم بصحتها ولا بقبولها فلا يزال خائفًا من ذنبه وجلًا. (١)

ومعنى التوبة وحقيقتها:

هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا.

والنصح في التوبة: تخليصها من كل غش وفساد وإيقاعها على أكمل الوجوه.

والصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها، ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، والذنوب إنما تغلظ وتكبر في حق من تكررت منه مرارا عديدة، واتخذ الذنب عادته. (٢)

شروط التوبة: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ:

---

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ٨٢.

(٢) مدارج السالكين صـ ١٥٦.

١-أن يقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣ - أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا.

٤-رد المظلمة إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي.

فالواجب على العبد الندم والاستغفار والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده، فإن لم تساعده النفس على الندم على الترك لغلبة الشهوة، فقد عجر عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يعجز عن الواجب، الثاني: وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

فإن قلت: فكيف يكون الاستغفار نافعًا من غير حل عقدة الإصرار؟

فنقول: الاستغفار الذي هو توبة الكاذبين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون لقلب فيه شركه، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة، فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة.

والمقصود أن للتوبة ثمرتان: إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له. الثانية: نيل الدرجات حتى يصير حبيبًا.

فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا من حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات، فليس يخلو من الفائدة أصلًا فلا ينبغي أن يظن أن وجودها كعدمه.

درجات الأعمال الصالحة في تكفير الذنوب الكبائر والصغائر هي: أولًا: أن تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الإخلاص فيها، **الثانية**: أن تقاوم الصغائر ولا ترتقي إلى تكفير شيء من الكبائر، **الثالثة**: أن تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر، والفائدة من تعدد وتنوع الأعمال الصالحة التي تصلح لتكفير الذنوب سواء كانت صلاة أو صوم أو صدقة أونحو ذلك، فإن وجد ما يكفره من الصغائر يكفره وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة تثبت به حسنات ورفعت به درجات.

أما بالنسبة لما تكفره الأعمال الصالحة من الذنوب الصغائر والكبائر فإن العلماء اختلفوا هل تكفر الأعمال الصالحة الكبائر والصغائر؟ أم لا تكفر سوى الصغائر؟ فإن أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الإتيان بالفرائض وتقع الكبائر مكفرة كما تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل، وإن أريد أنه قد يوازن يوم القيامة بين بعض الأعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع فلا يغتر جاهل فينهمك في الموبقات اتكالا على أنها تكفرها الصلوات دون الندم والاستغفار والتوبة، فقد تمحى الكبيرة وتكبر الصغيرة فتهلك، فينبغي أن يكون الناس على وجل فلا يتجرءون على الصغائر اعتماد تكفير الأعمال، اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب: منها الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار، فإن الذنب استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات، ظلمة المعصية تمحى بحرقة الندم، وشدة المجاهدة بالترك في المستقبل.

وغفران الذنوب يرجى للعبد إذا كان قد غلبته شهوته، وليس للعبد المستهتر، فإن هؤلاء الذين لا ينالون بذنب يقترفونه ولا يقدمون خوفًا ولا يدعون شهوة يحال بينهم دين التوبة غالبًا، ومن اعتمد على التقوى مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند، فإن التائب توبة نصوحًا مغفور له جزمًا، ولكن المؤمن يتهم توبته ولا يجزم بصحتها ولا بقبولها، فلا يزال خائفًا من ذنبه وجلًا.

وإن حسن الظن والرجاء هو الذي يحمل على العمل ويسوق إليه والمؤمن يقترن خوفه ورجاؤه بالعمل الصالح. [1]

الوجه الخامس: شبهات متعلقة بالفداء والصلب والرد عليها.

الشبهة الأولى: الرد على تبريرات النصارى من قتل المسيح.

نحن المسلمون نسأل النصارى سؤالًا:

---

(١) انظر: الجواب الكافي، ومفتاح دار السعادة، ومدارج السالكين كلهم لابن القيم.

سلمنا جدلًا أن المسيح قد قتل فما ذنب المسيح البريء حتى يدفعه الله ليُقتل ويُصلب عن الناس؟

فيجيب النصارى عن ذلك السؤال بالآتي:

١-أن أنبياء الله ﷺ قُتلوا بلا ذنب اقترفوه كما قرر ذلك القرآن، والله يكافئهم على ذلك.

٢-أن مبدأ الإنابة (تحمل المسيح الصلب كفارة للبشر) مبدأ سليم ما دام أن من سيتوب يوافق القيام بالمهمة، وأن المسيح فعل ذلك بدافع المحبة وبرغبته مختارًا بدون إجبار ليقدم الفداء للكنيسة ولكل من يؤمن بها.

٣-أن موت المسيح (الإله) لم يكن فجائيًا غير متوقع بالنسبة له كما يظن البعض ذلك، وينسون أن دم المسيح مكتوب عنه في العهد القديم في شكل نبوءات منذ آلاف السنين، فالذبائح كلها ترمز إلى ذبيحة المسيح، كذلك كل القرابين سواء في عيد الفصح أو غيرها.

٤-أن الصلب كان هو الوسيلة التي بواسطتها يهزم الله بها الشيطان ويفتح للإنسان أن يعود للشركة مع الله.

٥-أن ذلك بمقتضى عدالة الله ورحمته التي يلزم الجمع بينهما.

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: القول بأن قتل المسيح (الإله كما يزعمون) بدون ذنب اقترفه مثل كمثل قتل الأنبياء من قبل أعدائهم، وأخذوا مكافأة على ذلك الفعل من الله كما قرر القرآن.

وللرد على ذلك نقول أن الأنبياء هم بشر اصطفاهم الله ومن قبل عن النبيين وهو صابر، فإن أولئك صبروا حتى قتلوا واستشهدوا فأثابهم الله على ذلك بخلاف النصارى فإنها تعتقد أن المسيح إله، ولو أنها قالت بنبوة المسيح وادعت أنه صُلب لكان بالإمكان مناقشة الأمر على اعتبار أن المسيح بشر، وقد يتعرض لما يتعرض له البشر[1].

فالنصارى يرون في صلب المسيح كما يقولون عملية فداء للبشرية وخلاص، ولكن إذا كان المسيح إلهًا فهل صلبه برهان على ألوهيته؟

فأخبرونا مَنِ الذي كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟ ، وكيف كان حال الوجود والإله في اللحود؟! ومَن الذي دَبَّر السماء والأرض وخلقه فيها بالبسط والقبض

(١) العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل لحسن الباشا ١/ ١٥١.

والرفع والخفض؟! وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته وهربت مع تلاميذه؟.

فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبرًا وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فرَّت وأسلمته، فكيف تصحّ مفارقتها له بعد اتّحادها به؟! أين ذهب الاتّحاد وكيف بطل الامتزاج؟! (١).

الوجه الثاني: قولهم بأن الإنابة مبدأ سليم طالما أن من سينوب قبل ذلك مختارًا غير محدد.

والرد على ذلك نقول: قولهم بأن المسيح اختار الصلب يكفيه حال المسيح عند الصلب ،كما يزعمون ويرونها في كتبهم؟

وسؤالنا للفكر النصراني الذين يرون في أن آلام وموت المسيح كانت معجزات وانتصارات لا كوارث ولا تراجع، ويرون في صلب الإله المسيح كما يقولون عملية فداء للبشرية، فإذا كان المسيح إلهًا، فهل تُقبل عملية الصلب بدون أي تذمر؟ لأنه يعرف أنه إله ومجرد صلبه هو صلب للمادة والجسد وليس النور الإلهي (٢).

وإن الناسوت (الابن المتجسد كما يزعمون) استغاث عند صلبه وقال إلهي إلهي لماذا تركتني وإن كان هو قد فعل ذلك مكرا كما يزعمون أنه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق فناسوته أعلم بذلك من جميع الخلق فكان الواجب أن لا يجزع ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره.

ويقول بعضهم مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت بل لو يشاء اللاهوت ما يكرهه كانا متباينين وقد اتفقا على المكر بالعدو ولم يجزع الناسوت كما جرى ليوسف مع أخيه لما وافقه على أنه يحمل الصواع في رحله ويظهر أنه سارق لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع في رحله كما جزع إخوته حيث لم يعلموا وكثير من الشطار العيارين يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به

---

(١) تخجيل من حرف الإنجيل (٣٦٦).

(٢) العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل لحسن الباشا ١/ ١٥٢.

المسيح وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية[1].

الوجه الثالث: يقولون إن موت المسيح على الصليب كان من إعداد إلهي مسبق، ولم يكن فجائيًا كما يظن البعض، ويظهر ذلك شغل النبوءات التي في العهد القديم منذ آلاف السنين، فالذبائح كلها ترمز لدم المسيح.

وللرد على ذلك نقول:

إن العهد الجديد عند النصارى يركز على أن الصلب أساسًا لتحقيق هدف جاء من أجل المسيح يسوع إلى الدنيا وتحقيقًا لرغبة إلهية ورحمة من الرب نحو شعبه، ولذلك ركزت إصحاحات العهد الجديد في الأناجيل الأربعة على فكرة أن يسوع كان يعرف مهمته في الحياة، وأنه مكتوب عليه التضحية ليخلص الناس.

ويرون أن المسيح قدم نفسه قربانًا فداءً للبشرية وتكفير عن خطاياها، ويرون أن المسيح قدم نفسه طوعًا، واختار أن يكون كمجرم علق جسده على مشنقة من أجل أن يبذل نفسه فداءً عن كثيرين، وأن موت يسوع الاختياري فداء غالي الثمن حيث يستبدل تقديم الذبائح غير العاملة بالذبيحة الشخصية والاختيارية، فيسوع لم يأت ليخدم، بل ليُخدم ولبذل نفسه فداءً عن كثيرين[2].

فالنصارى يقولون أن المسيح عليه السلام هو الله، وأنه ما نزل في هذا العالم وما انحط مستوى البشر إلا ليخلص الناس من ذلك الذنب المزعوم، فإذا كان هذا هو السبب الوحيد الذي أُرسل من أجله المسيح فلِمَ لم يقل عنه شيئًا ولِمَ لم يبينه، لقد كان المسيح معلم الشعب، فإذا كان نزل للفداء كان عليه أن ما جاء من أجله خاصة[3].

وادعاؤكم الألوهية في المسيح ما الحجة فيه عندكم؟ هل قالت كتب النبوات فيه ذلك أو هل قاله عن نفسه أو قاله أحد عن تلامذته والناقلين عنه الذين هم عماد دينكم وأساسه، وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله عز وجل ونبي له قوة وفضل فتأولتم في ذلك

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤.

(٢) العقيدة النصرانية بين القرآن والإنجيل لحسن الباشا ١/ ١٥٢: ١٥٤

(٣) موقف اليهود والنصارى من المسيح (٤٥٠).

أنه أخرج كلامه على معنى الناسوت ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إله كما أفصح بأنه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه ولا دعا إليه ولا ادعته له كتب الأنبياء قبلة ولا كتب تلامذته ولا حكي عنهم.[1]

الوجه الرابع: قولهم أن الصلب هو الوسيلة التي بها يُهزم الشيطان ويعود الإنسان للشركة مع الله ولا سبيل غير ذلك.

وللرد على ذلك نقول:

نقول ليس هناك مناسبة بين الصلب وتخليص البشر من الشيطان، فادعاء النصارى الباطل بأن معصية آدم بالأكل من الشجرة ومخالفته لوصية الله جلبت عليه الموت وعلى سائر ذريته وأن بمقتضى صفة العدل كان على الله أن يخرج آدم من الجنة وأن تظل اللعنة تلاحق أبناءه فيذهب كل من يموت منهم إلى الجحيم وتظل روحه حبيسة في أسر إبليس، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يدبر وسيلة ينقذ بها البشرية من العذاب، فلم يجد أفضل من إرسال ابنه الوحيد متجسدًا في رحم مريم ومتأنسًا من الروح القدس متخذًا جسدًا بشريًا ليخدع إبليس الذي سيسارع باختطاف روحه – بعد موته- وأسرها في الجحيم ظنًا منه أن تلك الروح من ذرية آدم.

فبطلان هذا الادعاء من وجوه متعددة:

أن إبليس إذا كان قد أخذ ذرية آدم بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره وإن كان أخذهم بالخطايا فلماذا يأخذهم بخطيئة أبيهم؟

أن العقل يرفض أن يذنب آدم وبنوه ثم يعاقبهم إبليس بغير إذن من الله في ذلك.

إن ذرية آدم يخطئون من بعد المسيح كما كانوا يخطئون قبله، فكيف يجوز أن يتمكن إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ولا يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة بعد المسيح؟

إن دخول ذرية آدم جهنم إما أن يكون عدلًا من إبليس فلا يجوز أن يحتال عليه ليمنع من العدل، وإما أن يكون ظلمًا منه، والرب أحق منعه قبل المسيح، فإن لم يكن قادرًا على ذلك ووُصف بالضعف والعجز، وذلك كفر صريح.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ١٢٠.

الشبهة الثانية: الرد على أن الأعمال الصالحة لا تفي حق الله فيما وقع فيه الإنسان من خطايا.

نص الشبهة:

إن الأعمال الصالحة التي نقوم بها نحن الخطاة - لا يمكن الخطأ في حق الله الذي لا حد لقداسته وبره وحقه - ، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تحصل لنا أي صفح لأنها أعمال محدودة، فأثر العمل الصالح محدود وحق الله غير محدود، والشيء المحدود لا يفي مطالب أمر ليس له حدود، فالأعمال الصالحة إرضاء الله وليس للتكفير عن الخطية، وإننا بكل أعمالنا الصالحة لا نستطيع أن تكفِّر عن خطايانا لأن خطايانا هي تعدٍّ حدود الله، وحقوق الله لا حد لها كما أن ذاته لا حد لها، بينما أعمالنا الصالحة مهما كثرت وتنوعت فهي محدودة، والأعمال المحدودة لا تستطيع أن تكون تكفيرًا عن إساءة موجهة إلى حقوق غير محدودة، وإن الله وحده هو الذي يستطيع أن يكفِّر عن الإنسان لأنه هو وحده الذي يعرف حقوقه غير المحدودة.

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: هناك اختلاف في المقصود بحق الله عند كلٍ من المسلمين والنصارى.

هناك فارق بين المسلمين والنصارى في تعريف حق الله.

فالمسلمون يرون أن حق الله هو ما يستحقه الله على عباده مما جعله الله محتمًا عليهم من عبادته سبحانه وتوحيده وعدم الإشراك به شيئًا.

بينما النصارى يرون أن حق الله هو الإيمان بأن المسيح الإله كما يزعمون تجسَّد وصار إنسانًا ثم عاش وصُلب على الصليب كفارةً لخطايا البشر ومن أجل خلاصهم.

وبناءً على ذلك يترتب الاختلاف في الطريقة الذي يوفِّي هذا الحق، فما السبيل إلى الوفاء بحق الله ﷻ؟.

المسلمون يرون أن حق الله يتمثل في عبادته بامتثال أمره واجتناب نهيه وتوحيده وعدم الإشراك به، وأن يتوجه بالعبادة له وحده، فالأعمال الصالحة يبتغي بها مرضاة الله الذي شرعها للقرب منه وللتكفير عن الذنب.

بينما النصارى يرون أنه لا جدوى من هذه الأعمال الصالحة أن الوسيلة الوحيدة لتكفير الذنوب والقيام بحق الله هي الاعتبار بأن المسيح الإله صُلب كفارةً عن خطايا البشر.

الوجه الثاني: لا تصلح الأعمال الصالحة للتكفير عن الذنوب عند النصارى لأن في القبول بذلك هدم لمعتقدهم؟.

إن النصارى يزعمون أن البشر جميعًا خطاة بسبب وراثتهم لذنب آدم عليه السلام الذي أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة، وأن الإنسان بطبيعته الخاطئة التي ورثها من آدم عليه السلام لا يستطيع القيام بحقوق الله إلا بإيمانه بأن المسيح الإله صُلب كفارةً لخطايا البشر، وبالتالي فإن النصارى يشككون في صلاحية الأعمال الصالحة للتكفير عن الذنوب، وذلك لأن في قبولهم بالأعمال الصالحة وسيلة لتكفير الذنب هدم لأصل معتقدهم الذي هو الإيمان بأن صلب المسيح الإله لنفسه كوسيلة وحيدة لتكفير الذنب.

وحتى لا يصبح الناس مستهترين ومتكلون على الكفارة المجانية، فكل من يعتقد بأن المسيح صُلب فقد غُفر له كل خطاياه، ولذا فإن النصارى (الأرثوذكس) يقولون أنه لكي تحصل على الخلاص الذي تم بصلب المسيح لا بد أن تعمل أعمالًا تتم هذا الخلاص من جهتك من خلال سلطان الكنيسة وممارسة طقوسها السبعة (المعمودية، الشكر، التوبة. . .)، وهم في ذلك يتناقضون، فالخلاص المزعوم بصلب المسيح الإله هل تحقق به غفران الذنوب أم لم يتحقق؟ ، فإذا كان تحقق به غفران الذنوب فما هو فائدة أسرار الكنيسة السبعة، وإذا كان هو موقوف على ممارسة هذه الأسرار فكيف يمكن أن يقول أنه تم الخلاص.

ثانيًا: أن هذا التضخيم لذنب آدم والإدعاء أنه خطية لا محدودة ولا تصلح التوبة كعمل صالح لمحوها، وذلك من أجل الوصول إلى نتيجة أن الخطية اللا محدودة لا يكفرها إلا الغير محدود مثله للوصول أن صلب المسيح هو الحل، وهو وحده الذي يستطيع أن يدفع الثمن عن هذه الخطية.

الوجه الثالث: الأعمال الصالحة أسباب شرعها الله للتكفير عن الذنب وليس ثمنًا للخلاص.

فالمسلمون يرون أن الأعمال الصالحة ليست ثمنًا ولا عوضًا عن الذنب، إنما النجاة بفضل الله ورحمته، وأن هذه الأعمال إنما هي أسباب قدَّرها الله وشرعها للتكفير عن الذنب، فإن الإنسان ضعيف أمام الشهوات، فإذا غلبته شهوته وأغواه الشيطان فإنه يتوب إلى الله

ويستغفره ويعمل صالحًا ليكفِّر عن ذنبه، فنحن إذًا لا نقول بأن الأعمال ثمنًا للخلاص، فإن نعم الله ﷻ على العبد لا تُعد ولا تُحصى، وإن أعمال العبد من توفيق الله، وهي لا توفي شكر هذه النعم فضلًا عن وقوع الذنوب من العبد التي تحتاج لأعمال تكفِّرها، فإن النجاة هي من فضل الله ومنِّه، وتتحقق بطاعته واجتناب نهيه وإخلاص العمل له وحده.

حق الله تعالى على العباد كما يعرِّفه أهل الإسلام: وهذا الحق من أعظم الحقوق وأجلَّها قدرًا، وهو يدور على أصلين:

الأول: عبادته سبحانه.

الثاني: توحيده ﷻ وعد الإشراك به شيئًا، ومعنى حق الله تعالى على العباد ما يستحقه عليهم متحتمًا عليهم[1].

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، فالعبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها قال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ أي مهملًا، قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب والصحيح الأمران فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنهي والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها وحقيقة العبادة امتثالها، فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره، وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة[2].

حق الله على عباده: سأل النبي ﷺ معاذ بن جبل فقال له: هل تدري ما حق الله على عباده؟ ، فقال معاذ: الله ورسوله أعلم، فأجابه النبي ﷺ فقال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

فالحق هو كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، وكذا الحق المستحق على الغير إذا

---

(١) موسوعة الحقوق الإسلامية (١٥).

(٢) مدارك السالكين لابن القيم ١/ ٧٧-٩١.

كان لا تردد فيه والمراد هنا ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتمًا عليهم، المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، فأخبر سبحانه أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كمال محبته وهو سبحانه كما أنه يحب أن يعبد يحب أن يحمد ويثنى عليه ويذكر بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى، ومن أجل ذلك كان الشرك أبغض الأشياء إليه لأنه ينقص هذه المحبة ويجعلها بينه وبين من أشرك به ولهذا لا يغفر الله أن يشرك به لأن الشرك يتضمن نقصان هذه المحبة والتسوية فيها بينه وبين غيره ولا ريب أن هذا من أعظم ذنوب المحب عند محبوبه، فالعبادة تجمع أصلين عظيمين غاية الحب بغاية الذل والخضوع، وكمال عبودية العبد موافقته لربه في محبته ما أحبه وبذل الجهد في فلعه وموافقته في كراهة ما كرهه وبذل الجهد في تركه(٢).

فالعبادة هي غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها، ولذا يقول المسلم في كل صلاة﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، وأفضل أهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته.

وأفضل العبادة هو العمل على تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت فمدار تعبده عليها فهو لا يزال متنقلًا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره(٣).

حق الله كما يراه النصارى:

إن لفظة حق في العهد الجديد تعني الأمور عينها في تطبيقها على وحي الله في شخص المسيح، فحق الله أو أمانته لمخططه الخلاص ينكشف في يسوع المسيح الذي يسمَّى الحق

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٤٧.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم ١/ ٢٠٠-٢٢٢.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٧٧-٩٦.

لمخططه الخلاص ينكشف في يسوع المسيح (رومية٨/ ٧: ٣) الذي يسمَّى الحق (رومية٣/ ١٤: ٧)، فالسند المتين للمسيحي هو يسوع المسيح هو الإنجيل الذي هو كلمة الحق النهائية، فعلى الإنسان أن يخضع لهذا الحق، القاعدة الوحيدة لحياته ومن ابتعد عن هذا الوحي النهائي أصاب الحق في الصميم، فالله هو الحق وحده تجاه الأصنام الضعيفة الواهية.

فالحق عند يوحنا هو واقع الخلاص، أو الواقع الذي أوحى به الله والذين يشهدون بالحق يؤكدون أن يسوع قال الحق، والأب يتكلم ويعمل حقًا في يسوع، وبما أن يسوع هو وحي الأب الحقيقي فهو النور الحق، ويسوع هو الطريق الذي يقود إلى الأب لأنه الحق، ولأنه يمنح عطية معرفة حياة الله في تجلِّيها السامي[1].

الشبهة الثالثة: أن التوبة ناقصة ولاتصلح لتكفير الذنب.

نص الشبهة:

يقولون إنها لا توجد توبة كاملة للتكفير عن الذنب، وذلك لسببين:

أ-أن الذنب قد يتكرر بالقول والعمل، فلا يكون للتوبة معنى.

ب-أن التوبة لو كانت خالصة فإنها لا تستطيع غفران الخطية إلا بتوفية عدالة الله بالاعتقاد أن المسيح الإله كما يزعمون قام فتجسد وصار إنسانًا، ثم صُلب على الصليب لغفران خطايا البشر.

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: بيان معنى التوبة وحقيقتها، والشروط اللازمة لقبولها.

معنى التوبة: هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا.

التوبة النصوح: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن.

النصح في التوبة: الصدق فيها، والإخلاص، وتعميم الذنوب بها وتمحو جميع الذنوب.[2]

شروط التوبة:

التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق

---

(١) المحيط الجامع في الكتاب المقدس (٤٦٨).

(٢) رسالة في التوبة لابن تيمية.

آدمي؛ فلها شروطٍ ثلاثة هي: أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعةٌ: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب[1].

الوجه الثاني: علامات التوبة المقبولة.

أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها، ومنها أنه لايزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فهناك يزول الخوف، ومنها انخلاع قلبه وتقطعه ندما وخوفا وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها.

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه وهذا هو تقطعه وهذا حقيقة التوبة لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه وخوفا من سوء عاقبته فمن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفا تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق وعاين ثواب المطيعين وعقاب العاصين فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضًا كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة ولا حب مجرد وإنما هي أمر وراء هذا كله تكسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة قد أحاطت به من جميع جهاته وألقته بين يدي ربه طريحًا خاشعًا[2].

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) رياض الصالحين للنووي صـ ١٧.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٨.

جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

وصف الله تعالى المتقين بأنهم ﴿إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يُصرُّوا عليها، فدلَّ على أنَّ المتقين قد يَقَعُ منهم أحيانًا كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظُلمُ النفس، لكنَّهم لا يُصرُّون عليها، بل يذكرون الله عَقِبَ وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها، والتوبة: هي تركُ الإصرار على الذنبِ.

ومعنى قوله: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: ذكروا عظمته وشِدَّة بطشه وانتقامِه، وما توعد به على المعصية من العقابِ، فيوجب ذلك لهم الرجوعَ في الحال والاستغفارَ وتركَ الإصرار، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾، لما كان العبدُ مأمورًا بالتقوى في السرِّ والعلانية مع أنَّه لابُدَّ أنْ يقع منه أحيانًا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره أنْ يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أنْ يتبعها بالحسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، قال رسول الله ﷺ: "اتَّقِ الله حَيثُما كُنْتَ، وأَتْبِع السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُها، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ "(١).

الوجه الثالث: أن الإنسان ضعيف أمام الذنب، وهو بحاجة دائمة لأن يلجأ إلى الله.

فالإنسان ضعيف بحاجة إلى التوبة والمغفرة، وسبيل النجاة هو الالتجاء لله: قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾، خُلق من ماء مهين لا يصبر على الشهوات، وضعُف عزمه عن قهر الهوى، وأن ضعفه يعم هذا كله، فإنه ضعيف البنية ضعيف القوة ضعيف العلم ضعيف الصبر والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صيب الحدور فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه وخلقه على هذه الصفة هو من الأمور التي

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٥٦).

يحمد عليها الرب سبحانه ويثنى عليه بها وهو موجب حكمته وعزته[١].

فالمذنبين ليس لهم من يلجأون إليه، ويُعوِّلون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره، وكذلك قوله في حقِّ الثلاثة الذين خُلِّفوا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فرتَّب توبته عليهم على ظنِّهم أنْ لا ملجأ من الله إلا إليه، فإنَّ العبدَ إذا خاف من مخلوقٍ، هرب منه، وفرَّ إلى غيره، وأمَّا من خاف من الله، فما له منْ ملجأ يلجأُ إليه، ولا مهرب يهربُ إليه إلاَّ هو، فيهرُب منه إليه، كما كان النَّبيُّ ﷺيقول في دعائه: "لا ملجأ ولا مَنجَا منك إلاَّ إليك"[٢].

الوجه الرابع: إن لم يتب الله على الإنسان ويغفر له ذنوبه هلك.

إن الصبر غاية كل أحد من ولد آدم وكماله، فليس للعبد كمال بدون التوبة البتة، فإنه سبحانه إن لم يغفر السيئات الوجودية فيمنع أثرها وعقابها ويق العبد من ذلك وإلا ضرته آثارها ولا بد، فإن لم يرحمه سبحانه بإيجاد ما يصلح به النفس وتصير عالمة بالحق عاملة به وإلا خسر والمغفرة تمنع الشر والرحمة توجب الخير والرب سبحانه إن لم يغفر للإنسان فيقيه السيئات ويرحمه فيؤتيه الحسنات وإلا هلك ولا بد إذ عاد كما كان ظالما لنفسه ظلومًا بنفسه فإن نفسه ليس عندها خير يحصل لها منها وهي متحركة بالذات فإن لم تتحرك للخير تحركت إلى الشر فضرت صاحبها[٣].

فلو أن الرب تعالى خلق خلقه ممنوعين من المعاصي غير قادرين عليها بوجه لم يكن لإرسال الرسل وإنزال الكتب والأمر والنهي والثواب والعقاب سبب يقتضيه ولا حكمة تستدعيه وفي ذلك تعطل الأمر جملة بل تعطيل الملك والحمد، والتكليف إنما يتم بإعطاء القدرة والاختيار والله تعالى قد أقدر عباده على الطاعات والمعاصي والصلاح والفساد وهذا الأقدار هو مناط الشرع،

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (١٠٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢١٧).

(٣) طريق الهجرتين (١٠١).

والأمر والنهي فلولاه لم يكن شرع ولا رسالة ولا ثواب ولا عقاب[١].

والله سبحانه وتعالى إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجل عوض وأفضله وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردا عنه، وكانت البلية في هذا عين النعمة وإن ساءته وكرهها، قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾، وإن لم يرده ذلك البلاء إليه وشرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه، والرجوع إليه فهو علامة شقاوة العبد وإرادة الشر به[٢].

الوجه الخامس: الأعمال الصالحة لابد من اقترانها بالتوبة النصوح.

فالله تعالى قد بيَّن لنا شرط نفع الأعمال الصالحة في مغفرة الذنوب وهو اقترانها بالتوبة الصحيحة كقوله في حكاية دعاء الملائكة للمؤمنين﴿ فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾. [٣]

وختامًا: من خلال ما سبق يعرف القارئ اللبيب أن مسألة الصلب والفداء من الأوهام التي يعيش على أساسها النصارى، بينما هي لا أساس لها من الصحة، وقد ظهر عليها كل علاقة للبطلان والفساد كما بيناه في هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٣٠.

(٢) طريق الهجرتين (١٥٢).

(٣) تفسير المنار١/ ٣٠٠.

إثبات التحريف
في
الكتاب المقدس

٤ـ إثبات التحريف في الكتاب المقدس.

نص الشبهة:

إن حقيقة تحريف اليهود والنصارى لأسفارهم، أمر لا يجادل فيه إلا مماحك مجادل بالباطل يخفي الحقيقة ويُلبس على الناس، وقد نطقت ألسنة القوم بالتحريف، واعترف أكابرهم بوقوع التحريف بشتى أنواعه في أسفارهم لكن العجيب: أن ترى بعض أئمتهم يجادلون في هذه الحقيقة المتواترة عند الجميع!

ولذا كان الرد على هذه المسألة الكبيرة تحت هذا البحث والذي يتكون مما يلي:

١ - **الباب الأول: المقدمة مع إثبات التحريف اللفظي، والمعنوي للتوراة والإنجيل من القرآن، والسنة، وأقوال العلماء في ذلك.**

٢ - **الباب الثاني: الكتاب المقدس**، ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالكتاب المقدس.

الفصل الثاني: معتقد المسلمين في التوراة والإنجيل.

٣ - **الباب الثالث: مدى صحة الكتاب المقدس**، ويحتوي على أربعة فصول:

الفصل الأول: إسناد الكتاب المقدس.

الفصل الثاني: إبطال دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد، ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شروط حجية الكتاب المقدس.

المبحث الثاني: إبطال دعوى النبوة لكتبة العهد الجديد.

المبحث الثالث: بولس، حقيقته وأثره في الملة النصرانية.

الفصل الثالث: المصادر الوثنية للكتاب المقدس.

الفصل الرابع: قانونية (قدسية) الكتاب المقدس، ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول: قانونية التوراة.

المبحث الثاني: قانونية العهد الجديد.

المبحث الثالث: الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا).

المبحث الرابع: إنجيل المسيح ﷺ.

المبحث الخامس: إنجيل برنابا.

المبحث الخامس: المجامع

٤ـ **الباب الرابع**: **نقد متن الكتاب المقدس**، ويشتمل على عدة فصول:

الفصل الأول: الألفاظ غير المناسبة لقدسية الكتاب، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفات الله تعالى في التوراة.

المبحث الثاني: صفات الأنبياء في التوراة.

المبحث الثالث: الأخلاق في الكتاب المقدس وأثره على أتباعه.

الفصل الثاني: أغلاط الكتاب المقدس.

الفصل الثالث: التحريف في الكتاب المقدس.

الفصل الرابع: تناقضات الكتاب المقدس.

الفصل الخامس: اختلافات تراجم الكتاب المقدس.

الفصل السادس: الكتاب المقدس والعلم الحديث، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف النصارى من العلم اعتقادًا وتشريعًا.

المبحث الثاني: دراسة نصوص الكتاب المقدس في ضوء العلم الحديث.

المبحث الثالث: موقف المفسرين النصارى من الأخطاء في نصوص الكتاب المقدس.

٥ـ **الباب الخامس**: **متفرقات تتعلق بالعقيدة النصرانية**، ويتكون من الآتي:

الفصل الأول: الأسرار الكنسية السبعة.

الفصل الثاني: العبادات

الفصل الثالث: الطوائف النصرانية والخلاف بينها في العقيدة والكتاب.

وإليك التفصيل

الباب الأول: المقدمة مع أدلة إثبات التحريف اللفظي والمعنوي للتوراة والإنجيل من القرآن، والسنة، وأقوال العلماء في ذلك.

بداية: ننبه على بعض الأمور في هذا الصدد:

الأمر الأول: لقد شهد القرآن الكريم، وشهدت السنة المطهرة على وقوع التحريف في أسفار السابقين بتغيير الألفاظ بالحذف والإضافة كقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٩). وبتغيير المعاني بتأويلها وتفسيرها على غير معناها.

الأمر الثاني: لقد كثر كلام النصارى حول صحة نسخة التوراة والإنجيل التي كانت إبان البعثة النبوية لمحمد ﷺ. والنصارى يقصدون من وراء ذلك: إقرار الإسلام لهم على صحة دينهم كله لا صحة كتبهم فقط. لكن اعلم أيها القارئ أن ثمة فرقٌ بين صحة الدين وصحة الكتب. فقد يكون الكتاب صحيح اللفظ لكن محرف المعنى، فلا يغني عنهم من الله شيئًا. ولذلك كان الأولى عندنا في هذا المقام هو تحريف المعاني لا تحريف الألفاظ، لأنه الخطوة الأولى المؤهلة لتحريف الألفاظ، وهو الدليل على بطلان الدين، ولذلك كان أكثر ما عاب القرآن الكريم على أهل الكتاب أنهم حرفوا المعاني وبدلوها، ثم تبع ذلك تجرؤهم على تحريف الألفاظ لما سهل عليهم تحريف المعنى كخطوة أولى.

الأمر الثالث: إن تحريف أهل الكتاب لمعاني التوراة والإنجيل لا خلاف عليه بين علماء المسلمين. وهو الذي تقوم به الحجة عليهم في هذا المقام. ولا ينفعهم عدم تحريف اللفظ لو فرضنا ذلك.

قال ابن تيمية: فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل وتبديل أحكامها، فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها، كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون: إن التوراة لم تحرف ألفاظها. وحينئذ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها، إلا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانيها. بل جميع النبوات التي يقرون بها هي عند اليهود، وهم مع اليهود ينفون

عنها التهم والتبديل لألفاظها، مع أن اليهود عندهم من أعظم الخلق كفرًا واستحقاقًا لعذاب الله في الدنيا والآخرة. . . فعُلم أن بقاء حروف الكتاب مع الإعراض عن اتباع معانيها وتحريفها لا يوجب إيمان أصحابها ولا يمنع كفرهم. [١]

وقال رحمه الله: فإن كل ما يحتج به من الألفاظ المنقولة عن الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل وغيرهم، ممن أرسل بغير اللغة العربية لابد في الاحتجاج بألفاظه من هذه المقدمات أن يعلم اللفظ الذي قاله ويعلم ترجمته ويعلم مراده بذلك اللفظ. والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها، وفي ترجمة بعضها فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره. [٢]

الأمر الرابع: التحريف اللفظي أعم وأعظم في كتب اليهود والنصارى، وقد أشار إليه القرآن الكريم والنبي ﷺ والصحابة ﵃، وقد شهد به الواقع، ونطق به اليهود والنصارى، وقال به جمهور المسلمين.

أما ما يستدل به النصارى من أقوال بعض علماء الإسلام أن التحريف وقع في المعنى فقط لا في اللفظ، فهو استدلال ساقط لعدة أسباب:

السبب الأول: أنهم نقلوا عن بعض علماء الإسلام ذلك، دون أن ينقلوا عنهم إقرارهم وقوع التحريف اللفظي في أسفار اليهود والنصارى.

السبب الثاني: يتعمد النصارى دائمًا تحريف أقوال علماء الإسلام، فأغلب من أقر بوقوع التحريف المعنوي، أقر في غير موضع في مؤلفاته بوقوع التحريف اللفظي، لكن هؤلاء النصارى نقلوا عنهم ما يتماشى مع أفكارهم المنحرفة.

السبب الثالث: اليهود والنصارى ينعدم في أسفارهم التواتر.

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٨٠ - ٣٨١.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٣٨٨.

الأمر الخامس: إذا اتفقت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على حكم، وجب إثباته، وتحريف ألفاظ أسفار أهل الكتاب نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية وهو الراجح في المسألة، لوجود مرجحات عدة، أبرزها الكتاب والسنة، وما أكده الواقع وشهد به على مر العصور، فلا يعتد بمن قال خلاف ذلك، فالتحريف اللفظي والمعنوي واقع ولا شك في هذا كما سيأتي!

الأمر السادس: أنه على فرض أن الكتب السابقة لم تمسها أيدي المحرفين، فلا حجة للنصارى في ذلك، لأن عندنا التمسك بكتاب منسوخ ولو كان صحيحًا، كالتمسك بكتاب مبدل محرف.

ثانيًا: أدلة إثبات التحريف اللفظي والمعنوي للتوراة والإنجيل من القرآن، والسنة، وأقوال العلماء في ذلك.

أولًا: إثبات التحريف من القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن تحريف التوراة والإنجيل في عدة آيات كريمة:

١ - منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ (آل عمران: ٧١).

٢ - وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(النساء: ٤٦).

٣ - وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (البقرة: ٧٥).

وعن تحريفهم بالنقص يقول:

﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗا﴾ (الأنعام: ٩١)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ (البقرة: ١٧٤)، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (المائدة: ١٥).

وعن تحريفهم بالزيادة والكذب على الله يقول:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(المائدة: ١٣).

قال الطبري: وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودنا من بني إسرائيل قاسية، منزوعًا منها الخير، مرفوعًا منها التوفيق، فلا يؤمنون ولا يهتدون، فهم لنزع الله ﷻ التوفيق من قلوبهم والإيمان، يحرفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى ﷺ، وهو التوراة، فيبدلونه، ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله ﷻ على نبيهم، ثم يقولون لجهال الناس: هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى ﷺ، والتوراة التي أوحاها إليه. وهذا من صفة القرون التي كانت بعد موسى من اليهود، ممن أدرك بعضهم عصر نبينا محمد ﷺ، ولكن الله عز ذكره أدخلهم في عداد الذين ابتدأ الخبر عنهم ممن أدرك موسى منهم، إذ كانوا من أبنائهم، وعلى منهاجهم في الكذب على الله، والفرية عليه، ونقض المواثيق التي أخذها عليهم في التوراة.[1]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٤١).

يقول الرازي مبينًا إعجاز القرآن الكريم في هذا الباب: قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ إشارة إلى أن أهل الكتاب يذكرون التأويلات الفاسدة للنصوص التي عندهم وليس فيه بيان أنهم يخرجون اللفظة من الكتاب، أما في الآية الثانية فقوله تعالى

(١) تفسير الطبري ٤/ ٤٩٦.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يخرجون اللفظة من الكتاب[١].

- وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

قال مجاهد رحمه الله: "هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله، ثم يحرفونه". [٢]

وهم أهل الكتاب كما علمت مسبقًا من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الشوكاني في تفسيره لنفس الآية السابقة: والكتابة معروفة، والمراد: أنهم يكتبون الكتاب المحرف ولا يبينون ولا ينكرونه على فاعله. وقوله: "بأيديهم" تأكيد لأن الكتابة لا تكون إلا باليد فهو مثل قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾، وقوله "يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم" وقال ابن سراج: هو كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم. وفيه أنه قد دل على أنه من تلقائهم قوله: "يكتبون الكتاب" فإسناد الكتابة إليهم يفيد ذلك. [٣]

ثانيًا: أدلة التحريف من السنة النبوية.

١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. [٤]

٢- عن أبي هريرة ؓ قال: (كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم

(١) التفسير الكبير للرازي ١٠/ ١١٨.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٤٢٣.

(٣) فتح القدير ١/ ١٠٥.

(٤) رواه البخاري (٣٤٣٦) باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٦٩٩).

وقولوا (قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) ...الآية ". (١)

٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ: " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ على النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي". (٢)

وفي هذا الحديث الترياق الشافي عما يسأل عنه كثير من النصارى – كيف يكون الكتاب المقدس محرفًا ويستشهد به القرآن الكريم - فيظهر منه أنه ﷺ غضب من عمر ﷺ لاطلاعه على صحيفة من التوراة، وهذا يدل على أنها محرفة، لأنه ﷺ يؤمن بتوراة موسى ويعظمها كما أمرنا الله في كتابه الحكيم، فلا معنى للغضب إلا لأنها قد حرفت، إذ لو كانت صحيحة ما انتهر النبي ﷺ عمر الذي كان يعلم أنها محرفة كما أشار القرآن الكريم، لكنه ظن ﷺ أن الإطلاع عليها دون سبب شرعي جائز، وقوله ﷺ عن شريعته أنها بيضاء نقية، يفيد العكس في صحيفة التوراة، بمعنى: لقد جئتكم بالشريعة النقية البيضاء الخالية من أوساخ التحريف والتزييف، فدع عنك يا عمر هذه الصحيفة الملوثة بالتحريف.

أما قوله ﷺ: " لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي" يدل على براءة موسى وكذلك عيسى عليهما السلام من هذه الكتب وهذه الشرائع، واتباعهما لشريعة محمد ﷺ والقرآن الكريم، فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن الكريم، ففي القرآن الكريم ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾(آل عمران: ٣).

٤- عن عبيد الله بن عبد الله: أن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٥).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه الألباني بشواهده في إرواء الغليل (١٥٨٩).

من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا، والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم. [(١)]

فهذه من أعظم شهادات كبار الصحابة، لصدروها عن حبر هذه الأمة بتحريف اليهود والنصارى لأسفارهم. وقوله ﷺ: (تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ). قال الحافظ في الفتح: " أي لم يخالطه غيره ". وهى إشارة جلية من ابن عباس ﷺعلى أن كتب أهل الكتاب قد اختلطت بالتحريف والكذب، فلم تُصبح نقية، أما القرآن فلم يخالطه غيره.

قال الحافظ: " قوله (أَفَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ وَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ) فيه تأكيد الخبر بالقسم، وكأنه يقول: لا يسألونكم عن شيء مع علمهم بأن كتابكم لا تحريف فيه، فكيف تسألونهم وقد علمتم أن كتابهم محرف ". [(٢)]

٥- عن أنس بن مالك ﷺ: (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى)[(٣)].

وكان هذا في وجود معظم الصحابة ﷺ، مما يعني علمهم اليقيني مما استاقوه من كلام ربهم وفهمهم لسنة نبيهم ﷺبأن اليهود والنصارى قد حرفوا أسفارهم فاختلفوا من بعد ذلك يكفر بعضهم بعضًا.

٦- وعن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: (كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه السلامبدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة). [(٤)]

ثالثا: أقوال العلماء في التحريف

١- قال العلامة ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢٩).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤٩٩.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٠٤).

(٤) رواه النسائي (٥٤٠٠)، وإسناده صحيح.

﴿ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ (يونس: ٩٤) (وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧). ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبنائهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم). [1]

وقال رحمه الله: (وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه (أي عن المسيح) أربعة: لوقا ومتَّى ومرقس ويوحنا، وبين الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة لكل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى. . . . . وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل)[2].

٢- **قال الإمام القرطبي الأندلسي** ما نصه: (إن الكتاب الذي بأيدي النصارى الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾(آل عمران: ٣-٤)[3].

وقال أيضًا: (فظهر من هذا البحث أن الإنجيل المدعى لم ينقل تواترًا، ولم يقم دليل على عصمة ناقليه. فإذًا يجوز الغلط والسهو على ناقليه فلا يحصل العلم بشيء منه، ولا غلبة الظن، فلا يلتفت إليه، ولا يعول في الاحتجاج عليه. وهذا كاف في رده وبيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمونه. ولكنا مع ذلك نعمد منه إلى مواضع يتبين فيها تهافت نقلته ووقوع الغلط في نقله)[4] ثم نقل المواضع المذكورة ثم قال: (فقد حصل من هذا البحث

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٧٥.

(٢) قصص الأنبياء صـ ٥٧٣- ٥٧٤.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام صـ ٢٠٣.

(٤) المصدر السابق صـ ٢٠٥ – ٢٠٦.

الصحيح أن التوراة والإنجيل لا يحصل الثقة بهما، فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين وقابلين للتغير. وقد دللنا على بعض ما وقع فيهما من ذلك. وإذا جاز مثل ذلك في هذين الكتابين، مع كونهما أشهر ما عندهم وأعظم عمدهم ومستند ديانتهم فما ظنك بغير ذلك من سائر الكتب التي يستدلون بها مما ليس مشهورًا مثلهما ولا منسوبًا إلى الله نسبتهما؟ فعلى هذا هو أولى بعدم التواتر وبقبول التحريف منهما)[(١)].

٣- **قال العلامة " أبو عبيدة الخزرجي** " في رسالته إلى القسيس " حنا مقار العيسوي " بعد أن بيَّن له تضارب الأناجيل وما اشتملت عليه من تناقض: (وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل. ومن طالع كتبكم (يعني كتب العهد القديم)، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أهل سبأ، وأنكم لا تلزمون مذهبًا، وليس هذا بغريب فأناجيلكم ما هي إلا حكايات، وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم حتى أني أحلف بالله الذي لا إله إلا هو، أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلًا من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو فكاهات في المجالس). [(٢)]

٤- **قال شهاب الدين القرافي المالكي** في شأن توراة العهد القديم: (نقول: التوراة مبدلة قطعًا، لما تقدم بيانه مما اشتملت عليه من نسبة الأنبياء عليهم السلام وخاصة عباد الله إلى الفسوق والزنا وشرب الخمر، وما يصدر من أدنى السفلة، حتى أنهم يسمون هذه الحكايات النجاسات، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء، فيحصل الجزم بعدم صحة هذه التوراة). [(٣)]

وقال في شأن الأناجيل: (ونحن ننازعهم في أن ما بين أيديهم – من الكتب – منزلة، بل هي مبدلة مغيرة في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ والرواية والسند بحيث لا

---

(١) المصدر السابق صـ ٢١١ – ٢١٢.

(٢) بين الإسلام والمسيحية صـ ١٤٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة صـ ١٦٤.

يوثق بشيء منها)[١].

٥ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ادعوا (أي النصارى) أن محمدًا ﷺ صدَّق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم. فجمهور المسلمين يمنعون هذا، ويقولون: إن بعض ألفاظها بُدِّل كما قد بُدِّل كثير من معانيها)[٢].

٦ـ قال ابن القيم: وقولهم " إن نسخ التوراة متفقة في شرق الأرض ومغاربها " كذب ظاهر، فهذه التوراة التي بأيدي النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه، وهذه نسخ الأناجيل يخالف بعضها بعضًا ويناقضه. فدعواهم: أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقا وغربًا من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام، وأن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعًا أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى، وأن هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعًا أن ذلك ليس في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح)[٣]

وقد بيَّنَ أنواع التحريف الواقع في أسفار أهل الكتاب بشتى أنواعه (اللفظي والمعنوي

٧ـ يقول اللواء/أحمد عبد الوهاب رحمه الله: لم تعد أسفار المسيحيين الدينية كتابًا مقدسًا، فهذا هو واقع الحال الآن. فبعد أن كانت طبعات تلك الأسفار تصدر معنونة باسم: " الكتاب المقدس "، إذ بها تصدر الآن وقد جردت من القداسة فصار عنوانها: " الكتاب "!

فمثلًا صدرت ترجمة الملك جيمس الإنجليزية، التي اعتمدت عام ١٦١١م هكذا: الكتاب المقدس THE HOLY BIBLE

ولكن صدرت الترجمة الإنجليزية التي شارك فيها اثنان وثلاثون عالمًا في منتصف هذا

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٢.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٤٠٧.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى صـ ١١٢.

القرن (١٩٥٢م) بعنوان:

الكتاب: ترجمة قياسية مراجعة THE BIBLE: Revisd Standard Version وحدث مثل ذلك في التراجم الفرنسية، فبعد أن صدرت تحت اسم:

الكتاب المقدس LA SAINTE BIBLE إذًا بالتراجم اللاحقة تصدر هكذا: الكتاب الأورشليمي LA BIBLE de JERUSALEM

وكذلك: الترجمة المسكونية للكتاب TRADUCTION OECUMENIQU de LA BIBLe ومثل ذلك في اللغة الألمانية، فبعد أن كان العنوان هو: الكتاب المقدس DIE HEILIGE BIBLE، وصار الآن: الكتاب DIE BIBLE

(وفي العربية بعد أن كان التقليد المعروف في تسمية الأسفار الدينية بـ"الكتاب المقدس " صدرت العديد من الترجمات الحديثة فجردت الأسفار من القداسة واكتفت بذكر " الكتاب "، وأذكر منها ترجمة " كتاب الحياة ").

إن السبب في هذا التغيير الهام لعنوان الأسفار الدينية واضح ومعروف لدى العلماء، وهو أن هذا "الكتاب" يحتوي في جملته، أسفارًا مؤلفة بكل معنى الكلمة. وهى ككل مؤلفات البشر لا عاصم لها من الخطأ.

والحق أن إطلاق اسم "الكتاب" فقط على أسفارهم الدينية، بعد تجريده من صفة المقدس لهو آية من آيات الله. فهذا ما خاطبهم به القرآن منذ ١٤ قرنًا في مثل قوله: " يَا أَهْلَ الْكِتَاب " ولم يقل لهم أبدًا: " يا أهل الكتاب المقدس ". . . وها هم قد عادوا مُسلِّمين بتسمية القرآن العظيم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٥٢)[١].

(١) البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين صـ ٤٩، ٥٠.

الباب الثاني: الكتاب المقدس.

الفصل الأول: التعريف بالكتاب المقدس.

وقبل أن نبدأ في الحديث التفصيلي عن الكتاب المقدس نحب أن نعطي نبذة مختصرة عن الكتاب المقدس وعن مكوناته؛ ليكون القارئ على بينة مما نتحدث عنه.

يتكون الكتاب المقدس من قسمين:

العهد القديم والعهد الجديد، وسنتكلم عن كل واحد على حدة.

أولًا: العهد القديم:

١ـ موضوعه:

العهد الذي عاهد الله شعبه على يد موسى في جبل سيناء، ويزعم النصارى أن هذا القسم وصل إليهم بوساطة الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ﷺ، ويعرفون منه أخبار العالم في عصوره القديمة وشرائع اليهود الدينية والاجتماعية، وتاريخ نشأتهم، وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض ويقتبسون منه الأدعية المتوارثة والمواعظ والشعر والحكمة وغير ذلك، كما يعرفون منه البشارات بالأنبياء اللاحقين. [١]

٢ـ أسفاره:

اختلف أهل الكتاب في أسفار العهد القديم، قبولًا وردًا في بعضها، وتقسيمًا وترتيبًا وتسمية في بعض آخر:

أولًا: فاليهود العبرانيون اعتمدوا أربعة وعشرين سفرًا، اعتقدوا أنها مقدسة – أي موحى بها – وهم يقسمونها من حيث الأسلوب والصفات الخارجية إلى ثلاثة أقسام:

١-أسفار الشريعة، أو كتب موسى الخمسة، وتسمى التوراة أو الناموس وهي: (سفر التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية).

٢-أسفار الأنبياء، وينقسم إلى قسمين:

(أ)الأنبياء السابقين، ويتكون من أسفار: يشوع القضاة – صموئيل (الأول والثاني) –

---

(١) محاضرات في النصرانية (٤٣).

الملوك (الأول والثاني).

(ب) الأنبياء المتأخرين، ويتكون من أسفار: أشعياء – أرمياء – حزقيال – الاثنى عشر نبيا الأصاغر (هوشع – يوئيل – عاموس – عوبديا – يونان – ميخا – ناحوم – حبقوق – صفنيا – حجي – زكريا – ملاخي).

٣-أسفار الكتبة أو الكتب، وتتألف من أسفار:

(أ) المزامير – الأمثال – أيوب.

(ب) راعوث – نشيد الأنشاد – الجامعة – مراثي أرمياء – أستير.

(ج) دانيال – عزرا – نحميا – أخبار الأيام (الأول والثاني).

ثانيًا: واليهود السامريون لهم توراة خاصة بهم، تعرف بالتوراة السامرية، وهي لا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة، لأنهم يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع، ويتهمون العبرانيين بالوضع والتحريف، وبعض السامريين يضيف إليها سفرى يوشع والقضاة. ويرون في هذه السبعة كتابهم المقدس.

٣- والنصارى البروتستانت اعتمدوا الأسفار المعترف بها لدى اليهود، غير أنهم يختلفون معهم في التقسيم والترتيب.

فاليهود جعلوها أربعة وعشرين سفرًا، والبروتستانت وزعوها بحسب الأسماء، فأصبحت تسعة وثلاثين سفرًا.

٤- أما الكاثوليك والأرثوذكس، فقد أضافوا إليها سبعة أخرى، فغدت ستة وأربعين سفرا. وهم يختلفون مع البروتستانت في تقسيم وترتيب وتسمية بعض الأسفار. وثمة سفر آخر منسوب إلى عزرا لا يعترف به الكاثوليك والبروتستانت، ويراه الأرثوذكس واجب التسليم.

ثانيًا: العهد الجديد:

١ـ تعريف لفظ الإنـجيل:

يطلق هذا اللفظ على الإنجيل وملحقاته، وكلمة إنجيل كلمة يونانية معناها (الحلوان) وهو ما تعطيه لمن أتاك بالبشرى، ثم أريد بالكلمة البشرى عينها، أما السيد المسيح فقد

استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التي حملها إلى البشر، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، وربما استعملوها أيضًا بمعنى ملخص تعاليم المسيح لأن فيه الخلاص.

وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم.

ويزعم النصارى أن هذا القسم كتب بإلهام الروح القدس الذي حل في التلاميذ بعد رفع المسيح عليه السلام.

وقد استقر رأيهم في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من الأسفار التي اختلفوا فيها، وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) ويعتقدون أن الوحي إنما هو في معانيها دون ألفاظها.

٢ـ أقسامه:

ينقسم العهد الجديد من حيث الترتيب التقليدي لأسفاره إلى خمسة أقسام هي:

١-مجموعة الأناجيل: وهي أهم المجموعات في نظرهم، لأنها تروى سيرة المسيح عليه السلام وتعاليمه.

٢-سفر الأعمال: وهو منسوب إلى لوقا.

٣-مجموعة رسائل بولس: وعددها أربع عشرة رسالة. وهي:

رسالتان إلى أهل تسالونيكي سنة ٥٤.

رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس سنة ٥٥.

رسالته إلى أهل روما سنة ٥٦ أو ٥٧.

رسالته إلى أهل أفسس وفيلبي وكولوسي سنة ٦١ أو ٦٣.

ثم رسالته إلى أهل غلاطية، ورسالتان إلى تلميذه تيموثاوس، ورسالة إلى تيطس ورسالة إلى فيليمون، ورسالة إلى العبرانيين، ورسالته الثانية إلى أهل كورنثوس.

٤-مجموعة الرسائل الكاثوليكية: وعددها سبع، و هي:

ثلاث رسائل من كتابة يوحنا.

رسالتان من كتابة بطرس.

رسالة واحدة من كتابة يعقوب.

رسالة واحدة من كتابة يهوذا.

ومن هنا يتضح أن أكثر الرسائل هي رسائل بولس، ويتضح بالتالي أن بولس وضع أكثر التشاريع المسيحية.

٥-رؤيا يوحنا اللاهوتي، أو السفر النبوي. وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة. ويحاول فيها يوحنا أن يظهر سلطان المسيح بعد رفعه وصلته بالكنائس.(١)

ترجمات الكتاب المقدس

من المعروف أن اللغة التي كتبت بها أسفار العهد الجديد هي اللغة اليونانية، المعروفة باللغة الإسكندرانية. والتي كانت منتشرة في الشرق منذ انتصارات الإسكندر، وهي ذات اللغة التي استعملت في الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم، إلا أن بعض فصوله كانت مكتوبة بالآرامية التي كان يتكلمها السيد المسيح. وقد عرف الكتاب المقدس ترجمات كثيرة من بينها:

أولًا: التراجم القديمة

١ـ الترجمة السبعينية:

من الترجمات القديمة التي نعرفها عن الكتاب المقدس (أسفار العهد القديم) الترجمة المعروفة بـ "السبعينية". وقد تمت هذه، في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد. وقد استخدمت لمنفعة أهل العهد القديم القاطنين خارج أرض فلسطين، حول حوض البحر الأبيض المتوسط والذين كانوا يتكلمون اليونانية، كما أن هذه الترجمة كانت معروفة في العصر الرسولي. ويؤكد بعض اللاهوتيين بأن الرسل والمبشرين قد استعملوها.

٢ـ الترجمة الباشيطا.

إن أقدم الكنائس التي تشكلت في الشرق العربي، هي الكنيسة السريانية، وقد وجد أبناء

---

(١) انظر: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة (٥٨ – ٦١)، المسيحية، أحمد شلبي (٢٠٤ – ٢٠٧) بتصرف، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٣- ١٤)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي وافي (١٢- ١٥).

الكنيسة هذه، ضرورة ترجمة الكتاب المقدس إلى لغتهم الخاصة. ومما عثر عليه ترجمات عديدة بهذه اللغة، ومن أشهرها ترجمة تدعى "الباشيطا" وتعني هذه الكلمة "بسيطة"، ويؤكد علماء الكتاب المقدس على أنها ترجمت في أواخر القرن الأول أو في بداية القرن الثاني للميلاد.

٣ـ نسخة فيلكس السريانية

ترجمت هذه النسخة سنة(٥٠٨) للميلاد. وقد وجدت ترجمات أخرى بالسريانية بقى منها نسختان أصليتان وهما نسخة الكارتونية والسينائية.

٤ـ الترجمة إلى سريانية فلسطين (الآرامية)

اكتشفت حديثًا قطع من ترجمة العهد الجديد من اليونانية إلى سريانية فلسطين التي كانت في عهد المسيح، كتبت هذه الترجمة في القرن الرابع للميلاد.

٥ـ نسخة كليماكوس

تشتمل هذه النسخة على أجزاء من البشائر الأربعة (الإنجيل) وسفر أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول، تمت هذه حوالي سنة ٦٠٠ للميلاد.

٦ـ الترجمة القبطية:

تشير الوثائق التاريخية، إلى أن أهل مصر كانوا يقرأون الكتاب المقدس باللغة القبطية قبل النصف الأول من القرن الثالث بعد الميلاد. واللغة القبطية هي مركبة من اللغة المصرية القديمة واللغة اليونانية ويعتقد أن العهد القديم ترجم إليها من الترجمة السبعينية في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد.

هذا قليل القليل مما نعرفه عن الترجمات القديمة لهذا الكتاب. ومما لاشك فيه، أنه توجد ترجمات عديدة للكتاب المقدس لم يحدد بعد تاريخ ترجمتها. والدراسات لا تزال قائمة حول هذا الموضوع.

ثانيًا: الترجمات الحديثة.

١ـترجمة فانددايك – البستاني ١٨٦٥:

في عام ١٨٦٥ م بيروت. قام بطرس البستاني والمرسلان الإنجيليان عالي سميث وكرنيليوس فاندايك بترجمة الكتاب المقدس إلى العربية وهذب عباراته وقواعده النحوية

ناصيف اليازجيُ ويوسف الأسير. وقد أصبحت هذه الترجمة من أشهر الترجمات العربية للكتاب المقدس وأوسعها انتشارًا في البلدان التى تتكلم العربية.

٢ـ ترجمة دار الكتاب المقدس بمصر ـ فانDايك الجديدة

الكتاب المقدس طبعة دار الكتاب المقدس - مصر باللغة العربية بالترتيب الجديد - عمودين في الصفحة الواحدة.

٣ـ ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان ـ ترجمة الأخبار السارة

ترجمة الكتاب المقدس لجمعية الكتاب المقدس في لبنان إصدار دار الكتاب المقدس للنشر في الشرق الأوسط. وهي ترجمة لجنة من اللاهوتيين العرب من كاثوليك وأرثوذكس و بروتستانت. صاغ أسلوبها العربي الشاعر يوسف الخال. أول ترجمة عربية وضعتها لجنة من علماء لاهوتيين تنتمي إلي مختلف الطوائف المسيحية من إنجيلية وكاثوليكية.

٤ـ الترجمة العربية المشتركة لدار الكتاب المقدس الدولية ـ الترجمة التفسيرية كتاب الحياة

أو الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة): تهدف هذه الترجمة لتبسيط المعنى وإيضاحه. وقد صدر العهد الجديد عام ١٩٨٢، ثم صدر الكتاب المقدس كاملًا عام١٩٨٨ . وهي ترجمة جيدة إلى حد كبير.

وفي آخر ترجمة للكتاب المقدس الترجمة العربية المشتركة لدار الكتاب المقدس ووضعتها لجنة مؤلفة من علماء كتابين ولاهوتيين من مختلف الكنائس كاثوليكية وأرثوذكسية "طقسية" وإنجيلية وهذه الترجمة لا تذكر الأسفار القانونية الثانية أو الأبوكريفا. فهي تعد كتبًا تاريخية. وحتى الكتاب المقدس الذي يحوي هذه الأسفار يشار إليها بين قوسين "سفر قانوني ثاني" فالإجماع واضح على أنها أي هذه الأسفار لا ترقى من جهة وحيها إلى مستوى الأسفار القانونية التي يقر بها جميع المسيحيين على مختلف مذاهبهم. . وهذه الأسفار تعود إلى قبل التاريخ الذي ذكرته٣٩٣ م فهذا تاريخ متأخر جدًا لأن إقرار قانونية الأسفار كان في سنة ٩٠م.

٥ـ الترجمة العربية المبسطة:

المخطوطات الشهيرة للكتاب المقدس.

وفيما يلي عرض سريع لأهم مخطوطات الكتاب المقدس:

١ـ النسخة الفاتيكانية: (كودكس فاتيكانس):

سميت بهذا الاسم لأنها كانت ملك مكتبة الفاتيكان بروما وعندما اجتاحت جيوش نابليون إيطاليا، نقلت النسخة إلى باريس. وقام بدراستها أحد العلماء، من عام ١٨٠٩ حتى سنة ١٨١٥. وتتألف هذه النسخة من ٨٢٠ صحيفة، ويرجّح الخبراء بأنها كتبت في تاريخ يتعدى منتصف القرن الرابع للميلاد.

٢ـ النسخة السينائية:

اكتشفت هذه النسخة في دير سانت كاترين المقام على سفح جبل سيناء على يد عالم ألماني يدعى "قسطنطين تشندرف" حين قام بزيارة الدير سنة ١٨٤٢ بحثًا عن هذه النسخة الأثرية. فوجد ٤٥ رقًا تحوي بعض أجزاء من الأسفار المقدسة. وفي عام ١٨٥٣ وعام ١٨٥٩ عاد ليبحث عن الأجزاء الناقصة منها. فقدم له أحد الرهبان لفة ضخمة وجدها تحتوي على العهد الجديد بأكمله، وأجزاء من العهد القديم. فاشترى الكل بمبلغ ٦٧٥٠ دولارًا ونقلها إلى بتروغراد. ولما قامت الثورة الشيوعية، عرضت النسخة للبيع. فاشتراها المتحف البريطاني بمبلغ نصف مليون دولار.

والنسخة السينائية الأصلية يرجح أن عدد صفحاتها كان ٧٣٠ صفحة أحرق الرهبان بسبب جهلهم منها ٣٤٠ صفحة ولم يبق الآن سوى ٣٩٠ صفحة. ويقول العلماء بأنها كتبت في القرن الرابع أو في بداية القرن الخامس للميلاد.

٣ـ النسخة الإسكندرانية:

كانت تحوي هذه النسخة على ٨٢٠ صفحة بقي منها ٧٧٣ صفحة، وقد كتبت فيما بين نصف القرن الخامس ونهايته. وهي موجودة في متحف لندن.

٤ـ نسخة أفرايم:

كتبت في القرن الخامس وقد صنفها أفرايم السرياني الذي عاش في القرن الرابع للميلاد، وكانت هذه النسخة ملك عائلة مديتشي في فلورنسا، ونقلتها كاثرين دي مديتشي إلى باريس في القرن السادس عشر وهي اليوم في المتحف الفرنسي بباريس.

٥ـ **النسخة القطونية**: كتبت هذه النسخة في القرن الخامس أو السادس.

٦ـ **النسخة الأمبروسانية**: كتبت في نصف القرن الخامس.

٧ـ **النسخة البيرائية**: كانت محفوظة في جامعة كامبردج من أعمال إنكلترا. وقد كتبت في بداية القرن السادس، وتوجد نسخ صغيرة عدا هذه النسخ الكبيرة تشتمل على أجزاء متفرقة من أسفار العهد الجديد بالأصل اليوناني ومن أقدمها عهدًا نسخة محفوظة على شفة واحدة من البردى اكتشفت حديثا في أصلال البهنا وهي تشمل الإصحاح الأول والإصحاح العشرين من إنجيل يوحنا. وكتبت هذه ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ م في مصر.[١]

التعريف ببعض مصطلحات الكتاب المقدس

١ـ **السفر**: كلمة يطلقها أهل الكتاب على مجموعة من الإصحاحات.

٢ـ **الإصحاح**: عبارة عن مجموعة من الفقرات والجمل.

٣ـ اختصارات أسماء الأسفار:

أولًا: العهد القديم:

التكوين (تك)، الخروج (خر)، اللاويين (لا)، العدد (عد)، التثنية (تث)، يشوع (يش)، القضاة (قض)، راعوث (را)، صموئيل الأول (١صم)، صموئيل الثاني (٢صم)، الملوك الأول (١مل)، الملوك الثاني (٢مل)، أخبار الأيام الأول (١أخ)، أخبار الأيام الثاني (٢أخ)، عزرا (عز)، نحميا (نح)، أستير (أس)، أيوب (أي) المزامير (مز)، الأمثال (أم)، الجامعة (جا)، نشيد الأنشاد (نش) إشعياء (إش)، إرميا (إر)، مراثي إرميا (مرا)، حزقيال (حز)، دانيال (دا)، هوشع (هو)، يوئيل (يؤ)، عاموس (عا)، عوبديا (عو)، يونان (يون)، ميخا (مي)، ناحوم (نا)، حبقوق (حب)، صفنيا (صف)، حجي (حج)، زكريا (زك)، ملاخي (ملا).

ثانيًا: العهد الجديد:

إنجيل متى (مت)، إنجيل مرقس (مر)، إنجيل لوقا (لو)، إنجيل يوحنا (يو)، أعمال الرسل (أع) الرسالة إلى أهل روميا (رو)، الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو)، الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (٢كو)، الرسالة إلى أهل غلاطية (غل)، الرسالة إلى أهل

---

(١) من موقع نصراني على الشبكة العنكبوتية، وانظر: إظهار الحق (٩٩).

أفسس (أف)، الرسالة إلى أهل فليبي (في)، الرسالة إلى أهل كولوسي (كو)، الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي (١تس)، الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي (٢تس)، الرسالة الأولى إلى تيموثاوس(اتي) الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس (٢تي)، الرسالة إلى تيطس (تي)، الرسالة إلى فليمون (فل)، الرسالة إلى العبرانيين (عب)، رسالة يعقوب (يع)، رسالة بطرس الرسول الأولى (١بط)، رسالة بطرس الرسول الثانية (٢بط)، رسالة يوحنا الرسول الأولى (١يو)، رسالة يوحنا الرسول الثانية (٢يو)، رسالة يوحنا الرسول الثالثة (٣يو)، رسالة يهوذا (يه)، رؤيا يوحنا اللاهوتي (رؤ). (١)

الفصل الثاني: معتقد المسلمين في التوراة والإنجيل.

وقبل أن نستفيض في الكلام عن الكتاب المقدس، وذكر ما فيه من التحريف والتناقضات والأغلاط، أحببنا أن نكتب هذا الفصل لكي لا يفهم أننا بنقدنا لكتاب اليهود والنصارى اليوم أننا بذلك نطعن في التوراة والإنجيل الأصليين اللذين أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام. فنقول وبالله تعالى التوفيق.

من أركان الإيمان، وأصول الاعتقاد: الإيمان بجميع كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

وتبين آيات القرآن الكريم بجلاء موقف المسلمين من التوراة والإنجيل التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، إذ يخبرنا القرآن أنهما وحي الله وكتابه وهديه الذي أنزله هدى ونورًا لبني إسرائيل ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ٣، ٤)، ويقول تعالى مخاطبًا المؤمنين، داعيًا إياهم إلى الإيمان والتصديق بكل ما أنزل على الأنبياء السابقين: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس.

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٦)، ويقول واصفًا المؤمنين: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(البقرة: ٢٨٥).

وقد ذكر القرآن الكريم أن الله وكل إلى أهل الكتاب حفظ كتابهم، فقال تعالى: ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾(المائدة: ٤٤) لكن هل كان بنو إسرائيل أمناء على الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم؟

القرآن يخبرنا أن اليهود قد امتدت أيديهم إلى الكتاب تتلاعب بمضامينه ومعانيه، فذكر أنهم ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (المائدة: ١٣).

كما أخبرنا الله تعالى أنهم كتموا بعضًا مما أنزل الله عليهم، وأن الله بعث نبيه ومعه بيان كثير مما أخفوه، ناهيك عما تجاوزه، فلم يظهره ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾(المائدة: ١٥)، ثم كانت إحدى أكبر مساوئهم أنهم كانوا يكتبون كتبًا من عندهم، ثم ينسبونها إلى الله ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(البقرة: ٧٩)، وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨).

ووضح النبي ﷺ هذا المعتقد حين قال: (إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا، فاتبعوه، وتركوا التوراة).[1]

وعليه؛ فإن ما في أيدي اليهود، والنصارى اليوم من التوراة والأناجيل المتعددة، والأسفار، والإصحاحات، التي بلغت العشرات، ليست هي عين التوراة المنزلة على

---

(١) رواه الدارمي (٤٨٠)، والطبراني في الأوسط (٥٥٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٣٢).

موسى عليه السلام، ولا عين الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام؛ لانقطاع أسانيدها، واحتوائها على كثير من التحريف، والتبديل، والأغاليط، والاختلاف فيها، واختلاف أهلها عليها، واضطرابهم فيها، وأن ما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما عداه فهو محرف مبدل، فهي دائرة بين النسخ والتحريف.

ولهذا فليست بكليتها وحيًا، وإنما هي كتب مؤلفة من متأخريهم بمثابة التواريخ، والمواعظ لهم، وحاشا لله، أن يكون ما بأيدي اليهود من التوراة هو عين التوراة المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام وأن يكون ما بأيدي النصارى من الأناجيل هو عين الإنجيل المنزل على نبي الله عيسى عليه السلام.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غَضِبَ حينما رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة وقال ﷺ: " أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي". (١)

واستقر هذا المعنى في نفوس الصحابة والمؤمنين بعدهم، يقول ابن عباس رضي الله عنه: (قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم). (٢)

التوراة والإنجيل فيهما من بقايا الوحي:

ولا يمنع هذا من صحة بعض مواضع في التوراة، لما فيها من آثار الأنبياء، ففي التوراة حق وباطل كما أخبر الله ورسوله ﷺ. ومن النصوص التي أشارت إلى وجود شيء من الحق في كتبهم ألبسوه بالباطل والزور قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧) وغيره، وقال الألباني في الإرواء(٦/ ٣٤): حسن.

(٢) رواه البخاري (٧٣٦٣).

ﭐلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (آل عمران: ٧١)، وكذا قوله: ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المائدة: ٤٣) وذلك في مسألة رجم الزاني، وهو مذكور في سفر التثنية، حيث يقول: " «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُل، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، ٢٤فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ. " (التثنية ٢٢/ ٢٣- ٢٤).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺقال: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ". [١]

أشياء ذكرت في القرآن وغير موجودة في التوراة والإنجيل:

ومما يثبت أيضًا أن هذه الأسفار ليست توراة موسى ولا إنجيل عيسى أن القرآن نسب إلى أسفار موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام الكثير من المعاني التي نفتقدها في النصوص الحالية، ومن ذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ (التوبة: ١١١) ولا وجود لهذا المعنى في العهد القديم ولا الجديد.

ومثله قوله تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾(الأعلى ١٦ – ١٩)، فهذا المعنى أيضًا لا وجود له في صحف الأسفار المنسوبة لموسى والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة، فضلًا عن المقارنة بينها وبين الدنيا.

ومثله نفتقد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراته وإنجيله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥). وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ١٣٢ – ١٣٤)، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبو زيد (٧٢- ٧٤)، هل العهد القديم كلمة الله، منقذ السقار (٥ – ٧).

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن، ونفتقدها في الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى اليوم، وذلك مؤذن ببطلان استدلالهم بالقرآن على توثيق ما في أيديهم من الكتب، إذ توثيق القرآن ومدحه، إنها هما لكتاب الله ووحيه، وليس للمحرف من كتبهم، والمنسوب زورًا إلى الله ﷻ. (١)

الباب الثالث: مدى صحة الكتاب المقدس

الفصل الأول: هل للكتاب المقدس إسناد؟

تمهيد: ". . . فلابد لكون الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولًا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فِرَق لا يكفي فيه. . . . ". (٢)

وسنحاول خلال هذا المبحث أن نرى هل ثبت فعلًا أن للكتاب المقدس بشقيه (القديم والجديد) إسناد؟ أم هي محض توهمات وتخييلات؟ ، ونبدأ:

أولًا: بالعهد القديم:

أولًا: لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها

عدم حفظ الله للكتب السابقة: لم يتكفل الله بحفظ الكتب السماوية السابقة المتقدمة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم، بل وَكَّل حفظ الكتب إلى علماء الأمة التي أُنزل عليها؛ ولذلك كانت تلك الكتب عرضة للتحريف والضياع، وخصوصًا إذا مرت بتلك الأمة فترات اضطهاد، وهذا هو عين ما حدث للكتابين المنزلين على بني إسرائيل (التوراة والإنجيل).

---

(١) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ (٨) بتصرف سير.

(٢) إظهار الحق ١/ ١٠٩.

معنى التوراة:

هي كلمة عبرية معناها: التعليم والشريعة، وفي اصطلاح أهل الكتاب هي: خمسة الأسفار التي تلقاها موسى عليه السلام من الله عز وجل في جبل سيناء بعد خروج اليهود من مصر، ثم ألحق بها أسفار الأنبياء.

الأدوار التي مرت بها التوراة:

التوراة في عهد موسى ويوشع:

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليم بني إسرائيل (الخروج ٢٤/ ١٢)

وأمره أيضًا أن يأمر بني إسرائيل فيصنعوا تابوتًا من خشب السنط، بين لهم أوصافه ليضع فيه موسى عليه السلام الشهادة التي سيعطيه الله إياها (خروج ٢٥/ ١٠- ٢١).

كما أمره أن يقرب أخاه هارون عليه السلام وبنيه من بين بني إسرائيل ليكونوا كهنة لله وأمره أن يصنع لهم ثيابًا خاصة مقدسة وصفها له(خروج ٢٨/ ١-٢).

نزل موسى من الجبل، ولوحا الشهادة المكتوب عليهما كلمات العهد – أي الوصايا العشر – في يده (خروج ٣٤/ ٢٩).

وفعل موسى كل ما أمره الرب به – أخذ الشهادة وجعلها في التابوت (خروج ٤٠/ ١٦ و ٢١) – وكتب موسى هذه التوراة وسلمها لكهنة بني لاوى حاملي تابوت عهد الرب قائلًا: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد ليكون شاهدًا عليكم، وأمرهم بإخراجها كل سبع سنين في عيد المظال لتلاوتها على بني إسرائيل بعد أن يجتمع رجالهم ونساؤهم وأطفالهم، حتى الغريب الذي في ديارهم (سفر التثنية ٣١/ ٩ –١٣ و ٢٤ – ٢٦).

وهكذا صان موسى عليه السلام التوراة عن سائر بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم خوفًا من اختلافهم بعده في تأويلها، مما يؤدي إلى انقسامهم.[1]

---

(١) الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (٦٣- ٦٥)، توراة اليهود وابن حزم، (٨٠ - ٨٥) الكتابان تأليف: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (٣٢٠)

٤ـ بعد وفاة موسى عليه السلام:

وبعد وفاة موسى خلفه يوشع بن نون في قيادة الشعب، فاستولى على فلسطين وقسمها بين الأسباط ما عدا سبط لاوى الذي اختص بالخدمة الدينية، واختص منه أبناء هارون بالكهنوت، إذًا فالهارونيين وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها. ولم تكن كلها محفوظة على ألسنتهم، بل كان كل واحد منهم يحفظ فصلًا منها.

٥ـ التوراة إبَّان حكم القضاة:

وبعد موت يوشع ظل الشعب بأسباطه مقيما في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة بهم وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه، لكن قام من بعده جيل آخر لم يعرف الرب، بل عمل الشر وعبد آلهة الشعوب الذين حوله؛ فسلط الله عليهم أعداءهم فنهبوهم.

ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضاة، فخلصوهم من يد ناهبيهم. (سفر القضاة ٢/ ٨-١٦).

وفي إحدى المعارك التي جرت بين الفلسطنيين وبني إسرائيل هرب بنو إسرائيل وكانت الضرة عظيمة، فسقط منهم ثلاثون ألفًا، وأخذ الفلسطينيون منهم تابوت عهد الرب (سفر صموئيل الأول ٤/ ١٠- ١١).

- كيف عاد التابوت؟

وهذه قصة عجيبة جدًا كما يقصها السفر، فقد أدخل الفلسطينيون التابوت إلى بيت إلههم (داجون) وأقاموا بقربه وفي الصباح وجدوا (داجون) ساقطًا على وجهه أمام التابوت فأقاموه مكانه، وفي صباح اليوم التالي وجدوه كذلك وقد قطعت رأسه ويداه، ثم أصيب أهل تلك المدينة بالبواسير، وتدافعت مدن الفلسطينيين حفظ التابوت إلى أن قرروا إعادته مع كمية من الذهب بعد سبعة أشهر (صموئيل ٥، ٦/ ١- ٤).

لكن ماذا حلَّ بالتوراة التي بداخله؟ لم يتعرض السفر لذلك. فهل عدم تعرضه ناتج عن أنه من البديهي أن تكون التوراة عادت مع التابوت سالمة غانمة، أم أنه من البديهي أن تكون قد أخرجت من الصندوق وأتلفت؟!

٦ـ التوراة إبان حكم الملوك:

أمام خطر الفلسطينيين اجتمع شيوخ بني إسرائيل وطلبوا من القاضي صموئيل أن يجعل لهم ملكًا يحارب، فاختار لهم شاؤل بن قيس من سبط بنيامين – وهو الذي أتت تسميته في القرآن طالوت – فقادهم بشجاعة في الحروب(صموئيل ٨، ٩، ١٠).

وبعد موت شاؤل استقر الأمر لداود عليه السلام فحارب الفلسطينيين وفتح أهم مدنهم أورشاليم أي القدس، ثم اتخذها عاصمة له.

كان التابوت في قرية يعاريم على أكمة منها (صموئيل الأول ٧/ ١) ولما فتح داود القدس نقله إليها في احتفال بهيج، حيث أقام له خيمة هناك وعين اللاويين لخدمته. (صموئيل الثاني ٦).

وورث سليمان داود فبنى الهيكل، وبنى بداخله المحراب – أي قدس الأقداس- وهيئ مكانًا في وسط البيت ليضع فيه التابوت. (صموئيل الثاني ٢٩/ ٢٣ – ٢٥)، وسفر الملوك الأول (٢/ ١٢، ٦/ ١٤ – ٣٥، ٧).

وجمع سليمان شيوخ إسرائيل في العيد لوضع التابوت في المحراب. وفتح التابوت بعد وضعه في مكانه وكانت المفاجأة: ليس في التابوت إلا لوحا الحجر. (الملوك الأول ٨/ ١- ١١) وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة، ولا يعلم جزما متى ضاعت: هل مزقها الفلسطينيون ثم أعادوا التابوت فارغا؟ أم أنها فقدت خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة حين انحرف الشعب عن أوامر الله وظهر في بني إسرائيل الكفر والارتداد وعبادة الأصنام وقتل الأنبياء.[1]

٧ـ التوراة إبان الانقسام:

تحسنت أحوال اليهود إبان حكم داود وفي صدر حكم ابنه سليمان – كما تقول أسفارهم ثم ارتد سليمان – على حد زعمهم – في آخر عمره بترغيب من أزواجه وعبد الأصنام وبنى لها المعابد.

وإن المتأمل في هذا ليتساءل: إذا كان سليمان مرتدا فما غرضه بالتوراة إن كانت باقية؟!

---

(١) الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (٦٦ – ٦٨).

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى مملكتين: جنوبية اسمها يهوذا، وقد بقي الملك فيها في بيت داود إلى نهايتها. وشمالية اسمها إسرائيل، وقد تنقل الملك فيها بين بيوتات مختلفة. (سفر الملوك الأول ١٢/ ٢١).

وحدث خلال ذلك أحداث عجيبة؛ فقد عكف معظم بني إسرائيل مع ملوكهم على عبادة الأصنام وترك أحكام التوراة مددا طويلة وأعصارًا متصلة، وكانت الأنبياء تتتابع عليهم ولكن هيهات، كفر مستمر وقتل للأنبياء.

٨ـ سقوط دولة إسرائيل:

كان الكفر والارتداد في مملكة إسرائيل أشد منه في مملكة يهوذا، ولذلك هاجر الكهنة ومن بقي معهم إلى مملكة يهوذا.

وسلط الله أعداء بني إسرائيل عليهم؛ ففي عام ٧٢١ ق. م أغار ملك آشور (شلمناصر) على عاصمة إسرائيل وحاصرها، ثم دكها دكًا، ثم جاء خليفته (سرجون) فأسر شعب إسرائيل، وأجلاهم عن بلادهم وفرقهم في مملكته، وأسكن بدلًا منهم وثنيين من بابل وغيرها، ولم يبق من اليهود إلا شرذمة قليلة اختلطت بالوثنيين، فتزاوجوا وتوالدوا.

فمنذ قيام دولة إسرائيل إلى أن محتها يد الأسر الآشوري، وأزالت شعبها من الوجود، لم يكن للأسباط الذين فيها غرض بالتوراة، وكان وجودها في تلك الدولة أندر من الكبريت الحمر.

٩ـ العثور على التوراة قبيل سقوط مملكة يهوذا:

جلس على حكم يهوذا بعد موت سليمان أكثر من عشرين ملكًا كان المرتدون منهم أكثر ممن يعترف بالدين، حتى غدا أهل المملكة وثنيين، ووضعت الأصنام حتى في البيت المقدس وبنيت لها المذابح، فضاعت التوراة وأصبحت نسيًا منسيًا (سفر الملوك الثاني ٢١، وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٣).

وآل الأمر إلى الملك يوشيا بن آمون وكان فتى طيبًا، فتاب إلى الله واتجه إلى نشر الإيمان؛ فرمم الهيكل وأزال رسوم الكفر منه وبحث عن التوراة، ولكن دون جدوى، ومضى سبعة

عشر عامًا من حكمه دون أن يعثر أحد على نسخة للتوراة أو يسمع شيئًا عنها.

وفي السنة الثامنة عشرة من حكمه ادَّعى رئيس الكهنة حلقيا أنه وجد سفر شريعة الرب بيد موسى – أي التوراة – في بيت الرب بين الفضة التى جمعت من الشعب، وسلمه للكاتب شوفان ليقرأه على الملك. فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه. (الملوك الثاني ٢٢/ ١-١١) وأخبار الأيام الثاني (٣٤/ ١- ٢٠).

ثم إن الملك جمع شعب يهوذا بعد الهيكل وقرأ عليهم السفر، فتعجب الناس والملك من فرط ما ارتكبه اليهود في تاريخهم من مخالفات. ثم أخبر عن عزمه على العمل به(الملوك الثاني ٢٣/ ١- ٢٣)، أخبار الأيام الثاني ٣٤/ ٢٩ – ٣٣، ٣٥/ ١).

هذا، ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا لأن البيت نهب مرتين قبل عهد الملك آخذ، ثم جعل بيتًا للأصنام وكان سدنة الأصنام يدخلون البيت كل يوم، وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون البيت كل يوم مدة سبعة عشر عامًا في أثناء الترميم وبعده، فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة في البيت، ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة رغم البحث والتفتيش، ويرى الباحثون أن حلقيا وغيره من الكهنة لما رأوا ميل الملك يوشيا إلى الدين والعمل بالتوراة، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى الدين فجمعوا هذه النسخة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم دون تحر خلا السبعة عشر عامًا من حكمه، وأضافوا إليها ما يوافق رغبات اليهود من تاريخ وعقيدة وغير ذلك ولما انتهوا من الكتابة، سلم حلقيا النسخة للكاتب شوفان ليسلمها للملك مدعيًا أنه عثر على التوراة.[1]

واستمر العمل بتلك التوراة ثلاثة عشر عامًا، وهي ما تبقى من حكم يوشيا، فما إن مات وخلفه في الحكم ابنه يوحاز حتى ارتد وأشاع الكفر. واستمر الكفر والارتداد وقتل الأنبياء ومطاردة المصلحين في عهد إخوته وأولادهم من بعده، وطوال هذه المدة لم يكن للتوراة ذكر ولا رسم ولا أثر، وإنما كانت في التابوت عند الكاهن الأكبر، وتوالت

---

(١) الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (٩٦- ٧٣).

النكبات على اليهود من قبل الشعوب المحيطة بهم، حتى إن بختنصر ملك بابل اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات، بسبب ما يلقاه من غدر ونقض للعهود، إلى أن هاجمها عام ٥٨٨ ق. م فدك أسوار القدس وأحرق المدينة والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت، وتتبع الهارونيين وسائر الكهنة، فقتلهم على دم واحد، ثم سبى اليهود جميعا فقادهم مقيدين بالسلاسل ولم يترك فيهم سوى أفقر الفقراء، وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة وسائر أسفار العهد القديم التى كانت مصنفة، واليهود والنصارى يقرون بذلك (سفر الملوك الثاني ٢٤، ٢٥، وأخبار الأيام الثاني ٣٦). [1]

١٠ – التوراة إبان السبي:

سقطت مملكتا اليهود فزالت دولتهم واندثرت أمتهم؛ كان أكثرهم مشتتا بين نهرى دجلة والفرات وما حولها فذابوا بين تلك الشعوب، وعبدوا آلهتهم وكانت قلة منهم مشردة في مصر ولم يبق في فلسطين إلا شرذمة قليلة من المعدمين.

واستمر هذا النفي إلى عام ٥٣٨ ق. م حيث قام ملك الفرس كورش – كيروس الثاني – بالهجوم على الميديين فأخضعهم واستولى على آشور وبابل، ومن ثم أصبح له السلطان على فلسطين واليهود.

وتودد اليهود للحكم الجديد واستعطفوه – وهم بارعون في ذلك – ثم التمسوا منه أن يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم وبناء هيكلهم واستئناف الحرية في ظله، فوافق، وعاد كثير منهم إلى فلسطين، فأعادوا بناء المدينة والهيكل بعد إعاقات كثيرة بسبب خلافاتهم. _ سفر عزرا ١ – ٦، وسفر نحميا ١ – ٧) ثم أقاموا الاحتفالات، ودشنوا البيت بالقرابين، لكن لم يضعوا فيه تابوت عهد الرب، لأن إرمياء النبي كان قد أخذه – كما يقولون – ووضعه في إحدى مغارات جبل (نبو) في (مؤاب) مقابل (أريحا) فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه إلى اليوم. وهكذا استعاد اليهود بعض أوضاعهم، لكنهم فقدوا استقلالهم وتابوتهم هذه

---

(١) انظر المصدر السابق (٧٣- ٧٤).

المرة، ووقعوا تحت سيطرة الفرس.

وفي عهد الملك الفارسي (أرتخشستا) كان في بابل كاهن يهودي مقرب من الملك اسمه (عزرا بن سرايا) من سبط هارون، فطلب من الملك أن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود إلى القدس فوافق. (سفر عزرا/ ٧) وعاد عزرا عام ٤٥٨ ق. م ومعه عامة الشعب وقوم من الكتبة اللاويين، وأموال كثيرة ورسالة أمن وتوصية من الملك جاء فيها (كما في سفر عزرا ٧/ ٢٥ – ٢٦): " أما أنت ياعزرا، فحسب حكمة إلهك التي بيدك، ضع حكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك. . . "

وهكذا وضع عزرا بتأييد من الفرس النظام لليهود، ودأب عزرا ومن معه من الكهنة على تبصير اليهود بالشريعة وتفسيرها لهم.

١١ـ كتابة التوراة وجمع أسفارها من جديد:

يسود اعتقاد عند اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها، لكن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة، وقد كتبها وجمعها معه أناس آخرون. [١]

يقول ول ديورانت:

" إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين. وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتى اليهود "، ويقرر أيضًا أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل، ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد.

١٢ـ وجود نسختين للتوراة بعد العودة:

لقد ظهرت نسختان مختلفتان للتوراة بعد الشروع في بناء الهيكل، نسخة للعبرانيين ونسخة للسامريين، وكل طائفة تضلل الأخرى ولا تعترف بها.

١٣ـ التوراة إبان حكم اليونان:

بعد أن استولى الإسكندر الأكبر على بلاد الشام عام ٣٢٣ ق. م تقاسم قواده الإمبراطورية بينهم وخضع اليهود لخلفائه من بعده.

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة سهيل ديب، (ص ١٦ – ١٧ و ص ٢٠).

وبدأ تشبه اليهود باليونان في عبادتهم للآلهة، والتقيد بعاداتهم وتقاليدهم، وفي عهد أنطيخوس الرابع، قام كاهن اليهود بانقلاب على المدينة وقتل من فيها من الحراس والمعارضين لليهود، وعاد أنطيخوس من معركته مع بطليموس السادس، فدخل القدس ودمرها، واقتحم الهيكل واستولى على ما فيه، وأحرق جميع نسخ العهد القديم، وقرر توحيد الديانة في البلاد التي تحت سيطرته، وألزم اليهود بالامتناع عن ممارسة العبادات والعادات اليهودية، ومزق الجنود كل ما وجدوه من نسخ التوراة و أسفار الشريعة وأحرقوه، وقتلوا كل من كان يعلن أنه يهودي أصلا. ففي ظل كل هذه الاضطهادات الغالب أنه انعدمت جميع النسخ التي كتبها عزرا وغيره.[1]

١٤ – التوراة إبان حكم المكابيين:

رأى كاهن يهودي اسمه (متاثيا) رجلًا يهوديًا يقدم ذبيحة لإله اليونان، فوثب عليه وقتله، ثم قتل مندوب الملك، وهرب مع أولاده إلى الجبال، ثم كونوا قوة وكانوا مصدر إزعاج للحكام.

وفي عام ١٦٧ ق. م مات الكاهن فخلفه ابنه يهوذا المسمى (مكابيوس) وتمكن في عام ١٦٤ ق. م من الاستيلاء على القدس، وطهرها مما فيها من الأوثان.

وفي عام ٦٣ ق. م اقتحم الرومان القدس، ودخلوا الهيكل حتى وطئوا قدس الأقداس، وأخذوا الملك وأولاده أسرى إلى روما.

ثم في عام ٣٧ ق. م اقتحموها ثانية بعد تمرد يهودي، فنهبوها وأشاعوا فيها التمرد والدمار، بعد أن قتلوا آخر الملوك المكابيين (أنتنيجوس).

ولا شك أن التوراة المتبقية في هذا العهد إنما هي التوراة المظنونة، أو النقول المتبقية بعد الاضطهادات في عهد اليونان.

١٥ – التوراة إبان حكم الرومان:

تولى أمر اليهود بعد مقتل أنتيجوس رجل يهودي من أصل ادومي، اسمه (هيرودس) كان

---

(١) وانظر: توراة اليهود وابن حزم (٨٠ – ١٨٥).

شديد الخضوع للرومان ومع ذلك كان يسترضي اليهود؛ فبنى لهم هيكلًا على نسق هيكل سليمان، لكنهم ظلوا على كراهيتهم له؛ لأنه ليس من أصل يهودي صرف، فأذاقهم سوء العذاب.

وفي سنة ٢٦ م عين الإمبراطور الروماني طيباروس حاكما على اليهودية اسمه (بيلاطوس بونتيوس)، وفي عهده طلب كهنة اليهود صلب المسيح ﷺ لكن هموا بما لم ينالوا.

وفي عام ٧٠ م حاصر الرومان القدس، وأذاقوا اليهود فيها أشد ألوان العذاب، ولما اندلعت الثورة الثانية في عام ١٣٠ – ١٣٥ م وقضى عليها الإمبراطور الروماني (أدريانوس) أزال معالم المدينة والهيكل تماما، فحرث الأرض وزرعها، ولاحق اليهود بشدة للتخلص منهم نهائيًا، ثم أقام مكان الهيكل، هيكلًا وثنيا باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان.

وهكذا أبيد معظم اليهود، ولم يبق منهم إلا عدد قليل، تشردوا في الأرض، وهاموا على وجوههم في كل مكان.

وخلاصة القول: ـ

أن اليهود تعرضوا للاضطهاد في كل مكان حلوا فيه، وفي ظل حكم أي دولة حكموا بها، فأي توراة تبقى بعد كل هذا الاضطهاد والتشريد والتدمير والحرق.

وحتى ما كتبه عزرا وغيره هل يبقى سليمًا بعد كل هذا أيضًا؟.

ثم هل قام الدليل على عصمة عزرا ومن ساعده؟ أو أن هذه النصوص المجموعة هي من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى؟ ثم إن كان الكاتب هو عزرا فعلًا، فأين السند المتصل الذي يثبت ذلك بدون أدنى شك أو تخمين؟ أوحتى شبهة السند الذي يتميز به المسلمون ولا يعرفه أهل الكتاب لكتبهم؟. [(١)]

ثانيًا: إبطال نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ﷺ.

يزعم اليهود والنصارى أن موسى ﷺ كتب الأسفار الخمسة، يقول القس سويجارت في مناظرته التلفزيونية للعلامة ديدات: " ونحن نعتقد أن موسى كتب ما يسمى بالأسفار الخمسة، تلك الكتب الخمسة الأولى باستثناء الترانيم القليلة، وسفر التثنية، وربما يكون قد

---

(١) الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (٧٤ – ٨٩).

كتب هذا أيضًا، لأننا نعلم أن للرب من القدرة، بحيث يوحي إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها، ويوحي إليه بدقة الهيئة التي تكون عليها جنازته، وهذا ليس بمعضل على الرب".

وليس من دليل يؤيد هذا الزعم سوى ما ذكرته النصوص التوراتية والإنجيلية.[1]

لكن عند الرجوع إلى هذه الأسفار والتمعن فيها يتبين أنها كتبت بعد موسى عليه السلام بوقت طويل، وفيما يلي بعض هذه الأدلة:

١ـ قصر توراة موسى بالنسبة إلى التوراة الحالية.

• تحدثت أسفار العهد القديم عن توراة موسى، في سفر التثنية "وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. " (التثنية ٣١/ ٩ – ١٠) وكان ينبغي أن تكون نهاية التوراة هنا، ولكن الذي نراه أنه جاء بعدها ثلاث إصحاحات، والمفروض أن التوراة سلمت للكهنة من بني لاوي، مما دل على أن المكتوب من قبل موسى ليس النص الذي يحكي القصة.

• أن توراة موسى قصيرة، فإن أسفاره الخمسة تبلغ ٤٠٠ صفحة، والذي كتبه موسى قصير جدًا بالنسبة إلى الأسفار الخمسة، فقد أمر موسى بجمع بني إسرائيل نساءً وأطفالًا ورجالًا، بل وحتى الغريب المار بأرضهم، أمر بجمعهم كل سبع سنين في عيد المظال لتقرأ عليهم التوراة (انظر التثنية ٣١/ ٩ – ١٢)، ولو كانت بالطول الذي بين أيدينا اليوم لشق سماع هؤلاء جميعًا وعسُر طول مكثهم لسماعها.

•ومن الدلائل على قصر توراة موسى أنه أمر بكتابتها على جدران المذبح " فَيَوْمَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، تُقِيمُ لِنَفْسِكَ حِجَارَةً كَبِيرَةً وَتَشِيدُهَا بِالشِّيدِ، ٣وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ، حِينَ تَعْبُرُ لِكَيْ تَدْخُلَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. . . ٨وَتَكْتُبُ عَلَى الْحِجَارَةِ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ نَقْشًا جَيِّدًا». "

---

(١) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى (٣١ – ٣٢)، النصرانية في ميزان العقل والإسلام (٨٧– ٨٨).

(التثنية ٢٧/ ٢ - ٨)، وقد عمل بالوصية وصي موسى يشوع فكتبها على حجارة المذبح.

وبعد إتمام البناء قرأ يشوع التوراة على الجموع، وهي له تسمع " ٣٢وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَاةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. . . . ٣٤وَبَعْدَ ذلِكَ قَرَأَ جَمِيعَ كَلاَمِ التَّوْرَاةِ. . ٣٥لَمْ تَكُنْ كَلِمَةٌ مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى لَمْ يَقْرَأْهَا يَشُوعُ قُدَّامَ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ وَالنِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ وَالْغَرِيبِ السَّائِرِ فِي وَسَطِهِمْ. " (يشوع ٨/ ٣٢ - ٣٥). (١)

٢ـ تناقض سفر يشوع مع الأسفار الخمسة.

ومما يؤكد أن التوراة التي كتبها موسى ليست الأسفار الخمسة: مخالفة يشوع وصي موسى لما جاء فيها، ولو كان يعرفها أو يعتقد صدقها لما خالفها، فإما أن يقال بأن سفر يشوع مزور، أو لا تصح نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى.

وبيان هذه المسألة أن موسى قال: " ١٧كَلَّمَنِي الرَّبُّ قَائِلًا: ١٨أَنْتَ مَارٌّ الْيَوْمَ بِتُخْمِ مُوآبَ، بِعَارَ. ١٩فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تُجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لاَ تُعَادِهِمْ وَلاَ تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُهَا مِيرَاثًا. " (التثنية ٢/ ١٦ - ٢٠) فكان أمر الله لموسى في حق أرض عمون أن لا يأخذ منها شيئًا.

ولكن يشوع في سفره ينسب إلى موسى أنه قسم أرض بني عمون، يقول: " ٢٤وَأَعْطَى مُوسَى لِسِبْطِ جَادَ، بَنِي جَادَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: ٢٥فَكَانَ تُخُمُهُمْ يَعْزِيرَ وَكُلَّ مُدُنِ جِلْعَادَ وَنِصْفَ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ إِلَى عَرُوعِيرَ الَّتِي هِيَ أَمَامَ رَبَّةَ. . . هذَا نَصِيبُ بَنِي جَادَ " (يشوع ١٣/ ٢٤ - ٢٨)، فقد زعم سفر يشوع أن الله أعطى موسى نصف أرض بني عمون، وهو مخالف لما أمر الله به موسى.

فلو كانت هذه الأسفار توراة موسى لما نسب يشوع إلى موسى هذه المخالفة الصريحة لأمر الله بتقسيم أرض عمون.

٣ـ أحداث ذكرتها التوراة، وقد حصلت بعد وفاة موسى.

كما أن التوراة ذكرت أحداثًا حصلت بعد وفاة موسى في سيناء، مما دل على أنها كتبت

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٣١ - ٣٢).

بعده، ومنها:

١- تقول التوراة: " وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ. " (خروج ١٦/ ٣٥)، فكاتب السفر أدرك انقطاع المنّ عن بني إسرائيل، وعرف أن مدة أكلهم للمنّ كانت أربعين سنة، وهو أمر لم يدركه موسى ﷺ، فقد انقطع المنّ زمن يشوع وبعد وفاة موسى بزمن ليس بقليل، ففي سفر يشوع " ١٠فَحَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْجِلْجَالِ. . . فِي عَرَبَاتِ أَرِيحَا. ١١وَأَكَلُوا مِنْ غَلَّةِ الأَرْضِ. . ١٢وَانْقَطَعَ الْمَنُّ فِي الْغَدِ عِنْدَ أَكْلِهِمْ مِنْ غَلَّةِ الأَرْضِ " (يشوع ٥/ ١٠ - ١٢). فكيف يتحدث موسى عن أمر حدث بعد وفاته، وذلك حين دخلوا الأرض المقدسة مع النبي يشوع، ومن المهم التنبيه إلى أن الخبر عن الماضي، وذلك في النص السابق في قوله"فحلَّ وأكلوا وانقطع المن في الغد عند أكلهم "، وليس إخبارًا بالغيب والمستقبل، لذا لا يمكننا أن نعتبره نبوءة من موسى ﷺ. (١)

٢- ثم إن سفر العدد يصف المنّ لقارئيه، فمن المؤكد أنه يحدثهم عما لم يروه، ومن العجيب أن ينسب هذا الوصف إلى موسى، إذ ما الذي يدعوه لوصف المنّ وطعمه وطريقة طهيه لمن يصنعه ويأكله من معاصريه، يقول السفر: " ٧وَأَمَّا الْمَنُّ فَكَانَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، وَمَنْظَرُهُ كَمَنْظَرِ الْمُقْلِ. ٨كَانَ الشَّعْبُ يَطُوفُونَ لِيَلْتَقِطُوهُ، ثُمَّ يَطْحَنُونَهُ بِالرَّحَى أَوْ يَدُقُّونَهُ فِي الْهَاوَنِ وَيَطْبُخُونَهُ فِي الْقُدُورِ وَيَعْمَلُونَهُ مَلاَّتٍ. وَكَانَ طَعْمُهُ كَطَعْمِ قَطَائِفَ بِزَيْتٍ. " (العدد ١١/ ٧-٨) وانظر: (الخروج ١٦/ ٣١)، إنه شاهد آخر ببراءة موسى من كتابة هذه الأسفار. (٢)

٣- ويذكر سفر العدد ما يُشعِر بأن الكاتب قد كتبه بعد جلاء بني إسرائيل من برية سيناء ودخولهم فلسطين فيقول: " ٣٢وَلَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلًا يَحْتَطِبُ

(١) وانظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (٧٧).

(٢) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٣٢ – ٣٣).

حَطَبًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ. " (العدد ١٥/ ٣٢)، فالكاتب ليس في البرية حتمًا. أي ليس موسى عليه السلام، فإنه قد مات في البرية قبل دخول الأرض المقدسة.

٤- ونحوه قول كاتب الأسفار: " وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ. " (التكوين ١٣/ ٧)، وهذا النص جعلته نسخة الرهبانية اليسوعية بين قوسين للإيهام بأنه ملحق بالسياق، والصحيح أصالته، وأن السفر متأخر التأليف.

٥- ونحوه في قوله: "٣١وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. "

وقد أقر المحقق آدم كلارك بوقوع التحريف في هذا النص، وقال: " غالب ظني أن موسى ما كتب هذه الآية، والآيات التي بعدها إلى التاسعة والثلاثين. . وأظن ظنًا قويًا قريبًا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه ". [1]

ولم يبين دليله الذي دفعه لهذا الظن الذي قارب اليقين، لكن هذا التبرير من كلارك يفضي إلى الشك بجملة الكتاب المقدس، إذ كما جاز للناسخ أن يدخل في المتن هنا ما ليس فيه، فإنه يجوز وقوع ذلك في سائر الكتاب. [2]

٦- ورد في سفر اللاويين (٥/ ١٥- ١٦): "، يَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ: كَبْشًا صَحِيحًا مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ مِنْ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ. ١٦وَيُعَوِّضُ عَمَّا أَخْطَأَ بِهِ مِنَ الْقُدْسِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُكَفِّرُ الْكَاهِنُ عَنْهُ بِكَبْشِ الإِثْمِ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ. "

وهذا الكلام في معرض التكفير عن الخطأ في أقداس الرب عندهم.

ومعروف كما سبق أن بني إسرائيل لم يكونوا دخلوا القدس في عهد موسى، ولم

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٤٦٨).

(٢) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٣٤ – ٣٥).

يتخذوا الشاقل أيضًا في عهد موسى.[١]

لكن الطامة الكبرى والداهية العظمى أن يذكر خبر وفاة موسى عليه السلام وندب بني إسرائيل له، وذلك في أسفار تنسب إلى موسى، فقد جاء في سفر التثنية " ٥فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. ٦وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. ٧وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ. فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى. " (التثنية ٣٤/ ٥ – ٨)، والملاحظ دومًا أنه حديث عن الماضي البعيد، وليس إخبارًا عن المستقبل.[٢]

٤ـ مسميات ظهرت بعد موسى.

وتذكر الأسفار الخمسة أسماء كثيرة لمسميات لم يعرفها بنو إسرائيل إلا بعد موسى، ولم تسم بهذه الأسماء إلا بعد قرون من وفاة موسى، فكيف ذكرتها توراة موسى إذًا؟

١– ومنها " وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ " (التكوين ١٤/ ١٤) وقد سميت بهذا الاسم في عهد القضاة، أي بعد موسى بما يربو على مائة سنة، يقول سفر القضاة: " وَجَاءُوا إِلَى لاَيِشَ. . . وَدَعَوْا اسْمَ الْمَدِينَةِ «دَانَ» بِاسْمِ دَانٍ أَبِيهِمِ " (القضاة ١٨/ ٢٧ – ٢٩).

٢– ونحوه ما جاء في التكوين وفيه " ١٥لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ" (التكوين ٤٠/ ١٥)، ولم تسم فلسطين بهذا الاسم في عهد موسى، إذ لم يدخل العبرانيون إليها بعد.

٣– ومثله " ٢٧وَجَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا، قَرْيَةِ أَرْبَعَ، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ "(التكوين ٣٥/ ٢٧)، ولم تسم حبرون (الخليل) بهذا الاسم إلا في عهد يشوع، كما ورد في سفره " وَأَعْطَى حَبْرُونَ لِكَالَبَ. . . ١٥وَاسْمُ حَبْرُونَ قَبْلًا قَرْيَةُ أَرْبَعَ " (يشوع ١٤/ ١٣ – ١٥)، فالكاتب لسفر التكوين أدرك دخول يشوع لفلسطين، ورأى تغيير اسم المدينة من أربع إلى حبرون.[٣]

---

(١) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (٧٩).

(٢) المصدر السابق (٧٣).

(٣) وانظر: توراة اليهود وابن حزم، تأليف/ عبد الوهاب عبد السلام طويلة (٦٠– ٧٢).

٤ـ اعترافات مثيرة.

وبعد هذا كله كان لابد من أن يعترف أهل الإنصاف من أهل الكتاب بعدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى، وقد كان من أوائل من فعل ذلك منهم، ابن عزرا الحبر اليهودي الغرناطي (تـ ١١٦٧م) حين ألغز اعترافه ببراءة موسى من هذه الأسفار، وذلك لمخافته القتل والاضطهاد فقال في شرحه لسفر التثنية: " فيها وراء نهر الأردن. . . لو كنت تعرف سر الإثني عشر . كتب موسى شريعته أيضًا. . . وكان الكنعاني على الأرض. . . سيوحي به على جبل الله. . . ها هوذا سريره، سرير من حديد، حينئذ تعرف الحقيقة " ولم يجرؤ ابن عزرا على كشف الحقيقة فألغزها.

وقد فسر اليهودي الناقد (اسبينوزا) قول ابن عزرا بأنه أراد بأن موسى لم يكتب التوراة لأن موسى لم يعبر النهر، ثم إن سفر موسى قد نقش على اثني عشر حجرًا بخط واضح، فحجمه ليس بحجم التوراة، ثم لا يصح أن تقول التوراة بأن موسى كتب التوراة، ثم كيف يذكر أن الكنعانيين كانوا حينئذ على الأرض؟ ، فهذا لا يكون إلا بعد طردهم منها، وأما جبل الله فسمي بهذا الاسم بعد قرون من موسى، وسرير عوج الحديدي جاء ذكره في التثنية (٣/ ١١-١٢) بما يدل على أنه كتب بعده بزمن طويل.

- ويعترف أيضًا في القرن التاسع عشر القس نورتن بعدم صحة نسبة الأسفار إلى موسى فيقول: "التوراة جعلية يقينًا، ليست من تصنيف موسى". [(١)]

- وفي مدخل طبعة للكتاب المقدس باللغة الانجليزية صدرت عام ١٩٧١م سجل محررو الطبعة تشككًا في إلصاق الأسفار بموسى فقالوا: " مؤلفه موسى على الأغلب ".

- وفي مدخل التوراة الكاثوليكية نقرأ: "ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده، بل يجب القول بأن هناك ازديادًا تدريجيًا سببته مناسبات العصور التالية

---

(١) انظر: في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي، (٧١ - ٧٥)، الغفران بين الإسلام والمسيحية، إبراهيم خليل أحمد، (٤٤ - ٤٦).

الاجتماعية والدينية "، ومثله في المدخل الفرنسي للكتاب المقدس.

• وتقول دائرة معارف القرن التاسع عشر: " العلم العصري، ولاسيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام، وإنما هي من عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها، وألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل ".

• ويقول نولدكه في كتابه "اللغات السامية": " جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة، واستغرق تأليفها وجمعها زمنًا متطاولًا تعرضت حياله للزيادة والنقص، وإنه من العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى. "(١)

فهل يقال بعد ذلك: هذه الأسفار الخمسة من كلام موسى أو أنها وحي الله إلى نبيه موسى؟

وصدق جارودي في كتابه " إسرائيل والصهيونية السياسية " حين قال: " ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقر بأن أقدم نصوص التوراة قد أُلِّف وكتب على الأكثر في عهد سليمان، وهذه النصوص ليست إلا تجميعًا لروايات شفهية، وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرت عليها قرون ليست أكثر تاريخية – بالمعنى الدقيق للكلمة – من الإلياذة أو الرامايانا".

ثالثا: إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم.

لا يملك اليهود ولا النصارى أي دليل – ولو كان ضعيفًا – يثبت صحة نسبة الأسفار المقدسة إلى أصحابها، إذ هذه الكتب خالية من الأسانيد التي توثقها.

بل إن الأدلة تثبت عكس ذلك، وهو يتضح فيما نعرض من النصوص والشهادات التي تبطل نسبة أسفار العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السلام، ولسوف نكتفي بعرض بعض الشهادات عن بعض الأسفار، ونترك للقارئ الكريم أن يقيس الغائب من الأسفار على

(١) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، يحيى ربيع، (١٠٠)، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد، (٩٧ – ٩٨).

الشاهد منها. [1]

أولًا: سفر يشوع:

تنسب الدراسات التقليدية هذا السفر إلى النبي يشوع بن نون وصي موسى ﷺ، لكن القراءة المتأنية لهذا السفر تكشف عن تأخر تاريخ كتابته عن يشوع بسنين طويلة، فقد جاء فيه خبر موت يشوع " أَنَّهُ مَاتَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ عَبْدُ الرَّبِّ ابْنَ مِئَةٍ وَعَشْرِ سِنِينَ. ٣٠ فَدَفَنُوهُ فِي تُخُمِ مُلْكِهِ " (يشوع ٢٤/ ٢٩ - ٣٠).

ويذكر سفر يشوع أحداثًا حصلت بعد موته كتعظيم بني إسرائيل له بعد وفاته، بقاء شيوخهم على العهد في عصر القضاة بعده " وَعَبَدَ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشُوعَ، وَكُلَّ أَيَّامِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ بَعْدَ يَشُوعَ وَالَّذِينَ عَرَفُوا كُلَّ عَمَلِ الرَّبِّ الَّذِي عَمِلَهُ لإِسْرَائِيلَ. " (يشوع ٢٤/ ٣١)، والسفر برمته يتحدث عن يشوع بضمير الغائب. (انظر ٨/ ٣٥، ٦/ ٢٧).

ومن الأدلة التي نسردها سريعًا لنؤكد أن يشوع ليس بكاتب السفر المنسوب إليه:

١- أن سفر يشوع ذكر مرارًا قرية دبير التي حاربها يشوع، ومن ذلك قوله: "٣٨ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَبِيرَ وَحَارَبَهَا " (يشوع ١٠/ ٣٨)، وكذا قوله: " ٧وَصَعِدَ التُّخُمُ إِلَى دَبِيرَ مِنْ وَادِي عَخُورَ " (يشوع ١٥/ ٧)، وغيرها من المواضع.

وهذا الاسم لم يطلق على هذه القرية إلا بعد وفاة يشوع، فقد كان اسمها في عهد يشوع قرية سفر، وتغير في عهد القضاة " وَكَانَ اسْمُ دَبِيرَ قَبْلًا قَرْيَةَ سِفْرٍ" (القضاة ١/ ١١).

٢- كما نجد في مواضع كثيرة أن كاتب السفر يخبرنا ببقاء بعض المسميات التي سميت في عهد يشوع وأنها لم تتغير بتقادم الأيام وتصرم السنين، ومن المؤكد أن يشوع ليس القائل، إذ هذه المسميات ظهرت في عصره، وليس من المعتاد تغير أسماء المدن في وقت قريب، يقول سفر يشوع: "فَدُعِيَ اسْمُ ذلِكَ الْمَكَانِ «الْجِلْجَالَ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (يشوع ٥/ ٩)، أي ما زال اسمه كذلك إلى زمن كتابة السفر.

(١) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى (٣٨ - ٤٢).

ومثله قوله: " ٢٦وَأَقَامُوا فَوْقَهُ رُجْمَةَ حِجَارَةٍ عَظِيمَةً إِلَى هذَا الْيَوْمِ. فَرَجَعَ الرَّبُّ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ. وَلِذلِكَ دُعِيَ اسْمُ ذلِكَ الْمَكَانِ «وَادِيَ عَخُورَ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (يشوع ٧/ ٢٦).

وقد اعترف بمجهولية كاتب هذا السفر الناقد اليهودي اسبينوزا، وبه أقرت مقدمة الكاثوليك للكتاب المقدس، حيث تقول: "لكن المؤلف المقدس الذي نجهل اسمه وعصره كان. . . ". (١)

ثانيًا: سفر القضاة:

ويتحدث السفر عن الفترة التي تلت يشوع والتي سبقت الملكية، وهي فترة مبكرة من تاريخ بني إسرائيل، ونسبه التقليد اليهودي إلى النبي صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل.

ولكن السفر يحوي ما يدل على أنه كتب في عهد الملوك فقد جاء فيه " ٢٥فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. " (القضاة ٢١/ ٢٥).

ونحوه يقول السفر: "٦وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. " (القضاة ١٧/ ٦) مما يفهم منه أن الكاتب قد أدرك الملكية، وليس قاضيًا يعيش في عصر القضاة.

وتذكر مقدمة السفر أن كاتبه " يحتمل أن يكون صموئيل "، فهو مجرد احتمال يوافق عليه القس وليم مارش، ويضيف إليه احتمالات أخرى، حيث يرى - كما نقل عنه العلامة رحمة الله الهندي - أن كاتب السفر مجهول وأنه ينسب إلى صموئيل أو عزرا، كما يحتمل أن كل قاض كتب في زمان ولايته.

يقول الأب لوفيفر: إن سفر القضاة أعيدت كتابته وعدلت مرات كثيرة قبل أن يصل إلى صيغته النهائية، وإن أحداثه التاريخية تعوزها الدقة. (٢)

ثالثًا: سفر راعوث:

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٣٩ - ٤٠) وانظر: إظهار الحق (١/ ١٢٩)، النصرانية في ميزان العقل والإسلام (٨٨ - ٨٩).

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٣٤)، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين علي ص (٣٤ - ٣٥)، النصرانية في ميزان العقل والإسلام (٨٩ - ٩٠).

وهذا السفر يحكي قصة راعوث المؤابية التي تزوجت إسرائيليًا، ثم مات عنها زوجها ثم تزوجها بوعز فولدت له عوبيد جد داود، ولا يعرف بالتحديد من هو مؤلف هذه القصة.

لذلك يقول القس وليم مارش عن كاتب هذا السفر: " مجهول "، ويضيف جورج بوست: "لا يمكن الجزم بزمان هذه القصة، ولا بمعرفة مؤلفها. . نسب بعضهم كتابتها إلى صموئيل، وآخرون إلى حزقيا وآخرون إلى عزرا. . . "، وتقول مقدمة السفر عن الكاتب: " ليس معروفًا بالتحديد".

أما مقدمة السفر في التوراة الكاثوليكية فترى أن كاتبه المجهول قد عاش في زمن متأخر "اللغة ذاتها في النص العبري تشير إلى حداثة عهده الذي يعود إلى ما بعد السبي البابلي". (١)

رابعًا: سفرا صموئيل (الأول والثاني).

وينسب السفران إلى النبي صموئيل، لكن السفر الأول منهما يذكر وفاة النبي صموئيل ودفنه " ١وَمَاتَ صَمُوئِيلُ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ. " (صموئيل (١) ٢٥/ ١) فمن الذي أكمل السفر الأول؟ ومن كتب السفر الثاني؟

يقول منقحو الكتاب المقدس الذي راجعه القسيس فانت السكرتير العام لجمعية الكتاب المقدس بنيويورك عن مؤلف السفرين: " مجهول، ويحتمل أن يكون عزرا هو الذي كتبه وراجعه".

ويقول محررو طبعة ١٩٧١م الإنجليزية في مدخلهم: " مؤلفه: صموئيل على الاحتمال "، وقال آخرون الكاتب إرمياء، لكن مقدمة النسخة الكاثوليكية تعتبره "رأي صبياني، على أنه من المحتمل أن يكون المؤلف أحد تلاميذ إرميا". (٢)

خامسًا: سفرا عزرا ونحميا.

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي (١١٠)، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ، أحمد ديدات (٨٠، ١٢٦)، إظهار الحق (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: التحريف في التوراة، محمد الخولي (ص ٤، ١١٠- ١١١)، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ أحمد ديدات (ص ٥٨)، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد (ص ٩٩).

ويتحدث السفران عن حياة بني إسرائيل بعد السبي، ويفترض أن كاتبيهما هما عزرا ونحميا، لكن يرجح الباحثون أن كاتبهما وكاتب سفر الأيام واحد، وأن الكتابة كانت حوالي سنة ٣٠٠ ق. م، وممن يرجح تأخر كتابة السفر عن عزرا ونحميا المحققون توري وهوشر ومونكل.

فنحميا كان معاصرًا للسبي البابلي، لكن كاتب السفر يتحدث فيه عن يشوع اللاوي الراجع في سبي بابل، فيقول: " ١وَهؤُلاَءِ هُمُ الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِئِيلَ وَيَشُوعَ " (نحميا ١٢/ ١)، ثم يذكر أن من بين الراجعين من السبي مع زربابل يشوع اللاوي، فيقول: " ٨وَاللاَّوِيُّونَ: يَشُوعُ وَبِنُّويُ وَقَدْمِيئِيلُ. . " (نحميا ١٢/ ٨)، لكن كاتب سفر نحميا يحدثنا عن الجيل الخامس ليشوع اللاوي، فيقول: " ١٠وَيَشُوعُ وَلَدَ يُويَاقِيمَ، وَيُويَاقِيمُ وَلَدَ أَلِيَاشِيبَ، وَأَلِيَاشِيبُ وَلَدَ يُويَادَاعَ، ١١وَيُويَادَاعُ وَلَدَ يُونَاثَانَ، وَيُونَاثَانُ وَلَدَ يَدُّوعَ. " (نحميا ١٢/ ١٠ – ١١)، وهذا لا يمكن نسبته إلى نحميا، الذي عاد من السبي، بينما السفر يتحدث عن الجيل الخامس لأبناء العائدين من السبي.

وعليه فكاتب السفر عاش على أقل تقدير في الجيل الخامس من الرجوع البابلي فمن هو هذا الكاتب؟

يجيب المدخل الفرنسي: " جرت العادة بأن تنسب مجموعة الأخبار وعزرا ونحميا إلى كاتب واحد لا يعرف اسمه، يقال له: محرر الأخبار ".

ويقول القس وليم مارش: " كاتب السفر حسب تقليد اليهود هو عزرا، وهذا قول أكثر رجال الكنيسة المسيحية أيضًا، غير أن بعض العلماء حديثًا يقولون: إن كاتبًا اسمه مجهول كتب سفر عزرا وكتب أيضًا سفر نحميا". [١]

سادسًا: سفر استير.

وفي هذا السفر يتصور الخيالُ اليهودي ملكةَ فارس يهودية وذات نفوذ تستخدمه لصالح الشعب اليهودي. ولم يذكر اسم الله في هذا السفر أبدًا، وتبرر ذلك مقدمة السفر في

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٣٦)، مقدمة المناظرة الحديثة، أحمد ديدات، (٨٨)، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين علي، (٥٢ –٥٥)، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد، (٩٦–١٠٠).

التوراة الكاثوليكية فتقول عن النص العبراني منه: "لربما كان ذلك خشية أن ترافق اسم الله هتافات وتظاهرات غير لائقة من قبل سامعين في نشوة من الأفراح، وهذا أمر مضر بالاحترام الواجب لاسم الله" ولا أدري لماذا لم يُحترَز عن ذكر اسم الله في سفر نشيد الإنشاد، وهو أيضًا مجموعة من الأغاني الغرامية؟

وعن مؤلفه يقول كتاب " مرشد الطالبين ": " مجهول "، ويقول الدكتور بوست: " ينسب البعض تأليف هذا السفر إلى عزرا، وآخرون إلى كاهن يدعى يهوياقيم، والبعض ينسبونه إلى أعضاء المجمع العظيم، على أن الأكثرين ينسبونه إلى مردخاي ".

أما مقدمة السفر الكاثوليكي فترى تأخر تأليفه "فقد يرجع إلى الجيل الثاني قبل المسيح".

وقد شكك البعض في قانونية السفر مثل مليتو السارديسي، وجورجي النزيانزي كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس.

ويقول عنه لوثر: " ليت هذا السفر لم يوجد ".

وينقل العلامة الهندي قول بطرس عبد الملك وجون طمسن: " لا يوجد تناسق أو انسجام بين السفر في العبرية وبين هذه الزيادات، بل إن هناك تناقضًا بينها، فتذكر هذه الإضافات أن ملك الفرس في ذلك الحين هو ارتزركسيس بدلًا من روكسيس، وتذكر أن هامان كان مقدونيًا بدلًا من كونه فارسيًا ". (١)

وفي النسخة اليونانية التي يعتمدها الكاثوليك زيادات غير موجودة في النسخة العبرانية، مثل حلم مردوخاي وصلواته وسوى ذلك، وقصد المترجمون إلى اليونانية بهذه الزيادات إضفاء صفة دينية على السفر العبري الذي ليس فيه ما يشير إلى أنه نص ديني، كما صرحت المقدمة الكاثوليكية للسفر.

سابعًا: سفر أيوب.

من المفترض أن يكون هذا السفر من كتابة النبي أيوب، لكن جاء في وسط السفر ما

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٤٧)، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين علي، (٥٦ – ٥٧)، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد، (١٠١).

يدل على أن كاتبًا آخر غير أيوب قد تدخل فيه، ففي نهاية الإصحاح ٣١ يقول: " تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ. " (أيوب ٣١/ ٤٠) من غير أن ينتهي السفر حينذاك، بل استمر بعده أحد عشر إصحاحًا تحدثت عن أيوب.

وفي نهاية السفر " ١٦وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَال. ١٧ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الأَيَّامِ. " (أيوب ٤٢/ ١٦ – ١٧)، فهل هذا أيضًا من كتابة أيوب؟.

ويرى الدكتور صموئيل شولتز أن تاريخ كتابة هذا السفر مجهول، وكذلك زمن الخلفية التاريخية واسم المؤلف.

أما المقدمة الكاثوليكية للسفر فتحاول تحديد زمن التأليف، فترى أن "كاتب هذا السفر يأتي بعد إرميا، وقد استلهمه (أي من إرمياء) وبعد حزقيال، وهو سابق دون شك للعهد الإغريقي، وأغلب الظن أنه من أبناء الجيل الخامس". (١)

ويحسن أن ننبه هنا إلى أن النسخة الكاثوليكية اليونانية لسفر أيوب تنقص مايقرب من خمس السفر المذكور في النسخة العبرانية.

ثامنًا: سفر المزامير:

يحوي سفر المزامير مائة وخمسين مزمورًا تنسب إلى مؤلفين مختلفين، إذ ينسب إلى النبي داود ثلاثة وسبعون مزمورًا، وإلى موسى مزمور واحد، وإلى أساف اثنا عشر مزمورًا، وينسب إلى بني قورح تسعة مزامير، ومزموران إلى سليمان، وآخر إلى ايثان، وتسمى المزامير الباقية (٥١ مزمورًا) بالمزامير اليتيمة لأنه لا يعرف قائلها!.

فكيف وصفت بالوحي؟ وهل كان بنو قورح أيضًا أنبياء؟ وهل كان أساف كبير المغنين في بلاط داود نبيًا؟ وما أدلة نبوة هؤلاء؟ إن أحدًا لا يملك إجابة عن هذه الأسئلة.

والمتأمل في المزامير يدرك بوضوح كبير أن المزامير تعود إلى ما بعد داود وسليمان، وتحديدًا

---

(١) انظر: الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد (١٠١)، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين علي، (٦١ – ٦٢)، إظهار الحق (١/ ١٣٧).

إلى القرن السادس قبل الميلاد، إلى أيام السبي البابلي، وذلك يظهر من أمثلة متعددة.

منها ما جاء في المزمور التاسع والسبعين والمنسوب لآساف كبير المغنيين في بلاط الملك داود، حيث يقول: " ١اللهمَّ، إِنَّ الأُمَمَ قَدْ دَخَلُوا مِيرَاثَكَ. نَجَّسُوا هَيْكَلَ قُدْسِكَ. جَعَلُوا أُورُشَلِيمَ أَكْوَامًا. ٢دَفَعُوا جُثَثَ عَبِيدِكَ طَعَامًا لِطُيُورِ السَّمَاءِ " (٧٩/ ١ – ٢).

ومثله في قوله: " ٢الرَّبُّ يَبْنِي أُورُشَلِيمَ. يَجْمَعُ مَنْفِيِّي إِسْرَائِيلَ. ٣يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ. " (١٤٧/ ٤).

ومثله " عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. ٢عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا. ٣لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ (بعد السبي البابلي)، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ». (١٣٧/ ١). . . . وغيرها.

وهذه الأمثلة تثبت أن كتابة المزامير تأخرت عن داود ما لا يقل عن أربعة قرون، وعليه فلا تصح نسبتها إليه أو إلى معاصريه.[1]

تاسعًا: سفر (الأمثال) و (الجامعة) و (نشيد الإنشاد).

وتنسب الأسفار الثلاثة حسب التقليد الكنسي واليهودي إلى النبي سليمان عليه السلام.

لكن التأمل في سفر الأمثال يظهر فقرات لا تصح نسبتها إلى سليمان، فقراءتها تظهر أن لها أكثر من كاتب بدليل تكرار أكثر من مائة مثل باللفظ أو بالمعنى كما في (١٨/ ٨ و ٢٦/ ٢٢ و١٩/ ٢٤).

وقد نص السفر على أن بعض هذه الأمثال لسليمان، فقد بدأ بقوله: " أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ " (١/ ١) ثم عاد في الإصحاح العاشر، فأكد عليه.

وكذا في الإصحاح الخامس والعشرين يؤكد أن سليمان هو قائل هذا السفر، ويضيف بأن الذي نقلها عنه هم رجال الملك حزقيا، فيقول: "١هذِهِ أَيْضًا أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ الَّتِي نَقَلَهَا

---

(١) وانظر: الاختلاف الكبير في تحديد أسماء المؤلفين في كتاب: إظهار الحق (١/ ١٣٨ – ١٤٠).

رِجَالُ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا " (٢٥/ ١).

ولا نعرف من هم رجال حزقيا، ولا كيف وصلت إليهم كلمات النبي سليمان، وهل هم أيضًا أنبياء، علمًا بأن حزقيا هو الملك الثاني عشر بعد سليمان؟.

وفي الإصحاح الثلاثين تنسب مجموعة الأمثال إلى غير سليمان، ففيه " ١كَلاَمُ أَجُورَ ابْنِ مُتَّقِيَةِ مَسَّا. " (أمثال ٣٠/ ١) ولا يذكر السفر نبوته ولا إلهاميته، وفي الإصحاح الذي يليه " ١كَلاَمُ لَمُوئِيلَ مَلِكِ مَسَّا، عَلَّمَتْهُ إِيَّاهُ أُمُّهُ" (٣١/ ١)، ولا يذكر لنا السفر كيف اعتبر هذا الذي علمته أمه من الوحي.

ويقول المدخل للآباء اليسوعيين (التوراة الكاثوليكية): " السفر ليس بكامله من تأليف هذا الملك، وهو يسند إلى مجموعتين مهمتين. . المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي. . يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات حتى المسندة منها إلى سليمان. . إن عددًا كبيرًا من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة "[(١)]

"فلا يمكن أن يدعى أن هذا الكتاب كله تصنيف سليمان ﷺ ولا يمكن أن جامعه هو أيضًا، ولذلك اعترف الجمهور أن أناسًا كثيرين مثل حزقيا وإشعيا ولعل عزرا أيضًا جمعوه". [(٢)]

وأما سفر الجامعة فقد جاء في أوله: "كَلاَمُ الْجَامِعَةِ ابْنِ دَاوُدَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ " (١/ ١) وفي موضع آخر يقول: "أَنَا الْجَامِعَةُ كُنْتُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي أُورُشَلِيمَ " (١/ ١٢).

وليس في ملوك بني إسرائيل من اسمه الجامعة، وقد ذكروا في أيام (١) ٣/ ١ -٢٢، لذلك ينسبه الكهنوتيون إلى سليمان، ولا يصح هذا لأنه يقول: "وَأَيضًا رَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ: مَوْضِعَ الْحَقِّ هُنَاكَ الظُّلْمُ، وَمَوْضِعَ الْعَدْلِ هُنَاكَ الْجَوْرُ!. . . " (٣/ ١٦).

ومثل هذه الصورة التشاؤمية لا يمكن أن تصدر عن النبي سليمان الملك الذي يملك رفع الحق وتثبيته، ومثله " ١ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَأَيْتُ كُلَّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ: فَهُوَذَا

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٤٧).

(٢) إظهار الحق (١/ ١٤٣).

دُمُوعُ الْمَظْلُومِينَ وَلاَ مُعَزّ لَهُمْ، وَمِنْ يَدِ ظَالِمِيهِمْ قَهْرٌ، أَمَّا هُمْ فَلاَ مُعَزّ لَهُمْ "(٤/ ١)، ومثله كثير، فالسفر يحمل صورة تشاؤمية لا يمكن أن تصدر عن نبي ملك.

واليهود بعدما أطلقوا من أسر بابل أخرجوه من الكتب الإلهامية، لكنه ادخل بعد ذلك فيها(١).

وأما سفر نشيد الإنشاد فهو أشد الأسفار إثارة، وقد تعرض لتردد كثير حتى قُبل وأضيف للكتاب المقدس، ويرى المحققون أنه يعود إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، وإن اشتمل على بعض الأغاني القديمة جدًّا.

يقول عنه المدخل الفرنسي: " إن هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس، فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية في العهد القديم. . لا نجد فيه أي مفتاح للسيرة. من الذي ألفه؟ وفي أي تاريخ؟ ولماذا ألف؟. . من الواضح أن مؤلفه ليس سليمان ".

وعن هذا السفر يقول مدخله في التوراة الكاثوليكية: " لا يقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين، لأنه لا يلائمهم كثيرًا ".

ويقول وشتن: " إنه غناء فسقي فليُخرج من الكتب المقدسة "، وقال العالم وارد الكاثوليكي عنه: " حكم كاستيليو بإخراج هذا الكتاب من كتب العهد العتيق لأنه غناء نجس "(٢).

عاشرًا: سفر إشعيا.

وينسب السفر إلى النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد، فقد عاصر الملك عزيا ثم يوثام ثم أحاز ثم حزقيا، ولكن السفر يتحدث عن الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد مما يؤكد أن ثمة كاتبًا أو كاتبِين قد كتبوا ذلك بعد إشعيا، ومن أمثلة ذلك حديثه عن بابل الدولة العظيمة وتنبؤه بإنهيارها.

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٤٥)، قراءات في الكتاب المقدس، عبد الرحيم محمد (٢/ ٢٦٦)، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين علي، (٧٦)، الكتاب المقدس في الميزان، عبد السلام محمد (١٠٣)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، (٢٣٥ – ٢٣٦).

وأيضًا حديثه عن كورش الفارسي الذي ردّ اليهود من السبي (انظر ٤٤/ ٢٨ – ٤٥/ ١).

كما يتحدث عن رجوع المسبيين والشروع في بناء الهيكل في الإصحاحات ٥٦ – ٦٦، لذا يقول العالم الألماني أستاهلن: " لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده حتى الباب السادس والستين من تصنيف إشعيا". (١)

لذا تنقل لنا مقدمة السفر الكاثوليكي أن "عددًا متزايدًا من الشراح الكاثوليك يعتبرون اليوم أن عمل إشعيا قد تابعه أنبياء آخرون، لهم ما له من الأهمية، لكنهم لم يخلِّفوا لنا أسماءهم".

الحادى عشر: سفر إرمياء

أما سفر إرمياء فإن تقاليد الكنيسة تنسبه إلى النبي إرمياء، ولا تصح هذه النسبة، إذ هو من عمل عدة مؤلفين، بدليل تناقضه في ذكر الحادثة الواحدة، ومن ذلك تناقضه في طريقة القبض على إرمياء وسجنه (انظر: إرمياء ٣٧/ ١١ – ١٥ و ٣٨/ ٦ – ١٣).

كما يحمل السفر اعترافًا بزيادة لغير إرمياء ففيه " ٣٢فَأَخَذَ إِرْمِيَا دَرْجًا آخَرَ وَدَفَعَهُ لِبَارُوخَ بْنِ نِيرِيَّا الْكَاتِبِ، فَكَتَبَ فِيهِ عَنْ فَمِ إِرْمِيَا كُلَّ كَلاَمِ السِّفْرِ الَّذِي أَحْرَقَهُ يَهُويَاقِيمُ مَلِكُ يَهُوذَا بِالنَّارِ، وَزِيدَ عَلَيْهِ أيضًا كَلاَمٌ كَثِيرٌ مِثْلُهُ. " (٣٦/ ٣٣).

وفي موضع آخر " إِلَى هُنَا كَلاَمُ إِرْمِيَا. " (٥١/ ٦٤)، ومع ذلك يستمر السفر، فمن الذي أكمله؟(٢)

رابعًا: خاتمة جامعة (اعترافات)

ونختم مع اعتراف مهم يسجله مدخل التوراة الكاثوليكية وفيه: " صدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتنعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكانًا في التاريخ. . . ظل عدد كبير منهم مجهولًا. . معظم عملهم مستوفى من تقاليد الجماعة، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمنًا طويلًا بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو

---

(١) انظر: إظهار الحق (١/ ١٥٠).

(٢) هل العهد القديم كلمة الله؟ (ص٤٩) وانظر: إظهار الحق (١/ ١٤٨ – ١٤٩).

قليل الأهمية، لا بل أحدث الأسفار ما هي إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة ".

إذًا هذه الأسفار مجهولة المؤلف، لا تصح نسبتها إلى الأنبياء، بل هي من عمل الشعب اليهودي طوال عصور التاريخ اليهودي، وقد استلهموا هذه الكتابات من تقاليدهم، لا من الله ووحيه، وكل ذلك شاهد على أن التوراة ليست كلمة الله.

وقد صدق موريس فورن حين قال: " لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة، وفي أي حال، وظروف؟ وبأقلام من كتب؟ لا نجد أحدًا يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متباينة متخالفة جدًا. . .

والملخص أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصارى واليهود، وتقوض بنيان ادعاء السابقين، وتبرئ الأنبياء من تلك الكتابات ".

ويواصل فيقول: " ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضًا، فالحديث يناقض سابقه، والسابق ينافي الأسبق، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد. . وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي".

وصدق الله حين قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(البقرة: ٧٩).[1]

ثانيًا: العهد الجديد.

هل ثبت إسناد متصل لكتب العهد الجديد؟.

تمهيد:

تعود أسفار العهد الجديد السبعة والعشرون إلى ثمانية مؤلفين تفاوتت مقادير كتاباتهم، ففي حين لم تزد رسالة يهوذا عن صفحتين فإن لبولس ما يربو على المائة صفحة.

وأيضًا يتفاوت قرب هؤلاء من المسيح، ففي حين أن متى ويوحنا وبطرس ويهوذا ويعقوب من تلاميذه الاثني عشر، فإن لوقا ومرقس لم يلقيا المسيح، بينما لم يتنصر بولس إلا

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (٥٠).

بعد رفع المسيح، والنصارى يعتبرون هؤلاء المؤلفين الثمانية بشرًا ملهمين، كتبوا ما أملاه عليهم روح القدس وفق أسلوبهم، وقد ثبت لدينا عدم إلهامية كتبة العهد الجديد فيما سبق. (١)

ولكن هل تصح نسبة الكتب إلى هؤلاء الثمانية؟ وبالذات إلى متى ويوحنا وبطرس الذين يفترض أنهم من أخص تلاميذ المسيح؟ أم أن النسبة هي أيضًا محرفة؟ وهل من الممكن أن يصدر هذا الكلام - الذي في العهد الجديد - من حواريي المسيح الذين رباهم طوال سني رسالته، وذكرهم القرآن بالثناء الحسن؟

إن تأمل المحققين في كتابات العهد الجديد، جعلهم يرون أن هذه الأسفار لا يمكن أن تصدر عن تلاميذ المسيح المؤمنين، فاهتموا لذلك بدراسة وتوثيق نسبة هذه الأسفار إليهم.

ولن نتوقف طويلًا مع توثيق نسبة بعض الأسفار، لأن كتبتها ليسوا من تلاميذ المسيح، وعليه فلا يهمنا إن كان كاتب إنجيلي مرقس ولوقا هما مرقس ولوقا أو أيًا من النصارى الذين عاشوا في نهاية القرن الميلادي الأول، إذ أي من هؤلاء ليس بمعصوم ولا ملهم ولا يملك ثناء واحدًا من المسيح عليه السلام، ومثله نصنع في رسائل بولس عدو المسيح الذي ادعى الرسالة والعصمة، وهو لم يلق المسيح البتة. (٢)

أولًا: إنجيل متى

١- التعريف بالإنجيل:

وهو أول إنجيل يطالعك وأنت تقرأ في الكتاب المقدس، ويتكون هذا الإنجيل من ثمانية وعشرين إصحاحًا تحكي عن حياة المسيح ومواعظه من الميلاد وحتى الصعود إلى السماء.

وتنسبه الكنيسة إلى الحواري متّى أحد التلاميذ الاثني عشر الذين اصطفاهم المسيح، وتزعم أن هذا الكتاب قد ألهمه من الروح القدس. وترجح المصادر أن متى كتب إنجيله لأهل فلسطين، أي لليهود المتنصرين، وتختلف المصادر اختلافًا كبيرًا في تحديد تاريخ

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٤٧)، وانظر: المسيحية. . . دراسة وتحليل، ساجد مير (١٩٢)، خبايا الكتاب المقدس، مجدي قاسم (٦١ – ٦٨).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٤٧).

كتابته، لكنها تكاد تطبق على أنه كتب بين ٣٧ - ١٠٠م.

يقول مدخل الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية: "فالكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الإنجيل الأول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠، وربما قبلها بقليل، ولا يمكن الوصول إلى يقين تام في هذا الأمر".

ويرجح فنتون مفسر الإنجيل أنه " كتب في حوالي الفترة من ٨٥ - ١٠٥م "، وهو يقارب ما ذهب إليه البرفسور هارنج حين قال: " إن إنجيل متى ألف بين ٨٠ - ١٠٠م ". [١]

٢ـ التعريف بمتى:

فمن هو متّى؟ وما صلته بالإنجيل المنسوب إليه؟ وهل يحوي هذا الإنجيل كلمة الله ووحيه؟.

في الإجابة عن هذه الأسئلة تناقل المحققون ماذكره علماء النصارى في ترجمة متى، فهو أحد التلاميذ الاثني عشر، وكان يعمل عشارًا في كفر ناحوم، وقد تبع المسيح بعد ذلك.

وتذكر المصادر التاريخية أنه رحل إلى الحبشة، وقتل فيها عام ٧٠ م، ولم يرد له ذكر في العهد الجديد سوى مرتين، أما المرة الأولى فعندما نادى عليه المسيح، وهو في مكان عمله في الجباية (انظر متى ١٠/ ٣). والثانية في سياق تعداد أسماء التلاميذ الاثني عشر. (انظر متى ١٠/ ٣، ولوقا ٦/ ١٥).

ويجدر أن نذكر أن مرقس ولوقا يذكران أن العشار الذي لقيه المسيح في محل الجباية هو لاوي بن حلفي (انظر مرقس ٢/ ١٥، ولوقا ٥/ ٢٧) ولم يذكرا اسم متى. وتزعم الكنيسة - بلا دليل- أن لاوي بن حلفي هو اسم آخر لمتى العشار.

يقول جون فنتون مفسر إنجيل متى وعميد كلية اللاهوت بلينشفيلد بأنه لا يوجد دليل على أن متى هو اسم التنصير للاوي، ويرى أنه من المحتمل " أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى،

---

(١) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (٨ - ١٢)، تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، (١٤٦).

ويحتمل أن المبشر كاتب الإنجيل قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثني عشر (متّى) الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها ". (١)

وأما لغة كتابة هذا الإنجيل:

فيكاد المحققون يُجمعون على أنها العبرانية، ورأى بعضهم بأنها السريانية أو اليونانية.

ولعل أهم الشهادات التاريخية لهذا الإنجيل شهادة أسقف هرابوليس الأسقف بابياس ١٥٥م حين قال: " قد كتب متى الأقوال بالعبرانية، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته " كما يقول ايريناوس أسقف ليون ٢٠٠م في كتابه "الرد على الهراطقة" بأن متى وضع إنجيلًا للعبرانيين كتب بلغتهم.

ولما كانت جميع مخطوطات الإنجيل الموجودة يونانية فقد تساءل المحققون عن مترجم الأصل العبراني إلى اليونانية، وفي ذلك أقوال كثيرة لا دليل عليها البتة، فقيل بأن مترجمه متى نفسه، وقيل: بل يوحنا الإنجيلي، وقيل غيرهما.

والصحيح ما قاله القديس جيروم (٤٢٠م): " الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف"، بل لعل مترجمه أكثر من واحد كما قال بابياس.

وقد قال نورتن الملقب " بحامي الإنجيل " عن عمل هذا المترجم المجهول: " إن مترجم متى كان حاطب ليل، ما كان يميز بين الرطب واليابس. فما في المتن من الصحيح والغلط ترجمه". (٢)

٣ـ أدلة الكنيسة على صحة نسبة الإنجيل إلى متى:

وتؤكد الكنيسة بأن متى هو كاتب الإنجيل، وتستند لأمور ذكرها محررو قاموس الكتاب المقدس، أهمها: " الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة بأن المؤلف يهودي متنصر ".

وأيضًا " لا يعقل أن إنجيلًا خطيرًا كهذا - هو في مقدمة الأناجيل - ينسب إلى

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٥٨)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٢٢).

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٢٣ - ٥٣٣).

شخص مجهول، وبالأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح "، وأيضًا " يذكر بابياس " في القرن الثاني الميلادي أن متى قد جمع أقوال المسيح".

وأخيرًا " من المسلم به أن الجابي عادةً يحتفظ بالسجلات، لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة ". [1]

ملاحظات على إنجيل متى:

ومن خلال تأمل ما سبق رأى المحققون أنه ليس ثمة دليل حقيقي عند النصارى على صحة نسبة الإنجيل إلى متى، إذ ليس بالضرورة أن يكتب الجابي معلوماته الدينية كما يكتب متعلقات عمله، كما أن كتابة متى لأقوال المسيح لا تفيد صحة نسبة الإنجيل المنسوب إليه اليوم.

بل إن الأدلة قامت على أن الكاتب لهذا الإنجيل ليس من تلاميذ المسيح. إذ في الإنجيل أمور كثيرة تدل على أن كاتبه ليس متى الحواري، ومن هذه الأدلة:

١- أن متى اعتمد في إنجيله على إنجيل مرقس، فقد نقل من مرقس ٦٠٠ فقرة من فقرات مرقس الستمائة والاثني عشر، كما اعتمد على وثيقة أخرى يسميها المحققون.

يقول ج ب فيلبس أستاذ علم اللاهوت في الكنيسة الإنجليزية في مقدمته لإنجيل متى: " إن القديس متى كان يقتبس من إنجيل القديس مرقس، وكان ينقحه محاولًا الوصول إلى تصور أحسن وأفضل لله ".

ويضيف القس فهيم عزيز في "المدخل إلى الإنجيل" أن اعتماد متى على مرقس حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين. بل يقول: " يكفي هنا أن نقول: إن متى احتوى على الغالبية العظمى من المادة التي يتكون منها إنجيل مرقس " فإذا كان متى التلميذ هو كاتب الإنجيل فكيف ينقل عن مرقس الذي كان عمره عشر سنوات أيام دعوة المسيح؟ كيف لأحد التلاميذ الاثني عشر أن ينقل عنه؟ هل ينقل الشاهد المعاين للأحداث عن الغائب

(١) قاموس الكتاب المقدس (٨٣٢)، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٢٤)

الذي لم يشهدها! ؟.[١]

٢- ثم إن إنجيل متى يذكر متى العشار مرتين، ولم يُشر من قريب أو بعيد إلى أنه الكاتب، فقد ذكر اسمه وسط قائمة التلاميذ الاثني عشر، ولم يجعله أولًا ولا آخرًا، ثم لما تحدث عن اتباعه للمسيح استخدم صيغة الغائب، فقال: " ٩وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ. " (متى ٩/ ٩).

ولو كان متى هو الكاتب لقال: " قال لي "، " تبعته "، " رآني "، فدل ذلك على أن متى ليس هو كاتب الإنجيل.

٣- ثم إن التمعن في الإنجيل يبين مدى الثقافة التوراتية الواسعة التي جعلت منه أكثر الإنجيليين اهتمامًا بالنبوءات التوراتية عن المسيح، وهذا لا يتصور أن يصدر من عامل ضرائب، فهذا الكاتب لن يكون متى العشار.

يقول أ. تريكو في شرحه للعهد الجديد (١٩٦٠م): إن الاعتقاد بأن متى هو عشار في كفر ناحوم ناداه عيسى ليتعلم منه، لم يعد مقبولًا، خلافًا لما يزعمه آباء الكنيسة.[٢]

منكرو نسبة الإنجيل إلى التلميذ متى.

وقد أنكر كثير من علماء المسيحية في القديم والحديث صحة نسبة الإنجيل إلى متى، يقول فاستس في القرن الرابع: " إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه "، وكذا يرى القديس وليمس. والأب ديدون في كتابه " حياة المسيح".

ويقول ج ب فيلبس في مقدمته لإنجيل متى: " نسب التراث القديم هذه البشارة إلى الحواري متى، ولكن معظم علماء اليوم يرفضون هذا الرأي ".

ويقول البرفسور هارنج: إن إنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما.

---

(١) انظر: مناظرتان في استكهولم، أحمد ديدات(٦٦)، اليهودية والمسيحية، محمد الأعظمي (٣٢١)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٢٦)، والمدخل إلى العهد الجديد، القس: فهيم عزيز (٢٤٤) نقلًا عن المصدر السابق.

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (٨٠ – ٨٤).

وجاء في مقدمة الرهبانية اليسوعية لإنجيل متى: " أما المؤلِّف، فالإنجيل لا يذكر عنه شيئًا وأقدم تقليد كنسي (بابياس أسقف هيرابوليس في النصف الأول من القرن الثاني) ينسبه إلى الرسول متى. . ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم، فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه. . . ".

ويقول القس فهيم عزيز في "المدخل إلى الإنجيل" عن كاتب متى المجهول: "

لا نستطيع أن نعطيه اسمًا، وقد يكون متى الرسول، وقد يكون غيره ".

ويقول المفسر جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى عن كاتب متى: " إن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ إنما هي بالتأكيد محض خيال ". (١)

وقد طعنت في صحة نسبة الإنجيل أو بعضه إلى متّى فرق مسيحية قديمة، فقد كانت الفرقة الأبيونية ترى البابين الأولين لإنجيل متى إلحاقيين، ومثلها فرقة يوني تيرين، ويرون أن البداية الحقيقية لهذا الإنجيل قوله: " في تلك الأيام جاء يوحنا المعمداني. . " (متى ٣/ ١)، فتكون بداية الإنجيل قصة يوحنا المعمداني كما هو الحال في مرقس ويوحنا.

ويدل على ذلك أيضًا أن قوله: " في تلك الأيام " لا يمكن عوده على ما في الإصحاحين السابقين، إذ كان الحديث في آخر الإصحاح الثاني عن قتل هيرودس للأطفال بعد ولادة المسيح، وهو زمن طفولة المسيح والمعمدان الذي يكبره بستة أشهر، بينما الإصحاح الثالث يتحدث عن دعوة المعمدان - أي وهو شاب -، وهذا يعني وجود سقط أو حذف قبل الإصحاح الثالث، أو أنه البداية الحقيقية للإنجيل. (٢)

من هو الكاتب الحقيقي لإنجيل متى؟

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٣٨)، المسيح ﷺ بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي، (٤١)، هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، (٤٣ - ٤٥، ١٤٨)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٢٧ – ١٢٨)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٥٣ – ٥٤).

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٣٨).

وإذا لم يكن متى هو كاتب الإنجيل المنسوب إليه، فمن هو كاتب هذا الإنجيل؟

في الإجابة عن السؤال نقول: نتائج الدراسات الغربية التي أكدت أن هذا الإنجيل قد كتبه غير متى التلميذ، ونسبه إليه منذ القرن الثاني، ولربما يكون هذا الكاتب تلميذًا في مدرسة متى.

ويحاول كولمان وشراح الترجمة المسكونية تحديد بعض الملامح لهذا الكاتب، فالكاتب - كما يظهر في إنجيله - مسيحي يهودي يربط بين التوراة وحياة المسيح، وهو كما يصفه كولمان: يقطع الحبال التي تربطه باليهودية مع حرصه على الاستمرار في خط العهد القديم، فهو كاتب يهودي يحترم الناموس، ويعتبر بذلك من البعيدين عن مدرسة بولس الذي لا يحترم الناموس، بينما يقول هذا الكاتب " فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. " (متى ٥/ ١٩).[1]

ومما يؤكد براءة متى من كتابة هذا الإنجيل أن كثيرًا من الشراح والمحققين يرون - كما سبق بيانه - أن الإنجيل كتب بعد سنة ٧٠ م، وهي السنة التي مات فيها متى.

ولو تساءلنا أين الإنجيل الذي كتبه متى كما جاء في شهادة بابياس في القرن الثاني الميلادي؟

وفي الإجابة عن السؤال نقول: ذكر بابياس أن متى كتب وجمع أقوال المسيح، وما نراه في الإنجيل اليوم هو قصة كاملة عن المسيح، وليس جمعًا لأقواله، كما أن عدم صحة نسبة هذا الإنجيل إليه لا تمنع من وجود إنجيل آخر قد كتبه، ولعل من المهم أن نذكر بأن في الأناجيل التي رفضتها الكنيسة إنجيلًا يسمى إنجيل متى، فلعل بابياس عناه بقوله.

وهكذا رأى المحققون أن ثمة أمورًا تمنع القول بأن هذا الإنجيل هو كلمة الله ووحيه وهديه، فهو - وكما يقول الشيخ أبو زهرة - إنجيل " مجهول الكاتب، ومختلف في تاريخ كتابته، ولغة الكتابة، ومكانها، وتحديد من كتب له هذا الإنجيل، ثم شخصية المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين، واللغتين التي ترجم عنها، والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي ".[2]

ما هي اللغة التي كتب بها وترجم إليها إنجيل متى؟

---

(١) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (٨ - ١٢).

(٢) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص (٥٤).

لقد حدث الخلاف أيضًا بين علماء النصارى حول اللغة التي كتب بها إنجيل متى:

فقد اتفق الجمهور على أنه كتب بالعبرية أو السريانية، وربما كان مستندهم في ذلك قول باباس: " إن متى كتب الأقوال باللغة العبرانية ". ولكن وقع الخلاف أيضًا بينهم في اسم متى.

وإذا كانوا قد اتفقوا على أنه كتب بالعبرانية، فإنهم قد اتفقوا أيضًا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية "، ومعنى هذا: أنه على اعتبار أنه كتب بالعبرية فإن تلك النسخة الإنجيلية مفقودة ولا يستطيع أحد أن يتكهن أين هي؟.

ومع أن الجمهور على القول بأن الإنجيل كتب بالعبرية إلا أن الدكتور " بوست " في " قاموس المتاب المقدس " يقول: " إن هناك من يقول غنه كتب باليونانية، ثم يرجح أنه ألف باليونانية، مخالفًا بذلك إجماع مؤرخيهم ". [1]

أين كتب هذا الإنجيل؟

" هناك شواهد قوية تشير إلى أنطاكية باعتبارها موطنه الأصلي، ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل " أنطاكية " فمن المناسب إذن أن نقول بأنه يأتي من مكان في المنطقة المحيطة بها، أو أي مكان ما يقع في شمال فلسطين". [2]

يقول جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية: " إن متى كتب بشارته في أورشليم على ما ذهب إليه القديس إيرنموس "[3]

متى كتب إنجيل متى؟

ونجد أيضًا الخلاف في هذا الأمر واسعًا بين علماء الكتاب المقدس، ولم يستطع واحد منهم تحديد الوقت الذي كتب فيه هذا الإنجيل بالضبط. فالخلاف يمتد من سنة ٣٩ وحتى سنة ٦٥ م، ولا نعرف في أي السنوات من هذه إلى تلك كتب إنجيل متى. [4]

---

(١) المصدر السابق (٤٨).

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها (١٤٠).

(٣) محاضرات في النصرانية (٤٧).

(٤) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٣٠- ١٣٣) وانظر أيضًا: محاضرات في النصرانية (٤٨- ٤٩).

ونستطيع بعد كل ما سبق من الحديث عن إنجيل متى أن نخرج بهذه النتائج:

هناك اختلاف حول اللغة التي كتب بها الإنجيل، هل هي العبرية أو اليونانية؟ ، وعلى اعتبار أن الولى هي الأصل وأن الثانية ترجمة لها، فهناك اتفاق عل أن هذا الأصل قد فقد تمامًا، ولم يصلنا سوى الترجمة.

لا يعرف من هو المترجم.

امتدت ساحة الخلاف إلى المكان الذي ألف فيه.

لا يعرف في أي السنوات كتب.

فهل يمكن بعد ذلك أن يقال: إنه كتاب وحي أو أن بإلهام الروح القدس؟!

ولقد وددنا أن نعرف ذلك الأصل، لنعرف أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، ولنعرف أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها، سواء أكانت هذه المعاني تفهم بظاهر القول أم بإشارته أم بلحن القول وتلويحاته أم بروح المؤلف وغرضه ومرماه الكلي من الكلام؟. [1]

ثانيًا: إنجيل مرقس.

ثاني الأناجيل التي تطالعنا في العهد الجديد، وينسب إلى مرقس. فمن هو مرقس؟ وماذا عن كاتب هذا الإنجيل؟ وهل تصح نسبته إلى مؤلفه؟.

التعريف بالإنجيل:

يتكون إنجيل مرقس من ستة عشر إصحاحًا، تحكي قصة المسيح من لدن تعميده على يد يوحنا المعمداني إلى قيامة المسيح بعد قتله على الصليب.

وهو أقصر الأناجيل - ويعتبره النقاد - كما يقول ولس - أصح إنجيل يتحدث عن حياة المسيح، ويكاد يجمع النقاد على أنه أول الأناجيل تأليفًا، وأن إنجيل متى ولوقا قد نقلا عنه.

يقول العالم الألماني رويس: إنه كان الأصل الذي اقتبس منه إنجيلا متى ولوقا، وهذا الإنجيل هو الوحيد بين الأناجيل المسمى بإنجيل المسيح، إذ أول فقرة فيه " ١بَدْءُ إِنْجِيلِ

---

(١) محاضرات في النصرانية (٤٩).

يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ" (مرقس ١/ ١).[١]

٢ـ من هو مرقس؟

وتناقل المحققون ما رددته المصادر النصرانية في ترجمة مرقس، والتي يجمعها ما جاء في قاموس الكتاب المقدس عنه، فهو الملقب بمرقس، واسمه يوحنا، وقد رافق مرقس برنابا وبولس في رحلتيهما، ثم فارقهما، ثم عاد لمرافقة بولس.[٢]

ويتفق المترجمون له على أنه كان مترجمًا لبطرس الذي له علاقة بهذا الإنجيل.

ولم يكن من الحواريين الإثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح، واختصهم بالزلفى إليه، وأصله من اليهود، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور السيد المسيح.[٣]

ويذكر المؤرخ يوسيبوس أنه - أي مرقس - أول من نادى برسالة الإنجيل في الإسكندرية، وأنه قتل فيها.

قال بطرس قرماج في كتابه " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " عن مرقس: "كان ينكر ألوهية المسيح ".[٤]

وأما لغة هذا الإنجيل:

فتكاد المصادر تتفق على أنها اليونانية، وذكر بعضهم أنها الرومانية أو اللاتينية.

وأقدم ذكر لهذا الإنجيل ورد على لسان المؤرخ بابياس (١٤٠م) حين قال: " إن مرقس أَلَّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس ".[٥]

متى كتب هذا الإنجيل؟

---

(١) يجدر التنبيه على أن عبارة "ابن الله" لا ترد في جميع المخطوطات، كما نبه الآباء اليسوعيون في حاشيتهم على هذه الفقرة، وانظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٥٥).

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى (٨٤).

(٣) محاضرات في النصرانية (٥٠).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس(٨٥٣)، المسيح في مصادرالعقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (٥٢ – ٥٦)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، (١٥٣ – ١٥٤).

(٥) انظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد (٢٦٥ – ٢٦٧) وانظر: محاضرات في النصرانية (٥١).

نجد أن المؤرخين المسيحيين قد اختلفوا أيضًا في زمان تأليفه، وقد قال في ذلك هورن: " ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه أُلف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣. "[١]

ويرى الناقد اليهودي سبينوزا أن هذا الإنجيل كتب مرتين إحداهما قبل عام ١٨٠م والثانية بعده.

أين كتب هذا الإنجيل؟

وتزعم المصادر النصرانية أن مرقس كتب إنجيله في روما، ولعله في الإسكندرية.[٢]

ملاحظات على إنجيل مرقس

وقد توقف المحققون مليًا مع هذا الإنجيل وكاتبه، وكانت لهم ملاحظات:

١ - أن مرقس ليس من تلاميذ المسيح، بل هو من تلاميذ بولس وبطرس. يقول المفسر دنيس نينهام مفسر مرقس: " لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة، وعلاقة خاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ".

وثمة دليل قوي آخر هو شهادة المؤرخ باباياس (١٤٠م) حين قال: " اعتاد الشيخ يوحنا أن يقول: إذ أصبح مرقس ترجمانًا لبطرس دون بكل تدقيق كل ما تذكره، ولم يكن مع هذا بنفس الترتيب المضبوط ما رواه من أقوال وأفعال يسوع المسيح، وذلك لأنه لم يسمع من السيد المسيح فضلًا عن أنه لم يرافقه، ولكن بالتبعية كما قلت، التحق ببطرس الذي أخذ يصوغ تعاليم يسوع المسيح لتوائم حاجة المستمعين، وليس بعمل رواية وثيقة الصلة بيسوع وعن يسوع لأحاديثه ".

وأهم مسألة شغلت الباحثين بخصوص هذا الإنجيل خاتمته، فإن خاتمة هذا الإنجيل (١٦/ ٩ - ٢٠) غير موجودة في المخطوطات القديمة المهمة كمخطوطة الفاتيكان والمخطوطة السينائية.

ويقول وليم باركلي: إن النهاية المشهورة - علاوة على عدم وجودها في النسخ الأصلية القديمة - فإن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل.

---

(١) محاضرات في النصرانية (٥٢).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٥٥).

ونقل رحمة الله الهندي عن القديس (جيروم) في القرن الخامس أنه ذكر بأن الآباء الأوائل كانوا يشكون في هذه الخاتمة.

وقد اعتبرتها النسخة الإنجليزية القياسية المراجعة (R S V) فقرات غير موثوق فيها، فحذفتها من طبعتها الصادرة عام ١٩٥٢م.

أما مقدمة الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية فتقول: "من المسلم به على العموم أن الخاتمة كما هي الآن (١٦/ ٩-٢٠) قد أضيفت لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية ٨".

وعن الخاتمة الموجودة يقول الأب كسينجر: " لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي (النشر للعامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته.

وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس بالعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين. . وذلك يسمح بتكوين فكرة عن الحرية التي كانوا يعالجون بها الأناجيل ".

ويعلق موريس بوكاي قائلًا: " ياله من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة". [1]

ثالثا: إنجيل لوقا

التعريف بالإنجيل: هو ثالث الأناجيل وأطولها، ويتكون من أربعة وعشرين إصحاحًا يتحدث الإصحاحان الأولان عن النبي يحيى وولادة المسيح، ثم تكمل بقية الإصحاحات سيرة المسيح إلى القيامة بعد الصلب.

متى كتب؟

وأما كتابة هذا الإنجيل فتختلف المصادر في تحديد زمنها بين ٥٣ - ٨٠ م، وقال هورن: أُلف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤، وقد اعتمد الكاتب في مصادره على مرقس، فنقل عنه ثلاثمائة وخمسين من فقراته التي بلغت ستمائة وإحدى

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٢)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (٨٦ – ٨٧)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب(٥٦).

وستين فقرة، كما نقل عن متى أو عن مصدر آخر مشترك بينه وبين متى. [١]

من هو لوقا؟

وتنسب الكنيسة هذا الإنجيل إلى القديس لوقا، ولا تذكر المصادر النصرانية الكثير عن ترجمته، لكنها تتفق على أنه لم يكن من تلاميذ المسيح كما يتضح من مقدمته إذ يقول: " إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ. " (لوقا ١/ ١-٢).

وتتفق المصادر أيضًا في أنه لم يكن يهوديًا، وأنه رفيق بولس المذكور في (كولوسي ٤/ ١٤)وغيرها، وأنه كتب إنجيله من أجل صديقه ثاوفيلس " أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، ٤لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ"(لوقا ١/ ٣ - ٤).

وتختلف المصادر في تحديد شخصية ثاوفيلس، فقال بعضهم: كان من كبار الموظفين الرومان. وقال آخرون: من اليونان. وقال آخرون: بل كان مصريًا من أهل الإسكندرية، وتكاد المصادر تتفق على أنه كتب له باليونانية. [٢]

وأما لوقا، فقيل بأنه كان رومانيًا. وقيل إنطاكيًا، وقيل غير ذلك.

وعن مهنته، قيل بأنه كان طبيبًا، وقيل: كان مصورًا، لكنه على أي حال مثقف وهو كاتب قصص ماهر. [٣]

ملاحظات على إنجيل لوقا:

ويلحظ المحققون على إنجيل لوقا ملاحظات، أهمها:

١ - أن مقدمته تتحدث عن رسالة طابعها شخصي، وأنها تعتمد على اجتهاده لا على إلهام

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٦٤ - ٦٥، ١٥٠)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (٨٧ - ٩٠) محاضرات في النصرانية (٥٤).

(٢) محاضرات في النصرانية (٥٣)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٤٩)، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي (١٥٧)، الأناجيل أصلها وتطورها (١٢٧ - ١٢٨).

(٣) قاموس الكتاب المقدس(٨٢٢)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٦٤ - ٦٥)، محاضرات في النصرانية (٥٢ - ٥٣)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٤٦ - ١٤٧).

وحي، وهي دليل صريح على انقطاع سند الإنجيل بعيسى عليه السلام وبالروح القدس، وكان قد لاحظ ذلك أيضًا عدد من محققي النصرانية، فأنكروا إلهامية هذا الإنجيل، منهم مستر كدل في كتابه " رسالة الإلهام " ومثله واتسن، ونسب هذا القول إلى القدماء من العلماء، وقال القديس أغسطينوس: " إني لم أكن أؤمن بالإنجيل لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة". (١)

٢- شك كثير من الباحثين في الإصحاحين الأولين من هذا الإنجيل، بل إن هذا الشك كما ذكر جيروم يمتد إلى الآباء الأوائل للكنيسة، وكذلك فرقة مارسيوني فليس في نسختها هذان الإصحاحان.

ويؤكد المحققون بأن لوقا لم يكتب هذين الإصحاحين، لأنه يقول في أعمال الرسل " ١اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ " (أعمال ١/ ١) أي معجزاته، بدليل تكملة النص " مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ، ٢إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ " (أعمال ١/ ٢)، والإصحاحان الأولان إنما يتكلمان عن ولادة المسيح، لا عن أعماله. ونقل وارد كاثلك عن جيروم قوله: بأن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون أيضًا في الباب الثاني والعشرين من هذا الإنجيل. (٢)

وهكذا نرى للإنجيل أربعة من الكتاب تناوبوا في كتابة فقراته وإصحاحاته.

٣- إن الغموض يلف شخصيته، فهو غير معروف البلد ولا المهنة ولا الجهة التي كتب لها إنجيله تحديدًا، ولا تاريخ الكتابة، والمعروف فقط أنه من تلاميذ بولس، وأنه لم يلق المسيح، فكيف يصح الاحتجاج بمن هذا حاله وكيف يجعل كلامه مقدسًا؟ (٣)

رابعًا: إنجيل يوحنا

التعريف بالإنجيل:

---

(١) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٥١).

(٢) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن با جي البغدادي، صـ (٥٣٥ – ٥٣٦)، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعيمة، صـ (٢٦١).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٦٠).

رابع الأناجيل إنجيل يوحنا، ولهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره؛ لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا الألوهية المسيح، فهذه الأوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها. (١)

ويتكون هذا الإنجيل من واحد وعشرين إصحاحًا تتحدث عن المسيح بنمط مختلف عن الأناجيل الثلاثة.

٢ـ متى كتب؟

ويرى المحققون أن كتابته جرت بين ٦٨ - ٩٨م، وقيل بعد ذلك. إذن فليس هناك تاريخ محرر لتدوين هذا الإنجيل. (٢)

٣ـ ما اللغة التي كتب بها؟

يقول الأستاذ شنودة: " سنة ٩٦ رجع يوحنا إلى أفسس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية ". (٣)

أين كتب؟

واختُلف في مكان كتابته، والأغلب أنه في تركيا - وتحديدًا في أفسس أو أنطاكيا -، وقيل الإسكندرية. (٤)

٥ـ من هو يوحنا الصياد؟

يوحنا بن زبدي الصياد، وهو صياد سمك جليلي، تبع وأخوه يعقوب المسيح، كما أن والدته سالومة كانت من القريبات إلى المسيح، ويرجح محررو القاموس بأنها أخت مريم والدة المسيح، وقد عاش حتى أواخر القرن الميلادي الأول، ويذهب المؤرخ ايرنيموس إلى أنه عاش إلى سنة ٩٨م، وتذكر الكنيسة أنه كتب إنجيله في أفسس قبيل وفاته. (٥)

---

(١) محاضرات في النصرانية (٥٤).

(٢) المصدر السابق (٥٨)، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٦٠).

(٣) يا أهل الكتاب تعالوا (١٦٤) نقلًا عن: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٦٢).

(٤) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٦١).

(٥) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (١١٠ – ١١١)، وانظر: إنجيل يوحنا في الميزان، محمد على زهران (ص ٩٠) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٥٤ – ١٥٥).

٦ـ أدلة النصارى على نسبة الإنجيل إلى يوحنا:

وتستدل الكنيسة لتصحيح نسبة هذا الإنجيل بأدلة ذكرها محررو قاموس الكتاب المقدس وهي:

١-كان كاتب الإنجيل يهوديًا فلسطينيًا، ويظهر هذا من معرفته الدقيقة التفصيلية لجغرافية فلسطين، والأماكن المتعددة في أورشليم وتاريخ وعادات اليهود ...ويظهر من الأسلوب اليوناني للإنجيل بعض التأثيرات السامية.

٢- كان الكاتب واحدًا من تلاميذ المسيح، ويظهر هذا من استخدامه المتكلم الجمع. . وفي ذكر كثير من التفاصيل الخاصة بعمل المسيح ومشاعر تلاميذه. . . ويتضح من يوحنا (٢١/ ٢٤) أن كاتب هذا الإنجيل كان واحدًا من تلاميذ المسيح.

٣- كان كاتب الإنجيل هو التلميذ الذي كان المسيح يحبه. . وكان هذا التلميذ هو يوحنا نفسه ". [(١)]

ويتحدث مؤلف الإنجيل عن سبب تأليفه له فيقول: " ٣١وَأَمَّا هٰذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ الله، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ " (يوحنا ٢٠/ ٣١) ".

ويوضح محررو قاموس الكتاب المقدس فيقولون: " كان الداعي الآخر إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح وناسوته، ودحض البدع المضلة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة، كبدع الدوكينيين والغنوصيين والكيرنثيين والأبيونيين. . . ولهذا كانت غايته إثبات لاهوت المسيح ".

وقد لقي هذا الإنجيل معارضة شديدة للإقرار بقانونيته، فاندفع د. بوست في قاموس الكتاب المقدس يدافع عنه ويقول: " وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل لكراهتهم تعليمه الروحي، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح، غير أن الشهادة بصحته كافية.

فإن بطرس يشير إلى آية منه (بطرس (٢) ١/ ١٤، يوحنا ٢١/ ١٨) وأغناطيوس

(١) قاموس الكتاب المقدس، صـ (١١٠ - ١١١).

وبوليكرس يقتطفان من روحه وفحواه، وكذلك الرسالة إلى ديوكينتس وباسيلوس وجوستينوس الشهيد وتايناس، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها إلى منتصف القرن الثاني.

وبناءً على هذه الشهادات، وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه، وإلا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم، وهذا الأمر يعسر تصديقه، لأن الذي يقصد أن يغش العالم لا يكون روحيًا". [1]

إنكار صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا

وتوجهت جهود المحققين لدراسة نسبة الإنجيل إلى يوحنا، ومعرفة الكاتب الحقيقي له، فقد أنكر المحققون نسبة الإنجيل إلى يوحنا الحواري، واستندوا في ذلك إلى أمور منها:

١ - أن ثمة إنكار قديمًا لصحة نسبته إلى يوحنا، وقد جاء هذا الإنكار على لسان عدد من الفرق النصرانية القديمة، منها فرقة ألوجين في القرن الثاني، يقول صاحب كتاب (رب المجد): "وجد منكرو لاهوت المسيح أن بشارة يوحنا هي عقبة كؤود، وحجر عثرة في سبيلهم، ففي الأجيال الأولى رفض الهراطقة يوحنا ". ولقد قال استادلن في العصور المتأخرة: " إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية. "

وتقول دائرة المعارف البريطانية: " هناك شهادة إيجابية في حق أولئك الذين ينتقدون إنجيل يوحنا، وهي أنه كانت هناك في آسيا الصغرى طائفة من المسيحيين ترفض الاعتراف بكونه تأليف يوحنا، وذلك في نحو ١٦٥م، وكانت تعزوه إلى سرنتهن (الملحد)، ولا شك أن عزوها هذا كان خاطئًا.

لكن السؤال عن هذه الطبقة المسيحية البالغة في كثرة عددها إلى أن رآه سانت

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (١١٠ - ١١١)، محاضرات في النصرانية (٥٦) وانظر الرد على كلام بوست السابق في نفس المصدر، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٦٢) وقد أخطأ د. بوست حين ذكر أن بطرس نقل من يوحنا، إذ تشابه الألفاظ لايعني النقل عن السابق، ولو لزم ذلك فإن يوحنا هو الذي نقل عن بطرس الذي توفي سنة ٦٥م، فيما كتب يوحنا إنجيله سنة ٩٥م، ثم إن الإحالة التي قصدها د. بوست ليست في (بطرس (٢) ١/ ١٤)، بل في (بطرس (١) ١/ ١٤)

ايبفانيوس جديرة بالحديث الطويل عنها في (٣٧٤ - ٣٧٧م) " أسماها القس " ألوغي " (أي معارضة الإنجيل ذي الكلمة).

لئن كانت أصلية إنجيل يوحنا فوق كل شبهة، فهل كانت مثل هذه الطبقة لتتخذ نحوه أمثال هذه النظريات في مثل هذا العصر، ومثل هذا البلد؟ لا وكلا".

وأقوى برهان على خطأ نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا أن جاستن مارتر في منتصف القرن الثاني تحدث عن يوحنا، ولم يذكر أن له إنجيلًا، واقتبس فيلمو - ١٦٥م - من إنجيل يوحنا، ولم ينسبه إليه.

وقد أُنكر نسبة الإنجيل إلى يوحنا أمام أرينيوس تلميذ بوليكارب الذي كان تلميذًا ليوحنا، فلم ينكر أرينيوس على المنكرين، ويبعد كل البعد أن يكون قد سمع من بوليكارب بوجود إنجيل ليوحنا، ثم لا يدافع عنه. [1]

وقد استمر إنكار المحققين نسبة هذا الإنجيل عصورًا متلاحقة، فجاءت الشهادات تلو الشهادات تنكر نسبته إلى يوحنا.

منها ما جاء في دائرة المعارف الفرنسية: " ينسب إلى يوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تُسلم بصحة هذه النسبة".

ويقول القس الهندي بركة الله في كتابه "لواء الصليب وتزوير الحقائق": " الحق أن العلماء باتوا لا يعترفون دونما بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدي الرسول، ونرى النقاد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية ".

وتقول دائرة المعارف البريطانية: " أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما، وهما القديسان متى ويوحنا. . . وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم، وليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٥ – ١٥٦)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٥٦٠ – ٥٦١) وانظر أيضًا: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١٥٥- ١٥٩)، المدخل إلى العهد الجديد (٥٥١).

الفلسفي الذي ألّف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى ". [١]

وعند تفحص الإنجيل أيضًا تجد ما يمتنع معه نسبته الإنجيل إلى الحواري يوحنا، فالإنجيل يظهر بأسلوب غنوصي يتحدث عن نظرية الفيض المعروفة عند فيلون الإسكندراني.

ولا يمكن لصائد السمك يوحنا أن يكتبه، خاصة أن يوحنا عامي كما وصفه سفر أعمال الرسل "فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ، تَعَجَّبُوا. " (أعمال ٤/ ١٣). وأما ما جاء في خاتمة الإنجيل مما استدل به القائلون بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل وهو قوله: " ٢٤هذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهذَا وَكَتَبَ هذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ"(يوحنا ٢١/ ٢٤). فهذه الفقرة كما يقول المحققون دليل على عدم صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا، إذ هي تتحدث عن يوحنا بصيغة الغائب.

ويرى ويست أن هذه الفقرة كانت في الحاشية، وأضيفت فيما بعد للمتن، وربما تكون من كلمات شيوخ أفسس. ويؤيده بشب غور بدليل عدم وجودها في المخطوطة السينائية.

وأما مقدمة الرهبانية اليسوعية فتقول عنها وعن الفقرة التي بعدها: "تشكلان إضافة يعترف بها جميع المفسرين".

ويرى العلامة برنت هلمين استرتير في كتابه " الأناجيل الأربعة " أن الزيادات في متن يوحنا وآخره كان الغرض منها " حث الناس على الاعتراف في شأن المؤلف بتلك النظرية التي كان ينكرها بعض الناس في ذلك العصر". [٢]

١- انظر: اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٣٢٦ – ٣٢٩)، الفارق بين الخالق والمخلوق، عبد الرحمن باجه البغدادي (٥٦١)، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي (٤١- ٤٢)، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب (٨٧ – ٨٨) محاضرات في النصرانية (٥٥).

(٢) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، يحيى ربيع، صـ (١٥٥)، ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، صـ (١٥٠ – ١٥٢)، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، صـ (٣٢٩)، هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، صـ (٧٩).

ثم إن بعض المؤرخين ومنهم تشارلز الفريد، وروبرت إيزلز وغيرهما قالوا بأن يوحنا مات مشنوقًا سنة ٤٤م على يد غريباس الأول، وعليه فليس هو مؤلف هذا الإنجيل، إذ أن هذا الإنجيل قد كتب في نهاية القرن الميلادي الأول أو أوائل الثاني. [1]

من كتب إنجيل يوحنا؟

وإذا لم يكن يوحنا هو كاتب الإنجيل، فمن هو الكاتب الحقيقي؟

يجيب القس فهيم عزيز في مدخله إلى الإنجيل: " هذا السؤال صعب، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالبًا ما تنتهي بالعبارة: لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل".

وحاول البعض الإجابة عن السؤال من خلال تحديد صفات كاتب الإنجيل دون ذكر اسم معين، يقول جرانت: " كان نصرانيًا، وبجانب ذلك كان هيلينيًا، ومن المحتمل أن لا يكون يهوديًا، ولكنه شرقي أو إغريقي، ونلمس هذا من عدم وجود دموع في عينيه علامة على الحزن عندما كتب عن هدم مدينة لليهود ".

وجاء في مدخل الإنجيل أن بعض النقاد " يترك اسم المؤلف، ويصفونه بأنه مسيحي كتب باليونانية في أواخر القرن الأول في كنائس آسيا ".

وقال مفسر إنجيل يوحنا جون مارش: " ومن المحتمل أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس خلافًا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي. . وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة، فقام حينئذ بتسجيل جديد لقصة يسوع".

وقال المحقق رطشنبدر: " إن هذا الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس ".

ويوافقه استادلن، ويرى أن الكاتب " طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية ".

---

(١) انظر: الغفران بين الإسلام والمسيحية، إبراهيم خليل أحمد صـ(١٨)، النصرانية، مصطفى شاهين صـ(٨٥).

وقال يوسف الخوري في "تحفة الجيل" "بأن كاتب الإنجيل هو تلميذ يوحنا المسمى بروكلوس.

وقال بعض المحققين ومنهم جامس ماك كينون، واستيريتر في كتابه " الأناجيل الأربعة " بأن يوحنا المقصود هو تلميذ آخر من تلاميذ المسيح، وهو (يوحنا الأرشد)، وأن أرينوس الذي نسب إنجيل يوحنا إلى ابن زبدي قد اختلط عليه أمر التلميذين.

وذكر جورج إيلتون في كتابه " شهادة إنجيل يوحنا " أن كاتب هذا الإنجيل أحد ثلاثة: تلميذ ليوحنا الرسول أو يوحنا الشيخ (وليس الرسول) أو معلم كبير في أفسس مجهول الهوية.

لكن ذلك لم يفت في عضد إيلتون الذي ما زال يعتبر إنجيل يوحنا مقدسًا، لأنه " مهما كانت النظريات حول كاتب هذا الإنجيل، فإن ما يتضح لنا جليًا بأن كاتبه كان لديه فكرة الرسول، فإذا كتبه أحد تلاميذه فإنه بلا مراء كان مشبعًا بروحه ".

كما ذهب بعض المحققين إلى وجود أكثر من كاتب للإنجيل، منهم كولمان حين قال: " إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حاليًا ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف، وأنهم قد أضافوا إليه "، ومثله يقول المدخل لإنجيل يوحنا. [(١)]

ومن هذا كله ثبت أن إنجيل يوحنا لم يكتبه يوحنا الحواري، ولا يعرف كاتبه الحقيقي، ولا يصح بحال أن ننسب العصمة والقداسة لكاتب مجهول لا نعرف من يكون.

وعند غض الطرف عن مجهولية الكاتب واستحالة القول بعصمته عندئذ، فإن ثمة مشكلات تثار في وجه هذا الإنجيل نبه المحققون إليها منها:

اختلاف هذا الإنجيل عن باقي الأناجيل الثلاثة رغم أن موضوع الأناجيل الأربعة هو تاريخ وسيرة المسيح عليه السلام.

إذ تتشابه قصة المسيح في الأناجيل الثلاثة، بينما يظهر الإنجيل الرابع غريبًا بينها.

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٥ – ١٥٧)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص (٦٩ – ٧٠)، ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، ص (١٤١ – ١٤٥)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (٩٠ – ٩١).

فمثلًا: هو الإنجيل الوحيد الذي تظهر فيه نصوص تأليه المسيح، بل هو كتب لإثبات ذلك كما يقول المفسر يوسف الخوري: " إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب: أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح "، وأن كثيرين من فرق الشر كانت تقرر تلك الحقيقة، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية، فكتب هذا الإنجيل. (١)

ولما لم يكن في الأناجيل الثلاثة ما يدفع أقوال هذه الطوائف، أنشأ يوحنا إنجيله، وهذا المعنى يؤكده جرجس زوين، فيذكر عن أساقفة آسيا أنهم اجتمعوا " والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ".

يقول الأب روغيه في كتابه "المدخل إلى الإنجيل": " إنه عالم آخر، فهو يختلف عن بقية الأناجيل في اختيار الموضوعات والخطب والأسلوب والجغرافيا والتاريخ، بل والرؤيا اللاهوتية".

وهذه المغايرة أوصلته إلى تقديم صورة للمسيح مغايرة تمامًا عما في الأناجيل الثلاثة والتي يسميها البعض: " المتشابهة " أو " الإزائية ".

لذا تقول دائرة المعارف الأمريكية: " من الصعب الجمع بين هذا الإنجيل والأناجيل الثلاثة، بمعنى أن لو قدرنا أنها صحيحة لتحتم أن يكون هذا الإنجيل كاذبًا ".

يقول السير آرثر فندلاي في كتابه "الكون المنشور" معبرًا عن هذا الاختلاف:

" إن إنجيل يوحنا ليس له قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة، ويظهر أن محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دورًا بعيدًا ". (٢)

ومن المشكلات التي تواجه هذا الإنجيل أيضًا أن أيدي المحرفين نالت هذا الإنجيل،

---

(١) محاضرات في النصرانية (٥٨).

(٢) انظر: ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، ص (١٨١ – ١٨٢)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ص (١٦٢ – ١٦٥)، الأناجيل والرسائل بين انقطاع السند وتناقض المتن، محمد الشرقاوي، ص (٥٦)، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص (٨٦).

فأضافت فيه رواية المرأة الزانية (انظر يوحنا ٨/ ١ - ١١) والتي يقول عنها مدخل الرهبانية اليسوعية إلى هذا الإنجيل: " هناك إجماع على أنها من مرجع مجهول فأدخلت في زمن لاحق". وقد حذفت هذه القصة من النسخة الإنجليزية القياسية المراجعة (R. S. V)لاعتبارها عبارة دخيلة على الإنجيل. [(١)]

كما أن كثيرًا من المحققين يعتقدون بأن الإصحاح الأخير ليس من تأليف مؤلف الإنجيل، يقول كرونيس: " إن هذا الإنجيل كان عشرين بابًا فألحقت كنيسة أفسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا ". [(٢)]

وهذا ما يعترف به كاتبو مقدمة الرهبانية اليسوعية، إذ اعتبرت الإصحاح العشرين خاتمة للإنجيل، واعتبرت الإصحاح الأخير ملحقًا بالإنجيل، وعنه تقول: "يظهر هذا الفصل الأخير، الوارد بعد خاتمة ٢٠/ ٣٠-٣١ بمظهر الملحق، ولا تزال مسألة مصدره موضوع نقاش. . وقد يكون هذا الفصل تكملة أضافها بعض تلاميذ يوحنا".

خامسًا: رسائل العهد الجديد

يلحق بالأناجيل الأربعة عدد من الرسائل " وتسمى هذه الرسائل – ما عدا رسالة أعمال الرسل – الأسفار التعليمية، وتتكون من اثنتين وعشرين رسالة: الأولى، وتسمى أعمال الرسل، وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل، وأربع عشرة كتبها بولس، وهي رسالة أهل روميا وكورنثوس الأولى والثانية، وغلاطية، وأفسس، وفيلبي، وكولوسي، وتسالونيكي الأولى والثانية، وتيموثاوس الأولى وتيماثوس الثانية، وتيطس، وفيلمون والعبرانيين، ورسالة كتبها يعقوب، ورسالتان كتبهما بطرس، وثلاث رسائل كتبها يوحنا، ورسالة كتبها يهوذا.

وهناك غير الاثنتين والعشرين رسالة أخرى يسمونها السفر النبوي، وهي رؤيا يوحنا ". [(٣)]

---

(١) انظر: قراءات في الكتاب المقدس، عبد الرحيم محمد (٢/ ٢٧٢)، مسألة صلب المسيح، أحمد ديدات، ص (٦٨)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (٩١).

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٦).

(٣) محاضرات في النصرانية (٧٦).

أولًا: أعمال الرسل

ويتكون هذا السفر من ثمان وعشرين إصحاحًا، تتحدث عن الأعمال التي قام بها الحواريون والرسل الذي نزل عليهم روح القدس يوم الخمسين (٢/ ١ - ٤)، من دعوة ومعجزات، كما يتحدث بإسهاب عن شاول ودعوته ورحلاته وقصة تنصره وبعض معجزاته.

وينسب هذا السفر إلى لوقا مؤلف الإنجيل الثالث حيث جاء في افتتاحيته: " ١اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ " (أعمال ١/ ١).

ولكن هذه الدعوى يشكل ويمنع من التسليم بها تناقض إنجيل لوقا مع سفر الأعمال في مسألة الصعود إلى السماء إذ يفهم من إنجيل لوقا أن صعود المسيح للسماء كان في يوم القيامة (لوقا ٢٤/ ١٣ - ٥١) وفي أعمال الرسل يتحدث عن ظهور المسيح بعد القيامة " أَرْبَعِينَ يَوْمًا " (أعمال ١/ ٣). وهذا الاختلاف يكذب الرأي القائل بأن كاتب الإنجيل والسفر واحد.

ثانيًا: رسائل بولس

وتنسب هذه الرسائل إلى القديس بولس، وتمتلئ بعبارات تدل على أنه كاتبها، وهذه الرسائل أربع عشرة رسالة.

وتصطبغ الرسائل أيضًا بالصبغة الشخصية لبولس، فهي ليست لاهوتية الطابع، بل رسائل شخصية لها ديباجة وخاتمة.

وليس ثمة إجماع على صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس، بل إن بعض المحققين يميل إلى أن أربع رسائل منسوبة إليه كتبت بيد بعض تلاميذه بعد وفاته بعشرين سنة كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية.

ويشكك أرجن في شرحه لإنجيل يوحنا بجميع رسائل بولس المرسلة إلى الكنائس فيقول: " إن بولس ما كتب شيئًا إلى جميع الكنائس، والذي كتبه هو سطران أو أربعة سطور ".

أما الرسالة إلى العبرانيين خصوصًا فكان النزاع حولها أشد، فحين تنسبها الكنيسة الشرقية إلى بولس فإن لوثر يقول بأنها من وضع أبلوس، بينما يقول تارتوليان المؤرخ في القرن الميلادي الثاني: "إنها من وضع برنابا"، ويقول راجوس (من علماء البروتستانت):

" إن فريقًا من علماء البروتستانت يعتقدون كذب الرسالة العبرانية. . . ". [1]

أما مدخل الرهبانية اليسوعية فيقول: "لا شك أن الأدلة التي تنقض صحة نسبة الرسالة إلى بولس هي كثيرة. . فللمرء أن يعتقد أن الرسالة من إنشاء واحد من أصحاب بولس، أما الاهتداء إلى اسم الكاتب على نحو أفضل فلا سبيل إلى طلبه. . فلابد آخر الأمر من التسليم بأننا نجهل اسم الكاتب".

ثالثا: الرسائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا اللاهوتي

وهذه الرسائل سبع رسائل ثلاث منها ليوحنا، وثنتان لبطرس، وواحدة لكل من يهوذا ويعقوب، ثم رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وعرف المحققون بأصحاب هذه الرسائل وهم من التلاميذ الاثني عشر.

فبطرس هو صياد سمك في كفر ناحوم، ويعرف بسمعان، ويرجح محررو قاموس الكتاب المقدس أنه كان من تلاميذ يوحنا المعمدان قبل أن يصحب المسيح، ويتقدم على سائر تلاميذه، وقد دعا في أنطاكية وغيرها، ثم قتل في روما في منتصف القرن الميلادي الأول.

ويذكر بطرس قرماج في " مروج الأخبار " أن بطرس ومرقس ينكران ألوهية المسيح.

وأما يعقوب فهو ابن زبدي الصياد - أخو يوحنا الإنجيلي - من المقربين للمسيح، وقد تولى رئاسة مجمع أورشليم سنة ٣٤م، وقد كانت وفاته قتلًا على يد أغريباس الأول عام ٤٤م على الأرجح، وقال آخرون: قتله اليهود حين طرحوه من جناح الهيكل ورموه بالحجارة سنة ٦٢م.

وأما يهوذا فلا تقدم المصادر عنه تعريفًا سوى أن تذكر أنه اختلف فيه هل هو يهوذا أخو يعقوب الصغير أي أنه ابن زبدي، أم أنه الحواري الذي يدعى لباوس الملقب تداوس؟. [2]

وهذه الرسائل تعليمية في محتوياتها، شخصية في طريقة تدبيجها، تحوي في مقدمتها

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٦٣ - ١٦٥)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي، ص (٣٠٦)، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الدين الأعظمي، ص (٣٢٥ - ٣٢٧).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (١٧٤ - ١٧٦، ١٠٧٥)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ص (١٩٤ - ١٩٩).

اسم مؤلفها غالبًا.

ورغم ذلك فإن نسبة هذه الرسائل كانت محل جدل طويل في قرون النصرانية الأولى، وينطبق على أكثرها ما ذكرناه في رسالة العبرانيين، حيث تأخر الاعتراف إلى أواسط القرن الرابع الميلادي برسالة بطرس الثانية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالتي يعقوب ويهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي الذي كان موضع جدل كبير قبل إقراره.

إذ يحوي هذا السفر رؤيا منامية غريبة هدفها تقرير ألوهية المسيح، وإثبات سلطانه في السماء، وخضوع الملائكة له، إضافة إلى بعض التنبؤات المستقبلية التي صيغت بشكل رمزي وغامض.

وهذه الرؤيا رآها يوحنا في منامه وهي مسطرة في سبعة وعشرين صفحة! ! ومثل هذا يستغرب في المنامات ولا يعهد.

وقد شكك آباء الكنيسة الأوائل كثيرًا في هذا السفر. يقول (كيس برسبتر الروم) ٢١٢م: " إن سفر المشاهدات (الرؤيا) من تصنيف سرنتهن الملحد "، ومثله قاله ديونسيش من القدماء.

يقول لوثر: "إن هذا السفر لا يعلّم عن المسيح، ولا يشير إليه بوضوح، ولا يتضح فيه أنه من وحي الروح القدس".

وأما خلفه المصلح زونجلي فقد قال: "ليس لنا شأن بسفر الرؤيا، لأنه ليس سفرًا كتابيًا، فليس فيه طعم كتابات يوحنا. . وفي وسعي أن أرفضه".

ويعقب المفسر باركلي فيكتب: "وقد اشترك مع لوثر وزونجلي كثيرون".

كما نقل عن بعض المفسرين قولهم: "إن عدد الألغاز الموجودة في سفر الرؤيا يساوي عدد كلماته، وقال آخر: إن دراسة الرؤيا تصيب الإنسان بالخبل، أو إن الذي يحاول القيام بها مخبول". (١)

ويقول مدخل الرهبانية اليسوعية لهذا السفر: " لا يأتينا سفر يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه، لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا، ولقب نبي، ولم يذكر قط أنه أحد

---

(١) تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا)، وليم باركلي، ص (٩).

الاثني عشر. هناك تقليد على شيء من الثبوت، وقد عثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا. . بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على ذلك، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك. . . إن آراء المفسرين في عصرنا متشعبة، ففيهم من يؤكد أن الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكير اللاهوتي تجعل نسبة الرؤيا والإنجيل الرابع إلى كاتب واحد أمرًا عسيرًا.

ويخالفهم مفسرون آخرون في الرأي، ويرون أن سفر الرؤيا والإنجيل يرتبطان بتعليم الرسول عن يد كتبة ينتمون إلى بيئات يوحنا في أفسس"، ويقول المفسر وليم باركلي في مقدمة تفسيره للسفر: "وليس من المحتمل أن يكون الكاتب رسولًا، فلو أنه كان رسولًا لوضع تبريره على هذه الحقيقة أكثر من تبريره على أنه نبي، ثم إنه يتكلم عن الرسل كأغراب عليه. . فإن هذا أسلوب شخص يؤرخ لفترة خدمة الرسل، بل إن عنوان السفر يوحي بهذه الفكرة، فهو "رؤيا يوحنا اللاهوتي" ولعل لقب "اللاهوتي" أي عالم اللاهوت قد أضيف إلى اسم يوحنا الكاتب ليميزه عن يوحنا الرسول.

ويقول ديوفيسيوس رئيس مدرسة الاسكندرية عام ٢٥٠م: إن يوحنا كاتب الرؤيا لا يمكن أن يكون هو نفسه يوحنا كاتب البشارة، لأن الأسلوب اليوناني مختلف جدًا بين الإثنين ". [١]

وهكذا فالسفر لا دليل يثبت كتابة يوحنا له، وغاية ما يمكن قوله أنه كتب على يد كتبة مجهولين تربوا على يد يوحنا في أفسس.

ومما نقله المحققون في تكذيب نسبة الرسائل الكاثوليكية أو بعضها على الأقل تكذيب هورن لها، واحتج بعدم وجودها في الترجمة السريانية القديمة.

ويقول أوسابيوس: "قبل الجميع دون جدال أسفارنا المعروفة الآن ما خلا الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ورسالة بطرس الثانية وسفر الرؤيا ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، فقد قبلها الجمهور، ولكن البعض شكّ فيها. . وأما رسالتا يوحنا

---

(١) تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا)، وليم باركلي، ص (٢١).

فهما خطابان شخصيان يصعب برهنة صدق قانونيتهما". [1]

ونقل راجوس تكذيب علماء البروتستانت صحة نسبتها إلى الحواريين، ويقول جيمس ميك: إن الدلائل تثبت أن كاتب هذه الرسالة (رسالة يعقوب) ليس يعقوب.

وقال المؤرخ يوسي بيس في تاريخه: " ظُن أن هذه الرسالة جعلية، لكن كثيرًا من القدماء ذكروها، وكذا ظُن في حق رسالة يهوذا، لكنها تستعمل في كثير من الكنائس".

وعن رسالة يهوذا يقول المحقق كروتيس في كتابه " تاريخ البيبل ": " هذه الرسالة رسالة يهوذا الأسقف الذي كان خامس عشر من أساقفة أورشليم في عهد سلطنة أيد دين "، فجعل هذا المحقق رسالة يهوذا من عمل أسقف عاش في القرن الثاني الميلادي.

كما لا تسلم الكنيسة السريانية حتى الآن بصحة الرسالة الثانية لبطرس، والثانية والثالثة ليوحنا، ويقول اسكالجر: من كتب الرسالة الثانية لبطرس فقد ضيع وقته. [2]

وعن كاتب رسالة بطرس الثانية تقول مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية: "لا يزال الرأي القائل أن كاتب الرسالة هو سمعان بطرس موضوعًا للنقاش، يثير كثيرًا من المتاعب، فلا يحسن من جهة أن يُجعل شأن كبير للإشارات التي أخبر فيها الكاتب عن حياته، والتي قال فيها أنه الرسول بطرس (أي كان المؤلف المجهول يكذب وهو يزعم أنه بطرس الرسول)، فإنها تعود إلى الفن الأدبي المعروف بالوصايا. . . لا يبدو أن الكاتب ينتمي إلى الجيل المسيحي الأول. . . ولما كان لا يسوغ الإفراط في تأخير تاريخ رسالة مشبعة على هذا النحو بالتقاليد اليهودية المسيحية يسوغ اقتراح نحو السنة ١٢٥م تاريخًا لإنشاء الرسالة، وهو تاريخ ينفي عنها نسبتها المباشرة إلى بطرس".

ويقول التفسير التطبيقي عنها: "لسنا على يقين من تاريخ كتابة هذه الرسالة أو لمن كتبت، كما أن كاتبها محل جدل كثير، وبسبب ذلك كانت (رسالة) بطرس الثانية آخر سفر

---

(١) علم اللاهوت النظامي، جيمس أنِس، ص (٦٤).

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٦٣ – ١٦٤)، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الدين الأعظمي، ص (٣٣٨ – ٣٣٩)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ص (١٨٨ – ١٨٩).

يضم إلى الأسفار القانونية للعهد الجديد".

وعن قانونيتها تقول مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية: "إن كلًا من هذه الرسالة وسفر الرؤيا كان في العهد الجديد، السفر الذي لقي أكثر المصاعب ليُعترف به، فقد دخلت دخولًا بطيئًا إلى مجمل الكنائس. . ولم يعترف بها في معظم الكنائس إلا في القرن الخامس، واعترف بها في سورية في القرن السادس".

ونختم بقول المفسر الدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو: "أما مارتن لوثر فقد رفض أن يعطي هذا السفر (الرؤيا) مكانًا في العهد الجديد، وأضافه إلى أسفار أخرى هي رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الثانية والعبرانيين، واقترح أن يضيف هذه في نهاية العهد الجديد". [1]

اعترافات حول العهد الجديد

يقول: "جون فنتون" - عميد كلية الاهوت بليتشفيلد بانجلترا -: " إن العقائد التي تتبناها مختلف الكنائس ومدارس الفكر الاهوتي فيما يتعلق بالسلطة الروحية للعهد الجديد، تختلف كثيرًا من واحدة لأخرى: فالكنيسة الكاثوليكية تمسك بشدة بعقيدة الإلهام التي تأكد القول بها في مجمع الفاتيكان الذي عقد بروما عام ١٨٦٩- ١٨٧٠ م والذي تقرر فيه: أن الكتب القانونية لكل من العهدين: القديم والجديد كتبت بإلهام الروح القدس، كذلك فإن طائفة المحافظين من البروتستانت يقبلون عقيدة الإلهام "[2]

بينما يعتقد الليبراليون منهم، أن كتب العهد الجديد إنما هي وثائق بداية العقيدة المسيحية، وهي مثل أي من الوثائق التاريخية القديمة معرضة للبحث العلمي والنقد اللغوي. [3]

متى كتبت الأناجيل؟

لقد كتبت الأناجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عامًا، ولم

---

(١) تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا)، وليم باركلي، ص (٩).

(٢) تفسير إنجيل متى، جون فنتون (ص ٣١) نقلا عن: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١١٦).

(٣) السابق.

يكتب أقدمها في حياة المسيح، ولا عقب رفعه مباشرة، أو حتى بعد ذلك ببضع سنين، لكنه كتب بعد ٣٥ عامًا مضت منذ رفع المسيح. (١)

أسباب تأخر كتابة الأناجيل:

أن المسيحيين الأوائل لم يكونوا – أو حتى الغالبية العظمى منهم – طائفة مثقفة أو متعلمة. . . لكن وضعهم نجده حسب قول بولس: " لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، ٢٧بَلِ اخْتَارَ الله جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. " (كورنثوس "١ " ١/ ٢٦ – ٢٧).

أن الفترة الأولى من عملية التبشير بالإنجيل كانت الحاجة هي نقل التعاليم الدينية شفاها.

ثمن التكاليف والمواد الازمة للكتابة، حيث كان معظم المسيحيين الأوائل من الْمُعْدَمين.

تفشي فكرة المجيء الثاني للمسيح إلى الأرض في مجده. فإذا كانت نهاية كل شيء وشيكة، وإذا كان أي يوم هو الأخير، فمن الواضح أن أولئك الذين اشتركوا في مثل هذه الأفكار، لابد وأن يفتقدوا المزاج النفسي لكتابة سجلات الماضي.

الصعوبة في جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة. إذ يحق لنا أن مسألة: كيف يجد المسيحي العادي في الفترة المبكرة من حياة الكنيسة (التي اتسمت بالاضطهاد و الاضطراب) من الوقت ما يمكنه من جمع المعلومات عن حياة المسيح؟. (٢)

وكانت النتيجة كما وردت على لسان الدكتور فريدريك جرانت: " لم يبق من التعاليم والعقائد إلا فكرة باهتة لوجهة النظر العامة بالإضافة إلى الأقوال المبعثرة التي غالبا ما تكون غير المتن الأصلي ".

وبهذا تأخرت الكتابة، وبهذا تبدلت الكتابة وتحرفت، وضاع النص الأصلي، وانقطع السند. (٣)

اللغة الأصلية التي كتب بها العهد الجديد:

---

(١) المسيح في مصادر العقا ئد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (ص ٤٧).

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٤٨ – ٤٩).

(٣) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (١١٨).

جاء في الموسوعة الأمريكية: " إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب إغريقي، فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التي تختص بأعمال يسوع وأقواله، لا شك أنها كانت متداولة بالآرامية، وهي اللغة التي كانت سارية في فلسطين وبعض أجزاء الشرق الأدنى، وبالتأكيد بين اليهود، وهي اللغة التي تكلم بها المسيح وتلاميذه، فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة التي كانت لغة الحديث في عالم البحر الأبيض المتحضر". (١)

الفصل الثاني: إبطال دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد.

تمهيد:

" إن الأناجيل الأربعة التي يتخذها النصارى مصادر لدينهم لم تتوفر لها موجبات القدسية والقبول بما فيها من القضايا الإيمانية التي تستوجب أن تبنى على اليقينيات من النصوص، وإن ذلك في غاية البعد عن الأناجيل الأربعة.

والنصارى أنفسهم لا يدعون أن المسيح عليه السلام ترك في تلاميذه كتابًا منزلًا عليه، وأن كل ما وصل إليهم من أمور دعوته وسيرته وما اقترن بحياته من أحداث هو الذي روته الأناجيل الأربعة، إما من كُتَّاب شاهدوا تلك الأحداث وعاصروا صاحبها وتتلمذوا عليه مثل متى ويوحنا، وإما من كُتَّاب تلقوا ذلك من أفواه تلاميذه الذين سمعوا أو شاهدوا، ونقلوا ذلك إلى من قام بتدوين ما نقل إليه مثل مرقس ولوقا.

وإن هذه الأناجيل لاتثبتها القواعد العلمية، ولا تثبت أو تصمد أمام البحث العلمي، والكتاب الذي يفقد دليل ثبوته لا يقوى على إثبات عقيدة لا دليل من كتب الأنبياء كافة على صحتها. "(٢)

" ولأجل أن يكون الكتاب الديني حجة – يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه،

---

(١) الموسوعة الأمريكية، سنة ١٩٥٩ م، (٣/ ٦٥٤).

(٢) التصريح بإثبات الأناجيل الأربعة الاعتقاد الصحيح في المسيح، عبد الشكور بن محمد أمان العروسي، ص ٦٣ – ٦٤.

ومجموع أوامره ونواهيه، ومصدر الاعتقاد، وأساس الملة – يجب أن يتوافر فيه عدة شروط.

المبحث الأول: شروط حجية الكتاب الديني:

الأول: أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولاشك، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة، أي بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين، وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف، ويتواتر بينهم تواترا لايكون للإنسان مجال لتكذيبه.

الثاني: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضًا مضطربًا يهدم بعضه بعضًا، فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزء منه متممًا للآخر ومكملا له.

الثالث: أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحي إليه به، ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة، وهي المعجزات التي بعث بها الرسول، ودعا إلى كتابه على أساسها، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر، أو يثبت بالكتاب نفسه.

الرابع: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول، بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف، جيلًا بعد جيل من غير أي مظنة للانتحال. "[1]

" ويتحقق هذا بأن يكون الناقل معروفًا بالعدالة والضبط عمن يماثله من الرواة العدول الضابطين، وأيضًا اتصال السند بأن يكون كل راوٍ متلقيًا عن راوٍ قبله حتى يبلغ به المصدر بلا انقطاع. "[2]

الخامس: صحة الكتابة بأن تكون الكتابة مطابقة لما تم نقله لفظا ومعنى في حالة النقل باللغة الموحى بها.

السادس: صحة الترجمة في حالة ترجمة الكتاب من الأصل الموحى به إلى لغة أخرى وذلك يتطلب ما يلي:

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٨٦– ٨٧).

(٢) التصريح (ص ٦٥).

أولًا: شروط قبول الترجمة المجهولة:

وجود الأصل الموحى به حتى يتم عرض الترجمة عليه.

صحة الترجمة ويعرف ذلك بعد عرضها ومقابلتها بالأصل.

ثانيًا: شروط في المترجم:

عدالة المترجم.

معرفته التامة باللغتين الأصلية والتي ترجم إليها.

أن يكون ملمًا بمقاصد الدين ومصطلحاته حتى يترجم حسب المقاصد الدينية التي قد يكون ظاهر اللغة غير صريح فيها مثل الخيط الأبيض والأسود في التعبير بهما عن سواد الليل وبياض النهار. "(١)

ومن خلال تطبيق هذه الشروط ندرك أن هذه الأناجيل لا جذور لها تمتد بها إلى المصدر المعصوم، حيث لم يدَّعِ أحد أن عيسى هو كاتبها، أو هو ممليها، أو أنها كتبت في عهده. ثم إنهم لم يختلفوا في أن من نسبت إليهم على أنهم كاتبوها اثنان من تلاميذ المسيح وهما متى ويوحنا، وآخران ليسا كذلك وهما: مرقس ولوقا. . . وعليه فإن كاتبيها مجهولون، ومجهول العين لاشك في الجهالة بحاله ومجهول الحال لا تقبل روايته. ثم إن هذه الأناجيل ما عرفت إلا بعد أن ترجمت ولم توجد النسخ الأصلية حتى تعرض عليها الترجمات المختلفة باللغات المختلفة. والمترجمون لها أيضًا مجهولون، وتواريخ كتابتها أيضًا غير معلومة. أي إنها ظلمات بعضها فوق بعض "(٢).

" إن أحدًا من كتاب العهد الجديد - سوى بولس - لم يدع لنفسه الإلهام، بل سجلت كتاباتهم اعترافات أن هذا العمل جهد بشري خالص لم يقصد كاتبوه أن يسجلوا من خلاله كتبًا مقدسة.

فها هو لوقا في مقدمة إنجيله يقول: " ١إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٦) بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق (ص ٦٦).

الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، ٢كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، ٣رَأَيْتُ أَنَا أيضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، ٤لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ. " (لوقا ١/ ١-٤).

فيفهم من هذه المقدمة أمور، منها: أن إنجيله خطاب شخصي، وأنه دوّنه بدافع شخصي، وأن له مراجع نقل عنها بتدقيق، وأن كثيرين كتبوا غيره، ولم يذكر لوقا في مقدمته شيئًا عن إلهام إلهي ألهمه الكتابة أو وحي من روح القدس نزل عليه.

وإذا كان الحواريون والتلاميذ غير عارفين بإلهامية ذواتهم وبعضهم، فكيف عرف النصارى ما جهله أصحاب الشأن؟ لا دليل في الأناجيل على إلهامية أحد منهم، إلا ما ادعاه بولس لنفسه. "[1]

ومما يثبت أيضًا أنها لم تكتب بالإلهام ما يلي: -

١-وجود رسائل شخصية لا علاقة للإلهام والوحي بها.

والمتأمل في رسائل بولس خصوصًا والحواريين عمومًا يجد عشرات المواضع التي تشهد لهذه الرسائل بأنها شخصية لا علاقة للوحي بها، ومن ذلك: "١٣يُسَلِّمُ عَلَيْكِ أَوْلاَدُ أُخْتِكِ الْمُخْتَارَةِ. " (يوحنا (٢) ١٣).

ويرسل يوحنا المزيد من السلامات لأحبابه "١اَلشَّيْخُ، إِلَى غَايُسَ الْحَبِيبِ الَّذِي أَنَا أُحِبُّهُ بِالْحَقِّ ٢أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا ١٥سَلاَمٌ لَكَ. يُسَلِّمُ عَلَيْكَ الأَحِبَّاءُ. سَلِّمْ عَلَى الأَحِبَّاءِ بِأَسْمَائِهِمْ. " (يوحنا (٣) ١-١٤).

وفي رسائل بولس مثل ذلك، ومنه: " ١٩تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ كَنَائِسُ أَسِيَّا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيرًا أَكِيلاَ وَبِرِيسْكِلاَّ مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا. ٢٠يُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الإِخْوَةُ أَجْمَعُونَ. سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ " (كورنثوس (١) ١٦/ ١٩ - ٢٠).

ويواصل بولس تسجيل رغباته الشخصية وأخبار أصدقائه في كورنثوس، فيقول:

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ١٧).

"١٣اَلرِّدَاءَ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُواسَ عِنْدَ كَارْبُسَ، أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتَ، وَالْكُتُبَ أيضًا وَلاَ سِيَّمَا الرُّقُوقَ. . . . ١٩سَلِّمْ عَلَى فِرِسْكَا وَأَكِيلاَ وَبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ. ٢٠أَرَاسْتُسُ بَقِيَ فِي كُورِنْثُوسَ. وَأَمَّا تُرُوفِيمُسُ فَتَرَكْتُهُ فِي مِيلِيتُسَ مَرِيضًا. ٢١بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ الشِّتَاءِ. يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَفْبُولُسُ وَبُودِيسُ وَلِينُسُ وَكَلاَفَدِيَّةُ وَالإِخْوَةُ جَمِيعًا. ٢٢اَلرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ مَعَ رُوحِكَ. اَلنِّعْمَةُ مَعَكُمْ. آمِينَ. . " (تيموثاوس (٢) ٤/ ١٣ - ٢١). وهكذا تستمر رسائل بولس وسلاماته إلى أصدقائه وأقربائه، وتطول كما في رسالة رومية (رومية ١٦/ ١ – ٢١).

وأرسل بولس إلى تيطس قائلًا: " ١٢حِينَمَا أُرْسِلُ إِلَيْكَ أَرْتِيمَاسَ أَوْ تِيخِيكُسَ، بَادِرْ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ إِلَى نِيكُوبُولِيسَ، لأَنِّي عَزَمْتُ أَنْ أُشَتِّيَ هُنَاكَ. ١٣جَهِّزْ زِينَاسَ النَّامُوسِيَّ وَأَبُلُّوسَ بِاجْتِهَادٍ لِلسَّفَرِ حَتَّى لاَ يُعْوِزَهُمَا شَيْءٌ. " (تيطس ٣/ ١٢-١٣)، ولعل القارئ لاحظ أن بولس - الملهم لكتابة هذا النص كما يدعي المؤمنون بقدسية رسائله - لا يدري من سيرسل من أصدقائه لاستدعاء تيطس إلى نيكوبوليس، حيث يقضي بولس فصل الشتاء.

وتتكرر المشاهد الشخصية في ((رسالة فيلبي ٢/ ٢٦ -٢٨، ٤/ ٢١ – ٢٢، كورنثوس (١) ١٦/ ٢٠)، فيلمون ١/ ٢١ – ٢٤)) فهل هذه العبارات من إلهام الله ووحيه؟!

٢ـ عبارات لا يمكن أن تكون وحيًا:

لو تتبعنا الأناجيل لما وجدنا ما يشعر بأن أيًا منها صادر من مُلهَم يكتب وحيًا، فمثلًا يقول لوقا: "٢٣وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ. . " (لوقا ٣/ ٢٣)، فلفظة "نحو" و "يظن" لا تصدران عن ملهم جازم بما يقول، وقد أزعجت هاتان العبارتان علماء الكنيسة، فحذفوهما من طبعة الكتاب المقدس المنقحة الإنجليزية.

ومثله لم يستطع يوحنا تقدير المسافة التي قطعها التلاميذ في البحر قبل أن يروا المسيح فقال: "١٩فَلَمَّا كَانُوا قَدْ جَذَّفُوا نَحْوَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ ثَلاَثِينَ غَلْوَةً، نَظَرُوا يَسُوعَ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ مُقْتَرِبًا مِنَ السَّفِينَةِ، فَخَافُوا " (يوحنا ٦/ ١٩)، ولو كان يلهم ما يكتب من الوحي لما وقع في مثل هذا.

ومثله في خاتمة يوحنا يقول: " ٣١وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ " (يوحنا ٢٠/ ٣٠ - ٣١)، وقد كتبه بطلب من أساقفة آسيا لا الروح القدس، وهو لا يقول بأن الله ألهمه ذلك.

ويقول: " ٢٤هذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهذَا وَكَتَبَ هذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ. " فلم يذكر شيئًا عن إلهام هذا الإنجيل، ثم قال بعدها ما أثبت صفة البشرية لكلامه: "٢٥وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ (يوحنا ٢١/ ٢٤ - ٢٥)، فمثل هذه المبالغة لا يغيب أنها صنعة بشرية لعادة البشر في ذلك.[1]

وعلاوة على هذا كله فإن في الرسائل فقرات تنفي هي عن نفسها دعوى الإلهام وتكذبه، وتشهد لصاحبها بأنه يتحدث ببشرية تامة، وأن الوحي لا علاقة له بها يكتب.

ومن ذلك قول بولس عن المتزوج بغير المؤمنة: " ١٢وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ:. . . " (كورنثوس (١) ٧/ ١٢)، فكلامه في هذه المسألة لا علاقة له بالوحي، لكنهم مع ذلك يعتبرونه جزءًا من كلمة الله.

ويقول عن أمر آخر: "٢٥وَأَمَّا الْعَذَارَى، فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ، وَلكِنَّنِي أُعْطِي رَأْيًا. . . " (كورنثوس (١) ٧/ ٢٥)، فهل نصدق بولس، وهو يصف كلامه هنا بأنه رأي شخصي أم نصدق النصارى الذين يقولون عن هذه العبارات أنها أيضًا ملهمة من قبل الله ووحيه؟.

ويؤكد بولس ثانية أن بعض ما يصدر عنه هو محض رأي بشري واجتهاد شخصي منه، فيقول: " ٨لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ، بَلْ بِاجْتِهَادِ آخَرِينَ. . . ١٠أُعْطِي رَأْيًا فِي هذَا أيضًا. . . " (كورنثوس (٢) ٨/ ٨ - ١٠).

ويقول بولس أيضًا وهو ينفي عن كلامه صفة القداسة: " ١٧الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ، فِي جَسَارَةِ الافْتِخَارِ هذِهِ. " (كورنثوس (٢) ١١/ ١٦ - ١٧).

---

(١) مناظرتان في استكهولم، أحمد ديدات (٢٧ - ٢٨).

وقد وردت هذه الكلمات ضمن سياق مهم يصرخ بأن هذا الكلام رسالة شخصية لا علاقة لله به، إذ يقول: " ١٦أَقُولُ أيضًا: لاَ يَظُنَّ أَحَدٌ أَنِّي غَبِيٌّ. وَإِلاَّ فَاقْبَلُونِي وَلَوْ كَغَبِيٍّ، لأَفْتَخِرَ أَنَا أيضًا قَلِيلًا. ١٧الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ، فِي جَسَارَةِ الافْتِخَارِ هذِهِ. ١٨بِمَا أَنَّ كَثِيرِينَ يَفْتَخِرُونَ حَسَبَ الْجَسَدِ، أَفْتَخِرُ أَنَا أيضًا. ١٩فَإِنَّكُمْ بِسُرُورٍ تَحْتَمِلُونَ الأَغْبِيَاءَ، إِذْ أَنْتُمْ عُقَلاَءُ! ٢٠لأَنَّكُمْ تَحْتَمِلُونَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْبِدُكُمْ! إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْكُلُكُمْ! إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْخُذُكُمْ! إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَرْتَفِعُ! إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَضْرِبُكُمْ عَلَى وُجُوهِكُمْ! ٢١عَلَى سَبِيلِ الْهَوَانِ أَقُولُ: كَيْفَ أَنَّنَا كُنَّا ضُعَفَاءَ! وَلكِنَّ الَّذِي يَجْتَرِئُ فِيهِ أَحَدٌ، أَقُولُ فِي غَبَاوَةٍ: أَنَا أيضًا أَجْتَرِئُ فِيهِ. ٢٢أَهُمْ عِبْرَانِيُّونَ؟ فَأَنَا أيضًا. أَهُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ؟ فَأَنَا أيضًا. أَهُمْ نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ؟ فَأَنَا أيضًا. ٢٣أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ، فَأَنَا أَفْضَلُ: فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ، فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ " (كورنثوس (٢) ١١/ ١٥ - ٢٤)، فهل أوحي إليه أن يصف نفسه حال بلاغه للوحي أنه مختل العقل وأنه غبي.

ويقول متحدثًا إلى مستمعيه متلطفًا لهم: " ١لَيْتَكُمْ تَحْتَمِلُونَ غَبَاوَتِي قَلِيلًا! " (كورنثوس (٢) ١١/ ١)، فهل أوحى الله له أن يصف نفسه بالغباء، وهل يعتذر الله ويخشى أن يكون ملهَمه قد أثقل على أولئك الذين يقرؤون رسالته.

٣ـ أحداث مهمة لا يصح أن يذهل عنها الملهَم:

ومما يردّ دعوى الإلهام ذهول بعض الإنجيليين عن ذكر أحداث هامة رغم اجتماعهم على ذكر أحداث لا قيمة لها.

ومن ذلك أن الإنجيليين أجمعوا على ذكر حادثة ركوب المسيح على الجحش وهو يدخل أورشليم[1]، لكن الإنجيليين ذهلوا عن تسجيل أحداث مهمة، فلم يسجل أول معجزات المسيح - وهو معجزة تحويل الماء إلى خمر - على أهميتها إلا واحد منهم (انظر يوحنا ٢/ ١ - ١١)، فهل كان ركوب المسيح الجحش أهم من هذه المعجزة الباهرة؟!

---

(١) انظر متى (٢١/ ٧)، مرقس (١١/ ١ - ٧)، لوقا (١٩/ ٣٥)، يوحنا (١٢/ ١٤).

وهل هو أيضًا أهم من معجزة إحياء لعاذر أمام الجموع الكثيرة التي آمنت به بعد ذلك؟ ، فقد ذهل عن تسجيله الإنجيليون فيما عدا يوحنا (يوحنا ١١/ ١ - ٤٦)

ولن يكون ركوب المسيح الجحش وهو يدخل أورشليم - بحال من الأحوال - أهم من وصيته التي تضمنت دعوة الأمم إلى اتباع الشريعة وتعميدهم باسم الآب والابن والروح القدس، وهو عمدة النصارى في إثبات عقيدة التثليث، فقد انفرد بذكره متى العشار (انظر متى ٢٨/ ١٩)، دون بقية الإنجيليين الذين لم يسجلوا هذا النص الفريد والمهم.

وصعود المسيح إلى السماء حدث بالغ الأهمية، ومع أهميته لم يذكره التلميذان متى ويوحنا اللذان يفترض أنهما شاهدا المسيح وهو يصعد للسماء، بينما ألهم لوقا ومرقس - الغائبان يومذاك - ذكر هذا الخبر! !

والحقيقة أن أحدًا من الإنجيليين لم يلهم كتابة خبر الصعود، لأن خبر الصعود قد أضيف فيما بعد، كما اعترفت بذلك لجنة تنقيح الكتاب المقدس التي أصدرت النسخة(R. S. V.)

وكذلك ذهل الكتاب الملهمون عن ذكر قدرة التلاميذ على مغفرة الذنوب، فيما عدا يوحنا (انظر يوحنا ٢٠/ ٢٣)، يوحنا الذي يستغرب منه أنه لم يذكر شيئًا عن العشاء الأخير على أهميته وشهوده له إبان حياة المسيح.

وكذلك لم يسجلوا زيارة المجوس للمسيح وسجودهم له، بينما سجلها متى (متى ٢/ ١ - ١٢)، وكان الوحيدَ الذي كتب عن سفر المسيح وأمه لمصر. (انظر متى ٢/ ١٤)، وكل هذا مما ينقض دعوى الإلهام، إذ لا يليق بالملهِم أن يغفل عن إلهام التلاميذ هذه الأمور المهمة. [1]

٤ـ إنكار المحققين لإلهامية كتبة العهد الجديد

وهذه المواضع التي ذكرناها وغيرها دفعت بعض فرق النصارى وبعض مقدميهم وغيرهم من المحققين لإنكار إلهامية الأناجيل والرسائل.

ويقول مؤلفو الترجمة المسكونية: " جمع المبشرون وحرروا، كل حسب وجهة نظره

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٢٢- ٢٣).

الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي " فليس ثمة إلهام إذن.

ويقول لوثر مؤسس مذهب البرتستانت عن رسالة يعقوب: "إنها كلّاء. . هذه الرسالة وإن كانت ليعقوب. . إن الحواري ليس له أن يعين حكمًا شرعيًا من جانب نفسه، لأن هذا المنصب كان لعيسى عليه السلام فقط "، فقول لوثر هذا يُفهم منه عدم اعتباره ليعقوب الحواري ملهمًا.

ويقول ريس في دائرة معارفه في المجلد التاسع عشر من هذا الكتاب: " إن الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة إلهامية، وقالوا: إنه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات. . . "(١)

وقال أيضًا: " والكتب التي كتبها تلاميذ الحواريين - مثل إنجيل مرقس ولوقا وكتاب الأعمال - توقف ميكايلس في كونها إلهامية ". (٢)

ويقول حبيب سعيد في كتابه "سيرة رسول الجهاد" منبهًا إلى حقيقة هامة وصحيحة عن بولس: " لم يدر بخلده عند كتابتها - أو على الأصح عند إملائها - أنه يسطر ألفاظًا ستبقى ذخرًا ثمينًا تعتز به الأجيال القادمة"، ويا للعجب، بولس لا يعلم بقدسية كلماته، بينما النصارى عنه يناضلون، وينسبون إليه ما لم ينسبه هو إلى نفسه.

وفي الفاتيكان شكل البابا جون لجنة لدراسة الإنجيل برئاسة العلامة هانز كومب، وبعد دراسة متأنية، قررت اللجنة: " أن الإنجيل كلام بشر، وأنه لا يوجد دليل على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله ".

المبحث الثاني: إبطال دعوى النبوة لكتبة العهد الجديد

تمهيد:

" ويزعم النصارى أيضًا أن الذين كتبوها _ أي الأناجيل - رسل من بعد المسيح،

(١) إظهار الحق (٢/ ٣٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٥٦ - وما بعدها)، محاضرات في النصرانية (٩١- ٩٤)، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (٢٩٦ – ٣٠٢)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٢٤).

مبعوثون بها، يبشرون الناس بما فيها، ونحن نبحث وننظر هل هؤلاء رسل حقًا قد ثبتت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه؟ "

بداية لا يسلم المسلمون بأن أحدًا من الحواريين كان رسولًا، كما لم يصرح الإنجيليون فيما سوى بولس بذلك. " " إننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعًا صحيحًا قرر أن هؤلاء قد ادعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها، ومعهم البرهان عليها، والدليل القائم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ". (١)

" والمسلمون لا يؤمنون بالشهادات التي جعلت النصارى يقولون بنبوتهم، كما لا يؤمنون بغشيان روح القدس لهم بعد خمسين يومًا من صعود المسيح، ذاك الحدث الغريب الذي سجله لوقا، حين قال: "٤وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. " (أعمال ٢/ ٤).

كما لا يؤمن المسلمون بالمعجزات التي تنسبها إليهم تلك الأسفار، فكل هذه الأخبار لم ترد في دليل له اعتبار عندنا. "(٢)

" وأما المنسوب إلى بطرس في رسالته الثانية " ٢١ لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. " (بطرس (٢) ١/ ٢١)، وهو النص الذي يعتبره النصارى أصرح أدلتهم على إلهامية الكتبة ونبوتهم، فلا يصلح في الدلالة على إلهام الإنجيليين لأمور: أهمها أن هذه الرسالة لا تثبت نسبتها إلى بطرس ولا إلى أحد من أبناء الجيل المسيحي الأول.

وأيضًا لو سلمنا بصدق نسبة الرسالة إلى التلميذ بطرس، فإن بطرس قد مات قبل أن يدون مرقس (أول الإنجيليين تدوينًا) ثم بقية الإنجيليين كتاباتهم، فليس هؤلاء مَن تحدث عنه بطرس، إذ لا يعقل أن يوثق بطرس كتابات لم تكن قد كتبت بعد.

---

(١) محاضرات في النصرانية (٨٧- ٨٨).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٢٥).

كما أن بطرس لم ينص على أسماء الإنجيليين، ولا يُدرى مقصوده، فلعله كان يقصد بعض الكثيرين الذين كتبوا حينذاك، ثم اعتبرت الكنيسة كتاباتهم مزيفة. "[1]

هل يليق هذا بالأنبياء؟

وتمتلئ الأناجيل والأسفار بالدلائل التي تكذب القول بإلهامية هؤلاء الذين ينبغي أن تعرض نبوتهم على الميزان الذي اقتبسه تلاميذ المسيح من معلمهم، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى: "١أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. " (يوحنا (١) ٤/ ١).

وبتطبيق هذا النص يتضح الآتي:

١ـ يهوذا الخائن:

هل يليق أن يكون يهوذا - الذي عُد من الاثني عشر تلميذًا الذين أرسلهم المسيح - خائنا ويبيع المسيح بثلاثين من الفضة؟ فمثل هذه الخيانة لا تصدر عن الرسل، وهي دليل يمنع دعوى نبوة ورسالة التلاميذ.

٢ـ بطرس اللئيم:

كما لا يصدر عن الأنبياء والرسل ما فعله بطرس عندما تخلى عن المسيح وأنكره في ليلة من أصعب الليالي ثلاث مرات (انظر لوقا ٢٢/ ٣٤)، ولوقا يقول على لسان المسيح: " ٩وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ، يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ. " (لوقا ١٢/ ٩)، إن هذا الإنكار دعا القس إبراهيم سعيد إلى وصف بطرس بأنه "الغارق في بحر الكفر"[2]، ولم يشفع له طول صحبته للمسيح.

٣ـ بطرس الشيطان:

كيف يكون الرسول الملهم الممتلئ من الروح القدس شيطانًا؟ " ٢٣فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». " (متى ١٦/ ٢٣).

---

(١) المصدر السابق (٢٥ - ٢٦).

(٢) شرح بشارة لوقا، إبراهيم سعيد(ص ٥٨٠).

٤ـ بطرس قليل الإيمان:

ويقول المسيح عن بطرس أيضًا: " وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟ »" (متى ١٤/ ٣١)، لذا اندفع القديس أكستاين للقول عن بطرس: " إنه كان غير ثابت، لأنه كان يؤمن أحيانًا ويشك أحيانًا ".

٥ـ بقية التلاميذ:

وإذا قيل هذا في بطرس فماذا عساه يقال عن بقية التلاميذ والحواريين؟ وهل كانوا أفضل حظًا وأحسن شأنًا؟

نجد أن العهد الجديد يخبرنا بأنهم هم أيضًا كانوا قليلي الإيمان، فقد وصفهم المسيح بذلك مرارًا، يقول متى: "[٢٥]فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ! » [٢٦]فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ »" (متى ٨/ ٢٥-٢٦).

ولما أمرهم بالتحرز من خمير اليهود خاطب التلاميذ ": «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟ [٩]أَحَتَّى الآنَ لاَ تَفْهَمُونَ؟ " (متى ١٦/ ٨).

وفي موطن آخر قال لهم: "[٢٨]فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ الله هكَذَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ " (لوقا ١٢/ ٢٨)، (وانظر مرقس ٤/ ٤٠، ومتى ٦/ ٣٠)، فهل مثل هؤلاء يعتد برواياتهم وتأليفاتهم فضلًا عن اعتبارها من وحي الله؟

لكن الداهية الدهياء في شهادة المسيح عليهم لما عجزوا عن شفاء المصروع، وجاءوا للمسيح عليه السلام شاكين مستفسرين: " [١٩]ثُمَّ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: «لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟ » [٢٠]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. " (متى ١٧/ ١٩ - ٢٠)، فهل هؤلاء الذين لا يملكون من الإيمان حبة خردل أنبياء وأمناء على تسجيل وحي الله؟

معجزات التلاميذ لا تصلح دليلًا على النبوة:

وإذا كان اعتبار النصارى لهؤلاء التلاميذ أنبياء لمجرد أن قاموا ببعض المعجزات التي لم تقترن بدعوى النبوة منهم، فهذا لا يكفي في تقرير نبوتهم وعصمتهم، "ودعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى عليهما السلام دعوى ممنوعة وهي باطلة وإنما هم رسل المسيح ﷺبمنزلة رسل موسى ورسل إبراهيم ورسل محمد ﷺ، وأكثر النصارى أو كثير منهم أو كلهم يقولون هم رسل الله وليسوا بأنبياء وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم وإن كانت له خوارق عادات كأولياء الله من المسلمين وغيرهم فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ، والخوارق التي تجري على يدي غير الأنبياء لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء فضلا عن كونهم معصومين. . "[(١)]

" وأيضًا تذكر الأسفار المقدسة أن المعجزات والآيات قد تعطى للكاذبين الذين يدعون النبوة، فالمسيح قال: " [٢٤]لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أيضًا. [٢٥]هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. " (متى ٢٤/ ٢٤ - ٢٥)، كما أن لوقا لم يثبت أن له معجزة، وكذلك مرقس.

كما أن الأعاجيب لا تصلح أكثر من دليل على الإيمان فحسب، إذ كل مؤمن - حسب الإنجيل - يستطيع أن يأتي بإحياء الموتى وشفاء المرضى، فقد نقل متى عن المسيح قوله: " [٢٠]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. " (متى ١٧/ ٢٠).

تقول الرهبانية اليسوعية في تعليقها على هذه الفقرة: "بإمكان المؤمن على مثال الله نفسه أن ينقل جبلًا من الجبال".

وقال: "[١٢]اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أيضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. " (يوحنا ١٤/ ١٢)، فكل مؤمن من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٨٣ - ٨٤).

النصارى يقدر على صنع معجزات المسيح، بما فيها إحياء الموتى وشفاء المرضى، لا بل يقدر على أعظم منها! !

أما التفسير التطبيقي فقد أُحرج مفسروه من هذا النص الذي أخجل تواضعهم، إذ لا يليق بالتلاميذ وبالمؤمنين صنع معجزات أكبر وأعظم من معجزات المسيح، فقالوا: "لم يقل الرب يسوع: إن تلاميذه سيصنعون معجزات أعظم روعة، فإقامة الموتى هي أقصى ما نستطيع" إن غاية ما يقدرون عليه هي إحياء الموتى.

ويقول المسيح ﷺ محذرًا من الأنبياء الكذبة: " ٤فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. " ... ٢٤لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أيضًا. " (متى ٢٤/ ٤-٢٥).

وقد حذر المسيح ﷺ من خداع هؤلاء الكذبة للعوام بما يزعمونه من معجزات وإيمان بالمسيح وادعاء أنهم على دينه، وبيّن المسيح كيفية معرفة هؤلاء الكذبة حين قال: " «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ٢٢كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ ٢٣فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ! " (متى ٧/ ٢١- ٢٤).

وأخيرًا، فإن إنسان الخطيئة يصنع الكثير من المعجزات والعجائب، من غير أن يعني ذلك صدقه أو نبوته، يقول عنه بولس: "٩الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ " (تسالونيكي (٢) ٢/ ٩). "[1]

النبوة حسب الكتاب المقدس لا تقتضي العصمة من الكذب في البلاغ:

" ثم إن كون التلاميذ من الأنبياء لا يعني بالضرورة - حسب المعتقدات النصرانية -

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٢٨).

عصمتهم عن الخطأ في البلاغ أو حتى الكذب، ودليل ذلك ما نسبه سفر الملوك إلى أحد الأنبياء من الكذب بالبلاغ "١١وَكَانَ نَبِيٌّ شَيْخٌ سَاكِنًا فِي بَيْتِ إِيلَ، فَأَتَى بَنُوهُ وَقَصُّوا عَلَيْهِ كُلَّ الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَهُ رَجُلُ الله ذلِكَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِ إِيلَ، وَقَصُّوا عَلَى أَبِيهِمِ الْكَلاَمَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ. ١٢فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «مِنْ أَيِّ طَرِيق ذَهَبَ؟ » وَكَانَ بَنُوهُ قَدْ رَأَوْا الطَّرِيقَ الَّذِي سَارَ فِيهِ رَجُلُ الله الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُوذَا. ١٣فَقَالَ لِبَنِيهِ: «شُدُّوا لِي عَلَى الْحِمَارِ». فَشَدُّوا لَهُ عَلَى الْحِمَارِ فَرَكِبَ عَلَيْهِ ١٤وَسَارَ وَرَاءَ رَجُلِ الله، فَوَجَدَهُ جَالِسًا تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ، فَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ رَجُلُ الله الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُوذَا؟ » فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». ١٥فَقَالَ لَهُ: «سِرْ مَعِي إِلَى الْبَيْتِ وَكُلْ خُبْزًا». ١٦فَقَالَ: «لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَرْجعَ مَعَكَ وَلاَ أَدْخُلُ مَعَكَ وَلاَ آكُلُ خُبْزًا وَلاَ أَشْرَبُ مَعَكَ مَاءً فِي هذَا الْمَوْضِعِ، ١٧لأَنَّهُ قِيلَ لِي بِكَلاَمِ الرَّبِّ: لاَ تَأْكُلْ خُبْزًا وَلاَ تَشْرَبْ هُنَاكَ مَاءً. وَلاَ تَرْجعْ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتَ فِيهِ». ١٨فَقَالَ لَهُ: «أَنَا أيضًا نَبِيٌّ مِثْلُكَ، وَقَدْ كَلَّمَنِي مَلاَكٌ بِكَلاَمِ الرَّبِّ قَائِلًا: ارْجعْ بِهِ مَعَكَ إِلَى بَيْتِكَ فَيَأْكُلَ خُبْزًا وَيَشْرَبَ مَاءً». كَذَبَ عَلَيْهِ. ١٩فَرَجَعَ مَعَهُ وَأَكَلَ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ وَشَرِبَ مَاءً. "

(ثم تحدث السفر عن عقوبة النبي المسكين الذي أطاع النبي الكذاب ظانًا إياه يحدثه بوحي الله وأمره) (الملوك (١) ١٣/ ١١ - ٢٩).

ومثله نسب سفر الملوك الكذب في البلاغ عن الله إلى النبي أليشع، حين أرسل ملك أرام الملك بنهدد قائده حزائيل إلى أليشع، يسأله عن مرضه الذي هو فيه، فكذب النبي - وحاشا لنبي أن يكذب - في جوابه للملك، وقال لحزائيل: "١٠فَقَالَ لَهُ أَلِيشَعُ: «اذْهَبْ وَقُلْ لَهُ: شِفَاءً تُشْفَى. وَقَدْ أَرَانِي الرَّبُّ أَنَّهُ يَمُوتُ مَوْتًا». " (الملوك (٢) ٨/ ١٠)، فقد أمره بإبلاغ سيده بغير الحقيقة التي أعلمه الله إياها، وكذب عليه!

المبحث الثالث: بولس، حقيقته وأثره في الملة النصرانية.

تمهيد:

" وإن لبولس هذا لشأنًا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه فرسائله هي التي شرحتها؛ وقد كان - بنشاطه الجم، وتطوافه في الأقاليم مشرقًا ومغربًا،

لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه، بل على قصد في الرحيل إلى غيره – أشد دعاتها، وقد تأثر المسيحيون خطاه، وتعرفوا أخباره وأقواله، ما دونه منه في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه، وإن لم يدونه هو، وتأثروا أعماله فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه، واعتبروه القدوة الأولى"(١)

وسنتكلم عنه من خلال عدة عناصر:

أولًا: التعريف ببولس:

١- " لقد ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طَرَسُوس في سيليقيا ووجدت له بها رزقًا، وكانت طرسوس مدينة نشطة غاية في النشاط، تقع على نهاية حدود إقليم سيليقيا وتعتبر مفتتح سبل النفوذ إليه، كانت حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ومفرق الطرق التجارية الهامة التي تجلب إليها في آن واحد، من اليونان وإيطاليا وفريجيا وكابا دوسيا والشام وقبرص وفينيقيا ومصر، سيلًا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة. "(٢)

ولقد جاء التعريف به ضمن أعمال الرسل ومن خلالها نستطيع أن ننسق تعريفًا به:

٢- تربى في أورشليم، واسمه الأصلي شاول، "، ومعناه: "مطلوب"، ثم سمى نفسه بعد تنصره "بولس"، ومعناه "الصغير" وهذا ما ورد عنه في ٢٢/ ٣: " فَقَالَ: ٣«أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. "

٣- ولقد جاء أيضًا أنه من الفريسيين الذين يقولون إن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح في الدنيا، فقد جاء في ٢٣: " ٦وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرِّيسِيُّونَ، صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ. عَلَى

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٧٨).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبر (ص ٦٨)، في مقارنة الأديان. . . بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي (ص ١٥٢).

رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ». "

ونجد كُتَّاب النصارى متفقين على أنه من اليهود، ولكن جاء في سفر أعمال الرسل أيضًا ما يدل على أنه روماني ففي (٢٢/ ٢٥ -٢٦): " ٢٥فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ، قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ: «أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟ » ٢٦فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الأَمِيرِ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلًا: «انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ! لأَنَّ هذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ». "

فأنت تلاحظ بلا ريب التعارض الظاهر في أصل بولس، ولن نقف مع هذا طويلًا، فمهما يكن من أمر جنسه، فقد كان بولس هذا في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية، وأبلغهم كيدًا لها، وأكثرهم إمعانًا في أذى معتنقيها ومن النصوص التي تثبت ذلك، ما جاء في أعمال الرسل (٨/ ١ – ٣): " وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ. ٢وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً. ٣وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ. "

وفي (٩/ ١ – ٢): " ١أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ٢وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالًا أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. "(١)

ولا تذكر المصادر النصرانية لقيا بولس المسيح، وأول ذكر لبولس فيما يتصل بالنصرانية شهوده محاكمة وقتل استفانوس أحد تلاميذ المسيح، ويذكر بولس أنه كان راضيًا عن قتله. (انظر أعمال ٨/ ١) فقد كان يهوديًا معاديًا للمسيحيين الأوائل. (٢)

٤ـ تحول بولس العجيب إلى النصرانية:

ويقول سفر الأعمال إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٧٩ – ٨١) بتصرف يسير، وانظر أيضًا للأهمية كتاب " بولس وتحريف المسيحية "، تأليف/ هايم ماكبي، ترجمة سميرة عزمي الزين.

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٣٢) وانظر أيضًا: المسيحية د. أحمد شلبي (١١١ – ١١٢).

الإيذاء، قد انتقل من الجبت والطاغوت إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مهدت له. [١]

فيقول في (٩/ ٣- ٦): " ٣وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، ٤فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ » ٥فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ » فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». ٦فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟ »فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ». "

وكان مما قاله المسيح كما زعم: " لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، ١٧مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، ١٨لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ. " أعمال الرسل ١٦/ ١٦ – ١٨).

" و مكث بولس ثلاثة أيام في دمشق، ثم غادرها إلى العربية. [٢]

ثم عاد إليها "١٨ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. " (غلاطية ١/ ١٨).

ثم بدأ دعوته في دمشق، فحاول اليهود قتله، فهرب إلى أورشليم، فرحب به برنابا، وقدمه للتلاميذ الذين يصفه أعمال الرسل بأنهم " يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. " (أعمال ٩/ ٢٦).

ثم ذهب للدعوة في قيصرية (جنوب حيفا)، ثم سافر مع برنابا إلى آسيا الصغرى، ثم حضر مجمع أورشليم مع التلاميذ، ثم رجع إلى أنطاكيا، واختلف فيها مع برنابا بسبب (زعمته الأناجيل) وهو إصراره على اصطحاب مرقس معهما في رحلتهما التبشيرية، وعندها افترقا.

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٨٣)، الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة (١١٨).

(٢) يطلق اسم العربية في الكتاب المقدس، ويراد منه جزيرة العرب كما قد يراد به بعض المواقع شمال الجزيرة كسيناء وجنوب الشام. انظر قاموس الكتاب المقدس، ص (٦١٥).

و استمر بولس يدعو إلى المسيحية في أماكن عدة من أوربا سجن خلالها مرتين، إحداهما في روما سنة ٦٤م، ثم ثانيةً عام ٦٧، وقتل عام ٦٨م.

وتذكر بعض المصادر أنه أسر مرة واحدة عام ٦٤م وفيها مات. "(١)

ثانيًا: أهمية بولس في الفكر النصراني

" تقوم النصرانية المحرفة وعمادها الرئيس رسائل بولس، فقد كانت رسائله أول ما خط من سطور العهد الجديد، الذي جاء متناسقًا إلى حد ما مع هذه الرسائل، لا سيما إنجيل يوحنا، فيما رفضت الكنيسة النصرانية رسائل التلاميذ التي تتعارض مع نصرانية بولس التي طغت على النصرانية الأصلية التي نادى بها المسيح وتلاميذه من بعده.

و هذا الأثر الذي تركه بولس في النصرانية لا يغفل ولا ينكر، مما حدا بالكاتب مايكل هارت في كتابه "الخالدون المائة" أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثرًا، إذ وضعه في المرتبة السادسة فيما وضع المسيح في المرتبة الثالثة.

وقد برر هارت وجود النبي محمد ﷺفي المرتبة الأولى، وتقدمه على المسيح عليه السلامالذي يعد المنتسبون لدينه الأكثر على وجه الأرض، فقال: "فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان: المسيح والقديس بولس، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني.

وأما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس"، ويقول هارت: "المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح".

وقد خلت قائمة مايكل هارت من تلاميذ المسيح الذين غلبتهم دعوة بولس مؤسس المسيحية الحقيقي، بينما كان الامبرطور قسطنطين صاحب مجمع نيقية الذي تبنى رسميًا

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٣٢- ٣٣) وانظر أيضًا " بولس وتحريف المسيحية " ص ٩٣، نظرة عن قرب في المسيحية، بربارا براون (١٩ – ٢٢).

القول بألوهية المسيح (٣٢٥م) في المرتبة الثامنة والعشرين.[1]

ثالثا: بعض الملامح في شخصية بولس كما وردت في رسائله:

ولا بد من سبر هذه الشخصية الهامة في تاريخ المسيحية بقراءة الرسائل المنسوبة إليه أو ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل، وعند قيامنا بهذا السبر سنجد عدة ملاحظات هامة:

١ـ تناقضات قصة الرؤية والنبوة المزعومة:

زعم بولس أنه لقي المسيح بعد ثلاث سنوات من رفعه، حين كان متجهًا إلى دمشق، لكن عند التحقيق في قصة رؤية بولس للمسيح يتبين أنها إحدى كذبات بولس وأوهامه، ودليل لذلك يتضح بالمقارنة بين روايات القصة في العهد الجديد، حيث وردت القصة ثلاث مرات: أولاها في أعمال الرسل (٩/ ٣-٢٢)، من رواية لوقا أو كاتب سفر الأعمال، والثانية من كلام بولس في خطبته أمام الشعب (انظر أعمال ٢٢/ ٦-١١)، والثالثة أيضًا من رواية بولس أمام الملك أغريباس (انظر أعمال ٢٦/ ١٢-١٨)، كما أشار بولس للقصة في مواضع متعددة في رسائله، و لدى دراسة القصة في مواضعها الثلاث يتبين تناقضها في مواضع:[2]

١- جاء في الرواية الأولى (أعمال ٩) " ٧وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا. " (أعمال ٩/ ٧)، بينما جاء في الرواية الثانية (أعمال ٢٢): "٩وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي. " (أعمال ٢٢/ ٩)، فهل سمع المسافرون الصوت؟ أم لم يسمعوه؟.

٢- جاء في الرواية الأولى والثانية أن المسيح طلب من بولس أن يذهب إلى دمشق حيث سيخبَر هناك بالتعليمات: " فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٣١ – ٣٢).

(٢) وانظر: الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، أحمد عبد الوهاب، (ص ١٣٧ – ١٣٨)، " بولس وتحريف المسيحية "، هايم ماكبي (ص ٣٥) حيث حقق الهدف الذي من أجله كان بولس راحلا إلى دمشق، وأثبت – تاريخيا – كذب الدعوى التي قالها بولس عن نفسه – أنه كان يحمل رسائل رسمية من الكاهن الأكبر كما يزعم – بما لا يدع مجالا للشك.

(تنبيه) مؤلف هذا الكتاب من ألمع مؤرخي الأديان في تاريخنا المعاصر. " أفادته مترجمة الكتاب ".

أَنْ تَفْعَلَ». " (أعمال ٩/ ٦)، وفي الثانية: "١٠فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَارَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرَتَّبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ. " (أعمال ٢٢/ ١٠).

بينما يذكر بولس في الرواية الثالثة (أعمال ٢٦) أن المسيح أخبره بتعليماته بنفسه، فقد قال له: " لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، ١٧مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، ..." (أعمال ٢٦/ ١٦-١٨).

٣- جاء في الرواية الثانية أن المسافرين مع بولس " نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا" (أعمال ٢٢/ ٩)، لكنه في الرواية الأولى يقول: "يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا. " (أعمال ٩/ ٧).

٤- جاء في الرواية الأولى والثانية أن بولس "٤فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ " (أعمال ٩/ ٤)، بينما المسافرون وقفوا، وفي الرواية الثالثة أن الجميع سقطوا، فقد جاء فيها "١٤فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ " (أعمال ٢٦/ ١٤).

٥- جاء في الرواية الأولى " أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، " (أعمال ٩/ ٣)، ومثله في الرواية الثانية (انظر أعمال ٢٢/ ٦)، غير أن الرواية الثالثة تقول: " قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي. " (أعمال ٢٦/ ١٣).

فحدث بهذه الأهمية في تاريخ بولس ثم النصرانية لا يجوز أن تقع فيه مثل هذه الاختلافات، "وإن تقديم شهادتين مثل هاتين (الرواية الأولى والثالثة) أمام محكمة ابتدائية في أي قضية، ولتكن حادثة بسيطة من حوادث السير على الطرق لكفيل برفضهما معًا، فما بالنا إذا كانت القضية تتعلق بعقيدة يتوقف عليها المصير الأبدي للملايين من البشر"[1]، إذ بعد هذه الحادثة أصبح شاول الرسول بولس مؤسس المسيحية الحقيقي.

لكن إذا أردنا تحليل الهدف الذي جعل بولس يختلق هذه القصة فإنا نقول: يبدو أن بولس اندفع للنصرانية بسبب يأسه من هزيمة أتباع المسيح، فقد رآهم يثبتون على الحق

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب (ص ١٠٣) ولنظر للأهمية أيضًا " بولس وتحريف المسيحية " (ص ٤٠ – ٤٢).

رغم فنون العذاب الذي صبه عليهم، وهذا الشعور واضح في قول بولس أن المسيح قال له: "صعب عليك أن ترفس مناخس" (أعمال ٢٦/ ١٤).

و يُستغرب هنا كيف ينقل شخص من الكفر والعداوة إلى القديسية والرسالة من غير أن يمر حتى بمرحلة الإيمان؟. ، فمن الممكن تصديق التحول من فرط العداوة إلى الإيمان، أما إلى النبوة والرسالة من غير إعداد وتهيئة فلا، ومن المعلوم أن أحدًا من الأنبياء لم ينشأ على الكفر، فهم معصومون من ذلك.

ولنا أن نتساءل كيف لبولس أن يجزم بأن من رآه في السماء وكلمه كان المسيح وليس غيره، إذ هو لم يلق المسيح طوال حياته. (١)

٢ـ نفاقه وكذبه وتلونه كالحرباء:

ومن الأمور التي وقف عليها المحققون في شخصية بولس تلونه ونفاقه واحترافه للكذب في سبيل الوصول لغايته.

فهو يهودي فريسي ابن فريسي (انظر أعمال ٢٣/ ٦)، لكنه عندما خاف من الجلد قال: " قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ المِئَةِ الْوَاقِفِ: «أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟ »" (أعمال ٢٢/ ٢٥).

وبولس يستبيح الكذب والتلون للوصول إلى غايته فيقول: " ٢٠فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. ٢١وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ — مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لله، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ — لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ. ٢٢صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا. " (كورنثوس (١) ٩/ ٢٠-٢٢).

ويستبح بولس الكذب فيقول: " ٧فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ الله قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟ " (رومية ٣/ ٧).

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٣٥).

ومن نفاقه وتلونه تزلفه لحكام روما الوثنيين واعتبارهم وسائر الحكام سلاطين موضوعين من قبل الله، ويمضي فيجعل الضرائب والجزية التي يفرضونها حقًا مشروعًا لهم، فيقول: " ١لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، ٢حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. . . . ٦فَإِنَّكُمْ لأَجْلِ هذَا تُوفُونَ الْجِزْيَةَ أَيضًا، إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللهِ مُواظِبُونَ عَلَى ذلِكَ بِعَيْنِهِ. ٧فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ. " (رومية ١٣/ ١-٧).

٣ـ غروره:

و تمتلئ رسائل بولس بثنائه على نفسه ومن ذلك قوله: " ١بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية ١/ ١)، وفي رسالة أخرى يقول: " ١بُولُسُ، عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. . . . ٣وَإِنَّمَا أَظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ، بِالْكِرَازَةِ الَّتِي اؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهَا، بِحَسَبِ أَمْرِ مُخَلِّصِنَا اللهِ " (تيطس ١/ ١-٣).

ويظن بولس أن عنده روح الله فيقول: " وَأَظُنُّ أَنِّي أَنَا أَيضًا عِنْدِي رُوحُ اللهِ. " (كورنثوس (١) ٧/ ٤٠).

ويرتفع بنفسه إلى درجة القديسين الذين - كما يرى - سيدينون العالم بما فيهم الملائكة فيقول: " ٢أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟. . . . ٣أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً" (كورنثوس (١) ٦/ ٢-٣) فهو سيدين الملائكة الذين كان قد ذكر بأن المسيح دونهم بقليل (انظر عبرانيين ٢/ ٩)، ويقول أيضًا مفاخرًا بنفسه: " ٤كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أفسس ١/ ٤). (١)

٤ـ عدم تلقيه الدين والهدي من تلاميذ المسيح:

ورغم أن بولس لم يلق المسيح فإنه يعتبر نفسه في مرتبة التلاميذ، لا بل يفوقهم " ١١وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. ١٢لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٣٧) وانظر: مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان (ص ١٨).

مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ... أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا ١٧وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أيضًا إِلَى دِمَشْقَ. ١٨ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. ١٩وَلكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ. " (غلاطية ١/ ١١- ١٩).

ويؤكد بولس على تميزه عن سائر التلاميذ وانفراده عنهم، و يصفهم بقوله: "٤وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، ٥اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. ٦وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ — مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي، الله لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ — فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. ٧بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. " (غلاطية ٢/ ٤-٧).

و هكذا يؤكد بولس بأن ما يحمله في تبشيره لم يتلقه عن تلاميذ المسيح، بل هو من الله مباشرة.

رابعًا: اعترافات نصرانية بابتداع بولس لما قدمه

"يقول الفيلسوف الروسي تولستوي: " إن بولس لم يفهم تعاليم السيد المسيح ولم يره قط في حياته، ومن ثم فلم يكن من حوارييه، وبالتالي لم يتلق تعاليمه منه مباشرة، الأمر الذي جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسفية، إن الأقوال الواردة في كتب العهد القديم، لا تدل على أن يسوع هو الله ولا ابن الله. "

وفي دراسة لسبينوزافي العهد الجديد، ينتهي بعد تركيز شديد على موضوع واحد جوهري، وهو الفرق بين النبي عيسى والحواري بولس، أي بين الإنجيل وأعمال الرسل والرسائل.

فمن ناحية الأسلوب، يختلف أسلوب النبي في الإنجيل عن أسلوب الحواري في الرسائل، يؤكد النبي في الإنجيل أنه يتحدث بناء على تفويض من الله، أما الحواري فإنه يتحدث باسمه، ويعبر عن آرائه الشخصية، والنبي لا يخطيء أما الحواري فيخطيء ويصيب.

والنبوة من عند الله، أما رسالة الحواري فمن عنده.

النبوة يقينية ودعوة الحواري ظنية يمكن الشك فيها باعتراف الحواري نفسه.

ومن حيث الطريقة في التعبير فإن النبي لا يستدل بل يتحدث معتمدًا على السلطة الإلهية، أما الحواري فيستدل ويناقش ويجادل ويحاجج. "[(١)]

" ويقول فريدرك جرانت: " من الواضح أن كلًا من بولس الهلليني، ومتى المبشر اليهودي، له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه "

" ويقول تشارلز دود: " إن الرسائل البولسية كثيرا ما تعارض الأناجيل".

ويقول هنتر: " إن رسالة يعقوب تظهر معارضة لتعاليم بولس في نوال البر بالإيمان ". [(٢)]

و يتساءل المحققون لماذا لم يذهب بولس بعد تنصره مباشرة إلى التلاميذ ليتلقى عنهم دين المسيح؟ بل ذهب إلى العربية ومكث بعيدًا عن التلاميذ ثلاث سنين، ثم لقي اثنين منهم فقط لمدة خمسة عشر يومًا. (انظر غلاطية ١/ ١٨-١٩).

تقول دائرة المعارف البريطانية في الإجابة عن هذا السؤال: "إن ارتحاله إليها كان لحاجته إلى جو هادئ صامت يتمكن فيه من التفكير في موقفه الجديد، وإن القضية الأساس عنده هي تفسير الشريعة حسب تجاربه الحديثة".

ويقول المؤرخ جامس كينون في كتابه "من المسيح إلى قسطنطين": "إنه ارتحل بعد تحوله الفكري إلى العربية، وكان الغرض المنشود من وراء ذلك - كما يبدو من التبشير- أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم حتى يجتمع ببطرس ويعقوب".

ويبرر جامس كينون موقف بولس فيقول: "كان بولس يؤمن أن الله قد وهبه ميدانًا محددًا للعمل، ولا يجوز لرجل أن يتدخل في شئونه مادام روح الله بدورها هادية له". [(٣)]

---

(١) ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، (ص ٥٦ – ٥٧).

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (ص ٩٢ – ٩٨).

(٣) ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، ص (١٧٠-١٧٤)، المسيح في الأناجيل بشر، ممدوح جاد، ص (١١٠-١١٢)، مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان، ص (١٨-١٩)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٣٨).

ويعترف الفاتيكان إلى حد كبير بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها، فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان " المسيحية عقيدة وعمل " ما يلي:

كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع ". وذلك أمر يستدعي الدهشة فليس لإنسان أن يسمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيمان، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية، وكان تشويهها وتدميرها هدفا من أهدافه. [1]

خامسًا: أخلاق بولس الرسول

كما يرفض المحققون وسم النصارى لبولس بالرسول، إذ ليس له شاهد على دعواه النبوة إلا شهادته لنفسه بأنه رأى المسيح فجعله رسولًا، ومثل هذه الشهادة لا يعتد بها (انظر يوحنا ٥/ ٣١) كما قد رفض المحققون - كما أسلفنا - قصة تجلي المسيح له التي رواها عنه تلميذه لوقا في سفر أعمال الرسل لما فيها من تناقضات تبطل قدسيتها ووقوعها.

كما وجد المحققون في أقوال بولس ما يستحيل أن يصدر من نبي ورسول.

فمن ذلك:

١- إساءته الأدب مع الله في قوله: " ٢٥لأَنَّ جَهَالَةَ الله أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ الله أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! " (كورنثوس (١)١/ ٢٥)، فلا يقبل أن يقال بأن لله ضعفًا أو جهالةً من أحد، سواء كان رسولًا أو غير رسول، وصدور مثله عن الرسل محال، إذ هم أعرف الناس بربهم العليم القوي المتعال.

٢- ومثله يقول بولس: " لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ الله. " (كورنثوس (١) ٢/ ١٠).

ويقول مستحلًا المحرمات: "١٢«كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي» " (كورنثوس (١) ٦/ ١٢).

يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تعليقًا على هذه الفقرة: "استغلت الكنيسة هذا

---

(١) المسيحية، أحمد شلبي ص(١٣٠).

القول أسوأ استغلال في أوقات كثيرة، فكان بعض المسيحيين يبررون الكثير من خطاياهم بالقول إن المسيح قد رفع كل خطية، فأصبح لهم الحرية أن يعيشوا كما يشاؤون".

٣- إلغاء بولس للناموس، ومثل هذا الموقف لا يكون من الأنبياء والرسل الذين تأتي دعوتهم لتؤكد على طاعة الله وتدعو إلى السير وفق شريعته، يقول(١): " ١٨فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ(التوراة وشرائعها المختصة بالكهنوت اللاوي) مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، ١٩إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ. "(عبرانيين ٧/ ١٨ - ١٩).

ويقول مبررًا إلغاء نظام الكهنوت التوراتي: " ٧فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. " (عبرانيين ٨/ ٧).

٤- وصفه للناموس بالشيخوخة: " وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ. " (عبرانيين ٨/ ١٣).

٥- ضعفه أمام الشهوات بما لا يليق بأحوال الأنبياء، فيقول: " ١٥لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. . . ١٩لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. . ٢٣وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. " (رومية ٧/ ١٥- ٢٣).

٦- اعتقاده أن شيطانًا قد وكل إليه أن يضربه، فيؤدبه لكي يتجنب الغرور: " رسول الشيطان وكل إليه بأن يلطمني لئلا أتكبر " (كورنثوس (٢) ١٢: ٧ ". (٢)

وعجبًا أن تكون هذه الصفات في إنسان ثم يصبح رسولًا ومؤسس ديانة(٣)

وأما المعجزات المذكورة له في الرسائل (أعمال ١٤/ ٣) (انظر قصة شفائه للمقعد في

(١) رسالة العبرانيين لا يعرف قائلها على الحقيقة، لكن بعض المفسرين نسبها إلى بولس – من غير دليل عليه –، قد نسبنا هذه الأقوال إليه تبعًا لهؤلاء المفسرين.

(٢) الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، أحمد عبد الوهاب (ص ١٤٢).

(٣) المسيحية، أحمد شلبي (١١٢).

أعمال ١٤/ ٨-١١)، وقصة إحيائه أفتيخوس في أعمال ٢٠/ ٩-١٢) فلا تصلح دليلًا على نبوته لأن المسيح أخبر بمقدم الكذبة المضلين الذين يصنعون العجائب، فقال محذرًا من الاغترار بمعجزاتهم: ": «انْظُرُوا! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ...١١وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. . . . ٢٤لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. " (متى ٢٤/ ٤-٢٥)، فقد يكون بولس أحد هؤلاء الكذابين الذين يعطون الآيات والعجائب، التي تضل حتى المختارين من التلاميذ. [1]

كما أن الأعاجيب - وكما سبق - لا تصلح أكثر من دليل على الإيمان فحسب، إذ كل مؤمن - حسب الإنجيل - يستطيع أن يأتي بإحياء الموتى وشفاء المرضى، فقد نقل متى عن المسيح قوله: " فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. " (متى ١٧/ ٢٠).

وقال: "١٢اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. " (يوحنا ١٤/ ١٢).

ويقول يوحنا محذرًا من الأنبياء الكذبة: "، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. ١٩مِنَّا خَرَجُوا، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا. . . . ٢٢مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ " (يوحنا (١) ٢/ ٢٢).

وقد حذر بطرس أيضًا فقال: "PPوَلكِنْ، كَانَ أَيضًا فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيضًا مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ، الَّذِينَ يَدُسُّونَ بِدَعَ هَلاَكٍ. . . . " (بطرس (٢) ٢/ ١-٣).

وهكذا كما قال المسيح عن هؤلاء المبطلين: "٢٠فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. " (متى ٧/ ٥-٢٣)، فقد كانت ثمار بولس بدع الهلاك التي أدخلها في المسيحية: ألوهية المسيح،

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٣٩ – ٤١).

الصلب والفداء، عالمية النصرانية، إلغاء الشريعة. (١)

سادسًا: موقف التلاميذ من بولس:

وإذا كان بولس قد أنشأ البدع في النصرانية، وبدل دين المسيح كيفما شاء، فما هو موقف التلاميذ منه، وهل شاركوه التغيير والتبديل؟

بداية نذكر بأن بولس لم يتلق شيئًا من النصرانية من المسيح أو تلاميذه، فهو لم يصحبهم بل لم يُرَ منهم سوى بطرس ويعقوب ولمدة خمسة عشر يومًا، و ذلك بعد ثلاث سنين من تنصره، ثم عاد مرة أخرى إلى أورشليم، وعرض عليهم ما كان يدعو به بعيدًا عنهم يقول بولس: " ١ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أيضًا إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذًا مَعِي تِيطُسَ أيضًا. ٢وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ " (غلاطية ٢/ ١-٢) فماذا كان رد فعل التلاميذ؟ ". (٢)

وفي دراسة للكاردينال دانيلو عما يسمى بالمسيحية اليهودية أو المسيحية الأولى، نجده يقول: " كونت مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها.

إنهم يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق مسيحية يهودية بالعدو، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي، ولكن المسيحية اليهودية كانت تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة، وكان بولس منعزلًا في ذلك الوقت. . . وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعًا للنقاش، وإذا كان قد أُعتبر خائنًا لفكر المسيح، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا في القدس حول يعقوب، فذلك لأنه كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح حوله لنشر تعاليمه.

ولما لم يكن قد عرف المسيح في حياته، فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد على أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق "(٣)

---

(١) وانظر كلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٢/ ٨٣- ٨٤).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٤١ – ٤٢).

(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٩٩- ١٠٠)، وانظر " بولس وتحريف المسيحية " (٦٩ – ٦٨)

" ويمكن تلخيص موقف الحواريين وأتباع عيسى الحقيقيين من أفكار بولس أن نقول: إن ثمت صراعًا ضخمًا قام بين بولس وأنصاره من جانب وبين المسيحيين من جانب آخر، وقد طال مدى هذا الصراع، وامتد قرونا بعد وفاة بولس، ونتائج هذا الصراع كانت مطابقة للمنطق والعقل، ففي جانب بولس كانت قلة محدودة جدًا من المثقفين المسيحيين، وكثرة ساحقة من الجماهير وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس أي كان معهم جماهير المثقفين وقلة من العامة، أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها في جانب بولس وأتباعه، وابتداء من مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تهديدًا صريحًا لاتجاهات بولس، وإلزاما للناس باتباعها.

والذي يطالع رسائل بولس إلى الفليبيين والكولوسيين والغلاطيين ورسالته إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس يجد من ذلك الشيء الكثير، ويجد شيئًا آخر مهمًا هو سلوك بولس مع مخالفيه في الرأي وتحقيره لهم وإغراؤه بهم، وهاهي صورة سريعة لهذا الصراع من هذه الأقوال. "(١)

يقول بولس وهو ينقل لنا ردود أفعال التلاميذ: " فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. ٧بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. . . أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ. ١٠غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. " (غلاطية ٢/ ٧-١٠).

إذا كان ما يقوله بولس صحيحًا فإن التلاميذ أبعدوا بولس بعيدًا عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح وأوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم، وأما إرسال برنابا معه فيبدو أنه كان بقصد التوجيه والإصلاح لبولس، وهو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب.

ثم يسجل بولس في رسائله آراء تلاميذ المسيح والمسيحيين في مبادئه الجديدة ودعوته فيقول:

١ - "أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي" (تيموثاوس (٢) ١/ ١٥)، وقد انفض عنه الجميع،

فقد شرح بالتفصيل حالة الشقاق والخصام التي كانت بين بولس و التلاميذ.

(١) المسيحية أحمد شلبي (١١٨ – ١١٩).

لذا يستنجد بتيموثاوس فيقول: "بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعًا، [١٠]لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي، وَكِرِيسْكِيسَ إِلَى غَلاَطِيَّةَ، وَتِيطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ. [١١]لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي [١٤]إِسْكَنْدَرُ النَّحَّاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً. لِيُجَازِهِ الرَّبُّ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. [١٥]فَاحْتَفِظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيضًا، لأَنَّهُ قَاوَمَ أَقْوَالَنَا جِدًّا. [١٦]فِي احْتِجَاجِي الأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي. لاَ يُحْسَبْ عَلَيْهِمْ. " (تيموثاوس (٢) ٤/ ٩-١٦)، " لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَكِدُونِيَّةَ، لَمْ تُشَارِكْنِي كَنِيسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي حِسَابِ الْعَطَاءِ وَالأَخْذِ إِلاَّ أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ. " (فيلبي ٤/ ١٥).

هجوم بولس على معارضيه:

" والجواب على ذلك عجيب للغاية، فقد كان بولس قاسيًا عليهم حادًا، محقرًا شأنهم مغريًا بهم، ونحن نقتبس من رسائله نماذج تصور لنا موقف بولس من المسيحيين الآخرين:

١- يحذر بولس أنصاره من التلاميذ فيقول: " كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي مَعًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَارًا، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أيضًا بَاكِيًا، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، [١٩]الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ"، (فيلبي ٣/ ١٧-١٩) لقد رفض كثيرون دعواه صلب المسيح، فكان عاقبتهم اتهامات بولس لهم بالغواية وسلوك طريق الهلاك.

٢- وفي أنحاء متفرقة من رسائله يتحدث عن أولئك الرافضين لدعوته من غير أن يسميهم، فيقول في بعض ما تمتلئ به رسائله موصيًا تيموثاوس: "[٣] كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَمْكُثَ فِي أَفَسُسَ، إِذْ كُنْتُ أَنَا ذَاهِبًا إِلَى مَكِدُونِيَّةَ، لِكَيْ تُوصِيَ قَوْمًا أَنْ لاَ يُعَلِّمُوا تَعْلِيمًا آخَرَ، [٤]وَلاَ يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا، تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ اللهِ الَّذِي فِي الإِيمَانِ. [٥]وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ. " (تيموثاوس (١) ١/ ٣-٥).

٣- ويقول معتبرًا نفسه صاحب التعاليم الصحيحة للمسيح الذي لم يلقه: "[٣]إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا آخَرَ، وَلاَ يُوافِقُ كَلِمَاتِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الصَّحِيحَةَ، وَالتَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ حَسَبَ التَّقْوَى، [٤]فَقَدْ تَصَلَّفَ، وَهُوَ لاَ يَفْهَمُ شَيْئًا، بَلْ هُوَ مُتَعَلِّلٌ بِمُبَاحَثَاتٍ وَمُمَاحَكَاتِ

الْكَلاَمِ، الَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ الْحَسَدُ وَالْخِصَامُ وَالافْتِرَاءُ وَالظُّنُونُ الرَّدِيَّةُ، ٥وَمُنَازَعَاتُ أُنَاسٍ فَاسِدِي الذِّهْنِ وَعَادِمِي الْحَقِّ، يَظُنُّونَ أَنَّ التَّقْوَى تِجَارَةٌ. تَجَنَّبْ مِثْلَ هؤُلاَءِ. " (تيموثاوس (١) ٦/ ٣-٥)، ويقول منددًا بمخالفيه: " ٢اُنْظُرُوا الْكِلاَبَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ. " (فيلبي ٣/ ٢). "وتعليقنا على هذه الألفاظ التي ذكرها بولس في رسائله ضد الحواريين هو الدهشة أن تصدر مثل هذه الألفاظ من داعية ديني".

وعلى هذا المنوال تمتلئ رسائله بالهجوم على معارضيه من النصارى، فيتهمهم بسائر أنواع التهم من كفر ونفاق. . . (انظر كولوسي ٤/ ١٠-١١، فيلبي ٢/ ١٩-٣١، تيطس ١/ ٩-١٣، تيموثاوس (١) ١/ ٣-٧، ٢/ ٢٣، ٦/ ٢٠-٣٤) وغيرها.

٤- ويقول عن تلاميذ المسيح: " ٤وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، ٥اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً. . . . " (غلاطية ٢/ ٤-٥)، ومما يؤكد أن قصده التلاميذ لا غيرهم قوله: "٥اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً ".

٥- وينال بولس من بعض تلاميذ المسيح الذين يقول عنهم المسيح: "١٦لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ " (يوحنا ١٥/ ١٦)، لكن بولس ومدرسته لم تبق لهم ثمرًا، ولم تخلد لهم فكرًا ولا كتبًا، فيما سوى بعض الصفحات القليلة.

٦- ويتهم بولس بطرس كبير الحواريين بالرياء فيقول: " ١١وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا. . . ١٣وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أيضًا، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أيضًا انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! ١٤لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيًّا لاَ يَهُودِيًّا، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟ »" (غلاطية ٢/ ١١-١٤).

٧- ويقول منددًا ومحذرًا من أولئك الذين تركوا دعوته: " ١٦وَأَمَّا الأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ

الدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْهَا، لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ، ١٧وَكَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآكِلَةٍ. الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلِيتُسُ، ١٨اللَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ، قَائِلَيْنِ: «إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ» فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ. " (تيموثاوس (٢) ٢/ ١٨). (١)

سابعًا: موقف برنابا من بولس

وأما موقف برنابا من بولس فهو في غاية الأهمية، إذ لبرنابا علاقة متميزة ببولس، إذ هو الذي قدمه للتلاميذ المتشككين في توبة شاول الذي اضطهد الكنيسة ثم ادعى النصرانية. (انظر أعمال ٩/ ٢٦)، ثم صحبه ست سنوات في رحلته التبشيرية في قبرص وأنطاكية، ثم اختلفا بعد ذلك، وانفصل كل منهما عن الآخر فما سبب الاختلاف؟

يقول سفر أعمال الرسل: " قَالَ بُولُسُ لِبَرْنَابَا: «لِنَرْجِعْ وَنَفْتَقِدْ إِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ نَادَيْنَا فِيهَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ، كَيْفَ هُمْ». ٣٧فَأَشَارَ بَرْنَابَا أَنْ يَأْخُذَا مَعَهُمَا أيضًا يُوحَنَّا الَّذِي يُدْعَى مَرْقُسَ، ٣٨وَأَمَّا بُولُسُ فَكَانَ يَسْتَحْسِنُ أَنَّ الَّذِي فَارَقَهُمَا مِنْ بَمْفِيلِيَّةَ وَلَمْ يَذْهَبْ مَعَهُمَا لِلْعَمَلِ، لاَ يَأْخُذَانِهِ مَعَهُمَا. ٣٩فَحَصَلَ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَةٌ حَتَّى فَارَقَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ. وَبَرْنَابَا أَخَذَ مَرْقُسَ وَسَافَرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ. " (أعمال ١٥/ ٣٦-٣٩).

ولكن هل يعقل أن يكون هذا هو السبب في مشاجرة برنابا وبولس؟

يرفض المحققون هذا التبرير، ويرون أن الأمر أكبر من ذلك، فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره، فقد جاء في مقدمة إنجيله: "كانوا عديمي التقوى والإيمان الذين ضلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس" (برنابا، المقدمة/ ٢-٧).

ويرفض المحققون ما جاء في أعمال الرسل في تحرير سبب الخصام بين برنابا وبولس، ويرونه محاولة لإخفاء السبب الحقيقي، وهو الذي ذكره برنابا في إنجيله.

---

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٤١- ٤٤)، المسيحية (١٢٠- ١٢٣).

ويستدلون لرأيهم بأنه لا يعقل أن ينفصل الصديقان ويتشاجران بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما، خاصة أن بولس رضي فيما بعد برفقة مرقس، فقد أرسل إلى تيموثاوس يقول له: " خُذْ مَرْقُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ. " (تيموثاوس (٢) ٣/ ١٠).

وهو يوصي أخيرًا فيقول: "يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَرِسْتَرْخُسُ الْمَأْسُورُ مَعِي، وَمَرْقُسُ ابْنُ أُخْتِ بَرْنَابَا، الَّذِي أَخَذْتُمْ لأَجْلِهِ وَصَايَا. إِنْ أَتَى إِلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ. " (كولوسي ٣/ ١٠).

ورغم تراجع بولس عن عدم اصطحاب مرقس إلا أننا لم نسمع بتاتًا عن تحسن العلاقة بين بولس وبرنابا.

وقد اعترف القس بتر سمث بأن الخلاف بين الرجلين كان خلافًا فكريًا. (١)

إذن نستطيع القول بأن تلاميذ المسيح قد عارضوا دعوة بولس ووقفوا في وجهها، ودليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس، فقد اختفت كتاباتهم وحوربت، ولم ينج منها إلا إنجيل برنابا وإنجيل بطرس وإنجيل توما، إضافة إلى رسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد، والتي تمتلئ بمخالفة بولس وخاصة في مسألة الفداء.

كما اختفى ذكر الحواريين والتلاميذ من أعمال الرسل إلا قليلًا، فلا نكاد نعرف شيئًا عن هؤلاء الذين أرسلهم المسيح وعن دعوتهم سوى ما نقل إلينا لوقا عن مقاومة أهل أنطاكية لتبشير بطرس المخالف لبولس، وعن رحلة برنابا مع بولس، ثم اختفاء ذكرهما من رسائل العهد الجديد بعد مشاجرتهما مع بولس.

وهكذا فالعهد الجديد وضعه بولس وتلاميذه، وأبعدوا عنه كل ما يعترض نهجه وأفكاره، وطال هذا الإبعاد تلاميذ المسيح ورسله وحملة دينه إلى أمته.

ومما سبق نستطيع القول: إن دعوة بولس لم تلق ترحيبًا من التلاميذ وأتباعهم الذين واجهوا فكره المنحرف بصرامة لم تمنعه من نشر أفكاره في آسيا بعيدًا عن تلاميذ المسيح

---

(١) انظر: ما هي النصرانية، محمد تقي العثماني، (ص ١٧٦ - ١٨٤).

وأصفيائه الذين كانوا بحق حملة دينه والمبشرين بتعاليمه. [(١)]

ثامنًا: بدع بولس في النصرانية

" لقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود كما أدخل صورًا من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعا له من اليونان، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد، استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة. . .

" لقد أحدث بولس في المسيحية أحداثًا خطيرةً، . . ، وفي كلمة واحدة خلق دينًا جديدًا وسلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه، وطمس بذلك الديانة المسيحية الحقيقية. "[(٢)]

ونبرز هنا بإيجاز نقاطا كبيرة الأهمية كانت عماد ديانة بولس وهي تنقسم إلى قسمين:

أولًا: بدع في العقيدة.

ثانيًا: بدع في الشريعة.

أولًا: بدع العقيدة:

١-أن المسيحية ليست دينًا لبني إسرائيل فقط، بل هي دين عالمي.

يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أيضًا إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذًا مَعِي تِيطُسَ أيضًا. وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ " (٢/ ١- ٢). والشاهد في هذا النص هو اعتراف بولس الصريح بأنه يكرز أي (يبشر) ويذيع أقواله بين الأمم وليس فقط بين بني إسرائيل.

وفي نفس الوقت نجد نصوصًا تعارض أقواله تلك بعمومية الدعوة المسيحية، من ذلك ما نسب إلى المسيح عليه السلام أنه قال: ": «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (متى ١٥/ ٢٤).

ويقول أيضًا: " هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٤٤ – ٤٦).

(٢) انظر: المسيحية، أحمد شلبي، (ص ١١٦، ١٢٧، ١٢٩) بتصرف يسير، بولس وتحريف المسيحية (٤٧)، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف (١٣٩ – ١٤٦)، نظرة عن قرب في المسيحية (٢٣وما بعدها).

تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. ٦بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ " (متى ١٠/ ٥-٦).

٢-التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

فمن البدع التي ابتكرها بولس في النصرانية أنه نقلها من التوحيد إلى تأليه المسيح ﷺ، ثم تطورت بعد ذلك إلى ما هي عليه الآن من القول بالتثليث (الآب والابن والروح القدس) آلهة ثلاثة في واحد! ! ، وقد اكتمل القول بهذه العقيدة في " المجمع القسطنطيني الأول " عام ٣٨١م، والذي تقرر فيه ألوهية الروح القدس ". وبعد أن اختلق بولس القصة التي أراد أن يوهم بها المسيحيين بدأ يكرز في المجامع بأن المسيح ابن الله ". [(١)]

٣-كون عيسى ابن الله ونزوله ليضحي بنفسه تكفيرًا عن خطيئة البشر.

وهذه أيضًا من الأمور التي ابتدعها بولس في عقائد المسيحية، والذي قد زعم بأن عيسى هو ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – وذلك ليصلب ويفدي البشر تكفيرًا عن الخطيئة التي انتقلت إليهم وراثيًا من أبيهم آدم لأكله من الشجرة المنهي عنها! !

يقول في رسالته لأهل غلاطية: " ١أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا"(٣/ ١)

ويقول أيضًا: " ١٤وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ. " (رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٦/ ١٤).

ويقول في رسالته إلى أهل كولوسي: " ١٢شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، ١٣الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، ١٤الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. " (١/ ١٢- ١٤).

" والمسيحيون يحاولون التعليل لذلك: " بأن الله من صفاته العدل والرحمة، فبمقتضى عدله لابد من أن يعاقب آدم وذريته لتلك الخطيئة، وبمقتضى الرحمة لابد أن يعفوا عنهم،

(١) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (ص ٨٢).

لذلك فإنه لا يمكن تخليص البشر من ذنبهم المتوارث إلا بنزول ابنه الوحيد وتجسده ليصلب ويتألم ويفدي البشر ! ! ! ". [(١)]

"وفي الحقيقة أن هذه العقيدة لا تستحق المناقشة، ففسادها بيِّن، والعقل السليم يرفضها، فإذا كان اللهُ محبةً لم ترك بني آدم هذه الفترة الطويلة من غير أن يغفر لهم ويكفر خطيئتهم؟ وإذا كان الآب عادلًا فكيف يعاقب الذرية من آدم إلى المسيح عليه السلام بالبعد عن رحمته؟ وما ذنب الأبناء في إثم ارتكبه أبوهم؟

قال تعالى: " أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " (النجم/ ٣٨)، وقال تعالى " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة٨: ٧)"[(٢)]

٤-قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر.

ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: " ٣فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أيضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، ٤وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ " (١٥/ ٣- ٤)

وبولس هنا يحاول أن يؤكد ما يدعيه بأن ينسبه إلى الكتب، ولكن أي كتب؟ وأين هي هذه الكتب؟ فالإنجيل الأصلي للمسيح عليه السلام مفقود، وليس هناك شاهد أوثق منه. . . [(٣)]

ثانيًا: بدع الشريعة:

والمقصود بالشريعة: الفروع العملية كالعبادات والمعاملات وما إلى ذلك.

وقد تناول تحريف بولس الشريعة المسيحية أيضًا، وتحريفه للشريعة تابع لتحريفه للعقيدة. ومن تحريفاته للشريعة:

١-نسبة بعض أقواله للمسيح على أنها وحي منه وهو الإله وابن الإله كما يزعم -

---

(١) انظر: المسيحية، أحمد شلبي (١٥٩) بتصرف يسير.

(٢) التحريف والتناقض (٨٥).

(٣) المصدر السابق (٩١).

تعالى الله عمل يقولون علوًا كبيرًا – وأحيانًا ينسب التشريع لنفسه بالعبارات الصريحة، فمثلًا يقول: " ١٠وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ، فَأُوصِيهِمْ، لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ، أَنْ لاَ تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا، ١١وَإِنْ فَارَقَتْهُ، فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ، أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ. ١٢وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ: إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ، وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ، فَلاَ يَتْرُكْهَا. ١٣وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا، فَلاَ تَتْرُكْهُ. ١٤لأَنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُلِ. وَإِلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ نَجِسُونَ، وَأَمَّا الآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ. " (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٧/ ١٠ – ١٥) ففي النص السابق تصريح واضح في أن بولس هذا ينسب التشريع لنفسه خاصة عندما يقول: " فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ ".

٢-ومن مظاهر تحريفه للشريعة أيضًا ما يلاحظ اليوم من وجود المزامير والأغاني والتراتيل في الكنائس، وهذا – بلا شك – لم يُؤْثر عن المسيح عليه السلام ولم يأمر به ولا عن حوارييه وتابعيه، وإنما هو من ابتداع بولس المحرف.

يقول في رسالته إلى أهل أفسس: " ١٩مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ. ٢٠شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، للهِ وَالآبِ. " (٥/ ١٩ – ٢٠).

٣-اختلاقه للشعيرة والتي تعرف لديهم الآن (بالعشاء الرباني).

يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: " ٢٣لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أيضًا: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا ٢٤وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمُ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». ٢٥كَذلِكَ الْكَأْسَ أيضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي». ٢٦فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ. " (١١/ ٢٣ – ٢٦) ويعتقد بعض المسيحيين أن تناولهم لكسر الخبز الجاف وشربهم

لكأس الخمر أن الخبز يتحول إلى جسد المسيح، والخمر يتحول إلى دمه! ! ففي إنجيل يوحنا نص على لسان المسيح: " ٥١أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». (٦/ ٥١) ويقول أيضًا: ": «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. " (٦/ ٥٣).

ولا يخفى ما في هذا الاعتقاد من تحريف وتخريف، وبعد عن الحقيقة لا سيما بعد تقدم العلوم في عصرنا الحاضر.

٤- ومن تحريفاته في الشريعة أيضًا إلغاؤه فرضية الختان، واستبداله بأمر آخر وهو المعمودية. ومعناها كما يعرفها المسيحيون: " طقس الغسل بالماء رمزًا للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما "[1]

ويقول قاموس الكتاب المقدس " والمعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. . . ". [2]

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧)، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (٩٧ - ١٠٢).

(٢) وانظر تفصيل هذه المسألة في مبحث " أسرار الكنيسة السبعة " من الباب الخامس "متفرقات تتعلق بالعقيدة النصرانية ".

الفصل الثالث: المصادر الوثنية القديمة للعهد الجديد

تمهيد:

بعدما ثبت للمحققين عدم إلهامية الأناجيل والرسائل، وكذب الدعوى التي يروجها النصارى أن هذه الأناجيل إنما هي وحي الله الذي صاغه بعض البشر بعباراتهم وأساليبهم بعد أن ألهمهم روح القدس ما كانوا يكتبونه، تساءل المحققون عن مصدر هذه الأناجيل وعن علاقة مواد بعضها ببعض، وقدمت عدة نظريات للكشف عن هذا الأمر غاية ما يهمنا هنا الآن هو أن نثبت أن الوثنيات القديمة كانت مرجعًا مهمًا للإنجيليين وهم يصوغون قصتهم عن المسيح، خاصة تلك الأجزاء التي لم يشهدوها، كتلك المتعلقة بولادة المسيح أو صلبه المزعوم ومحاكمته.

فقد نقل المحققون عن علماء تاريخ الديانات أوجه شبه كثيرة التقت فيها روايات الأناجيل مع أقوال الوثنيات البدائية - التي سبقت وجود المسيحية بقرون طويلة - عن آلهتهم المتجسدة. [1]

أولًا: التثليث.

١-عند الوثنيين:

قال موريس: [2]كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي؛ أي أن الإله ذو ثلاثة أقانيم.

وقال (دوان): [3]

إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم الاهوتية هو التثليث أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم. ويدعون هذا التثليث بلغتهم (ترى مورتي)، وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريَّتين: أما (ترى) فمعناها: (ثلاثة)، و(مورتي) معناها: (هيئات) أو أقانيم، وهي (برهما وفشنو وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي: الرب

---

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٧٧- ٨١).

(٢) العادات الهندية (٣٥).

(٣) خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها في الأديان الأخرى (٣٦٦).

والمخلص وسيفا، ومجموع هذه الأقانيم الثلاثة: إله واحد. "

وقال موريس: [(١)]

لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم، دكّته مرور القرون، صنمًا له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، والمقصود منه التعبير عن الثالوث. "

ويوجد في كتابات (زورستر) سانن الشرائع الفارسية، هذه الجملة: الثالوث الاهوتي مضيء في العالم، ورأس هذا الثالوث موناد. "[(٢)]

وورد مثل ذلك عن الأشوريين والفينيقيين والإسكندنافيين والدردين والتتر الوثنيين والمكسيكيين والهندوس. . . وغيرهم الكثير ". [(٣)]

وأما التثليث عند النصارى:

فقد ورد في رسالة يوحنا الأولى (٥/ ٧): "٧فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. "

وورد في إنجيل يوحنا (١/ ١): " ١فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله. "

ثانيًا: التشابه بين الوثنيات وأسفار العهد الجديد فيما يخص ولادة الآلهة

(١) ولادة الإله (التجسد):

قال (دوان)[(٤)]:

" ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم.

قال توما موريس: " والهنديون يعظمون بلادهم لأنه ولد فيها الإله فشنو بالناسوت "

---

(١) العادات الهندية (٣٧٢).

(٢) الديانات القديمة (٢/ ٨١٩).

(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف/ محمد طاهر التنير (٥٥ - ٦٨) وهو أوفى مصدر في هذا الموضوع، وعنه نقل من بعده، وانظر أيضًا: أصول المسيحية كما يصورها القرآن (٢٠٨)، المسيحية، أحمد شلبي (١٨٠ - ١٨٨).

(٤) المصدر السابق.

قال (دوان): " والإله بوذا المولود من العذراء مايا الذي يعبده بوذيو الهند وغيرهم يقولون عنه أنه ترك الفردوس، ونزل على الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس. . . "

والصينيون يعتقدون بآلهة تجسدت، منها: " فوهي وستين نونك "، وهوانكتي.

" ويقول المصريون إن حورس المخلص ولد من العذراء " إيزيس " وأنه المنبثق الثاني من عامون، ويقولون الابن المولود، ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها. . . "

وكذلك اليونانيون كانوا يدعون أبطالهم في القرون الماضية آلهة وأولاد الآلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن بعد موتهم انضموا مع الآلهة. . . . "

قال دوان: " وكان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ويعبدونهم ويقيمون لهم التماثيل "

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية سمعان السامري الملقب " ماغوس " أو " الساحر " وكان معاصرا للمسيح ﷺ، وقالوا إنه عمل آيات وعجائب مدهشة "

وكانت الأمم الساكنة بشمالى أوروبا كالاسوجبين والنروجيين والهولنديين وغيرهم يصفون أبطالهم بالألوهية وأنهم أولاد الإله " أودين "، وقد وصفوا الشعراء بالألوهية أيضًا.

ويقولون إن تورهو أول مولود ولد من الإله أودين، ويقولون عن " بلددر" إنه: " الصالح " و " المخلص " و" ابن الإله أودين وأمه الإلهة فريجا ".

وكذا سكان المكسيك،. . . ، يعبدون إلها مخلصا اسمه " كوتز لكوتل " ولد من عذراء بتول طاهرة. . . " وأيضًا سكان " نيكازكو "، وسكان " البيرو "، وسكان اديو سيو كلفرينا " وغيرهم كثير كلهم يعتقدون بوجود الإله الذي حل في الناسوت.

وأما عند النصارى:

فكما هو مشهور عنهم أن مريم هي والدة الإله، كما ورد عند الوثنيين، وهم يتضرعون لها وينشدون لها الأناشيد تعظيما لها، ويتضرعون إليها في أيام مخصوصة يسمونها " الأيام المريمية "، ويلقبونها: " ملكة السماء، ووالدة الإله الممتلئة نعمة، وصاحبة المجد على الأرض وفي السماء وما شاكل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه، وجاء في إنجيل لوقا (١/ ٢٨): " وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ».

وقد صار القول بأنها والدة الإله في مجمع أفيسوس سنة ٤٣١ بعد المسيح.

قال " دوان " ما ملخصه: " كما نجد عند الوثنيين والدات للإلهة يعظمونهن ويلقبونهن بألقاب التمجيد والتفخيم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم. . . ". [١]

(٢) ظهور النجوم عند ولادة الآلهة

يقول بنصون في كتابه " الملاك المسيح "[٢]: "لقد جاء في كتب البوذيين المقدسة عندهم أنه قد بشرت السماوات بولادة بوذا بنجم ظهر مشرقًا في الأفق، ويدعونه في هذه الكتب المذكورة " نجم المسيح " ومثل هذا نقله المؤرخ بيال.

وأما المؤرخ ثورنتن في كتابه " تاريخ الصينيين "[٣]، فينقل أنه عند ولادة " يو " المولود من عذراء ظهر نجم في السماء دل عليه، ومثله حصل عند ولادة الحكيم الصيني لاوتز.

يقول القس جيكس في كتابه " حياة المسيح ": " وعم الاعتقاد في الحوادث الخارقة للعادة، وخصوصًا حين ولادة أو موت أحد الرجال العظام، وكان يشار إلى ذلك بظهور نجم أو مذنب أو اتصالات بين الأجرام السماوية".

ولقد تحدث متى عن ولادة المسيح فقال: "١وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». ٩فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. ١٠فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. ١١وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. "(متى ٢/ ١ - ١١).

وكما استدل الوثنيون بالنجوم على محل ولادة آلهتهم، كذلك فعل المجوس حينما ولد

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٩٣- ١٠٨) بتصرف.

(٢) الملاك المسيح (٢٢، ٢٣، ٣٣).

(٣) تلريخ الصين (١/ ١٧٣).

يسوع المسيح، غير أننا لا نعلم إن كان ذلك النجم ذات النجم الذي دل الحكماء على محل ولادة أبناء الآلهة الذين مر ذكرهم، أم غيرها، كما أننا لا نعلم أنه هل كان من هذه النجوم المنتشرة في الفضاء البعيدة عنا ملايين الأميال والتي هي أعظم من الأرض بملايين المرات، أو صار إيجاده حديثا لأجل هذه الغاية خاصة، أي للدلالة على محل ولادته، وكم كانت مسافة اقترابه من الأرض، وكيف لم يحصل بإيجاده خلل في ناموس الجاذبية؟!. [1]

(٣) الجنود السماوية التي أظهرت تسبيح الله وتقدسه عند ولادة أحد الآلهة

١ـ عند الوثنيين:

جاء في كتاب " فشنو بورانا " ما نصه: " عندما كانت العذراء ديفاكي حبلى بحامي العالم، مجَّدها الآلهة، ويوم ولادتها عمت المسرات، وأضاء الكون بالأنوار وترنمت آلهة السماء ورتلت الأرواح، ولما ولد " عون الجميع " شرعت الغيوم ترتل بألحان مضطربة وأمطرت أزهارًا "

ومثل هذا يقال عن ولادة بوذا، وأنه سمع سكان الأرض أنغام موسيقى مطربة، وأمطرت السماء أزهارًا وعطرًا، وهبَّ نسيم لطيف، وأضاء نور عجيب. "

قال السرجون فرنسيس دافس: " والصينيون يقولون: ظهرت علامات سماوية قبل ولادة كونفشيوس الفيلسوف الصيني، وفي المساء الذي ولد فيه سمعت أمه بأذنها نغم موسيقى سماوية ".

قال العلامة بونويك[2]: " ويقول المصريون القدماء أنه عند ولادة " أوزيريس " سُمع منادٍ يقول: ولد رب لنا اسمه أوزيريس وبعضهم يقول إنه بينما كانت امرأة ذاهبة لتملأ ماء لهيكل عمون بمدينة تيبس سمعت هذا النداء، وأُمرت كي تنادي به بأعلى صوتها وهو سيولد الإله أوزيريس " وكذلك قيل عند ولادة " أبولو "، " أبو لونيوس " وغيرهم.

٢ـ وأما عند النصارى:

فقد قالوا مثل قول هؤلاء الوثنيين عن ولادة يسوع المسيح غير أننا لا نعلم إن كانت

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (١١١ - ١١٣).

(٢) اعتقاد المصريين (٣٢٥).

تلك الجنود السماوية أكثر عددًا حين ولادة أبناء آلهة الوثنيين، أم كانت أكثر عددًا حين ولادة إله النصارى، أم كانت متساوية العدد في كافة الأوقات، لأن جميع المولودين بحسب زعمهم أبناء آلهة أتوا ليفدوهم بدمهم، ولم يتعرض لذلك أحد بحسب علمنا، فلعل الزمان المستقبل يوسع هذه الدائرة، وهاك ما في العهد الجديد.

ورد في إنجيل لوقا (٢/ ١٣ – ١٤): " ١٣وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: ١٤«الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ». "[(١)]

(٤) هدايا للآلهة المولودة

١ـ عند الوثنيين:

من الأقاصيص الكرشنية: أن هذا الطفل الإلهي وضع بمهد بين الرعاة وهم أول من عرف عظيم جلاله الدال على ألوهيته، وعرفوه أنه المخلص الموعود به، وقد أعطى الرعاة لكرشنا هدايا من خشب الصندل والطيب.

"ومسرا" مخلص العجم والوسيط بين الله والناس، لما وُلد زاره الحكماء المدعوون مجوسا، وأعطوه هدايا من الذهب والطيب والحنظل.

وبحسب رواية أفلاطون " أنه لما ولد سقراط (قبل المسيح ب ٤٦٩ سنة) أتى إلى محل ولادته ثلاثة رجال مجوس من الشرق وأهدوه ذهبًا وطيبًا ومأكولًا مرًا ".

والمخلص (اسكولابيوس) المولود من عذراء، حمته المعز من السوء لأنها عرفته عند رؤيتها إياه - أنه إله - وشاع خبر ولادته العجيب، وأتى الناس من كل مكان ليشاهدوه ويسجدوا له.

٢ـ عند النصارى:

وكما حدث لهؤلاء، حدث ليسوع المسيح، فقد جاء في إنجيل متى (٢/ ١- ١١): " ١وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». ٩فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ

---

(١) المصدر السابق (١١٧ – ١١٩).

حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. ١٠فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. ١١وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. "

ومثله في إنجيل لوقا الإصحاح الثاني غير انه يقول: إن الذين رأوا نجمه رعاة وليسوا مجوسًا.[1]

(٥) مكان ولادة الآلهة

١ـ عند الوثنيين:

يقولون " ولد كرشنا في غار، وبعد ولادته وضع في حظيرة غنم وربَّاه أحد الرعاة الأمناء "، " وهوتسي " ابن السماء – عند الصينيين – تركته أمه وهو صغير وأحاطت به البقر والغنم وحمته من كل سوء باعتناء تام ".

" وباخوص " ابن الإله المولود من العذراء سميل، ولدته أمه في غار، ويقال عنها ولدته في مكان آخر، ومن بعد ولادته أتت به إلى الغار.

" وسكولابيوس " ابن الإله المولود من العذراء " كودنيس " تركته أمه حينما وضعته بالجبل ووجده راعي ماعز فرباه واعتنى به.

" وروبولس " ابن الإله المولود من العذراء (ريا سلفيا) تركته أمه وهو طفل على ضفة نهر (التيبر) ووجده الرعاة فربوه واعتنوا به.

وهكذا قيل أيضًا عن كلٍ من: " أدوني "، " متراس "، " أتيس"، " باخوص "، " أبولو " وغيرهم.

٢ـ عند النصارى:

في إنجيل لوقا (٢/ ١٥ – ١٧): " ١٥وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرجال الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ». ١٦فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ. ١٧فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. " فكما ولدت آلهة الرومانيين واليونانيين

---

(١) المصدر السابق (١٢٣ – ١٢٥).

والبوذيين والبرهميين وغيرهم ولد إله المبشرين أي يسوع، ولنعم القول والمقابلة، وصدق الله تعالى: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج/ ٤٦). [(١)]

ثالثا: تشابه قصة الصلب (تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة).

١ـ عند الوثنيين:

كان الوثنيون القدماء يقدمون البشر ذبيحة أيضًا، والغالب عندهم تقديم الأرقَّاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة، وليس هذا فقط، بل ونفس أولادهم.

قال (دوان): ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، على رأيهم قد تحرك شفقةً وحنوًا – كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

وقد صور الراهب جورجيوس الإله (أندرا) الذي يعبده أهالي النيبال مصلوبًا [(٢)]

" ويدعون بوذا الطبيب العظيم، ومخلص العالم والممسوح، والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر. . "

"ويعد المصريون القدماء أوزيريس أحد مخلصي الناس وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهادًا، وبمقاومته للخطايا يُقهر ويُقتل ".

قال (دوان): " وكان الوثنيون يدعون (بوخص) ابن المشتري من العذراء: المخلص، الابن الوحيد، الذبيح حامل الخطايا، الفادي. . . "

وكان الفرس يدعون مترا: " الوسيط بين الله والناس، والمخلص الذي بتألمه خلَّص الناس ففداهم " ويدعونه الكلمة، والفادي. . . "

وعبد المكسيكيون إلهًا مصلوبًا دعوه المخلص والفادي ويدعون ابن الله بلغتهم " باكوب " و" أبوكو ".

ولعل أوضح هذه القصص شبهًا بقصة المسيح أسطورة إله بابل "بعل".

---

(١) المصدر السابق (١٢٨ – ١٣٢).

(٢) Tibtetinum alphabetum (٢٠٣).

ونرى الآن صور التشابه بين قصة صلب بعل البابلي وصلب المسيح.

نقل المؤرخ "فندلاي" وغيره مقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية، وما قيل عن المسيح في المسيحية. ويوضح ذلك الجدول التالي:

محاكمة عيسى عليه السلام	محاكمة بعل
١ - أخذ عيسى أسيرًا.	١ - أخذ بعل أسيرًا.
٢ - وكذلك حوكم عيسى.	٢ - حوكم بعل علنًا.
٣ - اعتُدي على عيسى بعد المحاكمة.	٣ - جرح بعل بعد المحاكمة.
٤ - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.	٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل.
٥ - وكان مع عيسى قاتل اسمه: "باراباس" محكوم عليه بالإعدام، ورَشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام. ولكن اليهود طلبوا العفو عن "باراباس" وإعدام عيسى.	٥ - كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت. وقد طلب الشعب إعدام بعل، والعفو عن المذنب الآخر.
٦ - عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.	٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد، واضطرب الناس.
٧ - وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.	٧ - حُرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه
٨ - مريم المجدلية، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.	٨ - الأمهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه.
٩ - قام عيسى من مقبرته في يوم أحد، وفي مطلع الربيع أيضًا، وصعد إلى السماء.	٩ - قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية فيما يبدو عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا

من بابل.[1]

وومما يؤكد وصول هذه القصة إلى الفكر اليهودي ثم المسيحي أن التوراة ذكرت ما يدل على شهرة مثل هذه القصة ففي سفر حزقيال "[14]فَجَاءَ بِي إِلَى مَدْخَلِ بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ، وَإِذَا هُنَاكَ نِسْوَةٌ جَالِسَاتٌ يَبْكِينَ عَلَى تَمُّوزَ. " (حزقيال ٨/ ١٤)، وتموز هو الإله البابلي الذي قتل لأجل خلاص البشر، ثم قام من بين الموتى.[2]

٢ـ الصلب عند النصارى:

وهذه المسألة والاعتقاد بالفداء – عند النصارى – رأس الإيمان.

وقد جاء ذكر الصلب في إنجيل متى: الإصحاح ٢٧، وإنجيل مرقس الإصحاح ٥، وإنجيل لوقا الإصحاح ٢٣، وإنجيل يوحنا الإصحاح ١٩، فلا حاجة للنقل منها لشهرتها، ولكن نذكر آية واحدة مثالًا لما في الأناجيل عن الصلب.

ففي غلاطية (٣/ ١٣): " [13]اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». "[3]

(١) غرائب ترافق موت الآلهة.

وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثنية مشابهة.

فقد ذكر متى أحداثًا غريبة عدة، صاحبت موت المسيح حيث يقول: " [45]وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. [46]وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. . . [51]وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، [52]وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ [53]وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ. " (متى ٢٧/ ٤٥ – ٥٣).

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة:

---

(١) المسيحية، أحمد شلبي (١٨٢ – ١٨٣).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٨٥).

(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٧٤ – ٨٤).

من ذلك: أن الهنود يقولون: " لما مات "كرشنا" مخلصهم على الصليب، حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار، وأمطرت السماء نارًا ورمادًا، واندلعت ألسنة اللهب وصارت الشياطين تفسد في الأرض، وشوهد عند غروب الشمس وشروقها ألوف من الأشباح تتحارب في الهواء في كل جانب ومكان ".

وقال هيجن[1]: " إن عباد بروسيوس يقولون إنه لما صلب على جبل قوقاسوس، اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض واشتد دوي الرعد ولمعان البرق ومزقت الرياح الشديدة ما في الفضاء كل ممزق. . ".

والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته، معروف عند الرومان واليونان.

كما ينقل المؤرخ "كنون فرار" في كتابه "حياة المسيح"، والمؤرخ جيبون في تاريخه أن عددًا من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول: " لما قتل المخلص اسكولابيوس، أظلمت الشمس، واختبأت الطيور في أوكارها. . . لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا ".

وكذلك قيل عند موت كونز لكوتل إله المكسيكيين القدماء، وغيره من الألهة المعبودة باطلًا.

وعليه فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات.[2]

(٢) طلب الملوك والجبابرة قتل الآلهة المتجسدة وكيف خلاصها منها

١ـ عند الوثنيين:

قال جوكوت اشوندر جنجولي[3](وهو أحد الوثنيين المتنصرين في الهند): " يعتقد الهنود أنه لما ولد كرشنا سمعوا صوت منادٍ من السماء يقول لحاضنه قم وخذ الولد واهرب به واقطع نهر الجومتا، ففعل كما أمر؛ لأن الملك قانصا كان قاصدًا إهلاك الطفل المخلص،

---

(١) أنجلو ساكسون (١/ ٦١٦).

(٢) المصدر السابق (٨٧ – ٨٨)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٨٧).

(٣) حياة وتقاليد الهنود (١٣٤).

وقد أرسل الملك المذكور رسلًا من مملكته كي يقتلوا كل مولود ذكر ".

قال هيجين: " ويعتقد الهنود الوثنيون أنه لما ولد كرشنا أخذوه بالليل وهربوا به إلى بلاد بعيدة عن محل ولادته خوفا من الملك الجبار. . . "

وكذلك قيل عن " سلفاهانا " (وكان يعبده سكان أهالي كامورين بالهند)، وقيل أيضًا عن " بوذا "، و" هاأوكي " (معبود الصينيين)و "حورس " (معبود المصريين)، و" تيروس " ملك الفرس " و" زورستر" (مؤسس ديانةالمجوس) وغيرهم كثير.

٢ـ عند النصارى:

ويعتقد النصارى أن هيرودس أراد قتل المسيح ولكن الله نجاه منه، ففي إنجيل متى (٢/ ١٣): " ١٣وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». "(١)

(٣) دماء الآلهة المسفوحة

وليست مسألة المخلص فقط هي التي نقلها بولس عن الوثنيات، فقد تحدث أيضًا عن دم المسيح المسفوح فقال: "٢٥الَّذِي قَدَّمَهُ الله كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ" (رومية ٣/ ٢٥)، ويقول: " وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ " (رومية ٥/ ٩)، " أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ " (كورنثوس (١) ١٠/ ١٦).

ويقول: "٧الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا " (أفسس ١/ ٧).

وفي موضع آخر يتحدث عن ذبح المسيح: " لأَنَّ فِصْحَنَا أيضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. "، " (كورنثوس (١) ٥/ ٧)، ومثل هذه النصوص تكثر في رسائل بولس وغيرها من الرسائل.

لكن النصارى يتغافلون عن مسألة هامة هي أن المسيح لم يذبح، فالأناجيل تتحدث عن موت المسيح صلبًا لا ذبحًا، الموت صلبًا لا يريق الدماء، ولم يرد في الأناجيل أن المسيح نزلت منه الدماء سوى ما قاله يوحنا، وجعله بعد وفاة المسيح حيث قال: " ٣٣وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا

---

(١) المصدر السابق (١٣٩ - ١٤١).

إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. [٣٤] لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. " (يوحنا ١٩/ ٢٣ - ٢٤). وهو ليس ذبحًا بكل حال.

يقول ولز: " إنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلبًا لا يكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق، فتصوير يسوع في صورة المراق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بُعدًا عن الدقة ".

ولكن هذه النظرة إلى الله، بأنه لا يرضى إلا بأن يسيل الدم نظرة قديمة موجودة عند اليهود وعند الوثنيين قبلهم، ففي التوراة تجد ذلك واضحًا في مثل قولها: "[٢٠] وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، [٢١] فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ " (تكوين ٨/ ٢٠ - ٢١).

ومثله في محبة المحرقة وذبائحها والتنسم برائحتها قول العهد القديم: " [٢٦] وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ، وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَدَعَا الرَّبَّ فَأَجَابَهُ بِنَارٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. " (الأيام (١) ٢١/ ٢٦).

وهكذا فإن التصور اليهودي للإله مشبع برائحة الدم يقول أرثر ويجال: " نحن لا نقدر أطول من ذلك قبول المبدأ اللاهوتي المفزع الذي من أجل بعض البواعث الغامضة وجوب تضحية استرضائية، إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة، وإلا ما نتصوره عنه ككلي المحبة".

ويرى المحققون أن ادعاء إهراق دم المسيح مأخوذ من الديانة المثراسية حيث كانوا يذبحون العجل ويأخذون دمه، فيتلطخ به الآثم، ليولد من جديد بعد أن سال عليه دم العجل الفدية. (١)

رابعًا: التشابه في قيامة الآلهة بعد الموت.

(١) قيام الآلهة من بين الأموات.

ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات،

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٨٥- ٨٧)، مسيحية بلا مسيح (ص ٤٥).

فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت، فقد جاء في إنجيل متى(٢٨/ ٥- ٧) " ٥فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. ٦لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. ٧وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. "

ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود، حيث قالوا في كرشنا: "هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات "، وكذا يقول عُبّاد بوذا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض " حتى إن مهاويو (الإله العظيم) حزن ونادى: قم أيها المحب المقدس فقام كام (أي بوذا) حيًا، وبُدلت الأحزان والأتراح بالأفراح، وهاجت السماء، ونادت فرِحة: عاد الإله الذي ظُن أنه مات وفُقد. "، ومثله يعتقده الصينيون في إلههم (لأوكيون)، والمجوس في (زورستر).

ويقول عابدو (سكولابيوس) في القصيدة التي حكت عن حياته " أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهبُّ مَن في القبور. . . . وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافرًا وتصير إلهًا " وعن تموز يقول البابليون: "ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات".

ومثل هذا الاعتقاد، سرى في كثير من الوثنيات قبل المسيحية، فقد قيل بقيام أوزوريس، وحورس، ومتراس، وباخوس، وهرقل، وكوتز لكوتل، ويلدور، وغيرهم، فكل هؤلاء قال عُبّادهم بقيامتهم من الموت. ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد. ويقول المؤرخ مهامي: " إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله ". (١)

(٢)نزول الآلهة إلى الجحيم من أجل تخليص الأموات من الجحيم.

١ـ عند الوثنيين:

يعتقد الوثنيون أن آلهتهم المتجسدين نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات.

ورد ذلك عن " كرشنا "، " زورستر"، "أدونيس"، " باخوص "، "هرقل "

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (١٥٨ – ١٦٣)، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر (ص ١٦).

"عطارد"، " بالدور"، "كوتز لكزتل" وغيرهم من آلهة الوثنيين.

٢ـ عند النصارى:

وكما قال الوثنيون عن آلهتهم قالت النصارى عن يسوع أنه نزل إلى الجحيم ليخلص المعذبين فيها أيضًا.

ففي أعمال الرسل: " ٣١سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا. " (أعمال ٢/ ٣١).

ويقول بطرس: "١٩الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ" (بطرس (١) ٣/ ١٩).

يقول القديس كريستوم في سنة ٣٤٧م: " لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر ".

ويقول القديس كليمندوس السكندري: " قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض، كي يؤمنوا به ويخلصوا أينما كانوا " وبمثله قال أوريجن وغيره من قديسي النصارى. (١)

ولما وصل النصارى إلى أمريكا الوسطى، وجدوا فيها أديانًا شتى، فخفّ القسس لدعوتهم للمسيحية، فأدهشهم بعد دراستهم لهذه الأديان أن لها شعائر تشبه شعائر المسيحية، وخاصة في مسائل الخطيئة والخلاص. (٢)

(٣) قيامة وعودة الآلهة من الموت للحساب والجزاء

١ـ عند الوثنيين:

يعتقد الصينيون أن مخلصهم وحاميهم فشنو الذي ظهر بالناسوت باسم كرشنا سيأتي ثانية في الأيام الأخيرة.

ويعتقد البوذيون بظهور بوذا مرارا عديدة بالناسوت ليؤهلهم، ويعلمهم باتحادهم بذاته المحيطة، وأنه في الأيام الخيرة يأتي أيضًا.

وأتباع بوخص ينتظرون مجيئه مرة ثانية ليحكم على الدنيا ويعيد إلى الناس السعادة.

---

(١) المصدر السابق (١٥١ – ١٥٣)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٩٢).

(٢) أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا (ص ٨٧).

والأثونيون كانوا منتظرين مجيء بطلهم " كالو يبوك " ثانية لكي يخلصهم من ظلم الألمانيين، فقد تحدث المؤرخون عن قول المصريين بقيامة مخلصهم بعد الموت، وأنه سيكون ديان الأموات يوم القيامة.

ويذكر هؤلاء في أساطيرهم أن أوزوريس حكم بالعدل، فاحتال عليه أخوه وقتله، ووزع أجزاء جسمه على محافظات مصر، فذهبت أرملته إيزيس، فجمعت أوصاله من هنا وهناك، وهي تملأ الدنيا نحيبًا وبكاءً، فانبعث نور إلى السماء، والتحمت أوصال الجسد الميت، وقام إلى السماء يمسك بميزان العدل والرحمة. وقيل مثل ذلك عن " الثلتيون "، " الاسكندنافيون"، " وأصحاب كوتز لكوتل"

٢ـ عند النصارى:

وكذلك قال النصارى أنه سيجيء المسيح مرة ثانية إلى هذا العالم. فقد جاء في إنجيل متى (٢٤/ ٢٧): " ٢٧لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. "

وجاء في أعمال الرسل (١/ ١٠ -١١): " ١٠وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، ١١وَقَالاَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ». "

وفي إنجيل مرقس (١٣/ ١٦): " ٢٦وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ".

وفي إنجيل يوحنا (٥/ ٢٧): " ٢٧وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيضًا، لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ. "[1]

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (١٦٧ – ١٧٠). تنبيه: ينبغي التفريق بين ما يقوله النصارى عن عيسى عليه السلام من أنه سيعود إلى هذه الدنيا ليحاسب الناس على أعمالهم – وبين ما يعتقده المسلمون – من أن عيسى لم يصلب ولم يمت وسينزل في آخر الزمان ليفعل ما قاله النبي محمد ﷺ كما ورد عنه في صحيح البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (ح ١٥٥) " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا

خامسًا: تشابهات أخرى.

(١) القول عن الآلهة المتجسدة أنها من سلالة ملوكانية.

١ـ عند الوثنيين:

يعتقد الهنود أن كرشنا مخلصهم من سلالة ملوكانية، وأنه ولد بحال التواضع والانكسار، ويعدون أجداده من جهة أمه، وأما من جهة أبيه فإنه مكث ابن الإله أجيالا كثيرة.

ويقولون عن بوذا أنه من سلالة ملوكانية من بيت سقيا، وهم أسمى وأشهر أسباط البرهميين الذين حكموا في بلاد الهند.

وفوحي ابن السماء المولود من عذراء هو من عائلة ملوكانية حكمت الصين في القرون الخالية.

ويقول الصينيون عن كونفشيوس إنه من عائلة ملوكانية.

وهركلوس كان من عائلة ملوكانية، وباخوص ابن الإله كان من عائلة ملوكانية، ويوسيوس ابن العذراء دانيا كان من عائلة ملوكانية.

واسكوبليوس ابن الإله صاحب الآيات والعجائب كان من نسل ملوكاني، ويوجد غيرهم كثيرون ممن يقال عنهم عند الوثنيين أنهم آلهة وأبناء آلهة وكلهم من سلالة ملوكانية.

٢ـ عند النصارى:

وكما قال الوثنيون في آلهتهم كذلك قال النصارى في يسوع المسيح أنه من سلالة ملوكانية ويصلون نسبه بداود الملك كما هو مذكور في إنجيل متى (الإصحاح الأول) وإنجيل لوقا الإصحاح الثالث، هذا عدا الأعداد الكثيرة الموجودة في الأناجيل المدعو فيها " ابن داود "، حتى أن الشياطين كانت تدعوه " ابن داود " عندما يخرجها من الناس وغير ذلك، وهاك مثال على هذا الكلام.

ففي إنجيل متى (٢٢/ ٤١- ٤٢): " [٤١]وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ [٤٢]قَائِلًا: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ » قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ». "[١]

(٢) تجربة الشيطان لأبناء الآلهة.

فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

(١) المصدر السابق (١٣٥ – ١٣٦).

١ـ عند الوثنيين:

جاء في كتاب "حياة بوذا الصيامية " تأليف مونكيور كونوي الصيني[1]: " والكائن العظيم بوذا جرَّد نفسه في الزهد لدرجة عدم الأكل (أي صام)، والتنفس أيضًا. . . فأتى الأمير مارا (أي أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا مرارًا عديدة مدعيًا الشفقة والحنو عليه، وقال لبوذا: " انتبه ياأيها الكائن العظيم فإن حالتك محزنة لكل من يراك، وقد نحلت لحد لا يوصف. . . فإنك تمارس الرذيلة وتعانيه باطلًا وإني أرى ألا تبقى هنا كثيرًا. . . "، فأجابه الكائن العظيم بوذا: " انتبه يا مارا (أي يا أمير الشياطين)، . . . ، تروم إجباري على ترك الناس بغير مرشد حتى لا يكونون في مأمن من دهائك، فاذهب عني "

وجرَّب الشيطان زروستر ووعده بمواعيد عظيمة إذا اطاعه واعتمد عليه، ولكن تجاربه ذهبت سدى.

وجرَّب الشيطان أيضًا " كوتز لكوتل " مخلص البرازيليين المولود من عذراء وصام أيضًا أربعين يومًا.

وكان اليونانيون حينما يريدون معرفة الأسرار الخفية يصومون ويمتنعون عن تناول الطعام الطيب، وينامون على وسادات صلبة خشنة، وبعد ثلاثة أو أربعة أيام من الصوم يتناولون طعامًا مقدسًا (أي باركته كهنتهم).

٢ـ عند النصارى:

جاء في إنجيل متى (٤/ ١ – ١١): " ١ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. ٢فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. ٣فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». ٤فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ٥ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، ٦وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ».

---

(١) (ص ٤٤، ١٧٢، ١٧٣).

[٧] قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيضًا: لاَ تُجَرِّب الرَّبَّ إِلهَكَ». [٨] ثُمَّ أَخَذَهُ أيضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، [٩] وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». [١٠] حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». [١١] ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ. "[١]

(٣) العمادة لإزالة الخطيئة

١ـ عند الوثنيين:

قال امبرلي وبنصون وهيجين وليلي ما ملخصه: " عندما يُعمِّدون الأطفال في الهند ومنغوليا وتيبت يوقدون الشموع ويحرقون البخور على المذابح وتقرأ الكهنة صلوات مخصوصة، ثم يغطسون الطفل في الماء ثلاث مرات "

وكذلك يحدث عند البرهميين واليونانيين والرومانيين والمصريين.

وأتباع " زورستر" يعمدون أولادهم سواء كانوا أطفالا أو مراهقين.

وقال الدكتور " هيد ": " وكانت العمادة عند القدماء إما غمسًا بالماء أو رشًا، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية، ويعدون الأنفس زكية سعيدة من بعدها. "

وكان وثنيو السويد والنرويج والدانمارك يعمدون أولادهم بصب الماء عليهم، ثم يسمونهم " وكذلك جاء عن المكسيكيين القدماء.

وقال " لندي": " إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جدًا فقد كان شائعًا في آسيا وأمريكا، وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث في الهيكل المدعو " هيكل الصليب " بصب الماء من إبريق وكانوا يدعون ماء العمادة — " ماء الولادة الثانية ".

٢ـ عند النصارى:

والعمادة عند النصارى سر من أسرار الكنيسة السبعة، وقد ورد ذكرها في الأناجيل، فمنها ما ورد في إنجيل مرقس (١/ ٩): " [٩] وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ. [١٠] وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ،

---

(١) المصدر السابق (١٤٥ — ١٤٧).

وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ. "

وورد في إنجيل متى (٣/ ١١): "١١أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلًا: «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. "

وفي إنجيل مرقس (١٦/ ١٦): "١٦مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. "[١]

(٤) التشابه في فكرة الفادي بين الوثنيات القديمة والنصرانية.

وكذلك سرت في الوثنيات فكرة الفادي والمخلص الذي يفدي شعبه أو قومه، وكانت الأمم البدائية تضحي بطفل محبوب، لاسترضاء من تسميهم آلهة السماء، وفي تطور لاحق أضحى الفداء بواسطة مجرم حكم عليه بالموت، وعند البابليين كان الضحية يلبس أثوابًا ملكية - كتلك التي ألبسها النصارى للمسيح في قصة الصلب -، لكي يمثل بها ابن الملك، ثم يجلد ويشنق.

وعند اليهود خصص يوم للكفارة يضع فيه كاهن اليهود يده على جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكب بنو إسرائيل من مظالم، فإذا حمل الخطايا أطلقه في البرية.

وأما فكرة موت الإله فهي عقيدة وثنية حيث كان العقل اليوناني يحكم بموت بعض الآلهة.

والفداء عن طريق أحد الآلهة أو ابن الله أيضًا موجودة في الوثنيات القديمة كما وقد ذكر السير آرثر فندلاي في كتابه " صخرة الحق " أسماء ستة عشر شخصًا اعتبرتهم الأمم آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم. منهم: أوزوريس في مصر ١٧٠٠ ق. م، وبعل في بابل ١٢٠٠ق. م، وأنيس في فرجيا ١١٧٠ ق. م، وناموس في سوريا ١١٦٠ ق. م، وديوس فيوس في اليونان ١١٠٠ ق. م، وكرشنا في الهند ١٠٠٠ ق. م، وأندرا في التبت ٧٢٥ ق. م، وبوذا في الصين ٥٦٠ ق. م، وبرومثيوس في اليونان ٥٤٧ ق. م، ومترا (متراس) في فارس ٤٠٠ ق. م.[٢]

ولدى البحث والدراسة في معتقدات هذه الأمم الوثنية نجد تشابهًا كبيرًا مع ما يقوله النصارى في المسيح المخلص.

---

(١) المصدر السابق (١٧٩ - ١٨١).

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ٩١) نقلا عن: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، هاشم جودة (ص ٢١٩).

فأما بوذا المخلص عند الهنود الوثنيين فلعله أكثر الصور تطابقًا مع ما يقوله النصارى عن المسيح، فقد ذكر صاحب كتاب " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " التشابه بين بوذا والمسيح من ثمانية وأربعين وجهًا، ولعل مرد هذا التشابه إلى تأخره التاريخي، فكان تطوير النصارى لذلك المعتقد ضئيلًا.

وكذلك التشابه الكبير في الألقاب التي يطلقها هؤلاء وهؤلاء على ما يعبدونه، فالبوذيون كما نقل المؤرخون يسمون بوذا المسيح المولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون: إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدَّم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم حتى لا يعاقبوا عليها. (١)

وجاء في أحد الترنيمات البوذية عن بوذا: " عانيتَ الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس، وسامحتَ المسيئين إليك ".

ويذكر مكس مولر في كتابه " تاريخ الآداب السنسكريتية " فيقول: " البوذيون يزعمون أن بوذا قال: دعوا الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ، كي يخلص العالم ".

ويرى البوذيون أن الإنسان شرير بطبعه، ولا حيلة في إصلاحه إلا بمخلص ومنقذ إلهي.

وكذلك فإن المصريين يعتبرون أوزوريس إلهًا ويقول المؤرخ بونويك في كتابه " عقيدة المصريين ": يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصي الناس، وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهادًا، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل ".

ويوافقه دوان في كتابه " خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى".

لذا يقول اَرَثر ويجال: " إن هذه العقيدة دخيلة من مصدر وثني، وهي حقًا من آثار الوثنية في الإيمان ". (٢)

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٢٠٣- ٢١٩).

(٢) انظر: الغفران بين الإسلام والمسيحية، إبراهيم خليل أحمد (١١٨)، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، إبراهيم الجبهان (١٤٧)، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب (٧٠-٧١)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (٩٠- ٩٢).

تفسير النصارى لهذا التشابه الغريب بين الوثنيات والنصرانية

فكيف يفسر النصارى هذا التطابق بين معتقداتهم والوثنيات القديمة والذي جعل من النصرانية نسخة معدلة عن هذه الأديان؟.

زعم الكثيرون أن هذه الأديان نقلت هذا الفكر عن النصرانية، لكن ذلك اصطدم بكون هذه الديانات كانت قبل المسيحية بقرون طويلة، والمخطوطات والأحافير التي سجلت عقائدها كانت أقدم من ظهور المسيحية وأناجيلها.

لذا كان لا بد من الاعتراف بانتحال كُتَّاب العهد الجديد لأساطير الوثنيات السابقة أو الهروب إلى عالم الأسرار والظلام، حيث يختفي دليل العقل وتسيطر الخرافة، ومنه قول الأب جيمس تد المحاضر في جامعة " اكسفورد" عن هذا التشابه: " سر لاهوتي فوق عقول البشر، وليس من الممكن تفسيره حسب تفسير وتصور هؤلاء البشر. "[1]

صدق الله إذ يقول عن النصارى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ (التوبة: ٣٠)، وقد نهاهم الله عن مشابهة المشركين فقال: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ (المائدة: ٧٧).

---

(١) حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، عبد الودود شلبي (٤١).

الفصل الرابع: قانونية (قدسية الكتاب المقدس)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: قانونية التوراة (قدسيتها).

"إن كلمة: قانون، تعنى (بالإغريقية) مقياس أو معيار. ولقد أطلق اللفظ: قانوني، أو قانونية على قائمة الكتب التي قبلتها الكنيسة بوجه عام، باعتبارها كتبت بإلهام". [1]

وإذا كانت التوراة نتاج عمل العشرات من المؤلفين الذين اجتهدوا في تسجيل تاريخ بني إسرائيل، ولم يَدُر بخلدهم أن تعتبر كتاباتهم مقدسة، إذ لو خطر على بالهم لصاغوها بطريقة أخرى، إذا كان الأمر كذلك، فمتى اكتسبت هذه النصوص قداستها؟ وهل تم ذلك لجميع أسفارها معًا أو أنه تم بالتدريج؟.

وفي الإجابة نقول: من الطبيعي عندما نتحدث عن كتاب إلهي أنّا لا نحتاج إلى الحديث عن قانونيته، إذ هو يستمدها من مصدره الإلهي، ويكتسبها منذ اللحظات الأولى التي ينزله الله فيها إلى البشر، وهذا الأمر لم يحدث مع الأسفار التوراتية التي احتاجت إلى قرارات بشرية تقدسها، فالأسفار الخمسة أقرت في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وتحديدًا في عام ٣٩٨ ق م في عهد عزرا، حين اعترفت الامبرطورية الفارسية بناموس اليهود حسبما جاء في دائرة المعارف الأمريكية. وكان اليهود يسمون الأسفار الخمسة لموسى بالناموس أو الشريعة أو القانون.

ويقول اسبينوزا: " يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين (أي القرن الثاني قبل الميلاد)، أما الكتب المقننة الآن فقد اختارها فريسيو الهيكل الثاني بعد أن أعاد بناءه عزرا " الكاتب".

وهذا الاختيار من الفريسيين في ذلك العهد لم يكن بموافقة طوائف اليهودية المختلفة، يقول اسبينوزا: " فقد اختارها الفريسيون في ذلك العهد من بين كثير غيرها، وذلك بقرار منهم وحدهم".

وقد كان مما أقره فريسيو العهد الثاني برأي اسبينوزا الأسفار الخمسة مضافًا إليها ما

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٣٢).

يسمى بأسفار الأنبياء، واعتبرت قانونية وهي (يشوع - القضاة - والملوك الأول إلى الرابع وأشعيا وأرميا وحزقيال والأنبياء الصغار الاثنى عشر، وسميت المجموعة الثانية)، ولم تعتبر هذه المجموعة معادلة لسلطة الأسفار الخمسة، ورغم ذلك ألحقت بها، وقد كان ينظر إليها على أنها شروح وامتداد للأسفار الخمسة. [١]

وبقي موضوع الكتب المعترف بها قابلًا للزيادة حسب الحاجة وحسب آراء كبار الكهان. وتعلق دراسة المدخل المقدمة من المسكونية الفرنسية، والرهبانية اليسوعية: " ولكن إلى متى بقيت هذه اللائحة مفتوحة؟ وما هي المبادئ التي كانت تنظم استعمالها؟ وهل ضم هذا "المؤلف " أو ذاك إلى تلك اللائحة؟ وهل كان الاستعمال واحدا في جميع الأماكن وجميع الأوساط؟ تتضمن هذه الأمثلة كثيرا من النقاط الغامضة. "[٢]

وفي عام ٩٠م عقد الفريسيون مجمعًا في جامينيا، وقرروا اعتبار بعض الأسفار أسفارًا قانونية وهي: (المزامير - الأمثال - نشيد الإنشاد - راعوث، دانيال، أيوب، عزرا، نحميا، الأيام. . .)، واعتبروا هذه القائمة نهائية، ورفضوا ما عداها من الأسفار، وقد بلغ عدد هذه الأسفار ستًا وثلاثين سفرًا.

يقول القس إلياس مقار: " وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التي قررها اليهود في مجمع " جامينيا " عام ٩٠م ".

ولم تكن هذه القائمة محل اتفاق بين اليهود، فمثلًا كان الفريسيون يعتبرون سفر دانيال قانونيًا، فيما لم يعتبره الصدوقيون كذلك، بينما كان لجماعة قمران أسفار كثيرة لم ترد في القائمة القانونية، منها أخنوخ واليوبيلات وغيرها، والأسفار التي لم تدخل في القائمة كانت خمسًا وثلاثين سفرًا كما عددها تشارلز في مقدمة كتابه: " أبو كريفا ".

وفي مجمع "نيقية" ٣٢٥م أقر المجتمعون النصارى سفر يهوديت فقط، وأبقوا ثمانية

---

(١) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ (٦٥)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد على البار (١٦٦)، التوراة واللأنا جيل بين التناقض والأساطير (٣٨٥ وما بعدها).

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (١٦٧).

أسفار مشكوكًا فيها.

وفي مجمع "لوديسيا" ٣٦٤م أقر المجتمعون سفرًا آخر هو سفر أستير.

وفي ٣٩٧م عقد مجمع "قرطاجة" بحضور أكستاين، فأضاف المجمع للقائمة ستة أسفار هي (زوم، وطوبيا وباروخ وإيكليزنا سيتكس (يشوع بن سيراخ) والمكابيين الأول والثاني).

واعتبر المجتمعون سفر باروخ جزءًا من إرميا، ثم فصلوهما في مجمع " ترلو"، وأصبحت هذه الأسفار متفقًا عليها عند النصارى.

ومن ذلك كله نستطيع القول إن هذه الكتب قد كتبها القوم بأيديهم، ثم نسبوها إلى الله، وأعطتها المجامع البشرية صفة القداسة. [1]

المبحث الثاني: قانونية العهد الجديد.

نحاول في هذا المبحث أن نجيب على عدة أسئلة:

كيف ظهرت الأناجيل بعد اختفاء إنجيل المسيح؟ ومن الذي كتبها؟ وما ظروف كتابتها؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول وبالله تعالى التوفيق:

يقرر عدد من مؤرخي النصرانية انتقال روايات شفاهية، تبلورت فيما بعد بحركة دائبة في كتابة سيرة المسيح لتلبية حاجات الكنيسة المسيحية الناشئة، ونكتفي هنا بنقل ما ذكره يواكيم إرميا في كتابه الذي نشرته الكنيسة المصرية بعنوان " أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الأناجيل " فيقول: " ينبغي أن نضع نصب أعيننا حقيقتين أساسيتين عن بشائر الإنجيل وكتابتها: أنه لمدة طويلة، كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح، كلها أقوال شفاهية متناقلة. . واستمرت على هذه الصورة ما يقرب من خمسة وثلاثين عامًا، ولم يتغير الوضع إلا في عهد اضطهاد نيرون للمسيحيين، حينها اجتمع شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤م، ووجدوا أن الكثيرين من أعمدة الكنيسة قد فقدوا. . ولم يجد المجتمعون أمامهم إلا يوحنا الملقب مرقص، زميل الرسول بطرس في الخدمة. . ليسجل

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٠٥ – ١٠٨)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، (١٦٩)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (١٣ – ١٤)، هل العهد القديم كلمة الله؟ (٦٦– ٦٧).

كل ما يستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح وتعاليمه، وكتب مرقص بشارته المختصرة التي تحمل اسمه، وهي أقدم قصة كتبت عن حياة المسيح.

والحقيقة الثانية: أن قصة مرقس عن المسيح وأقواله قد دفعت غيره ليحذوا حذوه، وينسجوا على منواله. . وتنشأ بشائر أخرى. . . حتى كان هناك عدد لا يستهان به من البشائر. . . ولما رأت الكنيسة أن الأمر جدٌّ خطير بدأت في تقصي أسس هذه البشائر الأربعة المعروفة، واعتبرت ما سواها " بشائر أبو كريفية "، طوردت وجمعت وأحرقت حتى اختفت ".

وينبه المحققون إلى أمر هام، وهو أن شيئًا من الأناجيل لم يكن يسمى إنجيلًا في الصدر الأول للنصرانية، إنما سميت " كاروزوتا " أي موعظة، وذلك باللغة اليونانية التي وجد بها ما سمي فيما بعد بالأناجيل.

وهذه الكتابات أطلق عليها القديس جوستين في منتصف القرن الثاني اسم "مذكرات الرسل". [١]

يقول مدخل الرهبانية اليسوعية متحدثًا عن تاريخ تدوين العهد الجديد: "ويمكن تأريخ إنجيل مرقس في السنين ٦٥-٧٠م. . وأما إنجيل متى وإنجيل لوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها، لأنهما وُجها إلى بيئات أخرى، وقد وضعا بعد إنجيل مرقس بخمس عشر إلى عشرين سنة ".

وقد بدأت في أواسط القرن الثاني حركة لتجميع كتاب مقدس للنصارى على غرار ما عند اليهود، وقد أثمرت ما بين أيدينا من أسفار العهد الجديد.

يقول المدخل الفرنسي للعهد الجديد: " لم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة تدوين أهم ما عمله الرسل وتولي حفظ ما كتبوه، ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠م تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلًا جدًا إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٣٠ – ٤٤)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١٠١ – ١٠٢).

أمرهم رسائل بولس، واستعملوها في حياتهم الكنسية، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقًا بالكتاب المقدس.

ومع ما كان لتلك النصوص من الشأن فليس هناك قبل القرن الثاني (بطرس (٢) ٣/ ١٦) أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلَف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم، فلم يظهر ذلك إلا في النصف الثاني من القرن الثاني، فيمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠م بمقام الأدب القانوني، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين.

يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠ إذ حدد على نحو تدريجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني، وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى. هناك عدد كبير من المؤلفات (الحائرة) يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونية في حين أن غيرهم ينظر إليها نظرته إلى مطالعة مفيدة.

وهناك أيضًا مؤلفات جرت العادة أن يستشهد بها ذلك الوقت على أنها جزء من الكتاب المقدس، ومن ثم جزء من القانون لم تبق زمنًا على تلك الحال، بل أخرجت آخر الأمر من القانون، ذلك ما جرى لمؤلف هرماس وعنوانه الراعي، وللديداكي، ورسالة أكليمنص الأولى، ورسالة برنابا ورؤيا بطرس". [1]

وهذا الذي ذكرته مقدمة العهد الجديد نستطيع أن نجمله بأن حركة تدوين الأناجيل بدأت بعد موت أهم التلاميذ، وأخذت شرعيتها في أواسط القرن الثاني كما ساعد في تكوين قانونية العهد الجديد مرقيون الهرطوقي سنة ١٦٠م حيث دعا لنبذ سلطة العهد القديم، واحتاج لتزويد كنيسته بأسفار مقدسة أخرى، فساهم أتباعه في نشر هذه الأناجيل فقد جمع في عهده إنجيلًا، وراجعه مراجعة دقيقة ليتمشى مع أفكاره، وجمع إليه رسالة

---

(١) انظر: قراءات في الكتاب المقدس، عبد الرحيم محمد (٢/ ٢٦٨ – ٢٦٩)، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٧٩ – ٨٠)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١٠٣).

بولس إلى أهل غلاطية، وهي رسالة تؤكد إبطال الناموس ونقده، ثم أضاف رسائل بولس إلى أهل كورنثوس وتسالونيكي وأفسس وفيلبي وفليمون.

كيفية اختيار الأناجيل الأربعة

أما الكيفية التي اختارت بها الكنيسة هذه الأناجيل دون غيرها، ومكان الاختيار، فلا يوجد أي تفصيل عند النصارى عن هذه النقطة سوى ما ذكره المدخل الفرنسي للعهد الجديد: "يبدو أن مقياس نسبة المؤلف إلى الرسل استعمل استعمالًا كبيرًا، ففقد رويدًا رويدًا كل مؤلَف لم تثبت نسبته إلى رسول من الرسل ما كان له من الحظوة ".

ولكن هذا القول إنما يصح لو كانت هذه الأناجيل جميعًا قانونية، ثم بدأ بعضها يفقد بريقه عند التحقيق والتدقيق، بينما حصل العكس في تاريخ الكتاب المقدس، إذ لم يعتبر شيئًا من هذه الكتب قانونيًا، ثم بدأ في الاختيار فيما بعد.

ويقول الأب كننغسر بأن الأناجيل التي رفضت هي التي لا تتفق مع الخط الأرثوذكسي.

لكن المتفق عليه عند مؤرخي الكنيسة أن الأناجيل الأربعة ورسائل بولس قد أقرت في أواخر القرن الثاني، وكان أول من ذكر الأناجيل الأربعة المؤرخ أرينيوس سنة ٢٠٠م تقريبًا، ثم ذكرها كليمنس اسكندريانوس، ودافع عنها، واعتبرها واجبة التسليم.

يقول الدكتور دوود ويل في كتابه "أطروحة حول إيرينوس": " نحن على يقين بأن كتابات كل من كليمنت رومانوس، هرماس، اغناطيوس وبوليكارب والذين كتبوا بعد التاريخ المفروض لكتبة الأناجيل ليس بها أي ذكر لهذه الكتب الأربعة ".

وأما جستين مارتاير أحد أبرز آباء الكنيسة فقد كتب في منتصف القرن الثاني مستدلًا لألوهية المسيح بأكثر من ثلاثمائة نص من العهد القديم ونحو مائة من الأناجيل المرفوضة، ولم ينقل نصًا واحدًا من الأناجيل الأربعة، بل لم يشر إليها البتة، يقول البطريرك الدكتور فايلز في كتابه "السجل المسيحي": "هذه الأسماء متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يذكرها جستين، ولا أي نص منها نجده في أي من كتاباته".

وأما بقية أسفار العهد الجديد فقد بقيت موضع نزاع بين الكنائس طوال القرن

الثالث، وقد قبلت بعض الكتب في الكنائس الشرقية كالرسالة إلى العبرانيين، بينما رفضها أتباع الكنائس الغربية، وقبلوا رؤيا يوحنا اللاهوتي.[1]

ترتيب الأسفار المقدسة ودلالته:

وكما وقع الخلاف في إلهامية بعض الأسفار وقع الخلاف في ترتيب هذه الأسفار في العهد الجديد، وهذا الخلاف مهم، إذ كلٌّ رتب الأسفار حسب ما يعتقد لها من قيمة وقداسة وأهمية، فالخلاف في الترتيب خلاف في قيمة الأسفار.

وأقدم قائمة رتبت الأسفار كانت في أواسط القرن الرابع قائمة أثناسيوس ٣٦٧م، وكان ترتيبه كالتالي: الأناجيل ثم أعمال الرسل ثم الرسائل الكاثوليكية ثم رسائل بولس ثم سفر الرؤيا.

ثم أصدر مجمع روما ٣٨٢م ترتيبًا آخر، تلا الأناجيل فيه رسائل بولس ثم رؤيا يوحنا ثم الرسائل الكاثوليكية السبعة، وأما الترتيب الحالي فكان من قرارات مجمع ترنت ١٥٤٦م.[2]

وهكذا تبين لنا من خلال استعراض مسيرة الأناجيل تأليفًا وتقديسًا، أن تقديس هذه الكتب عمل بشري لا يستند إلى دليل من هذه الكتب، بل هو قرار اختلفت فيه المجامع حتى أُقر، ولو كان من الوحي لما اختلفت فيه المجامع، ولما احتاج إلى قرار كنسي ليصبح مقدسًا ووحيًا إلهيًا.[3]

المبحث الثالث: الأسفار الغير قانونية (أبو كريفا)

تناولنا بشيء من التفصيل الأناجيل الأربعة، على اعتبار أنها الأناجيل المعتمدة والتي عليها المسيحيون على اختلاف طوائفهم.

فهل يا ترى يوجد أناجيل غير هذه الأربعة؟ إنه سؤال حيوي وهام جدًا، والإجابة عنه ستعطي المزيد والمزيد على القصور الذي أصاب سند الأناجيل بوجه عام.

هذا الموضوع تناوله كثير من علماء المسيحية، وأعلنوها صراحة، إذ يقررون ويعترفون أنه

---

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١٠٤)، إظهار الحق (٢/ ٣٨١).

(٢) محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد (١٧).

(٣) هل العهد الجديد كلمة الله (١٠٥).

في الأعصر الغابرة، كانت توجد أناجيل أخرى، لكنها أخفيت ولم يعرف عنها شيء، ولكن، لماذا أخفيت؟ قد يقال لأنها لم تعتمد من الكنيسة، فهل يصح أن يكون ذلك سببا في إخفائها، أم أن فيها أو في بعضها شيء ضد صالح الكنيسة لا ينبغي لأحد أن يطلع عليه؟

إن الناظر في تاريخ المسيحية يجد أن حركة التأليف نشطت في الجيل الأول من النصرانية بشكل واسع، وظهرت أناجيل كثيرة كما تدلنا على ذلك مقدمة إنجيل لوقا " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علّمتَ به" (لوقا ١/ ١-٤)، لكن هذه الكثرة الكاثرة من الأناجيل التي سطرها تلاميذ المسيح لم يكتب لها القبول فيها بعد من الكنيسة، فاندثرت وأضحت في خبر كان. [١] ومن هنا نشأ مصطلح "أبو كريفا"

ولذا سنناقش هذا المبحث من خلال العناصر الآتية:

أولًا: ماذا تعني "أبوكريفا"

ثانيًا: نظرة تاريخية في الأناجيل غير القانونية.

ثالثًا: الأناجيل الأبوكريفية من حيث كونها كاملة أو ناقصة.

رابعًا: ما وصل إلينا من الأناجيل المحرمة (الأبوكريفا).

خامسًا: الأدلة التاريخية على وجود الأناجيل.

سادسًا: وأخيرًا ملاحظات.

وإليك التفصيل

أولًا: ماذا تعني " أبو كريفا "؟

أبو كريفا لفظ يوناني في صيغة الجمع معناه الأشياء المخبأة التي يجب إخفاؤها لأنها كاذبة وقد سماها ايرونيموس بالملفق، وسماها ترتليانوس بالزائف. وهي إما أسفار اختبأ كتابها الحقيقيون وراء أسماء بعض رجال العهد الجديد، وإما أسفار تنقل عقيدة سرية لا تتفق والعقائد القديمة قد

---

(١) ماذا تعرف عن المسيحية ٨٦-٨٧.

دست فيها دسًا من وراء ستار من الأسماء والظروف الإنجيلية الحقيقية. [1]

ثانياً: نظرة تاريخية في الأناجيل غير القانونية.

رأينا كيف اعترفت الكنيسة بأربعة أناجيل، وأنها رفضت عددًا كبيرًا من الأناجيل والكتب التي ألفها الجيل الأول من المسيحيين، وأوصلها صاحب كتاب اكسيهومو (١٨١٠م) إلى أربعة وسبعين كتابًا، وعدّدها، فذكر أن منها ما هو منسوب لعيسى وأمه، وللحواريين، ومنها ما هو منسوب للإنجيليين الأربعة، وبعض الباحثين يصل بعدد الأناجيل إلى ما يربو على المائة كتاب، ومنها ما هو منسوب لجماعات مسيحية قديمة كإنجيل المصريين والناصريين.

وقد سميت بعض هذه الكتب أناجيل كإنجيل بطرس وإندرياه ويعقوب وميتاه (متى) وإنجيل المصريين لمرقس وبرنابا، وعددت دائرة المعارف الأمريكية أسماء ستة وعشرين إنجيلًا لا تعترف بهم الكنيسة رغم نسبتهم إلى المسيح وكبار حوارييه.

وقد كانت بعض هذه الكتابات والأناجيل متداولة لدى عدد من الفرق المسيحية القديمة، وظلت متداولة إلى القرن الرابع الميلادي.

وفي مجمع نيقية ٣٢٥م أمرت الكنيسة باعتماد الأناجيل الأربعة ورفض ما سواها، من غير أن تقدم مبررًا لرفض تلك الأناجيل سوى مخالفتها لما تم الاتفاق عليه في المجمع، وفي ذلك يقول العالم الألماني تولستوي في مقدمة إنجيله الخاص الذي وضع فيه ما يعتقد صحته: " لا ندري السر في اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره، واعتباره مقدسًا منزلًا دون سواه مع كون جميع الأشخاص الذين كتبوها في نظرها رجال قديسون. . . ويا ليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل. . . إن الكنيسة أخطأت خطأ لا يغتفر في اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها. . ".

وأمرت الكنيسة بحرق جميع هذه الأناجيل لما فيها من مخالفات للعقيدة الكنسية،

---

(١) الأدلة الكتابية على فساد النصرانية(٢٣٨)، أصول المسيحية كما يصورها الإسلام(١٥٧ – ١٥٨)، ماذا تعرف عن المسيحية (٨٧).

وصدر قرار من الإمبراطور بقتل كل من عنده نسخة من هذه الكتب.[1]

ثالثًا: الأناجيل الأبوكريفية من حيث كونها كاملة أوناقصة:

وهذه الأناجيل إما كاملة وإما ناقصة، والناقصة نوعان أيضًا منها ما يمكن إثبات ذاتيته، ومنها ما تكسر وتهشم إلى حد يصعب عنده تعيين الأصل الذي انتمى إليه.

وقبل أن نشرع في بيان ذلك ينبغي أن نورد سؤالًا ينبغي أن يورد هنا وهو كيف نصف هذه الأناجيل المخبأة بهذه الصفات ولا نصف بها الأناجيل الأربعة المعروفة، وقد وجدت دواعي الشك والمساواة بين الكل نظرًا لكثرة الكتاب وضياع السند؟ ومن الذي حكم وفصل هذا التفصيل بين هذه وتلك؟.

ونعود إلى تفصيل ما شرعنا فيه وهو تبيين الأناجيل المخبأة من حيث النقصان والكمال:

المخبأة الناقصة:

أناجيل النصارى المتهودين:

وهي من الأناجيل الأبوكريفية الناقصة التي يمكن إثبات ذاتيتها، ولعلها أقرب الأناجيل الأبوكريفية إلى الإنجيل الصحيح ويقع تحت هذا العنوان (إنجيل العبرانيين) و (إنجيل الناصريين) و ((إنجيل الأبيونيسين) و (إنجيل الرسل الاثنى عشر)، ورأى رجال الاختصاص فيما مضى أصلًا واحدًا وراء هذه الأناجيل الأربعة، ولكن متابعة النقد والبحث في هذا الموضوع أدت إلى تقسيم الأربعة إلى فئتين: " إنجيل العبرانيين والناصريين " و " إنجيل الأبيونيسين الفقراء الرسل ".

الفئة الأولى: إنجيل العبرانيين والناصريين:

ليس لدينا عن هذا الإنجيل سوى أربعين. مثالًا استشهد بها الآباء القديسون ولا سيما " ايرونيموس" وثلاثة عشر حاشية وردت على هامش بعض المخطوطات، كتب هذا الإنجيل بالآرامية ولكن بأحرف عبرانية، وشاع استعماله في أواخر القرن الأول بعد الميلاد في الأوساط النصرانية المتهودة في حلب. وقارب هذا الإنجيل إنجيل متى في الرواية،

---

(١) المسيح بين الحقائق والأوهام لمحمد وصفي(٤٣)، إظهار الحق (٢/ ٥٤٨).

فاعتبره بعضهم لأول وهلة الأصل الذي نقل منه إنجيل متى، ثم بان اعتماد هذا الإنجيل في الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) فأمسى غريبًا بعيدًا.

الفئة الثانية: إنجيل الأبيونيين والرسل:

ويستدل من الأمثلة التي اقتبسها القديس (ابيفانيوس) من هذا الإنجيل أنه يعود إلى أواخر القرن الثاني، إلى الأوساط المتأخرة التي عاشت الكسائيين الأردنيين في إقناعهم عن أكل اللحوم واعتراضهم على الحبل (به) بلادنس وقولهم إنه ابن الله بالتبني.

إنجيل المصريين:

ذكره اقليمس الاسكندري ومناظره (ثيودوتوس الغنوسي) و (اوريجنس) وليس لدينا منه سوى بعض نماذج أوردها (اقليمس) وصاحبه (انقراتي) في اتجاهه وقد شاع استعماله في الأوساط الانقراتية في مصر في النصف الأول من القرن الثاني. والانقراتيون جماعة من الهراطقة الغنوسيين الذين غالوا في الزهد فامتنعوا عن اللحم والخمر والزواج

وقالوا " التشبيه " أي أن ابن الله لم يتخذ جسدًا ولم يقتل ولم يصلب وإنما شبه لمن حوله ذلك.

إنجيل بطرس:

دون في سوريا في منتصف القرن الثاني وشاع استعماله في الأوساط المركيونية ووصل إلى كنيسة أرسوز الارثوذكسية بين رأس الخنزير والاسكندرونة، فأقبل البعض على مطالعته وامتنع غيرهم. فأذن سرابيون أسقف أنطاكيا بقراءته أولا تهدئه للخصام ثم حصل على نسخة منه وعكف على مطالعتها فلمس الدس والتضليل فيها فحرم قراءته ووضع رسالة في ذلك. وعثر المنقبون في مصر سنة ١٨٨٦/ ١٨٨٧ على شيء يسير من هذا الإنجيل عكف علماء العهد الجديد على درس ما اكتشف فوجدوه يمت إلى الأناجيل الأربعة بصلة ولكنه يذر الشك فيما إذا كان المسيح تألم عن الصلب عملًا بعقيدة المشبهة ثم ينحى على اليهود وهيردوس باللوم الشديد وينزه بيلاطيس.

أناجيل الرؤيا:

وهي تشمل أناجيل "توماس ومتياس" و " فيليبوس " و " يهوذا " و "برثلماس " ورائدهما غنوسي صرف، فهي تجعل السيد المخلص يظهر لبعض أتباعه في حياته على الأرض

وبعد قيامته، ويتحدث إليهم في مواضيع تثبت نواحي معينة من الفلسفة الدينية الغنوسية.

فاسيليذس:

هو في الأرجح سوري المولد، غنوسي المذهب عاش في الإسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني، وادعى أنه يحمل تقليدًا رسوليًا يعود إلى بطرس نفسه فكتب إنجيلًا وعلق عليه في أربعة وعشرين كتابًا. قال بأنه في قمة الوجود لا يوصف بالسلبيات صدرت عنه أرواح متضائلة في الألوهية أبعدها عن إله اليهود. ولما طغى إله اليهود وأخضع البشر أرسل إله القمة عقله فاستقر في يسوع الذي تألم في الظاهر فقط.

الأناجيل المخفية الكاملة:

وهي أحدث عهدًا في غالب الأحيان من الإلهامات التي أشرنا إليها ولكنها صادرة عن أوساط قديمة الرأي ويجوز تنسقها هكذا:

مجموعة الأهل والأقرباء.

مجموعةالطفولة والصبوة.

مجموعة بيلاطيس.

وقد يكون الدافع الأساسي في تدوين هذه المجموعات تزويد المؤمنين بمعلومات وتفاصيل رغبوا في الوصول إليها والاطلاع عليها.

أناجيل الأهل والأقرباء:

وهذه ثلاثة: أ – إنجيل يعقوب، ب – انتقال العذراء، ج- تاريخ يوسف النجار.

أما إنجيل يعقوب فإنه دون في القرن الثاني فيما يظهر بلغة يونانية صحيحة نقية تضمن سيرة العذراء حتى البشارة، ورواية يوسف عن ولادة المسيح وسجود المجوس، وذبح الأطفال، وموت زخريا، والجدير بالذكر أن ما ننقله عن يواكيم وحنة وطفولة العذراء مأخوذ من هذا الإنجيل، ويعقوب الذي نسب إليه هذا الإنجيل هو يعقوب الرسول ابن زيدي.

وكتاب انتقال العذراء والدة الإله من مخلفات القرن الرابع، وقد نسب إلى يوحنا اللاهوتي، وتالايخ يوسف النجار الذي نسب إلى السيد المخلص نفسه هو في الواقع من

آثار القرن الخامس، وقد دون في مصر باللغة القبطية باللهجتين الصعيدية والبحرية. وتمجيد يوسف والاحتفال بذكره وتعظيمه من الأمور التي اهتم لها المصريون المسيحيون الأولون قبل غيرهم.

أناجيل الطفولة والصبوة:

وهي تشمل إنجيل "توما الإسرائيلي" الفيلسوف، وإنجيل الطفولة العربي وتختلف النسخ في ضبط اسم" توما" فهو في بعض النسخ اليونانية "توما" الإسرائيلي الفيلسوف، وفي غيرها القديس "توما". وجاء في بعض النسخ اللاتينية أنه توما الإسرائيلي. واعتبره كيرلس بضاعة مانوية، ولعا الربط بين اللقبين من نتاج عقل شرقي بعيد. وإنجيل توما الفيلسوف يتضمن مجموعة من غرائب العجائب التي أجراها يسوع بين الخامسة والثانية عشرة من عمره.

والإنجيل العربي من مخلفات القرن السابع والثامن بعد الميلاد، منه نسخ في روما وفلورنسة، أما النسخة التي نشر نصها (سيك) في سنة ١٦٩٧ فإنها ضائعة، ومعظم محتوياته واردة في تاريخ العذراء، نشره "برج" في سنة ١٨٩٩ وتبدأ عجائب السيد في هذا الإنجيل في المهد فالقابلة التي عاونت العذراء واهتمت بأمرها وقت الولادة يبست يداها لأنها لم تكن مؤمنة ثم شفاها الطفل المولود. ومن عجائبه في الناصرة بعد عودته من مصر أنه كان يصنع طيورًا من طين فتطير.

إنجيل نيقوديموس:

وهو من مصنفات القرن الرابع، ويتألف من قسمين رئيسيين وأولهما ضبط بها أجراه بيلاطس وأخبار القيامة والثاني وصف لنزول المسيح إلى الجحيم وما فعله فيه وهنالك أيضًا عشر وثائق تتعلق بأخبار بيلاطس منها رسائله إلى الامبراطور في صلب المسيح وموته وبين مخطوطات باريس العربية (١٦٠)، تاريخ حياة بيلاطس تنسب إلى غملائيل وحنانيا.

إنجيل برنابا. [1] وسيفرد الحديث عنه.

رابعًا: ما وصل إلينا من الأناجيل المحرمة (الأبوكريفا)

---

(١) أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم ١٥٨ -١٦٢.

وهكذا اختفت معظم هذه الأناجيل ولم يصل منها سوى إنجيل برنابا والإنجيل الأغنسطي وإنجيل الطفولية وإنجيل يعقوب، وثلاث قصاصات من إنجيل مريم وبعض شرائح لاتينية وإغريقية وقبطية من إنجيل برثولماوس وإنجيل نيقوديموس، كما عثر أخيرًا في نجع حمادي بمصر على مقتطفات من إنجيل بطرس وكتاب أعمال يوحنا.

ولعل أهم ما وجد في نجع حمادي مائة وأربعة عشر قولًا منسوبًا للمسيح في إنجيل توما الذي يختلف أسلوبه عن الأناجيل الأربعة، إذ لم يسرد قصة المسيح، بل نقل أقواله، ويرجع المحقق كويستر هذا الإنجيل إلى منتصف القرن الأول الميلادي، وأرجعه كيسيبل إلى ١٤٠م.

وعثر أيضًا على إنجيل " الحقيقة " والذي اعتبره ايرينوس (١٨٠م) إنجيلًا مزورًا. [١]

خامسًا: الأدلة التاريخية على وجود هذه الأناجيل.

وقد ينازع قوم في الإثبات التاريخي لهذه الأناجيل، وللتأكيد على وجود هذه الأناجيل في القرن الأول وحتى قبل كتابة الإنجيليين الأربعة لأناجيلهم نتذكر ما سطره لوقا في مقدمته " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا. . رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمتَ به " (لوقا ١/ ١ – ٤)، فقد كان بين يديه مجموعة كبيرة من الأناجيل، لا يعلم عددها إلا الله.

وقد استشهد كل من كليمنت الرومي (٩٧م) وبوليكارب (١١٢م) بأقوال للمسيح في صيغ مستقلة غير موجودة في الأناجيل الأربعة.

وقد جمع فابري سيوس ما تبقى من هذه الأناجيل، وطبعها في ثلاثة مجلدات. [٢]

سادسًا: وأخيرًا ملاحظات:

وبادئ ذي بدء فإن المحققين سجلوا حول هذه الأناجيل ملاحظات.

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله (٩٥)

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله (٩٥).

- أن ثمة كتب كثيرة ظهرت في القرن الأول، وكلها منسوبة للمسيح وحوارييه.
- أن هذه الأناجيل تخالف عقائد مجمع نيقية، وبعضها كان خاصًا بفرق مسيحية موحدة.
- أن الكنيسة حين حرمت هذه الأناجيل، لم تقدم أدلة على صحة القرار الذي اتخذته.
- أنه كما لا يحق لرجال الكنيسة إعطاء صفة القانونية للأناجيل الأربعة، فإنه لا يحق لهم إبطال صحة هذه الأناجيل واعتبارها أبوكريفا (مزيفة، خفية). [1]

المبحث الرابع: إنجيل المسيح.

تمهيد:

أخبرنا القرآن الكريم بوجود إنجيل هو كتاب الله الذي أنزل على نبي الله عيسى ﷺ وذلك في عدة آيات من الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى: (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين). [2]

فإذا كانت هذه الأناجيل والرسائل التي بين أيدي النصارى من صنع البشر وتأليفهم، وإذا كان أصحابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم يسجلون كلمة الله، فكيف أضحت هذه الكتابات مقدسة وإلهية؟.

لذا فنحن هنا نبحث عن ذلك الإنجيل الأصلي الذي جاء به عيسى عليه السلام من خلال العناصر الآتية:

أولًا: أين الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والذي يؤمن به المسلمون؟

ثانيًا: نصوص تتحدث عن إنجيل المسيح الأصلي.

ثالثًا: تهرب عموم النصارى من الاعتراف بالإنجيل الأصلي، والرد عليهم.

رابعًا: إقرار علماءهم بوجود إنجيل المسيح وفقده.

خامسًا: هل هذه الأناجيل المعتمدة الآن هي إنجيل المسيح؟

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله (٩٦).

(٢) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (٥٩).

سادسًا: يا مسلمون أين إنجيل المسيح الذي تدعونه؟! !

سابعًا: رأي العقاد والرد عليه.

واليك التفصيل

أولًا: أين الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والذي يؤمن به المسلمون؟

نعم أين الإنجيل الخاص بالسيد المسيح؟.

الجواب المؤكد: لا يوجد له أثر، وهذه النتيجة ليست من عندنا، بل تأيدت بما ذكره القس الماروني في كتابه (ذخيرة الألباب) ونصه: إن أسفار العهد الجديد لا تستغرق كل أعمال المسيح ولا تتضمن كل أقواله، كما شهد به القديس يوحنا) لقد تساءل المحققون طويلًا عن إنجيل المسيح الذي أنزله الله على عيسى، ذلكم الإنجيل الذي يؤمن به المسلمون والذي تذكره الأناجيل كثيرًا.

لكن الإجابة النصرانية هي صمت مطبق وتجاهل لوجود هذا الإنجيل، فنقطة البدء عندهم للإنجيل أو العهد الجديد تبدأ من الحواريين وهم يسطرون الرسائل والأناجيل.

لكن رسائل بولس التي ألفت في النصف الثاني من القرن الأول تتحدث في نصوص كثيرة عن إنجيل المسيح، ولا تذكر شيئًا عن الأناجيل الأربعة التي لم يكن مرقس - أول الإنجيليين - قد خط شيئًا منها، إذ أن بولس - وله أربعة عشر رسالة في العهد الجديد - قتل سنة ٦٢م، بينما ألف مرقس أول الأناجيل عام ٦٥م، ثم تتابعت العشرات من الأناجيل بعد ذلك، وهي تشير أيضًا إلى إنجيل المسيح ﷺ أو إنجيل الله. [١]

ثانيًا: نصوص تتحدث عن إنجيل المسيح الأصلي.

ومع أننا لا نجد ذلك الإنجيل الأصلي والذي أنزله الله على نبيه عيسى ﷺ إلا أننا نجد ما قد يشير إليه في هذه الأناجيل المعتمدة، تحدث بولس ثم الإنجيليون عن إنجيل المسيح في نصوص كثيرة منها:

قول بولس: " إني أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح

---

(١) ماذا تعرف عن المسيحية (٨٥)، هل العهد الجديد كلمة الله (٩٥).

إلى إنجيل آخر. . يوجد قوم يريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. . "(غلاطية ١/ ٦ - ٨).

فهو يتحدث عن إنجيل حقيقي يتركه الناس إلى إنجيل آخر مزور.

ومثله قول بولس: " بل نتحمل كل شيء، لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح. . أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون ". (كورنثوس (١) ٩/ ١٢ - ١٤).

ويقول متوعدًا: " الذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي ".

وفي الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل حديث عن إنجيل حقيقي من ذلك:

ورد في إنجيل متى (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم، يكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب) (متى ٤: ٢٣).

يكرز: يذيع البشارة علانية، وبشارة الملكوت الأخبار السارة عن ملكوت السموات، والبشارة: أي الخبر المفرح.

فإذا كان المسيح ﷺ كرز أي يذيع البشارة علانية، وأن البشارة هي الأخبار السارة فمعنى ذلك أنه يبشر ويتلو كتابًا ولا يخفى أن الكتاب المنزل عليه هو الإنجيل، إذا فهذه إشارة قد تكون خفية على وجود إنجيل أصلي كان يبشر به عيسى ﷺ.

ومثل ذلك أيضًا في إنجيل مرقس على لسان المسيح حين بدأ يعلن دعوته (جاء يسوع على الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) (١: ١٤-١٥).

وفي أعمال الرسل أن بطرس قام وقال: " أيها الرجال الإخوة: أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل، ويؤمنون " (أعمال ١٥/ ٧).

أي إنجيل هذا الذي أشار إليه بطرس، وعلى ما نستطيع أن نقطع به، لم تكن على الأقل كل الأناجيل المتداولة قد كتبت عندما قال بطرس هذا الكلام، ثم ما معنى أن الله قد اختار أنه بفمه يسمع الأمم كلمة الإنجيل - وبطرس بالذات - يسمع الأمم كلمة الإنجيل، ويؤمنون به، ثم لا نجد بين الأناجيل المتداولة إنجيلًا منسوبًا لبطرس رغم أنه

بفمه كما قال، اختار الله أن يسمع الأمم كلمة الإنجيل أليس هذا وحده بكاف على الأقل لينفي عن الأناجيل المتداولة اليوم شرعيتها، ويؤكد أن هناك إنجيلًا آخر اختار الله أن تسمعه الأمم بفم بطرس غير هذه الأناجيل الأربعة المعروفة، وهل هي محض مصادفة أن يقول بطرس هذا الكلام ومع هذا فإننا نقرأ اسمه في أول سلسلة الأناجيل التي طاردتها الكنيسة فمن ذا الذي أحرقه ياترى ومن أعطاه حق حرق ذلك الإنجيل.

(فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم) (رو ١ : ٩)، (وفي اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح) (رومية ٢ : ١٦)، (وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأجيء في ملء بركة إنجيل المسيح) (رو ١٥ : ٢٩)، (لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح) (١ كورنثوس ٩: ١٢)، (وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه) (١ كورنثوس ١٥ : ١).

الملاحظ أن هذه النصوص تتحدث عن إنجيل واحد، وليس الأناجيل الأربعة أو السبعين التي رفضتها الكنيسة، وتسمي النصوص هذا الإنجيل، إنجيل الله، وإنجيل المسيح.

كما أطلقت النصوص اسمًا آخر على وحي الله الذي أوتيه المسيح، وهو (كلمة الله)، فالجموع ازدحمت عليه عند شاطئ البحيرة لتسمع منه الإنجيل التي ينزل عليه من الله.

"وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله"(لوقا ٥/ ١).

وحين دخل كفر ناحوم " اجتمع كثيرون، حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب، فكان يخاطبهم بالكلمة" (مرقس ٢/ ٢)، ويحسب نسخة الرهبانية اليسوعية: "فألقى إليهم كلمة الله".

إن ذلك الكلام الإلهي الذي كان يفوه به المسيح عليه السلام وتزدحم الجموع لسماعه هو ما يؤمن به المسلمون، إنه كلمة الله التي نزلت على المسيح، المسماة في القرآن بالإنجيل.

جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية " أولًا أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف

بلا انقطاع أذكركم "[١].

ثالثا: تهرب عموم النصارى من الاعتراف بالإنجيل الأصلي، والرد عليهم

وقد تهرب عموم النصارى من الإقرار بوجود إنجيل حقيقي هو إنجيل المسيح، فقالوا: لم ينزل على المسيح شيء، بل الإنجيل هو أقواله الشخصية، وقد سطرها الإنجيليون، وهذا بالطبع متسق مع قولهم بألوهية المسيح، إذ لا يليق بالإله أن يؤتى كتابًا، فهذا حال الأنبياء.

لكن يردُّ هذه الدعوى ذكر النصوص التي تحدثت عن وحي الله إلى المسيح، منها: قوله: " أنا أتكلم بما رأيت عند أبي " (يوحنا ٨/ ٣٨).

وكذا قوله مثبتًا نزول الوحي عليه، بما أسماه وصية الله التي أعطاه الله إياها: "لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول و بماذا أتكلم، وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب، هكذا أتكلم" (يوحنا ١٢/ ٤٩-٥٠).

ومثله قوله: " أتكلم بهذا كما علمني أبي " (يوحنا ٨/ ٢٨).

ويسمي يوحنا المعمدان عليه السلام كلام الله الذي سيؤتاه المسيح (الشهادة)، ويتنبأ بإعراض الكثيرين من بني إسرائيل عنها، فيقول: "الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله" (يوحنا ٣/ ٣١-٣٤).

لذا لما جاءته أمه وإخوته ووقفوا ببابه، أعرض عنهم وأقبل على تلاميذه الذين يسمعون منه كلام الله ويعملون به "فأجاب وقال لهم: أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله، ويعملون بها" (لوقا ٨/ ٢١).

فكلام الله ليس مجرد بشارة يؤمن بها المؤمنون - كما يزعم القائلون بأن إنجيل المسيح

---

(١) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ٦٠، هل العهد الجديد كلمة الله ٩٦، محاضرات في النصرانية ٥٠ -٥١، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ٢١٣ - ٢١٥

هو البشارة بخلاصه بل هو عمل ينصاعون إليه وينفذونه.

وهذا الوحي الذي آتاه الله سيحاسب الناس بحسبه يوم القيامة " من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير، لأني لم أتكلم من نفسي "(يوحنا ١٢/ ٤٨-٤٩). [١]

رابعًا: إقرار علمائهم بوجود إنجيل المسيح وفقده

ونقل العلامة رحمة الله الهندي في كتابه الماتع إظهار الحق عن بعض علماء النصرانية إقرارهم بوجود إنجيل يسوع قبل ضياعه واختفائه، ومنهم مارش وليكرك وكوب وأكهارن وغيرهم.

يقول أكهارن: " إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال رسالة المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هي الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب".

إذن فهؤلاء الأحرار يقرون أنه كان هناك إنجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب، ولكنه غير موجود، فهل لنا أن نقول أن ذلك الإنجيل هو المشار إليه في أقوال متى ونرقس، وبولس السابقة، وهو الذي نزل على عيسى، أهو إنجيله وإنجيل الله؟ ليت، وهل ينفع ليت، ليت هذا الإنجيل قائم، وحرصت الكنيسة على بقائه، وقامت بحياطته ليكون فيصلًا بين المختلفين، وحكمًا بين الفرق والمفترقين، وليكون قسطاس المجامع القديمة والحديثة التي حكمت حين الانشقاق، وليكون مصدرًا علميًا لمن يكتب في المسيحية الأولى ويتبعها في مدارجها في أحقاب الزمن وملابسات التاريخ. [٢]

خامسًا: هل هذه الأناجيل المعتمدة الآن هي إنجيل المسيح؟

لا بد أن نعلم أن هذه الأناجيل لم تنزل على المسيح ولم يملها وذلك لا نزاع فيه بين

(١) هل العهد الجديد كلمة الله ٩٧ – ٩٨.

(٢) إظهار الحق ٢/ ٣٧٩، هل العهد الجديد كلمة الله ٩٨، محاضرات في النصرانية ٥٢

النصارى أنفسهم وإليك بيان ذلك:

نقل الشيخ رشيد رضا عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح ﷺ وهي متعارضة، مجهولة الأصل والتاريخ، بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغة التي ألفوا بها، كما أن نسخها الأصلية فقدت.

ويقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – إن الأناجيل الأربعة، لم يملها المسيح، ولكنها كتبت بعده، وبالتالي فليست هي الوحي الذي أوحي إليه، وهي كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى الوقت الحكم عليه بالموت صلبًا – وصلبه بالفعل على حد اعتقادهم – فإنها أيضًا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله).

وأما رسل الرسائل فإن كتابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله حتى يمكن القول بأن ما حرروه وحي من الله أو الهام منه. اللهم إلا ما جاء عن بولس، فهو يذكر في رسائله أنه يتكلم عن الله وأحيانًا يقول إنه يتكلم عن نفسه، مع أنه لا يوجد في كتب المسيحية ما يشهد له بالرسالة أو الإلهام أو الإيمان، سفر أعمال الرسل.

وهذه الأناجيل المعتمدة رسميًا ليست – بدون شك – ذلك الإنجيل الأصلي المنزل على عيسى ﷺ، وهذا باعترافهم، ويعلل الإمام أبو زهرة ذلك فيقول:

ففي هذا كله نجد كلمة إنجيل أو كلمة بشارة (وهي ترجمة كلمة إنجيل اليونانية) مضافة إلى ملكوت الله، كما في إنجيل متى ومرقس، وإنجيل الابن كما في رسالة بولس إلى أهل رومية، وكلمة الإنجيل من غير إضافة كما في إنجيل مرقس ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى، ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحدًا من هذه الأناجيل لأنها:

لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، لأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل – كما جاء في عبارة متى التي نقلناها – ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق.

ليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه وهم بعد لا يزالون في دور التعليم.

لأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائمًا في عهد عيسى.

لأنه ذكر من غير نسبته إلى أحد – كما جاء في إنجيل مرقس ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه.

ولأنه ذكر في رسالة بولس إلى أهل رومية منسوبًا إلى المسيح الابن. وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم.

لهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحدًا منها كما تقضي بذلك طبيعة السياق، وكما يقضي بذلك العقل وإذا كان الأمر كذلك، فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلًا أصيلًا نزل على عيسى وكرز به على حد تعبيرهم ووعظ ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟. [1]

وهل إذا وجد ذلك الإنجيل يكون حجة في أيدي المسيحيين؟

إننا نعتقد – بلا شك – أنه لو كان موجودًا بعينه لكان حجة في أيدي المسلمين لأن منزل كل من الإنجيل والقرآن الكريم واحد وهو الله تعالى، فلا يمكن عقلا أن يختلفا أو يتناقضا. [2]

المبحث الخامس: إنجيل برنابا

تمهيد:

لقد ظهر إنجيل جديد كشف عنه البحث العلمي، وقد حمل من الأمارات ما يدل على أنه في نشأته يمتد إلى أبعد أعماق التاريخ المسيحي، وأبعد أغواره.

وهو يشبه الأناجيل القائمة في أنه قصة المسيح من ولادته إلى اتهامه، ويحكي محاوراته، ومناقشاته، وخطبه، ولكن الكنيسة لم تعترف به، وأنكرته. فليس معتبرًا عند المسيحيين مصدرًا دينيًا، ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوروبية، وقد اتجهوا إليه بالبحث والعناية، والاهتمام ولم يمنعهم من ذلك إنكار الكنيسة له وذلك الإنجيل هو إنجيل برنابا، فما هي قصته؟ [3].

أولًا: من هو برنابا؟

يقول قاموس الكتاب المقدس: " برنابا: اسم آرامي معناه " ابن الوعظ"، وهو لاوي

---

(١) ماذا تعرف عن المسيحية ٨٥-٨٦، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ٦٠.

(٢) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ٥٩.

(٣) محاضرات في النصرانية (٦٣).

قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمان الرسل فترك علاقاته العلمية وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص في العالم، ويحث الناس على اعتناق المسيحية، ويعزيهم في مصابهم، ولذلك سماه الرسل برنابا أي ابن الوعظ بعد ما كان اسمه أولًا يوسف "[١].

وجاء ذكره في أعمال الرسل التي ينسب تدوينها إلى لوقا، فقد جاء في ٤/ ٣٦ – ٣٧: " ٣٦وَيُوسُفُ الَّذِي دُعِيَ مِنَ الرُّسُلِ بَرْنَابَا، الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ، وَهُوَ لاَوِيٌّ قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ، ٣٧إِذْ كَانَ لَهُ حَقْلٌ بَاعَهُ، وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ وَوَضَعَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ. "

وقد ذهب برنابا للدعوة في أنطاكية وكان داعية ناجحًا: "٢٢فَسُمِعَ الْخَبَرُ عَنْهُمْ فِي آذَانِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَأَرْسَلُوا بَرْنَابَا لِكَيْ يَجْتَازَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. ٢٣الَّذِي لَمَّا أَتَى وَرَأَى نِعْمَةَ اللهِ فَرِحَ، وَوَعَظَ الْجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ ٢٤لأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَمُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ. فَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ جَمْعٌ غَفِيرٌ. ٢٥ثُمَّ خَرَجَ بَرْنَابَا إِلَى طَرْسُوسَ لِيَطْلُبَ شَاوُلَ. وَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. "(أعمال ١١/ ٢٢ – ٢٥).

وذكر المؤرخون أن وفاته كانت سنة ٦١م في قبرص، حيث قتله الوثنيون رجما بالحجارة ودفنه ابن أخته مرقس الإنجيلي[٢].

فيتضح من هذا أن برنابا إما من الحواريين الإثنى عشر[٣] وإما من الرسل السبعين، ولا يحتمل وجود برنابا آخر؛ لأنه لم يرد ذكر لغير برنابا واحد في جميع المراجع، وملامحه واحدة فيها كلها. [٤]

ومهما يكن من شيء في هذا الأمر، وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم، فإن برنابا حجة عند المسيحيين، وهو من الملهمين في اعتقادهم، فإن صحت نسبة هذا الإنجيل إليه كان ما

---

(١) ص ١٧٢.

(٢) هل العهد الجديد كلمة الله؟ ، منقذ السقار (ص ١١١). نقلا عن: اليهودية والمسيحية، تأليف/ محمد ضياء الدين الأعظمي (ص ٣٥٣- ٣٥٦).

(٣) انظر إنجيل برنابا (الفصل الرابع عشر/ فقرة ١٣) حيث ذكر اسمه ضمن الاثنى عشر الذين اختارهم المسيح.

(٤) المسيحية، تأليف/ أحمد شلبي (ص ٢١٩).

يشمله حجة عليهم، يدعوهم إلى أن يوازنوا بين ما جاء فيه وما جاء في غيره من كتبهم، ويؤخذ بما هو أقرب إلى التصور والتصديق، وأصح سندًا، وأقرب بالمسيحية الأولى رحمًا. [١]

ثانيًا: التعريف بإنجيل برنابا:

لقد أسهب مترجم إنجيل برنابا في الحديث عن تاريخ هذا الإنجيل ومدى صحة نسبته إلى مؤلفه، ومن خلال هذه المقدمة نستطيع استنتاج الآتي:

(أ) النسخة الإيطالية:

اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل، نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا، وذلك في سنة ١٧٠٩، وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة ١٧٣٨م إلى البلاط الملكي بفينا، وكانت تلك النسخة هي الأصل لكل نسخ هذا الإنجيل في اللغات التي ترجم إليها. [٢]

وغني عن البيان أن هذه النسخة الإيطالية مترجمة عن اللغة التي كتب بها في الأصل هذا الإنجيل، فإذا صح أن مؤلفه هو برنابا فإن من الراجح أن يكون قد كتبها بإحدى اللغات الثلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في عصره وفي بيئته وهي اللغات العبرية والآرامية واليونانية ولا يمكن أن يكون قد كتب في الأصل بالإيطالية لأنها لغة حديثة لم يتم تكونها وانشعابها عن أمها اللاتينية إلا حوالي القرن السادس عشر الميلادي. [٣]

(ب) النسخة الأسبانية:

ولكن في أوائل القرن الثامن عشر، أي في زمن مقارب لظهور النسخة الإيطالية وجدت نسخة أسبانية ترجمها المستشرق سايل إلى اللغة الإنجليزية، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها إلا شذرات أشار إليها الدكتور هوايت في إحدى الخطب. . . ، ولقد رجح المحققون أن النسخة الإيطالية هي الأصل للنسخة الأسبانية، وذلك أنها قد قدمت بمقدمة تذكر أن الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية التي كانت أصلًا للنسخة الأسبانية هو

---

(١) محاضرات في النصرانية (ص ٦٧).

(٢) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٦٧).

(٣) انظر: دراسات في الكتاب المقدس (ص ١١٢).

راهب لاتيني اسمه (فرامينو) وهذه قصته: فيقول " إنه عثر على رسائل لأيريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول. ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن إنجيل برنابا. وقد وصل إلى مبتغاه لما صار أحد المقربين إلى البابا سكنس الخامس، فإنه عثر على ذلك الإنجيل في مكتبة هذا البابا فأخفاه بين أردانه، وطالعه، فاعتنق الإسلام. ويظهر أن تلك النسخة هي نفس النسخة التي عثر عليها سنة ١٧٠٩م. [١]

ثالثا: إلى أي حد تصح نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا؟

لقد ناقش الدكتور خليل سعادة هذا الأمر بالتفصيل في مقدمته لهذا الإنجيل وخلص إلى الآتي: "أن واضع هذا الإنجيل يهودي أندلسي تعمق في دراسة اليهودية، ثم تنصر وتعمق في دراسة النصرانية، ثم اعتنق دين الإسلام وتحمس له "[٢].

" ونحن نرى أن هذه الصورة يصعب أن توجد في الخيال فهيهات أن توجد في الواقع، وأي خيال يستطيع أن يصور يهوديًا متعمقًا في اليهودية يتنصر ويتعمق في النصرانية، ثم يسلم ويتعمق في الإسلام ويتحمس له تحمسًا يحمله على كتابة إنجيل ونسبته إلى واحد من الحواريين أو الرسل؟ إن هذا الرجل يحتاج أن يعمر عدة قرون كما يحتاج إلى وسائل غير عادية ليصل إلى هذه النتيجة، ثم لماذا لم ينتقل مثل هذا الرجل مباشرة من اليهودية للإسلام كما فعل كثير من يهود الأندلس؟ الحق أن هذا التفكير يبدو مستحيلًا ومضحكًا في نفس الوقت!!.

ونحن نسأل الدكتور سعادة: لماذا وضع هذا الرجل المسلم هذا الإنجيل؟ الطبيعي أنه وضعه ليحتج به المسلمون على المسيحيين في المناظرات التي كانت دائمة الوقوع بينهم، ولكن ما رأي الدكتور سعادة في أن أحدًا لم يحتج بهذا الإنجيل قط ولم يرد ذكره في تلك المناظرات الحامية كما كتب ذلك الدكتور سعادة نفسه[٣].

وكيف ينحدر إنجيل كاذب كهذا إلى مكتبة البابا، ثم إلى البرنس أيوجين، ثم إلى مكتبة

---

(١) أبو زهرة (ص ٦٨) وانظر: مقدمة إنجيل برنابا، تقديم خليل سعادة فقد شرح ذلك بالتفصيل.

(٢) مقدمة الإنجيل (ص١٨).

(٣) وانظر أيضًا المحاضرات لأبي زهرة (ص ٧١).

البلاط الملكي بفينا؟ وأول من عثر عليها في خزانة كتبه رئيس ديني خطير، وكاشفها راهب وكل هذه أوساط مسيحية "[١]

" فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم، وهي منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ولم يعرف بهذا الاسم سواه، له مثل مكانته الدينية.

ولقد كان وجود إنجيل له أمرًا معروفًا بين العلماء بهذا الدين، فهذا فرامينو يقول إنه اطلع على رسالة لأريانوس يستنكر ما كتب بولس مستشهدًا على استنكاره بإنجيل برنابا، ويذكر التاريخ أن هناك أناجيل كثيرة حرمت قراءتها الكنيسة". [٢]

رابعًا: سبب كتابة برنابا لإنجيله

وقد كتب برنابا إنجيله ليكشف ما صنعه بولس كما جاء في مقدمته " إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم معه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته. . . " (برنابا: مقدمة/ ٢ – ٨).

خامسًا: أوجه الخلاف بين هذا الإنجيل والأناجيل الأخرى.

ذكر مترجمه أربعة أمور خالف فيها هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة الأخرى:

الأول: أنه لم يعتبر المسيح ابن الله، ولم يعتبره إلها، وقد ذكر ذلك في مقدمته فقال: " أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشؤين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب

---

(١) المسيحية، أحمد شلبي (ص ٢٢١).

(٢) محاضرات لأبي زهرة (ص ٦٨ – ٦٩).

الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع. . . "[١]

الثاني: أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو إسماعيل، وليس بإسحاق، كما هو مذكور في التوراة، وكما يعتقد المسيحيون، وهذا نص ما جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام: " الحق أقول لكم إنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حيث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله. حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله، أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله: فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة". [٢]

فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟! ! !

الثالث: أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع، بل محمد، وقد ذكر محمدًا باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول، وقال إنه رسول الله، وإن آدم لما طرد من الجنة رأى سطورًا كتبت فوق بابها بأحرف من نور " لا إله إلا الله محمد رسول الله "[٣]، ولقد قال المسيح كما جاء في إنجيل برنابا: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي يظهر أني أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه، لأني لست أهلًا لأحل رباطات، أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي، وسيأتي بعدي بكلام الحق لدينه نهاية ". [٤]

وقد أسهب الإنجيل في الحديث عن البشارات بمحمد خاصة في الفصلين ٤٣، ٤٤

(الرابع) أن إنجيل برنابا يبين أن المسيح عليه السلام لم يصلب، ولكن شبه لهم، فألقى الله شبهه على يهوذا الإسخريوطي، ويقول في ذلك برنابا: " الحق أقول إن صوت يهوذا ووجهه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، كذلك

---

(١) إنجيل برنابا (ص ٣٢).

(٢) الفصل الرابع والأربعون، فقرات ٥- ١١.

(٣) الفصل الحادي والأربعون، فقرات ٣٠ - ٣١.

(٤) الفصل الثاني والأربعون، فقرات ١٣ – ١٦.

خرج بعضهم من تعاليم يسوع، معتقدين أن يسوع كان نبيًا كاذبًا، إنما الآيات التي فعلها بصناعة السحر، لأن يسوع قال إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم ". [١]

ثم يقول: " ووبخ كثيرين ممن اعتدوا أنه مات وقام قائلًا: أتحسبوني أنا والله كاذبون، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم. كما قد قلت لكم الحق أقول لكم أني لم أمت، بل يهوذا الخائن احذروا لأن الشيطان سيحاول أن يخدعكم ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل، وفي العالم كله. . . لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها ". [٢]

سادسًا: موقف المسلمين من إنجيل برنابا

على الرغم من موافقة إنجيل برنابا لمعتقدات المسلمين في الجملة، فإن أحدًا من المسلمين لا يعتبره الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح.

ولم يلجأ المسلمون إلى الاستشهاد بهذا الإنجيل إلا نادرًا، وكان استشهادهم به أقرب إلى الاستئناس منه إلى الاستدلال، فالمسلمون لا يرون في هذا الإنجيل إنجيل المسيح، لكنه أقرب إلى طبيعة دعوة المسيح وتلاميذه من سائر الأناجيل.

سابعًا: موقف النصارى من هذا الإنجيل

لم تعتبر الكنيسة أيًا من رسائل أو إنجيل برنابا ضمن الكتب المقدسة، وهنا نعجب كيف اعتبرت رسائل بولس ولوقا اللذين لم يريا المسيح؟ ولم تعتبر أقوال برنابا الذي سبقهم بالإيمان وبصحبة المسيح! !

وقد صدر عام ٣٦٦م أمر من البابا دماسس بعدم مطالعة إنجيل برنابا، ومثله مجلس الكنائس الغربية عام ٣٨٢م، كما صدر مثله عن البابا أنوسنت ٤٦٥م، كما وقد حرّم البابا جلاسيوس الأول عام ٤٩٢م مطالعة بعض الأناجيل، فكان منها إنجيل برنابا. [٣]

---

(١) الفصل السابع عشر بعد المئتين: الفقرات ١٥- ١٩

(٢) الفصل الحادي والعشرين بعد المئتين، فقرات ١٥ – ١٩.

(٣) انظر: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، محمد عوض، صـ (٦٠ – ٦١)،

ثامنًا: مخالفة الإنجيل لمعتقدات المسلمين

ومما يدل على براءة المسلمين من هذا الإنجيل اختلافه في طريقة صياغته وأسلوبه عن طريقة العرب وأسلوبهم، فليس في المسلمين من يذكر الله ولا يثني عليه. أو يذكر الأنبياء ولا يصلي عليهم.

كما يخالف إنجيل برنابا المعتقدات الإسلامية في مسائل منها:

١- قوله بأن الجحيم للخطاة السبعة: المتكبر والحسود والطماع والزاني والكسلان والنَهِم والغضِب المستشيط. (انظر برنابا ١٣٥/ ٤ - ٤٤) وقد ترك ذنوبًا أكبر كالشرك والقتل، كما أن الكسِل والنهِم لا يستحقان النار.

٢- تسمية الله " العجيب " (برنابا ٢١٦/ ٣)، وهو ليس من أسماء الله الحسنى، وأسماء الله عند المسلمين توقيفية، لا يجوز لأحد أن يزيد عليها.

وكذا قوله عن الله: " إن الله روح " (برنابا ٨٢/ ٦) والأرواح عندنا مخلوقة، ويتحدث عن الله، فيصفه أنه " المبارَك " (برنابا ٧١/ ١٦)، ولا يمكن لمسلم أن يقول عن الله ذلك، إذ هو الذي يبارِك، ومن ذا الذي يبارك الله جل وعلا فتبارك الله أحسن الخالقين.

٣- ومما يرد أيضًا انتحال مسلم لإنجيل برنابا قوله: " أقول لكم إذًا: إن السماوات تسع " (برنابا ١٠٥/ ٣)، ولا يقول بهذا مسلم قرأ القرآن.

٤- وأيضًا يذكر برنابا تسميات للملائكة لم يقل بها المسلمون، وفي ذلك ذكر اسم رفائيل وأوريل في قوله: " أمر جبريل وميخائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ... فجاء الملائكة الأطهار " (برنابا ٢١٥/ ٤-٥).

٥- ثم قد ورد اسم الرسول " محمد " خمس عشرة مرة في إنجيل برنابا، ولم يرد اسمه " أحمد " مرة واحدة، ولو كان الكاتب مسلمًا لعمد إلى كتابته - ولو مرة واحدة ليحقق التوافق الحرفي مع ما جاء في سورة الصف ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

الأناجيل، أحمد طاهر، ص (١٨٤ - ١٨٥).

٦- ثم لو كان كاتبه مسلمًا لكتب معجزة كلام المسيح في المهد التي ذكرها القرآن وأغفلتها الأناجيل، وغير ذلك من المسائل التي تثور في وجه من يقول بانتحال مسلم لهذا الإنجيل. [(١)]

٧- ذكره أن مريم العذراء وتلاميذ المسيح عليه السلام ركعوا أمام الملائكة المقربين، ولا يمكن أن يكتب هذا مسلم.

٨- أنه يبشر بدوام الصلاة، ويصفها كما وردت في العهد الجديد بأنها أدعية بدون تحديد لركوع، أو لسجود، وذلك يوضح أنه لم يعلم بشريعة النبي محمد ﷺ، وهذه الأمور معلومة من دين الإسلام بالضرورة.

٩- يصف الصيام بأنه غير محدود الأيام، وأنه من نجمة الصباح إلى نجمة المساء، بينما في الشريعة الإسلامية قد فرض الصوم شهرًا كاملًا يمتنع فيه المسلم عن شهوتي البطن والفرج من الفجر إلى المغرب.

١٠- ويأمر برنابا في إنجيله بقتل القاتل والسارق والزاني، أما في الشريعة الإسلامية فهي تنص صراحة على قتل القاتل عمدا وقطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وجلد الزاني غير المحصن.

١١- يقول برنابا في إنجيله: " إن الله لم يرسل رسولًا للجن، وهذا يصدق قبل رسالة محمد ﷺ ولكنه لا يصدق بعدها لأنه ﷺ بعث إلى الثقلين الإنس والجن، قال تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (الأحقاف: ٢٩)".

١٢- يذكر إنجيل برنابا أن الذين يحرسون النار شياطين، بينما حراس النار في القرآن الكريم ملائكة، قال تعالى: " وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً " (المدثر/ ٣١) " وذلك يدل على أن كاتب هذا الإنجيل لم يطلع على القرآن الكريم ولم يكن متعمقا في إسلامه وإلا ما قال ذلك.

١٣- لم يذكر برنابا في إنجيله أن المسيح عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ولا أنه عليه السلام أخبرهم بما يخبئون في بيوتهم، ولو أن مسلما أراد أن يزور إنجيلا لبدأ بالأسس

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (ص ١١٦ – ١١٧).

التي أوضحها القرين عن عيسى عليه السلام.

١٤- جاء فيه أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم قبل أن ينفخ فيه الروح، والقرآن الكريم يصرح بأنهم أُمروا بالسجود له إلا بعد نفخ الروح فيه، قال تعالى: " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(الحجر: ٢٩). [1]

تاسعًا: حال هذا الإنجيل كحال بقية الأناجيل

وحين يدفع المسلمون القول بأن إنجيل برنابا منحول، ليس لجزمهم بصحة نسبة الإنجيل إلى برنابا، بل لجزمهم بأن هذا الإنجيل لا يقل حاله بحال من الأحوال عن سائر أسفار العهد القديم والجديد.

ويوافق المسلمون النصارى في اعتراضهم على هذا الإنجيل، ودعواهم بأنه لم يصل بطريق موثق، وأنه لا يعلم أصله، لكن الحال الذي ينكرونه في إنجيل برنابا هو حال كل صحيفة من صحائف الكتاب المقدس.

بل إن لإنجيل برنابا مزية على سائر الأناجيل، فقد صرح فيه الكاتب أنه برنابا، ويقول عن نفسه في سائر صفحات الإنجيل: فقال لي برنابا، وقلت للمسيح. . . . ، بينما لا تجد مثله في سائر الأناجيل (انظر متى ٩/ ٩) و(يوحنا ٢١/ ٢٤).

وأما عن أخطاء الإنجيل التاريخية أو ذكره تسمية "جبل طابور" (برنابا ٤٢/ ٢٠) وهي تسمية غير معهودة أيام المسيح، فهذا لا يختلف أبدًا عن ذكر حبرون في عهد موسى، وقد سميت بعده (انظر التكوين ١٣/ ١٨).

ولعل هذه التسمية الجديدة - إن صحت جدتها - من عمل الناسخ وتدخله في النص.

ثم إن أسلوب الكاتب ومعلومات الإنجيل يؤكدان بأن الكاتب ضليع في علوم الكتاب المقدس، متصف بعمق واسع يليق ببرنابا داعية النصرانية في الجيل الأول، فليس بمستغرب أن يكون قد كتب إنجيلًا، ومنع قراءته دليل وجوده بل واشتهاره.

---

(١) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (١٩٥- ١٩٦).

وأما مخالفة الإنجيل للحقائق التاريخية فلكونه عملًا بشريًا، ولا حرج في ذلك، إذ أن النصارى ينسبون مثل هذه المخالفات إلى أسفار الوحي.

وقول برنابا: " الكذب فضيلة " لا يختلف كثيرًا عن قول بولس عن نفسه بأنه روماني كذبًا (انظر أعمال ٢٣/ ٢٥)، ثم قوله: " ٧فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ الله قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟ " (رومية ٣/ ٧)، فصدور هذا الاعتراض من النصارى لا يقبل.

وأما التشابه بين أقوال الشاعر دانتي وإنجيل برنابا فهو لا يعني جزمًا بأن كاتب الإنجيل كان بعد دانتي، بل قد يكون دانتي هو المستفيد من برنابا، ثم إن التشابه لا يعني بالضرورة نقل اللاحق عن السابق دائمًا، وإلا لزم أن نقول بأن أسفار التوارة التشريعية منقولة عن قوانين حمورابي للتشابه الكبير بينهما.

وأخيرًا، فإنه لو كان كاتب الإنجيل في العصور الوسطى لما وقع بتلك الأخطاء في الإحالة إلى أسفار التوارة، ولكان أيضًا قد اهتم بالتنديد بالأناجيل الأخرى، ولكنه لم يصنع لسبب بسيط، وهو أنه كتب إنجيله قبل انتشار هذه الأناجيل.

ولو كان الإنجيل منحولًا لندد مؤلفه بالتثليث وكتب في إبطاله، لكنه لم يتحدث عنه، فدل ذلك على أن زمن الكتابة سابق على دعوى التثليث التي ظهرت في القرن الميلادي الرابع.

وهكذا نرى أن إنجيل برنابا لا يختلف من ناحية الإسناد كثيرًا عن الأناجيل الأربعة، لكنه الإنجيل الوحيد الذي صرح فيه كاتبه باسمه وبأنه شاهد لما يكتب، وأما متنه فكان أكثر اتساقًا من جميع الأناجيل، متميزًا بترابطه وجمال أسلوبه ومعرفته الكبيرة بالعهد القديم وأسفاره، وهو ما يليق حقًا بداعية النصرانية في الصدر الأول: برنابا.

وقد كانت مضامين هذا الإنجيل متفقة إلى حد بعيد مع ما يعهد في رسالات الله إلى أنبيائه، وحُقَّ لتولاند ١٧١٨م في كتابه " الناصري " أن يقول عند ظهور هذا الإنجيل: " أقول على النصرانية السلام ".

وكذا قوله: " إن مد النصرانية قد وقف من ذلك اليوم. . . إن المسيحية ستتلاشى

تدريجيًا حتى تنمحي من الوجود". [١]

المبحث الخامس: المجامع المسيحية وأثرها على العقيدة.

تمهيد:

مقصدنا من ذكر هذا الفصل هو: أن نبين الأدوار التي مرت عليها عقيدة التثليث، فإنه من المقرر في تاريخ المسيحية بالبداهة أن التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير المسيحيين، أو الكثرة الغلبة فيهم، لم يعلن للناس دفعة واحدة، بل في أزمان مختلفة، وكان بإعلان المجامع التي كانت تعقد من الأساقفة، وفيها يقرر المجمع رأيا معينا، ولا يهمنا منها إلا مايختص بالعقيدة. [٢]

أولًا: تعريف المجامع:

" هي هيئات شورية في المسيحية، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم، حيث عقدوا المجمع الأول في أورشليم عام ٥١ – ٥٢ م، أي بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة للنظر في مسألة الختان،. . . ، فقد قالوا إن التلاميذ والمشايخ بهذا المجمع الذي بينه سفر الأعمال (إصحاح ١٥) قد سنوا للمسيحيين سنة جمع المجامع؛ لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة. "[٣]

ابتداع المجامع:

وواضح من هذا التعريف بداية أن المسيح لم ينشئ لهم هذا النظام ولم يشر إليه ولم يدع إلى تأسيسه، وإنما الذي رسمه وشرعه الذين جاءوا بعد المسيح ﵇، وهذا يعني أن المسيحيين لم يستندوا إلى نص صحيح من قول أو فعل في تأسيس هذا النظام.

والحقيقة أن المسيح ﵇ لم يدع إلى شريعة جديدة ولم يؤسس نظامًا جديدًا، بل سار على النسق الذي رسمه الله لموسى ﵇، وحكم بشريعته وناموسه، ولم يؤمر المسيح ﵇أن يغير شيئًا من شريعة موسى ومنهاجه – إلا ما أشار إليه القرآن الكريم – وهذا

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١١٧ – ١١٨)، وانظر: معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، إبراهيم الجبهان، (ص ٦٢ – ٦٣).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٣٦).

(٣) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٢).

يعني أن شريعة موسى هي التي كان على أصحاب المسيح وتابعيه إتباعها والعمل بها، ولكن هذا لم يحدث، وبدأ التغيير مبكرًا بسبب هذه المجامع.

المجامع حيلة لفرض عقائد وشرائع جديدة:

حينما أراد المسيحيون الجدد بعد المسيح عليه السلام - وعلى رأسهم بولس - أن يغيروا نظام الديانة ويلغوا التعامل بشريعة اليهود، أقاموا مجمع أورشليم المشار إليه سابقا؛ ليحكم لهم بما أرادوا وليعطوا حكمه صفة القداسة ولتأخذ المجامع الصفة التشريعية بدلا من التوراة، ولتشرع لهم ما أرادوا وما رأوه ملائمًا لهم ولأهوائهم، وهذا يعني أن المجامع أنشئت لتشرع وتبدل وتنظم ما تراه. (١)

مهمة مجمع أورشليم:

وكانت مهمة هذا المجمع الأول هو مناقشة قضية من قضايا التشريع - وهي قبول غير اليهود في الديانة النصرانية، وهل عليهم أن يلتزموا بشريعة اليهود؟

مهمة المجامع الأخرى:

أما المجامع الأخرى التي ابتدعها قسطنطين وأعطاها الصفة المقدسة فقد كانت مناقشاتها تدور حول صيغة الإيمان وحقيقته، والقانون الإيماني الذي يجب على المسيحي اتباعه واعتقاده، هذا إلى جانب تقريرها للنظم الكنسية التي انتهجها القوم.

ثانيًا: أنواعها:

المجامع عند النصارى قسمان:

١- مجامع عامة (مسكونية)(٢).

وهي التي يجتمع فيها رجال الكنائس المسيحية في كل أقطار العالم.

٢- مجامع مكانية:

وهي - كما يعرفها المسيحيون - التي كانت ولا تزال الكنائس تعقدها في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقسوسها إما لإقرار أو لرفض عقائد عامة، أو للنظر في بعض

---

(١) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، أحمد علي عجيبة (٢٦١ - ٢٦٢).

(٢) تقول ايريس حبيب المصري: إن مسكوني نسبة إلى مسكونة أي العالم (قصة الكنيسة القبطية ١/ ١٦٧).

الشئون المحلية الخالصة(١). أي أنها لا تقرر عقائد جديدة.

ونحن في هذا البحث، لن نتعرض – إن شاء الله – إلا للمجامع المسكونية؛ لأنها هي التي قررت العقائد المسيحية من وقتها وإلى الآن، وهي التي رسمت المسوح والتقاليد الكنسية القائمة في الكنائس.

ثالثا: عددها:

لقد أحصاها صاحب كتاب " سوسنة سليمان " منذ القرون الأولى للمسيحية إلى سنة ١٨٦٩، فكانت عدتها عشرين مجمعا. (٢)

سبب انعقاد المجامع المسكونية:

والسبب الأساسي لانعقادها – كما يرى المسيحيون – هو ظهور آراء دينية غريبة رئي من الضروري فحصها في هذه المجامع، وإصدار قرارات في شأنها وشأن مبتدعيها. (٣)

شروط المجمع المسكوني:

ذكر لنا – كيرلس الأنطوني – شروط المجمع المسكوني فقال: ينبغي أن تتوافر في المجامع العامة أو المسكونية بضعة شروط نوجزها فيما يلي:

١ – أن تنعقد بسبب دعوى أو انشقاق.

٢ – أن تنعقد بسبب دعوة من الإمبراطور.

٣ – أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقًا وغربًا لتمثل فيها المسكونة.

٤ – أن تقرر شيئا لم يكن مقررا من قبل. (٤)

وفي ضوء هذه الشروط يتبين لنا أن المجامع المسكونية أعطيت لها سلطة تقرير ما لم يكن مقررا من قبل، وذلك في الأمور الدينية والعقدية، وكان يساند هذه القرارات الأباطرة الذين

---

(١) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٢).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٣٧).

(٣) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطي (٢/ ١١٢).

(٤) عصر المجامع، القمص كيرلس الأنطوني (٢١).

كانوا يدعون إليها – وهو شرط من شروط المجمع المسكوني – ويرأسون جلساتها، ويصدقون على قراراتها، ويعملون على تنفيذها، وهذا يعني أن هذه المجامع قد خضعت لأهواء السلطات الحاكمة يدعون ويقررون ما يرونه في صالحهم وصالح سياستهم. (١)

وليس هدفنا في هذا الفصل تعداد المجامع المسكونية بالتفصيل، وإنما المقصود بيان أثر هذه المجامع في المسيحية، لذلك سنكتفي بذكر أهم هذه المجامع وخاصة المجامع الأولى منها؛ وذلك لأنها المختصة بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة التي ينبغي أن تلتزم بها كل الطوائف والكنائس.

أهم المجامع المسكونية:

١ـ المجمع المسكوني الأول: مجمع نيقية ٣٢٥ م

أولًا: سبب انعقاده:

له سببان: عام وخاص

أما العام فهو: الاختلاف الشديد الذي وقع بين الطوائف المسيحية الأولى حول شخص المسيح وهويته.

والمشكلة من أساسها هي أن النصارى في القرون الثلاثة الأولى قد تعرضوا لألوان شتى من الاضطهاد والتعذيب، واستمر هذا الاضطهاد حتى عصر قسطنطين الذي منح النصارى الحرية والاطمئنان، لكنهم في الحقيقة لم ينعموا بالراحة والسعادة، ذلك أنهم حين استراحوا من نير الاضطهاد وشعروا بالاطمئنان جهر كل واحد بمسيحيته وباعتقاده في المسيح، وعندئذ فوجئوا بما هو أشد عليهم مما كانوا فيه، فلقد وجد النصارى أن بينهم من الخلاف ما لا يمكن وجوده في دين واحد.

يقول ول ديورانت: " إن أتباع المسيح قد انقسموا في الثلاثة قرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة ". (٢)

---

(١) تكوين أوروبا، كرستوفر دوس (٤٥)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٦٥)

(٢) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٩١).

أما السبب الخاص فكان ما يسمى في تاريخهم (ببدعة آريوس)[١].

كان آريوس في مصر داعية قوي الدعاية، جريئًا فيها، واسع الحيلة، بالغ الأرب، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعوا إليه، فقام هو محاربا ذلك مقرًا بوحدانية المعبود، منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الأوهية، وقد قال في بيان مقالته ابن البطريق: " كان يقول إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن ". [٢]

وقد اتسع الخلاف بين آريوس وبين بطريرك الإسكندرية في وقته، وقد تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان في الأمر، فأرسل كتابا إلى آريوس والإسكندر يدعوهما إلى الوفاق، ثم جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م.

يقول ابن البطريق في وصف المجتمعين: " بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البربرانية، ويسمون الريميتين، ومنهم من كان يقول إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة من نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، وهي مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة البيان وأشياعه " إلى آخر الأقوال المختلفة التي ذكرها ابن البطريق. [٣]

قال يعقوب نخلة " كل فئة تلعن الأخرى وتحرمها، وتزيف معتقدها ومذهبها.

---

(١) انظر تفصيلًا أكثر عن آريوس وحياته وتفصيل عقيدته، كتاب " تأثر المسيحية بالأديان الوضعية "، أحمد علي عجيبة (٢٦٨ - ٢٧٢).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٤٠).

(٣) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٢٦).

كل يؤيد دينه يا. . . . . . . ليت شعري ما الصحيح ". [١]

تدخل قسطنطين:

ولما اجتمع هؤلاء المختلفين، وبدأ المجمع وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من، وأخلى دارا للمناظرة، ولكنه جنح أخيرا إلى رأي بولس، وعقد مجلسًا خاصًا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي وكان عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة.

ويصف ذلك الاجتماع ابن البطريق فيقول: " ووضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلسًا خاصًا عظيمًا، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتابًا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعمله ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به "[٢].

نتائج هذا المجمع:

(١) وضع قانون الإيمان:

لقد قام هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر بوضع قانون الإيمان، أو ما يسمى " الأمانة "

وهاك نص هذا القانون " نؤمن بإله واحد ضابط الكل، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي هب كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه وأيضًا يأتي

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة (٢٧).

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٢٧).

ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء ". [١]

(٢) أما بالنسبة لآريوس الذي انعقد المجمع من أجله فقد أصدر المجمع قرارين بشأنه:

أ- أقر المجمع بحرم آريوس وتجريم بدعته ونفيه.

ب- حرق كتب آريوس ومنعها عن الناس، وقرر عقوبة الخيانة العظمى على كل من توجد معه تلك الكتابات. [٢]

(٣) قرر المجمع أيضًا حرمان كل من يقول بآراء آريوس، أو يخرج في آرائه وعقائده عن آراء هذا المجمع. [٣]

(٤) تم الفصل في هذا المجمع في بعض مشاكل المسيحيين، ووضع عشرين قانونا تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الإكليروس. [٤]

تعقيب على هذا المجمع:

١-أول ما يلاحظ على هذا المجمع أن العدد الذي قرر ألوهية المسيح كان ثمانية عشر وثلاثمائة أسقف، فما هي آراء الباقين؟ ولماذا أهملت كل هذا الإهمال؟. . . ، ولماذا يؤخذ برأي هؤلاء مع أن العدد الأكبر كان مع آريوس.

ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأي الذين رأوا ألوهية المسيح.

٢- أن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأسا، بل لابد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت.

٣- أن المجمع أمر بتحريق الكتب التي تخالف رأيه، وتتبعها في كل مكان، وحث الناس على تحريم قراءتها، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأي أمر من الأمور التي تخالف رأيه، وهو بهذا يحاول التحكم في القلوب، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه، ومنعها منعا باتا أن تقرأ غيره، ويسد عليها منافذ النور والاهتداء إلى

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي (١/ ٦٣١)، عصر المجامع (٦٤ – ٦٥).

(٢) تاريخ الأقباط (١/ ١٥٧ – ١٥٨)، فجر المسيحية (١٥١).

(٣) تاريخ الفكر المسيحي ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة، الأنبا غريغوريوس (٨).

(٤) مجموعة الشرع الكنسي (٤١).

ما يخالفه، ولعل المجمع مخطئ في ذلك التحريم، وآثم في ذلك التحريق بل إن المجامع العامة من بعده قد خطأته، فأعادت إلى حظيرة التقديس كتبا حرمها، وأخرجت من البل ى كتبا حرقها، قد حرم كتبا من العهد القديم، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجامع المسيحية من بعده، وحرم مكن كتب النصارى المعتبرة الآن: رسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا، ومشاهدات يوحنا، ولكن المجامع من بعده أقرته، وأجمعت عليها. [١]

وهذا في حد ذاته دليل على التحريف، إذ لو كان المجمع معصوما لما أضيف إليه، ولما خطئ في بعض القرارات. [٢]

بقاء فكرة الوحدانية:

ومع أن المجمع قد عقد وتم فيه ما تم إلا أن فكرة الوحدانية لم تمت ولم يقض عليها تماما، والدليل على ذلك أن ابن البطريق يذكر أن " أوسابيوس " أسقف نيقومدية كان موحدًا ومن أنصار آريوس في المجمع العام، إلا أنه دخل مع الذين قالوا بألوهية المسيح حتى يتقرب إلى السلطان ويستطيع أن يقنعه بالتوحيد.

ولما انعقد الاجتماع الإقليمي في صور وحضره هو وبطريرك الإسكندرية، انتهز أوسابيوس هذه الفرصة وأثار مرة أخرى مقولة آريوس، وكان في هذا المجمع كثير من الموحدين المتمسكين به، واشتد النقاش القولي بينهم إلى أن تطور إلى الضرب بالأيدي.

ونستنتج من ذلك أن فكرة ألوهية المسيح هي العارضة، والأصل هو التوحيد وأيضًا كان قسطنطين يشجع دائمًا المخالفين للتوحيد، وإن كان لا يظهر السخط على غيرهم أحيانًا، وأيضًا اتضح لنا أن مجمع صور كان يخالف كل المخالفة ما تقرر في مجمع نيقية، وأن موطن الدعاية لألوهية المسيح كان كنيسة الإسكندرية وحدها، فهي التي حاربت

---

(١) محاضرات في النصرانية (١٤٤ – ١٤٥).

(٢) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٧٥ - ٢٧٧).

آريوس، وهي التي لعنته مرتين.[١]

المجمع المسكوني الثاني: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

يعتبر هذا المجمع هو المجمع المسكوني الثاني، ولقد عقد في القسطنطينية وذلك بأمر من الإمبارطور ثيودسيوس (٣٧٩ – ٣٩٥ م) في عام ٣٨١م.

ولقد كان هذا المجمع في أول الأمر مجمعا محليا ثم تحول إلى مجمع مسكوني بعد موافقة بابا روما على ما قرر فيه، ولقد ترددت الكنيسة أعواما طويلة قبل أن تمنحه صفة المجمع المسكوني.[٢]

سبب انعقاد هذا المجمع:

في الفترة التي خلا فيها عرش القسطنطينية من وجود إمبراطور وهي الشهور الواقعة بين مقتل فالنز (إمبراطور الشرق ٣٦٤ – ٣٧٨ م) وإعلان ثيودوسيوس إمبراطورًا – وهي الفترة الواقعة بين شهرى أغسطس ٣٧٨ م، يناير ٣٧٩ م وامتدادها حتى دخل الإمبراطور الجديد إلى عاصمته في نوفمبر سنة ٣٨٠م – ماجت القسطنطينية بشتى الفكر والاتجاهات.

وهذه الفترة هي التي يعبر عنها الاهوتي القديس جريجوري أسقف نيسا (٣٤٠ – ٤٠٠ م) وهو يصف حال القسطنطينية وأهلها فيقول: " لقد امتلأ كل شيء بأولئك الذين يتحدثون بغوامض الكلم، وازدحمت بهم الطرقات والأسواق والأزقة، فإذا ما سألت عما يجب أن أدفعه ثمنًا لشيء فلسفوا لي الإجابة حول المولود والمخلوق، وإذا ما رغبت في الوقوف على ثمن الخبز أجابني بأن الآب أعظم من الابن، وإذا ما بحثت عما إذا كان حمامي قد أعد جاءتني الإجابة تقول إن الابن خلق من العدم. . . ".[٣]

وأيضًا قد بين الناس بعض العقائد أهمها: مقالة ماكدونيوس وكان أسقفًا للقسطنطينية، وقد عزل بسبب مقولته في الروح القدس أنه مخلوق كسائر المخلوقات؛ أي ليس بإله، وتبعه الكثير على ذلك.

---

(١) محاضرات في النصرانية (١٤٧ – ١٤٨) بتصرف.

(٢) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (٢/ ٢٨٩).

(٣) الدولة والكنيسة (٤/ ٥٧ – ٥٨).

ولقد انزعج بعض القواد والوزراء من هذه المقولة، وذهبوا إلى الإمبراطور "ثيودوسيوس" وشكوا إليه هذا الأمر وما حصل بين الناس من اختلاف وطلبوا من الإمبراطور أن يعقد مجمعًا مسكونيًا للبت في هذا الأمر ن فاستجاب الإمبراطور لطلبهم في هذا الأمر وكتب إلى البطاركة والأساقفة يدعوهم للاجتماع، وأمر بانعقاد مجمع في القسطنطينية يرد هذا الإشكال ويدحضه ويدعو الناس إلى عقيدة نيقية. (١)

اجتماع الأساقفة:

وقد حضر إلى القسطنطينية مائة وخمسون أسقفًا " وكانوا من أساقفة الكنائس الشرقية وكان منهم تيموثاوس بابا الإسكندرية، ونكتاريوس بطريرك القسطنطينية، وملاتيوس أسقف إنطاكية، وكيرلس أسقف أورشليم، ولم يحضر أحد من الكنيسة الغربية.

أهم قرارات هذا المجمع:

١- لعن أصحاب البدع المخالفة لقانون الإيمان الذي قرره مجمع نيقية، وحرمهم من الكنيسة وتحريم تعاليمهم.

٢- إن الروح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة.

٣- زاد هذا المجمع في الأمانة - التي وضعت في مجمع نيقية - صيغة (نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد).

٤- ثبتوا أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة. (٢)

وبعد ذلك قام المجمع بإرسال رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس ضمنها القرارات والقوانين التي اتفق عليها المجمع، وطلبوا من الإمبراطور أن يؤكد القرارات التي أخذوها،

---

(١) المجامع المسيحية، محمد الشتيوي (١٩٩).

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق، ابن البطريق (١/ ١٤٥ - ١٤٦).

واستجاب الإمبراطور لمطالبهم فأصدر أوامره في الثلاثين من يوليو سنة ٣٨١م بأن كل الكنائس تخضع لقرارات هذا المجمع، ومن لا يدخل في شركة هؤلاء وجب طرده من الكنيسة. (١)

وبذلك تقرر التثليث على يد الأباطرة والسلاطين الذين كانوا يؤكدون على قرارات المجامع ولا يزال الأمر مستمرًا. (٢)

المجمع الثالث: مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

سبب انعقاده:

لقد هذا المجمع بسبب آراء نسطور حيث نادى نسطور بقوله " إن مريم لم تكن والدة الإله، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدًا، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانا هو آلة للاهوت "(٣)

ومعنى هذا أن مذهبه يتلخص فيما يلي:

أن المسيح له طبيعتان: إحداهما بشرية والأخرى لاهوتية، والطبيعة البشرية ولدت من مريم لذلك تسمى (والدة المسيح الإنسان) أما اتصال الطبيعة البشرية باللاهوتية فذلك لم يكن عن طريق الاتحاد والامتزاج بينهما، بل عن طريق المصاحبة. . "(٤)

وطبعًا أغضبت هذه التعاليم المسيحيين؛ لنهم فهموا منها أن نسطور بقوله بإنكار الاتحاد بين الطبيعة البشرية واللاهوتية إنما هو يهدر بذلك ألوهية المسيح.

وتم إرسال رسائل إلى الإمبراطور ليعقد مجمعا للرد على هذه الآراء، وبالطبع وافق وانعقد المجمع وعدده من نحو مائتين من الأساقفة، وقرروا ما نصه: " أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد في الأقنوم، ولقد لعنوا نسطور. (٥)

زيادة حدة الاختلاف بين المسيحيين نتيجة لهذا المجمع:

---

(١) الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٤/ ٧٧ – ٧٨).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٥١: ١٥٣)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية(٢٨٠ – ٢٨٣)

(٣) تاريخ الأقباط (١/ ١٥٩).

(٤) تاريخ الأدب السرياني، مراد كامل (٩٤).

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٥٧).

لم يستطع أفسس أن يضع حدًا لتلك الاختلافات والمنازعات القائمة بين المسيحيين، بل بالعكس زاد من حدتها، وسبب ذلك أن المجمع عقد قبل وصول يوحنا أسقف غنطاكية، وقبل وصول مندوبي بابا روما، مما أدى إلى حدوث شقاق بين هذه الكنائس واستمر إلى الآن، وبذلك يتبين لنا أن مجمع أفسس لم يكن شاملا لكل أطراف النزاع.

وفي هذا المجمع أيضًا أثبتت كنيسة الإسكندرية أنها رائدة الفكر التثليثي وهي المدافعة عنه والواقفة لكل من يخالفه بالمرصاد. (١)

المجمع الرابع: مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م

سبب انعقاده:

لم يحسم المجمع السابق الخلاف في مسألة اجتماع العنصر الإنساني والعنصر الإلهي في المسيح، فلم يقض على نحلة نسطورس قضاء مبرمًا، وإن كان قد نفاه وآذاه، بل نمت نحلته بعد ذلك في المشرق وذاعت في البلاد، ولم يقف الخلاف في ذلك عند نسطور وأتباعه، بل إن كنيسة الإسكندرية قد خرجت هي الأخرى برأي جديد عرضته على الملأ من الأساقفة وجمعوا له مجمعا قرروه فيه، وذلك الرأي أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها الاهوت بالناسوت.

وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثاني الذي تسميه الكنيسة الكاثوليكية " مجمع اللصوص". (٢)

مجمع أفسس الثاني في أغسطس سنة ٤٤٩م:

واجتمع في أفسس ما يقرب من مائة وخمسة وثلاثين أسقفا. . وبدأ المجمع أعماله برئاسة (ديسقورس) بطريرك الإسكندرية، " وأكد هذا المجمع على القول بالطبيعة الواحدة بعد التجسد، لذلك جاء في قراراته: كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محرومًا "(٣)

وهكذا تم في هذا المجمع لعن وحرمان كل من يقول بالطبيعتن بعد التجسد، وكان

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٨٩).

(٢) محاضرات في النصرانية (١٥٦).

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية (٢٢٩).

من الذين شملهم قرار الحرمان واللعن بطريرك القسطنطينية.

وظهر لنا واضحًا مدى حرص كنيسة الإسكندرية على تأكيد ألوهية المسيح فلقد عمل بطريرك الإسكندرية " ديسقورس " على التأكيد على ألوهية المسيح بأن ركز على القول بالطبيعة الواحدة، وهذا المجمع لا تعترف به الكنيسة اليونانية ولا كنيسة روما. (١)

مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

ولم يحسم مجمع أفسس الثاني الخلاف بين المسيحيين بل زاده اشتعالًا، فالعقيدة التي ناقشها والتي كانت محل النزاع- وهي طبيعة المسيح – هي السبب في انفصال الكنيسة القبطية المصرية عن الكنيسة الغربية إلى الآن.

سبب انعقاد هذا المجمع:

لقد شن بابا روما الحرب ضد مجمع أفسس الثاني وقراراته، وكان يأمل في انعقاد مجمع يلغي به قرارات هذا المجمع، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك في عهد الإمبراطور " ثيودسيوس الثاني "، وبعد موت هذا الإمبراطور عام ٤٥٠م خلفه على العرش الإمبراطور " مرقيان " الذي كانت زوجته " بولكيرا " تميل إلى القول بالطبيعتين. فانتهز بابا روما(ليون الكبير) الفرصة، وكتب إلى الإمبراطور يطلب منه الدعوة بعقد مجمع مسكوني، واستجاب له الإمبراطور، ودعا إلى عقد مجمع مسكوني يأمل منه تقرير إيمان واحد في كل أنحاء الإمبراطورية. (٢)

وعقد المجمع في خلقيدونية سنة ٤٥١م، وقد اشترك في أعماله ستمائة وثلاثون أسقفًا بينهم نواب روما، وبطريرك الإسكندرية "ديسقورس "، وبطريرك القسطنطينية وغيرهم كثير.

ولقد حدث في أولى جلساته اختلاف كبير بين المسيحيين، أدى إلى الصخب والضجيج والمنازعات مما حدا بمندوبي الحكومة أن يصيحوا فيهم قائلين بلسان أحدهم " إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه العمال الشائنة من صياح وصراخ

---

(١) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٧).

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ما بين الإسكندرية و وروما (٣٣).

وسب وقذف وضرب ولكم، بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب في الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضا عن القول الهراء. "[١]

نتائج المجمع:

١- وانتهى المجمع في قراراته إلى القول بالطبيعتين في المسيح، وهاتان الطبيعتان تؤلفان أقنومًا واحدًا وشخصًا واحدًا، ومريم على ذلك والدة الإله بحسب الناسوت.

٢- وقرر المجمع أيضًا حرمان ولعن كل من: نسطور، وديسقورس، ومن يقول بقولهما، ولعنوا وأبطلوا قرارات مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ م، ونفي ديسقورس إلى فلسطين[٢].

آثار هذا المجمع على المسيحية:

ولما علم المسيحيون المصريون بما حصل في هذا المجمع قرروا مقاطعة هذا المجمع وعدم الاعتراف بقراراته، وقاطعوا الكنائس التي وافقت على هذا المجمع، فهذا المجمع لا تعترف به الكنيسة المصرية[٣]، ولذلك يحدد عام ٤٥١ م بأنه عام انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى.

وبعد هذا نبذ المصريون كل ما هو يوناني ولا تيني، وانطوت الكنيسة المصرية على نفسها واستخدمت اللغة الوطنية وهي اللغة القبطية في قداستها علامة على سخطها، وتسمت بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتبنت القول بالطبيعة الواحدة في المسيح من طبيعتين. [٤]

وهكذا نرى أن هذا المجمع تسبب في الانشقاق المزمن بين المسيحيين، فهو أساس اختلاف الكنائس إلى اليوم، وهو أساس انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى ولا زال هذا الانفصال ساريًا. [٥]

مجامع أخرى

---

(١) محاضرات في النصرانية (١٥٧).

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٨٢).

(٣) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٨).

(٤) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، إسحاق عبيد (٩١).

(٥) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٩٧)، محاضرات في النصرانية (١٦٠).

وبعد المجامع الأربعة السابقة عقدت ثلاث مجامع أخرى مسكونية إلا أنه لم تمثل فيها الكنيسة الأرثوذكسية وهي:

المجمع الخامس: الذي عقد في القسطنطينية سنة ٥٥٣م للرد على القائلين بتناسخ الأرواح وأنه ليس هناك قيامة. [١]

والمجمع السادس: الذي عقد بالقسطنطينية أيضًا سنة ٦٨٠م وحكم بالكفر على القائلين بالمشيئة الواحدة ولعنهم وطردهم من الكنيسة. [٢]

والمجمع السابع: الذي عقد أولا بالقسطنطينية سنة ٨٨٦م وأتم جلساته في نيقية سنة ٧٨٧م لمناقشة عبادة الصور والأيقونات. [٣]

وبعد ذلك في المجمع الثامن انفصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية بسبب الاعتقاد في انبثاق الروح القدس من الآب فقط، بينما اعتقدت الكنيسة الغربية بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معًا. [٤]

والخلاصة:

أن المجامع الأربعة الأولى حددت قوانين الإيمان المسيحي:

فالمجمع الأول: قرر ألوهية المسيح.

والمجمع الثاني: قرر ألوهية الروح القدس.

والمجمع الثالث: حدد كيفية التجسد، حيث قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط، وأن مريم والدة الإله.

والمجمع الرابع: في نظر المصريين قرر أن المسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين أما المجمع المسكوني الرابع في نظر الكنائس الأخرى فقد قرر أن المسيح ذو طبيعتين

---

(١) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ٢٠٥).

(٢) راجع: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (٢/ ٢٧٦).

(٣) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية (٩٤).

(٤) راجع: روما وبيزنطة، إسحاق عبيد (١٢ – ١٨).

منفصلتين لا طبيعة واحدة وهذه هي أهم العقائد المسيحية.[١]

أثر المجامع في المسيحية

أولًا: أن هذه المجامع لم يؤسسها المسيح ولم يدع إليها ولم يأمر بها، ولم يشر إليها لا بالتلميح ولا بالتصريح، وإنما ابتدعت بعده، وذلك من أجل أن تحكم وتشرع وتقرر شرائع وعقائد ما انزل الله بعها من سلطان على رسوله عيسى بن مريم، لذلك كان أول مجمع ابتدع وكان لبولس يد في اجتماعه وفي القرارات التي توصل إليها - كانت قراراته مخالف للشريعة التي جاء بها المسيح ﷺ، ذلك أنه نقض شريعة موسى ﷺ، تلك التي صرح المسيح أنه ما جاء ناقضا لها بل مكملا، وكذلك المجمع المسكوني الأول نجد أيضًا أن الذي ابتدعه قسطنطين الوثني، الذي لم يعمد إلا على فراش الموت.

ثانيًا: إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يأتون الناس بعقائد وشرائع واضحة سهلة، يبلغونها للناس ويوضحونها لهم، ولا يتركون أصول العقائد لشطط العقول، ولا لاختلاف الناس حولها، كل واحد منهم يدلي بدلوه فيها ويشرح رأيه حولها.

ثالثًا: أن المجامع فرضت سيطرتها على عقول المسيحيين حين قررت أن التعاليم المسيحية من عقائد وشرائع ونظم وعبادات لا يتلقاها الناس من الكتب المسيحية بل لا بد من تلقيها من المجامع المؤلفة من الأساقفة بتدبير ودعوة الأباطرة.

رابعًا: أن المجامع المسيحية نسبت إلى نفسها العصمة من الوقوع في الخطأ متعللين بأن الروح القدس يحل عليهم في اجتماعاتهم.[٢]

ومع ذلك فقد أخطأت المجامع، وإليك عدة أمثلة:

١- إن مجمع نيقية وضع قانونا للإيمان، ولكن المجامع التي تلته رأت أن هذا القانون ناقصا فأضافت إليه ما ليس منه، وهذا يعني أنه لو كان معصومًا من الخطأ لوضع قانون الإيمان كاملًا بلا نقصان.

---

(١) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٩٨).

(٢) انظر: مجموعة الشرح الكنسي (١٠).

٢- لا تعترف المذاهب والطوائف المسيحية بكل المجامع المسكونية كما هو الحال بالنسبة لمجمع خلقيدونية.

خامسًا: أن هذه المجامع هي التي قررت العقائد والشرائع والعبادات، وكل ما يعتقده المسيحيون الآن.

قال ابن تيمية:

" فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشعائرهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاثمائة والثمانية عشر الذين كانوا في مجمع نيقية الأمانة التي اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الآريوسيين وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله تعالى بها كتابا، بل تخالف ما أنزل الله من الكتب مع مخالفتها العقل الصريح. "(١)

سادسًا: أن العقائد التي قررتها المجامع لم تعلن للناس دفعة واحدة، بل قررت في مجامع مختلفة وأزمنة مختلفة، . . . ، وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: أن أصول الديانة كانت ناقصة، وكان كل مجمع يكمل فيها شيئا، وهذا يدل على وضعية هذه الديانة.

الأمر الثاني: بشرية العقول التي وضعت والتي من شأنها عدم العصمة من الخطأ.

سابعًا: أن هذه المجامع هي التي قضت على عقيدة التوحيد في المسيحية، وقد سبق تفصيل ذلك عند الكلام على كل مجمع منها.

ثامنًا: لا يمكن لدارس المجامع أن ينسى دور الأباطرة والحكام فلقد كان لهم دور كبير في اجتماع المجامع المسكونية وقراراتها.

تاسعًا: أن هذه المجامع تسببت في ازدياد الخلافات المذهبية والطائفية، وإلى انقسام الكنائس. (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١١٥).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٢٩٩ - ٣٠٦).

الباب الرابع: نقد متن الكتاب المقدس

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الألفاظ غير المناسبة لقدسية الكتاب المقدس.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفات الله تعالى في التوراة

وسنحاول في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – أن نرصد ما يصف به الكتاب المقدس رب العزة سبحانه وتعالى وتقدس عما يصفه الظالمون.

أولًا: صفات التعظيم:

تتحدث الأسفار التوراتية في أماكن متفرقة عن الله العظيم بما يليق بجلاله وعظمته، وهذه بعض النصوص التي تثبت ذلك:

١- جاء في سفر التثنية (٦/ ٤ – ٥): " ٤«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. ٥فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. "

٢- وتذكر أيضًا أن الرب لا يرى، كما جاء في (إشعيا ٤٥/ ١٥) " ١٥حَقًّا أَنْتَ إِلهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ. "، وقد قال الله لموسى: " ٢٠وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (الخروج ٣٣/ ٢٠).

٣- والله عز وجل ليس كمثله شيء، وفي ذلك يقول موسى: " «لَيْسَ مِثْلَ الله " (التثنية ٣٣/ ٢٦)، ويقول سليمان: " «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لاَ إِلهَ مِثْلُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " (الأيام (٢) ٦/ ١٤).

ثانيًا: صفات النقص:

لكن التوراة في مواضع لا تعد – لكثرتها - تتحدث عن الله، فتجعله كائنًا بشريًا، وتصفه بصفات البشر، وصفات النقص التي يتنزه عنها الإنسان النزيه - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وسأورد بعضا من هذه الصفات التي وصفوا الله تعالى بها، لنرى مدى ضلالهم وانحرافهم.

وتنقسم هذه الصفات إلى أنواع:

فمنها التشبيه بالبشر في الشكل والصورة، ومنها التشبيه بالبشر في الأفعال، ومنها وصفه بصفات العجز والجهل، ومنها نسبة الأوامر الغريبة لله – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا –.

أولًا: التشبيه بالبشر في الشكل والصورة

يتحدث سفر التكوين عن خلق الله الإنسان على صورته وشبهه " [٢٦]وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (التكوين ١/ ٢٦).

وتتحدث النصوص عن صور التشابه كما رسمها كتبة العهد القديم، ومن ذلك ما جاء في رؤيا دانيال أن له رأسًا، شعره أبيض " وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. " (دانيال ٧/ ٩).

ثانيًا: أفعال الإله البشرية

وتحكي أسفار العهد القديم عن أفعال بشرية تنسبها إلى الله، وهي فرع من عقيدتهم المجسِّمة لله:

١- ومن ذلك أن الله يمشي، ولكن على شوامخ الجبال " [٣]فَإِنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَامِخِ الأَرْضِ " (ميخا ١/ ٣).

٢- ويزور الربُّ إبراهيمَ - تعالى الله عن ذلك - ويأكل عنده زبدًا ولبنًا " [١]وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، [٢]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم " (التكوين ١٨/ ١ - ٣٣).

٣- ويذكر سفر التكوين أن الله رضي عن نوح وقومه بعد أن شم رائحة شواء المحرقات التي قدمها نوح على المذبح " [٢٠]وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، [٢١]فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. " (التكوين ٨/ ٢٠ - ٢١).

٤- ونقرأ في رؤيا حزقيال أن الله دخل الهيكل من باب، وأمر بإغلاقه إلى الأبد " [٢]فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: «هذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا، لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا. " (حزقيال ٤٤/ ٢).

٦- الله يسير أمام بني إسرائيل ليلا ونهارا حتى يهديهم إلى الطريق في برية صين:

تزعم التوراة أن الله عندما غضب على بني إسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، أتاهم في صحراء سينا (برية صين). ولكنه مع ذلك لم يتركهم لأنهم شعبه وابنه البكر الأثير لديه جدًا مهما فعلوا. لذلك كان يسير أمامهم في الطريق ليلًا ونهارا حتى لا يضلوا. ورغم هذا الجهد الجبار لم يستطع حسب زعمهم أن يدلهم على الطريق لمدة أربعين عامًا.

جاء في سفر الخروج (١٣ - ٢٠): " [٢٠]وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. [٢١]وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. [٢٢]لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ. ".

ثالثا: وصف الله – تعالى ـ بصفات العجز والجهل

كما وتنسب النصوص إلى الله أفعالًا كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جِبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه:

١- ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب، يقول سفر التكوين: " [٢٤]فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. [٢٥]وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. [٢٦]وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». [٢٧]فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟ » فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». [٢٨]فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». " (التكوين ٣٢/ ٢٤ - ٢٨).

وتعليقًا على النص يقول محققو نسخة الرهبانية اليسوعية: "المقصود من هذه الرواية الغامضة هو الصراع الجسدي، أي صراع مع الله، يبدو فيه يعقوب الغالب أولًا، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية اغتصب بركته، مع العلم أن النص يتجنب اسم الرب".

٢- ومن العجز أيضًا قوله: " [١٩]وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا فَمَلَكَ الْجَبَلَ، وَلكِنْ لَمْ يُطْرَدْ

سُكَّانُ الْوَادِي لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتِ حَدِيدٍ. " (القضاة ١/ ١٩)، فكان ذلك سببًا لعجزه عنهم، فكيف يكون الحال مع الأسلحة الحديثة المتطورة، وهل يعجز الإله عن حرب الدول التي تملك هذه الأسلحة! ؟

٣- وجاء في سفر التكوين (٢/ ٢- ٣): " ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. ٣وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا. "

وهكذا تصور التوراة المحرفة أن الله – سبحانه وتعالى – يصاب بالتعب والنصب ويحتاج إلى الراحة، والقرآن الكريم يرد عليهم هذه الفرية فيقول: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " (ق/ ٣٨)

٤- الرب يستيقظ وينام ويلعب كما تزعم التوراة والتلمود:

جاء في سفر زكريا (٢/ ١٠ – ١٣): " ١٠«تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي هأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١١فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ. ١٢وَالرَّبُّ يَرِثُ يَهُوذَا نَصِيبَهُ فِي الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَيَخْتَارُ أُورُشَلِيمَ بَعْدُ. ١٣اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ». "

٥- وتنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها، والندم فرع عن الجهل، ومن ذلك " ١١«نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». " (صموئيل (١) ١٥/ ١٠).

وتذكر التوراة أنه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم "١٠فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ "، فكان من جواب موسى أن قال: " اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. ١٣اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي

تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». [١٤]فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ. " (الخروج ٣٢/ ١٠ - ١٤).

ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر إرميا ٢٦/ ١٩، ٤٢/ ١١، عاموس ٧/ ٦، التكوين ١٨/ ٢٠).

رابعًا: هل يأمر الله بمثل هذا؟

كما تذكر التوراة أن الله أمر أوامر غريبة يظهر لمن تدبرها مقدار العبث فيها والذي ينزه عنه الله جل وعلا، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- **موسى إله فرعون، وهارون نبي موسى**: جاء في سفر الخروج (٧/ ١-٣): " [١]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. [٢]أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يُكَلِّمُ فِرْعَوْنَ لِيُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ. [٣]وَلكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ. "

٢- **الله يأمر بالفاحشة**: ومنها أن الله أراد أن يصور حال بني إسرائيل معه وإدبارهم عن عبادته إلى عبادة الأصنام، فأمر نبيه باتخاذ جومر الزانية زوجة تنجب له من غيره أبناء زنا " [٢]أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ». " (هوشع ١/ ٢)، وفي موضع آخر " [١]وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «اذْهَبْ أَيْضًا أَحْبِبِ امْرَأَةً حَبِيبَةَ صَاحِبٍ وَزَانِيَةً، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَفِتُونَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ». " (هوشع ٣/ ١).

تقول مقدمة السفر في نسخة الرهبانية اليسوعية: "في جرأة هوشع النبي ما يدهش، فإنه يجسد في حياته الخاصة تجسيدًا رمزيًا ما من علاقات بين الرب وشعبه الخائن. . كان ولا يزال زواج هوشع أكثر الأمور جدلًا في التفسير الكتابي. . ولا يرجح على كل حال أننا أمام مجرد استعارة. . ليس زواج هوشع خيالًا، بل رمز، ولذلك فمن شبه المستحيل وغير المفيد أن نهتدي إلى الحدث التاريخي الذي فيه، إنه عمل نبوي، مثل تلك الأعمال التي قام بها الأنبياء (راجع إشعيا ٢٠/ ١-٦، وأعمال الرسل ٢١/ ١٠-١٤)، والتي يفسرونها هم بأنفسهم ".

٣- ومثل هذه القصة ما تنسبه التوراة إلى الله من أمره لنبيه إشعياء بالتعري، ولماذا؟ لكي يري بني إسرائيل ما ينتظرهم من الهوان والذل والعري على يد ملك آشور " [٢] فِي ذلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ قَائِلًا: «اِذْهَبْ وَحُلَّ الْمِسْحَ عَنْ حَقْوَيْكَ وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». فَفَعَلَ هكَذَا وَمَشَى مُعَرًّى وَحَافِيًا. [٣] فَقَالَ الرَّبُّ: «كَمَا مَشَى عَبْدِي إِشَعْيَاءُ مُعَرًّى وَحَافِيًا ثَلاَثَ سِنِينٍ، آيَةً وَأُعْجُوبَةً عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُوشَ، [٤] هكَذَا يَسُوقُ مَلِكُ أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ وَجَلاَءَ كُوشَ، الْفِتْيَانَ وَالشُّيُوخَ، عُرَاةً وَحُفَاةً وَمَكْشُوفِي الأَسْتَاهِ خِزْيًا لِمِصْرَ. " (إشعياء ٢٠/ ٢ - ٤).

يقول التفسير التطبيقي تعليقًا على هذه الفقرة: "كان أمر الله لإشعياء أن يتجول عاريًا لمدة ثلاث سنوات، وهو اختبار مُذِل، فقد كان الله يستخدم إشعياء لبيان ما ستختبره مصر وكوش من إذلال على يد آشور، ولكن كانت الرسالة في الواقع ليهوذا".

٤- ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها أنه أمره وبني إسرائيل أن يأكلوا كعك الشعير مخبوزًا مع فضلات الإنسان، ولما صعب الأمر على حزقيال، خصه وسمح له أن يخبز كعكة الشعير مع فضلات البقر، بدلًا من فضلات الإنسان.

والنص بتمامه: " [١٢] وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ». [١٣] وَقَالَ الرَّبُّ: «هكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خُبْزَهُمُ النَّجِسَ بَيْنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرُدُهُمْ إِلَيْهِمْ». [١٤] فَقُلْتُ: «آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، هَا نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ. وَمِنْ صِبَايَ إِلَى الآنَ لَمْ آكُلْ مِيتَةً أَوْ فَرِيسَةً، وَلاَ دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ». [١٥] فَقَالَ لِي: «اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثْيَ الْبَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإِنْسَانِ، فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ». " (حزقيال ٤/ ١٢ - ١٥).

٥- ومن ذلك اعتقادهم أن الله يقذف- تعالى عن ذلك - الروث الحيواني في وجوه عصاة بني إسرائيل: " قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَإِنِّي أُرْسِلُ عَلَيْكُمُ اللَّعْنَ، وَأَلْعَنُ بَرَكَاتِكُمْ، بَلْ قَدْ لَعَنْتُهَا، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَاعِلِينَ فِي الْقَلْبِ. [٣] هأَنَذَا أَنْتَهِرُ لَكُمُ الزَّرْعَ، وَأَمُدُّ الْفَرْثَ عَلَى وُجُوهِكُمْ، فَرْثَ أَعْيَادِكُمْ، فَتُنْزَعُونَ مَعَهُ. [٤] فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةَ لِكَوْنِ عَهْدِي مَعَ لاَوِي،

قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. " (ملاخي ٢/ ٢-٤)، فمثل هذا لا يقبل ولو كان في باب الاستعارة والمجاز.

٦- وتتحدث الأسفار أن الله أمر بني إسرائيل بسرقة أصحابهم من المصريين، وأنه شارك بهذا الغش عندما أمال قلوب المصريين إلى الموافقة على إعارة بني إسرائيل ما يطلبونه من ذهب وجواهر وثياب فتقول: " ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ضَرْبَةً وَاحِدَةً أيضًا أَجْلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مِصْرَ. بَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ مِنْ هُنَا. وَعِنْدَمَا يُطْلِقُكُمْ يَطْرُدُكُمْ طَرْدًا مِنْ هُنَا بِالتَّمَامِ. [٢]تكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُل مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ». [٣]وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. . . . [٣٦]وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ. " (الخروج ١١/ ١- ١٢/ ٣٦).

٧- وتتحدث الأسفار عن الرب وهو يأمر بالإغواء والكذب، ويبحث عمن يرشده إلى طريقة لإغواء آخاب " [٢٠]فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هذَا هكَذَا، وَقَالَ ذَاكَ هكَذَا. [٢١]ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ [٢٢]فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ، فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هكَذَا. " (الملوك (١) ٢٢/ ٢٠-٢٢).

٨- ويتحدث سفر العدد عن شريعة غريبة يكتشف الرجل بموجبها خيانة زوجته أو براءتها، ألا وهو شرب ماء اللعنة المر الممزوج بغبار البيت، فإن ورمت بطنها وسقطت فخذها، فهي مذنبة، وإن قدر لها النجاة من هذا الماء الغريب، فإنها تكون بريئة.

ودعونا نتأمل طقوس هذا الاختبار الغريب، يقول سفر العدد: " [١٥] يَأْتِي الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ إِلَى الْكَاهِنِ، وَيَأْتِي بِقُرْبَانِهَا مَعَهَا: عُشْرِ الإِيفَةِ مِنْ طَحِينِ شَعِيرٍ، لاَ يَصُبُّ عَلَيْهِ زَيْتًا وَلاَ يَجْعَلُ عَلَيْهِ لُبَانًا، لأَنَّهُ تَقْدِمَةُ غَيْرَةٍ، تَقْدِمَةُ تَذْكَارٍ تُذَكِّرُ ذَنْبًا. [١٦]فَيُقَدِّمُهَا الْكَاهِنُ وَيُوقِفُهَا أَمَامَ الرَّبِّ، [١٧]وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّسًا فِي إِنَاءِ خَزَفٍ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، [١٨]وَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمَةَ التَّذْكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمَةُ الْغَيْرَةِ، وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرُّ.

[١٩]وَيَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ لَهَا: إِنْ كَانَ لَمْ يَضْطَجعْ مَعَكِ رَجُلٌ، وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَزِيغِي إِلَى نَجَاسَةٍ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ، فَكُونِي بَرِيئَةً مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ هذَا الْمُرِّ. [٢٠]وَلكِنْ إِنْ كُنْتِ قَدْ زُغْتِ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ وَتَنَجَّسْتِ، وَجَعَلَ مَعَكِ رَجُلٌ غَيْرُ رَجُلِكِ مَضْجَعَهُ. [٢١]يَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ بِحَلْفِ اللَّعْنَةِ، وَيَقُولُ الْكَاهِنُ لِلْمَرْأَةِ: يَجْعَلُكِ الرَّبُّ لَعْنَةً وَحَلْفًا بَيْنَ شَعْبِكِ، بِأَنْ يَجْعَلَ الرَّبُّ فَخْذَكِ سَاقِطَةً وَبَطْنَكِ وَارِمًا. [٢٢]وَيَدْخُلُ مَاءُ اللَّعْنَةِ هذَا فِي أَحْشَائِكِ لِوَرَمِ الْبَطْنِ، وَلإِسْقَاطِ الْفَخْذِ. فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: آمِينَ، آمِينَ. [٢٣]وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي الْكِتَابِ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ، [٢٤]وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مَاءَ اللَّعْنَةِ الْمُرَّ، فَيَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ. [٢٥]وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ تَقْدِمَةَ الْغَيْرَةِ، وَيُرَدِّدُ التَّقْدِمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقَدِّمُهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. [٢٦]وَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَبَعْدَ ذلِكَ يَسْقِي الْمَرْأَةَ الْمَاءَ. [٢٧]وَمَتَى سَقَاهَا الْمَاءَ، فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ وَخَانَتْ رَجُلَهَا، يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ، فَيَرِمُ بَطْنُهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا، فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسَطِ شَعْبِهَا. [٢٨]وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ. " (العدد ٥/ ١٥– ٢٨)

خامسًا: تشبيهات ممجوجة لله في العهد القديم وجاء في أسفار العهد القديم أن الله يشبه نفسه تشبيهات غريبة ممجوجة، فيشبه نفسه بالحيوان تارة وبالمخمور تارة، ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها العقلاء في التعبير عن ذواتهم، فالقارئ الكريم لن يقبل لو شُبه بالحمار بجامع الصبر والجلد في كليهما، أو بالقطة لما عندها من حنو على أبنائها، أو بالكلب لبالغ وفائه. . .

ولكن الكثير من ذلك تنسبه التوراة إلى الله، وهاك الأمثلة:

١– من ذلك قوله: "[٧]«فَأَكُونُ لَهُمْ كَأَسَدٍ. أَرْصُدُ عَلَى الطَّرِيقِ كَنَمِرٍ. [٨]أَصْدِمُهُمْ كَدُبَّةٍ مُثْكِلٍ، وَأَشُقُّ شَغَافَ قَلْبِهِمْ، وَآكُلُهُمْ هُنَاكَ كَلَبْوَةٍ. يُمَزِّقُهُمْ وَحْشُ الْبَرِّيَّةِ. " (هوشع ١٣/ ٧– ٨).

٢– ومثله التشبيه المنكر لله والذي جاء في سفر هوشع: "[١٢]فَأَنَا لأَفْرَايِمَ كَالْعُثِّ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَالسُّوسِ. " (هوشع ٥/ ١٢).

٣– ويشبه سفر ميخا حزن الرب على ما أصاب بني إسرائيل بنواح النعام ونحيب

إناث الثعالب، فيقول: "١قَوْلُ الرَّبِّ الَّذِي صَارَ إِلَى مِيخَا. . . ٢اِسْمَعُوا أَيُّهَا الشُّعُوبُ جَمِيعُكُمْ. . . . ٨مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَنُوحُ وَأُوَلْوِلُ. أَمْشِي حَافِيًا وَعُرْيَانًا. أَصْنَعُ نَحِيبًا كَبَنَاتِ آوَى، وَنَوْحًا كَرِعَالِ النَّعَامِ. " (ميخا ١/ ١-٨).

وفي نص آخر تذكر التوراة حزنه على شعبه وعذرائها أورشليم، فيقول للنبي إرميا: وتقول لهم هذه الكلمة: "لتذرف عيناي دموعًا ليلًا ونهارًا، ولا تكفّا أبدًا، لأنّ العذراء بنت شعبي سحقتْ سحقًا عظيمًا" (إرميا ١٤/ ١٧).

وتستمر المخازي في التشبيهات التوراتية، فتشبه الله عز وجل بالمرأة تارة، وبالزوج تارة، فقد جاء فيها: " لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. ٦لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ" (إشعيا ٥٤/ ١-٦).

وفي موضع آخر أنه قال: "١هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «أَيْنَ كِتَابُ طَلاَقِ أُمِّكُمُ الَّتِي طَلَّقْتُهَا، أَوْ مَنْ هُوَ مِنْ غُرَمَائِي الَّذِي بِعْتُهُ إِيَّاكُمْ؟ هُوَذَا مِنْ أَجْلِ آثَامِكُمْ قَدْ بُعْتُمْ، وَمِنْ أَجْلِ ذُنُوبِكُمْ طُلِّقَتْ أُمُّكُمْ. " (إشعيا ٥٠/ ١).

ومثله أن الله خاطب أورشليم "وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلهُكِ. " (إشعيا ٦٢/ ٥).

٤- ومن سيئ التشبيهات التوراتية تشبيه الله العظيم بالسكران يفيق من سكره، فتقول: "٦٥فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ. ٦٦فَضَرَبَ أَعْدَاءَهُ إِلَى الْوَرَاءِ. جَعَلَهُمْ عَارًا أَبَدِيًّا " (المزمور ٧٨/ ٦٥- ٦٦).. [(١)]

المبحث الثاني: صفات الأنبياء في الكتاب المقدس

تمهيد:

اصطفى الله ﷻ أنبياءه من بين سائر خلقه، وحباهم بأن جعلهم حملة دينه إلى الناس، وأسبق أقوامهم إليه، وجعل منهم قدوة للعالمين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (الأنعام/ ٩٠) وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ

(١) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ (٧١ - ٩٠)، المسيحية. . . دراسة وتحليل، ساجد مير (٢٨٥ - ٢٨٩)، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار (٢١- ٤٠)

حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَآءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم/ ٥٨). وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة/ ٢٤).

وهذا الذي يقتضيه العقل في هؤلاء الذين اختارهم الله لهداية خلقه، أن يكونوا أحسن الناس سيرة، وأصدقهم طوية. . . كيف لا، وقد جاء الحديث في التوراة عن عصمة الكهنة وبراءتهم من الآثام، لأنهم حاملو الشريعة ومبلغوها للناس، وهم - ولا ريب - دون منزلة الأنبياء، يقول سفر ملاخي عن لاوي وسبطه: " ٥كَانَ عَهْدِي مَعَهُ لِلْحَيَاةِ وَالسَّلاَمِ، وَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُمَا لِلتَّقْوَى. فَاتَّقَانِي، وَمِنِ اسْمِي ارْتَاعَ هُوَ. ٦شَرِيعَةُ الْحَقِّ كَانَتْ فِي فِيهِ، وَإِثْمٌ لَمْ يُوجَدْ فِي شَفَتَيْهِ. سَلَكَ مَعِي فِي السَّلاَمِ وَالاسْتِقَامَةِ، وَأَرْجَعَ كَثِيرِينَ عَنِ الإِثْمِ. ٧لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ. " (ملاخي ٢/ ٥-٧).

أولًا: تعظيم الأنبياء في العهد القديم:

وتثني التوراة في بعض نصوصها على بعض هؤلاء الأنبياء، فعن داود قال: "«أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا»" (صموئيل (٢) ٧/ ١٤).

وعن نوح قال: " كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ". (التكوين ٦/ ٩).

وعن إبراهيم تقول التوراة بأن الله قال له في المنام: " «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا». " (التكوين ١٥/ ١).

وعن إسحاق " وَبَارَكَهُ الرَّبُّ " (التكوين ٢٦/ ١٢). . . إلى غير ذلك، لكن ذلك كله يضيع في بحر الرذائل التي تلصقها التوراة زورًا بحملة رسالات الله من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله لبلاغ وحيه.

ثانيًا: الطعن في أنبياء الله تعالى في الكتاب المقدس:

١ - نوح عليه السلام:

تحدثت التوراة عن سُكرِ نبي الله نوح عليه السلام - وحاشاه - وتعريه داخل خبائه، وحينذاك أبصره ابنه الصغير حام، وأخبر أخويه بما رأى فجاءا بظهريهما، وسترا عورة أبيهما الثمِل،

فلما أفاق من سكرته وعرف ما فعل ابنه حام الصغير لعن، والقصة بتمامها: " [٢٠]وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. [٢١]وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. [٢٢]فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. [٢٣]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. [٢٤]فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، [٢٥]فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! (أب الفلسطينيين الذي لا علاقة له بالحادثة، الذي لم يولد حينذاك)، عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». [٢٦]وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. [٢٧]لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». " (التكوين ٩/ ٢٥ - ٢٦).

٢- إبراهيم عليه السلام:

وأما إبراهيم خليل الله، فتزعم التوراة أنه أخطأ في حق الله لما أراد إهلاك قوم لوط، وخاطب ربه بأسلوب الناصح الغليظ، بأسلوب لا يقبل عاقل أن يخاطب به صديقه أو ابنه، فضلًا عن عبده الضعيف "[٢٣]فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ [٢٤]عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ [٢٥]حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلًا؟ » " (التكوين ١٨/ ٢٣ - ٢٥).

٣- لوط عليه السلام.

وأما لوط عليه السلام النبي الذي حارب الشذوذ، فتذكر التوراة أنه لما أهلك الله قومه لجأ إلى مغارة مع ابنتيه فسقتاه الخمر، وضاجعتاه، ولم يعلم بذلك، وولد من هاتين الفاحشتين عمي ومؤاب، ومنهما انحدر العمويون والمؤابيون أعداء بني إسرائيل، فاسمع إلى السفر: " [٣٠]وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. [٣١]وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. [٣٢]هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ

أَبِينَا نَسْلًا». [٣٣]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. [٣٤]وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أيضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». [٣٥]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أيضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، [٣٦]فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. [٣٧]فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. (أعداء بني إسرائيل) [٣٨]وَالصَّغِيرَةُ أيضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. (وهم أيضًا أعداء بني إسرائيل) " (التكوين ١٩/ ٣٠ – ٣٨).

ويذكر السفر تبريرًا لهذه الفاحشة، أن الكبيرة منهما قالت لأختها: " «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. . . فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا" (التكوين ١٩/ ٣١ - ٣٢)، فيصور النص الأرض وقد خلت من الرجال، أو أن المغارة سيمكث فيها لوط وابنتاه إلى الأبد، فلا سبيل حينذاك لاستبقاء النسل إلا زنا المحارم!.

٤ - يعقوب عليه السلام.

وأما يعقوب عليه السلام أصل بني إسرائيل، فهو أيضًا لم يسلم من مخازي التوراة، ولم يشفع له أبوته لهم، فتذكر التوراة أنه سرق البركة من أخيه الأكبر عيسو عندما خدع أباه إسحاق وأشربه الخمر، وأوهمه أنه عيسو، ولم يستطع إسحاق أن يفرق بين ملمس ابنه الأكبر وجلد المعزي الذي وضعه يعقوب على يده. (انظر: التكوين ٢٧/ ١٦ - ٢٥).

فبارك يعقوب، وهو يظنه عيسو، وقال له: " رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. [٢٨]فَلْيُعْطِكَ الله مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. [٢٩]لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»"(التكوين ٢٧/ ٢٧ - ٢٩).

ثم بعد برهة جاء عيسو أباه فاكتشف الخدعة، ولكن بعد فوات الأوان.

وهكذا فالبركة سرقت، وهذا يعتبر كذبًا على الله واهب البركة، لا على إسحاق ويتساءل المسلمون لماذا لم يسترد إسحاق بركته؟ ثم ما هذه البركة التي تثمر خمرًا واستعبادًا للشعوب؟

وهذه البركة لا يبدو لها عظيم أثر في حياة يعقوب، فقد جوزي على خديعته لأبيه، فخدعه خاله لابان، فأدخله على ابنته الكبرى ليئة، فضاجعها، وهي غير التي عقد له عليها (راحيل). أي وقع في الزنا، ولكن من غير عمد. (انظر: التكوين ٢٩/ ٢٤).

وقد رد الصاع لخاله حينما خدعه في غنمه. (انظر: التكوين ٣٠/ ٣٧ - ٤٢).

ثم لما شاخ اعتدى شكيم على ابنته واغتصبها. (انظر: التكوين ٣٤/ ٢).

ثم زنى أحد أبنائه، وهو يهوذا بكنته ثامار، وأحبلها اثنين من أبنائه. (انظر: التكوين ٣٨/ ١٨).

ثم اعتدى ابنه البكر رؤابين على بلهة سرية يعقوب، واضطجع معها، ولم يحرك يعقوب ساكنًا. (انظر: التكوين ٣٥/ ٢١ - ٢٢). فأين أثر البركة المسروقة في هذا كله؟

٥- موسى وهارون عليهما السلام.

كما تسيء التوراة إلى موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل، وهذه أمثلة:

١- تذكر كلمات لا يمكن أن تصدر من موسى لما فيها من إساءة أدب مع الله، منها: " [١١]فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ؟ [١٢]أَلَعَلِّي حَبِلْتُ بِجَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ؟ أَوْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمُرَبِّي الرَّضِيعَ، إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتَ لآبَائِهِ؟ [١٣]مِنْ أَيْنَ لِي لَحْمٌ حَتَّى أُعْطِيَ جَمِيعَ هذَا الشَّعْبِ؟ لأَنَّهُمْ يَبْكُونَ عَلَيَّ قَائِلِينَ: أَعْطِنَا لَحْمًا لِنَأْكُلَ. [١٤]لاَ أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ جَمِيعَ هذَا الشَّعْبِ لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ. [١٥]فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ بِي هكَذَا، فَاقْتُلْنِي قَتْلاً إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَلاَ أَرَى بَلِيَّتِي». " (العدد ١١/ ١٠ - ١٥)

فهل يتحدث عبد - فضلًا عن نبي - مع ربه بمثل هذا؟

٢- وتذكر التوراة أن موسى في حربه مع أهل مديان - الذين مكث فيهم سنين - أمر بقتلهم شر قتلة، وحين لم ينفذ الجيش أمره "[١٤]فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ

الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ المِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الحَرْبِ. [١٥]وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ [١٦]إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. [١٧]فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. [١٨]لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ. " (العدد ٣١/ ١٤ – ١٨)، ولم يخبر السفر عن طريقة التمييز بين الأبكار وغيرهن، فهل يأمر نبي بمثل هذا؟!!

٣- وأما هارون القدوس كما في سفر المزامير" وَهارُونَ قُدُّوسَ الرَّبِّ " (المزمور ١٠٦/ ١٦)، فإن سفر الخروج يفتري عليه، ويتهمه بأنه الذي صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه، فيقول: "[٢]فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». [٣]فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. [٤]فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». " (الخروج ٣٢/ ٢-٤)، فهل هذا صنيع يصنعه قدوس الرب؟

٤- ثم تذكر التوراة المحرفة أن الله حرم موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة لخيانتهما لله وعدم إيمانهما: "[١٢]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذلِكَ لاَ تُدْخِلاَنِ هذِهِ الجَمَاعَةَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». " (العدد ٢٠/ ١٢).

٥- وتذكر التوراة في قصة غريبة مبهمة من غير مقدمات لها، ومفادها أن الله أراد قتل موسى وهو في صحراء سيناء، حين كان متجهًا لدعوة فرعون كما أمره الرب، والذي أنقذه من القتل ذكاء زوجته صفورة وسرعة بديهتها، حيث أدركت أن سبب غضب الرب عدم ختان موسى لابنه، فختنته سريعًا، ووضعت غرلته عند رجلي الرب، فنجا موسى من الموت، يقول السفر: "[٢٤]وَحَدَثَ فِي الطَّرِيقِ فِي المَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ. [٢٥]فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي».

[٢٦] فَانْفَكَّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ». " (الخروج ٤/ ٢٤-٢٦)

ولم يبين السفر السبب الصريح لهذه الغضبة الإلهية المزعومة، واكتفى ببيان هذه الطريقة الغريبة في استرضاء الرب، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

لكن القرآن الكريم يبرئ موسى وهارون من هذه الخيانة وأمثالها فيقول: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ (مريم/ ٥١، ٥٣)

٦- يشوع بن نون عليه السلام.

وأما يشوع وصي موسى، فإن اسمه يقترن في التوراة بسلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال والرجال والحيوان، وكنموذج لهذه المجازر نحكي قصة مجزرة أريحا التي لم ينج فيها سوى راحاب الزانية ومن يلوذ بها، وأما ما عداها فقد أمر يشوع: " وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. [٢١] وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. [٢٢] وَقَالَ يَشُوعُ لِلرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَجَسَّسَا الأَرْضَ: «ادْخُلاَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا». [٢٣] فَدَخَلَ الْغُلاَمَانِ الْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَاحَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَأَخْرَجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ. [٢٤] وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ" (يشوع ٦/ ٢٠-٢٤).

ويستمر سفر يشوع في عرض سلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال الأبرياء، وكل ذلك بأمر من يشوع، وحاشاه عليه السلام:

"[٢٨] وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. [٢٩] ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ مِنْ مَقِّيدَةَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. [٣٠] فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضًا بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا، فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. [٣١] ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. [٣٢] فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيشَ بِيَدِ

إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ. [٣٣]حِينَئِذٍ صَعِدَ هُورَامُ مَلِكُ جَازَرَ لإِعَانَةِ لَخِيشَ، وَضَرَبَهُ يَشُوعُ مَعَ شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يُبْقِ لَهُ شَارِدًا.

[٣٤]ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيشَ إِلَى عَجْلُونَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا، [٣٥]وَأَخَذُوهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيشَ. [٣٦]ثُمَّ صَعِدَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا، [٣٧]وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا.

[٣٨]ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَبِيرَ وَحَارَبَهَا، [٣٩]وَأَخَذَهَا مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَحَرَّمُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، كَمَا فَعَلَ بِحَبْرُونَ كَذلِكَ فَعَلَ بِدَبِيرَ وَمَلِكِهَا، وَكَمَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ وَمَلِكِهَا.

[٤٠]فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ. " (يشوع ١٠/ ٢٨- ٤٠).

وقد رأينا بعد هذه السلسلة الطويلة من المجازر، والتي تذكر بمجازر اليهود اليوم كيف نسب السفر هذه المجازر المريعة إلى أمر الرب، فقال في آخره: " كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ " (يشوع ١٠/ ٤٠).

٧- داود عليه السلام.

وأما داود عليه السلام والذي يصفه القرآن بقوله: " وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا " (الإسراء/ ٥٥).

ومع ذلك تخصه التوراة بقبائح لم تذكر لغيره:

١- منها أنه لما أراد الزواج من ابنة شاول ملك إسرائيل الأول (طالوت) قدم إليه مهرًا عجيبًا فلقد " [٢٧]حَتَّى قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتَيْ رَجُل، وَأَتَى دَاوُدُ بِغُلَفِهِمْ (الجلدة التي تقطع في الختان) فَأَكْمَلُوهَا لِلْمَلِكِ لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَأَعْطَاهُ

شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً " (صموئيل (١) ١٨/ ٢٧)، فما ذنب أولئك المساكين الذين قتلوا لغير جريرة ولا إثم.

٢- ويحكي سفر صموئيل عن رقص النبي داود وتكشف عورته، وهو فرح باسترجاع التابوت من يد الفلسطينيين، وقد استاءت زوجه ميكال من هذا المنظر، واحتقرته لأجله " ١٤وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. . . ١٦وَلَمَّا دَخَلَ تَابُوتُ الرَّبِّ مَدِينَةَ دَاوُدَ، أَشْرَفَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ مِنَ الْكُوَّةِ وَرَأَتِ الْمَلِكَ دَاوُدَ يَطْفُرُ وَيَرْقُصُ أَمَامَ الرَّبِّ، فَاحْتَقَرَتْهُ فِي قَلْبِهَا. . . فَخَرَجَتْ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ لاسْتِقْبَالِ دَاوُدَ، وَقَالَتْ: «مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حَيْثُ تَكَشَّفَ الْيَوْمَ فِي أَعْيُنِ إِمَاءِ عَبِيدِهِ كَمَا يَتَكَشَّفُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ». " (صموئيل (٢) ٦/ ١٤ - ٢٠).

٣- ثم تحكي التوراة قصة داود مع أوريا الحثي وزوجته "٢وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. ٣فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟ ». ٤فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». ٦فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ٧فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ٨وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. ٩وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ١٠فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟ » ١١فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجعَ مَعَ امْرَأَتِي؟

وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». [١٢]فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. [١٣]وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. [١٥]وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». [١٦]وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. [١٧]فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيضًا. [١٨]فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. [١٩]وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلًا: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، [٢٠]فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ [٢١]مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيضًا».

[٢٢]فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. [٢٣]وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. [٢٤]فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيضًا». [٢٥]فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: « هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ».

[٢٦]فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. [٢٧]وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. " (صموئيل (٢) ١١/ ٢- ٢٧).

وكان كما أراد، ومات أوريا، وضم داود تلك الزانية إلى زوجاته، ومنها أنجب سليمان، الذي يشرفه كتاب الأناجيل، فيجعلونه أحد أجداد المسيح.

٨- **سليمان** عليه السلام:

وأما سليمان النبي الحكيم الذي تشهد له التوراة بالحكمة. (انظر الأيام (٢) ٢/ ١٢). فقد كان له نصيب أكبر في سلسلة المخازي التوراتية، فقد جعلته التوراة عابدًا لأصنام نسائه اللاتي بلغن ألفًا، كما بنى المعابد لعبادتها، فغضب عليه الرب وسخط، تقول التوراة: "٣وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. ٤وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ٥فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. ٦وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. ٧حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. ٨وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. ٩فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، ١٠وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. ١١فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. " (الملوك (١) ١١/ ٣-١١).

وكانت الأسفار قد أثنت على سليمان، وذكرت بشارة الله لأبيه داود بهذا الابن الذي سيبني بيت الله، ووصفته بالبر والطهارة الذي عبرت عنه الأسفار بلفظة البنوة لله، وهو لفظ يدل على صلاح صاحبه - كما هو معهود في التوراة -، تقول البشارة لداود: "٩هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلُ سَلاَمًا وَسَكِينَةً فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. ١٠هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. " (الأيام (١) ٢٢/ ٩-١١)، كما ذكرت الأسفار أن الله سماه "يديديا" (أي حبيب الرب)، لأن "الرب أحبه" (صموئيل (٢) ١٢/ ٢٤)، فهل ضيع سليمان - المبشر به - أوامر الرب؟ وهل عمل الشر وبنى معابد الأوثان طمعًا في رضا نسائه أم كان - المحبوب عند الله - فصدق فيه قول الله في القرآن، فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ

سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٣٠)، ويقول أيضا: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ (البقرة: ١٠٢).

٩- أنبياء بني إسرائيل قبل المسيح كانوا لصوصًا.

وهذا ما ينسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح حين يقول: " ٧فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أيضًا: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. ٨جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. ٩أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى. ١٠اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ. ١١أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ. " (يوحنا/ ١٠/ ٧- ١١).

١٠ - الرسول يفتاح ابن زنا:

- ورد في صموئيل(١) ١٢/ ١١: " ١١فَأَرْسَلَ الرَّبُّ يَرُبَّعَلَ وَبَدَانَ وَيَفْتَاحَ وَصَمُوئِيلَ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ فَسَكَنْتُمْ آمِنِينَ. "

- وورد في قضاة (١١/ ١): " ١وَكَانَ يَفْتَاحُ الْجِلْعَادِيُّ جَبَّارَ بَأْسٍ، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ. وَجِلْعَادُ وَلَدَ يَفْتَاحَ. "

١١ - النبي إشعياء يتعرى ثلاثة سنين:

ورد في إشعياء ٢٠/ ٢- ٤: " ٢فِي ذلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ قَائِلًا: «اِذْهَبْ وَحُلَّ الْمِسْحَ عَنْ حَقَوَيْكَ وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». فَفَعَلَ هكَذَا وَمَشَى مُعَرًّى وَحَافِيًا. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «كَمَا مَشَى عَبْدِي إِشَعْيَاءُ مُعَرًّى وَحَافِيًا ثَلاَثَ سِنِينٍ، آيَةً وَأُعْجُوبَةً عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُوشَ، ٤هكَذَا يَسُوقُ مَلِكُ أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ وَجَلاَءَ كُوشَ، الْفِتْيَانَ وَالشُّيُوخَ، عُرَاةً وَحُفَاةً وَمَكْشُوفِي الأَسْتَاهِ خِزْيًا لِمِصْرَ. "

١٢ - يهوذا يزني مع زوجة ابنه:

ورد في التكوين ٣٨/ ١١- ١٩: " ١١فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ

أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي». لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا. ١٢وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شُوعٍ امْرَأَةُ يَهُوذَا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ الْعَدُلاَّمِيُّ. ١٣فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ». ١٤فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. ١٥فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. ١٦فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟ » ١٧فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟ ». ١٨فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟ » فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ١٩ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا. "

١٣- نبي الله شاول يزوج ابنته زوجة لداود ﷺ من شخص آخر وهي لم تطلق من زوجها الأول:

ورد في سفر صموئيل الأول (١٨/ ٢٧) " فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً. "

وورد في صموئيل الثاني (٣/ ١٤ – ١٦) " ١٤وَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً إِلَى إِيشْبُوشَثَ بْنِ شَاوُلَ يَقُولُ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي مِيكَالَ الَّتِي خَطَبْتُهَا لِنَفْسِي بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». ١٥فَأَرْسَلَ إِيشْبُوشَثُ وَأَخَذَهَا مِنْ عِنْدِ رَجُلِهَا، مِنْ فَلْطِيئِيلَ بْنِ لاَيِشَ. ١٦وَكَانَ رَجُلُهَا يَسِيرُ مَعَهَا وَيَبْكِي وَرَاءَهَا إِلَى بَحُورِيمَ. فَقَالَ لَهُ أَبْنَيْرُ: «اذْهَبِ. ارْجعْ». فَرَجَعَ. "

١٤- نبي الله شاول يكفر بذهابه لعرافة:

ورد في سفر صموئيل الأول (٢٨/ ٨) "٨فَتَنَكَّرَ شَاوُلُ وَلَبِسَ ثِيَابًا أُخْرَى، وَذَهَبَ هُوَ وَرَجُلاَنِ مَعَهُ وَجَاءُوا إِلَى الْمَرْأَةِ لَيْلاً. وَقَالَ: «اعْرِفِي لِي بِالْجَانِّ وَأَصْعِدِي لِي مَنْ أَقُولُ لَكِ» "

١٥- نبي الله ناثان يتآمر مع أمه ويكذبان وينصبان على أبيهما داود لإختيار سليمان

نبيًا: (ملوك الأول ١/ ١١- ٣٠)

١٦ – نبي الله شمشمون يزني بامرأة في غزة: (قضاة ١٦/ ١)

١٧ – نبي الله إرمياء يحكم على نبي الله حننيا بالكفر ويقتله:

ورد في سفر إرميا (٢٨/ ١٥ – ١٧) "١٥فَقَالَ إِرْمِيَا النَّبِيُّ لِحَنَنِيَّا النَّبِيِّ: «اسْمَعْ يَا حَنَنِيَّا. إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يُرْسِلْكَ، وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ هذَا الشَّعْبَ يَتَّكِلُ عَلَى الْكَذِبِ. ١٦لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا طَارِدُكَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. هذِهِ السَّنَةَ تَمُوتُ، لأَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِعِصْيَانٍ عَلَى الرَّبِّ». ١٧فَمَاتَ حَنَنِيَّا النَّبِيُّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ.

هذه بعض الأمثلة من الكتاب المقدس حول صفات الأنبياء.

ونتساءل: لو كان هذا حال أنبياء الله؛ فما فائدة النبوات بعد ذلك إذا كان المختارون من البشر وصفوتهم على مثل هذه الحال؟ وأي خير يرتجى في إصلاح البشرية وتطهيرها من دنس الشرك والخطيئة بعد الذي قرأنا؟

ثم هل تخليد هذا الدنس يصدر عن وحي السماء؟ لو كان ذلك الذي ذكرته التوراة من المخازي حقًا فما فائدة ذكره؟ ما الفائدة المرجوة منه حتى يسطره الله في وحيه؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.[1]

ودفاعًا عن أنبياء الله تعالى، نذكر تعظيم الله لأنبيائه في القرآن الكريم:

١ –قال الله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(مريم/ ٥٨).

٢ –وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ

(١) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ (٩١ – ١٠١)، الإسلام والأديان الأخرى (٦١ – ٦٤)، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (٣٣، ٤٥) للواء/ أحمد عبد الوهاب، الجنس في العهد اليهودي القديم، محمد عبد الحليم عبد الفتاح (١٤٠ – ١٥٩) ، المناظرة الكبرى مع القس زكريا بطرس حول صحة الكتاب المقدس (٣٩٠ – ٤٠٠)، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، تأليف/ ليوتاكسل، ترجمة/ حسان ميخائيل إسحاق.

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الأنبياء/ ٧٣).

٣-وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنعام ٨٣ - ٩٠).

المبحث الثالث: الأخلاق في الكتاب المقدس وأثره على أتباعه.

تمهيد:

جاء في كلام المسيح: " ١٥«اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! ١٦مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ ١٧هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، ١٨لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. ١٩كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ٢٠فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. (متى ٧/ ١٥ - ٢٠).

يسوق المسلمون هذا النص الإنجيلي ويطلبون من النصارى التحاكم إليه، ومن ثم تكون الثمار دالة على حسن الغرس أو سوئه.

أولًا: الأخلاق في العهد القديم

يقول بولس: " ١٦كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، ١٧لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَل صَالِحٍ. " (تيموثاوس (٢) ٣/ ١٦).

فهل كان الكتاب المقدس فعلًا موبخًا للخطيئة ومعلمًا للبر ومقومًا للسلوك، وصالحًا للتأديب؟

تمتلئ جنبات الكتاب بالنصوص المختلفة، والذي يعنينا هنا تلك النصوص التي مست الجانب الأخلاقي، فقد امتلأت أسفار الكتاب المقدس بالحديث عن رذائل مارسها بنو إسرائيل وغيرهم، وحكت طويلًا عن سكرهم وزناهم ووثنيتهم. ولقد يظن الظان أنها حكت ذلك في باب النهر والتأديب والتبصر في عاقبة المجرمين.

ولكن شيئًا من ذلك لم يكن في الكتاب المقدس الذي حوى بين دفتيه عشرات النصوص القبيحة والوقحة التي تمثل صورة لأدب الفراش والجنس المكشوف.

أولًا: ألفاظ جنسية فاضحة لا تحمل صفة القداسة والطهارة في الكتاب المقدس.

سفر نشيد الإنشاد هو أحد أسفار الكتاب المقدس ويدعي النصارى أن رب العالمين

أوحاه إلى نبيه سليمان ﷺ وهذا نصه بحسب ترجمة الفانداديك:

ورد في سفر نشيد الإنشاد (٧: ١ - ٩): ((١مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. ٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ٣ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ. ٥رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ. ٦مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ! ٧قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ. ٨قُلْتُ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا. وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، ٩وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرَقْرِقَةُ السَّائِحَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ.)) وفي (٨/ ١-٣): " ١لَيْتَكَ كَأَخٍ لِي الرَّاضِعِ ثَدْيَيْ أُمِّي، فَأَجِدَكَ فِي الْخَارِجِ وَأُقَبِّلَكَ وَلاَ يُخْزُونَنِي. ٢وَأَقُودُكَ وَأَدْخُلُ بِكَ بَيْتَ أُمِّي، وَهِيَ تُعَلِّمُنِي، فَأَسْقِيكَ مِنَ الْخَمْرِ الْمَمْزُوجَةِ مِنْ سُلاَفِ رُمَّانِي. ٣شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي، وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي. ٤أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ.

قد يأتي مغالط مكابر من عشاق التفسير بالرمز أو(الشفرة) ليقول لنا ما لايفهم ولا يتصور في هذا الكلام الجنسي الفاضح، وليت شعري ماذا يقصد الله جل جلاله بفخذي المرأة المستديرين و بسرتها وبطنها وثدياها؟! (تعالى الله عما يصفون)، أليس من المخجل أن ندعي بأن الله تبارك وتعالى قد أوحى بمثل هذه الكلمات الفاضحة ولو كانت بشكل رمزي؟! ألم يجد كاتب سفر نشيد الأنشاد ألفاظًا أخرى يستعيض بها عن هذه الألفاظ الذي لا يختلف اثنان على مبلغ وقاحتها؟ إن هذا الإصحاح من الكتاب المقدس لم يترك شيئًا للأجيال اللاحقة التي تهوي الغزل الجنسي المفضوح، فهو لاشك مصدر إلهام لمن يسلك طريق الغزل الجنسي الفاضح.

وأخيرًا: هل يجرؤ الآباء بقراءة هذا الكلام في القداس أمام الرجال والنساء؟!

٢-الفراش المعطر ! !

وفي سفر الأمثال ٧/ ٦ – ٢١ نتقل بعضًا منه كما يلي:

لأَنِّي مِنْ كُوَّةِ بَيْتِي، مِنْ وَرَاءِ شُبَّاكِي تَطَلَّعْتُ،. . . . ، ٨عَابِرًا فِي الشَّارِعِ عِنْدَ زَاوِيَتِهَا، وَصَاعِدًا فِي طَرِيقِ بَيْتِهَا. ٩فِي الْعِشَاءِ، فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ، فِي حَدَقَةِ اللَّيْلِ وَالظَّلاَمِ. ١٠وَإِذَا بِامْرَأَةٍ اسْتَقْبَلَتْهُ فِي زِيِّ زَانِيَةٍ، وَخَبِيثَةِ الْقَلْبِ. ١١صَخَّابَةٌ هِيَ وَجَامِحَةٌ. فِي بَيْتِهَا لاَ تَسْتَقِرُّ قَدَمَاهَا. ١٢تَارَةً فِي الْخَارِجِ، وَأُخْرَى فِي الشَّوَارِعِ، وَعِنْدَ كُلِّ زَاوِيَةٍ تَكْمُنُ. ١٣فَأَمْسَكَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ. أَوْقَحَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ لَهُ: ١٤«عَلَيَّ ذَبَائِحُ السَّلاَمَةِ. الْيَوْمَ أَوْفَيْتُ نُذُورِي. ١٥فَلِذلِكَ خَرَجْتُ لِلِقَائِكَ، لأَطْلُبَ وَجْهَكَ حَتَّى أَجِدَكَ. ١٦بِالدِّيبَاجِ فَرَشْتُ سَرِيرِي، بِمُوَشَّى كَتَّانٍ مِنْ مِصْرَ. ١٧عَطَّرْتُ فِرَاشِي بِمُرّ وَعُودٍ وَقِرْفَةٍ. ١٨هَلُمَّ نَرْتَوِ وُدًّا إِلَى الصَّبَاحِ. نَتَلَذَّذُ بِالْحُبِّ. ١٩لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ. ذَهَبَ فِي طَرِيق بَعِيدَةٍ. . . . ، ٢١أَغْوَتْهُ بِكَثْرَةِ فُنُونِهَا، بِمَلْثِ شَفَتَيْهَا طَوَّحَتْهُ. "

التغزل بثدي المرأة على صفحات الكتاب المقدس ! !

ورد في سفر الأمثال (٥: ١٨): ((. . . . وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ، ١٩الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ. لِيُرْوِكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكَرْ دَائِمًا. !))

وأيضًا في نشيد الأنشاد (٨: ٨): ((٨لَنَا أُخْتٌ صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا ثَدْيَانِ. فَمَاذَا نَصْنَعُ لأُخْتِنَا فِي يَوْمٍ تُخْطَبُ؟

ونحن نسأل: كيف يمكن أن تأتي مثل هذه العبارات المثيرة للشهوة من عند الله تبارك وتعالى؟!

٤- كيف يصور لنا الكتاب المقدس حجم عورات الشباب وكمية المني الخارج من ذكورهم؟ ورد في سفر حزقيال (٢٣: ١٩): ((٢٠وَعَشِقَتْ مَعْشُوقِيهِمِ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلَحْمِ الْحَمِيرِ وَمَنِيُّهُمْ كَمَنِيِّ الْخَيْلِ.)) نحن نسأل: أليس هذا تصويرًا مخجلًا خادشًا للحياء على صفحات الكتاب المقدس؟!

٥- ورد في سفر حزقيال ١٦/ ٣- ٣٩: "٣وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ:

مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ. ٤أَمَّا مِيلاَدُكِ يَوْمَ وُلِدْتِ فَلَمْ تُقْطَعْ سُرَّتُكِ، وَلَمْ تُغْسَلِي بِالْمَاءِ لِلتَّنَظُّفِ، وَلَمْ تُمَلَّحِي تَمْلِيحًا، وَلَمْ تُقَمَّطِي تَقْمِيطًا. ٥لَمْ تَشْفُقْ عَلَيْكِ عَيْنٌ لِتَصْنَعَ لَكِ وَاحِدَةً مِنْ هذِهِ لِتَرِقَّ لَكِ، بَلْ طُرِحْتِ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ بِكَرَاهَةِ نَفْسِكِ يَوْمَ وُلِدْتِ. ٦فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ مَدُوسَةً بِدَمِكِ، فَقُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِي، قُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِي. ٧جَعَلْتُكِ رَبْوَةً كَنَبَاتِ الْحَقْلِ، فَرَبَوْتِ وَكَبُرْتِ، وَبَلَغْتِ زِينَةَ الأَزْيَانِ. نَهَدَ ثَدْيَاكِ، وَنَبَتَ شَعْرُكِ وَقَدْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً. ٨فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ لَكِ، وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. ٩فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ، وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ، وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ، ١٠وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً، وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ، وَكَسَوْتُكِ بَزًّا. . . . ، ١٥«فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ، وَزَنَيْتِ عَلَى اسْمِكِ، وَسَكَبْتِ زِنَاكِ عَلَى كُلِّ عَابِرٍ فَكَانَ لَهُ. ١٦وَأَخَذْتِ مِنْ ثِيَابِكِ وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ مُرْتَفَعَاتٍ مُوَشَّاةٍ، وَزَنَيْتِ عَلَيْهَا. أَمْرٌ لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَكُنْ. ١٧وَأَخَذْتِ أَمْتِعَةَ زِينَتِكِ مِنْ ذَهَبِي وَمِنْ فِضَّتِي الَّتِي أَعْطَيْتُكِ، وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ صُوَرَ ذُكُورٍ وَزَنَيْتِ بِهَا. . . . ، ٢٠«أَخَذْتِ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ الَّذِينَ وَلَدْتِهِمْ لِي، وَذَبَحْتِهِمْ لَهَا طَعَامًا. أَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ زِنَاكِ ٢١أَنَّكِ ذَبَحْتِ بَنِيَّ وَجَعَلْتِهِمْ يَجُوزُونَ فِي النَّارِ لَهَا؟ ٢٢وَفِي كُلِّ رَجَاسَاتِكِ وَزِنَاكِ لَمْ تَذْكُرِي أَيَّامَ صِبَاكِ، إِذْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً وَكُنْتِ مَدُوسَةً بِدَمِكِ. . . . ، ٢٥فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيق بَنَيْتِ مُرْتَفَعَتَكِ وَرَجَّسْتِ جَمَالَكِ، وَفَرَّجْتِ رِجْلَيْكِ لِكُلِّ عَابِرٍ وَأَكْثَرْتِ زِنَاكِ. ٢٦وَزَنَيْتِ مَعَ جِيرَانِكِ بَنِي مِصْرَ الْغِلاَظِ اللَّحْمِ، وَزِدْتِ فِي زِنَاكِ لإِغَاظَتِي. ٢٧«فَهأَنَذَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِي عَلَيْكِ، وَمَنَعْتُ عَنْكِ فَرِيضَتَكِ، وَأَسْلَمْتُكِ لِمَرَامِ مُبْغِضَاتِكِ، بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، اللَّوَاتِي يَخْجَلْنَ مِنْ طَرِيقِكِ الرَّذِيلَةِ. ٢٨وَزَنَيْتِ مَعَ بَنِي أَشُّورَ، إِذْ كُنْتِ لَمْ تَشْبَعِي فَزَنَيْتِ بِهِمْ، وَلَمْ تَشْبَعِي أَيضًا. ٢٩وَكَثَّرْتِ زِنَاكِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَبِهذَا أَيضًا لَمْ تَشْبَعِي. ٣٠مَا أَمْرَضَ قَلْبَكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِذْ فَعَلْتِ كُلَّ هذَا فِعْلَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ سَلِيطَةٍ، ٣١بِبِنَائِكِ قُبَّتَكِ فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيق، وَصُنْعِكِ مُرْتَفَعَتَكِ فِي كُلِّ شَارِعٍ. وَلَمْ تَكُونِي كَزَانِيَةٍ، بَلْ مُحْتَقِرَةً

الأُجْرَةَ. ٣٢أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ الْفَاسِقَةُ، تَأْخُذُ أَجْنَبِيِّينَ مَكَانَ زَوْجِهَا. ٣٣لِكُلِّ الزَّوَانِي يُعْطُونَ هَدِيَّةً، أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَعْطَيْتِ كُلَّ مُحِبِّيكِ هَدَايَاكِ، وَرَشَيْتِهِمْ لِيَأْتُوكِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِلزِّنَا بِكِ. ٣٤وَصَارَ فِيكِ عَكْسُ عَادَةِ النِّسَاءِ فِي زِنَاكِ، إِذْ لَمْ يُزْنَ وَرَاءَكِ، بَلْ أَنْتِ تُعْطِينَ أُجْرَةً وَلاَ أُجْرَةَ تُعْطَى لَكِ، فَصِرْتِ بِالْعَكْسِ فَلِذلِكَ يَا زَانِيَةُ اسْمَعِي كَلاَمَ الرَّبِّ: ٣٦هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أُنْفِقَ نُحَاسُكِ وَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُكِ بِزِنَاكِ بِمُحِبِّيكِ وَبِكُلِّ أَصْنَامِ رَجَاسَاتِكِ، وَلِدِمَاءِ بَنِيكِ الَّذِينَ بَذَلْتِهِمْ لَهَا، ٣٧لِذلِكَ هأَنَذَا أَجْمَعُ جَمِيعَ مُحِبِّيكِ الَّذِينَ لَذَذْتِ لَهُمْ، وَكُلَّ الَّذِينَ أَحْبَبْتِهِمْ مَعَ كُلِّ الَّذِينَ أَبْغَضْتِهِمْ، فَأَجْمَعُهُمْ عَلَيْكِ مِنْ حَوْلِكِ، وَأَكْشِفُ عَوْرَتَكِ لَهُمْ لِيَنْظُرُوا كُلَّ عَوْرَتِكِ. ٣٨وَأَحْكُمُ عَلَيْكِ أَحْكَامَ الْفَاسِقَاتِ السَّافِكَاتِ الدَّمِ، وَأَجْعَلُكِ دَمَ السَّخْطِ وَالْغَيْرَةِ. ٣٩وَأُسَلِّمُكِ لِيَدِهِمْ فَيَهْدِمُونَ قُبَّتَكِ وَيُهَدِّمُونَ مُرْتَفَعَاتِكِ، وَيَنْزِعُونَ عَنْكِ ثِيَابَكِ، وَيَأْخُذُونَ أَدَوَاتِ زِينَتِكِ، وَيَتْرُكُونَكِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً.

٦-ورد في سفر هوشع ٢/ ١- ٢٣: " ١«قُولُوا لإِخْوَتِكُمْ «عَمِّي» وَلأَخَوَاتِكُمْ «رُحَامَةَ». ٢حَاكِمُوا أُمَّكُمْ حَاكِمُوا، لأَنَّهَا لَيْسَتِ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا، لِكَيْ تَعْزِلَ زِنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفِسْقَهَا مِنْ بَيْنِ ثَدْيَيْهَا، ٣لِئَلاَّ أُجَرِّدَهَا عُرْيَانَةً وَأَوْقِفَهَا كَيَوْمِ وِلاَدَتِهَا، وَأَجْعَلَهَا كَقَفْرٍ، وَأُصَيِّرَهَا كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ، وَأُمِيتَهَا بِالْعَطَشِ. ٤وَلاَ أَرْحَمُ أَوْلاَدَهَا لأَنَّهُمْ أَوْلاَدُ زِنًى. لأَنَّ أُمَّهُمْ قَدْ زَنَتِ. الَّتِي حَبِلَتْ بِهِمْ صَنَعَتْ خِزْيًا. لأَنَّهَا قَالَتْ: أَذْهَبُ وَرَاءَ مُحِبِّيَّ الَّذِينَ يُعْطُونَ خُبْزِي وَمَائِي، صُوفِي وَكَتَّانِي، زَيْتِي وَأَشْرِبَتِي. ٦لِذلِكَ هأَنَذَا أُسَيِّجُ طَرِيقَكِ بِالشَّوْكِ، وَأَبْنِي حَائِطَهَا حَتَّى لاَ تَجِدَ مَسَالِكَهَا. ٧فَتَتْبَعُ مُحِبِّيهَا وَلاَ تُدْرِكُهُمْ، وَتُفَتِّشُ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَجِدُهُمْ. فَتَقُولُ: أَذْهَبُ وَأَرْجعُ إِلَى رَجُلِي الأَوَّلِ، لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ خَيْرٌ لِي مِنَ الآنَ. ٨وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ أَنِّي أَنَا أَعْطَيْتُهَا الْقَمْحَ وَالْمِسْطَارَ وَالزَّيْتَ، وَكَثَّرْتُ لَهَا فِضَّةً وَذَهَبًا جَعَلُوهُ لِبَعْل. ٩لِذلِكَ أَرْجعُ وَآخُذُ قَمْحِي فِي حِينِهِ، وَمِسْطَارِي فِي وَقْتِهِ، وَأَنْزِعُ صُوفِي وَكَتَّانِي اللَّذَيْنِ لِسَتْرِ عَوْرَتِهَا. ١٠وَالآنَ أَكْشِفُ عَوْرَتَهَا أَمَامَ عُيُونِ مُحِبِّيهَا وَلاَ يُنْقِذُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. ١١وَأُبَطِّلُ كُلَّ أَفْرَاحِهَا: أَعْيَادَهَا وَرُؤُوسَ شُهُورِهَا وَسُبُوتَهَا وَجَمِيعَ مَوَاسِمِهَا. ١٢وَأُخَرِّبُ كَرْمَهَا وَتِينَهَا اللَّذَيْنِ

قَالَتْ: هُمَا أُجْرَتِي الَّتِي أَعْطَانِيهَا مُحِبِّيَّ، وَأَجْعَلُهُمَا وَعْرًا فَيَأْكُلُهُمَا حَيَوَانُ الْبَرِّيَّةِ. ١٣وَأُعَاقِبُهَا عَلَى أَيَّامِ بَعْلِيمَ الَّتِي فِيهَا كَانَتْ تُبَخِّرُ لَهُمْ وَتَتَزَيَّنُ بِخَزَائِمِهَا وَحُلِيهَا وَتَذْهَبُ وَرَاءَ مُحِبِّيهَا وَتَنْسَانِي أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ. «لكِنْ هأَنَذَا أَتَمَلَّقُهَا وَأَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَأُلاَطِفُهَا، ١٥وَأُعْطِيهَا كُرُومَهَا مِنْ هُنَاكَ، وَوَادِي عَخُورَ بَابًا لِلرَّجَاءِ. وَهِيَ تُغَنِّي هُنَاكَ كَأَيَّامِ صِبَاهَا، وَكَيَوْمِ صُعُودِهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ١٦وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّكِ تَدْعِينَنِي: رَجُلِي، وَلاَ تَدْعِينَنِي بَعْدُ بَعْلِي. ١٧وَأَنْزِعُ أَسْمَاءَ الْبَعْلِيمِ مِنْ فَمِهَا، فَلاَ تُذْكَرُ أَيضًا بِأَسْمَائِهَا. ١٨وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَدَبَّابَاتِ الأَرْضِ، وَأَكْسِرُ الْقَوْسَ وَالسَّيْفَ وَالْحَرْبَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَجْعَلُهُمْ يَضْطَجِعُونَ آمِنِينَ. ١٩وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. ٢٠أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ. ٢١وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي أَسْتَجِيبُ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَسْتَجِيبُ السَّمَاوَاتِ وَهِيَ تَسْتَجِيبُ الأَرْضَ، ٢٢وَالأَرْضُ تَسْتَجِيبُ الْقَمْحَ وَالْمِسْطَارَ وَالزَّيْتَ، وَهِيَ تَسْتَجِيبُ يَزْرَعِيلَ. ٢٣وَأَزْرَعُهَا لِنَفْسِي فِي الأَرْضِ، وَأَرْحَمُ لُورُحَامَةَ، وَأَقُولُ لِلُوعَمِّي: أَنْتَ شَعْبِي، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ إِلهِي».

٧-ورد في سفر حبقوق ٢/ ١٥ – ١٦: " ١٥«وَيْلٌ لِمَنْ يَسْقِي صَاحِبَهُ سَافِحًا حُمُوَّكَ وَمُسْكِرًا أيضًا، لِلنَّظَرِ إِلَى عَوْرَاتِهِمْ. ١٦قَدْ شَبِعْتَ خِزْيًا عِوَضًا عَنِ الْمَجْدِ. فَاشْرَبْ أَنْتَ أيضًا وَاكْشِفْ غُرْلَتَكَ! تَدُورُ إِلَيْكَ كَأْسُ يَمِينِ الرَّبِّ، وَقُيَاءُ الْخِزْيِ عَلَى مَجْدِكَ. "

٨- ورد في سفر ناحوم ٣/ ٤-٥: " ٤مِنْ أَجْلِ زِنَى الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا، وَقَبَائِلَ بِسِحْرِهَا. ٥«هأَنَذَا عَلَيْكِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَأَكْشِفُ أَذْيَالَكِ إِلَى فَوْقِ وَجْهِكِ، وَأُرِي الأُمَمَ عَوْرَتَكِ وَالْمَمَالِكَ خِزْيَكِ.

٩- ورد في سفر إشعيا ٢٣/ ١٥– ١٨: " ١٥وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ صُورَ تُنْسَى سَبْعِينَ سَنَةً كَأَيَّامِ مَلِكٍ وَاحِدٍ. مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً يَكُونُ لِصُورَ كَأُغْنِيَّةِ الزَّانِيَةِ: ١٦«خُذِي عُودًا. طُوفِي فِي الْمَدِينَةِ أَيَّتُهَا الزَّانِيَةُ الْمَنْسِيَّةُ. أَحْسِنِي الْعَزْفَ، أَكْثِرِي الْغِنَاءَ لِكَيْ تُذْكَرِي».

١٧وَيَكُونُ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً أَنَّ الرَّبَّ يَتَعَهَّدُ صُورَ فَتَعُودُ إِلَى أُجْرَتِهَا، وَتَزْنِي مَعَ كُلِّ مَمَالِكِ الْبِلاَدِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. ١٨وَتَكُونُ تِجَارَتُهَا وَأُجْرَتُهَا قُدْسًا لِلرَّبِّ. لاَ تُخْزَنُ وَلاَ تُكْنَزُ، بَلْ تَكُونُ تِجَارَتُهَا لِلْمُقِيمِينَ أَمَامَ الرَّبِّ، لأَكْلٍ إِلَى الشِّبَعِ وَلِلِبَاسٍ فَاخِرٍ."

١٠ – الكتاب المقدس يحدثنا عن ٢٠٠ غلفة (جلدة الذكر التي تقطع عند الختان) قدمت كمهر!!!

جاء في سفر صموئيل الأول (١٨/ ٢٥): أن نبي الله داود طلب أن يكون زوجًا لابنة شاول الملك فاشترط شاول عليه أن يكون المهر ١٠٠ غلفة: ((فَأَبْلَغَ عَبِيدُ شَاوُلَ دَاوُدَ بِمَطْلَبِ الْمَلِكِ، فَرَاقَهُ الأَمْرُ، وَلاَ سِيَّمَا فِكْرَةُ مُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. وَقَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ الْمُهْلَةُ الْمُعْطَاةُ لَهُ، انْطَلَقَ مَعَ رِجَالِهِ وَقَتَلَ مِئَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَأَتَى بِغُلَفِهِمْ وَقَدَّمَهَا كَامِلَةً لِتَكُونَ مَهْرًا لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَزَوَّجَهُ شَاوُلُ عِنْدَئِذٍ مِنِ ابْنَتِهِ مِيكَالَ.)).

ثانيًا: دعوة صريحة للاغتصاب

١- ورد في سفر التثنية ٢٢/ ٢٨- ٢٩: " ٢٨«إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ، فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَوُجِدَا. ٢٩يُعْطِي الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لأَبِي الْفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَتَكُونُ هِيَ لَهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَذَلَّهَا. لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ. "

٢-كيف يوصي الكتاب المقدس بسرقة النساء واغتصابهن؟ جاء في سفر القضاة (٢١: ٢٠): ((فَأَوْصَوْا بَنِي بَنْيَامِينَ قَائِلِينَ: انْطَلِقُوا إِلَى الْكُرُومِ وَاكْمِنُوا فِيهَا. وَانْتَظِرُوا حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ بَنَاتُ شِيلُوهَ لِلرَّقْصِ فَانْدَفِعُوا أَنْتُمْ نَحْوَهُنَّ، وَاخْطِفُوا لأَنْفُسِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَةً وَاهْرُبُوا بِهِنَّ إِلَى أَرْضِ بَنْيَامِينَ.)) ونحن نسأل: أين القداســة في هذا الكلام؟

ثالثًا: السباب المقزع على صفحات الكتاب المقدس

كما تحوي الأسفار المقدسة بعض صور السباب المقزع، كما في قوله: ١- " ٦الله قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ: . . . . . . ٨مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي " (المزمور٦٠/ ٦-٨)، فهل يعتبر الإله العظيم أمة من الأمم التي خلقها محلًا لقضاء حاجته أو التنظف من قذره، بل هل له حاجة أو قذر؟ وهل يحتاج إلى مرحاض، ولو على سبيل الاستعارة.

٢- ومن السباب الذي لا يليق بالله العظيم الجليل ووحيه ما تنقله الأسفار عن الملك شاول أنه قال ليوناثان ابنه: "٣٠فَحَمِيَ غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدِ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى لِخِزْيِكَ وَخِزْيِ عَوْرَةِ أُمِّكَ؟ " (صموئيل (١)٢٠/ ٣٠).

٣ - ومن ذلك أن إشعيا قال لبني إسرائيل: "٣«أَمَّا أَنْتُمْ فَتَقَدَّمُوا إِلَى هُنَا يَا بَنِي السَّاحِرَةِ، نَسْلَ الْفَاسِقِ وَالزَّانِيَةِ " (إشعيا ٥٧/ ٣).

ثانيًا: حالات الزنا وزنا المحارم الواقعة في الكتاب المقدس.

من أصعب الأمور التي تواجهها البشرية هو الانحلال الخلقي، تفتت الأسرة وموت العلاقة الأسرية بين أفراد الأسرة، فلا يقدر الأخ حق أخته ولا يعلم حرمتها ويتورط في الفساد الخلقي والنفسي لدرجة أن يزني بأخته أو أن يزني الأب ببنته أو زوجة ابنه أو الأم بابنها وغيره من الحوادث التي تنذر عما قريب بهلاك البشرية وفسادها وحلول غضب الله على العالمين.

١- شمشون يمارس الزنى مع إحدى البغايا بمدينة غزة على صفحات الكتاب المقدس! ، يقول كاتب سفر القضاة (١٦/ ١): ((١ثُمَّ ذَهَبَ شَمْشُونُ إِلَى غَزَّةَ، وَرَأَى هُنَاكَ امْرَأَةً زَانِيَةً فَدَخَلَ إِلَيْهَا.))

٢- (راعوث) تضاجع (بوعز) بتوصية من حماتها على صفحات الكتاب المقدس، يقول كاتب سفر راعوث (٣: ٤): ((٤وَمَتَى اضْطَجَعَ فَاعْلَمِي الْمَكَانَ الَّذِي يَضْطَجِعُ فِيهِ، وَادْخُلِي وَاكْشِفِي نَاحِيَةَ رِجْلَيْهِ وَاضْطَجِعِي، وَهُوَ يُخْبِرُكِ بِمَا تَعْمَلِينَ».))

٣- داود النبي يضاجع فتاة صغيرة في فراشه على صفحات الكتاب المقدس! ! :

يقول كاتب سفر الملوك الأول (١/ ١- ٤): ((١وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ. تَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. ٢فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيُفَتِّشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ». ٣فَفَتَّشُوا عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ. ٤وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةً جِدًّا، فَكَانَتْ حَاضِنَةَ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ تَخْدِمُهُ، وَلكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهَا. "

٤- لوط يزني ببناته:

ورد في سفر التكوين ١٩/ ٢٩ - ٣٨: ((٢٩وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ الله مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ الله ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.

وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ٣١وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. ٣٢هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ٣٣فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. ٣٤وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أيضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». ٣٥فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أيضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، ٣٦فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. ٣٨وَالصَّغِيرَةُ أيضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ. "

٥- نبي الله داود يزني بزوجة جاره!

ورد في سفر صموئيل الثاني (١١: ١): ((. . . . وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. ٢وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. ٣فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟ ». ٤فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». ٦فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ٧فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ٨وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ

الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. ٩وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ١٠فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟ » ١١فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». ١٢فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ١٣وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ، وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ١٥وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». . . . ، ٢٦فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. ٢٧وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. "

٦- ممارسة الجنس بين زوجة الابن وحميها على صفحات الكتاب المقدس

ورد في سفر التكوين (٣٨: ١٣ – ٢٣): ((١٣فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ». ١٤فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. ١٥فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. ١٦فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟ » ١٧فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟ ». ١٨فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟ » فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ١٩ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.

١-٢٠فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ الْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَّمِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا. ٢١فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلًا: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟ » فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ». ٢٢فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أيضا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ». ٢٣فَقَالَ يَهُوذَا: «لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الْجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا».

٢-وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أيضًا مِنَ الزِّنَا».

زوجات الأب:

٣-ورد في صموئيل الثاني ١٦/ ٢٠ - ٢٢: ٢٠وَقَالَ أَبْشَالُومُ لأَخِيتُوفَلَ: «أَعْطُوا مَشُورَةً، مَاذَا نَفْعَلُ؟ ». ٢١فَقَالَ أَخِيتُوفَلُ لأَبْشَالُومَ: «ادْخُلْ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيكَ اللَّوَاتِي تَرَكَهُنَّ لِحِفْظِ الْبَيْتِ، فَيَسْمَعَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مَكْرُوهًا مِنْ أَبِيكَ، فَتَتَشَدَّدَ أَيْدِي جَمِيعِ الَّذِينَ مَعَكَ». ٢٢فَنَصَبُوا لأَبْشَالُومَ الْخَيْمَةَ عَلَى السَّطْحِ، وَدَخَلَ أَبْشَالُومُ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيهِ أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ.

٨- متفرقات فاضحة

١-ورد في أمثال ٥/ ١٩: " ١٩الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ. لِيُرْوِكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكَرْ دَائِمًا. "

٢-وفي أمثال ٥/ ٣: " ٣لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلًا، وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ "

٣-وفي صموئيل (٢) ١٢/ ١١: " ١١هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذِهِ الشَّمْسِ. "

٤-وفي حزقيال ١٦/ ٢٥: " ٣١بِبِنَائِكِ قُبَّتَكِ فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيق، وَصُنْعِكِ مُرْتَفَعَتَكِ فِي كُلِّ شَارِعٍ. وَلَمْ تَكُونِي كَزَانِيَةٍ، بَلْ مُحْتَقِرَةً الأُجْرَةَ. "

٥-وفي حزقيال ٢٣/ ٣٤: " ٣٤فَتَشْرَبِينَهَا وَتَمْتَصِّينَهَا وَتَقْضَمِينَ شُقَفَهَا وَتَجْتَثِّينَ ثَدْيَيْكِ، لأَنِّي تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. "

٦-وورد في سفر التكوين ٣٨/ ٩: ٩فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلًا لأَخِيهِ. "

٧-وورد في حزقيال ١٦/ ٧: " ٧جَعَلْتُكِ رَبْوَةً كَنَبَاتِ الْحَقْلِ، فَرَبَوْتِ وَكَبُرْتِ، وَبَلَغْتِ زِينَةَ الأَزْيَانِ. نَهَدَ ثَدْيَاكِ، وَنَبَتَ شَعْرُكِ وَقَدْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً. "

٩- العم مع بنت أخيه:

١-ورد في يشوع ١٥/ ١٦: ١٦فَقَالَ كَالَبُ: «الَّذِي يَضْرِبُ قَرْيَةَ سَفَرٍ وَيَأْخُذُهَا، أُعْطِيهِ عَكْسَةَ ابْنَتِي امْرَأَةً». ١٧فَأَخَذَهَا عُثْنِيئِيلُ بْنُ قَنَازَ، أَخُو كَالَبَ الأَصْغَرُ مِنْهُ. فَأَعْطَاهُ عَكْسَةَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً. " لا تفكر يا مسكين أن تقول: إن هذا كان قبل الشريعة، فهذه القصة في نهاية عهد يوشع بن نون تقريبًا بعد وفاة موسى بكثير، ويوشع بن نون لم يضع أي شريعة لبني إسرائيل من حلال أو حرام وإنما وضعها موسى قبل وفاته، ولو كان الأمر هكذا فمن المفروض أن يكون زواج الرجل من بنت أخيه حلال إلى الآن عند اليهود! ! !

٢- ورد في قضاة ١٩/ ٢٢: " ٢٢وَفِيمَا هُمْ يُطَيِّبُونَ قُلُوبَهُمْ، إِذَا بِرِجَالِ الْمَدِينَةِ، رِجَالِ بَنِي بَلِيَّعَالَ، أَحَاطُوا بِالْبَيْتِ قَارِعِينَ الْبَابَ، وَكَلَّمُوا الرَّجُلَ صَاحِبَ الْبَيْتِ الشَّيْخَ قَائِلِينَ: «أَخْرِجِ الرَّجُلَ الَّذِي دَخَلَ بَيْتَكَ فَنَعْرِفَهُ». ٢٣فَخَرَجَ إِلَيْهِمِ الرَّجُلُ صَاحِبُ الْبَيْتِ وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ يَا إِخْوَتِي. لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا. بَعْدَمَا دَخَلَ هذَا الرَّجُلُ بَيْتِي لاَ تَفْعَلُوا هذِهِ الْقَبَاحَةَ. ٢٤هُوَذَا ابْنَتِي الْعَذْرَاءُ وَسُرِّيَّتُهُ. دَعُونِي أُخْرِجْهُمَا، فَأَذِلُّوهُمَا وَافْعَلُوا بِهِمَا مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمْ. وَأَمَّا هذَا الرَّجُلُ فَلاَ تَعْمَلُوا بِهِ هذَا الأَمْرَ الْقَبِيحَ». ٢٥فَلَمْ يُرِدِ الرِّجَالُ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ. فَأَمْسَكَ الرَّجُلُ سُرِّيَّتَهُ وَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِمْ خَارِجًا، فَعَرَفُوهَا وَتَعَلَّلُوا بِهَا اللَّيْلَ كُلَّهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَطْلَقُوهَا. ٢٦فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصَّبَاحِ وَسَقَطَتْ عِنْدَ بَابِ بَيْتِ الرَّجُلِ حَيْثُ سَيِّدُهَا هُنَاكَ إِلَى الضَّوْءِ. ٢٧فَقَامَ سَيِّدُهَا فِي الصَّبَاحِ وَفَتَحَ أَبْوَابَ

الْبَيْتِ وَخَرَجَ لِلذَّهَابِ فِي طَرِيقِهِ، وَإِذَا بِالْمَرْأَةِ سُرِّيَّتِهِ سَاقِطَةٌ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، وَيَدَاهَا عَلَى الْعَتَبَةِ. ٢٨فَقَالَ لَهَا: «قُومِي نَذْهَبْ». فَلَمْ يَكُنْ مُجِيبٌ. فَأَخَذَهَا عَلَى الْحِمَارِ وَقَامَ الرَّجُلُ وَذَهَبَ إِلَى مَكَانِهِ. ٢٩وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ وَأَمْسَكَ سُرِّيَّتَهُ وَقَطَّعَهَا مَعَ عِظَامِهَا إِلَى اثْنَتَيْ عَشَرَةَ قِطْعَةً، وَأَرْسَلَهَا إِلَى جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ.

٣-وورد في إرميا ٥١/ ١٣: " ١٣أَيَّتُهَا السَّاكِنَةُ عَلَى مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، الْوَافِرَةُ الْخَزَائِنِ، قَدْ أَتَتْ آخِرَتُكِ، كَيْلُ اغْتِصَابِكِ. "

وتبحث في هذا كله عن عقوبة للمجرم فلا تجد، إذ لم تخبرنا التوراة أن حد الزنا المذكور في سفر اللاويين (٢٠/ ١٧) قد طبق مرة واحدة.

وكنموذج للعقوبة التوراتية المفقودة نعرض لما جاء في سفر صموئيل عن عالي رئيس الكهنة وقاضي بني إسرائيل " ٢٢وَشَاخَ عَالِي جِدًّا، وَسَمِعَ بِكُلِّ مَا عَمِلَهُ بَنُوهُ بِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا يُضَاجِعُونَ النِّسَاءَ الْمُجْتَمِعَاتِ فِي بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. ٢٣فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ الأُمُورِ؟ لأَنِّي أَسْمَعُ بِأُمُورِكُمُ الْخَبِيثَةِ مِنْ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ. ٢٤لاَ يَا بَنِيَّ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا الْخَبَرُ الَّذِي أَسْمَعُ. " (صموئيل (٢) ٢/ ٢٢ - ٢٤)، فهل هذا كل ما صنعه كبير قضاة بني إسرائيل مع أولئك الذين يزنون في خيمة الاجتماع! ؟

يقول ول ديورانت في قصة الحضارة: " ومهما يكن أصلها – أي الكتابات الغرامية – فإن وجودها في التوراة سر خفي ولكنه سر ساحر جميل. ولسنا ندري كيف غفل- أو تغافل- رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية. "[(١)]

وتقول مقدمة الآباء اليسوعيين: "لا يقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين، لأنه لا يلائمهم كثيرًا ".

ثالثا: شذوذ في الكتاب المقدس

المثال الأول: قصة داود ويوناثان بن شاول الذي تنبأ وهو عريان:

(١) ص(٥٩٠).

ورد في صموئيل ١/ ٢٦: " ٢٦قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْوًا لِي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ. "

قصة داود مع يوناثان ابن شاول قصة عجيبة فعلًا تبدأ بعد أن قتل داود جليات الفلسطيني في الحرب، وداود هو ذلك الفتى الجميل أصفر الشعر جميل العينين كما يصفه الكتاب المقدس في صموئيل الأول ١٦/ ١٢ هكذا: " ١٢فَأَرْسَلَ وَأَتَى بِهِ. وَكَانَ أَشْقَرَ مَعَ حَلاَوَةِ الْعَيْنَيْنِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «قُمِ امْسَحْهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ».

وداود أيضًا هو جد الرب يسوع الذي يعبده النصارى كما هو معلوم للجميع، وهو أبو سليمان، وسليمان هو ابن بتشبع زوجة أوريا الحثي التي اغتصبها داود من زوجها أوريا الحثي وقتل زوجها غدرًا في الحرب وأنجب منها من الزنى سليمان (كما يزعمون هم) وبعد أن قتل داود جليات الفلسطيني أعجب به شاول أبو يوناثان جدًا، خاصة أن داود كان يعمل عنده عازفًا على العود ثم أحبه يوناثان كثيرًا فقال في صموئيل الأول ١٨/ ١ هكذا: " ١وَكَانَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ. " ومن شدة إعجاب يوناثان بشاول فقد فعل شيئًا عجيبًا من أجله، لقد اضطر يوناثان من شدة حبه لداود أن يخلع ملابسه من أجله، بعد أن قطع معه عهدًا، ولا ندري ما العهد الذي يقطعه رجلان مع بعضهما فيخلع أحدهما ملابسه بعد هذا العهد، كما يقول في نفس السفر ١٨/ ٣-٤ : " ٣وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْدًا لأَنَّهُ أَحَبَّهُ كَنَفْسِهِ. ٤وَخَلَعَ يُونَاثَانُ الْجُبَّةَ الَّتِي عَلَيْهِ وَأَعْطَاهَا لِدَاوُدَ مَعَ ثِيَابِهِ وَسَيْفِهِ وَقَوْسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ. " حتى أن يوناثان قد حل منطقته التي يلف بها وسطه كما قرأت، ولكن شاول بدأ يشعر بشيء ما تجاه داود فقرر أن يوقعه في فخ حتى يتخلص منه فيضع له العصا والجزرة كما يقول في نفس السفر ١٨/ ٢٠ -٢١: " ٢٠وَمِيكَالُ ابْنَةُ شَاوُلَ أَحَبَّتْ دَاوُدَ، فَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَحَسُنَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْهِ. ٢١وَقَالَ شَاوُلُ: «أُعْطِيهِ إِيَّاهَا فَتَكُونُ لَهُ شَرَكًا وَتَكُونُ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَلَيْهِ». وَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ ثَانِيَةً: «تُصَاهِرُنِي الْيَوْمَ». وهكذا شعر الملك شاول بخطر داود على بيته،

فداود أصبح على علاقة بيوناثان وقد خلع له يوناثان ملابسه، ثم إن أخت يوناثان (ميكال) قد أحبت داود، فأصبح الولد وأخته يحبان داود، فقرر شاول التخلص منه كما قرأت وقرر أن يوقعه بين فكي الفلسطينين.

ولا تنسى أن شاول هو نبي من أنبياء بني إسرائيل بنص الكتاب المقدس، ولكنه أراد أن يقتل داود فهو يشعر بخطره على آل بيته خاصة على ابنه يوناثان، فماذا قال شاول في نفس السفر ١٨/ ٢٥ هكذا: " ٢٥فَقَالَ شَاوُلُ: «هكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ». وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. " ولما أفلت داود من هذا الفخ ضج شاول جدا منه فأراد أن يختبر ابنه يوناثان صاحب العلاقة مع داود، فقال له في نفس السفر ١٩/ ١- ٣: " ١وَكَلَّمَ شَاوُلُ يُونَاثَانَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ عَبِيدِهِ أَنْ يَقْتُلُوا دَاوُدَ. ٢وَأَمَّا يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ فَسُرَّ بِدَاوُدَ جِدًّا. فَأَخْبَرَ يُونَاثَانُ دَاوُدَ قَائِلًا: «شَاوُلُ أَبِي مُلْتَمِسٌ قَتْلَكَ، وَالآنَ فَاحْتَفِظْ عَلَى نَفْسِكَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقِمْ فِي خُفْيَةٍ وَاخْتَبِئْ. ٣وَأَنَا أَخْرُجُ وَأَقِفُ بِجَانِبِ أَبِي فِي الْحَقْلِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَأُكَلِّمُ أَبِي عَنْكَ، وَأَرَى مَاذَا يَصِيرُ وَأُخْبِرُكَ». ويبدو ان العلاقة بين داود ويوناثان وصلت إلى مرحلة خطيرة فانظر ماذا يقول له يوناثان في ٢٠/ ٤: " ٤فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «مَهْمَا تَقُلْ نَفْسُكَ أَفْعَلْهُ لَكَ».

فمهما يخطر على بال داود فإن يوناثان مستعد أن يفعله له! ! ! لا عجب في ذلك لكن العجب أن يكون مكان اختباء داود الذي يختاره هو الحقل، فهو يريد أن يلتقي بيوناثان في الحقل ليلًا وانظر إلى ما جاء في ٢٠/ ٥: " ٥فَقَالَ دَاوُدُ لِيُونَاثَانَ: «هُوَذَا الشَّهْرُ غَدًا حِينَمَا أَجْلِسُ مَعَ الْمَلِكِ لِلأَكْلِ. وَلكِنْ أَرْسِلْنِي فَأَخْتَبِئَ فِي الْحَقْلِ إِلَى مَسَاءِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ. " وقد وافقه يوناثان، وطلب منه أن يخرجا إلى الحقل معا فيقوا في ٢٠/ ١١: " ١١فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «تَعَالَ نَخْرُجُ إِلَى الْحَقْلِ». فَخَرَجَا كِلاَهُمَا إِلَى الْحَقْلِ. " فالمحبة كما ترون واضحة جدا بينهما ولا داعي أن نسيء الظن، ولكن كما قال يوناثان ٢٠/ ١٧: "١٧ثُمَّ عَادَ يُونَاثَانُ وَاسْتَحْلَفَ دَاوُدَ بِمَحَبَّتِهِ لَهُ

لأَنَّهُ أَحَبَّهُ مَحَبَّةَ نَفْسِهِ. ١٨وَقَالَ لَهُ يُونَاثَانُ: «غَدًا الشَّهْرُ، فَتُفْتَقَدُ لأَنَّ مَوْضِعَكَ يَكُونُ خَالِيًا. "
نعم سيفتقد يوناثان مكان داود فمكانه لا يعوضه أحد أبدًا، ولكن شاول أبا يوناثان قد اكتشف ما بين داود ويوناثان وأدرك حقيقة الأمر فكان قوله في شدة القسوة وإن أردت فقل في شدة الصراحة لقد قال لابنه يوناثان كلمات في نظر من كتبوا هذا الكتاب كلمات رائعة يترفع أي إنسان عفيف أن يذكرها أمام أحد، فانظر ما قاله شاول النبي لابنه يوناثان بعد أن اكتشف ما بينه وبين داود النبي من علاقة يندى لها الجبين.

قال في ٢٠/ ٣٠: " ٣٠فَحَمِيَ غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ، أَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدِ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى لِخِزْيِكَ وَخِزْيِ عَوْرَةِ أُمِّكَ؟ " وكفى بالعبارة السابقة شاهدًا على مستوى أسلوب الكتاب المقدس إن صح أن نسميه مقدسًا وعلى ما كان يفكر فيه شاول فعبر عنه بهذه العبارة.

المثال الثاني: ورد في سفر الملوك (٢) ٤/ ٣٢ – ٣٥: " ٣٢وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ وَمُضْطَجعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. ٣٣فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ٣٤ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. ٣٥ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ. "

كل هذا في الكتاب المقدس مع أنه ورد في اللاويين ٢٠/ ١٣: " ١٣وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.

رابعًا: رضاعة الكبير ورضاعة الجماهير

١- ورد في إشعياء ٤٩/ ٢٢: " ٢٢هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ. ٢٣وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لاَ يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ». "

٢- وفي إشعياء أيضًا ٦٠/ ١٦: " ١٦وَتَرْضَعِينَ لَبَنَ الأُمَمِ، وَتَرْضَعِينَ ثُدِيَّ مُلُوكٍ،

وَتَعْرِفِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ وَوَلِيُّكِ عَزِيزُ يَعْقُوبَ.

٣- وفي إشعياء أيضًا ٦٦/ ١٢: " ١٢ لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «هأَنَذَا أُدِيرُ عَلَيْهَا سَلاَمًا كَنَهْرٍ، وَمَجْدَ الأُمَمِ كَسَيْل جَارِفٍ، فَتَرْضَعُونَ، وَعَلَى الأَيْدِي تُحْمَلُونَ وَعَلَى الرُّكْبَتَيْنِ تُدَلَّلُونَ. "

٤- وفي نشيد ١/ ١٣: " ١٣ صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ. "

خامسًا: أثر الكتاب على واقع المجتمعات النصرانية

وعند النظر إلى المجتمع النصراني بشكل عام يسجل المحققون على المجتمع النصراني انتشار عدد من الموبقات، من أهمها: (الزنا والشذوذ - الانتحار والجرائم - التمييز العنصري البغيض - التفكك الأسري والعلاقات الاجتماعية السيئة - المخدرات والمسكرات والخمور - الانسلاخ من الدين وشيوع الإلحاد - الوحشية مع الأمم الأخرى. . .).

ويتبين من هذا كله من خلال بعض الأرقام التي أوردها المحققون نقلًا عن إحصائيات صادرة في الغرب إضافة إلى قراءتهم الصحيحة للمجتمع النصراني.

فقد نشرت مجلة بونتي الألمانية إحصاءً حول معتقدات الألمان، ونتيجة الإحصاء أن ٦٥٪ من الألمان يؤمنون بالله، و٥٠٪ يؤمنون بالحياة بعد الموت والجزاء فيه.

وفي جنوب أفريقيا حيث نسبة النصارى ٩٨٪ ينتشر زنا المحارم بين البيض بنسبة ٨٪، بينما يبلغ عدد مدمني الخمر في أمريكا كما يقول القس جيمي سويجارت أربعة وأربعين مليون إضافة إلى أحد عشر مليون سكير.

ويذكر جون ستون بحثًا ميدانيًا أجري عام ١٩٧٨م، وكان من نتيجته أن ٤٪ من المجتمع الأمريكي يمارسون السحاق أو الشذوذ طوال حياتهم، و١٠٪ يمارسونه لمدة ثلاث سنوات، وتشير أرقام اتحاد تنظيم الأسرة في بريطانيا إلى أن نصف الفتيات المراهقات تحت ١٦ سنة يمارسن الزنا. [1]

كيف يواجه العهد الجديد هذا الواقع؟

---

(١) انظر: هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات، ص (٧٧)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (٩٤).

وللمرء أن يتساءل: ماذا لدى الإنجيل من مقومات الإصلاح لهذا الفساد وتلك الأرقام الوبائية؟ وهل للإنجيل علاقة بهذه الأرقام؟

الإجابة تتلخص في قصور التشريعات الإنجيلية عن معالجة الأوضاع الفاسدة في المجتمعات النصرانية، بل ليس من التجني في شيء إذا قلنا بأن الكتاب المقدس هو أحد أسباب الفساد في تلك المجتمعات، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة. (١)

وقد تجلت مسئولية الكتاب عن هذا الفساد بأمور تتفاوت في أثرها، لكنها مجتمعة حوت أسباب البلاء وجذوره، وفي كل ذلك ما يدل على أنه ليس كلمة الله، لأن الله يرسل أنبياءه بكتبه ليهدي الناس ويخرجهم من الظلمات والشرور إلى الهدى والنور.

أولًا: العهد الجديد ومنافاته للفطرة الإنسانية

ثمة نصوص إنجيلية كثيرة تجلى فيها مصادمة الإنجيل الموجود بين أيدينا

للفطرة الإنسانية التي خلق الله عليها عباده، مما يترك أثرًا سلبيًا أخلاقيًا أو اجتماعيًا على قارئيها، منها:

١ - أنه ثمة نصوص تصطدم مع طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها، ومنه ما جاء في العهد الجديد من حث على التبتل وترك الزواج يقول بولس: "٨وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. " (كورنثوس (١) ٧/ ٨).

وفي نص آخر يقول: " ٧لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ" (رومية ٨/ ٧)، وعليه فالأكل والشرب والنوم والزواج. . . وغيرها من حاجات الإنسان الفطرية إنما يمارسها الإنسان وهو يعادي ربه، وهذه حرب على الفطرة الإنسانية.

وأما التلميذ يعقوب فيبالغ في تحذيره من محبة العالم، من غير أن يفرق بين الخير والشر، فيقول: " ٤أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ. " (يعقوب ٤/ ٤)، فهل محبة الخير أو الوالدين أو حتى شهوات

(١) لا يعني هذا أن الكتاب المقدس خلو من التعاليم السامية والتي هي في الحقيقة بقية أنوار الأنبياء وهديهم، لكن شابها ما أضافه الكتبة من الباطل، فانطفأت أنوار الحق، وبهتت، وغاصت درره في بحور التحريف.

الإنسان الفطرية من نكاح وتناسل وطعام وشراب، هل محبة هذه المحبوبات عداوة لله؟!

٢- وفي مرة أخرى ينسب متى إلى المسيح أنه قال: " وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ». " (متى ١٩/ ١٢).

٣- ويذكر متى دعوة المسيح إلى التخلي عن الدنيا بما فيها الحاجات الأساسية والضرورية للحياة الإنسانية السوية، فقد جاءه رجل فقال للمسيح بأنه حفظ الوصايا كلها: "٢١قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». ٢٢فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَال كَثِيرَةٍ.

فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! ٢٤وَأَقُولُ لَكُمْ أيضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْب إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إلى مَلَكُوتِ الله! ». ٢٥فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ: «إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ » ٢٦فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ الله كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ». " (متى ١٩/ ٢٠ - ٢٥).

فهذا النص وأمثاله محارب لدفعة الحياة التي بها يقوم العمران والحضارات.

ثانيًا: العجز التشريعي للعهد الجديد:

ورأى المحققون أيضًا أن تشريعات الأناجيل عاجزة عن إقامة الحياة المستقيمة المتكاملة بما تحمل هذه الأناجيل من مثالية مقيتة يستحيل أن تصلح الحياة معها.

١- ومن ذلك ما نسبه متى إلى المسيح: "، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أيضًا. " (متى ٥/ ٣٩)، وقد ورد النص في مقابل القصاص، ولذلك فهو إلغاء لشريعة القصاص، أو إضافة أخلاقية تفتقر إلى المعقولية، وكأني به يحث على الرضا بالضيم والظلم، وهو ولا ريب سبب عظيم في ظهور الفساد والبغي.

ومثله قول لوقا: " مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أيضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أيضًا. ٣٠وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. " (لوقا ٦/ ٢٩- ٣٠)، فهل يصنع هذا احد من العقلاء؟ ولو صنعه الناس فأي واقع من الظلم

والاضطهاد والشرور سيكون؟!

وهنا نتساءل: لو كان هذا النص من كلام المسيح، فلم خالفه عندما ضربه خدم رؤساء الكهنة فلم يعرض له الخد الآخر، بل قال له: "٢٣أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟ »" (يوحنا ١٨/ ٢٣).

كما ثمة تساؤل آخر يبحث عن إجابة: هل طبقت الكنيسة هذا الخلق في جولة من جولاتها أم أن واقع الحال يؤذن بأن هذا المقال من المحال، وإذا عجزت الكنيسة والمسيح عن ذلك، فغيرهما عنه أعجز.

٢- ويحرم العهد الجديد الطلاق إلا بعلة الزنا، فيقول: " فَالَّذِي جَمَعَهُ الله لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». . . ٩وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَب الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي». " (متى ١٩/ ٦ - ٩).

وهذا التشريع سبب من أسباب انتشار البغاء، إذ هو المخرج والسبيل الذي يلجأ إليه أولئك الذين حالت مشاكل الحياة واختلافات البشر دون إكمال مسيرتهم الزوجية، وحرم عليهم العهد الجديد أن يبنوا حياتهم على الطُهر من جديد، ولا يمكن أن تستقيم الحياة مع هذا التشريع العجيب، إذ ثمة أمور كثيرة تجعل الحياة بين الزوجين ضربًا من المحال، ولا مخرج من ضنكها إلا الطلاق، الذي بمنعه تقع الكثير من المضار، وهو ما دفع الكنيسة البروتستانتية لإباحة الطلاق، وهو ما تحاول الكنائس الأخرى إقراره بغية الخروج من هذا التشريع الغريب. وأما ما ذكره متى من علة تحريم الطلاق وهو قوله: " فَالَّذِي جَمَعَهُ الله لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ»" (متى ١٩/ ٦) فليس بصحيح، لأن الزواج ليس جمعًا إلهيًا بين اثنين، بل هو اتفاق بين اثنين على الزواج وفق شريعة الله وسنّته، فمثله في ذلك مثل سائر الشعائر التي أمر بها الله.

٣- وثمة عجز تشريعي آخر تواجهه أسفار العهد الجديد في مواجهة متطلبات الحياة الإنسانية، وهو منع الزواج بأكثر من واحدة كما يفهم من (كورنثوس (١) ٧/ ١ - ٥)، وهو ما تجمع عليه الكنائس النصرانية المختلفة، بينما تشير الإحصائيات إلى زيادة مطردة في

أعداد النساء، ففي انجلترا تزيد النساء على الرجال أربعة ملايين امرأة، وفي ألمانيا خمسة ملايين، وفي أمريكا ثمانية ملايين، فكيف يحل العهد الجديد هذه المشكلة التي ستتفاقم آثارها إذا تابع النصارى قول بولس في الحث على التبتل وترك الزواج " ٨وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. ٩وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا. "(كورنثوس (١) ٧/ ٨ – ٩)، إن نتيجة هذا التعليم هي الفضائح التي تهز جنبات الكنيسة وتقرعها كل يوم، لتثبت أن الفطرة لا تُغلب، وأن هذا التوجيه ليس من كلمة الله، لأن الله يعلم ما يصلح عباده ويناسب أحوالهم.

الفصل الثاني: الأغلاط في الكتاب المقدس.

تمهيد:

عندما نتحدث عن كتاب مقدس، فإنه من الطبيعي أن نسلم بعصمة هذا الكتاب، وأن ما فيه هو وحي الله ﷻ.

إذ وجود الخطأ فيه يعني أن الله يخطئ، أو أن الروح القدس يخطئ، أو أن الرسول المبلغ يخطئ.

وهذه الاحتمالات كلها مرفوضة باتفاق الأمم وبدلالة العقل، إذ الخطأ صفة بشرية لا يمكن أن تصدر من الله أو أمناء وحيه من الملائكة أو الرسل، ففي ذلك تلبيس على البشر وإضلال لهم.

ولكنا حين نتصفح أسفار الكتاب المقدس نجد أغلاطا توراتية كثيرة، كل منها يشهد ببراءة الله ووحيه من هذا الكتاب.

أولًا: أغلاط العهد القديم.

وقد تعددت الشواهد والنماذج على الأخطاء والأغلاط في العهد القديم، ونكتفي منها بنماذج وأمثلة توضح بجلاء أمر هذه الأغلاط، فمنها:

١ - أن سفر التكوين يحكي عن خيانة إخوة يوسف لأخيهم، فيذكر أن تجارًا مديانيين أخرجوه من البئر، وباعوه لقوم من الإسماعيليين بعشرين من الفضة، وأن هؤلاء الإسماعيليين قد حملوه معهم إلى مصر " ٢٨وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ. " (التكوين ٣٧/ ٢٨).

وفي مصر بيع يوسف لفوطيفار، والمفروض أن الذي باعه لفوطيفار هم الإسماعيليون الذين حملوه إلى مصر بعد أن اشتروه بعشرين من الفضة، لكن كاتب السفر أخطأ فقال: " ٣٦وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ، رَئِيسِ الشُّرَطِ. " (التكوين ٣٧/ ٣٦)، والمفروض أن الإسماعيليين هم الذين باعوه لفوطيفار، وهذا هو الصحيح، إذ يعود سفر التكوين لتقريره فيقول: " ١وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ، وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ خَصِيُّ

فِرْعَوْنَ رَئِيسُ الشُّرَطِ، رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ. " (التكوين ٣٩/ ١). فمن المسئول عن هذا الخطأ؟ هل هو الله؟ تعالى عن ذلك، أم هو الكاتب المجهول الذي كتب السفر؟ أم نساخ آلاف المخطوطات الذين لم يكونوا أمناء في نساختهم للأسفار؟ أم أولئك الذين اعتبروا هذه الكتابات التاريخية - بما فيها من خلل وزلل - كلمة الله؟

٢- ومن الأخطاء أيضًا ما زعمه سفر الأيام من إدراك الملك السامري بعشا للسنة السادسة والثلاثين من حكم الملك اليهوذي آسا، وبناؤه للرامة فيها، حيث يقول: "[١]فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِمُلْكِ آسَا صَعِدَ بَعْشَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَهُوذَا، وَبَنَى الرَّامَةَ " (الأيام (٢) ١٦/ ١)، وهو خطأ- ولا ريب - لأن الملك بعشا مات قبل هذا التاريخ بتسع سنين.

وإثبات ذلك ميسور، فقد ملك بعشا في السنة الثالثة من حكم آسا، وبقي في الملك مدة أربع وعشرين سنة، أي أنه مات في السنة السابعة والعشرين من حكم الملك آسا، فقد جاء ذلك في سفر الملوك "[٣٣]فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لآسَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ بَعْشَا بْنُ أَخِيَّا عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ فِي تِرْصَةَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. " (الملوك (١) ١٥/ ٣٣).

ومما يؤكد هذا أنه قد توالى على الملك بعده في هذه السنوات التسع ثلاثة ملوك: وهم: ابنه أيلة، ثم زمري، ثم عمري.

ويحدد لنا سفر الملوك - بدقة - سنوات تولي الملوك الثلاثة، فيقول: "[٦]وَاضْطَجَعَ بَعْشَا مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي تِرْصَةَ، وَمَلَكَ أَيْلَةُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٨]وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ لآسَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ أَيْلَةُ بْنُ بَعْشَا عَلَى إِسْرَائِيلَ. . [١٠]فَدَخَلَ زِمْرِي وَضَرَبَهُ، فَقَتَلَهُ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ لآسَا مَلِكِ يَهُوذَا، وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ. . . [٢٣]فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالثَّلاَثِينَ لآسَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ عُمْرِي عَلَى إِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً. " (الملوك (١) ١٦/ ٦-٢٣)، فكيف يبني بعشا الرامة في السنة السادسة والثلاثين من حكم آسا، وقد مات قبلها بتسع سنين!. [١]

٣- ومن الأغلاط ما جاء في سفر صموئيل عن عمر شاول عندما ملك على بني

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (ص ١٥٧ – ١٥٨).

إسرائيل حيث يقول: "كَانَ شَاوُلُ ابْنَ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ، وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ عَلَى إِسْرَائِيلَ. " (صموئيل (١) ١٣/ ١).

وهذا أمر لا يعقل أبدًا، كما أنه يتناقض مع كل ما تقدمه التوراة من معلومات عن شاول الملك الكبير، وكيفية اختياره، ورفضه لتزويج ابنته ميكال لداود إبان ملكه (شاول)، ثم تزوج داود بها عقب توليه الملك. فذلك كله وغيره مؤذن بوجود غلط في هذا النص.

ولتفادي ذكر هذا الغلط عمدت بعض الترجمات الحديثة إلى ترك مكان السن فارغًا، وهو ما صنعه محققو الرهبانية اليسوعية، ففيها: "وكان شاول ابن. . حين صار ملكًا، وملك. . سنة على إسرائيل".

وأشاروا في الهامش إلى مصدر هذا الغلط، فقالوا عما ورد في النص العبري: " وهذا أمر غير معقول، لربما لم يعرفوا عمر شاول عند ارتقائه العرش، أو لربما سقط العمر عن النص، أو لربما قصرت مدة ملكه إلى سنتين لعبرة لاهوتية ".

ولنا أن نتساءل هل كان كتبة الأسفار الملهمون يكتبون وفق معارفهم، أم كانوا يكتبون ما يمليه عليهم الروح القدس؟.

٤- ومثله وقع الغلط في أسفار العهد القديم في سياق الحديث عن صلة القرابة بين الملك يهوياكين والملك صدقيا الذي عينه نبوخذ نصر بعد أن عزل يهوياكين، إذ يذكر سفر الأيام أنه أخ لصدقيا، فيقول: " وَمَلَّكَ صِدْقِيَّا أَخَاهُ عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ. " (الأيام (٢) ٣٦/ ١٠).

والصحيح أن صدقيا عم يهوياكين حيث إن عمر يهوياكين أكبر أبناء أبيه عندما ملك كان حوالي ثمان سنين، وملك لمدة ثلاثة شهور وعشرة أيام فقط. (انظر الأيام (٢) ٣٦/ ٩)، بينما كان عمر صدقيا حينذاك إحدى وعشرين سنة. (انظر الأيام (٢) ٣٦/ ٩ - ١٠)، ولو كان أخًا ليهوياكين لكان ينبغي أن يكون أقل من ثمان سنوات لأن يهوياكين أكبر أبناء أبيه.

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ، وتأولوه قائلين: " دعي أخًا ليهوياكين أي نسيبه، أو من أصل واحد". واعترف به أيضًا وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط "حيث

قال: " "لما كان هذا غلطًا بدل في الترجمة اليونانية والتراجم الأخر بالعم" . [1]

٥- ويتحدث سفر التكوين عن سارة زوجة إبراهيم، فيذكر من جمالها وحسنها أنها وقعت في استحسان فرعون مصر وهي تبلغ الخامسة والستين من العمر، ومثل هذا غير معهود في النساء. ثم لما تجاوزت التسعين وقعت في استحسان ملك جرار أبيمالك، ومثل هذا من الشطط الذي يتنزه عنه وحي الله وكتبه.

ولبيان هذه المسألة نبين أن سارة تصغر عن زوجها بعشر سنين، فقد جاء في سفر التكوين أن إبراهيم قال: "١٧فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟ »." (التكوين ١٧/ ١٧)، فبينهما عشر سنين.

وقد غادر إبراهيم حاران، وعمر سارة خمس وستون سنة " وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. ٥فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. " (التكوين ١٢/ ٤-٥)، ثم بعد ذلك انطلق إلى مصر، حيث أعجب فرعون بسارة، وقد تجاوزت الخامسة والستين " ١١وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. ١٢فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. . . . فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. ١٥وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ " (التكوين ١٢/ ١١-١٥).

ثم يتحدث سفر التكوين عن بلوغ إبراهيم التاسعة والتسعين واختتانه في هذا السن، (التكوين ١٧/ ٢٤-٢٥). مما يعني بلوغ سارة التسعين، وبعده يتحدث السفر عن مضي إبراهيم وزوجه العجوز إلى الجنوب، ليُعجب ويؤخَذ بجمالها - هذه المرة - أبيمالك ملك جرار، "١وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ

---

(١) انظر إظهار الحق (٢/ ٢٦٢).

فِي جَرَارَ. ٢وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ. " (التكوين ٢٠/ ١-٣)، فهل يعقل أن امرأة قاربت التسعين يقع في هيامها الملوك؟ إنه أحد أغلاط الكتاب المقدس، وأحد شهاداته على أنه من صنع البشر. (١)

أخطاء بشهادة التاريخ.

وعود لم تتحقق:

١- ومن هذه الوعود قول التوراة أن الله قال لإبراهيم: "١٥وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. ١٦وَفِي الْجِيلِ الرَّابعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا " (أي فلسطين). (التكوين ١٥/ ١٥-١٦).

والواقع التاريخي يكذب هذا النص فقد كان الجيل الثالث والرابع من إبراهيم وهم الأسباط وأبناؤهم، كانوا هم الداخلين إلى مصر، لا الخارجين منها، وأما الخارجون منها فهم الجيل السادس من أبناء إبراهيم.

٢- ومن هذه الوعود الزائفة ما زعمه كاتب سفر الأيام، حين قال بأن الله وعد إسرائيل بقوله لناثان النبي: "١٠وَعَيَّنْتُ مَكَانًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ، فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ، وَلاَ يَضْطَرِبُ بَعْدُ، وَلاَ يَعُودُ بَنُو الإِثْمِ يُذَلِّلُونَهُ كَمَا فِي الأَوَّلِ " (الأيام (١) ١٧/ ١٠).

ولم يتحقق هذا الوعد الذي زعموا أن الله وعده، فقد ذل بنو إسرائيل على يد بختنصر، وأخرجوا من ديارهم، ولم يتحقق ما قيل لناثان: " ١٢مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. ١٣هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. " (صموئيل (٢) ٧/ ١٢- ١٣).

٣- وأيضًا تذكر التوراة أن الله وعد نبوخذ نصر الوثني وعدًا لم ينجز فهو من الأغلاط ولا ريب، فقد وعده أن يملكه على مدينة صور، ثم لم يتحقق له ذلك، فوعده بأرض مصر، ولم يتحقق ذلك أيضًا، فدل ذلك على أن هذا الوعد ليس من الله، لأن الله قادر على إنجاز وعده، فقد جاء في سفر حزقيال " ٧« لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَجْلِبُ عَلَى

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (١٦٢ – ١٦٣).

صُورَ نَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ مِنَ الشِّمَالِ، مَلِكَ الْمُلُوكِ، بِخَيْلٍ وَبِمَرْكَبَاتٍ وَبِفُرْسَانٍ وَجَمَاعَةٍ وَشَعْبٍ كَثِيرٍ، ٨فَيَقْتُلُ بَنَاتِكِ فِي الْحَقْلِ بِالسَّيْفِ، وَيَبْنِي عَلَيْكِ مَعَاقِلَ، وَيَبْنِي عَلَيْكِ بُرْجًا، وَيُقِيمُ عَلَيْكِ مِتْرَسَةً، وَيَرْفَعُ عَلَيْكِ تُرْسًا، ٩وَيَجْعَلُ مَجَانِقَ عَلَى أَسْوَارِكِ، وَيَهْدِمُ أَبْرَاجَكِ بِأَدَوَاتِ حَرْبِهِ. ١٠وَلِكَثْرَةِ خَيْلِهِ يُغَطِّيكِ غُبَارُهَا. مِنْ صَوْتِ الْفُرْسَانِ وَالْعَجَلاَتِ وَالْمَرْكَبَاتِ تَتَزَلْزَلُ أَسْوَارُكِ عِنْدَ دُخُولِهِ أَبْوَابَكِ، كَمَا تُدْخَلُ مَدِينَةٌ مُثْغُورَةٌ. ١١بِحَوَافِرِ خَيْلِهِ يَدُوسُ كُلَّ شَوَارِعِكِ. يَقْتُلُ شَعْبَكِ بِالسَّيْفِ فَتَسْقُطُ إِلَى الأَرْضِ أَنْصَابُ عِزِّكِ. ١٢وَيَنْهَبُونَ ثَرْوَتَكِ، وَيَغْنَمُونَ تِجَارَتَكِ، وَيَهُدُّونَ أَسْوَارَكِ، وَيَهْدِمُونَ بُيُوتَكِ الْبَهِيجَةَ، وَيَضَعُونَ حِجَارَتَكِ وَخَشَبَكِ وَتُرَابَكِ فِي وَسْطِ الْمِيَاهِ. ١٣وَأُبَطِّلُ قَوْلَ أَغَانِيكِ، وَصَوْتُ أَعْوَادِكِ لَنْ يُسْمَعَ بَعْدُ. ١٤وَأُصَيِّرُكِ كَضِحِّ الصَّخْرِ، فَتَكُونِينَ مَبْسَطًا لِلشِّبَاكِ. لاَ تُبْنَيْنَ بَعْدُ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. " (حزقيال ٢٦/ ٧-١٤). (١)

لكن هذا الوعد لم يتحقق كما أسلفنا، إذ استعصت صور على ملك بابل، ولم يدخلها، ولم يغنم منها غنيمة، فوعد بأرض مصر بدلًا عنها، يقول السفر: " أَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ كَانَ إِلَيَّ قَائِلًا: ١٨«يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ نَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ اسْتَخْدَمَ جَيْشَهُ خِدْمَةً شَدِيدَةً عَلَى صُورَ. كُلُّ رَأْسٍ قَرِعَ، وَكُلُّ كَتِفٍ تَجَرَّدَتْ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ وَلاَ لِجَيْشِهِ أُجْرَةٌ مِنْ صُورَ لأَجْلِ خِدْمَتِهِ الَّتِي خَدَمَ بِهَا عَلَيْهَا. ١٩لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَبْذُلُ أَرْضَ مِصْرَ لِنَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، فَيَأْخُذُ ثَرْوَتَهَا، وَيَغْنَمُ غَنِيمَتَهَا، وَيَنْهَبُ نَهْبَهَا فَتَكُونُ أُجْرَةً لِجَيْشِهِ. ٢٠قَدْ أَعْطَيْتُهُ أَرْضَ مِصْرَ لأَجْلِ شُغْلِهِ الَّذِي خَدَمَ بِهِ، لأَنَّهُمْ عَمِلُوا لأَجْلِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. " (حزقيال ٢٩/ ١٧-٢٠).

ولم يتحقق ذلك الوعد إذ لم يملك نبوخذ نصر أرض مصر أبدًا، وإن وصلت جيوشه إلى حدود مصر سنة ٦٠٥ ق. م، حين هزمت قواته المصريين في معركة قرقميش، لكن بقيت مصر تحت حكم الأسرة السادسة عشرة من حكام الفراعنة.

---

(١) المصدر السابق.

ولم تتحقق تلك الوعود التي استمرت الأسفار تعرضها في أربعة إصحاحات من سفر حزقيال

أخطاء بشهادة الواقع.

أخطاء في عدد بني إسرائيل:

١ - حديث إرميا عن نسل داود فيقول: " ٢٢كَمَا أَنَّ جُنْدَ السَّمَاوَاتِ لاَ يُعَدُّ، وَرَمْلَ الْبَحْرِ لاَ يُحْصَى، هكَذَا أُكَثِّرُ نَسْلَ دَاوُدَ عَبْدِي وَاللاَّوِيِّينَ خَادِمِيَّ». " (إرميا ٣٣/ ٢٢)، لكن الواقع يكذب ذلك، فاليهود أقل أهل الأرض عددًا، إذ لا يبلغ تعدادهم في الأرض كلها ستة عشر مليونًا، علاوة على أن غالبهم ليسوا من أصول إسرائيلية.

وهذا أيضًا يقودنا للحديث عن الأعداد المهولة التي قدمتها التوراة لبني إسرائيل إبان موسى وبعده، إذ تتحدث التوراة عن أصل إسرائيل وهو يعقوب وأبناؤه وقد بلغوا حين هجرتهم إلى مصر سبعين نفسًا. (انظر الخروج ١/ ٣).

ثم تذكر التوراة أنهم " أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرًا جدًا، وامتلأت الأرض منهم " (الخروج ١/ ٧).

وبعد مائتي سنة على دخولهم مصر؛ خرجوا منها، بعد سنين طويلة وقاسية؛ عانوا فيها صنوفًا من الاضطهاد واستباحة النساء وقتل الذكور، ولدى نزولهم في سيناء تذكر التوراة أن موسى أمر بتعداد بني إسرائيل " ٤٥فَكَانَ جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلُّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ ٤٦سِتَّ مِئَةِ أَلْفٍ وَثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَخَمْسَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ. ٤٧وَأَمَّا اللاَّوِيُّونَ حَسَبَ سِبْطِ آبَائِهِمْ فَلَمْ يُعَدُّوا بَيْنَهُمْ. . " (العدد ١/ ٤٥- ٤٧)، وإذا كان الرجال القادرون على الحرب في أحد عشر سبطًا قد بلغوا الستمائة ألف، فيفهم من هذا أن بني إسرائيل قد جاوزوا المليون.

ومما يشكك في الرقم التوراتي الكبير أن موسى عليه السلام، وهو أحد الخارجين من مصر يعتبر الجيل الثاني للداخلين إلى مصر، فهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي. (انظر الخروج ٦/ ١٦ - ٢٠)، وجده قاهث من الداخلين إلى مصر كما ذكرت التوراة. (انظر التكوين ٤٦/ ١١).

ويستحيل تنامي العدد بهذه الزيادة خلال جيلين أو ثلاثة، فمثلًا لم يكن الجيل الأول

من أبناء لاوي سوى ثلاثة أشخاص عندما دخلوا مصر، فكيف أضحوا بعد ثلاثة أجيال فقط اثنين وعشرين ألف ذكر. (انظر العدد ٣/ ٣٩).

هذه الزيادة لا يمكن للعقل أن يستوعبها بحال، فلو ولد لكل من أبناء لاوي الثلاثة عشرة ذكور، وولد لكل منهم عشرة ذكور، ثم ولد لكل من هؤلاء عشرة ذكور، وما مات من هؤلاء جميعًا أحد، لأضحى عدد أبناء لاوي وأحفاده لا يتجاوز الأربعة آلاف من الذكور، وهو رقم لا يتناسب بحال مع الرقم التوراتي (٢٢٠٠٠).

ومما يدل على أن هذه الأعداد غير صحيحة أن بني إسرائيل كان يتولى توليد نسائهم قابلتان فقط هما: شفرة وفوعة. (انظر الخروج ١/ ١٥). ومثل هذه الأرقام المهولة لا يقوم بها قابلتان فقط.

٢- ثم تتحدث التوراة عن حروب بني إسرائيل فتذكر أرقامًا للجيوش والقتلى لا تعقل، ففي سفر الأيام "١٧وَضَرَبَهُمْ أَبِيَّا وَقَوْمُهُ ضَرْبَةً عَظِيمَةً، فَسَقَطَ قَتْلَى مِنْ إِسْرَائِيلَ خَمْسُ مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ. " (الأيام (٢) ١٣/ ١٧)، هذا في طرف واحد من بني إسرائيل.

ثم إن كان السبعون شخصًا قد فاقوا - خلال قرنين فقط - المليون، فإنه وبعد ثلاثة آلاف سنة ينبغي أن يكون عددهم آلافًا من الملايين تنوء الأرض بحملهم، بل يزيد هذا العدد المفترض على تعداد سكان الأرض حاليًا مرات كثيرة.

لكن الأمر على خلاف ذلك، إذ لا يتجاوز اليهود الخمسة عشر مليونًا في الأرض كلها، علاوة على أن كثيرين منهم ليسوا من ذراري بني إسرائيل.

ثم إن التوراة تذكر تعدادًا آخر، وهو التعداد الذي جرى في أرض مؤاب بعد ثمانين سنة من تعداد موسى الأول، ولم تطرأ فيه زيادة عن التعداد الأول سوى ألفي شخص. (انظر العدد ٢٦/ ١ - ٦٥)، ولو كان بنو إسرائيل يزدادون بهذه النسبة الرهيبة، لكان ينبغي أن يتضاعف عددهم عشرات المرات.

وهذه المبالغات الكبيرة في أعداد بني إسرائيل يعترف بكذبها محققو نسخة الرهبانية

اليسوعية، حيث يقول هؤلاء تعليقًا على الأعداد الخيالية لبني إسرائيل المذكورة في (صموئيل (٢) ٢٤/ ٩) ما نصه: "من الواضح أن الأرقام مبالغ فيها كما في كثير من الأرقام المماثلة في العهد القديم".

وإذا تساءلنا عن الرقم الحقيقي للخارجين من مصر، فإن دائرة المعارف البريطانية تجزم بأن عددهم لم يتجاوز الخمسة عشر ألفًا.

ولا يفوتنا التنبيه على خطأ توراتي آخر يختص بمدة إقامة بني إسرائيل في مصر، حيث تذكر التوراة أن الله قال لإبراهيم: "«اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. " (التكوين ١٥/ ١٣)، ووهو صريح أن مدة ذلتهم في أرض مصر أربع مائة سنة، وهذا الرقم يؤكده سفر الخروج بقوله: "٤٠وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. " (الخروج ١٢/ ٤٠).

وهذا الذي ذكرته الأسفار التوراتي خطأ ولا ريب، إذ لم يمكثوا في مصر إلا مائتين وخمس عشرة سنة، وقد أقر علماء النصرانية ومحققوها بذلك، واجتهدوا في تصحيح الخطأ، فزعم القس منيس عبد النور في كتابه "شبهات وهمية" أن المدة المذكورة في التوراة تبدأ من ابتداء دعوة إبراهيم في العراق، وبمثله قال آدم كلارك في تفسيره، وكذا وافقهما جامعو تفسير هنري واسكات. [1]

وما ذهبوا إليه هو تصحيح للنص في ضوء المعطيات التاريخية، لكنه على أي حال تلاعب بالنص الذي يصرح بأن الأربعمائة سنة هي مقدار إقامتهم وذِلتهم واستِعبادهم في مصر، كما هو بيّنٌ في قوله: " فيذلونهم أربع مائة سنة"، وقوله: "٤٠وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. " (الخروج ١٢/ ٤٠)، فليس في النصين أي تضمين لفترة ما قبل دخولهم إلى مصر.

---

(١) وانظر: كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، (٣٤٦)، حيث ذكر أن دخول يعقوب وبنيه إلى مصركان في سنة ١٧٠٦ ق. م، وأن عبورهم بحر القُلزُم وغرق فرعون كان في سنة ١٤٩١ ق. م.

٤- إن العجب ليس فيما سبق من الأغلاط، بل في تلك الأخطاء التي لا يقع فيها كاتب مهما ضعفت مؤهلاته على الكتابة، ومنها أن سفر يشوع شرع يعدد المدن الفلسطينية التي سيأخذها كل سبط من أسباط بني إسرائيل، فيقول عن نصيب سبط يهوذا: "٢١وَكَانَتِ الْمُدُنُ الْقُصْوَى الَّتِي لِسِبْطِ بَنِي يَهُوذَا إِلَى تُخُمِ أَدُومَ جَنُوبًا: قَبْصِئِيلَ وَعِيدَرَ وَيَاجُورَ، ٢٢وَقِينَةَ وَدِيمُونَةَ وَعَدْعَدَةَ، ٢٣وَقَادَشَ وَحَاصُورَ وَيِثْنَانَ، ٢٤وَزِيفَ وَطَالَمَ وَبَعَلُوتَ، ٢٥وَحَاصُورَ وَحَدَتَّةَ وَقَرْيُوتَ وَحَصْرُونَ، هِيَ حَاصُورُ، ٢٦وَأَمَامَ وَشَمَاعَ وَمُولاَدَةَ، ٢٧وَحَصَرَ جَدَّةَ وَحَشْمُونَ وَبَيْتَ فَالَطَ، ٢٨وَحَصَرَ شُوعَالَ وَبِئْرَ سَبْعٍ وَبِزْيُوتِيَةَ، ٢٩وَبَعَلَةَ وَعَيِّيمَ وَعَاصَمَ، ٣٠وَأَلْتُولَدَ وَكِسِيلَ وَحُرْمَةَ، ٣١وَصِقْلَغَ وَمَدْمَنَّةَ وَسَنْسَنَّةَ، ٣٢وَلَبَاوُتَ وَشِلْحِيمَ وَعَيْنَ وَرِمُّونَ. كُلُّ الْمُدُنِ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ مَعَ ضِيَاعِهَا.

" (يشوع ١٥/ ٢١-٣٢)، فقد ذكر سبعًا وثلاثين مدينة، وزعم أن عددها تسع وعشرون، فالفرق ثمانية مدن.

وقد حاولت نسخة الرهبانية اليسوعية تقليصه، فدمجت بعض الأسماء (حاصور ويثنان = حاصور بتنان)، و (حاصور وحدتة = حاصور حدتة)، و (قريوت وحصرون = قريوت حصرون)، و (عين ورمّون = عين رمون)، وحذفت واحدًا (بزيتوتية)، ووضعت بدلًا منه "وتوابعها"، واعتذر محققوها عن تلاعبهم بالنص وما أحدثوه فيه فقالوا عنه: "لم يُحفظ النص حفظًا جيدًا، فكثير من أسماء المدن تصوَّب بالرجوع إلى النص اليوناني أو إلى نصوص كتابية أخرى".

لكن رغم هذا كله فإن هناك ثلاثة أسماء زائدة، سها عن عدِّها كاتب السفر!

وفي الفقرة التي تليها من سفر يشوع ذكر الكاتب أسماء خمس عشرة مدينة، ثم أخطأ، فقال: "أربع عشرة مدينة مع ضياعها " (يشوع ١٥/ ٣٦)، وقد اقترح الشراح - كما نقل محققو الرهبانية اليسوعية - حذف الاسم الأخير، ليقرأ النص: "والجديرة وتوابعها" بدلًا من قوله: "والجديرة وجديروتايم" (يشوع ١٥/ ٣٦). (١)

(١) هل العهد القديم كلمة الله (ص ١٦٦ - ١٧٠).

ثانيًا: أغلاط الأناجيل

تمهيد:

وكأي جهد بشري معرض للخطأ، فإن الأناجيل كذلك تمتلئ بالأغلاط التي يكذبها التاريخ والواقع، وثبوت الغلط في الكتاب يحيل قداسته، ويحيل دعوى إلهامه إلى سراب.

والأغلاط في الأناجيل كثيرة، وهي على أنواع فمنها ما تشهد عليه الأسفار المقدسة بالخطأ أو الكذب، ومنها ما يشهد عليه العقل، ومنها ما يشهد عليه التاريخ والواقع.

أولًا: الأغلاط بشهادة الكتب المقدسة

أولًا: أين هذه النصوص من تعظيم الله ورسله؟!

١- يتحدث سفر الرؤيا، رؤيا يوحنا اللاهوتي عن رؤيته للأقنوم الثاني لله، أي الله الابن، وهو جالس على عرشه على صورة خروف له سبعة قرون وسبع أعين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، يقول يوحنا: " ٦وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ. " (الرؤيا ٥/ ٦).

٢- ويمضي النص فيقول متحدثًا عن القائمين أمامه: "١٥مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. ١٦لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، ١٧لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ». الرؤيا (٧/ ١٥- ١٧).

٣- ويفصح النص عن ماهية الجالس على العرش على صورة الخروف، إنه الله الابن، الأقنوم الثاني للإله الواحد المتعدد الأقانيم، فيقول: "١٤هؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الْخَرُوفَ، وَالْخَرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ». " (الرؤيا ١٧/ ١٤).

٤- ويمضي نص يوحنا ليذكر أن الجموع التي كانت أمام العرش كانت تصرخ بخلاص الله والخروف " ٩بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ

الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ [١٠]وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ». [١١]وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا للهِ [١٢]قَائِلِينَ: «آمِينَ! الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لإِلهِنَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ! » " (الرؤيا ٧/ ٩-١٢)، فهل الرب محتاج للخلاص؟ وممن؟ ومن الذي سيخلصه؟ أولا توجد طريقة أفضل للرمز على الإله المعبود؟. [١]

٥- ويتحدث العهد الجديد عن جهالة لله وضعف، ولكن جهالته أكثر حكمة من الناس، وكذا ضعفه أقوى من الناس، وذلك في قول بولس: " [٢٥]لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! " (كورنثوس (١) ١/ ٢٥).

ولا يقبل بحال أن يقال عن الله العظيم أن له ضعفًا أو جهالة، بل هو القوي العزيز الحكيم العليم.

٦- ينسب العهد الجديد إلى المسيح سباب إخوانه من الأنبياء وتشبيههم باللصوص والسراق، واتهامهم بعدم الحرص على هداية أقوامهم، فيقول يوحنا: " [٧]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. [٨]جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. [٩]أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى. [١٠]اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ. [١١]أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ. [١٢]وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًا، الَّذِي لَيْسَتِ الْخِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الذِّئْبَ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ وَيَهْرُبُ، فَيَخْطَفُ الذِّئْبُ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا. " (يوحنا ١٠/ ٧-١٢).

ومن المحال أن يسطر الله في وحيه مثل هذه الإساءات لمقامه العظيم، وكذا لكتبه ورسله.

---

(١) هل العهد الجديد كلمة الله (١١٩)

ثانيًا: زكريا المقتول هو ابن يهوياداع وليس ابن برخيا

فمن الأغلاط التي تشهد لها الأسفار المقدسة عند النصارى بالخطأ ما جاء في متى في قوله أن المسيح قال: "٣٥لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. " (متى ٢٣/ ٣٥).

وقد غلط متى، إذ المقتول بين الهيكل والمذبح هو زكريا بن يهوياداع، فقد جاء في سفر الأيام " ٢٠وَلَبِسَ رُوحُ الله زَكَرِيَّا بْنَ يَهُويَادَاعَ الْكَاهِنَ فَوَقَفَ فَوْقَ الشَّعْبِ. . . ٢١فَفَتَنُوا عَلَيْهِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ بِأَمْرِ الْمَلِكِ فِي دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ. " (الأيام (٢) ٢٤/ ٢٠ - ٢١).

وأما زكريا بن برخيا فهو آخر عاش أيام سبي بابل، وهو من الأنبياء الصغار، وينسب إليه السفر الذي في التوراة، ويقول عنه قاموس الكتاب المقدس " ويذكر التقليد اليهودي أن زكريا هذا طالت أيامه، وعاش في بلاده، ودفن بجانب حجي الذي كان زميلًا له ". (١)

كما يجدر أن ننبه هنا إلى أن لوقا قد نقل قول المسيح الذي ذكره متى، ولكنه لم يخطئ كما أخطأ متى، فقد قال: " ٥١مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. " (لوقا ١١/ ٥١).

ثالثا: إحالة متى الخاطئة إلى سفر إرمياء

وفي نبوءة أوردها متى أخطأ وهو ينقل عن التوراة، يقول متى: " ٣حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ ٤قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! » ٥فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. ٦فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». ٧فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. ٨لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. ٩حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ١٠وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ». " (متى ٢٧/ ٣ - ١٠).

فإحالته إلى سفر إرميا غير صحيحة، إذ لا يوجد شيء من ذلك في إرميا، والصحيح

أنه في سفر زكريا: " ١٣فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ». " (زكريا ١١/ ١٢ - ١٣).

ويجدر أن ننبه هنا أن القصة في سفر زكريا لا علاقة لها بيهوذا ولا المسيح، إذ الثمن الذي يطلبه زكريا ثمن كريم، أجرة كهانته، في حين أن الثمن الذي قبضه يهوذا ثمن خيانة ولؤم.

والحق أن الإحالة ليست إلى سفر زكريا ولا إرميا، بل هي بالحقيقة إحالة إلى سفر غير قانوني ينسب إلى النبي إرمياء، فقد نقل المحقق آدم كلارك في تفسيره للكتاب المقدس عن العلامة جيروم قوله: "إن اليهود من فرقة الناصريين أظهروا له هذه النبوءة في نسخة عبرية لسفر إرميا مشكوك فيها (أبوكريفا)؛ لكن من الراجح أنهم أدخلوا هذه النبوءة في سفر إرميا فقط لموافقة الاقتباس الموجود في متى".

رابعًا: أصحاب داود لم يأكلوا خبز التقدمة في عهد الكاهن أخيمالك

وأخطأ كاتب إنجيل مرقس مرتين وهو يتحدث عما فعله داود عندما جاع فأكل من خبز التقدمة الذي لا يجوز أكله إلا للكهنة فقال: " ٢٥فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ ٢٦كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ، وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضًا». " (مرقس ٢/ ٢٥ - ٢٦).

وقوله: " الذين كانوا معه " خطأ ولا محالة، لأن داود كان حين ذهب إلى رئيس الكهنة كان وحيدًا فارًا من وجه شاول، كما في سفر صموئيل وفيه "١فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى نُوبٍ إِلَى أَخِيمَالِكَ الْكَاهِنِ، فَاضْطَرَبَ أَخِيمَالِكُ عِنْدَ لِقَاءِ دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا أَنْتَ وَحْدَكَ وَلَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ؟ ». . . . " (صموئيل (١) ٢١/ ١ - ٤).

والخطأ الثاني الذي وقع فيه مرقس حينما سمى رئيس الكهنة أبياثار، وفي صموئيل أن رئيس الكهنة يومذاك هو أبوه، أخيمالك الذي قتله شاول، لأنه أعطى الخبز المقدس لداود. (انظر صموئيل (١) ٢٢/ ٢٠ - ٢٣).

وينبه محررو الكتاب المقدس إلى أن أبياثار هرب بعدها إلى داود مع صادوق رئيس الكهنة

بعد مقتل أبيه أخيمالك. وقد اعترف بهذا الغلط وارد الكاثوليكي في كتابه " الأغلاط "، وقال نقلًا عن مستر جوويل أنه كتب: غلط مرقس، فكتب أبياثار موضع أخيمالك.

خامسًا: الثناء على يهوذا الخائن

وفي أثناء حديث الإنجيليين عن التلاميذ فإنهم يذكرون الإثني عشر بخير، وينسون أن فيهم يهوذا الخائن، ولربما ذكروا حوادث حصلت بعد موته، فذكروه فيها.

ومن ذلك قول متى أن المسيح قال لتلاميذه الإثني عشر: ": «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. " (متى ١٩/ ٢٨).

ولم يستثنِ متى يهوذا الخائن الذي يقول عنه ناقلًا عن المسيح: " وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ! ». " (متى ٢٦/ ٢٤)، وقد تنبه لوقا لخطأ متى، فلم يقع فيه، ولم يذكر عدد الكراسي. (انظر: لوقا ٢٢/ ٢٨ - ٢٩).

وهذا الخطأ وقع به بولس وهو يتحدث عن قيامة المسيح والتي يفترض أنها بعد وفاة يهوذا بأيام وقبل انتخاب البديل عنه ميتاس (انظر أعمال ١/ ٢٦)، فقال بولس: " وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، [٥]وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. [٦]وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ " (كورنثوس (١) ١٥/ ٤ - ٦).

وقد تنبه للخطأ كاتب مرقس وهو يروي ذات القصة، فقال: " [١٤]أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ. " (مرقس ١٦/ ١٤).

سادسًا: مدة مكث المسيح في بطن الأرض ليست ثلاثة أيام وثلاث ليال

ومن الأغلاط ما ذكره متى عن مكث ابن الإنسان (المسيح) في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، حيث يقول: "[٣٨]حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». [٣٩]فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. [٤٠]لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا

يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال. " (متى ١٢/ ٣٨ - ٤٠).

ومن المعلوم في الأناجيل أن المسيح صلب يوم الجمعة، ودفن ليلة السبت، وخرج من قبره قبل فجر الأحد، أي لم يمكث في القبر سوى ليلة السبت ويوم السبت وليلة الأحد. وهو ما يعدل ليلتين ويوم، وليس ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما أخبر متى.

وقد اعترف(بالسي وشلز) أن متى قد غلط، وزعم أنه أخطأ في فهم كلام المسيح، فهذا التفسير بالبقاء ثلاثة أيام وثلاث ليال في الأرض كان من جانبه، وأما مقصود المسيح فهو: " أن أهل نينوي كما آمنوا بسماع الوعظ وما طلبوا معجزة، كذلك فليرضَ الناس مني بسماع الوعظ".

وأما يوحنا فيحاول في تفسيره تحوير النص فيقول: إن الثلاثة أيام والثلاثة ليال تحسب من يوم الخميس حين أكل المسيح العشاء مع التلاميذ وتحول الطعام إلى جسده، فبطن الأرض مجاز عن بطونهم. (1) وهو قول ممجوج واضح التكلف.

وأما تفسير (بالسي وشلز) فهو اعتذار لا يقبل، لأنه قد جاء مثل هذا القول عند غير متى، ففي يوحنا قال لهم: ": «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». "، فلم يفهم اليهود كلامه، وظنوه يتحدث عن هيكل سليمان " ٢٠فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟ » ٢١وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. ٢٢فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ. " (يوحنا ٢/ ١٩ - ٢٤)، ولكنه قد قام في اليوم الثاني، وبعد مضي ليلتين فقط.

وقال لوقا: " يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». " (لوقا ٢٤/ ٧)، وفي مرقس "٣٣فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». " (مرقس ١٠/ ٣٤)، وقيامته هي القيامة من الموت، وقد قام في اليوم الثاني من الموت المزعوم.

ثانيًا: أغلاط بشهادة الواقع

١ـ العودة القريبة للمسيح والنهاية السريعة للدنيا

وثمة نصوص أخرى كثيرة غلط فيها الإنجيليون بشهادة الواقع والتاريخ، ومن مثل

---

(١) إظهار الحق (٢/ ٣١٨).

ذلك ما جاء في إنجيل متى عن القيامة القريبة التي تقترن بعودة المسيح القريبة، والتي حددها المسيح كما يزعمون بأنها قبيل انقضاء جيله، وعليه طلب إلى تلاميذه أن لا يذهبوا للدعوة في مدن السامريين فإن القيامة دون ذلك.

وقد قارب مجموع النصوص - التي تحدثت عن عودة المسيح والقيامة- العشرة، أهمها: " ٢٧فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. ٢٨اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ». " (متى ١٦/ ٢٧ - ٢٨).

ويقول أيضًا: " ٢٣وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ. " (متى ١٠/ ٢٣).

وفي سفر الرؤيا يقول: "١١هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. " (الرؤيا ٣/ ١١).

ويقول يعقوب: " أَيُّهَا الإِخْوَةُ. . ٨فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ، لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ. " (يعقوب ٥/ ٨).

وتحدث متى عما يرافق عودة المسيح من أحداث " ٣وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟ »".

فأجابهم المسيح بذكر علامات كثيرة، ومنها "«وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. ٣٠وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. . ٣٤اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ[1]. ٣٥اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. "(متى ٢٤/ ٢٩-٣٥).

(١) يحاول الشراح عبثًا تجاوز هذه المعضلة، فقال إيرونيموس بأن لفظة الجيل تعني النوع البشري، وقال أوريجانوس ويوحنا الذهبي بأنها تعني الكنيسة المسيحية، ورأى آخرون أنها تشير إلى النظام اليهودي واعترف آخرون بأنها مدة تتفاوت بين (٧٠-١٠٠) سنة. انظر شرح بشارة لوقا، القس إبراهيم سعيد، (٥٢٥).

وفي لوقا: " وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الأُمَمِ، حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ. «وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ، [٢٦]وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ، لأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. [٢٧]وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. " (لوقا ٢١/ ٢٤-٢٧).

وقد سيطرت فكرة العودة السريعة والقيامة القريبة على كُتاب الرسائل، ومنهم بولس الذي يقول: " نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ. " (كورنثوس (١) ١٠/ ١١).

وفي رسالته إلى تسالونيكي يتحدث عن الكيفية التي سيلاقي بها المسيح بعد قيام المؤمنين بالمسيح من الأموات، يقول: "إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. [١٦]لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ الله، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. [١٧]ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ. " (تسالونيكي (١) ٤/ ١٥-١٧).

ويؤكد إيمانه بهذه الفكرة في قوله: " [٥١]هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، [٥٢]فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. " (كورنثوس (١) ١٥/ ٥١ - ٥٢).

وعلى هذا النص الأخير تعلق الرهبانية اليسوعية، فتقول: " يتكلم بولس بكلام إنسان يتوقع أن يكون حيًا عند مجيء المسيح".

ويقول معجم اللاهوت الكتابي: " يبدو أن المؤمنين، في فجر الكنيسة، وقد لبسوا نور الفصح والعنصرة، قد ظنوا أن المسيح سيأتي من فوره. . لا يقول بولس أبدًا بأن المجيء الثاني المجيد سيأتي بعد حقبة طويلة من الزمن، بل بالعكس يداعبه الأمل بأن يكون إذ ذاك حيًا يرزق (تسالونيكي (١) ٤/ ١٧)".

ويقول يوحنا: "[١٨]أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ" (يوحنا (١) ٢/ ١٨).

تقول الرهبانية اليسوعية تعليقًا على هذا النص: "تلميح إلى الساعة الأخيرة من التاريخ، كان المسيحيون الأوائل ومنهم يوحنا، على يقين من أن تلك الساعة قريبة، ولكنهم كانوا يعتقدون بأن مجيء الرب في المجد سيسبقه قيام كائن مفسد، هو المسيح الدجال".

٢ـ معجزات المؤمنين:

ومن النصوص أيضًا التي تثبت شهادة الواقع خطأ الإنجيليين فيها، لأن المسيح لا يكذب، ولا يمكن أن يقول ما نسب إليه فيها، إذ هو من الخطأ البيّن.

من ذلك ما جاء في خاتمة مرقس، ففيها أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب وقال لهم: "[١٧]وَهذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. [١٨]يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ». " (مرقس ١٦/ ١٧ - ١٨).

وقريبًا من هذا المعنى يقول مرقس بأن المسيح قال لتلاميذه: ": «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللهِ. [٢٣]لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. " (مرقس ١١/ ٢٢ - ٢٣).

وفي إنجيل متى: "وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ». " (متى ٢١/ ٢٢) وحين تقدم رجل إلى المسيح يرجوه أن يشفي ابنه من الصرع، و يقول: ". لكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا». [٢٣]فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ». [٢٤]فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي». " (مرقس ٩/ ٢٣)، لقد أفهمه المسيح أن صنع المعجزات - كل المعجزات - يقدر عليه المؤمنون، وعليه طلب منه الإيمان ليشفي ابنه، فتعهد الرجل بالإيمان، وشفى له المسيح ابنه، لأنه لم يصر بعدُ في عداد المؤمنين.

وينقل يوحنا على لسان المسيح أنه قال: "[١٢]اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا. . . " (يوحنا ١٤/ ١٢)، فكل مؤمن يستطيع صنع المعجزات الباهرة التي صنعها المسيح من إحياء للموتى وشفاء للمرضى، والتجربة خير برهان!

أما أولئك الذي يعجزون عن فعل المعجزات ممن يؤمن بقدسية هذا النص، فهؤلاء لا إيمان لهم، إذ يحكى متى عن تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد ليسألوه عن سبب إخفاقهم في شفاء المصروع فأجابهم: " ٢٠فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. " (متى ١٧/ ٢٠).

وعليه فكل مؤمن نصراني يستطيع إحياء الموتى وشفاء المرضى وإخراج الشياطين. . . ، وإن لم يصنع ذلك فليس بمؤمن.

ويبالغ يوحنا في عرضه للمعجزات التي يتوارثها النصارى عن المسيح، إذ يقول في نص آخر بأن المسيح قال لليهود: " ٥١اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ». " وفهم اليهود منه موتًا حقيقيًا فقالوا: " ٥٣أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟ » " فلم يتهمهم بسوء الفهم بل قال لهم: " ٥٤أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، " (يوحنا ٨/ ٥١ - ٥٤).

إذًا هذه النصوص تتحدث عن معجزات يصنعها المؤمنون، فهل يتحقق شيء منها في حياة أولئك الذين يدعون الإيمان بالمسيح؟.

٣ـ التعويض السريع في الدنيا

ومن الأمور التي ذكرتها الأناجيل أيضًا، ويكذبها واقع الناس ما جاء في مرقس أن بطرس قال للمسيح: ": «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ». ٢٩فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، ٣٠إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولًا، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. " (مرقس ١٠/ ٢٨ - ٣٠) ومثله في متى: " ٢٢وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ». " (متى ١٩/ ٢٩)، وفي لوقا: " وَيَأْخُذُ فِي هذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً " (لوقا ١٨/ ٢٩ - ٣٠).

وحار المحققون في فهم كيفية الحصول على هذا التعويض، كيف يمكن للإنسان أن يصبح

عنده أمهات وآباء كثر. . . وإذا فُهم أن الآباء والإخوة والأمهات أمور مجازية، فكيف يفهم تعويض الحقول والزوجات؟ ومتى رأينا ذلك لأحد أولئك الذين يهجرون أوطانهم للتبشير، فيتركون أمهاتهم وأخواتهم وأموالهم، متى أعطوا جزاء في الدنيا مائة ضعف.

والنص واضح الدلالة أنه يتحدث عن جزاء دنيوي " مع اضطهادات "، وستحصل " في هذا الزمان " ثم وعد بالحياة الأبدية في الآخرة.

٤ـ الأرض كروية أم مسطحة؟

ويتحدث سفر الرؤيا عن الأرض وقد رآها يوحنا مسطحة لها أربع زوايا، ويقف ملَك عند كل زاوية من الزوايا الأربع، يقول يوحنا: "[١]وَبَعْدَ هذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلاَئِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ، مُمْسِكِينَ أَرْبَعَ رِيَاحِ الأَرْضِ لِكَيْ لاَ تَهُبَّ رِيحٌ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ عَلَى الْبَحْرِ، وَلاَ عَلَى شَجَرَةٍ مَا. " (الرؤيا ٧/ ١)، وقد أعاد يوحنا ذكر زوايا الأرض الأربعة ثانية في قوله: "[٧]ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، [٨]وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ " (الرؤيا ٢٠/ ٧).

وأكد متى هذا التصور للأرض حين تحدث عن تجربة إبليس للمسيح، فعندما أراد أن يريه جميع ممالك الأرض أصعده إلى جبل عال، فرأى جميع العوالم والممالك، " [٨]ثُمَّ أَخَذَهُ أيضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا " (متى ٤/ ٨).

والذي مكنه من رؤيتها علو الجبل الذي صعد عليه، وهذا قد يستقيم فيما لو كانت الأرض مسطحة، لكنه يستحيل مع كرويتها، كما لا يخفى.

ثالثا: أغلاط بشهادة العقل:

كما ثمة أغلاط في الأناجيل يشهد العقل بأنها لا تصدر عن الوحي، لأنه أي العقل يشهد بخطئها وجهل قائلها بقوانين الله في الطبيعة.

١ـ نجم في سماء أورشليم

ذكر متى قصة المجوس الذين جاءوا للمسيح عند ولادته وسجدوا له فقال: "[١]وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا

إِلَى أُورُشَلِيمَ [٢] قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». . . . ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. [١٠] فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. . . . " (متى ٢/ ١-١٠).

فعند عرض القصة على العقل فإنه يرفضها لأمور:

أن متّى يتحدث عن نجم يمشي، وحركته - على رغم بعده الهائل - ملحوظة على الأرض تشير إلى بعض أزقة أورشليم دون بعض، ثم إلى بيت من بيوتها، حيث يوجد المسيح، فيتوقف وهو في السماء، فكيف مشى، وكيف دلهم على البيت، وكيف وقف؟! ! وكيف رأوا ذلك كله؟ أسئلة ليس لها إجابة.

كيف عرف المجوس خبر المسيح ونجمه وهم لا يعرفون الله؟ وكيف يسجدون لنبي وهم لا يؤمنون بدينه؟ فهذا من الكذب بدليل أن أحدًا من قدماء المجوس ومؤرخيهم لم ينقل مثل هذا، وكذلك لم ينقله الإنجيليون الآخرون، ومنهم لوقا الذي تتبع كل شيء بتدقيق.

ثم لماذا تحمل المجوس عناء هذه الرحلة الطويلة؟ هل لمجرد أن يسجدوا بين يديه ويقدموا له الهدايا ثم يعودون! ! ؟

كما يتحدث النص عن اهتمام الوالي هيرودس بأمر المولود وأنه أضمر قتله، وطلب من المجوس أن يخبروه إذا وجدوا الطفل ليسجد له، ثم أُوحي للمجوس في المنام أن لا يرجعوا لهيرودس، ففعلوا، فلو كان اهتمام هيرودس حقًا لقام معهم إلى بيت لحم وهي على مقربة من أورشليم، أو لأرسل معهم خاصته، إذ الموضوع بالنسبة إليه جِدٌّ خطير.

وأما ما ذكره متى عن قتل هيرودس للأطفال بعد تواري المجوس قبل أن يقف على الطفل فهذا كذب بدليل أن أحدًا من المؤرخين لم يذكره على أهمية هذا الحدث، كما ننبه إلى أن هيرودس الكبير قد مات قبل الميلاد بأربع سنوات كما تذكر ذلك كافة المصادر التاريخية.

٢ـ الركوب على الجحش والأتان معًا

ومما يكذبه العقل ولا يتصوره ما ذكره متى عند حديثه عن دخول المسيح أورشليم فقال: "[٧] وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. " (متى ٢١/ ٧)

فجلوس المسيح على الجحش والأتان معًا لا يتصوره العقل.

وهو غلط وكذب أراد متى من خلاله أن يحقق نبوءة توراتية "٤فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: ٥«قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ». " (متى ٢١/ ٤-٥).

٣ـ عجائب متى عند موت المصلوب:

ومما يرفضه العقل أيضًا ما حكاه متى من عجائب حصلت عند موت المسيح يقول: "٥١وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ(١) قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ٥٢وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ ٥٣وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ. " (متى ٢٧/ ٥١ - ٥٤).

والقصة من الغلط بل والكذب، إذ لم يعهد مثل هذه العودة للقديسين والراقدين، ولم يعهد أن عاد هؤلاء أو غيرهم من الموت.

قال (نورتن) الملقب بحامي الإنجيل: " هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة عند اليهود بعد ما صارت أورشليم خرابًا، فلعل أحدًا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكاتب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه".

ونقول ما قاله العلامة أبو زهرة: " لعل كثيرًا مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن"، فكيف يتسنى لنا بيان هذا الزائف وإخراجه من الكتاب؟. (٢)

٤ـ ما هو السبب الصحيح للقبض على المسيح

لقد حدث الاختلاف بين كتاب الأناجيل في السبب المباشر الذي من أجله تم القبض على المسيح (كما يزعمون!)

---

(١) الهيكل: كامة سومرية معناها (البيت الكبير) وهو مكان عبادة اله، ويقوم مكان الكنيسة اليوم، ولكن اليهود لم يطلقوا اسم الهيكل إلا على مكان واحد كبير في القدس. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١٢.

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ٣١٣ - ٣١٦)، محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٠٧).

فمفاد الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) أن السبب المباشر الذي حرك رؤساء الكهنة والكتبة ضده هو حادث الهيكل.

ففي متى ٢١/ ١٢- ١٤: " [١٢]وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ [١٣]وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ! » [١٤]وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ. "

وقال مرقس بعد حادثة طرد الباعة والصيارفة مباشرة ١١/ ١٨: " [١٨]وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. "

وفي لوقا ١٩/ ٤٥ – ٤٨: " [٤٥]وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ [٤٦]قَائِلًا لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ! ».

[٤٧]وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، [٤٨]وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ.

وفي ٢٠/ ١٩ – ٢٠: " [١٩]فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلْقُوا الأَيَادِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَلكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ. "

أما مفاد نص يوحنا فإن السبب المباشر في القبض على من يزعمون أنه المسيح عليه السلام إنما هو إقامة رجل يدعى لعازر من قبره فكان ذلك سببا لتحرك اليهود ضده في تنفيذ مؤامرة القبض عليه وتسليمه لرجال السلطة، يقول يوحنا ١١/ ٤١- ٤٨: " [٤١]فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، [٤٢]وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». [٤٣]وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! » [٤٤]فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ».

[٤٥]فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. [٤٦]وَأَمَّا

قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. ٤٧فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. ٤٨إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا».

" ٥٣فَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. " يوحنا ١١/ ٥٣.

٥٧ وَكَانَ أيضًا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ، لِكَيْ يُمْسِكُوهُ. " يوحنا ١١/ ٥٧.

التعليق: فهذا تناقض لا يمكن رفعه، وسببه الخلاف في سبب القبض عليه فإنه عند يوحنا قصة لإقامة لعازر، وعند الثلاثة حادث الهيكل!!. (١)

رابعًا: أغلاط بشهادة التاريخ.

ومن الأحداث التاريخية غير الصحيحة أيضًا ما ورد في الإنجيل المنسوب إلى لوقا ٢/ ١- ٦ ما يلي: " ١وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. ٢وَهذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ. ٣فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. ٤فَصَعِدَ يُوسُفُ أيضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، ٥لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. ٦وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. "

فقد تضمن هذا النص أن (كِيرِينِيُوس) والي سورية قد كانت ولايته عليها بعد الميلاد بست سنوات فأكثر وهذا ما ذكره قاموس الكتاب المقدس: " كيريو نيوس: كان واليا على سوريا عام ٦-١١م ". (٢)

بينما يفيدنا نص لوقا أن الاكتتاب الذي جرى في عهد (كيرنيوس) والي سورية كان في العام الأول لميلاد المسيح عليه السلام(٣) " وهذا غلط لأن المراد بكل المسكونة إما أن يكون جميع ممالك سلطنة

(١) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، تأليف: سارة العبادي. (٢٧٦)

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٨٠٢).

(٣) التحريف والتناقض. (٢٨٣ – ٢٨٤).

روما وهو الظاهر، أو جميع مملكة يهوذا، ولم يصرح أحد من القدماء المؤرخين اليونانيين الذين كانوا معاصرين للوقا أو متقدمين عليه قليلًا في تاريخه[١]، بهذا الاكتتاب المقدم على ولادة المسيح، وإن ذكر أحد من الذين كانوا بعد لوقا بمدة مديدة فلا سند لقوله، لأنه ناقل عنه، ومع قطع النظر عن هذا كان كيرينيوس والي سورية بعد ولادة المسيح بخمس عشرة سنة، فكيف يتصوّر في وقته الاكتتاب الذي كان قبل ولادة المسيح بخمس عشرة سنة؟ وكذا كيف يتصوّر ولادة المسيح في عهده؟ أبقي حمل مريم عليها السلام إلى خمس عشرة سنة؟ ! ! ، لأن لوقا أقر في السفر الأول[٢] أن حمل زوجة زكريا عليه السلام كان في عهد هيرود وحملت مريم بعد حملها بستة أشهر، ولما عجز البعض عن التوفيق حكم بأن الآية الثانية إلحاقية ما كتبها لوقا "[٣].

رأي النصارى في أغلاط كتاب الأناجيل:

وبعد، لعل المرء يتساءل ما هو رأي النصارى بأغلاط الأناجيل؟ وهل يقرونها؟

في الإجابة نقول: لا ريب أن أتباع الكنيسة الذين أغلقوا عقولهم في وجه الحقيقة يرفضون أن يحوي الإنجيل غلطًا، لأن روح القدس لا يغلط، ومن هؤلاء الدكتور القس شروش حيث يقول: " إنا نعلم أن الإنجيل هو وحي الله، لأن التنبؤ بالأحداث قد تم قبل وقوع الأحداث بقرون، إن للإنجيل تأثيره على المجتمعات البشرية طالما تم الإيمان به والعمل بمقتضاه. أكثر من ذلك فإن دقة الإنجيل قد وجدت من يتحداها، ولكنها لم تجد من ينجح في التحدي ".

ويقول أيضًا: " إن صحة محتويات الإنجيل قد أثبتتها الوثائق التاريخية والحفريات الأثرية والوثائق القديمة، وتوجد الآن أكثر من خمس وعشرين ألف وثيقة من الوثائق المقدسة بالمتحف البريطاني من أجلكم، لكي تتأكدوا من صحة مشيئة الله"[٤].

ولما كانت الحقيقة - بوجود الغلط في الأناجيل والرسائل - ساطعة كالشمس عمل

---

(١) أي تاريخ أحد المعاصرين.

(٢) فقرة ٧، ٢٣- ٣١.

(٣) إظهار الحق (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦) بتصرف يسير.

(٤) انظر: مناظرة العصر، أحمد ديدات، (٣٥).

بعض علماء النصرانية على التخلص من هذه الأغلاط بالإقرار بأن الإلهام لم يكن مصاحبًا للإنجيليين حال كل كتابة كتبوها، يقول هورن: " إذا قيل إن الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لا يراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله. . . ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه، وفي كل حكم كانوا يحكمون به ".

وتقول دائرة المعارف البريطانية: " وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة هل هو إلهامي أم لا؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها، فقال جيروم وكثيرون: ليس كل قول إلهامي. . . الذين قالوا: إن كل قول إلهامي لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة ". (١)

وهذا القول يطالب قائلوه بتعيين المواضع غير الإلهامية وإقامة الدليل على خصوصها بعدم الإلهام أو إقامة الدليل على خصوص المواضع التي يقولون بإلهاميتها، وإذا لم يتم ذلك وجب التوقف في شأن الكتب المقدسة، إذ فيها ما هو عمل بشري لا يجوز اعتباره مصدرًا دينيًا.

---

(١) إظهار الحق (٢/ ٣٥٨).

الفصل الثالث: التحريف في الكتاب المقدس.

تمهيد:

تحدث القرآن الكريم عن تحريف التوراة في آيات كريمة منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١)، ويقول: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦)، ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

وعن تحريفهم بالنقص يقول: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗا﴾ (الأنعام: ٩١)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، ويقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (المائدة: ١٥).

وعن تحريفهم بالزيادة والكذب على الله يقول: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ (البقرة: ٧٩)، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

فالتحريف إذًا يكون بالنقص والزيادة، وكل ذلك وقع في التوراة كما سنرى.

وهو قسمان: لفظي. معنوي.

أما المعنوي فلا نزاع بيننا وبين النصارى في وقوعه لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات، التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء البروتستانت يعترفون بصدوره عن معتقدي

البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رميًا شديدًا فلا احتياج إلى إثباته.

بقي القسم الأول وله ثلاثة أنواع:

أولًا: تحريف بتبديل الألفاظ.

ثانيًا: تحريف بالزيادة.

ثالثًا: تحريف بالنقصان. (١)

النوع الأول: التحريف بالتبديل.

أولًا: مقدمة عن نسخ العهد القديم.

لكي يتضح لنا موضوع التحريف بالتبديل في العهد القديم ينبغي أن نعلم أن النسخ المشهورة للعهد القديم عند أهل الكتاب ثلاث نسخ:

(الأولى) العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستنت.

(والثانية) النسخة اليونانية، وهي التي كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية.

(والثالثة) النسخة السامرية، وهي المعتبرة عند السامريين، وهذه النسخة هي النسخة العبرانية لكنها تشتمل على سبعة كتب من العهد العتيق فقط، أعني الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وكتاب يوشع وكتاب القضاة؛ لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق، وتزيد على النسخة العبرانية في الألفاظ والفقرات الكثيرة التي لا توجد فيها الآن.(٢)

ثانيًا: نماذج التحريف بالتبديل.

١- ورد في سفر التثنية (٢٧/ ٤) في النسخة العبرانية هكذا: "فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عِيبال وشيدها بالجص تشييدًا"(٣)

وفي طبعة أخرى هكذا " حين تعبرون الأردن، تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم

---

(١) إظهار الحق (٢/ ٤٢٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠) بتصرف.

(٣) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م.

بها اليوم في جبل عيبال، وتكلسها بالكلس. "

وهذه الجملة "فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال" في النسخة السامرية هكذا: (تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جريزيم وتشيده بشيد)[١].

وعيبال[٢] وجِرزيم[٣] جبلان متقابلان كما يفهم من الفقرتين ١٢ و١٣ من هذا الإصحاح حيث يقول: " هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن. . . " وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة. . . "، ومن الفقرة ٢٩ من الإصحاح ١١ من هذا السفر حيث يقول ". . . فاجعل البركة على جبل جرزيم، واللعنة على جبل عيبال "، فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السلام أمر ببناء الهيكل- أعني المسجد -على جبل عيبال، ومن النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جِرزيم، وبين اليهود والسامريين سلفًا وخلفًا نزاع مشهور تدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرّفت التوراة في هذا المقام.

٢- ورد في سفر التكوين الإصحاح ٢٩ - (طبعة سنة ١٨٤٤م) - هكذا: "٢- ونظر بئرًا في الحقل، وثلاثة قطعان غنم رابضةً عندها لأن من تلك البئر كانت تشرب الغنم، وكان حجر عظيم على فم البئر (٣)وكان يجتمع كل الغنم. . . (٨) فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية" إلى آخر الآية، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي: " ٢وَنَظَرَ وَإِذَا فِي الْحَقْلِ بِئْرٌ وَهُنَاكَ ثَلاَثَةُ قُطْعَانِ غَنَمٍ رَابِضَةٌ عِنْدَهَا، لأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تِلْكَ الْبِئْرِ يَسْقُونَ الْقُطْعَانَ، وَالْحَجَرُ عَلَى فَمِ الْبِئْرِ كَانَ كَبِيرًا. ٣فَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَى هُنَاكَ جَمِيعُ الْقُطْعَانِ فَيُدَحْرِجُونَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَيَسْقُونَ الْغَنَمَ. . . ٨فَقَالُوا: «لاَ نَقْدِرُ حَتَّى تَجْتَمِعَ جَمِيعُ الْقُطْعَانِ وَيُدَحْرِجُوا الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ، ثُمَّ نَسْقِي الْغَنَمَ».

ففي الآية الثانية والثامنة وقع لفظ" قطعان غنم"، ولفظ "الماشية"، والصحيح لفظ

---

(١) هذا نص التوراة السامرية ترجمة أبي الحسن إسحاق الصوري وتحيق أحمد حجازي السقا، والمطبوعة بالقاهرة سنة ١٩٧٨م.

(٢) عيبال: جبل في شمال مدينة نابلس (شكيم).

(٣) جرزيم: جبل في جنوب مدينة نابلس (شكيم).

(الرعاة) بدلهما كما هو في النسخة السامرية[1] واليونانية والترجمة العربية لوالتن.

٣- ورد في سفر صموئيل الثاني (٢٤/ ١٣) قال: " ¹³فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ. . . . "

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٢١/ ١١- ١٢ " ¹¹فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ لِنَفْسِكَ: ¹²إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ. . . . " ففي الموضع الأول لفظ " سَبْعُ سِنِي " وفي الثاني " ثَلاَثَ سِنِينَ " وأحدهما غلط يقيناً.

قال آدم كلارك في ذيل عبارة صموئيل: "وقع في كتاب أخبار الأيام ثلاث سنين لا سبع سنين، وكذا في اليونانية وقع ههنا ثلاث سنين، كما وقع في أخبار الأيام، وهذه هي العبارة الصادقة بلا ريب". انتهى كلامه.

٤ - وقع في سفر صموئيل الثاني (٢٤/ ٩): " ، فَكَانَ إِسْرَائِيلُ ثَمَانَ مِئَةِ أَلْفِ رَجُل ذِي بَأْسٍ مُسْتَلِّ السَّيْفِ، وَرِجَالُ يَهُوذَا خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ رَجُل. ".

وفي ٢١/ ٥ من سفر أخبار الأيام الأول: "، فَكَانَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ رَجُل مُسْتَلِّي السَّيْفِ، وَيَهُوذَا أَرْبَعَ مِئَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ رَجُل مُسْتَلِّي السَّيْفِ". فإحدى العبارتين ههنا محرفة.

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة صموئيل: "لا يمكن صحة العبارتين، وتعيين الصحيحة عسير، والأغلب أنها الأولى، ووقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأخر، والاجتهاد في التطبيق عبث، والأحسن أن يسلم من أول الوهلة الأمر الذي لا قدرة على إنكاره بالظفر، ومصنفو العهد العتيق وإن كانوا ذوي إلهام لكنّ الناقلين لم يكونوا كذلك". انتهى كلامه.

فهذا المفسر اعترف بالتحريف، لكنه لم يقدر على التعيين، واعترف أن التحريفات في كتب التواريخ كثيرة، وأنصف فقال: الأسلم تسليم التحريف من أول الوهلة.

---

(١) نص السامرية هكذا: " ٢- ونظر وهو ذا بئر في الصحراء وهو ذا هناك ثلاث قطعان غنما رابضة عليها. إن من تلك البئر يسقون القطعان وحجر عظيمة على فم البئر (٣) وتجتمع هناك كل الرعاة. . . (٨) فقالوا لا نقدر إلى أن تجتمع الرعاة ".

٥- ورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس ٥/ ٢١ طبعتي سنة ١٨٢٣ م وسنة ١٨٤٤م وردت هذه الفقرة هكذا: " وليخضع بعض لبعض بخوف المسيح " وفي باقي الطبعات: "[٢١] خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ الله. ".

قال كريسباخ وشولز: " إن لفظ " الله " غلط، والصحيح لفظ " المسيح ". [(١)]

والمواضع المحرفة كثيرة وهذه أمثلة فقط

النوع الثاني: التحريف بالزيادة

نماذج التحريف بالزيادة

أولا: في العهد القديم:

١- ورد في سفر التكوين (٣٦/ ٣١) : " [٣١] وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ".

ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل، وأول ملوكهم شاول[(٢)] وكان بعد موسى عليه السلام بثلاثمائة وست وخمسين سنة(٣٥٦) سنة.

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية: "غالب ظني أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين، بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام[(٣)]، وأظن ظنًا قويًا قريبًا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل

---

(١) انظر: إظهار الحق (٤٣١ – ٤٦١).

(٢) (شاول) هو شاؤول(شاول) بن قيس من سبط بنيامين أول ملوك بني إسرائيل، وهو الوارد اسمه مرتين في سورة البقرة باسم طالوت، وعهده هو نهاية عهد القضاة وبداية عهد ملوك بني إسرائيل.

(٣) الفقرات التسع في سفر التكوين ٣٦/ ٣١- ٣٩ هي نفسها فقرات سفر أخبار الأيام الأول ١/ ٤٣-٥٠، وهي تتحدث عن ملوك أدوم بالترتيب، وبعد موت كل واحد من الذي ملك مكانه، وذلك قبل حكم طالوت (شاول) وداود وسليمان، أي في الوقت الذي كان فيه إسرائيل في عهد القضاة، فلا مناسبة لهذه الآيات في سفر التكوين الذي هو أول أسفار التوراة، بينما مناسبتها لسفر الأخبار ظاهرة ولا اعتراض هناك.

أنها جزء من المتن فأدخلها فيه".

فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسع، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف، لأن هذه الآيات التسع، مع عدم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ.

٢- ورد في سفر التثنية (٣/ ١٤) طبعة سنة ١٨٤٤م: " يائير ابن منسي أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها على اسمه باشان حووث يائير إلى هذا اليوم".

وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها هكذا: " "يَائِيرُ ابْنُ مَنَسَّى أَخَذَ كُلَّ كُورَةِ أَرْجُوبَ إِلَى تُخْمِ الْجُشُورِيِّينَ وَالْمَعْكِيِّينَ، وَدَعَاهَا عَلَى اسْمِهِ بَاشَانَ «حَوُّوثِ يَائِيرَ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. "

وهذه الآية أيضًا لا يمكن أن تكون من كلام موسى ﷺ، لأن المتكلم بها لا بد أن يكون متأخرًا عن يائر تأخيرًا كثيرًا، كما يشعر به قوله: " إلى هذا اليوم"؛ لأن أمثال هذا اللفظ لا يستعمل إلا في الزمان الأبْعَد على ما حقق المحققون من علمائهم، مثل هورن وغيره.[1]

٣-ورد في سفر العدد ٣٢/ ٤٠ – طبعة سنة ١٨٤٤م –: " وذهب يائير ابن منسي وأخذ مزارعها ودعاهن حووث يائير". وفي طبع سنة ١٨٦٥ وما بعدها فهي الفقرة ٤١ وهي كما يلي: " "وَذَهَبَ يَائِيرُ ابْنُ مَنَسَّى وَأَخَذَ مَزَارِعَهَا.

وَدَعَاهُنَّ: حَوُّوثَ يَائِيرَ. " ويقال في هذه الفقرة ما قيل في المثال السابق، وقد جزم علماؤهم[2] بأن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى ﷺ، لكنهم ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق على سبيل التعيين، بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا ﷺ، وهذا الظن ليس بشيء ولا يظهر من الأبواب المذكورة أن عزرا أَلحق شيئًا في التوراة لأنه يُفهم من باب كتاب عزرا أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل، واعترف بالذنوب، ويُفهم من باب

---

(١) انظر إظهار الحق (٢/ ٤٦٧ – ٤٧١)

(تنبيه) بقي في الفقرة شيء آخر هو أن يائر ليس ابن منسا بل هو ابن سجوب كما هو مصرح في سفرأخبار الأيام الأول ٢/ ٢٢ " وسجوب ولد يائير وكان له ثلاث وعشرون مدينة في أرض جلعاد".

(٢) مثل كالمنت في كتابه " قاموس الكتاب المقدس " والذي كمله رابت وتيلر.

كتاب نحميا أن عزرا قرأ التوراة عليهم. [١]

٤ - ورد في سفر العدد ٢١/ ١٤ - طبعة سنة ١٨٤٤م - : " ولذلك يقال في سفر حروب الرب كما صنع في بحر سوف كذلك يصنع في أودية أرنون". وفي طبعة سنة ١٨٦٥م جاءت هذه الفقرة هكذا: " ١٤لِذلِكَ يُقَالُ فِي كِتَابِ «حُرُوبِ الرَّبِّ»: «وَاهِبٌ فِي سُوفَةَ وَأَوْدِيَةِ أَرْنُونَ ". وفي التوراة السامرية: "بسبب ذلك يقال في كتاب ملاحم الله المعطي القلزم ".

هذه الفقرة لا يمكن أن تكون من كلام موسى بل تدل على أن مصنف سفر العدد ليس هو؛ لأن هذا المصنف نقل ههنا الحال عن سِفْر حروب الرب، ولم يعلم إلى الآن جَزْمًا أن مصنف هذا السفر أي شخص؟ ومتى كان؟ وأين كان؟ وهذا السفر كالعنقاء[٢] عند أهل الكتاب سمعوا اسمه وما رأوه ولا يوجد عندهم. [٣]

٥- ورد في سفر التكوين (١٣/ ١٨): "١٨فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. ".

وفي سفر التكوين ٣٥/ ٢٧: " ٢٧وَجَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا، قَرْيَةِ أَرْبَعَ، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، حَيْثُ تَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ. "، وفي سفر التكوين ٣٧/ ١٤: " فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ فَأَتَى إِلَى شَكِيمَ. "، حيث ورد فيه كلها لفظ " حبرون " وهو اسم قرية كان اسمها في سالف الزمان (قرية رابع)، وبنو إسرائيل بعد ما فتحوا فلسطين في عهد يوشع عليه السلام غيّروا هذا الاسم إلى حبرون[٤]، كما هو المصرح به في سفر يشوع ١٤/ ١٥: " ١٥وَاسْمُ حَبْرُونَ قَبْلًا قَرْيَةُ أَرْبَعَ، الرَّجُلِ الأَعْظَمِ فِي الْعَنَاقِيِّينَ. "، فهذه الآيات

---

(١) يتضح ذلك من سفر نحميا ٨/ ١ - ١٨، وأكتفي بنقل فقرتين منه " ١ - اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل (١٨) وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوما فيوما من اليوم الأول إلى اليوم الأخير ".

(٢) العنقاء: طائر خرافي في أساطير المصريين القدماء.

(٣) إظهار الحق (٢/ ٤٧٦ وما بعدها).

(٤) وسماها المسلمون: الخليل، لأنها مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام، وهي من أقدم مدن العالم التي لا تزال آهلة بالسكان.

ليست من كلام موسى عليه السلام، بل من كلام شخص كان بعد هذا الفتح والتغيير.

وكذلك وقع في سفر التكوين أيضًا ١٤/ ١٤ لفظ (دان) ونص الفقرة كما يلي: " ١٤فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ. " وهو اسم بلدة عمّرت في عهد القضاة[1]؛ لأن القضاة فتحوا بلدة لايش وقتلوا أهلها وأحرقوا تلك البلدة وعمروا بدلها بلدة جديدة وسموها " دان "، كما هو مذكور في سفر القضاة ١٨/ ٢٧ – ٣١: " ٢٧وَأَمَّا هُمْ فَأَخَذُوا مَا صَنَعَ مِيخَا، وَالْكَاهِنَ الَّذِي كَانَ لَهُ، وَجَاءُوا إِلَى لاَيِشَ إِلَى شَعْبٍ مُسْتَرِيحٍ مُطْمَئِنٍّ، وَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. ٢٨. . . فَبَنَوْا الْمَدِينَةَ وَسَكَنُوا بِهَا. ٢٩وَدَعَوْا اسْمَ الْمَدِينَةِ «دَانَ» بِاسْمِ دَانٍ أَبِيهِمِ الَّذِي وُلِدَ لإِسْرَائِيلَ. وَلكِنَّ اسْمَ الْمَدِينَةِ أَوَّلًا «لاَيِشُ». ". فلا تكون هذه الآية أيضًا من كلام موسى عليه السلام.[2]

ثانيًا: في العهد الجديد:

وكما وقع التحريف في العهد القديم، كذلك حدث في العهد الجديد أيضًا، ونكتفي للتدليل على ذلك بعشرة أمثلة.

١- ورد في إنجيل متى ١٤/ ٣: " فَإِنَّ هِيرُودُسَ كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيه"، وورد في إنجيل مرقس ٦/ ١٧: " لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا، وورد كذلك في إنجيل متى ٣/ ١٩: " أَمَّا هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرُّبْعِ فَإِذْ تَوَبَّخَ مِنْهُ لِسَبَبِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، وَلِسَبَبِ جَمِيعِ الشُّرُورِ الَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ يَفْعَلُهَا. "

ولفظ " فِيلُبُّس " غلط يقينًا في الأناجيل الثلاثة، ولم يثبت في كتاب من كتب التواريخ أن اسم زوج هيروديا كان " فِيلُبُّس "، بل صرح يوسيفس في الباب الخامس من الكتاب

---

(١) عهد القضاة: هو العهد الأول لبني إسرائيل في فلسطين حيث كانوا يعينون قضاة عليهم، ويبدأ هذا العهد من زمان يوشع خليفة موسى عليه السلام وإلى زمن النبي صموئيل هو آخر القضاة، وهو الذي عين لهم أول ملوكهم طالوت الواردة قصته في سورة البقرة آية " ٢٤٦ – ٢٥١ "

(٢) انظر إظهار الحق (٢/ ٤٧٦ – ٤٧٩).

الثامن عشر: " أن اسمه كان هيرود أيضًا ".

وأيضًا لم يذكر لفظ " فِيلُبُّس " في طبعات سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٨٢م، بينما ذكر في طبعات سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م وسنة ١٨٦٥م وما بعدها.

ومن أجل هذا قال هورن في الصفحة ٦٣٢ من المجلد الأول من تفسيره: "الغالب أن اسم " فِيلُبُّس " وقع في المتن من غلط الكاتب، فليسقط وكريسباخ قد أسقطه"، وعندنا هذا اللفظ من أغلاط الإنجيليين، ولا نسلم قولهم من غلط الكاتب، لأنه دعوى بلا دليل ويبعد كل البعد أن يقع الغلط من الكاتب في الأناجيل الثلاثة في مضمون واحد.

٢- ورد في إنجيل لوقا ٧/ ٣١ – طبعة سنة ١٨٢٥، ١٨٢٦ م – هكذا: " ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: «فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ؟ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ " وهذه الجملة "ثم قال الرب" زيدت تحريفًا، ولذلك وضعت هذه الجملة في طبعتى سنة ١٨٦٥م و ١٩٨٣م بين قوسين هلاليين للتنبيه على زيادتها.

قال المفسر آدم كلارك في ذيل هذه الآية: "هذه الألفاظ ما كانت أجزاء لمتن لوقا قط، ولهذا الأمر شهادة تامة، وردَّ كل محقق هذه الألفاظ، وأخرجها بنجل وكريسباخ من المتن". [1]

٣- ورد في إنجيل متى ٢٧/ ٩: " حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ولفظ (إِرْمِيَا) غلط من الأغلاط المشهورة في إنجيل متى لأن هذا لا يوجد في كتاب أرمياء، ولا يوجد هذا المضمون في كتاب آخر من كتب العهد العتيق بهذه الألفاظ، نعم توجد في الفقرة ١١/ ١٣ من سفر زكريا عبارة تناسب هذه العبارة التي نقلها متى وهي " فَقُلْتُ لَهُمْ: «إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي وَإِلاَّ فَامْتَنِعُوا». فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. ١٣ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ». فَأَخَذْتُ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. "، لكن بين العبارتين فرق كثير يمنع أن

(١) انظر: إظهار الحق (٢/ ٤٩١ – ٤٩٢).

يحكم أن متى نقل عن هذا الكتاب، ومع قطع النظر عن هذا الفرق لا علاقة لعبارة كتاب زكريا ﷺ بهذه الحادثة التي ينقل فيها متى، وفي هذا الموضع أقوال مضطربة لعلماء المسيحيين سلفًا وخلفًا.

٤- ورد في رؤيا يوحنا (١/ ١٠- ١١) - طبعة سنة ١٨٦٥م، ١٩٨٣م - : ١٠- كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلًا: «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ. وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ " إلى آخرها.

فقد ذكرت جملة " الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ " في هاتين الطبعتين محصورة بين قوسين هلالين للدلالة على زيادتها حسبما هو مذكور في التنبيه في الصفحة الأولى منهما، وأما طبعة سنة ١٨٢٣م وطبعة سنة ١٨٤٤م فلم تذكر فيهما الجملة السابقة، فقد وردت فيهما فقرة رؤيا يوحنا (١/ ١٠- ١١) كما يلي: " ١٠ – صرت بالروح في يوم الأحد وسمعت خلفي صوتا عظيما مثل بوق (١١) قائلًا: الذي تراه اكتبه في سفر " وقريب منها نص طبعة سنة ١٨٨٢ م

٥- ورد في إنجيل متى (٦/ ١٨) - طبعة سنة ١٨٢٥ و ١٨٢٦م -: " وأبوك الذي يرى في السر يجازيك علانية"، ولفظ علانية إلحاقي.

قال آدم كلارك في ذيل شرح هذه الآية بعد ما أثبت إلحاقيته: "لما لم يكن لهذا اللفظ سند كامل أسقطه كريسباخ ووتستين وبنجل من المتن" انتهى.

ولذلك لا يوجد هذا اللفظ في طبعتى سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م. ونص فقرة إنجيل متى ٦/ ١٨ فيهما كما يلي: " وأبوك الذي ينظر في السر يجازيك "، وكذلك لفظ " علانية " أسقط من طبعة سنة ١٨٨٢م.

أما في طبعتي سنة ١٨٦٥م وسنة ١٩٨٣م فقد وضع هذا اللفظ فيهما بين قوسين هلالين للدلالة على زيادته وأنه ليس له وجود في أقدم النسخ وأصحها، ونص الفقرة السابقة فيهما كما يلي: " فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ (عَلاَنِيَةً). "[1]

---

(١) إظهار الحق (٥٠٥، ٥٠٩ – ٥١٠).

النوع الثالث: التحريف بالنقص

أولًا: في العهد القديم:

لقد وقع التحريف بالنقص في العهد القديم، وأخذ أشكالًا متنوعة وصورًا عديدة، وفيما يلي ذكر بعض الصور والأمثلة عليها.

أولًا: الإحالات الإنجيلية إلى التوراة والتي لا نجدها في الأسفار الموجودة بين أيدينا.

١-ورد في ٢/ ٢٣ من إنجيل متى هكذا: "٢٣وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»

وقوله: " لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا» " من أغلاط هذا الإنجيل، ولا يوجد هذا في كتاب من الكتب المشهورة المنسوبة إلى الأنبياء، لكن أقول ههنا كما قال علماء الكاثوليك: إنَّ هذا كان في كتب الأنبياء، لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب قصدًا لعناد الدين المسيحي، ثم أقول: أي تحريف بالنقصان يكون أزيد من أن تضيّع فرقة الكتب الإلهامية قصدًا للأغراض النفسانية، ولعناد ملة أخرى؟.

٢-ما شهد المسيح بضياعه حين قال: "٥أَوَ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟ " (متى ١٢/ ٥)، ولا يوجد مثله في كلام التوراة، فدل ذلك على ضياعه وفقده.

ونحوه في قوله: "٣٨مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». " (يوحنا ٧/ ٣٧)، وهذه الإحالة مفقودة من الكتاب.

ثانيًا: النقص الذي ترك مكانه بياض. وهذه بعض الأمثلة:

١- ما جاء في سفر التثنية (٢٥/ ٢-٥)" ٢فَإِنْ كَانَ الْمُذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ، يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ. ٣أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لاَ يَزِدْ، لِئَلاَّ إِذَا زَادَ فِي جَلْدِهِ عَلَى هذِهِ ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً، يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ. (بياض)، لا تَكُمَّ الثور في دراسه[1]، (ثم ينتقل

---

(١) مثل يُضرب في الدعوة إلى عدم حرمان المرء من ثمرة عمله كما يحرم الثور من الأكل بتكميم فمه حين الدراس، قال شراح التفسير التطبيقي: "إن لهذه الآية معنى أوسع، وهو ألا تكون بخيلًا مع من يعملون

النص إلى موضوع آخر) «إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ. . . . "، فثمة نقص واضح في المعنى استعاض ناسخو الكتاب عنه بترك بياض، للدلالة على وجود سقط في النص، ولا علاقة بين مثل كم الثور وما قبله من حديث عن العدل في عقوبة المذنب. (١)

٢- ومثله سقط من النص المصيرُ الذي آلت إليه بهائم المصريين الذين لم يهربوا بمواشيهم وعبيدهم خوفًا من كلمة الرب ووعيده "٢٠فَالَّذِي خَافَ كَلِمَةَ الرَّبِّ مِنْ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ هَرَبَ بِعَبِيدِهِ وَمَوَاشِيهِ إِلَى الْبُيُوتِ. ٢١وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى كَلِمَةِ الرَّبِّ فَتَرَكَ عَبِيدَهُ وَمَوَاشِيَهُ فِي الْحَقْلِ. ٢٢ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: " (الخروج ٩/ ٢٠-٢٢)، فقد سقط ذكر العقوبة، وانتقل النص للحديث في موضوع جديد.

٣- ومن السقط أيضًا خاتمة الإصحاح الثاني من سفر الخروج، الذي ينتهي بصورة فجائية، عند قوله: "٢٥وَنَظَرَ الله بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ الله. " (الخروج ٢/ ٢٥)، وقد أشار محققو نسخة الرهبانية اليسوعية إلى أن الإصحاح مبتور.

ثالثًا: ومن النقص ما تضع بعض التراجم والنسخ نجومًا أو خطوطا متقطعة بدلًا منه: منها النسخة العربية لدار الكتاب المقدس التي اعتمدناها في هذا البحث، وهذه بعض النماذج:

١- ففي سفر صموئيل نقص بيان جزاء بني إسرائيل إن استقاموا على عبادة الله، ففيه أن صموئيل قال: "إن اتقيتم الرب وعبدتموه وسمعتم صوته، ولم تعصوا قول الرب، وكنتم أنتم والملك أيضًا الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم (هكذا في المطبوع)، وإن لم تسمعوا صوت الرب بل عصيتم قول الرب تكن يد الرب عليكم" (صموئيل (١) ١٢/ ١٤-١٥).

٢- وتتكرر النجوم مرة أخرى في سفر صموئيل الثاني مشيرة إلى وجود سقط في تمام حديث داود عن العرج والعمي، فيقول السفر: "قال داود في ذلك اليوم: إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود (هكذا في المطبوع)

لأجلك". (انظر ص ٤٠٠).

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (١٢١).

لذلك يقولون: لا يدخل البيت أعمى أو أعرج" (صموئيل (٢) ٥/ ٨).

٣- ونحوه سقط بعض النص في سفر حزقيال في وصف الزانية وبيان حالها، واستعيض عنه بالنجوم "فقلت عن البالية في الزنا: الآن يزنون زنى معها، وهي (هكذا في المطبوع)، فدخلوا عليها كما يُدخَل على امرأة زانية" (حزقيال ٢٣/ ٤٣).

٤ - كما وقع النقص في خاتمة الإصحاح السادس من سفر زكريا، ولم يجد طابعو الكتاب المقدس ما يكملون به الجملة إلا أربعة من النجوم ختموا بها هذا الإصحاح "والبعيدون يأتون ويبنون في هيكل الرب، فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم، ويكون إذا سمعتم سمعًا صوت الرب إلهكم " (زكريا ٦/ ١٥). [1]

ومن صور الخطوط المتقطعة(---):

١- "هذه أيضًا للحكماء--- محاباة الوجوه في الحكم ليست صالحة" (الأمثال ٢٤/ ٢٣)

٢- ونحوه في سفر إرمياء "في الأنبياء-- انسحق قلبي في وسطي، ارتخت كل عظامي" (إرمياء ٢٣/ ٩).

٣- ومثله في نشيد الإنشاد "وحنكك كأجود الخمر-- لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين" (نشيد ٧/ ٩).

ويمتد السقط في الأسفار المقدسة إلى أسفار الأبوكريفا في التوراة الكاثوليكية، حيث ضاع من سفر يشوع بن سيراخ ثلاث فقرات، أثبت طابعو الكتاب أرقامها، وأعياهم أن يذكروا حرفًا واحدًا مما في هذه الفقرات الثلاث. (انظر يشوع بن سيراخ ٢٩/ ١٦-١٨).

ولرؤية المزيد من مواضع السقط في أسفار العهد القديم، والتي لم تنجح في استدراكها آلاف المخطوطات التي يتباهى بكثرتها النصارى، لكنها على كثرتها لم تكن كافية في إبلاغنا النصوص التوراتية بتمامها، أقول: لرؤية المزيد مما استعاض عنه طابعو الكتاب المقدس بالنجوم تارة وبترك بياض تارة أخرى ندعو للتأمل في (الأيام (٢) ٣٦/ ٢٣)، و(عزرا

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (١٢٢- ١٢٣).

١/ ٣)، و(عزرا ٦/ ٥-٦)، (المزمور ١٣٧/ ٥) وغيرها من المواطن.

رابعًا: ومن صور التحريف بالنقص تلك الأسفار الضائعة:

يمتد السقط والضياع في الأسفار التوراتية ليشمل أسفارًا توراتية ضاعت واندرس خبرها، وشهد لضياعها أسفار العهد القديم الموجودة في الكتاب المقدس منها:

١ - سفر حروب الرب المذكور في سفر العدد، حيث يقول: "[١٤] لِذلِكَ يُقَالُ فِي كِتَابِ «حُرُوبِ الرَّبِّ»: «وَاهِبٌ فِي سُوفَةَ وَأَوْدِيَةِ أَرْنُونَ" (العدد ٢١/ ١٤).

٢- وكذا فُقِد سفر ياشر، فقد قال يشوع النبي: " هذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. " (يشوع ١٠/ ١٣)، وفي موضع آخر: "[١٨] وَقَالَ أَنْ يَتَعَلَّمَ بَنُو يَهُوذَا «نَشِيدَ الْقَوْسِ». هُوَذَا ذلِكَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ يَاشَرَ: " (صموئيل (٢) ١/ ١٨).

٣- ومن الأسفار الضائعة سفر أخبار شمعيا النبي، وسفر عدوَ الرائي المذكوران في سفر الأيام " [١٥] وَأُمُورُ رَحُبْعَامَ الأُولَى وَالأَخِيرَةُ، أَمَاهِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي أَخْبَارِ شَمْعِيَا النَّبِيِّ وَعِدُّو الرَّائِي. . . " (الأيام (٢) ١٢/ ١٥).

٤ - ومنها أيضًا سفر ينسب للنبي إشعيا ذكره كاتب سفر الأيام حين قال: " [٢٢] وَبَقِيَّةُ أُمُورِ عُزِّيَّا الأُولَى وَالأَخِيرَةُ كَتَبَهَا إِشَعْيَاءُ بْنُ آمُوصَ النَّبِيُّ. " (الأيام (٢) ٢٦/ ٢٢)، ومن المعلوم أن سفر إشعيا الحالي لم يتحدث مطلقًا عن الملك عزيا، فإما أنه سقط منه، أو أن الإحالة إلى سفر آخر كتبه النبي إشعيا، وضاع فيما ضاع من أسفار التوراة.

٥- يقول آدم كلارك: " حصل لقلوب العلماء قلق عظيم لأجل فقدان تاريخ المخلوقات فقدانًا أبديًا ".

ومقصوده ما جاء في سفر الملوك عن سليمان: "[٣٢] وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَل، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا. [٣٣] وَتَكَلَّمَ عَنِ الأَشْجَارِ، مِنَ الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ. " (الملوك (١) ٤/ ٣٢ - ٣٣)، فأين هذا السفر؟

يقول طامس أنكلس الكاثوليكي: " اتفاق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب

المقدسة ليست بأقل من عشرين ". [(١)]

خامسًا: النقص الذي يستدرك من النسخ الأخرى للعهد القديم، أو ينبه عليه العلماء، وهذه أمثلته:

١- ورد في ٧/ ١٧من سفر التكوين في النسخة العبرانية - طبعة سنة ١٨٤٤م - هكذا: " وصار الطوفان أربعين يومًا على الأرض"، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م — وما بعدها: " [١٧]وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. " وفي السامرية: " وأقام الطوفان أربعين يوما على الأرض ".

وهذه الجملة في كثير من نسخ اللاتينية وفي الترجمة اليونانية هكذا: "وصار الطوفان أربعين يومًا وليلة على الأرض".

قال هورن في المجلد الأول من تفسيره: "فليزد لفظ (ليلة) في المتن العبري".

٢- ورد في سفر التكوين ٣٥/ ٢٢ في النسخة العبرانية – طبعة سنة ١٨٦٥م- هكذا: " [٢٢]وَحَدَثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِنًا فِي تِلْكَ الأَرْضِ، أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ. " وقريبا من هذا النص وردت به النسخة السامرية.

قال جامعو تفسير هنري واسكات: " اليهود يسلمون أن شيئًا سقط من هذه الآية، والترجمة اليونانية تتمتها هكذا: وكان قبيحًا في نظره "انتهى.

فاليهود ههنا أيضًا معترفون بالسقوط، فسقوط الجملة من النسخة العبرانية ليس بمستبعد عند أهل الكتاب، فضلًا عن سقوط حرف أو حرفين. [(٢)]

٣- ورد في سفر الخروج ٢/ ٢٢ : " فولدت له ابنًا ودعا اسمه جرسون[(٣)]، قائلًا: إنما أنا كنت ملتجئًا في أرض غريبة".

وتوجد في طبعة سنة ١٨٤٤م والترجمة اليونانية واللاتينية وبعض التراجم القديمة في آخر الآية المذكورة هذه العبارة: " وولدت أيضًا غلامًا ثانيًا ودعا اسمه العازر[(٤)]، فقال من

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٨٣، ٥٨٧).

(٢) إظهار الحق (٢/ ٥٢٣).

(٣) جرسون (جرشوم): هو بكر أولاد موسى عليه السلام، ولدته أمه صفورة في أرض مديان.

(٤) العازر(أليعزر): هو ثاني أبناء موسى عليه السلام، وأمه صفورة فهو شقيق جرشوم.

أجل أن إله أبي أعانني وخلصني من يد فرعون".

ولا توجد هذه العبارة كلها في النسخة السامرية ولا في طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها، ومما يدل على السقط ههنا فقرة سفر الخروج ١٨/٣- ٤ وهي كما يلي من طبعة سنة ١٨٦٥م: " ٣وَابْنَيْهَا، اللَّذَيْنِ اسْمُ أَحَدِهِمَا جِرْشُومُ، لأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ». ٤وَاسْمُ الآخَرِ أَلِيعَازَرُ، لأَنَّهُ قَالَ: «إِلهُ أَبِي كَانَ عَوْنِي وَأَنْقَذَنِي مِنْ سَيْفِ فِرْعَوْنَ».

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره بعد ما نقل العبارة المسطورة من التراجم: "أدخل هيوبي كينت هذه العبارة في ترجمته اللاتينية، ويدعي أن موضعها هذا، ولا توجد هذه العبارة في نسخة من نسخ العبرانية مكتوبة كانت أو مطبوعة، مع أنها وجدت في التراجم المعتبرة" انتهى.

فعندهم هذه العبارة ساقطة من النسخة العبرانية.

ثانيًا: التحريف في العهد الجديد:

ولقد يتساءل المرء أين وقع التحريف في الأناجيل؟ هل وقع من الإنجيليين وأصحاب الرسائل، أم من النساخ الذين تصرفوا في النصوص حسب أهوائهم وعقائدهم، أم من أولئك الذين أضافوا القداسة للكتب الشخصية التي خطها الحواريون، أم من ذلك كله؟ ولعل الأخير هو أولاها بالصواب. (١)

فمن نماذج التحريف بالنقص:

أولًا: نقص بعض الكلمات والجمل:

١- قال هورن في المجلد الرابع من تفسيره: "سقطت آية تامة ما بين الآية ٣٣ و٣٤ من الإصحاح ٢١ من إنجيل لوقا وهي: " ٣٣اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. ٣٤«فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، فَيُصَادِفَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً".

فلتزد بعد أخذها من الآية ٣٦ من الإصحاح ٢٤ من إنجيل متى وهي: " " ٣٥اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. ٣٦«وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ. "

---

(١) انظر " هل العهد الجديد كلمة الله "؟ (١٤١).

أو من الآية ٣٢ من الإصحاح ١٣من إنجيل مرقس وهي: "" [٣١]اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ. "

ليكون لوقا موافقًا للإنجيليين الآخرين. انتهى.

وبمقارنة هذه النصوص بعضها ببعض يظهر بوضوح سقوط فقرة تامة من إنجيل لوقا. وكفى باعتراف هؤلاء شاهدا.

٢- ورد في سفر أعمال الرسل ١٦/ ٧ – طبعة سنة ١٨٢٥ وسنة ١٨٢٦م – هكذا: "فلم يأذن لهم الروح". وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعدها: " فَلَمْ يَدَعْهُمُ الرُّوحُ "

قال كريسباخ وشولز الصحيح هكذا: "فلم يأذن لهم روح يسوع" فعلى إقرارهما سقط لفظ يسوع، وجاء هذا اللفظ في طبعة سنة ١٦٧١م وسنة ١٨٢١م وسنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م: " فلم يتركهم روح يسوع ". [(١)]

ثانيًا: تحريف الإنجيليين حيث ينقص بعضهم ويزيد آخرون:

أصبح من المسلم به أن لوقا نقل ما نسبته ٥١٪ من فقرات إنجيل مرقس، بينما نقل متى ما نسبته ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس. فهل كان متى ولوقا أمينان في نقلهما عن مرقس، أم كانا يتصرفان بنص مرقس كما يحلو لهما؟

الحقيقة البينة أن كلا الاثنين تصرف برواية مرقس حسب ما تبدى له، وخاصة متى الذي كان يضخم دائمًا فيما ينقله من أحداث ينقلها من رواية مرقس، لتناسب غلوه في شخص المسيح أو لتحقق نبوءة توراتية لم تحققها رواية مرقس، وذلك يظهر من أمثلة كثيرة ذكرها المحققون، منها:

١- يقول مرقس عن المصلوب: " [٢٣]وَأَعْطَوْهُ خَمْرًا مَمْزُوجَةً بِمُرّ " (مرقس ١٥/ ٢٣).

لكن متى نقل عن مرقس وغيّر، فقال: " [٣٤]أَعْطَوْهُ خَلًّا مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ " (متى

---

(١) إظهار الحق (٢/ ٥٣٠ – ٥٤٠).

٣٤/٢٧)، ومن المعلوم أن الخل غير الخمر. ولقد قصد متى من هذا التغيير أن يحقق النبوءة التوراتية المزعومة " ٢١وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ. " (المزمور ٦٩/ ٢١)، فأبدل كلمة الخمر التي كتبها مرقس بالخل.

٢- يقول مرقس: "لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي. " (مرقس ٣/ ٣٥).

وينقلها متى: " ٥٠لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي». " (متى ١٢/ ٥٠). فكلمة أبي وضعت لأسباب لاهوتية.

٣- ومثله يقال عندما سأل المسيح تلاميذه عما يقولون فيه، فأجاب بطرس: " أنت المسيح " (مرقس ٨/ ٢٩).

لكن متى عدل في إجابة بطرس وجعلها: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ! ». "(متى ١٦/ ١٦).

٤- ومن غلو متى تغييره لما جاء في مرقس عن عدم قيام المسيح بالمعجزات في الجليل حيث يقول: " ٥وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ. ٦وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ. وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ. " (مرقس ٦/ ٥ - ٦). حيث لم يصنع ولا قوة واحدة، لكنه شفى قليلين، لكن شفاء القليلين لم يكن كافيًا لإيمان أولئك القساة، فتعجب المسيح لعدم إيمانهم.

لكن متى عزّ عليه أن لا يصنع المسيح أي قوة، فقال: " ٥٨وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ. " (متى ١٣/ ٥٨). إذًا هو صنع معجزات، ولكن ليس كثيرًا، وبرر قلة المعجزات بعدم إيمانهم. فأصبحت سببًا لقلة المعجزات بعد أن كانت عند مرقس نتيجة لها.

٥- وذكر مرقس ولوقا شفاء الأعمى، يقول مرقس: "٤٦وَجَاءُوا إِلَى أَرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. ٤٧فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي! ». . . ٥١فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ » فَقَالَ لَهُ الأَعْمَى: «يَا سَيِّدِي، أَنْ أُبْصِرَ! ». ٥٢فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبعَ

يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ. " (مرقس ١٠/ ٤٦ - ٥٢، وانظر لوقا ١٨/ ٣٥ - ٤٢).

لكن متى روى نفس القصة وجعل الأعمى أعميين اثنين، فقال: "[٢٩]وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ مِنْ أَرِيحَا تَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، [٣٠]وَإِذَا أَعْمَيَانِ جَالِسَانِ عَلَى الطَّرِيقِ. فَلَمَّا سَمِعَا أَنَّ يَسُوعَ مُجْتَازٌ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ!» [٣١]فَانْتَهَرَهُمَا الْجَمْعُ لِيَسْكُتَا، فَكَانَا يَصْرَخَانِ أَكْثَرَ قَائِلَيْنِ: «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ!» [٣٢]فَوَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَاهُمَا وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا؟» [٣٣]قَالاَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَنْ تَنْفَتِحَ أَعْيُنُنَا!» [٣٤]فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَلَمَسَ أَعْيُنَهُمَا، فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَتْ أَعْيُنُهُمَا فَتَبِعَاهُ. " (متى ٢٠/ ٢٩ - ٣٤)، فهذا غلو من متى وتحريف للقصة التي ينقلها عن مرقس.

ولا يفوتنا هنا التنبيه على أن لوقا جعل القصة قبل دخول المسيح إلى أريحا فقال: " [٣٥]وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. " (لوقا ١٨/ ٣٥)، فهل شفى المسيح الأعمى قبل دخوله أريحا أم بعد خروجه منها؟!

٦- ومثله تلاعب الإنجيليين بكلام المسيح، وهم ينقلون قوله لتلاميذه، فقد قال لهم - حسب لوقا -: " أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ! [٨]وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ، يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ الله. [٩]وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ، يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ الله. " (لوقا ١٢/ ٧-٩)، فقد جعل لوقا اعتراف المسيح وإنكاره قدام ملائكة الله.

وهو بذلك يخالف متى الذي جعل إنكار المسيح واعترافه قدام الله، لا الملائكة، فقد نسب إلى المسيح قوله: " أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ! [٣٢]فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، [٣٣]وَلكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أيضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. " (متى ١٠/ ٣١-٣٣)، فأيهما هو قول المسيح؟! وماذا عن الآخر؟.

٧- ومن صور التلاعب بالنصوص والتصرف فيها ما صنعه متى ولوقا في كلام المسيح في وليمة الفريسي، ففي إنجيل متى أن المسيح قال: " [٣٤]لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ

مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، " (متى ٢٣/ ٣٤)، فالمسيح نسب إلى نفسه إرسال أنبياء وحكماء وكتبة.

لكن لوقا يخالفه، فيذكر أن المسيح نسب القول إلى حكمة الله، لا إلى نفسه، فيقول: " ⁴⁹لِذلِكَ أيضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ " (لوقا ١/ ٤٩).

فصل: اعترافات بالتلاعب في الأناجيل:

أمام وضوح الحقيقة لا يجد المفسر(جون فنتون) مفسر إنجيل متى من سبيل إلا يعترف بهذا التطوير للروايات، ويحاول تبريره فيقول: "لقد حدث تحوير ملحوظ في مخطوطات (الأناجيل)، وذلك في المواضع التي ذكرت فيها ألقاب الرب " (يسوع)[1].

فهو يعترف بوقوع التحريف، لكنه يتهم نساخ المخطوطات، ويبرئ متى الكاتب.

والصحيح أن التلاعب بالنص يرجع إلى كُتاب الأناجيل، وليس نساخ المخطوطات، إذ أن الزيادة تطرِد دائمًا في متى عما في مرقس، ولو كان الخلل في المخطوطات لما اطردت الزيادة في متى دائمًا.

وقد صدق العلامة كيز مان حين قال: " إن لوقا ومتى قد قاما بتغيير نص مرقس الذي كان بحوزتهما مائة مرة عن عمدٍ لأسباب عقائدية "[2].

ثالثا: تحريف الإنجيليين في نقلهم من المصادر التوراتية:

وكذا وقع كتاب العهد الجديد في تحريف الأسفار التوراتية وهم ينقلون عنها، ليكون صورة أخرى من صور التحريف.

١ - فقد وقع به بولس وهو ينقل عن مزامير داود، يقول بولس: "⁴لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. ⁵لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. ⁶بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. . . " (عبرانيين ١٠/ ٤ - ٦).

وقد نقل بولس النص عن المزامير، وحرفه، ففي المزامير "⁶بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب (٩٥ - ٩٧).

(٢) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، حسني الأطير (٢٠٨)، هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١٤١ - ١٤٧).

فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. . . " (المزمور ٤٠/ ٦)، فقد أبدل " أذني فتحت " بقوله: "هيأت لي جسدًا ".

واعترف بوقوع التحريف في أحد النصين جامعو تفسير هنري واسكات، ولم يعينوا الموضع المحرف منهما، فقد اعتبر آدم كلارك ما جاء في المزمور محرفًا، فيما اعتبره دوالي ورجر وديمنت في تفسيرهما ما جاء في رسالة بولس هو المحرف.

٢- كما وقعَ التحريفُ من الإنجيليينَ بنسبة أقوال إلى التوراة لم تذكرها، منه ما جاء في متى عن المسيح "[٢٣]وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا» " (متى ٢/ ٢٣)، ولا يوجد شيء من ذلك في كتب الأنبياء.

ومما يؤكد أن التحريف هنا متعلق بمتى أن التلميذ نثنائيل حين بشره فليبس بالمسيح الناصري استغرب أن يبعث مسيح من الناصرة " [٤٦]فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟ »" (يوحنا ١/ ٤٦)، ولو كانت نبوءة الناصري موجودة قبلُ لما كان وجه للغرابة.

يقول طابعو الرهبانية اليسوعية تعقيبًا على النص: "يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النص الذي يستند إليه متى".

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس: " ولم تكن الناصرة ذات أهمية في الأزمنة القديمة، لذلك لم يرد لها أي ذكر في العهد القديم، ولا كتب يوسيفوس ولا الوثائق المصرية والآشورية والحثية والآرامية والفينيقية السابقة للميلاد، وأول ما ذكرت في الإنجيل". (١)

٣- ومن صور التحريف ما وقع به يعقوب ولوقا حين تحدثا عن انقطاع المطر بدعاء النبي إيليا، فذكرا أنه استمر ثلاث سنين وستة أشهر، محرفين ما ورد في العهد القديم، الذي أفاد بأن انقطاع المطر لم يكمل الثلاث سنوات، فيقول يعقوب في رسالته: " [١٧]كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَانًا تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. " (يعقوب ٥/ ١٧)، ووافقه لوقا فزعم أن المسيح قال: " [٢٥]وَبِالْحَقِّ أَقُولُ

---

(١) وانظر: إظهار الحق (٢/ ٥٣٨).

لَكُمْ: إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا" (لوقا ٤/ ٢٥).

والقصة – كما أسلفت – منقولة ومحرفة عن سفر الملوك وفيه: " ١وَقَالَ إِيلِيَّا. . . إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي». " (الملوك (١) ١٧/ ١)، ثم " ١وَبَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ قَائِلًا: «اذْهَبْ وَتَرَاءَ لأَخْآبَ فَأُعْطِيَ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ». " (الملوك (١) ١٨/ ١)، وفعل، فنزل المطر، وكان ذلك في السنة الثالثة، ولعله في أولها، أي لم يكمل انقطاع المطر ثلاث سنوات، فضلًا عن الأشهر الستة التي زادها يعقوب ولوقا.

رابعًا: تحريف المترجمين:

ولمترجمي الكتاب المقدس نصيبهم من التحريف الذي أضحى سمة لكل أولئك المؤتمنين على الكتاب المقدس، حيث يتلاعب هؤلاء بالنصوص، وهم يقومون بترجمتها، من صور هذا النوع من التحريف الصور التي نعرضها والتي توضح مقدار الحرية التي تعامل بها المترجمون مع النصوص التوراتية، إذ النص العربي يذكر اشتقاقات عربية لا يصح أن تكون في كتاب أصل لغته العبرية. ومن ذلك:

١- يقول سفر التكوين: " وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». " (التكوين ٤/ ١)، فكلمة " قَايِينَ " كما في قاموس الكتاب المقدس معناها: " حداد "، فالمناسبة معدومة بين الاقتناء أو الشراء، واسم قايين الذي يعني: حداد.

٢- ومثله قوله: " ٩لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. " (التكوين ١١/ ٩). وهي في العبري " باب ايل " بمعنى: " بوابة الرب " كما في قاموس الكتاب المقدس، وعليه فليس من مناسبة بين اسم بابل والبلبلة التي تذكرها التوراة، فالمناسبة غير متحققة في اللغة العبرية التي كتب بها الكتاب المقدس.

٣- ومن صور التحريف الهامة ما صنعه المترجمون المسيحيون للمزمور الثاني والعشرين ليكون نبوءة مزعومة عن المسيح الذي مات على الصليب وقد ثقبت يداه ورجلاه، يقول المزمور: "١٦لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا

يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. " (المزمور ٢٢/ ١٦)، وليس في النص العبراني كلمة: (כארו) ثقبوا، التي تنطق (كأرو)، بل يستخدم كلمة (כארי) (كأري) التي تعني كأسد.

وقد اعترفت نسخة الرهبانية اليسوعية بالتحريف، وذكرت أن النص المحرف "بحسب الترجمة اللاتينية الشائعة، والكلمة العبرية تعني: (كالأسد)، وهي غامضة"، وهكذا فلغموض كلمة الأسد تلاعبوا بالنص وحوروه إلى "ثقبوا يديّ ورجليّ".

فصل: وشهد شاهد من أهلها

أولًا: شهادة علماء النصارى على التحريف

يعترف كبار المراجع النصرانية بوقوع التحريف والزيادة المستمرة حيث تقول لجنة الكتاب المقدس البابوية في مدخلها سنة ١٩٤٨م: " يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية".

ويقول كيرت: " الكتاب المقدس المتداول حاليًا لا يحتوي على التوراة والإنجيل المنزلين من الله، ولقد اعترف علماء باحثون باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس ".

ويقول جيمس جيستنج: " ومع هذا فإننا نتوقع أن نجد خلال صفحات الكتاب المقدس بعض الأجزاء من التوراة والإنجيل الأصليين، مما يتحتم معه دراسة جادة لكي تجعل مضمون الكتاب المقدس مفهومًا".

ونختم بنقل ما قاله الناقد اليهودي الشهير اسبينوزا عن تحريف الأسفار التوراتية، حيث يقول: "لا يسلِّم معظم المفسرين بوقوع أي تحريف في النص، حتى في الأجزاء الأخرى، ويقررون أن الله بعناية فريدة قد حفظ التوراة كلها من أي ضياع".

ويضيف: "أما اختلاف القراءات فهو في نظرهم علامة على أسرار في غاية العمق، ويتناقشون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة وسط إحدى الفقرات، بل تبدو أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوي على أسرار كبيرة، ولست أدري إن كان ذلك ناجمًا عن اختلال العقل، وعن نوع من تقوى العجائز المخرفين، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث، حتى نعتقد أنهم وحدهم هم الأمناء على أسرار الله، ولكني أعلم فقط أني لم أجد

مطلقًا أي شيء عليه سيما السر في كتبهم، ولم أجد فيها إلا أعمالًا صبيانية ". [١]

ثانيًا: شهادة آباء الكنيسة على التحريف.

أولًا: إيريناوس أسقف ليون (١٢٠ – ٢٠٢م)

يطلق عليه أبو التقليد الكنسي، ويرون أن شهادته جليلة، ومع ذلك يقول عنه (يوسابيوس القيصري) - والمعروف بأبي التأريخ الكنسي - (وهو لا يعرف كتاب الراعي فقط بل أيضًا يقبله، وقد كتب عنه ما يلي: حسنا تكلم السفر قائلا أول كل شيء آمن بأن الله واحد الذي خلق كل الأشياء وأكملها)

والسؤال الآن: أين اتفاق الآباء على أسفار الكتاب المقدس؟ وسؤال آخر: أين الأسفار (كسفر الراعي لهرماس) التي سلموا بها وليست بأيدينا الآن؟

ثانيًا: العلامة أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٢م) وهو ناظر المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية والذي يصفه القس منيس عبد النور بأنه: (العالم العظيم).

وبالنظر في الجدول الذي أورده يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسه يذكر من بين الأسفار القانونية (إرميا مع المراثي والرسالة في سفر واحد، اسمه ارميا).

والآن نسأل جهابذة علماء الكتاب المقدس من البروتستانت هل رسالة إرميا التي كان يؤمن بها" العالم العظيم"! ! ـ الذي أصبح ناظرًا للمدرسة اللاهوتية في سن الثامنة عشرة ـ موجودة في الكتاب المقدس الذي بين يدي البروتستانت الآن؟ الإجابة طبعًا أنها غير موجودة.

وهذه الرسالة لم يكن أوريجانوس فقط يعتقد بأنها سفر موحى به من الإله بل يوجد غيره الكثير من آباء الكنيسة اعتقدوا بنفس عقيدته كما تخبرنا بذلك دائرة المعارف الكتابية فتقول:

(قانونية الرسالة وقيمتها: كان الآباء اليونانيون الأوائل، يميلون - بوجه عام - إلى اعتبار الرسالة جزءًا من الأسفار القانونية، لذلك تذكر في قوائم الأسفار القانونية لأوريجانوس وأبيفانيوس وكيرلس الأورشليمي وأثناسيوس، وعليه فقد اعترف بها رسميا في مجمع لاودكية (٣٦٠ م)).

---

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (١٣١).

جاء في الجدول الذي أورده يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة أن أوريجانوس لم يكن يعتبر رسالة بطرس الثانية من الأسفار المقدسة فقال: (وبطرس الذي بنيت عليه كنيسة المسيح التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم ترك رسالة واحدة معترف بها، ولعله ترك رسالة ثانية أيضًا، ولكن هذا مشكوك فيه).

وهذا ليس رأيه وحده وإنما رأي يوسابيوس القيصري أيضًا إذ يقول: (إن رسالة بطرس الأولى معترف بصحتها وقد استعملها الشيوخ الأقدمون في كتاباتهم كسفر لا يقبل أي نزاع، على أننا علمنا بأن رسالته الثانية الموجودة بين أيدينا الآن ليست ضمن الأسفار القانونية ولكنها مع ذلك إذا اتضحت نافعة للكثيرين فقد استعملت مع باقي الأسفار) والسؤال الآن: بأي حق دخلت رسالة بطرس الثانية إلى الكتاب المقدس طالما نفاها هؤلاء؟!!!

ويستمر يوسابيوس القيصري في عرض جدول أوريجانوس للأسفار المقدسة عندما يتكلم عن يوحنا فيقول (وترك أيضًا رسالة قصيرة جدًا، وربما رسالة ثانية وثالثة، ولكنهما ليسا معترفًا بصحتهما من الجميع)

والسؤال هو إذا كانت رسالة يوحنا الثانية والثالثة مرفوضتان من الجميع فكيف دخلتا إلى الكتاب المقدس؟ ؟ ؟

وأين هو التواتر والإجماع المزعوم؟ ؟

ويستمر أبو" التأريخ الكنسي "في إتحافنا بتصور العالم العظيم أوريجانوس عن الأسفار المقدسة فينقل تصوره عن الرسالة إلى العبرانيين التي يحلو للبعض أن ينسبها إلى بولس فيقول (إن كل من يستطيع تمييز الفرق بين الألفاظ اللغوية يدرك أن أسلوب الرسالة إلى العبرانيين ليس عاميًا كلغة الرسول الذي اعترف عن نفسه بأنه عامي " ٢كور ٦: ١١ " في الكلام أي في التعبير بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة)

وهَب أن محاكمة عُقدت للحكم في مسألة تحريف الكتاب المقدس فمن غير أوريجانوس أولى بالشهادة منه ـ وشهد شاهدٌ من أهلها ـ على تحريف الكتاب المقدس، فهو

الذي يشهد على أن اليهود حّرفوا الكتاب المقدس.

تعالوا بنا ننقل شهادةً من رهبان دير الأنبا مقار ـ وهم يقولون ((أما سبب غياب بعض الأسفار اليونانية من العهد القديم العبري لدى اليهود فيرجع ـ حسب تعليل أوريجانوس ـ إلى رغبتهم في إخفاء كل ما يمس رؤساءهم وشيوخهم، كما هو مذكور في بداية خبر سوسنا: " وعُيّن للقضاء في تلك السنة شيخان من الشعب وهما اللذان تكلم الرب عنهما أنه خرج الإثم من بابل من القضاة الشيوخ " ويقدم أمثلة من الإنجيل لتأكيد ما يقوله، حيث يخاطب السيد المسيح الكتبة والفريسيين بقوله: " لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح (متى ٢٣: ٣٥) فالسيد المسيح هنا يتكلم عن وقائع حدثت (كما يكتب أوريجانوس)، ومع ذلك لم تذكر في العهد القديم. ثم يتساءل: أين جاء في الأسفار المقدسة شيء عن الأنبياء الذين قتلهم اليهود؟ ثم يورد أوريجانوس مثلًا آخر من رسالة العبرانيين: ((آخرون تجربوا ... نشروا، جربوا ماتوا قتلًا بالسيف) " عب ١١: ٣٦ و ٣٧ " لأنه معروف في التقليد اليهودي خارجًا عن الأسفار العبرية أن أشعياء النبي فقط هو الذي نشر بالمنشار).

ثالثا: بابياس أسقف هيرابوليس (القرن الثاني)

لقد وصفه القس منيس عبد النور بالنبوغ فهو يقول ما نصه:

(بابياس: أسقف هيرابوليس في آسيا، نبغ بين ١١٠ و ١١٦ م واجتمع ببوليكاربوس، وربما اجتمع بيوحنا الرسول)

فهل يتجاهل هؤلاء القساوسة والدكاترة حقيقة هذا الرجل، أم هي مصيبة النقل بدون تمحيص وتحقيق للأقوال؟ ؟ ؟! فإن هذا " النابغة " الذي يتكلم عنه القساوسة وأساتذة اللاهوت الدفاعي، هو إنسان عديم الإدراك وحتى لا أخوض أكثر في وصف هذا البابياس سأكتفي بما ذكره أبو التأريخ الكنسي يوسابيوس القيصري فيقول ما نصه: (ويدون نفس الكاتب روايات أخرى يقول أنها وصلته من التقليد غير المكتوب وأمثالًا وتعاليم غريبة للمخلص، وأمور أخرى خرافية).

ويستمر أبو التأريخ الكنسي الذي يعرف عن الرجل أكثر مني وأكثر من ناعسي القساوسة والدكاترة إذ يقول عنه: (إذ يبدو أنه كان محدود الإدراك جدًا كما يتبين من أبحاثه. وإليه يرجع السبب في أن الكثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذي عاش فيه، كإيريناوس مثلًا وغيره ممن نادوا بآراء مماثلة).

رابعًا: أكلمندس الروماني بعد سنة ٩٦

قال عنه الدكتور القس منيس عبد النور " أكليمندس: أسقف روما وعمل مع الرسول بولس (فيلبي(٣ :٤)وكتب رسالة إلى كنيسة كورنثوس استشهد فيها بكثير من أقوال المسيح الواردة في الإنجيل، ومن رسائل الرسل. [1]"

ولو أن الدكتور القس وغيره من عشرات القساوسة الذين يرددون نفس الكلام قد كلّفوا أنفسهم عناء قراءة هذه الرسالة لعلموا أن أكلمندس الروماني كان يقتبس كلامًا على أنه من الكتب المقدسة ولا نجد له أي أثر في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا الآن، على سبيل المثال لا الحصر يقول:

(فخليق بنا أيها الأخوة إذن أن نلتصق بهذه الأمثلة، لأنه مكتوب: التصقوا بالقديسين لأن الذين يلتصقون بهم يصيرون قديسين[2]"، ويعلق الدكتور وليم سليمان قلادة على هذا النص في الهامش قائلًا: "غير موجودة في الكتاب المقدس"

أفتونا هداكم الله هل ينطبق على القديس أكلمندس الروماني نص الكتاب في رؤية يوحنا اللاهوتي: " ١٨لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ الله عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ. ") رؤية(١٨ :٢٢

خامسًا: المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري ٣٣٩-٢٦٤

يقول عنه القس عبد المسيح بسيط أبو الخير (أسقف قيصرية وأحد أعضاء مجمع نيقية الذي أنعقد سنة ٣٢٥م. وترجع أهمية كتاباته لكونه أقدم المؤرخين المسيحيين، وهو نفسه

(١) شبهات وهمية ص٢٦.

(٢) رسالة اكلمندس الروماني إلى الكورنثيين ـ ٤٦: ٢.

يعتبر حجة في تاريخ الكنيسة في عصورها الأولى وكان واسع الإطلاع في كتب الآباء والتي كان لديه منها الكثير جدًا واستقى معلوماته منها. (١)

ولكن الذي لم ينقله لنا القس هو وغيره من القائلين بعدم تحريف الكتاب المقدس هو أن يوسابيوس القيصري لم يكن يؤمن بأن رسالة بطرس الثانية سفر إلهي وأنه لم يكن يعتقد أن بطرس هو كاتب الرسالة الثانية المنسوبة له وإليكم نص كلام يوسابيوس (على أننا علمنا بأن رسالته الثانية الموجودة بين أيدينا الأن ليست ضمن الأسفار القانونية ولكنها مع ذلك اتضحت نافعة للكثيرين فقد استعملت مع باقي الأسفار).

ألا فليعلم الحاضر الغائب أن حجة التأريخ الكنسي الذي كان واسع الإطلاع على كتب الآباء واستقى منها معلوماته يشهد بتحريف رسالة بطرس الثانية ويكفي أن نعلم خطورة تحريف رسالة مثل رسالة بطرس الثانة على العقيدة حيث أنها تعلم ببدعة الحلول وبدعة تأليه الإنسان أقرأوا إن شئتم ما جاء في الرسالة:

(اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينه لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة)). " ٢ بط٤

والعجيب أن القوم يستشهدون بكلام يوسابيوس القيصري مع إجماعهم على هرطقته كما جاء في المقدمة التي وضعها القمص مرقس داود لكتاب تاريخ الكنيسة(٢). "

سادسًا: هرماس (القرن الأول)

يقول عنه الدكتور القس منيس عبد النور) كان معاصرًا لبولس الرسول وذكر اسمه في رومية ١٤: ١٦ كتب ثلاثة مجلدات في أواخر القرن الأول استشهد فيها بكثير من كتب العهد الجديد وكانت له منزلة كبرى عند القدماء. (٣))

فأي تخبط هذا في كتابات هؤلاء القوم وكيف سمحت لهم أهواؤهم بالإستشهاد

---

(١) الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ١٤٤.

(٢) تاريخ الكنيسة ـ يوسابيوس القيصري ـ مكتبة المحبة ـ ص ٥ ـ تعرييب القمص مرقس داود.

(٣) شبهات وهمية ص٢٦.

بكاتب مثل هرماس وهو رجل في مفهوم كل الكنائس سواء بروتستانتيه أو أرثوذكسية أو كاثوليكية غير مستقيم الإيمان فهو يؤمن بأن الروح القدس هو ابن الله ويدّعي كذبًا في المثل التاسع أن ملاك التوبة قال:

(أريد أن أريك كل ما أظهره لك الروح القدس الذي خاطبك باسم الكنيسة، هذا الروح هو ابن الله. .)[١] كتاب الراعي ٩: ١: ١" ويكفي أن نعلم أن العلامة ترتليان اعتبره يحبذ الزناة[٢]" ، والذي لم يذكره الدكاترة هو أن كاتب كتاب الراعي كان يقتبس من الكتب المنحولة والكتب الوثنية ثم أنه لم يصرح أنه يقتبس من إنجيل كذا أو رسالة كذا خاصة أنه لم يوردها بحرفيتها وإليكم شهادة من أحد رهبان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية يقول (والكاتب بسيط الأسلوب، سهل اللغة، سطحي الثقافة، كثير الاستطراد، إلا أنه مطّلع على آيات الكتاب المقدس دون أن يوردها بحرفيتها، يستقي مادته من الكتب المنحولة والكتب المسيحية والوثنية على حد سواء، [٣]

سابعًا: ترتليان (١٤٥-٢٢٠)

يقول القس عبد المسيح بسيط: (العلامة ترتليان، من قرطاجنه بشمال أفريقيا والذي قال عنه القديس جيروم أنه يعتبر رائد للكتبة اللاتين عن صحة ووحي الأناجيل الأربعة (إن كتاب العهد الإنجيلي هم الرسل الذين عينهم الرب نفسه لنشر الإنجيل إلى جانب الرجال الرسوليين الذين ظهروا مع الرسل وبعد الرسل. يوحنا ومتى اللذان غرسا الإيمان داخلنا، ومن الرسوليين لوقا ومرقس اللذان جدداه لنا بعد ذلك " كما اقتبس من كل أسفار العهد الجديد واستشهد بأكثر من ٧٠٠٠ اقتباس[٤]" وبنفس الرجل يستشهد القس منيس عبد النور

---

(١) المدخل في علم الباترولوجي القمص تادرس يعقوب ملطي ١٧٢.

(٢) المدخل في علم الباترولوجي القمص تادرس يعقوب ملطي ١٥٠.

(٣) الديداخي أي تعليم الرسل - ص ٥٨.

(٤) الوحي الإلهي واستحالة تحريف الكتاب المقدس - ١٠٨.

في كتابه(١) ولكن يبدو أن القساوسة نسوا أو تناسوا أن ترتليان رائد الكُتَّاب اللاتين كان يؤمن بأن رسالة برنابا هي سفر إلهي وأنها من أسفار الكتاب المقدس ونسي القساوسة البروتستانت أن ترتليان كان يؤمن بقانونية سفر باروخ الذي يعتقدون هم أنه سفر مزيف.

ثامنًا: **هيبوليتس** (**حوالي ٢٣٥**)

يقول القس عبد المسيح بسيط أبو الخير (كان هيبوليتوس كاهنًا بروما وقد اقتبس واستشهد بأسفار العهد الجديد أكثر من ١٣٠٠ مرة وأشار إلى قراءتها في الاجتماعات العبادية العامة كما أشار إلى قداستها ووحيها وكونها كلمة الله. (٢)

والذي جهله القس أو تجاهله هو أن هيبوليتوس لم يكن يعترف بالرسالة إلى العبرانيين ولم يكن يعترف برسالة يعقوب ولا برسالة بطرس الثانية ولا رسالة يوحنا الثالثة ولا رسالة يهوذا وهذا الكلام يشهد به رهبان الكنيسة الأرثوذكسية نفسها التي ينتمي إليها القس فيقول رهبان دير الأنبا مقار (كان معاصرًا لأوريجانوس في روما رجل اسمه هيبوليتس تلميذ إيرينيئوس، الذي قبل مثل معلمه اثنين وعشرين سفرًا فقط للعهد الجديد، إذ لم يعترف بالرسالة إلى العبرانيين لأن كاتبها غير معروف، ولم يقبل سوى ثلاث رسائل جامعة وهي: بطرس الأولى ويوحنا الأولى والثانية. إلا أنه أقر باستخدامه لكتابات مسيحيه أخرى كان يعتبرها البعض الآخر قانونية، منها الرسالة إلى العبرانيين ورسائل بطرس الثانية ويعقوب ويهوذا وكتاب الراعي لهرماس(٣).

بل أكثر من ذلك فإن هيبوليتس كان يقتبس ويستشهد بسفر " أعمال بولس "الذي تعتبره الكنيسة الآن سفر مزيف فتقول دائرة المعارف الكتابية (أما في الغرب حيث كان ينظر بعين الريبة لأوريجانوس، فيبدو أنهم رفضوا أعمال بولس. ولا يرد لها ذكر إلا في كتابات هيبوليتس صديق أوريجانوس وهو لا يذكرها بالاسم ولكنه يستشهد بصراع بولس مع الوحش كدليل على صدق قصة دانيال في جب الأسود).

---

(١) شبهات وهميه ٢٧.

(٢) الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ـ ص ١٤٣.

(٣) الكتاب المقدس النصوص الأصلية ـ كيف وصلت إلينا ـ دار مجلة مرقس ـ ص ٧٥.

الفصل الرابع: تناقضات الكتاب المقدس.

تمهيد:

التناسق الداخلي شرط لا يختلف العقلاء على لزوم اشتراطه في توثيق نسبة أي كتاب إلى الله ﷻ، فالكتاب الذي يكذِّب بعضه بعضًا، لا يمكن اعتباره كتابًا مقدسًا، كما لا يمكن اعتبار بقيته مقدسًا، إذ وجود الكذب في بعضه يطرح الشك في مصدره الكاذب ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: ٨٢).

ولوجود التناقضات في الكتاب المقدس دلالات كثيرة أهمها: أنه يثبت أن هذه الأسفار بشرية في مصدرها، فقد وقع كُتّابها فيما يقع فيه البشر الضعفاء الذين يتوقع منهم الجهل، ولو كانت هذه الأسفار ملهمة من قبل الله لما خالف كُتابها بعضَهم فيما أوردوه من معلومات تاريخية وغيرها.

ووقوع الخطأ من أحد المتناقضين من كُتَّاب التوراة في قضايا بسيطة يسهل حفظها والتمكن منها يشير إلى إمكانية بل تحقق وقوع مثله في المسائل اللاهوتية والغيبية التي تحتاج إلى مزيد من العناية والتدقيق.

وهذه التناقضات التي نسوقها، معظمها توصلنا إليه من خلال دراسة أجزاء تم إعادة كتابتها ثانية من قبل كتاب الأسفار، ولو كتبت بقية الأجزاء ثانية لوقفنا على تناقضات تطال كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الذي يدعي البعض أنه مقدس. (١)

أولًا: في العهد القديم

أنواع التناقضات الواردة في العهد القديم

التناقضات التوراتية كثيرة، ومنها ما هو متعلق بأصول المعتقد، ومنها ما هو متعلق بصفات الله عز وجل، فالأسفار التوراتية تصف الله بالصفة ونقيضها.

أولًا: المتعلق بصفات الله ﷻ

١- وتحدثنا التوراة عن الله العظيم العليم، فتذكر أنه ليس كمثل البشر وضعفهم، فهو لا يندم ولا يكذب، فتقول: "١٩لَيْسَ الله إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ

(١) هل العهد القديم كلمة الله؟ (١٣٣).

يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ " (العدد ٢٣/ ١٩)، فالندم صفة الإنسان الجهول بعواقب الأمور "[٢٩]وَأَيضًا نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ، لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ». " (صموئيل (١) ١٥/ ٢٩).

ولكن التوراة تناقض ذلك فتنسب إلى الله الندم على أمور صنعها، ومن ذلك ندمه على اختيار شاول لملك بني إسرائيل، حيث يقول: " [١٠]وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلًا: [١١]«نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». " (صموئيل (١) ١٥/ ١٠)، فهل الله يندم أم لا؟.

٣- وتذكر التوراة أن الله لا يرى " [١٥]حَقًّا أَنْتَ إِلهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ. " (إشعيا ٤٥/ ١٥)، والإنسان لا يقدر على رؤيته، فقد قال الله لموسى: " [٢٠]وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ». " (الخروج ٣٣/ ٢٠).

لكن الأسفار التوراتية تذكر كثيرين رأوا الله، منهم شيوخ بني إسرائيل "[٩]ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، [١٠]وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ" (الخروج ٢٤/ ٩)، ومنهم يعقوب فقد رآه حين صارعه " [٣٠]فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلًا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». " (التكوين ٣٢/ ٣٠).

وقد يزعم البعض أن الذين رأوا الله رأوه حال تجسده، ولم يروه على هيئته وفي صورة مجده، ويرون أن المنفي رؤيته هو الله في مجده، وهذا التفريق لا دليل عليه، وتدحضه النصوص التي تحدثت عن أناس رأوا الله في صورة مجده.

منهم إشعيا حيث يقول: "[١]فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. [٢]السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. . . [٥]فَقُلْتُ: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ». [٦]فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، [٧]وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: «إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ». " (إشعيا

٦/ ١-٧)، فقد رأى الله على عرشه وحوله الملائكة، وخاف على نفسه الموت، لأنه رأى الله الذي توعدت النصوص من يراه بالموت.

٤- ومن تناقضات التوراة ترددها في وصف الله بالقدرة التامة تارة، وبالعجز تارة أخرى، فقد وصفه سفر طوبيا بوصف حق حين قال: "لا إله قادر على كل شيء سواه" (طوبيا ١٣/ ٤).

وهذا المعتقد الصحيح تنقضه التوراة في مواطن كثيرة، نسبت إلى الله العجز كما في غلبة يعقوب عليه في المصارعة (انظر: التكوين ٣٢/ ٢٤ - ٣٢)، كما عجز عن طرد الكنعانيين الذين كانوا يمتلكون مركبات حديدية، إذ تقول الأسفار: " ١٩وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا فَمَلَكَ الْجَبَلَ، وَلكِنْ لَمْ يُطْرَدْ سُكَّانُ الْوَادِي لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتِ حَدِيدٍ. " (القضاة ١/ ١٩).

٥- وتتحدث التوراة عن رحمة الله وحلمه، فتقول: " ٨اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. " (المزمور ١٤٥/ ٨)، ثم تنقضه حين تذكر ما حصل مع أهل بيت شمس الذين رأوا التابوت فقتلهم جميعًا، وكانوا أكثر من خمسين ألف رجل " ١٩وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُل وَسَبْعِينَ رَجُلًا. " (صموئيل (١) ٦/ ١٩) فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة؟ مع أن " ٨اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. "!

٦- وأيضًا تصف التوراة بصر الله ومعرفته بما يصنعه عباده، فتقول: " ٣فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ. " (الأمثال ١٥/ ٣)، وتقول: " الرَّبَّ إِلهٌ عَلِيمٌ" (صموئيل (١) ٢/ ٣).

ولكن في سفر التكوين تنقضه، فتجعله جاهلًا ببعض صنائع عباده، إذ لما اختبأ آدم في الجنة بحث عنه الإله " ٩فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟ ». " (التكوين ٣/ ٩)، ثم لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة وصار عارفًا للخير من الشر، وأنه قد أدرك سوءة العري، فقال له: " ١١فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟ »" (التكوين ٣/ ١١).

وكذا لما بدأ أهل بابل ببناء مدينتهم وبرجهم، أراد الرب – تعالى عن ذلك – أن يعرف ماذا يصنعون " ٥فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. ٦وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. " (التكوين ١١/ ٥-٦)، فكأنه خشي من اجتماع بني آدم وما يمكن أن ينتج عنه، فقال: " ٧هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». " (التكوين ١١/ ٧).

ثانيًا: التناقض في أصل المعتقد

١- تناقض الأسفار في مسألة وراثة الذنب، ففي سفر الخروج ذكر أن الرب ". مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ». " (الخروج ٣٤/ ٧) فالأبناء يعاقبون بجريرة آبائهم. وفي سفر حزقيال كذب ذلك فقال: "٢٠اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. " (حزقيال ١٨/ ٢٠).

٢- وفي سفر حزقيال ينعي الرب على بني إسرائيل أنهم تركوا شريعتهم وعملوا بشرائع الأمم المجاورة، فيقول: " ١٢فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَمْ تَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِهِ، وَلَمْ تَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ، بَلْ عَمِلْتُمْ حَسَبَ أَحْكَامِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ». " (حزقيال ١١/ ١٢)، ولكنه ينقضه السفر نفسه، حين يذكر أنهم لم يعملوا بشرائع الله ولا بشرائع الأمم الذين حولهم، فيقول: "٧لأَجْلِ ذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ ضَجَجْتُمْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ، وَلَمْ تَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي، وَلَمْ تَعْمَلُوا حَسَبَ أَحْكَامِي، وَلاَ عَمِلْتُمْ حَسَبَ أَحْكَامِ الأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ " (حزقيال ٥/ ٧)، فهل عملوا وفق أحكام الأمم المجاورة أم لم يعملوا؟

ثالثًا: التناقض في الأخبار

١- ومن التناقضات الغريبة ما ورد في آخر سفر صموئيل الأول وأول سفر صموئيل الثاني، حيث يتحدث السفران عن نهايتين مختلفتين للملك شاول، فيقول السفر الأول بموته منتحرًا بسيفه، فقد جاء فيه: "٤فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ: «اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاطْعَنِّي بِهِ لِئَلاَّ يَأْتِيَ هؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيُقَبِّحُونِي». فَلَمْ يَشَأْ حَامِلُ سِلاَحِهِ لأَنَّهُ خَافَ جِدًّا. فَأَخَذَ شَاوُلُ

السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ. ٥فَلَمَّا رَأَى حَامِلُ سِلاَحِهِ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ شَاوُلُ، سَقَطَ هُوَ أيضًا عَلَى السَّيْفِ وَمَاتَ. " (صموئيل (١)٣١/ ٤-٥).

ولكن لو ألقى القارئ ببصره إلى الصفحة التالية فإنه واجد أن شاول مات بيد رجل من العماليق وأن داود قتله انتقامًا لشاول مسيح الرب، حيث يقول السفر الثاني: " ٦فَقَالَ الْغُلاَمُ الَّذِي أَخْبَرَهُ: «اتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ وَإِذَا شَاوُلُ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ، وَإِذَا بِالْمَرْكَبَاتِ وَالْفُرْسَانِ يَشُدُّونَ وَرَاءَهُ. ٧فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَآنِي وَدَعَانِي فَقُلْتُ: هأَنَذَا. ٨فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: عَمَالِيقِيٌّ أَنَا. ٩فَقَالَ لِي: قِفْ عَلَيَّ وَاقْتُلْنِي لأَنَّهُ قَدِ اعْتَرَانِيَ الدُّوَارُ، لأَنَّ كُلَّ نَفْسِي بَعْدُ فِيَّ. ١٠فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لاَ يَعِيشُ بَعْدَ سُقُوطِهِ، وَأَخَذْتُ الإِكْلِيلَ الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ وَالسِّوارَ الَّذِي عَلَى ذِرَاعِهِ وَأَتَيْتُ بِهِمَا إِلَى سَيِّدِي ههُنَا». " (صموئيل (٢) ١/ ٦-١٠)، فهل قتل شاول نفسه أم قتله الرجل العماليقي؟ وما سبب ورود الطريقتين معًا في الكتاب؟

يجيب محققو الرهبانية اليسوعية: "تقليد آخر في موت شاول.. وهي مزيج من عناصر مختلفة".

٢- وأيًا كانت طريقة موت شاول فإن الله قتله نتيجة لأخطائه، والتي منها أنه لجأ إلى العرّافة ولم يسأل الله "١٣فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأيضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ، ١٤وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى. " (الأيام (١) ١٠/ ١٣).

لكن سفر صموئيل يبرئ ساحة شاول من أحد هذه الآثام، فقد سأل الله قبل أن يلجأ للعرافة يقول السفر: " ٦فَسَأَلَ شَاوُلُ مِنَ الرَّبِّ، فَلَمْ يُجِبْهُ الرَّبُّ لاَ بِالأَحْلاَمِ وَلاَ بِالأُورِيمِ وَلاَ بِالأَنْبِيَاءِ. ٧فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ: «فَتِّشُوا لِي عَلَى امْرَأَةٍ صَاحِبَةِ جَانٍّ، فَأَذْهَبَ إِلَيْهَا وَأَسْأَلَهَا». فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «هُوَذَا امْرَأَةٌ صَاحِبَةُ جَانٍّ فِي عَيْنِ دُورٍ». " (صموئيل (١) ٢٨/ ٦-٧)، فأي السفرين يصدق القارئ الكريم؟ هل سأل شاول الله أم لم يسأله قبل ان يسأل العرافة؟

٣- ورد في سفر الأمثال، إذ يوصي في فقرة واحدة بوصيتين متناقضتين، في أولاهما يدعو

لعدم مقابلة الجاهل حسب حماقته، ثم يعود ليدعو إلى مقابلة الجاهل حسب حماقته، ليترك للقارئ دهشًا لا يدري بأي الوصيتين يعمل، يقول السفر: " ٤لاَ تُجَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ تَعْدِلَهُ أَنْتَ. ٥جَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ يَكُونَ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ. " (الأمثال ٢٦/ ٤-٥)، فكيف يقابل أولئك الذين يهتدون بهدي الكتاب حماقة الجاهل؟.

٤- ومن التناقضات التي وقع فيها كُتَّاب التوراة أنه جاء في سفر الملوك أن الله وعد داود فقال: " وَيَكُونُ لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ وَبَيْتِهِ وَكُرْسِيِّهِ سَلاَمٌ إِلَى الأَبَدِ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». " (الملوك (١) ٢/ ٣٣).

لكن في سفر صموئيل ما ينقض ذلك تمامًا، فقد قال له الله: " ١٠وَالآنَ لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. " (صموئيل (٢) ١٢/ ١٠)، فهل وُعِد بالسيف الأبدي أم بالسلام الأبدي، فالسيف والسلام ضدان لا يجتمعان.

رابعًا: التناقض التاريخي

ومن تناقضات العهد القديم التناقض في وصف أشياء محسوسة محددة، أو أخبار تاريخية معينة ذكرت في أكثر من موضع في أسفار التوراة، ولم يتنبه الكتبة الملهمون إلى تناقضهم مع نصوص سابقة:

١- ومنه أنه جاء في سفر الأيام وصف دقيق للمذبح النحاسي الذي صنعه سليمان، ومما جاء في وصفه أنه " وَيَسَعُ ثَلاَثَةَ آلاَفِ بَثٍّ. " (الأيام (٢) ٤/ ٥).

وكان سفر الملوك قد أورد وصفًا دقيقًا للمذبح يتطابق مع ما جاء في سفر الأيام غير أن سعة المذبح تختلف بنسبة ٣٣٪ إذ جاء فيه ". يَسَعُ أَلْفَيْ بَثٍّ. " (الملوك (١) ٧/ ٢٦). فهل نسي الروح القدس ما كان أملاه أم ماذا سبب هذا التفاوت بين الرقمين؟

٢- ويذكر سفر الملوك أن لسليمان أربعين ألف إصطبل لخيوله، فيقول: " ٢٦وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ. " (الملوك (١) ٤/ ٢٦).

وهذا الرقم كبير جدًا، خاصة مع صغر أورشليم زمن سليمان عليه السلام، وهو على

كل حال مناقض لما جاء في سفر الأيام، وفيه " ٢٥وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعَةُ آلاَفِ مِذْوَدِ خَيْل وَمَرْكَبَاتٍ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ" (الأيام (٢) ٩/ ٢٥).

ويحاول القس استانلي شوبرج كبير قساوسة السويد إزالة هذا التناقض في مناظرته مع العلامة ديدات، فيقول في محاولة يائسة منه تدعو للضحك: " إن هذا يبرهن على بركة الله، في البداية كان عند سليمان أربعة آلاف مذود، زادت إلى أربعين ألف مذود بانتهاء العام ". (١)

٣- وتتحدث الأسفار عن غنائم داود التي غنمها من ملك صوبة، فيقول سفر صموئيل: " ٣وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزَرَ بْنَ رَحُوبَ مَلِكَ صُوبَةَ حِينَ ذَهَبَ لِيَرُدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ. ٤فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِل. وَعَرْقَبَ دَاوُدُ جَمِيعَ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ. " (صموئيل (٢) ٨/ ٣-٤)، فقد أخذ منه ١٧٠٠ فارس، سوى ما أخذه من راجلته.

وهذه الأرقام لا تتفق مع الأرقام التي ذكرها سفر الأيام، حين جعل الفرسان المأسورين ٧٠٠٠ فارس، عدا ما أخذه من راجلته، فقال: "٣وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَرَ عَزَرَ مَلِكَ صُوبَةَ فِي حَمَاةَ حِينَ ذَهَبَ لِيُقِيمَ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ، ٤وَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفَ مَرْكَبَةٍ وَسَبْعَةَ آلاَفِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِل، وَعَرْقَبَ دَاوُدُ كُلَّ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ. " (الأيام (١) ١٨/ ٣-٤).

٤- ويقص سفر صموئيل عن حرب أرام مع بني إسرائيل، فيقول: " وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ سَبْعَ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ " (صموئيل (٢) ١٠/ ١٨).

ثم أعادت الأسفار ذكر حرب إسرائيل مع أرام فقال كاتب سفر الأيام: "١٨وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ، وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ سَبْعَةَ آلاَفِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ رَاجِل " (الأيام (١) ١٩/ ١٨).

وبين السفرين تناقض واضح في نقطتين:

---

(١) انظر: مناظرتان في استكهولم، أحمد ديدات، ص (٦٠).

الأولى: كم عدد المراكب التي قتلها جيش إسرائيل هل ٧٠٠ أم ٧٠٠٠، ولم يوضح لنا السفر كيف تقتل المراكب؟ ولعله أراد من فيها.

الثانية: هل كان القتلى من الفرسان أم المشاة؟ فكيف لم يفرق الملهم بين الفرسان والمشاة؟

٥-ومثله وقع الخطأ في عمر يهوياكين الذي ملك بني إسرائيل، فقد جاء في سفر الملوك " [٨]كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ " (الملوك (٢) ٢٤/ ٨).

وفي سفر الأيام ما ينقضه ولا سبيل إلى الجمع، إذ يقول: "[٩]كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ. " (الأيام (٢) ٣٦/ ٩).

٦- ويذكر سفر صموئيل أنه " [٢٧]وَوُلِدَ لأَبْشَالُومَ ثَلاَثَةُ بَنِينَ وَبِنْتٌ وَاحِدَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ. " (صموئيل (٢) ١٤/ ٢٧).

وفي سفر الملوك يذكر ابنة أخرى غير ثامار الوحيدة، فيقول: " مَعْكَةُ ابْنَةُ أَبْشَالُومَ. " (الملوك (١) ١٥/ ٢) فكيف زعم سفر صموئيل أنها وحيدة؟.

٧- ويتحدث سفر صموئيل عن ميكال بنت شاول فيقول: "[٢٣]وَلَمْ يَكُنْ لِمِيكَالَ بِنْتِ شَاوُلَ وَلَدٌ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا. " (صموئيل (٢) ٦/ ٢٣)، ولكنه في السفر نفسه يذكر أن لها ذرية، وأن لهم خمسة من الأبناء من زوجها عدرئيل المحولي، فيقول: " وَبَنِي مِيكَالَ ابْنَةِ شَاوُلَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ لِعَدْرِئِيلَ بْنِ بَرْزِلاَّيَ الْمَحُولِيِّ " (صموئيل (٢) ٢١/ ٨).

والحق أن ليس ثمة تناقض هنا، بل خطأ وقع فيه كاتب صموئيل الذي لم يميز بين ميكال وأختها ميرب التي تزوجت عدرئيل المحولي، فقد جاء في سفر صموئيل " [١٩]وَكَانَ فِي وَقْتِ إِعْطَاءِ مَيْرَبَ ابْنَةِ شَاوُلَ لِدَاوُدَ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ لِعَدْرِيئِيلَ الْمَحُولِيِّ امْرَأَةً. " (صموئيل (١) ١٨/ ١٩)، ثم حكى السفر قصة زواج داود من أختها ميكال.

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ، وردوه إلى خطأ بعض المخطوطات القديمة، وقد أبدلت نسخة الكتاب المقدس المسماة "الكتاب المقدس الأمريكي

الجديد" الصادرة عام ١٩٧٣م، أبدلت ميكال بميراب، لتصحح هذا الخطأ الكبير الذي مازال شامخًا في جميع الترجمات العالمية، ليدلل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله.

٨- ومما تناقض فيه كتاب التوراة عدد وكلاء سليمان المسلطين على الشعب، فزعم سفر الملوك أنهم ٥٥٠ وكيلًا، في حين ذكر سفر الأيام أنهم ٢٥٠ وكيلًا فقط، يقول سفر الملوك: " ٢٣هؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الْمُوَكَّلِينَ عَلَى أَعْمَالِ سُلَيْمَانَ خَمْسُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ. . . . " (الملوك (١) ٩/ ٢٣).

في حين أن سفر الأيام يخالفه، فيقول في نفس السياق: "١٠وَهؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الْمُوَكَّلِينَ الَّذِينَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ، مِئَتَانِ وَخَمْسُونَ الْمُتَسَلِّطُونَ عَلَى الشَّعْبِ. . . . " (الأيام (٢) ٨/ ١٠).

٩- ومن عجيب تناقضات الكتاب وقوعها في صفحة واحدة، يكذب آخرُها أولَها، ليترك القارئ في دهشة وحيرة مما يقرأ، إذ يخبرنا سفر الملوك عن مدة حكم الملك السامري يهوآحاز بن ياهو، وأنه قد ملك مدة سبع عشرة سنة، بدأت في السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك اليهوذي يوآش "١فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ لِيُوآشَ بْنِ أَخَزْيَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ يَهُوأَحَازُ بْنُ يَاهُو عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً. " (الملوك (٢) ١٣/ ١)، ولو سألتُ القارئ في أي سنة من سني الملك يوآش مات يهوآحاز؟ فإنه سيجيب بأنها السنة الأربعين من حكم يوآش.

ولن أسهب في شكره على توصله إلى الجواب بسرعة، إذ لا صعوبة البتة في أن ندرك مهما اختلفت ثقافاتنا وقدراتنا الرياضية أن ٢٣ + ١٧ = ٤٠

لكن هذه النتيجة على بساطتها لم يتوصل إليها الكاتب المجهول لسفر الملوك، إذ يقول في نفس الإصحاح وهو يحدثنا عن موت يهوآحاز وتولي ابنه يهوآش: " ١٠فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِيُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ يَهُوآشُ بْنُ يَهُوأَحَازَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً. " (الملوك (٢) ١٣/ ١٠)، فهل كان موت يهوآحاز في السنة الأربعين من حكم يهوآش - كما توصل القارئ الكريم - أم في السنة السابعة والثلاثين منه؟ إني أختبئ الكثير من الشكر والتقدير لذلك العبقري الذي سيخبرني أي القولين كان الحق الذي أوحى به الله العليم؟

أنواع التناقضات الواردة في العهد الجديد:

أولًا: تناقضات الإنجيليين في رواياتهم بعض الأحداث

١ـ نسب المسيح:

لعل أهم وأصرح تناقضات العهد الجديد تناقض متى ولوقا في نسب يوسف النجار، فقد اختلفا اختلافًا لا يمكن الجمع فيه، كما تناقض لوقا ومتى مع ما جاء في سفر الأيام الأول، وهو يتحدث عن بعض ملوك إسرائيل الذين جعلهم متى من أجداد المسيح.

يقول متى: " ١كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ: ٢إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. ٣وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. ٤وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. ٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. ٦وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. ٧وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. ٨وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. ٩وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. ١٠وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. ١١وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. ١٢وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. ١٣وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. ١٤وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. ١٥وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. ١٦وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. ١٧فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا. " (متى ١/ ١ – ١٧).

لكن لوقا يورد نسبًا آخر للمسيح يختلف تمام الاختلاف عما جاء في متى يقول لوقا: " ٢٣وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، ٢٤بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، ٢٥بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ

حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، [٢٦]بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، [٢٧]بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، [٢٨]بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، [٢٩]بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، [٣٠]بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، [٣١]بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، [٣٢]بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، [٣٣]بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، [٣٤]بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، [٣٥]بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، [٣٦]بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، [٣٧]بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، [٣٨]بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ"(لوقا ٣/ ٢٣ - ٣٨).

توقف المحققون مليًا عند التناقض في نسب المسيح، وقد استوقفتهم ملاحظات منها:

١- أن متى ولوقا اتفقا في ابتداء النسب بيوسف النجار، ثم افترقا ليلتقيا من جديد بزربابل بن شألتئيل، حيث جعله متى الجد العاشر ليوسف النجار، فيما جعله لوقا الجد التاسع عشر ليوسف.

ثم اختلف الإنجيليان من جديد اختلافًا كبيرًا، فقد جعل متى المسيح من ذرية ملوك بني إسرائيل سليمان ثم رحبعام ثم أبيا ثم آسا ثم يهوشافاط. . . . ، بينما يجعله لوقا من نسل ناثان بن داود، وليس في أبنائه من ملك على بني اسرائيل.

٢- ولا يعقل أن يكون المسيح من ذرية أخوين، أي سليمان وناثان ابنا داود عليه السلام، كما لا يعقل أيضًا ذات الأمر بخصوص زربابل وأبوه شألتئيل، فإما أن يكونوا (المسيح وزربابل وشألتئيل) من نسل سليمان أو من ذرية أخيه ناثان.

٣- وأيضًا بلغ الاختلاف بين القوائم الثلاث مدى يستحيل الجمع فيه على صورة من الصور، فالاختلاف في أعداد الأجيال كما الأسماء، وثمة خلل في الأنساب وإسقاط لعدد من الآباء.

٤- وقد حرص متى على تقسيم سلسلة الأنساب التي ذكرها إلى ثلاثة مجموعات في كل منها أربعة عشر أبًا فيقول: " [١٧]فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى

سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا. " (متى ١/ ١٧).

لكن متى لم يوف بالأرقام التي ذكرها، إذ لم يذكر بين المسيح والسبي سوى اثني عشر أبًا. وقد تصرف متى في المجموعة الثانية، فأسقط عددًا من الأسماء ليحافظ على الرقم ١٤، فأسقط ما بين يورام وعزيا ثلاثة آباء، هم أخزيا بن يورام وابنه يواشي وابنه أمصيا والد عزيا. (١)

والسؤال كيف يجمع علماء الكتاب المقدس بين تناقضات أنساب المسيح؟

قال بعضهم: " لا يراد من هذا شجرة نسب كامل. . . أسماء قد سقطت من بعض الإنجيليين، وهذا للتوضيح الموصل إلى الرغبة بإثبات سلالة مؤسسة على الصحة التاريخية في خطوطها العريضة أو عناصرها الأساسية ".

ولكن بوكاي لا يرى هذا التبرير مقبولًا، لأن النصوص لا تسمح بمثل هذا الافتراض، إذ أن نص التوراة الذي اعتمد عليه الإنجيليون يقول: فلان في عمر كذا أنجب كذا، ثم عاش كذا من السنين، وهكذا فليس ثمة انقطاع.

ويقول صاحب كتاب " شمس البر ": "معرفتنا بطريقة تأليف جداول النسب في تلك الأيام قاصرة جدًا "، ويعلق بوكاي: " لاشك أن نسب المسيح في الأناجيل قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى". (٢)

لكن النتيجة الخطيرة والمهمة المترتبة على وجود هذا التناقض هي: أن إنجيل متى لم يكن معروفًا للوقا مع أنه قد سبقه بنحو عشرين سنة، ولو كان لوقا يعرفه، أو يعتبره إنجيلًا مقدسًا لراجعه ولما خالفه، فدل ذلك على عدم وجود إنجيل متى يومذاك، أو إسقاط الاعتبار له. (٣)

ثم ماذا عن يوحنا ومرقس لم أهملا نسب المسيح، فلم يذكراه؟ هل يرجع ذلك لشكهما في صحة متى ولوقا أم خوفًا من سخرية اليهود أم. . . . . ؟. (٤)

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (٧٨ - ٨٣)، إظهار الحق (١/ ١٨٧ - ١٩٠)

(٢) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص (١١٩ - ١٢٠).

(٣) محاضرات في النصرانية (٩٥).

(٤) هل العهد الجديد كلمة الله؟ (١٦٤ - ١٦٩).

٢ـ أسماء التلاميذ الاثني عشر

ومن التناقضات بين الأناجيل أيضًا اختلاف الأناجيل في أسماء التلاميذ الاثني عشر، إذ يقدم العهد الجديد أربع قوائم للتلاميذ الاثني عشر تختلف كل واحدة عن الأخرى، وبيانه:

أن أسماء التلاميذ ذكرها متى في إنجيله (١٠/ ١ - ٤)، ومرقس أيضًا (انظر ٣/ ١٦)، وذكرها لوقا في إنجيله في (٦/ ١٤) ثم في أعمال (١/ ١٣).

وتتشابه القوائم الأربعة في عشرة أسماء وهي سمعان بطرس، وأخوه اندرواس، ويعقوب ابن زبدي، وأخوه يوحنا، وفيلبس، وبرثو لماوس، وتوما، ومتى، ويعقوب بن حلفي، وسمعان القانوي أو الغيور.

ويتفق متى ومرقس ولوقا على ذكر يهوذا الأسخريوطي، فيما أهمل في أعمال الرسل، وهو ما يمكن أن نعتبره توافقًا، إذ قد أهمل ذكر التلميذ الخائن.

وأما الاسم المكمل للإثني عشر، فيذكر متى ومرقس اسم لباوس الملقب: تداوس، فيما يذكر لوقا في إنجيله وأعمال الرسل يهوذا بن حلفي.

ولا يمكن أن يكون لهذا التلميذ هذه الأسماء الثلاثة، لأنه كما في تعليق الآباء اليسوعيين على (متى ١٠/ ٣): "يستبعد أن تكون هذه الأسماء المختلفة قد أطلقت على شخص واحد، لأن هذه الأسماء الثلاثة هي سامية كلها، حين كان لشخص واحد اسمان في ذلك الزمان؛ كان أحدهما يهوديًا، والآخر يونانيًا أو رومانيًا. إن التقليد الذي حافظ بثبات على عدد الرسل الاثني عشر لم يتردد إلا على اسم واحد منهم".

وإذا كانت الأناجيل تختلف بأمر بمثل هذه الأهمية والوضوح، فكيف لنا أن نثق بما وراء ذلك من أخبار ووقائع وتفصيلات تعرضها عن حياة المسيح وغيره. [1]

٣ـ من الذي طلب الملكوت، الأم أم ابناها؟

ومن تناقضات الأناجيل أيضًا ما تناقض فيه متى مع مرقس، فقد ذكر متى أنه "

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية أحمد عبد الوهاب (٨٣- ٨٤).

[٢٠]حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئًا. [٢١]فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟ » قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». [٢٢]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. . . . " (متى ٢٠/ ٢٠ - ٢٣).

وفي مرقس تذكر القصة نفسها وبنفس حيثياتها، لكن الذي طلب الملكوت هما الابنان، وليس أمهما، يقول مرقس: " [٣٥]وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا». [٣٦]فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟ » [٣٧]فَقَالاَ لَهُ: «أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ». [٣٨]فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ" (مرقس ١٠/ ٣٥ - ٣٨).

يقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى: لقد أحدث متى بعضًا من التغيرات والحذف لما في إنجيل مرقس، وأهم ما في ذلك، أنه بينما في إنجيل مرقس نجد أن التلميذين نفسيهما يطلبان من يسوع، إذ بأمهما هي التي تطلب منه حسب رواية متى. [١]

٤ـ هل أوصى المسيح تلاميذه بأخذ العصا أم أوصاهم بتركها؟

ومن التناقضات أن مرقس يذكر وصية المسيح لتلاميذه بعد أن أعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة فقال: " [٨]وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصًا فَقَطْ، لاَ مِزْوَدًا وَلاَ خُبْزًا وَلاَ نُحَاسًا فِي الْمِنْطَقَةِ. [٩]بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَال، وَلاَ يَلْبَسُوا ثَوْبَيْنِ. " (مرقس ٦/ ٨ - ٩).

لكن الوصية في لوقا تتفق مع مرقس في أمور وتختلف في أخرى فقد جاء فيها: " [٢]وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى. [٣]وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ: لاَ عَصًا وَلاَ مِزْوَدًا وَلاَ خُبْزًا وَلاَ فِضَّةً، وَلاَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ ثَوْبَانِ. " (لوقا ٩/ ٢-٣). فقد تناقضا في وصية المسيح بخصوص العصا.

كما ناقض إنجيلُ متى القديسَ مرقس في حمل العصا والأحذية، إذ نسب إلى المسيح قوله: "[٩]لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، [١٠]وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ

(١) المصدر السابق (٨٧).

وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا " (متى ١٠/ ٩-١٠)، فقد نص متى على منعهم من اقتناء (أي تملك) الأحذية والعصا، مخالفًا ما جاء في إنجيل مرقس.

٥ـ هل سمعوا صوت الله أم أن الله لا يسمع صوته؟

يتحدث يوحنا عن الله الآب فيقول: "[٣٧]وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ" (يوحنا ٥/ ٣٧)، وعليه فإن أحدًا لم يسمع صوت الله.

في حين أن الإنجيليين الثلاثة يتحدثون عن صوت لله سمعه الناس بعد عمادة المسيح على يد يوحنا المعمدان، يقول مرقس: " [١١]وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ». " (مرقس ١/ ١١)، و(انظر متى ١٧/ ٥، ولوقا ٣/ ٢٢)، فكيف يتحدث الإنجيليون عن صوت الله وهو يبشر بالمسيح في حين أن يوحنا يذكر أن أحدًا لم يسمع صوت الله ولم يره؟

ثانيًا: هل يتناقض المسيح؟

وتظهر الأناجيل المسيح متناقضًا مع نفسه في أقواله، ومرد ذلك إلى تناقض الإنجيليين الأربعة، أو تناقض الواحد منهم مع نفسه، وهاهي النماذج:

١ـ بطرس شيطان أم رسول؟

يتناقض متى في صفحة واحدة وهو يتحدث عن رأي المسيح في بطرس، فقد قال له: ": «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. [١٨]وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْني كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. [١٩]وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ». . . . ".

ولكنه ناقض ذلك بعده بسطور حين قال عنه: " [٢٣]فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». "(متى ١٦/ ١٧ – ٢٣) ثم يتحدث متى عن إنكار بطرس للمسيح في ليلة المحاكمة بل وصدور اللعن والسب منه (انظر متى ٢٦/ ٧٤).

ثم يقول عنه في موضع آخر: " مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. " (متى ١٩/ ٢٨)، فأي الأقوال نصدق في حق بطرس، وجميعها منسوبة للمسيح؟

إن هذا القول " اذهب عني يا شيطان "هو ما قاله المسيح للشيطان حين كان يغريه لكي يحيد عن طريق الله كما يذكر متى ٤/ ٢٠، ولوقا ٤/ ٨.

لقد نسي كاتب إنجيل متى التوفيق بين ما سطره في صفحة واحدة، افتتحها بجعل بطرس: وكيلًا للمسيح يحل ويربط كما يشاء، لكنه ما لبث أن اختتمها بجعل بطرس أيضًا: شيطانا ومعثرة للمسيح. [1]

٢ـ هل المحايد معنا أو ضدنا؟

ومن التناقض الذي نسبه الإنجيليون إلى المسيح ﷺ ما زعمه متى أن المسيح قال لتلاميذه: " [٣٠]مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ. " (متى ١٢/ ٣٠).

وهذا يناقض ما ذكره مرقس عنه: "[٤٠]لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا. " (مرقس ٩/ ٤٠)، فبأي الهديين يهتدي التلاميذ.

٣ـ ما هو موقف المسيح من أعدائه؟

ويعود لوقا للتناقض فينسب إلى المسيح موقفين متناقضين من الأعداء، فزعم مرة أنه أمر بمحبتهم فقال: " [٢٧]«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، [٢٨]بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. " (لوقا ٦/ ٢٧ - ٣٨).

لكنه نسب إلى المسيح مناقضة ذلك عندما ذكر - على لسانه - مثل الأمناء العشرة الذي ضربه المسيح لملكته، وقد تمثل فيه قول الملك الذي رفضه شعبه، فقال: "[٢٧]أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي». " (لوقا ١٩/ ٢٧)، فأي الهديين في المعاملة مع الأعداء صدر من المسيح؟

٤ـ هل المطلوب بغض الوالدين أم محبتهما؟

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (٩٢).

ومن التناقض أيضًا ما وقع فيه لوقا حين زعم أن المسيح قال: "[٢٦]«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. " (لوقا ١٤/ ٢٦).

ثم في موضع آخر يذكر لوقا أن رجلًا سأل المسيح عن طريق الحياة الأبدية فكان من إجابته ". أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». " (لوقا ١٨/ ٢٠).

وفي مرقس أن المسيح قال: ": تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. " (مرقس ١٢/ ٣١)، فهل المطلوب من التلاميذ بغض الوالدين أم محبتهما وإكرامهما؟

٥- هل يعقل أن يكون مصير المسيح عليه السلام جهنم؟

وتتناقض الأناجيل حين تذكر أن المسيح توعد الذين يشتمون إخوانهم بالنار، ثم تزعم أنه صنعه، فقد قال: " وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. " (متى ٥/ ٢٢).

في حين أن لوقا زعم أن المسيح قال لتلميذيه اللذين لم يعرفاه بعد القيامة: "[٢٥]فَقَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ! " (لوقا ٢٤/ ٢٥)، وأنه قال لبطرس: " اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! " (متى ١٦/ ٢٣).

وخاطبه في موطن آخر: ": «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟ » " (متى ١٤/ ٣١)، فهل يحكم النصارى على المسيح باستحقاقه النار، أم يحكمون على هذه النصوص بالقصور والتناقض.

ثالثًا: التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد

وكما تناقض الإنجيليون وكتاب الرسائل مع بعضهم فإنهم تناقضوا مع أسفار العهد القديم، في مختلف القضايا التي شاركوا كُتاب العهد القديم في الحديث عنها، اللاهوتية منها والتاريخية.

أولًا: التناقضات في صفات الله

١- يقول يوحنا: "[١٨]الله لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. " (يوحنا ١/ ١٨) وكلامه حق.

لكنه متناقض مع ما جاء في عدة مواضع في التوراة، منها قول يعقوب: " نَظَرْتُ الله وَجْهًا لِوَجْهٍ " (التكوين ٣٢/ ٣٠).

ومثله ما جاء في سفر الخروج أن موسى أصر على رؤية الله فقال له الرب: "[٢١]وَقَالَ

الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ. [٢٢]وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. [٢٣]ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى». " (الخروج ٣٣/ ٢١ - ٢٣).

٢- كما وصف يوحنا الله الآب بأنه لم يسمع أحد صوته، فيقول: "[٣٧]وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ" (يوحنا ٥/ ٣٧)، وعليه فإن أحدًا لم يسمع صوت الله، وهو بذلك يخالف ما جاء في التوراة، التي تذكر أن بني إسرائيل سمعوا صوت الله حين كلمهم في حوريب "[١٢]فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا. " (التثنية ٤/ ١٢)، فهل سمع البشر صوت الله أم لم يسمعوه؟

٣- ويصف بولس الله ﷻ بوصف حق، فيقول: "[٣٣]لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ " (كورنثوس (١) ١٤/ ٣٣)، ولكنه يناقض بذلك ما جاء في سفر التكوين "[٦]وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، . . . [٧]هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». [٨]فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين ١١/ ٦-٩).

تناقضات أخرى بين العهدين

١ـ هل كل المطعومات مباحة؟

ومن التناقضات أيضًا أن التوراة تتحدث عما يجوز أكله وما لا يجوز من الأطعمة مما ينجس أكله. (انظر اللاويين ١١/ ١ - ٤٧).

لكن مرقس يذكر أن المسيح خالف ذلك فقال كلاما غريبًا أباح فيه كل طعام فقال: ": «اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. [١٥]لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. ".

وقد صعُب فهم هذا على تلاميذه فأعادوا السؤال عنه، فأعاد الجواب، وقال: " [١٩]لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». " (مرقس ٧/ ١٤ - ١٩). فهذه أغرب طريقة في تطهير الطعام، وهي تناقض أحكام التوراة وتخالفها وتنقضها.

٢ـ من الذي اشترى الأرض من شكيم؟

ومن التناقضات أيضًا ما بين أعمال الرسل وسفر التكوين فيمن اشترى أرض شكيم من بني حمور، هل هو إبراهيم أم إسحاق؟

فقد جاء في أعمال الرسل "[١٥]فَنَزَلَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْرَ وَمَاتَ هُوَ وَآبَاؤُنَا، [١٦]وَنُقِلُوا إِلَى شَكِيمَ وَوُضِعُوا فِي الْقَبْرِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِثَمَنٍ فِضَّةٍ مِنْ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ. " (أعمال ٧/ ١٥ - ١٦).

وفي سفر التكوين أن أرض شكيم قد ابتاعها يعقوب لا إبراهيم، حيث يقول: " [١٨]ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِمًا إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ. وَنَزَلَ أَمَامَ الْمَدِينَةِ. [١٩]وَابْتَاعَ قِطْعَةَ الْحَقْلِ الَّتِي نَصَبَ فِيهَا خَيْمَتَهُ مِنْ يَدِ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ بِمِئَةِ قَسِيطَةٍ. " (التكوين ٣٣/ ١٨ - ١٩).

والخطأ من كاتب أعمال الرسل لأن الأرض التي ابتاعها إبراهيم، هي في أرض حبرون (الخليل)، واشتراها من عفرون، وفيها دفن سارة، ثم دفن هو فيها كما في سفر التكوين " وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثَّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ جَائِزَةٍ عِنْدَ التُّجَّارِ. [١٧]فَوَجَبَ حَقْلُ عِفْرُونَ الَّذِي فِي الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي أَمَامَ مَمْرَا، الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فِيهِ، وَجَمِيعُ الشَّجَرِ الَّذِي فِي الْحَقْلِ الَّذِي فِي جَمِيعِ حُدُودِهِ حَوَالَيْهِ، [١٨]لإِبْرَاهِيمَ مُلْكًا لَدَى عُيُونِ بَنِي حِثَّ، بَيْنَ جَمِيعِ الدَّاخِلِينَ بَابَ مَدِينَتِهِ. [١٩]وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ " (التكوين ٢٣/ ١٦ - ١٩). فمن الذي اشترى أرض شكيم، يعقوب أم إبراهيم؟

رابعًا: النصارى بين الاعتراف بالتناقضات والمكابرة

"والمقصود أن هذا الاضطراب في الإنجيل يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعا، ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله، بل الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله "[(١)]

وتبذل محاولات يائسة وساذجة للجمع بين هذه المتناقضات وتقديمها بصورة متوافقة متكاملة، لكن التكلف يكتنف جميع هذه المحاولات التي غالبًا ما تظهر باهتة، إضافة لما

---

(١) هداية الحيارى (٢٢١).

تحمله من صور للجمع لا دليل عليها.

لذا فإن الفيلسوف الناقد اليهودي اسبينوزا صدق وهو يقول عن التوراة، وينطبق حديثه على العهد الجديد: " فإذا ظن أحد أني أتحدث بطريقة عامة جدًا دون أساس كاف، فإني أرجو أن يكلف نفسه العناء، ويدلنا على ترتيب يقين لهذه الروايات يستطيع المؤرخون اتباعه في كتاباتهم للأخبار دون الوقوع في خطأ جسيم، وعلى المرء في أثناء محاولته تفسير الروايات والتوفيق أن يراعي العبارات والأساليب، وطرق الوصل في الكلام، ويشرحها بحيث نستطيع طبقًا لهذا الشرح أن نقلدها في كتاباتنا، ولسوف أنحني مقدمًا في خشوع لمن يستطيع القيام بهذه المهمة، وإني على استعداد لأن أشبهه (بأبوللو) نفسه.

على أني أعترف بأني لم أستطع أن أجد من يقوم بهذه المحاولة، على الرغم من طول بحثي عنه، ومع أني مشبع منذ طفولتي بالآراء الشائعة عن الكتاب المقدس، فقد كان من المستحيل ألا أنتهي إلى ما انتهيت إليه. وعلى أية حال فليس هناك ما يدعونا إلى أن نعطل القارئ هنا، وأن نعرض عليه في صورة تحد أن يقوم بمحاولة ميئوس منها"(١)

اعترافات بتناقضات الأناجيل

وقليلون هم الذين يعترفون بالحقيقة، ومنهم محررو مجلة " الحقيقة المجردة (الناصعة) " النصرانية والتي يقول عدد يوليو ١٩٧٥م منها: " هناك ادعاءات كثيرة لتناقضات في الكتاب المقدس لم يستطع العلماء حلها حتى الآن، وفيها ما يسر كل كافر ملحد، فهناك بعض الصعوبات النصية التي ما زال العلماء يتصارعون معها إلى يومنا هذا، ولا ينكر هذه الحقيقة إلا من كان جاهلًا بالكتاب المقدس ".

ومثلهم يقول مفسرو الترجمة المسكونية للتوراة عن الأناجيل بأنها " صورة لأدب غير مترابط، مفتقر هيكله إلى حسن التتابع. . . يبدو أن ما فيه من تضاد غير قابل للتذليل ". (٢)

---

(١) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، يحيى ربيع، ص (٣٢٥).

(٢) هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ لأحمد ديدات (٧٧)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم(٩٤).

الفصل الخامس: اختلافات بين تراجم الكتاب المقدس

تمهيد:

نحاول في هذا المبحث أن نرصد الاختلافات الواقعة بين تراجم الكتاب المقدس المتعددة، والتي تختلف عن بعضها اختلافًا واضحًا لكل ذي عينين.

أولًا: قائمة تراجم الكتاب المقدس:

(١) تراجم عربية:

١-الكتاب المقدس: منشورات دار المشرق - بيروت- ١٩٨٣، اعتماد: أغناطيوس زيادة، مطران بيروت. ويرمز له في البحث: الكتاب المقدس للكاثوليك.

٢-الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - طبعة العيد المئوي ١٨٨٣/ ١٩٨٣، الرمز: الكتاب المقدس للبروتستانت.

٣-كتب الشريعة الخمسة: دار المشرق - بيروت - ١٩٨٤. اعتماد: بولس باسيم النائب الرسولي للاتين. الرمز: التوراة للكاثوليك.

٤-العهد الجديد: منشورات دار المشرق - بيروت - ١٩٨٥ - الطبعة العاشرة. اعتماد: بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين. الرمز: العهد الجديد للكاثوليك.

٥-العهد الجديد: منشورات المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٦٩ - الطبعة الخامسة. الرمز: العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية.

(٢) تراجم انجليزية:

١- ترجمة الملك جيمس.

٢- الترجمة القياسية المراجعة.

(٣) تراجم فرنسية

١- لوي سيجو الفرنسية.

٢- الترجمة الفرنسية المسكونية. [١]

ثانيًا: أمثلة من الكتاب المقدس على اختلاف التراجم

أولًا: العهد القديم

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب (٦).

١ـ روح الله والإنسان

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت، تحت عنوان فرعي هو: فساد العالم الذي هيج غضب الله وجلب الطوفان:

" [١]وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، [٢]أَنَّ أَبْنَاءَ الله رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. [٣]فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». [٤]كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. " (سفر التكوين ٦/ ١ – ٤)

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك في العدد ٣ من الفقرة السابقة " فقال الرب: لا تحل روحي على الإنسان أبدا، لأنه جسد وتكون أيامه مئة وعشرين سنة ".

وتقول ترجمة التوراة للكاثوليك في العدد ٣ من تلك الفقرة التي اتخذت عنوانًا فرعيًا هو: بنو الله وبنات الناس، "فقال الرب: لا تثبت روحي في الإنسان إلى للأبد، لأنه بشر، فتكون أيامه مئة وعشرين سنة ".

وكما هو ملاحظ عن طريق المقارنة بين النصوص أن ثمة خلاف واقع بين الترجمات العربية حول هذا النص.

وقد اتفقت الترجمتان: القياسية الإنجليزية، ولوي سيجو الفرنسية على القول بأن روح الرب: سوف لا يبقى إلى الأبد في الإنسان، أما ترجمة الملك جيمس فقالت: بأن الروح سوف لا يخاصم الإنسان أبدًا. وقالت الترجمة المسكونية إنه: سوف لا يوجه الإنسان على الدوام.

لقد انقسمت التراجم على نفسها ولا يرجى لها إصلاح نظرا لغموض الأصل الذي يتحدث عن أسطورة شعبية قديمة. [١]

٢ـاسم إله بني اسرائيل

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت:

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٢٧ – ٢٨).

" [١٣]فَقَالَ مُوسَى لله: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟ » [١٤]فَقَالَ الله لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ». [١٥]وَقَالَ الله أيضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. " (الخروج ٣/ ١٣ – ١٥).

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك في اسم الإله: " فقال الله لموسى: أنا هو الكائن. وقال: كذا قل لبني إسرائيل: الكائن أرسلني إليكم. وقال الله لموسى ثانية: كذا قل لبني إسرائيل، إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب بعثني إليكم. هذا اسمي إلى الدهر، وهذا ذكري إلى جيل فجيل " (الخروج ٣/ ١٤ – ١٥) وهنا نلاحظ اختفاء كلمة يهوة التي وردت في العدد ١٥ من ترجمة البروتستانت.

وتقول ترجمة التوراة للكاثوليك:

" قال الله لموسى: أنا هو من هو. وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل: أنا هو أرسلني إليكم. وقال الله لموسى ثانية: هكذا تقول لبني إسرائيل: هكذا تقول لبني إسرائيل: الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي للأبد وهذا ذكري من جيل إلى جيل " (الخروج ٣/ ١٤- ١٥).

وهنا نلاحظ أن كلمة: الرب، قد حلت محل كلمة: يهوة، التي وردت في ترجمة البروتستانت.

وتقول التراجم الإنجليزية في اسم الإله: أنا الذي أنا، وأنا من أنا، والكائن.

وتقول التراجم الفرنسية: أنا هو الكائن، والكائن.

والخروج من هذا الشتات أمر ميسور إذا اجتنبت الأساطير والتقاليد الشعبية القديمة.

فالكتاب المقدس يبدأ بالآتي:

" [١]فِي الْبَدْءِ خَلَقَ الله السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ. " لقد اتفقت على ذلك جميع التراجم العربية، وكذلك اتفقت التراجم الإنجليزية على استخدام كلمة: god نظيرًا لكلمة: الله، في العربية.

واتفقت أيضًا التراجم الفرنسية على استخدام كلمة: dieu نظيرًا للفظ الجلالة: الله.

وعلى ذلك يكون اسم الإله الواحد الخالق هو: الله. (١)

٣- حديث موسى عند تلقي الرسالة:

في أول وحي موسى، أعطاه الله الرسالة، وبعثه إلى بني إسرائيل وإلى فرعون، وعلمه ماذا يقول وماذا يفعل، وأجرى على يديه آيتين، وعلمه كيف يجري المعجزة أو الآية الثالثة إذا لم يصدقوا الآيتين السابقتين، بعد ذلك كان لموسى موقف.

تقول فيه ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " ١٠فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». ١١فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ ١٢فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». ١٣فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ». ١٤فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى. . " (الخروج ٤/ ١٠- ١٤).

وتذكر ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك قولًا آخر غير هذا القول الجاف الذي ينسب لموسى – أي استمع أيها السيد، جاء فيه: " فقال موسى للرب: رحماك يا رب. إني لست أحسن الكلام. . . رحماك يارب: ابعث من أنت باعثه "

وتقول ترجمة التوراة الكاثوليكية: " فقال موسى للرب: العفو يارب، إني لست رجل كلام. . . قال: العفو يارب، أرسل من تريد أن ترسله ".

وتذكر التراجم الإنجليزية أن لهجة موسى لم تكن جافة، حيث خلت من ذلك القول: استمع أيها السيد! وكذلك تقول الترجمة الفرنسية. (٢)

٤- موسى يقال له: إله وشبه إله!

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: إن الرب جعل موسى إلها لهارون أخيه، وكذلك إلها لفرعون، فقال لموسى: " «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟. . . ١٥فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٢٩ - ٣٠).

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٣٠ – ٣١). .

الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. [١٦] وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا. " (الخروج ٤/ ١٤- ١٦).

" [١] فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. " (الخروج ٧/ ١).

وهذا ما تقوله أيضًا ترجمة التوراة للكاثوليك.

أما ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك فقد أبقت على علاقة موسى بكل من فرعون وهارون – كما جاءت في خروج ٧/ ١- لكنها قالت في الحديث الذي سبق هذا عن العلاقة بين موسى وهارون قولا آخر، إذ جعلت موسى مثل الله!

" هو يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فما، وأنت تكون له بمثابة الله " (خروج ٤/ ١٦).

وأما التراجم الإنجليزية والفرنسية فقد اختلفت هي الأخرى مثلما حدث في التراجم العربية. . . وهنا نلاحظ:

اتفاق ترجمة الملك جيمس الإنجليزية مع ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك في جعل موسى بالنسبة لهارون بمثابة: الله، وجعله إلها بالنسبة لفرعون.

اتفاق الترجمة الفرنسية المسكونية مع ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في جعل موسى إلها لكل من هارون وفرعون.

اتفاق الترجمة القياسية الإنجليزية – بوجه عام – مع ترجمة لوي سيجو الفرنسية في جعل موسى مثل: الله، بالنسبة لكل من هارون وفرعون.

وما من شك في أن الحديث عن الله، وعن الألوهية هو أخطر حديث في الكتب المقدسة، يلزمه التمسك التام بكامل الدقة والأمانة. لكن كتبة الأسفار المقدسة لم يتورعوا عن إطلاق لفظ: الإله، على كل من اعتقدوا أنه تلقى كلمة الله، وذلك جريا وراء شاعر أو مغن أطلق ألفاظه في لحظة من لحظات هياج النفس وانفعالاتها.

يقول المزمور ٨٢ لآساف، كبير المغنين: "[٦] أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. [٧] لكِنْ

مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ ".

ويقول كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح استخدم هذه الفقرة في محاجته لليهود:

" ٣٤أَجَابَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ ٣٥إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ. . . ٣٦فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ. . . " (يوحنا ١٠/ ٣٤ – ٣٦). [1]

٥ـ أول الوصايا العشر:

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا: ٢«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ٣لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. " (الخروج ٢٠/ ١ – ٢).

وبهذا تقول التراجم الإنجليزية والفرنسية: " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي " لكن ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك، وترجمة التوراة للكاثوليك تقول: " لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي ".

إذا كان هناك داع لتعديل الترجمة التي تقول: " لا يكن لك آلهة اخرى أمامي "، فلتكن: " لا يكن لك آلهة أخرى إلا أنا ".

وهذا يتفق مع الصيغة الفرنسية الأخيرة.

٦ـالرب حي إلى الأبد

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في وحي من الله لموسى: " حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ " (التثنية ٣٢/ ٤٠).

وهو ماتقوله ترجمة التوراة للكاثوليك.

وهو كذلك ما تقوله التراجم الإنجليزية والفرنسية.

لكن ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك تقول: " حي أنا إلى الدهر "

ومن المعلوم لغة أن: الدهر عند العرب يطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وأقل من ذلك. ويقع على مدة الدنيا كلها. وقالوا أقمنا على ماء كذا دهرا، وهذا

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٣٢ – ٣٤).

المرعى يكفينا دهرًا. وقيل الدهر: الأبد. فاستخدام كلمة الدهر في قول الله: حي أنا إلى الدهر، به قصور ملحوظ. ذلك أن: كل أبد دهر، وليس كل دهر أبد. والأبد هو الدهر أو الزمن الذي لا نهاية له. [١]

٧ـ مع خطيئة داود.

يقول الكتاب المقدس أن داود قد بهره جمال زوجة أحد جنوده حين رآها تستحم عارية، فأرسل إليها وزنا بها.

وفي هذا تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " ٤فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». " (صموئيل الثاني ١١/ ٤ – ٥).

لقد حرص كتبة الأسفار على بيان أن داود لم يزن بتلك المرأة إلا وهي مطهرة من طمثها وفق شريعة موسى التي تنهى عن المعاشرة الجنسية خلال مدة الطمث، فتقول: وَلاَ تَقْتَرِبْ إِلَى امْرَأَةٍ فِي نَجَاسَةِ طَمْثِهَا لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا" (لاويين ١٨/ ١٩)

هذا – وتتفق ترجمة الملك جيمس الإنجليزية مع القول بأن المرأة كانت مطهرة من طمثها.

أما ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك – وبقية التراجم الإنجليزية والفرنسية الأخرى – فإنها تبين أن المرأة تطهرت بعد عملية الزنا ثم رجعت إلى بيتها: " فأرسل داوود رسلا، وأخذها، فدخلت عليه، فدخل بها، وتطهرت من نجاستها، ورجعت إلى بيتها ". [٢]

٨ـ كلمات داود الأخيرة. . . هل هي وحي إلهي، أم قول بشر؟

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " ١فَهذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ دَاوُدَ الأَخِيرَةُ: «وَحْيُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى، وَوَحْيُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ، مَسِيحِ إِلهِ يَعْقُوبَ، وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ " (صموئيل الثاني ٢٣/ ١)، وهنا انقسمت التراجم على نفسها.

ذلك أن الترجمة القياسية الإنجليزية، والترجمة المسكونية الفرنسية، تتفقان مع ما جاء

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٣٤ - ٣٥).

(٢) المصدر السابق (٣٥ – ٣٦).

في ترجمة البروتستنات هذه من حيث احتواء العدد رقم ١ من هذا الإصحاح رقم ٢٣ على وجود كلمتى: وحي.

أما ترجمة الملك جيمس الإنجليزية، وترجمة لوي سيجو الفرنسية، فتختلفان مع التراجم السابقة، إذ أن كلمتى: وحي، يحل محلهما لفظي: كلمة.

إن هذا الفرق جوهري في كتاب مقدس يلتزم المؤمن به بما جاء في تعاليمه: عقيدة وسلوكا باعتباره تنزيلا إلهيًا، والفرق كبير حقًا، والبون شاسع، بين أن يقال هذا: كلام داود أو: هذا وحي داود! [1]

٩ـ هل تزوج عمرام عمته أم ابنة عمه.

أجمعت ترجمات الكتاب المقدس العربية والإنجليزية والفرنسية الحديثة على ما جاء في سفر الخروج (٦/ ٢٠): "٢٠وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى. " انظر نسخة البروتستانت العربية ١٩٨٣م.

ويختلف هذا ويتناقض مع ما جاء في ترجمة الكتاب المقدس العربية (رجارد واطس) طبعة لندن ١٨٣١م، و (وليم واطس) طبعة لندن ١٨٦٦م: " فتزوج عمرام يوخابد ابنة عمه فولدت له هارون وموسى ". انظر نسخة (رجاردواطس) العربية طبعة لندن.

١٠ـ هل قتل ثلاثة آلاف أم ثلاثة وعشرين ألف رجل:

أجمعت تراجم الكتاب المقدس العربية والإنجليزية والفرنسية الحديثة على ما جاء في سفر الخروج (٣٢/ ٢٨): " ٢٨فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. "

ولكن يختلف هذا ويتناقض مع ما جاء في ترجمة الكتاب المقدس لرجارد واطس سنة ١٨٣١، و (وليم واطس) طبعة لندن سنة ١٨٦٦م: " فصنع بنو لاوي كما أمرهم موسى فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل ". [2]

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٣٧).

(٢) الاختلافات في الكتاب المقدس، سمير سامي شحاتة (٣٩ – ٤٣). وانظر أيضًا: دراسات في الكتاب

ثانيًا: أمثلة من العهد الجديد على اختلاف التراجم

١ـ صيغة التثليث:

وردت هذه الصيغة في رسالة يوحنا الأولى (٥/ ٧) وكانت تعتبر النص الوحيد – في الكتاب المقدس- الذي يعطي الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس هم واحد!

لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصا دخيلا أقحمه كاتب مجهول منذ قرون.

يقول كتاب: " هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله؟ "[1] (ص ١٦٠) وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التي من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة – ما يلي:

" بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها.

مثالًا على ذلك: الإدخال الزائف في يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس. فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء الأول من العدد ٨ يقول، حسب الترجمة البروتستينية العربية، طبع الأمريكان في بيروت (ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئا مماثلا): (في السماء. . . الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة). ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات. وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كليا من المتن. والترجمة البروتستينية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين، موضحة في المقدمة أنه (ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها). وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه "

المقدس، محمود علي حماية (١٩)، تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس (١٧٥ – ١٨١).

(١) طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩، ثم في بيروت، بالعربية، عام ١٩٧١ ويوزع كرسالة تبشيرية.

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك: " لأن الشهود في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والشهود في الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم في واحد " (يوحنا (١) ٥/ ٧- ٨).

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: " ٧فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ (فِي السَّمَاءِ) هُمْ ثَلاَثَةٌ: (الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. ٨وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ): الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ. ".

وإذا رجعنا إلى التنبيه الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين ما يلي:

" والهلالان () يدلان على أن الكلمات التي بينها ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها ".

أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول. . .

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاثوليك:

"والذين يشهدون ثلاثة (٧). الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون (٨)"

ثم تقول في الحاشية السفلى تعليقا على العدد (٧):

" في بعض الأصول: الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعول عليها، والأرجح انه شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ ".

وهذا ما تقوله أيضًا ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية، سواء بالنسبة للمتن أو الحاشية.

وتظهر صيغة التثليث هذه في ترجمة الملك جيمس الإنجليزية فقط لكنها اختفت من كل من: الترجمة القياسية الإنجليزية (٢)، والترجمة الفرنسية المسكونية (٣)، وترجمة لوي سيجو الفرنسية.

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت من التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عامًا، كما أنها اختفت من التراجم البروتستينية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عاما، ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها.

كذلك اختفت صيغة التثليث من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة مثل: العهد

الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية.

والسؤال الآن: من المسئول عن مصائر الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التي تعلموها تقوم على نص صريح في كتابهم المقدس، بينما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول؟!. [(١)]

المسيح عبد الله.

بشر النبي إشعياء بنبي عظيم ينتظره العالم، أول صفاته أنه عبد الله ورسوله.

وقد اعتقد كاتب إنجيل متى أن تلك النبوءة قد تحققت في المسيح، فاقتبس لذلك مقدمتها ووضعها في الإصحاح الثاني عشر من ذلك الإنجيل، في الأعداد من رقم ١٨ إلى رقم ٢١.

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في هذه النبوءة: " [١]«هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ. . " (اشعياء ٤٢/ ١).

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك نفس الشيء. وقد اتفقت الترجمتان الإنجليزيتان: الملك جيمس والقياسية، على استخدام كلمة: servant مقابل كلمة: عبد، العربية.

كذلك اتفقت الترجمتان الفرنسيتان: لوي سيجو، والمسكونية على استخدام كلمة: serviteur مقابل كلمة: عبد، العربية.

لكن نقرأ في إنجيل متى بالعربية، حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت:

لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: [١٨]«هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. " (متى ١٢/ ١٧- ١٨).

كذلك استبدلت بقية التراجم العربية الأخرى – وهي: الكتاب المقدس للكاثوليك، والعهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية – استبدلت جميعها كلمة فتاي، بكلمة: عبدي، ضاربة بالأمانة العلمية والدينية عرض الحائط.

فمن المعلوم أن: العبودية تعني الخضوع والذل. وأن العبادة تعني الانقياد والخضوع.

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٣٩- ٤١).

والعبد ضد الحر، كذلك يقال للشاب الحدث: فتى، ثم استعير للعبد. ويقال: الفتى، أي الشاب، والفتاة، أي الشابة، والفتى أيضًا: السخي الكريم من ذلك يتبين أن كلمة: فتى، لا تعني بالضرورة عبدا، بل إن المعنى الذي يتوارد لأول وهلة هو الشاب، أو ذو الخصال الحميدة، فمن الواجب أن يقرأ متى هكذا: " هو ذا عبدي الذي اخترته. . . "

وتكرر نفس الشيء في سفر أعمال الرسل عدة مرات، وضعت فيها كلمة: فتى، في موضع كان يجب أن تستخدم فيه كلمة: عبد، وذلك اعتمادًا على مقارنة التراجم المختلفة.

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: "[١٢]فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ ذلِكَ أَجَابَ الشَّعْبَ:. . . [١٣]إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ. . . أَقَامَ الله فَتَاهُ يَسُوعَ. . . (أعمال ٣/ ١٣، ٢٦).

" رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى الله وَقَالُوا: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، [٢٥]الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ. . .

[٢٧]لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ. . . وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ»(أعمال ٤/ ٢٥، ٢٧، ٣٠).

وقد استخدمت ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك نفس الكلمة: فتى، سواء في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح، أو في الموضع الخامس الخاص بداود والمذكور في: أعمال ٤/ ٢٥.

كذلك استخدمت الترجمتان الفرنسيتان كلمة: serviteur في المواضع الخمسة التي استخدمت فيها كلمة: فتى العربية.

واستخدمت النسخة القياسية الإنجليزية كلمة: servant في تلك المواضع الخمسة.

أما نسخة الملك جيمس الإنجليزية فقد استخدمت كلمة: child في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح، بينما استخدمت كلمة: servant في الموضع الخاص بداود.

وقياسًا على ما سبق، ومقارنة بالترجمات الفرنسية والإنجليزية وخاصة الحديثة منها، يجب أن تحل كلمة: عبد، محل كلمة: فتى، المستخدمة في هذه الفقرات، وما شابهها في

مختلف المواضع من أسفار العهد الجديد.

إن داود هو عبد الله ونبيه، وكذلك المسيح هو عبد الله ونبيه. . . [(١)]

١-لم يُرسل المسيح إلا إلى بني إسرائيل.

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: "٢١ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. ٢٢وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». ٢٣فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا! » ٢٤فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (متى ١٥/ ٢١- ٢٤).

وهكذا تقول التراجم العربية الأخرى، وهي: الكتاب المقدس للكاثوليك، والعهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية.

وكذلك تقول الترجمتان الفرنسيتان: لوي سيجو، والمسكونية.

وكذلك تقول ترجمة الملك جيمس الإنجليزية.

إلا أن الترجمة القياسية الإنجليزية أدخلت تعديلا مخالفا، وترجمتها بالعربية: " أجاب: لقد أرسلت فقط إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ".

ولو أن هذه الصيغة تعني قصر رسالة المسيح على بني إسرائيل، إلا أن هذه الصيغة التي تقول: " لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ " إنما تعني توكيدا لقصر رسالته على الاسرائيليين دون سواهم حتى ولو كانوا جيرانهم الذين يتحدثون لغتهم ويرتبطون معهم بمختلف روابط الحياة.

فأي الكلمات هي التي نطق بها المسيح؟ وأي من التراجم جاءت أقرب إلى الأصول؟!

هل صحيح ما يقال من أن: المؤمنين بالمسيح ولدهم الله؟!

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٤٧ – ٤٩).

يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. ١٣اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ. "

وهو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك، وتوضح أن أولئك المؤمنين " من الله ولدوا "

وهو أيضًا ما تقوله ترجمة العهد الجديد للكاثوليك.

أما ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية فإنها جعلت الحديث عمن ولد ليس من دم ولا من مشيئة رجل، إنما هو المسيح وليس المؤمنون الذين قبلوه. وفي هذا تقول: " أما الذين قبلوه فقد أولاهم أن يصيروا أبناء الله. هم الذين آمنوا باسمه. وهو ليس من دم، ولا من رغبة ذي لحم، ولا من رغبة رجل، بل الله ولده "

وتتفق أيضًا التراجم الإنجليزية والفرنسية على أن الحديث عمن ولد من الله إنما هم المؤمنون وليس المسيح، وكل ذلك خلاف لما تقول به ترجمة المطبعة الكاثوليكية. (١)

وبعد كل هذا نقول إن التراجم كلها تحتاج إلى مراجعات ومراجعات، تلتزم أقصى ما يكون من الأمانة والتمحيص والتدقيق، وقبل ذلك وبعده تقدر مسئولية الكلمة التي يتوقف على الاعتقاد في صدقها مصائر الناس الأبدية. (٢)

الفصل السادس: أخطاء تاريخية في الكتاب المقدس.

سنشير إلى الأخطاء التاريخية في الأمور الآتية:

أولًا: الخطأ في ظهور الحيثيين.

ثانيًا: الخطأ في تاريخ تسمية فلسطين:

ثالثًا: الخطأ أو الشك في مكان دفن إبراهيم عليه السلام.

رابعًا: الخطأ في مجموعة من التواريخ والأسماء

خامسًا: الخطأ في القول بأن فرعون رئيس الشرطة كان خصيًا وكذا كل حاشية القصر الملكي.

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٥٤- ٥٥).

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (٥٥ – ٥٧).

سادسًا: الخطأ في الفترة التي يتم فيها التحنيط:

سابعًا: الخطأ في عصر إطلاق لقب فرعون على من يملك مصر

ثامنًا: الخطأ في عصر تاريخ إطلاق كلمة رعمسيس:

تاسعًا: الخطأ في ذكر ملك لا يعرفه التاريخ في هذه الحقبة الزمنية اسمه (سوا)

عاشرًا: الخطأ في القول بأن يربعام بنى مدينة (شكيم):

الحادي عشر: الخطأ في القول بأن سليمان بنى مدينة تدمر

الثاني عشر: الخطأ في ذكر وادي لا يعرفه التاريخ:

الثالث عشر: الخطأ في تفسير اختلاف اللغات والأجناس

الرابع عشر: الخطأ في تفسير سبب السنة الكونية بجعلها علامة على نقصان ربهم ونسيانه

الخامس عشر: الخطأ في أسطورة فنوئيل.

السادس عشر: الخطأ في جعل أسطورة أستير حقيقة

واليك التفصيل

أولًا: الخطأ في ظهور الحيثيين

موضع الخطأ: أن سفر التكوين يروي أن إبراهيم الخليل عليه السلام قد اشترى (مغارة المكفيلة) من عفرون الحثى (التكوين: ٢٣/ ١-٢٠).

كما يروي كذلك أن (عيسو) قد تزوج من (يهوديت) ابنة (بيري الحثى) و (بسمة) ابنة (إيلون الحثى) (التكوين: ٢٦/ ٣٤) (٣٦/ ١ - ٣).

بيانه: ومن المعروف تاريخيًا أن الحيثيين لم يظهروا في فلسطين على أيام إبراهيم الخليل (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق. م)، وحفيده (عيسو) صحيح أن الحيثيين كانوا على صلة بسورية في عصر الإمبراطورية الحيثية، وأن الجيوش الحيثية على أيام (شوبيلوليوما) (١٣٨٥-١٣٥٩ ق. م) قد وصلت إلى دمشق ولكنها لم تدخل فلسطين نفسها على الإطلاق ولم توجد بين الدول الحيثية دولة واحدة تقع إلى الجنوب من مدينة (حماة) ولم تكن هذه الأخيرة ضمن أي جزء من أقاليم فلسطين، إذ كانت تفصلها عنها المملكة الآرامية في دمشق، والتي طالما

ناصبت الإسرائليين العداء.

ومن ثَمَّ فإن وجود الحيثيين في فلسطين قبل الغزو الإسرائيلي بقيادة يشوع (في النصف الأول من القرن الثاني عشر قبل الميلاد) - فضلًا عن أن يكون ذلك على أيام إبراهيم الخليل- إنما يثير مشكلة عجيبة، لم يجد لها النقاد من تعليل، سوى نسبة نصوص التوراة - التي تتردد فيها كلمة (بني حث) و (حيثى)، و (حيثيات) - إلا للكاتب الكهنوتي في العهد التالي للمنفي، ومن ثم فليست بالدليل التاريخي ذو القيمة الكبيرة. (١)

ثانيًا: الخطأ في تاريخ تسمية فلسطين

موضع الخطأ: أن سفر الخروج يقول: (تأخذه الرعدة سكان فلسطين) (الخروج: ١٥/ ١٤)

بيانه: من المعروف تاريخيًا أن كلمة (فلسطين) (وهي مشتقة من كلمة (برست) أو (بلستيا) نسبة إلى قبائل (البلست))، لم تطلق على (أرض كنعان) إلا بعد غزو (شعوب البحر) لمصر وسورية من جزرهم، على أيام فرعون مصر العظيم (رمسيس الثالث) (١١٨٢ - ١١٥١ ق. م) إذ اشتركت قبائل البلست (الهندو أوربية) في الغزو الذي قام به أقوام البحر هؤلاء في السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث (حوالي عام ١١٧٤ ق. م) ثم انتهى بالنسبة لهم في معكرة بحرية وأخرى برية، ثم سمح لهم الفرعون بعد ذلك بالإقامة في سواحل سورية الجنوبية في المنطقة ما بين يافا وغزة، وكانت أهم مدنهم غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجت، ثم أطلق اليونان اسمهم على كنعان، ومن ثم فقد احتفظ باسم قبائل البلست على فلسطين، وإن كان ذلك لا يرجع إلى أنهم قد أصبحوا غالبية السكان فيها، أو أنهم قد بسطو نفوذهم عليها جميعًا ولكن ربما لأنهم آخر من نزل بها وإلى كثرة ترديد التوراة لاسمهم.

وهكذا يبعد العهد بموسى عليه السلام (القرن الثالث عشر ق. م) عن ظهور هذه التسمية، مما يدل على أن إطلاقها على أيامه إنما كان خطأ تاريخيًا كما يجعلنا - في الوقت نفسه -

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود ٢٢١-٢٢٢

نستبعد أن يكون كليم الله هو صاحب هذا الكلام.[١]

ثالثا: الخطأ أو الشك في مكان دفن إبراهيم عليه السلام.

موضع الخطأ أو الشك: أن سفر التكوين يروي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام إنما قد دفن – وكذا سارة – في مغارة المكفيلة، وقد دار حول ذلك شك كبير.

بيانه: لأنه منذ القرن الثامن عشر، وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، لم يكن لإبراهيم وذريته مقام في غير الجنوب، عند جيرار، أو ورائها جنوبًا ولم يكن لإبراهيم مقام في حبرون ومن ثم فإن الدكتور كامبل إنما يرجح أن إبراهيم لم يدفن في مغارة المكفيلة بحبرون، على مقربة من أورشليم، ولكن الذين انتسبوا إليه تعلقوا بذكرى هذا المدفن، لتسويغ دعواهم في مملكتهم (يهوذا).[٢]

رابعًا: الخطأ في مجموعة من التواريخ والأسماء

موضع الأخطاء: أن سفر دانيال إنما يروي أن الملك (بيلشاصر) بن (نبوخذ نصر) أقام وليمة استعمل فيها أواني الذهب والفضة التي أخذها أبوه من هيكل أورشليم عند استيلائه على المدينة المقدسة في عام ٥٨٧ ق. م، ثم أنس الملك يدًا بشرية تخط على جدران قصره كتابة مستعجمه، فوجل قلبه، واصطكت ركبتاه، فأشارت عليه الملكة أن يفزع إلى دانيال، قائلة (إن الملك نبوخذ نصر أبوك، جعله كبير المجوس والسحرة والكلدانيين والمنجمين).

وجاء دانيال إلى الملك البابلي هادرًا يعنف به، لأنه احتسى الخمر في الآنية المجتلبة من هيكل أورشليم، وقال: إن هذا الخط السحري المتوهج على الجدار ويقرأ هكذا (منا منا تقيل وفرسين)، ثم شرع يفسر هذا بقوله: (منا أحصى الله ملكوتك وأنها)، تقيل: وزنت بالموازين فوجدت ناقصًا، فرس: قسمت مملكتك لمادي وفارسى).

ويستطرد سفر دانيال في روايته (في تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين، فأخذ المملكة داريوس المادي وهو ابن اثنين وستين سنة)(دانيال: ٥/ ١ – ٣١)

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود ٢٢٢ - ٢٢٣

(٢) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود ٢٢٣-٢٢٤

ومن عجب أن التوراة لم تشر – حتى مجرد إشارة – إلى أن الملك البابلي قد أنكر على دانيال اليهودي جرأته وتطاوله عليه، ولا جبهه إياه بهذا النذير الذي يتهدده هو وبلاده، ولم يفرط عليه في القول، بل إنه أعلن رضاه عنه وأعلى منزلته ورفع مرتبته، فجعله ثالث ثلاثة في مملكته.

بيانها: وبدهي أن هناك الكثير من العقبات التي تقف حجر عثرة في قبولنا لرواية التوراة هذه، منها:

(أ) أن التاريخ العالمي لم يعرف ملكًا يدعى (داريوس المادي) قتل (بيلشاصر) ملك الكلدانيين، بل إن بيلشاصر) نفسه لم يكن ملكًا على الكلدانيين.

(ب) أن (بيلشاصر) هذا، لم يكن ابنًا للملك البابلي (نبوخذ نصر) (٦٠٥-٥٦٢ق. م)، ولا خليفة له، ذلك لأن ولده وخليفته إنما كان (أويل مردوخ) (٥٦٢-٥٦٠ق. م) ثم خلفه زوج أخته وأحد قواد أبيه (نريجليسار) (نرجال – سار – أوصر) (٥٥٩-٥٥٦ق. م) ثم خلفه ولده (لباشي مردوخ) (٥٥٦ق. م) وكان طفلًا، ذبح بعد تسعة أشهر، ليحل محله (نبونيد)(٥٥٥-٥٣٩ق. م)آخر ملوك بابل.

وهكذا يبدو واضحًا أن (بيلشاصر) ليس ابنًا للملك البابلي (نبوخذ نصر) ولا خليفة له، وربما كان – فيما يرى بعض الباحثين – الابن الأكبر (نبونيد) وولي عهده، وربما كان نائبًا عنه في الفترة التي قضاها في تيماء – وتقع غلى مبعدة ١٠٤ كيلًا إلى الشمال من مدينة (العلا) الحالية ١٦٠ كيلًا إلى الشرق من خليج العقبة – بعد أن قام بحملة في العام الثالث من حكمه، استولى فيها على عدة مدن في شمال غرب الجزيرة العربية ثم أقام قصرًا في تيماء نفى فيه حيناُ من الدهر، أصبحت تيماء فيه وكأنها قد غدت خليفة لبابل.

(ج) أن الذي استولى على بابل إنما كان العاهل الفارسي (كيروش الثاني) (٥٥٨-٥٣٠. م)، إذ استولت جيوشه على المدينة العريقة في ١٢ أو ١٣ أكتوبر من عام ٥٣٩ ق. م وفي ٢٦ من نفس الشهر بدأ الكتاب يؤرخون باسم العاهل الجديد (كيروش ملك العالم) وفي ٢٩ أكتوبر ٥٣٩ق. م، دخل كيروش نفسه بابل، وفرشت الورود في طريقه،

وعين (جوبرياس) – والذي كان قد هرب إلى فارس منذ عشر سنوات، ليعمل في خدمة كيروش ضد قومه البابليين – واليًا (ستراب) على إقليم بابل الجديد، وأعلن كيروش أنه (الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر وأكد، ملك كل أنحاء العالم)

وهكذا يبدوا واضحًا أن الذي فتح بابل، إنما كان (كيروش الثاني) وليس (داريوس المادي) وحتى لو كان (دانيال) يقصد به الملك (دار الأول) (٥٢٢-٤٨٦ق. م) الذي خلف (قمبيز الثاني) (٥٢٠-٥٢٢ق. م) بن (كيروش الثاني) بعد أن تمكن من قتل المدعى (جاوماتا)٢٢٦ الماجي والقبض على أنصاره في ٢٩سبتمبر من عام ٥٢٢ق. م – فمن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن (بابل) إنما قد سقطت في أيدي الفرس على أيام (كيروش الثاني) وليس على أيام (دار الأول) بل وقبل بداية حكمه بحوالي سبعة عشر عامًا (أكتوبر ٥٣٩ سبتمبر٥٢٢ق. م)

(د) ذلك الخطأ في رواية دانيال، من أن الكلدانيين قد كملوا الملك بالآرامية (ويعني اليهودية) فليس من طبائع الأشياء أن يتحدث أهل بابل إلى ملكهم بلسان اليهود.

(هـ) أن (داريوس) لم يكن ابن (أحشويروش) كما تقول التوراة في سفر دانيال – وإنما هو ابن (هستاسبس) وهو أمير من الأسرة الملكية في فارس وأن (أحشويروش) والمعروف باسم (أكزركسيس) هو ولده وقد خلفه على عرش فارس باسم (أكزر كسيس الأول) (٤٨٦-٤٢٤ق. م)، ومنها (و) أن (داريوس المادي) (دار الأول) لم يكن في الثانية والستين من عمره – كما تقول التوراة عندما تولى العرش، وإنما كان في الثامنة والعشرين، ذلك لأنه مات في نوفمبر من عام ٤٨٦ ق. م، وهو في الرابعة والستين من عمره وبعد أن حكم ٣٦ عامًا. [١]

خامسًا: الخطأ في القول بأن فرعون رئيس الشرطة كان خصيًا وكذا كل حاشية القصر الملكي.

موضع الخطأ: ذلك الخطأ التاريخي الذي جاء في سفر التكوين بشأن وصف (فوطيفار) بأنه (خصي فرعون رئيس الشرطة)(التكوين: ٣٩/ ١).

(١) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود ٢٢٤ - ٢٢٧

بيانه: ولست أدري كيف دار في خلد كاتب نص سفر التكوين هذا في التوراة بأن رئيس الشرطة المصرية إنما كان خصيًا، أو لم يكن دافعًا له في دحض هذه الفرية – في نظر كتبة التوراة، ومن لف لفهم – أنه كان زوج أجمل سيدة في البلاد.

ولكن ما الحيلة وصاحب سفر التكوين، يرى أن حاشية القصر الملكي كلها من الخصيان، حتى لنجده إنما يصف رئيس سقاة الفرعون ورئيس الخبازين في قصره بأنهما من الخصيان، إذ يقول (فسخط فرعون على خصيه رئيس السقاة، ورئيس الخبازين) (التكوين: ٤٠/ ٢).

وفي الواقع، إن ذلك أمرًا، ما اعتدناه في مصر الفراعنة، وماحدثنا تاريخها به، وإنما ذلك رأي يهود الأسر البابلي، حين كتبوا توراتهم على ضفاف الفرات في القرن السادس قبل الميلاد، متأثرين بكل الحضارات القديمة التي شاهدوها، أو التي عاشوها في ظلالها من ناحية، وبحقدهم الأعمى من ناحية أخرى، حتى أعماهم عن حقائق التاريخ فجعلوا كل رجال البلاط المصري من الخصيان. [1]

سادسًا: الخطأ في الفترة التي يتم فيها التحنيط:

موضع الخطأ: ما جاء في سفر التكوين من أن الصديق ﷺ إنما قد (أمر عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه، فحنط الأطباء إسرائيل، وكان له أربعون يومًا لأن هكذا تكمل أيام المحنطين) (التكوين ٥٠/ ٢ – ٣).

بيانه:وهذا في الواقع خطأ ذلك لأن مدة التحنيط إنما كانت سبعين يومًا – وليس أربعين يومًا – على أرخص الأنواع، ولأفقر الناس، وأن هناك أنواعًا ثلاثة من التحنيط، وهي – إن اختلفت في المواد المستعملة، أو في كيفية التحنيط – فإنها إنما تتفق جميعًا على أن مدة التحنيط إنما كانت سبعين يومًا. [2]

سابعًا: الخطأ في عصر إطلاق لقب فرعون على من يملك مصر.

موضع الخطأ: مادرج عليه سفر التكوين من إطلاق لقب (فرعون) على ملك مصر، أثناء

(١) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود ٢٢٨.

(٢) بنو إسرائيل الحضارة والتوراة والتلمود ٢٢٨

سرده لقصتي إبراهيم ويوسف، عليهما السلام، دون أن يضيف اسمًا آخر إلى لقبه هذا. (التكوين (١٢: ١٤ – ٢٠)، (٣٩: ١)، (٤٠: ٢ – ٢١)، (٤١: ٤٦)، (٤٢: ١٥)، (٤٧: ١-٤٦)، (٥٠: ٤ – ٧)

بيانه: ويرى الأستاذ حبيب سعيد أن هذه إنما كانت هي العادة المتبعة في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، أما في عهد (سليمان) (٩٦٠-٩٢٢ ق. م) فقد جرت العادة أن تضاف كلمة (ملك مصر) إلى لقب (فرعون) أو اسم فرعون نفسه – كما في سفر الملوك الأول.

والرأي عندنا أن الأمر غير ذلك تمامًا – كما سوف نرى حالًا – وإن كان من الأفضل هنا، أن نشير – قبل أن نتعرض للقب (فرعون) بالمناقشة – إلى أن القرآن الكريم قد حرص في سرده لقصة يوسف الصديق ﵇ الذي عاش في مصر أيام الهكسوس – على أن يلقب حاكم مصر الذي عاصره بلقب (الملك) بينما حرص على أن يلقب حاكم مصر الذي عاصر موسى الكليم ﵇ بلقب (فرعون).

ومن المعروف تاريخيًا أن كلمة (فرعون) في صيغتها المصرية (بر- عو) أو (بر – عا) إنما كانت تعني – بادىء ذي بدء – (البيت العالي) أو (البيت العظيم) وهي طريقة من الطرائق الكثيرة التي كانت تشير إلى القصر الملكي وليس إلى ساكنه – ثم حدث خلال عصر (تحوتمس الثالث) (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق. م) أن الاصطلاح (بر – عو) (أو فرعون) إنما بدىء في إطلاقه على الملك نفسه وانطلاقًا من هذا، فإن إطلاق كلمة أو لقب (فرعون) على ملك مصر قبل عصر (تحوتمس الثالث) إنما يعد خطًا في تسلسل تواريخ الأحداث حيث أصبحت لفظة (فرعون) تعبيرًا محترمًا، يقصد به الملك نفسه منذ هذه الفترة من عصر الأسرة الثامنة عشرة وعلى أي حال فإن استعمال لقب (فرعون) إنما يبدو مؤكدًا منذ أيام (إخناتون) (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق. م) حيث يشير (سير ألن جاردنر) العالم الحجة في اللغة المصرية القديمة – إلى أن هناك خطابًا من عهد (إخناتون) استعمل فيه لقب (فرعون) بالنسبة إلى ملك مصر (إي إخناتون) ثم سرعان ما أصبح لقب (فرعون) منذ الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ – ١١٩٤

ق. م) وما بعدها يستعمل في بعض الأحيان كمرادف لكلمة (جلالته) ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ، خرج فرعون، و (قال فرعون. . . . وهكذا) ومن ثم فإنه يبدو لي أن القرن الكريم وإنما أراد أن يفرق بين حاكم مصر الأجنبي في أيام يوسف على عصر الهكسوس، وبين حاكم مصر الوطني على أيام موسى، فأطلق على الأول لقب (ملك) وعلى الثاني لقب (فرعون) وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر وقت ذاك، هذا فضلًا عن أن ذلك إنما هو من إعجاز القرآن الذي لا إعجاز بعده.

وإذا ما عدنا إلى التوراة لوجدنا أن الحقائق التاريخية إنما تقف ضد ما جاء فيها بشأن لقب (فرعون) ذلك لأن التوراة إنما تستعمل هذا اللقب حين يجب أن تستعمل لقب ملك وذلك في الفترة السابقة للأسرة الثامنة عشرة المصرية، وفي نفس الوقت إنما هي تستعمل لقب (ملك)حين يجب أن تستعمل لقب(فرعون) وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها. (١)

ثامنًا: الخطأ في عصر تاريخ إطلاق كلمة رعمسيس:

موضع الخطأ: ما جاء في سفر التكوين من أن يوسف عليه السلام، إنما قد أسكن أباه وإخوته في أرض رعمسيس. (التكوين/ ٤٧: ١١).

بيانه: وهذا خطأ تاريخي ذلك لأن كلمة (رعمسيس) لا تستعمل قبل الأسرة التاسعة عشر (١٣٠٨ – ١١٩٤ ق. م) وليس منذ عصر الهكسوس (حوالي ١٧٢٥ – ١٥٧٥ ق. م) أي عصر يوسف الصديق عليه السلام. (٢)

تاسعًا: الخطأ في ذكر ملك لا يعرفه التاريخ في هذه الحقبة الزمنية اسمه (سوا)

الخطأ: ما جاء في التوراة من أن (هوشع) (٧٣٣ – ٧٣٤ ق. م) ملك إسرائيل، قد أعلن العصيان – بل والثورة – على (شلمنصر الخامس)٢٣١ (٧٢٧ – ٧٢٢ ق. م) ملك أشور، وأنه قد (أرسل رسلًا إلى (سوا) ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك أشور حسب كل سنة)(الملوك الأول/ ١٧: ٤ – ٥).

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٢٩ - ٢٣١

(٢) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٣١

بيانه: ومن المعروف تاريخيًا أنه ليس هناك ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم (سوا) ومن هنا حاول بعض الباحثين أن يقرنوا هذا ال(سوا) ب (سيبه) (تورتان مصر) الذي تشير إليه حوليات العاهل الأشوري (سرجون الثاني) (٧٢٢-٧٠٥ ق. م) بأنه خرج من (ربيجو) (وهي رفح المصرية على المقربة من حدود فلسطين) مع (هنو) ملك غزة لكي يقوما بمعركة حاسمة وكان (هنو) قد هرب في عهد تجلات بلاسر الثالث) (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) إلى مصر.

ويرى (سير ألن جاردنر) أنه ليس من الممكن أن يكون (سوا) أو (سيبه) من الناحيتين اللغوية والتاريخية الملك الأثيوبي (شبكو) (٧١٦-٦٩٥ ق. م) ومن ثم فهذه – في أغلب الأمر – أسماء قواد، وذلك لأن الاسم (سوا) لا يمكن أن يكون (شبكو) كما أن (شبكو) نفسه لم يحكم مصر إلا في حوالي ٧١٥ ق. م (أو ٧١٦ق. م)، وأن طلب المساعدة إنما تم قبل ذلك بعقد من الزمان في حوالي عام ٧٢٥ ق. م

ويرى (أوسترلي) أنه واحد من أمراء الدلتا، بل ربما – فيما يرى جيمس هنري برستد، وهوجرفنكلر، وغيرهما – كان حاكمًا لولاية (موصرو) والتي تقع في شمال بلاد العرب، وتحمل اسمًا مشابهًا لاسم مصر

ويرى (كتشن) أن طلب (هوشع) ملك إسرائيل في عام ٧٢٥ ق. م، مساعدة (سوا) ملك مصر – طبقًا لرواية سفر الملوك الثاني – إنما تقع في عهود أوسركون الرابع) (٧٣٠ – ٧١٥ ق. م) ملك تانيس وبوباسته (من الأسرة الثانية والعشرية) و (أيوب وت الثاني) ملك (لينتو بوليس) (من الأسرة الثالثة والعشرين) و (تف تخت) (٧٢٨/ ٧٢٧ – ٧٢٠ ق. م) ملك سايس (من الأسرة الرابعة والعشرين) وأن كل الأسس التاريخية والجغرافية والنصية والسياسية تجعل من (أوسكرن الرابع) أفضل المرشحين لأن يكون (سوا).

ويدل لقب (سوا) هذا واسمه على أنه ليس هو (سيبه) وتورتان مصر (قائد جيش مصر)، الذي ذكته حوليات سرجون الثاني ملك آشور في عام ٧٢٠ ق. م، فقائد الجيش

ليس هو الفرعون، فضلًا عن أن اسم هذا القائد إنما يقرأ، وليس (سيبه)، وأخيرًا فإن النص العبري لن يقرأ (وزير مصر) كما اقترح البعض.

ويعارض (كتشن) كذلك في أن يكون (سوا) هو (أيوبوت الثاني) وأما (تف نخت) فهناك من يقترحه على أساس أن فترة حكمه كملك (٧٢٨/ ٧٢٧ – ٧٢٠ ق. م) تتناسب والحادث موضوع المناقشة، كما أن هناك من يقترح توحيد الكلمة العبرية (سوا)، وتفسر على أنها الأصل للاسم الحوري للملك (تف نخت)، إلا أن ذلك خيالًا واسعًا كما أنه غير مقبول بصفة عامة، هذا فضلًا عن أن الحكام والكتاب الأجانب لا يشيرون إلى الفراعين المصريين إلا بأسمائهم التي ترد في خراطيشهم وفي العصر المتأخر (من الأسرات ٢٢ إلى ٢٦) بأسمائهم الشخصية فحسب، ومن ثم فإن (سوا) لا يمكن أن يكون (سيبه).

وهناك من يقترح أن يقرأ نص سفر الملوك الثاني (١٧: ٤) (أن يوشع قد أرسل رسلًا إلى سايس، إلى ملك مصر) ومعنى هذا أنه ترك الملك (تف – نخت) دون أن يسميه، وأن (تف نخت) كان أقوى من كل من (أوسركون الرابع) و (إيو بوت الثاني) ورغم أن ذلك ربما كان صحيحًا إلى حد ما، فإن إمارة (تف نخت) إنما تقع في غرب الدلتا، فضلًا عن أنها ليست أكبر بكثير من المساحة التي كان يحكمها (أوسركون الرابع) كوريث للأسرة الثانية والعشرين)٢٣٤

وأما عن محاولة معاملة (سايس) مع (تف نخت)، فهناك عقبات كؤود تقف أمامها وهي:

(أ) أننا نجد من الناحية الجغرافية أن (سايس) بعيدة جدًا بدرجة لا تسمح ل (تف نخت) تقديم العون لملك إسرائيل.

(ب) أن قراءة (سوا) في نص الملوك الثاني (١٧: ٤) على أنها (سايس) تتطلب تنقيحًا في النص لا مبرر له، بل ليس هناك حاجة إلى ذلك مطلقًا، ذلك لأن (سوا) اسم شخص، و (سايس) اسم مكان.

(ج) أن هناك تخالفًا قائمًا (منذ أوسركون الثاني وتكلوت الثاني) بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين والعبرانيين، ولم تكن إمارة سايس معروفة حتى تلك اللحظة في البلاط

الإسرائيلي.

(د) أن الأنبياء العبرانيين في تلك الأيام، إنما كانوا يهاجمون بعنف أولئك الرسل الذين كانوا يذهبون إلى شرق الدلتا، وليس إلى سايس البعيدة فالنبي إشعياء (٧٣٤ - ٦٨٠ ق. م) يعلن أن رؤساء صوعن أغبياء، ثم يندد بالحكام العبرانيين (الذين ينزلون إلى مصر ولم يسألوا فمي ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بطل فرعون)وذلك لأن رؤساءه صاروا في صوعن، وبلغ رسله إلى حانيس)، وهكذا يؤكد النبي العبراني، في القرن الثامن قبل الميلاد - عدم جدوى التحالف مع فرعون، وقد كان هذا الفرعون ومستشاروه في (تانيس) - والتي كانت في الغالب عاصمة مصر، فيما بين الأسرتين (تف نخت).

(هـ) أنه ليس هناك من هو أكثر ملاءمة من (أوسركون الرابع) ملك تانيس وبوباسته - فيما يرى كتشن - ومع ذلك لم يستطع أن يقدم لنا ملكًا يحمل اسم (سوا) الذي جاء اسمه في التوراة، من بين ملوك مصر على وجه اليقين. (١)

عاشرًا: الخطأ في القول بأن يربعام بنى مدينة (شكيم)

موضع الخطأ: مايرويه سفر الملوك الأول من أن (يربعام) ملك إسرائيل (٩٢٢-٩٠١ق. م) قد بنى (شكيم في جبل أفرايم وسكن بها)(ملوك أول/ ١٢: ٢٥).

بيانه: ولعل المقصود بذلك أن (يربعام) إنما قد نظم مدينة (شكيم) وهي تل بلاطة على مقربة من (نابلس الحالية) كمدينة ملكية، فالمدينة - طبقًا لرواية التوراة نفسها - إنما هي أقدم من الملك (يربعام) بآلاف السنين، وقد زارها إبراهيم الخليل عليه السلام في زيارته الأولى لكنعان، قادمًا من حران وبنى هناك مذبحًا للرب أو قل محرابًا لعبادة الله الواحد الأحد - حيث نزل هناك في مكان (بلوطة مورة) بين جبل عيبال وجرزيم هذا فضلًا عن أن سفر القضاة إنما يشير إلى أن القوم من أهل شكيم إنما قد اجتمعوا في مدينتهم، وهناك (جعلوا أبيمالك ملكًا عند بلوطة النصب التي في شكيم)، هذا إلى أن سفر الملوك الأول نفسه -

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٣١ - ٢٣٦

وفي نفس الإصحاح الثاني عشر – قد سبق أن أخبرنا أن قبائل إسرائيل قد اجتمعت في شكيم لاختيار (رحبعام) بن (سليمان) ملكًا عليهم بشروطهم.[١]

الحادي عشر: الخطأ في القول بأن سليمان بنى مدينة تدمر

موضع الخطأ: ما جاء في التوراة – في سفري الملوك الأول، والأخبار الثاني – من أن سيدنا سليمان عليه السلام قد بنى مدينة (تدمر) في البرية (ملوك أول (٩: ١٨)، أخبار أيام ثان (٨: ٤)، والأمر كذلك بالنسبة إلى المؤرخ اليهودي (يوسف بن متى).

بيانه: وليس هناك من شك في أن وجهة النظر هذه خاطئة، ذلك لأن مدينة (تدمر) إنما قد ذكرت في الوثائق الآشورية منذ أيام الملك الأشوري (تجلات بلاسر الأول) (١١١٦ – ١٠٩٠ ق. م) في صورة (تدمر أمورو)٢٣٧ أي قبل أن يولد سليمان نفسه، وبفترة تسبق ما دون في التوراة بشأنها، بأكثر من سبعة قرون.

ومن هنا فقد رأى العلماء أن الرواية التي تذهب إلى أن سليمان هو الذي بنى تدمر، إما أنها أرادت أن تعظم من شأن مملكة إسرائيل كعادة الروايات اليهودية – وكأن مكانة النبي الكريم لا تتأتى إلا ببناء المدن واتساع مملكته وليست برسالته السماوية – ومن ثم فقد نسبت إليه بناء هذه المدينة التي تقع في منطقة بعيدة عن حدود دولته إسرائيلية، وإما أن هناك خطأ قد وقع فيه كاتب الحوليات العبراني حين خلط بين (ثامار) التي أسسها سليمان، وهي موضع جاء ذكره في سفر حزقيال، ويقع إلى الجنوب الشرقي من (يهوذا)، وإن كنا لا ندري موقعه الآن على وجه التحقيق وربما كانت الشهرة التي اكتسبتها (تدمر) على أيام كتبة الأسفار العبرانيين هي السبب في نسبة بنائها إلى النبي الكريم.

وانطلاقًا من هذا كله، فقد ذهب كتبة الأسفار هؤلاء إلى أن المدينة التي بناها سليمان، ليست هي (ثامار) وإنما هي (تدمر) والتي كانت مدينة عامرة بسكانها، وذات شهرة في مجاوراتها، فيما بين عامي ٣٠٠ و ٢٠٠ ق. م.[٢]

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٣٦ -٢٣٧

(٢) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٣٧ - ٢٣٨

الثاني عشر: الخطأ في ذكر وادي لا يعرفه التاريخ

موضع الخطأ: ما جاء في التوراة – في سفر يوئيل – من أن الرب بعد أن يرد سبي يهوذا، سوف يجمع كل الأمم في (وادي يهوشافاط[1] لمحاكمتهم على ما فعلوه بإسرائيل (يوئيل/ ٣: ١ – ٣)

لأن من يمس إسرائيل، إنما يمس حدقة عين رب الجنود(زكريا/ ٢: ٨)، أو – كما يرى الأستاذ حبيب سعد – أن هناك حربًا عظمى سوف تنشب، تتجمع فيها كل شعوب الأرض للهجوم على أورشليم ولكن الله يتدخل ويهزم هذه الشعوب في وادي (يهوشافاط).

بيانه: وفي الحقيقة أن التاريخ لا يذكر واديًا باسم وادي (يهوشافاط)ومن هنا تسقط قيمة النص تاريخيًا، أو على الأقل، أن ما جاء به لا يعدو أن يكون مجرد أسطورة.

ويبدو أن ميل رواة أسفار الكتاب المقدس إلى الأسطورة لم يقتصر – كما يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا – على ما يتعلق بهم وحدهم، بل تعدى ذلك إلى أصل السكان في فلسطين، فجعلوا لهم أممًا بائدة تصوروا أنهم كانوا عمالقة ومردة، وأنهم كانوا شعوبًا وقبائل لها أسماء تميزها، ذكروا منها: (النفليم) و (الإيميم) و (الرفائيم) و (الزوزيم) و (الزمزميم) و (العناقيم).

ويلاحظ (أرنست رينان) أن هذه الظاهرة إنما كانت فاشية في طفولة جميع الشعوب المستقرة المتحضرة، إذ تتخيل الإنسانية الهمجية الأولى على شكل بشر لهم أجساد خرافية في الطول والعرض، ولهم قوة وبأس على مستوى الخرافات والأساطير.[2]

الثالث عشر: الخطأ في تفسير اختلاف اللغات والأجناس

موضع الخطأ وبيانه: تلك الأساطير التي جاءت في سفر التكوين بشأن قصة حصن بابل(التكوين/ ١١: ١ – ٩)، وكيف قدمت التوراة فيها تفسيرًا ساذجًا غير علمي

---

(١) لا يعرف أحد موضع (وادي يهو شافط) ثم ظهر في القرن الرابع رأي بأنه وادي قدرون شرقي أورشليم، مقابل جبل الزيتون غربًا أو وادي الربابة جنوبي المدينة. (قاموس الكتاب المقدس ٢/ ١٠٩٥)

(٢) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٣٨ – ٢٤٠

لاختلاف اللغات والأجناس، ذلك أنها تروي أن الله، سبحانه وتعالى، قد رأى سلالة الناجين من الطوفان يبنون برجًا بغية الوصول إليه في علياء سمائه، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاجي يعلو على الأرض بضع مئات مئات من الأمتر، فخشي شرهم واحتاط لنفسه، فهبط الأرض وبلبل ألسنتهم فتفرقوا شذر مذر، ومن ثم فقد (كفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض.[(١)]

الرابع عشر: الخطأ في تفسير سبب السنة الكونية وجعلها علامة على نقصان ربهم ونسيانه.

موضع الخطأ وبيانه: ما جاء في سفر التكوين بشأن (قوس قزح) التي تظهر في الأفق غب المطر[(٢)]، بأن الله سبحانه وتعالى إنما قد أنشأها لتكون تذكرة له، بألا يعود إلى إغراق الأرض أبدًا: (وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحابًا على الأرض وتظهر القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي بيني وبينكم، وبين كل نفس حية في جسد، فلا تكون أيضًا المياه طوفانًا، لتهلك كل ذي جسد)(التكوين/ ٩: ١٣ – ١٥)

الخامس عشر: الخطأ في أسطورة فنوئيل

موضع الخطأ: تلك الأسطورة التي يرويها سفر التكوين لتفسير اسم (فنوئيل) في شرق الأردن، بأنه المكان الذي رأى فيه يعقوب (وجه الله) إذ تذهب رواية التوراة إلى أن يعقوب عليه السلام بينما كان عائدًا من (فدان آرام) إلى أرض كنعان، وهناك عند (مخاضة يبوق)، وقد أجاز يعقوب عائلته عبر الوادي، يبرز له من يصارعه حتى مطلع الفجر، صراع رهيب يكاد فيه يعقوب يتغلب على خصمه لولا حركة مخالفة للأصول، يصاب فيها يعقوب بضربة ينخلع لها حق الورك، ويسأل يعقوب غريمه فلا يجيبه، وإن كان يباركه،

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٤٠

(٢) ينشأ (قوس قزح) في السماء أو على مقربة من مسقط الماء من الشلال ونحوه، وتكون في ناحية الأفق المقابل للشمس، وترى فيه ألوان الطيف متتابعة وسببها انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء. (عصام حفني ناصف ص ٤٢) نقلًا من كتاب بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ص٢٤٠

فيطلق عليه اسم (إسرائيل) فيفرح يعقوب ويسمى المكان (فنوئيل) (وجه الله) قائلًا: (لأني نظرت الله وجها لوجه، ونجيت نفسي)، وتشرق الشمس، فإذا بيعقوب يخمع على فخذه، ومن ثم (لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا)((التكوين/ ٣٢: ٢ – ٣٢).

بيانه: ومن هنا فنحن لا نعجب كثيرًا لهذه الأساطير التي تطالعنا بها التوراة من حين لآخر، فهي أصلًا مجموعة من قصص تناقلته الأجيال وأخضعته للطابع المأثوري وهو أمر يكاد ينطبق على أغلب قصص الآباء الأولين التي أريد بها تقدمة لتاريخ بني إسرائيل، فهي إذن ليست من التاريخ بشيء، وإلا لما قوبلنا بتلك الفجوة التي امتدت إلى أربعمائة وثلاثين عامًا – وهي فترة بقائهم بمصر.

ومن ثم فكيف يتأتى لمنطق تحدوه النظرة العلمية، أن يتقبل – على علاته – قصصًا زخر بدقة ما بعدها دقة تفصيلًا لحياة الآباء الأولين، حتى أنها لتسجل أحيانًا، كلمة فكلمة، ما يزعم أن تفوهوا بها في مناسبات، بينما نجد من بعد أن قد مسحت ذاكرة القوم مسحًا، فيما يتعلق بفترة ربما كانت أعصب فترات (الحياة القومية) – لو أننا بصدد أمة كان لها بالفعل كيان من قومية متصلة. [1]

السادس عشر: الخطأ في جعل أسطورة أستير حقيقة

موضع الخطأ: ماجاء في سفر أستير من أنه كان في بلاد فارس وزير يدعى هامان، اشتهر باضطهاد اليهود، فأتمر اليهود بالوزير الفارسي، وأرسلوا إلى مليكه فتاة لعوبًا من بناتهم اسمها (أستير) سلبته لبه فاستخذى لها وفتك بوزيره هامان ابتغاء مرضاتها، وخف اليهود إلى العمل ففتكوا به وبأبنائه العشرة والألوف من أنصاره (٧٥ ألفًا، فيما يقال) ذبحوا ذبح الشياه، ثم (استراحوا في اليوم الرابع (من شهر آذار = مارس) وجعلوه يوم شرب وفرح) – وهو عيد الفوريم – وما يزال يوم الشرب والفرح هذا حتى اليوم. (استير/ ٩: ١٦ – ١٧).

---

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٤١ - ٢٤٢

بيانه: ولعل سائلًا يتسائل: هل كانت أستير هذه شخصية تاريخية؟ أم أن القصة أسطورة عبثت بوجدان عميق الجذور؟ ثم هل من بين ملكات فارس من تدعى أستير؟

أليست أستير تجسيدًا حيًا للربة (عشتار)، وأن التشابه بين الاسمين لا يخفى على إنسان، ليس هذا فحسب، وإنما الرجل الذي كفلها، قيل اتخذها ابنة ولكن هناك ما يومىء إلى أنها كانت زوجة سرًا، هو (مردخاي) كاد أن يكون سمى الإله (مردوك) (مردوخ)- زعيم الأرباب البابليين، وإله الزوابع - يتمكن بمعونة عشتار من الفتك بأعداء اليهود، فأنما القرابين تقدم إلى (الذات) التي تكتمل بدرًا في الرابع عشر من شهر آذار (مارس)، فلا يغربن عن بالنا، أن التقويم العبري ما يزال قمريًا حتى لحظتنا هذه.

وعلى أي حال، فإن سفر استير هذا إنما هو موضع شك كبير عند شراح التوراة ونقادها:

- لعدم وجود اسم الجلالة فيه أولًا.
- ولعدم اقتباس العهد الجديد (الإنجيل) منه ثانيًا.
- ولوجود مبالغات كثيرة فيه ثالثًا.
- ولأن بطله مردخاي إنما كان من سبس عام ٥٨٧ ق. م، ومن ثم فإنه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي (أكزركسيس الأول) (أي حوالي عام ٤٨٢ ق. م) يكون قد بلغ المائة وعشرين عامًا، كما أن أستير يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزًا.

وهكذا يذهب كثير من العلماء إلى أن هذا السفر الذي يتحدث عن (عيد الفوريم) (البوريم)، ما هو في الواقع إلا انتحال من الأدب البابلي، الذي يحكي ملحمة حربية بين الآلهة البابلية والعيلامية، ومن ثم فقد قال (مارتن لوثر) (١٤٨٣ - ١٥٤٦) - زعيم الإصلاح البروتستانتي - (ليت هذا السفر لم يوجد ففيه حتى لم يرد اسم الله، كما أنه ليس فيه ما يحمد عليه). [1]

(١) بنو إسرائيل الحضارة والتلمود والتوراة ٢٤٢-٢٤٤

الفصل السابع: الكتاب المقدس والعلم الحديث.

وفي هذا الباب سنقوم بعرض الكتاب المقدس على العلم الحديث لنرى مدى التوافق المفترض وجوده بين ما يفترض أن يكون وحيًا وبين الكون الذي خلقه منزل هذا الوحي والحقائق التي ركبها فيه.

المبحث الأول: موقف النصارى من العلم اعتقادًا وتشريعًا.

المبحث الثاني: دراسة نصوص الكتاب المقدس في ضوء العلم الحديث.

المبحث الثالث: موقف المفسرين النصارى من الأخطاء في نصوص الكتاب المقدس.

وإليك التفصيل

المبحث الأول: موقف النصارى من العلم اعتقادًا وتشريعًا.

أولًا: الأصول التي تحدد هذا الموقف وهي:

الأصل الأول: الخوارق.

أول أصل قام عليه الدين المسيحي، وأقوى عماد له هو خوارق العادات. تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح ﷺ دليلًا على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه. ثم إنه جعل ذلك دليلًا على صحة الدين لمن يأتي بعده، فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من إنجيل متى وغيره إذا تتبعت جميع ما قال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات ولا يخفى أن خارق العادة هو الأمر الذي يصدر مخالفًا لشرائع الكون ونواميسه فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص.

زاد الإنجيل على هذا أن الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الإصحاح السابع عشر من متى ١٠: **فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ.**

وفي الحادي عشر من مرقس ٢٣: **لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. ٢٤ لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ.**

فكل بحث يؤدي إلى أن للكون شرائع ثابتة وأن للعلل والشرائط أو الأسباب أو الموانع أحكامًا في معلولاتها أوما شرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادًا لهذا الأصل في أي زمن. وقد كان كل علم من علوم الأكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الأصل.

ثم إن صاحب هذا الاعتقاد بهذا الأصل لا يحتاج إلى البحث في الأسباب والمسببات؛ لأن اعتقاده في الشيء أن يكون وإرادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غني عن العلم والعلم عدو لما يعتقد فما أصعب احتماله إذا جاء يزاحمه في سلطانه[1].

الأصل الثاني: سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على المرؤوسين في عقائدهم وما تكنه ضمائرهم. وقد أحكم هذه السلطة ما ورد ١٦-١٩ من إنجيل متى: **وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ.**

وفي ١٨: ١٨ منه: **اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ.**

فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص إنه ليس بمسيحي صار كذلك، وإذا قال إنه مسيحي فاز بها. فليس المعتقد حرًا في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه. فإذا اهتزت نفسه إلى بحث أوقفها القابض على تلك السلطة. وهذا الأصل إن نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قونًا طوالًا.

الأصل الثالث: ترك الدنيا

وبعد هذين الأصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع إلى الآخرة. تجد هذا الأصل في الأناجيل وفي أعمال الرسل وكلما قرأت في الكتب الأولى عثرت به.

وتجد الأوامر الصادرة بالانقطاع إلى الملكوت والهروب من عالم الملك صريحة في

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية(٢٩-٣١).

الإصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من إنجيل متى.

فيما جاء في السادس: (لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. ٢٥«لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ... لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. ٣٤فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ.

وقال في التاسع عشر: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! ٢٤وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!.

وفي العاشر: لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، ١٠وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا.

وحث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩: ١٠ من متى) (وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ). ثم إن ملكوت السموات قد أنيط أمره بالإيمان المجرد عن النظر في الأكوان، فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الأصل من النظر في أي علم، والعلم لا دخل له في شؤون الآخرة والدنيا قد حرمت عليه؟ لا ريب أن همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته إلى العبادة دون سواها، وليس الفكر في الخليقة من العبادة عنده، فإن عبادة الإنجيل ليست شيئًا سوى الإيمان والصلاة.

الأصل الرابع: الإيمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع، وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول، لا يختلف فيه كاثوليك، ولا أرثوذكس، ولا بروتستانت، وهو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به. قال القديس أنسيلم (يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت) فليس الإيمان. وهو الوسيلة الفردة إلى النجاة، في حاجة إلى نظر العقل، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل في نظره. وقول القديس (ثم

اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت) نوع من التفضل على النزعة البشرية إلى الفهم وعلى الميل الفطري إلى تصوير ما يتعلق به الاعتقاد. وإلا فمجرد الإيمان كاف في الخلاص.

ثم الويل كل الويل لطالب الفهم إذا أدى اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلق به إيمانه، فكأن معنى الفهم أن يخلف المؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم.(١)

الأصل الخامس: إن الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج إليه البشر في المعاش والمعاد.

سواء كان متعلقًا بالاعتقادات الدينية، والآداب النفسية والأعمال البدنية، مما يؤدي إلى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الإنساني أن يتمتع بها.

قال تيرتور ليان – وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل أن تعرض عليه البدع الكثيرة -: (إن عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها، وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين، وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها، والزمن ناصر الحقيقة، ثم تحقق النبوات التي وردت فيها ثم قال (إن أساس كل علم (عندهم) هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة، وإن الله لم يقصر تعليمنا بوحي على الهداية إلى الدين فقط، بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون، فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن ينالوه).

فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض وما فيها وتاريخ الأمم مما يجب تسليمه مهما ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس أن يؤمنوا به أولًا، ثم يجتهدوا ثانيًا في حمل أنفسهم على فهمه، أي على تسليمه أيضًا كما ترى.

وقال بعض فضلائهم: إنه يمكن أن يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس.

ونقول قد يسلم هذا الأصل لو قلنا الأصول والقواعد في الكتب المقدسة تدعو لذلك جملة فالكلام من هذا المنظور صحيح جملة أما تفاصيل ذلك فلا ولكن هيهات هيهات والتحريف قدأتى عليه.

الأصل السادس: التفريق بين النصارى وغيرهم حتى الأقربين

ذلك الأصل هو الذي ورد في الإصحاح العاشر من إنجيل متى وهو: **لاَ تَظُنُّوا أَنِّي**

(١) مجلة المنار (٥/ ٤٠١).

جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. ٣٥فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. ٣٦وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ.

وقد صرح في عدة مواضع من الإنجيل أن الإخلال بشيء من محبة المسيحية أو بالانقياد إلى جميع ما أوصى به موجب للهلاك، وإن كان قد جاء في مواضع كثيرة أن الإيمان وحده كاف في الخلاص، غير أن روح الشدة التي جاءت في قوله: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا الخ) هي التي بقي أثرها في نفوس الأولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت على آثارما كان يصح أن تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر.

نتائج هذه الأصول وآثارها

أولًا: الإعراض عن النظر في الكون والاستفادة منه بالتعلم:

هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه إظهارًا للغنى بالإيمان والعبادة عن كل شيء سواهما، وحجروا على همم النفوس أن تنهض إلا إلى الدعوة إلى ذلك الإيمان وتلك العبادة، ووسائل الدعوة هي الإيمان والعبادة كذلك، فإذا نزعت العقول إلى علم شيء من العالم وضعوا أمام نظرها كتب العهد القديم وحصروا العلم بين دفاتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته، وليس يسوغ لكل ذي عقل فهمه، بل إنما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة، خوفًا من الزيغ عن الإيمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز لغير الكنيسة تفسير الكتاب المقدس).

ثم إن إلقاء السيف ووضع التفريق بين الأقارب والأحبة إنما جاء حافظًا لذلك كله، فإذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي إلى معارضة شيء من أمور الإيمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة، كما أفهمه المسيح بعمله، على حسب ما ورد في الإنجيل، فقد قيل له: (**هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ**». ٤٨**فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ:** «**مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟** » ٤٩**ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ:** «**هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي.**) ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقد. ولا يخفى أن الشيء يكون

بذرة ثم نبتًا ثم شجرًا، فانظر إلى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة.

وقر في نفوس المسيحيين أن السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة: (إن الجهالة أم التقوى) فحصروا التعليم في الأديار، ومنعت الكنيسة أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقرير الإيمان على وجه ظاهر. ويبقى غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره.

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأيا يخالف صريح ما في الكتاب ولذلك صور كثيرة نذكر منها:

أ-عندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي إن الحيوانات كان يدركها الموت قبل أن يخطيء آدم بالأكل من الشجرة، قام لذلك ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدال والجلاد إلى صدور أمر إمبراطوري بقتل كل شخص يعتقد ذلك. يقول المؤرخ: وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الأحياء قبل آدم جريمة على الملك.

ب-أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالأسكندرية قال أوروسيوس المؤرخ: إنه رأى أدراج المكتبة خاليه من الكتب بعد أن نال تيوفيل الأمر الإمبراطوري بإتلافها بنحو عشرين سنة.

ج-ثم جاء تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيبًا مفوهًا له على الشعب سلطان بفصاحته. وكان في الإسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل بالعلوم والفلسفة، وكان يجتمع إليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية، وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخرى، خصوصًا في هذه المسائل الثلاث: من أنا؟ وإلى أين أذهب؟ وماذا يمكنني أن أعلم؟ فلم يحتمل ذلك القديس سيريل، مع أن البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق سائرة إلى دار ندوتها. وجردوها من ثيابها وأخذوها إلى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك، ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقي في النار: يقول المؤرخ راوي هذه القصة: ولم يسأل سيريل عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع

عليها، ولعل ذلك كان أول ما تقررت تلك القاعدة: (الغاية تشفع للوسيلة).(١)

ثانيًا: استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة

ولقد احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير، أو في رأي تبديه، أو أمر تعلنه، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولا قالته أو مبدأ دينيًا أعلنته أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطع، فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول البابا.

ولقد كانت تعلن أمورًا ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم، وما تعرض له المسيحيون الأولون، ولا المجامع الأولى، وهي أمور غريبة جد الغرابة، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد، وتلزم المسيحيين بها، وتفرضها عليهم فرضًا، ومن قال كلمة فيها فالويل له ينزلونه به في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة.

ونذكر القارئ على سبيل المثال بمسألتين كان لها أثر في الفكر المسيحي، وبسببهما عما وغيرهما تقدم المصلحون في جرأة داعين إلى إصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى. هاتان المسألتان هما مسألة الاستحالة ومسألة الغفران.

أما مسألة الاستحالة فالأساس فيها ما علمت في شرح الشعائر النصرانية، من أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزًا ويشربون خمرًا، ويسمون ذلك العشاء الرباني، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك، فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه، وذلك أمر غريب في العقل، لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط. إذ كيف يتحول الخبز لحمًا، وكيف يصير لحم شخص معين معروف. وكيف تتحول الخمر دما، وتصير دم شخص معين معروف؟ ذلك غريب بل

---

(١) مجلة المنار (٥/ ٤٠١).

مستحيل التصور والقبول في العقل، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من منقاشته، وإلا عرضوا للطرد والحرمان. وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدس، حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل؟ إنه أمر استقلت به الكنيسة وأعلنته وأبدته في أحد مجامعها، غير معتمدة في ذلك على نص صريح من الكتب المقدسة عندهم.

ولقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس، فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير، بينما تراه الكنيسة اللاتينية، ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة، ويعتقدون أنها غير ممكنة في العقل ولا سائغة في الفكر.

أما المسألة الثانية وهي مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا فقد قررته الكنيسة حقًا لنفسها في المجمع الثاني عشر أيضًا.

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن: (أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران) فقال: (إن يسوع المسيح ما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى، قد أعلم المجمع المقدس، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي، المثبتة بسلطان المجامع)

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراس حسب العادة المحفوظة قديمًا، والمثبتة في الكنيسة، لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفرط التساهل.

هذا قرار المجمع، وفيه تمكين للكنيسة من سلطان قوى جبار، وهو سلطان مسح الذنوب، وغفرانها مهما يكن مقدارها، ومهما تكن قد دنست النفس، وأرهقت القلب، ولكنه قد أوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراس، حتى لا يؤدي الإفراط في منح الغفران إلى ترك التهذيب الديني، وهجر تعاليم الكنيسة، والعبث بهدى الدين، فهل أخذت الكنيسة بما أعطاها المجمع، وراعت حق الرعاية ما أوصاها به من عدم الإفراط في

الإعطاء والمنح؟ لقد أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق، أن أفرطوا في إعطائه إفراطًا شديدًا وأنشأوا صكوكًا تباع وتشترى، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا، ومتعة من متاعها، وبذل العصاة في سبيلها المال، وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص. . ما دام ذلك يفتدى بمال قل أو جل، وهذا نص صك الغفران الذي يباع بيع السلعة، وإليك صورة من صك الغفران:

(ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لي أحلك من جميع القصاصات، والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضًا من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل هلامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثًا إلى الشركة في أسرا الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تم سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس)

هذه صورة من صور صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام، وتغفر ذنوب العاصي ما تقدم منها وما تأخر تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرًا، ثم لا يصير قابلًا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا، ومهما ينغمس في المعاصي. كأن ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم، لا يعوق حامله عائق، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس.

هذا ما يدل عليه الصك، وهذا ما كانت تحاول الكنيسة أن تلقيه في روع الناس تمكينًا لسلطانها، ورغبة في نقودهم التي يبذلونها للكنيسة في سبيل الحصول على ذلك الصك

الذي يكون سر الأمان، وطريق الوصول إلى الغاية.

لقد ابتدأت الكنيسة صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا، ثم انتقلت من ذلك إلى أن جعلت لنفسها الحق في الغفران والشخص قوي يستقبل الحياة، ولا يودعها ويقبل على متعها، ولا يدبر عنها، وغالت فجعلت لنفسها حق غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب، ثم أغرقت في المغالاة فاتخذها رجال الدين بابًا من أبواب الكسب للكنيسة. ثم إنهم ينفقون ما يجمعون من مال فيما يحله الدين والأخلاق وما قد يحرمانه وبذلك طم، حتى جاوز الحزام الطبيين.

ثالثا: مقاومة النصرانية للعلم:

لا أجد في التاريخ ذكرًا للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في مظهر القوة لعهد قسطنطين وما بعده إلا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يفصل فيها تارة بسلطان الملوك، وأخرى بجمع المجامع، وثالثة بسفك الدماء، فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض. وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين المسيحية وما جاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوربا من التسافك في الدماء بإغراء رؤساء الكنيسة، وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضعونا الكلام فيه.

ولكني أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور الإسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين بالمسلمين في الحروب الصليبية.

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين إلى بلادهم وحملوا إلى الناس أخبارًا تناقض ماكان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من أن المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد، ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص، وهم وحوش ضارية، وحيوانات مفترسة. فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة، وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة.

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوسًا، كما قال الفيلسوف الأميركاني،

وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية قال بطرس المحترم الشهير: إنه رأي كثيرًا من العلماء يأتون إلى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا، وأولئك الذين يسعون إلى طلب العلوم من أي بلاد جاءوا كانوا يجدون فيها رحبًا وسعة، وكان قصر الخليفة يشبه أن يكون مصنعًا للكتب – نسخ وتذهيب وتجليد... إلخ ما قال.

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب، ثم وجدت المطبعة وسهل على الناس أن ينشروا آرائهم بعد أن تنبهت أفكارهم بما جلب إليهم رسل العلم الذي حملوه إليهم من أهالي أسانيا ومن حملوه مما جاورها ثم أنساب إلى العلم شيء مما سماه الأوروبيون فلسفة ابن رشد، عند ذلك اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة.

قال دي رومنيس: إن قوس قزح ليست قوسًا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء، فجلب إلى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في النار، وقيل في علة الحكم: إنه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا، وأي ذنب أعظم من هذا الصلح؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بأن قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء.

رابعًا: مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش.

أنشئت المراقبة على المطبوعات، وحتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو مايريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة، وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئًا، لم يعرض على المراقب، أو ينشر شيئًا لم يأذن المراقب بنشره، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يوميء إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية، ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (كأن الحكومة العثمانية على ماتنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين).

انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عندما خيف ظهورها بسعي تلامذة

ابن رشد وتلامذته خصوصًا في جنوب فرنسا وإيطاليا. . انشئت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركماندا.

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام ففي مدة ١٨ سنة – من سنة ١٤٨١ إلى ١٤٩٩ – حكمت على ١٠ آلاف ومائتين وعشرين شخصًا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ٦ آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين شخصًا بعقوبات مختلفة فنفذت، ثم أحرقت كل توراة بالعبرية.

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة (المقدسة)؟ وسيلة واحدة هي أن يحبس المتهم، وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة إلى أن يعترف بما نسب إليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ.

قرر مجمع لا تران سنة ١٥٠٢ أن يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد. وطفق الدومينيكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئًا من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الأمراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول إلى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره.

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعادة إلى كسبه، ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها: في المدن، في البيوت، في السراديب، في الأنفاق، في المخازن، في المطابخ، في المغارات، في الغابات وفي الحقول، فوفت بما كلفت مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين، عملًا بالقول الجليل (ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا) كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم والقسوس قي كنائسهم والأشراف في قصورهم، والتجار بين بضائعهم، والصناع في مصانعهم، والعامة في بيوتهم ومزارعهم، وحيثما وجدوا، وأينما ثقفوا، ويوقفون أما المحكمة، وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم.

قرر مجمع (لا تران) أن يكون من وسائل الإطلاع على أفكار الناس الاعتراف

الواجب أداؤه على المهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلبًا لغفرانها)، تذهب البنت أو الزوجة أو الأخت لأجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد، فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته، وما يظهره في أعماله بين أهله. فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئًا من الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره إلى المحكمة، فينقض شهاب التهمة عليه. فإذا سئل عن الشاهد الذي عول عليه اتهامه لا يجاب، وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف.

أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه أن رسول الشؤم يتبعه، وأن السلاسل والأغلال أسبق إلى عنقه ويديه، ومن ورود الفكرة العلمية إليه، وقال با غليايس ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد: (يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحيًا ويموت على فراشه).

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ إلى سنة ١٨٠٨ على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء.

خامسًا: اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن رشد هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في أوربا على زعم القسوس، وكان ابن رشد أستاذًا يتعلم عنده كثير من اليهود، وقد اتهموا بنشر أفكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم، صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معًا فصدر الأمر في ٣٠ مارس (آذار) ١٤٩٢ أن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان، يجب أن يترك بلاد أسبانيا قبل شهر يولو (تموز) ومن رجع منهم إلى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيح لهم أن يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط أن لا يأخذوا في الثمن ذهبًا ولا فضة، وإنما يأخذون الأثمان عروضًا وحوالات ومن ذا الذي يشتري اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن؟ (يعني أن أموال اليهود تكون مباحة بعد

جلائهم الذي تم في يولو) وصدر أمر (تور كماندو) أن لا يساعدهم أحد من سكان أسبانيا في أمر من أمورهم. وهكذا خرج اليهود، تاركين كل ما يملكون بأرواحهم على أنه لا نجاة لكثير منها، فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر.

وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشبيلية وما حولها - من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد أسبانيا قبل شهر أبريل (نيسان) وأبيح لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع للمسلمين شرط آخر، وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي إلى بلاد إسلامية، ومن خالف ذلك فجزاؤه القتل. فهؤلاء المساكين نفوا جميعًا إلى القتل إن لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العري.

ألا يعجب القارئ إذا رأى أن (برونو) يحرق بالنار حيًا بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود، وقال إن هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة؟.

ظهر القول بكروية الأرض - ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون وصار رأيًا لهم في أول خلافة بني العباس، ولم تتحرك له شعرة في بدن - فأحدث اضطرابًا شديدًا في عالم النصرانية ولا يسلم هذا المقال ما وقع من الحوادث في شأنه.

هل يصدق القارئ أن ما قصده كريستوف كولمب من السفر في المحيط الأطلنطي لعله يكتشف أرضًا جديدة كان من الأمور التي اهتمت لها الكنيسة، وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين، ثم أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزستوم وأوغستين وجيروم وغر يغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأناجيل والنبوات والزبور والأسفار الخمسة، ولم ينتج هذا العرض شيئًا، ولكن ساعده على ما قصده بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم. قال كريستوف كولمب (إن الذي أوحي إليه هذا القصد النبيل هي كتب ابن رشد) من هنا تفهم لم قامت الكنيسة وقعدت؟ قاعدة سلطان رجال الكنيسة على غيرهم؟ ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل (السلطة للقسوس والطاعة على العامة) كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط

ويحل في الأرض والسماء فهو باطل تجب مقاومته بكل ما يستطاع، لهذا حكم على غاليلي الذي ذهب إلى أن حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم.

سادسًا: مقاومة ما يجد من سبل العلاج ويخفف من الألم

وهذا كثير نذكر من ذلك:

١-مقاومة الحقن تحت الجلد: هل تدري ماذا حصل من المقاومة لإدخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض؟ اكتشفت هذه الطريقة الطبية عند المسلمين في الاستانة، ثم نقلتها إلى أوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تعضيدها إلى التماس المساعدة من ملك انكلترا.

٢-وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشف طريقة تطعيم الجدري.

٣-مقاومة تسهيل الولادة: أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق. اكتشاف أمريكاني رأى حضرات القسوس فيه أنه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الأصحاح الثالث منه: وقال للمرأة: تكثيرًا أكثر أتعاب حملك بالوجع تلدين أولادًا)

سابعًا: مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد

نشر البابا منشورًا في سنة ١٨٦٤ جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز أن يفسر أحد شيئًا من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بأن الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه وفي منشور له سنة ١٨٦٨ أن المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم، وعليهم أن ينزلوا عن أرائهم وأفكارهم، ودعا الروم الأرثوذكس والبروتستانت إلى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه.

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة روسيا والبابا في عزل أستاذ في إحدى الكليات رأى رأيًا لا يروق للحزب الكاثوليكي، فحرمه البابا وطلب من الحكومة عزله، وكانت إحدى المعضلات السياسية، غير أن عزيمة بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة، وأبقت الأستاذ، وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية.

ثالثا: اعتراض بعنوان (البروتستانت أو الإصلاح):

ربما يقول قائل: إن هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين إلى أصل الكتب المقدسة، ويبيحون للعامة أن ينظروا فيها ويفهموها، وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول، ومن عهد ظهور الإصلاح والرجوع إلى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالرغب، وبسط للعلم بساط التسامح، وذلك لا يمكن أن يكون إلا جريًا مع طبيعة الدين.

لا أذكر في الجواب عن ذلك إلا ما ذكر البروتسانت أنفسهم في تاريخ الإصلاح: استمرت عقوبة الموت قانونًا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة، وقد أمر كلفان — هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوثر الأول - بإحراق (سيرفيت) في جنيف لأنه كان يعتقد أن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقية، وكان يقول إن روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها. فكان جزاؤه على هذا أن شوي على النار حتى مات وكذا أحرق (فايتي) في تولوز سنة ١٦٢٩.

قالوا: البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الأخروية، وإبطال عبادة الصور.

ولكنهم لم يغيروا شيئًا من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري، كما أنها منبع نور الإيمان بالدين الإلهي، وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره إلى ما يخالف شيئًا مما حوته، وأنه لا حاجة إلى شيء من العلم وراء ماورد فيها. وبالجملة إنهم لم يبطلوا أصلًا من الأصول الستة التي تقدمت، إلا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الأصل الثاني في سابق قولنا.

قالوا: ولهذا لم يكن مذهب الإصلاح أخف وطأة على العلم، ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك، لأن كلا المذهبين يرجع إلى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الأصول الستة)

ولم يكن لأهل النظر العقلي جزاء في كلتا الملتين إلا القتل وسفك الدم. [١]

المبحث الثاني: دراسة نصوص الكتاب المقدس في ضوء العلم الحديث

للقيام بهذه الدراسة ينبغي أن نوضح ثلاثة أمور هامة وهما:

١-مدى دقة العلم الذي تدرس نصوص الكتاب المقدس في ضوئه أو بعبارة أخرى (أي علم الذي يصح أن تدرس الكتب المقدسة في ضوءه):

من الضروري أن نؤكد أننا عندما نشير إلى معطيات العلم هنا - التي يدرس في ضوئها نصوص الكتاب المقدس - فإننا نقصد بها حقائق العلم التي استقر ثبوتها وتأكدت صحتها كحقائق علمية. وهذا الاعتبار يخرج من نطاق الحقائق العلمية أي نظريات تفسيرية ربما تكون مفيدة أو متفقًا عليها الآن لتفسير بعض الظواهر ولكن البحث العلمي لا يزال جاريًا ومتصلًا بشأنها للتأكد من صحتها أو اكتشاف نظريات أخرى غيرها أقرب إلى الصواب وأكثر قربًا من مسار التقدم العلمي إن ما نعنيه بحقائق العلم هنا هو: (الحقائق العلمية المستقرة علميًا ولا جدال بين العلماء على صدقها) ولو كان العلم يجوز أن يقدم نظريات علمية غير مكتملة البراهين على صوابها فمن الممكن يتصل التقدم العلمي إلى إثباتها بحيث يتلاشى الخوف من وجود خطأ فيها.

٢-نوع النصوص التي يجوز ويسوغ أن تدرس في ضوء العلم الحديث أو بعبارة أخرى (أي النصوص تقارن وتدرس في ضوء العلم الحديث)؟ وهل كل النصوص يصح أن تدرس من خلال العلم الحديث؟

إن هذه الدراسة والمقارنة بين حقائق العلم ومقرات الدين لا دخل لها ولا صلة بالمسائل الدينية البحتة.

إن العلم – على سبيل المثال – لا يعرض ولا يعترض على الطريقة التي تجلى وظهر بها الله لسيدنا موسى عليه السلام ويقال نفس الشيء عن كيفية مولد المسيح عليه السلام بدون أب من

---

(١) الإسلام والنصرانية ٢٧ – ٦٠، محاضرات في النصرانية ١٥٥ – ١٥٦ بتصرف يسير

البشر. والكتب المقدسة لا تعطي أي تفسير مادي لمثل هذه المسائل إن الدراسة إنما هي معنية بما تقوله الكتب المقدسة عن الظواهر الطبيعية البحتة التي نلاحظ الفرق بين الكثرة والوفرة في المعلومات حول هذه الموضوعات المشتركة التناول بين الدين والعلم في القرآن الكريم وندرتها في التوراة والإنجيل في هذا الصدد.

٣-أسلوب الدراسة: وأظن أن تلخيصها في هذه الجملة يكفي (روح الإنصاف الذي ينبغي أن يتحلى بها من يقوم بالدراسة).

إن أكثر التناقضات مع حقائق العلم الحديث نستطيع أن نجدها في سفر التكوين وهذه التناقضات تتعلق بثلاثة موضوعات رئيسية هي:

١ - خلق العالم ومراحل هذا الخلق.

٢ - تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

٣ - وصف الطوفان.

ثم تكمل هذه الدراسة بوقفة مع التاريخ ثم مع علم الآثار كما سيأتي

وإليك تفصيل ذلك:

خلق العالم ومراحل هذا الخلق.

يلاحظ الأب دي فو أن سفر التكوين (يقدم لنا روايتين مختلفتين عن خلق العالم وقد وضعت كل رواية منها إلى جانب الرواية الأخرى) ولكي نلم بمدى تناقض كل منهما مع الأخرى ومع حقائق العلم ندرس فيما يلي كلًا منهما على حدة.

الرواية الأولى عن خلق العالم:

تمهيد:

تحتل الرواية الأولى عن خلق العالم بالتوراة من الإصحاح الأول من سفر التكوين والجمل الأولى من الإصحاح الثاني.

إنها مثال نموذجي للتناقضات مع مقتضيات الدقة من وجهة النظر العلمية.

ومن الضروري فحص كل فقرة منها على حدة وسيكون هذا الفحص كالآتي:

أولًا: المرحلة الغازية أسبق من مرحلة الماء.

في سفر التكوين ١/ (١-٢): **فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. ٢وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.**

التعليق: إننا نستطيع أن نقبل تمامًا أن مرحلة ما قبل خلق الأرض كان الكون غارقًا في الظلمات. ولكن وجود الماء في بدء خلق ليس له ما يسوغه من وجهة نظر العلم وربما كان ذلك من آثار بعض الأساطير والفلسفات القديمة إذ إن العلم يقرر سبق المرحلة الغازية لمرحلة المواد الصلبة في خلق العالم. ومن الخطأ أن نقحم الماء في أول مرحلة من مراحل خلق العالم. [1]فوجود الماء على وجه الأرض في اليوم الأول يتناقض مع النظرية العلمية القائلة بأن الأرض بل والعالم كان غازيًا في بداية خلقه. [2] نعم لأنه وفق التكوين الجيولوجي للكون تمثل المياه مرحلة متأخرة. [3]

ثانيًا: نور بلا نجوم أو صباح ومساء دون أرض تدور ولا شمس تدور حولها:

في سفر التكوين ١/ (٣ – ٥): **وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. ٤وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. ٥وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.**

التعليق: إن النور الذي يحيط بالعالم إنما هو نتيجة انعكاسات لضوء النجوم على الأجرام غير المضيئة. وفي هذه المرحلة من خلق العالم لم تكن النجوم قد خلقت بعد. وحسب قول التوراة لم يتم خلق النجوم إلا في اليوم الرابع، كما تشير إلى ذلك الجملة الرابعة عشر. ومن غير المنطقي أن يتم ذكر نتيجة ما سيحدث في اليوم الرابع في غضون ذكر أحداث اليوم الأول. ويضاف إلى ذلك أن تقسيم اليوم إلى ليل ونهار ليس له مكان معقول في اليوم الأول من الخلق حسب قول التوراة إذ لا يعقل وجود كل منهما إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت الشمس

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٧)

(٢) هل العهد القديم كلمة الله (١٧١)

(٣) دراسة في التوراة والإنجيل (١٧٩).

وهو ما تم بعد اليوم الأول. [1] وما نحن نعلمه هو أن النهار والليل هما دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس ولا نهار – بغير شمس – فالنهار – وما يبدو من ضوء هو انعكاسات ضوئية وتشتيت لضوء الشمس على ذرات الغبار. [2]

ثالثًا: السماء لم تتكون من الماء المدعى أنه أسبق من الغاز.

في سفر التكوين ١/ (٦-٨): **وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». ٧فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. ٨وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا.**

التعليق: إن خرافة المياه يستمر استخدامها هاهنا أيضًا مع افتراض انفصال هذه المياه الخرافية إلى طبقتين تصبح إحداهما ببساطة أرضًا وتصبح الأخرى سماء. إن صورة انقسام المياه هكذا إلى طبقتين: إحداهما أرض والأخرى سماء إنما هي صورة غير مقبولة علميًا. [3] هذا وإن قصة المياه التي " تحت " الجلد والمياه التي " فوقه " تعكس الضلال الذي عرفت به الشعوب البدائية كلها. فحسب التصورات القديمة، أن السماء عبارة عن جسم كثيف صلب، ومن هنا جاءت تسميتها با " الجلد "، أي القساوة اليابسة. واعتقدوا أيضًا. أن تجمعًا مائيًا هائلًا يقوم خلف ذلك الجلد، الذي تشكل السماء قاعه. وإذا كان كل قارىء يعرف اليوم أن المطر ما هو إلا الماء المتبخر من الأرض، فقد اعتقدوا في زمن ما، أن المطر هو الماء الذي ينساب من التجمع المائي العلوي، عبر فتحات صممت لهذا الغرض بالذات، لكن ها الرأي يثير السخرية اليوم، صمد طويلًا جدًا في أذهان الناس. ففي القرون المسيحية الأولى، أقره علماء اللاهوت كلهم. [4]

رابعًا: هل يوجد عالم نباتي منظم تنظيم وراثي دون تمثيل غذائي بسبب عدم وجود الشمس؟ وهل يقبل القول بأن النبات وجد قبل الإنسان بثلاثة أيام فقط؟

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٧).

(٢) قراءات في الكتاب المقدس (٨٢)، دراسة في التوراة والإنجيل (١٧٩)، هل العهد القديم كلمة الله (١٧١).

(٣) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٧-٥٨)

(٤) التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ٦

في سفر التكوين ١ (٩-١٣): وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٠وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١١وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٢فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٣وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا.

التعليق: من المقبول علميًا أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض عندما كانت الأرض مغطاة بالمياه. ولكن افتراض وجود عالم نباتي منظم تنظيمًا وراثيًا من خلال البذور التي لا تظهر إلا بعد نضج الثمار يستحيل أن يتحقق إلا بوجود الشمس التي لم تخلق إلا في اليوم الرابع كما يقرر ذلك الإصحاح الأول من سفر التكوين ذاته، وذلك ينطبق أيضًا على خلق الليل والنهار إذ يستحيل تصور إمكانية التمييز بينهما قبل خلق الشمس التي لم تخلق إلا في اليوم الرابع كما سبق أن أشرنا.

وهل بدأت الحياة النباتية بالحشائش وبقلًا ببزر وشجرًا له ثمر قبل ظهور الشمس وبغير التمثيل الضوئي؟

كما أن القول بأن النبات وجد قبل الإنسان بثلاثة أيام فقط قول مردود إذ تتحدث المكتشفات العلمية عن وجود النبات قبل الإنسان بملايين السنين. (١)

خامسًا: الأرض أولًا أم الشمس والنجوم؟

في سفر التكوين: ١/ (١٤-١٩): وَقَالَ اللهُ: «لِتكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ،

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٨)، قراءات في الكتاب المقدس (١٨٣)، هل العهد القديم كلمة الله (١٧١)

وَالنُّجُومَ. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا.

التعليق: إن الوصف الذي يقدمه كاتب التوراة في هذه الفقرة يمكن أن يكون مقبولًا، وأهم نقد يمكن توجيهه إليه هو مكان وتوقيت ظهور الشمس بالنسبة لنظام خلق العالم ككل. وكما نعرف علميًا انفصلت الأرض وانفصل القمر من الكوكب الأصلي لهما وهو الشمس وترتيب وتوقيت خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض إنما هو مخالف ومناقض بكل شدة وبكل حسم للرأي المستقر علميًا بشأن تكوين نظام المجموعة الشمسية. إذن فخلق الأرض ليس سابقًا على خلق الشمس والقمر حتى تكون مياه ونبات ونورا !. فهذا مرفوض علميًا. (١)

لقد اعتبر العلماء هذا من الخرافات، ولك أن تتخيل أيها القارئ الكريم، أنه حتى نهاية القرن الميلادي السابع عشر، كان العلماء يعتقدون أن الشمس ليست مصدر الضوء، بل هي " تمرره " عبرها وحسب، أما الضوء، فهو موجود بذاته. وحتى رينيه ديكاريت نفسه كان من أنصار هذا الضلال. واستمرت الحال هكذا حتى جاء الفلكي الدانماركي أولاف ريمر (١٦٤٤ – ١٧١٠)، الذين يدين تعاليم التوارة مناقضة تامة، وهي أن الضوء الساقط فوق عالمنا مصدره الشمس، وهو لا ينتشر دفعة واحدة. . ثم حدد هذا العالم سرعة الضوء – وهو ماثبتت صحته غير مرة – مبينًا أنه يصل من الشمس إلى الأرض في ثمان دقائق وثمان عشرة ثانية، أي أن سرعته حوالي ثلاث مائة ألف كيلو متر في الثانية. وقد توصل ريمر إلى اكتشافه هذا عن طريق مراقبه هبوط الظلام فوق الأقمار التابعة لكوكب المشتري. كان ريمر يقيم عندئذ في فرنسا، فكتب بحثًا عن اكتشافاته وقدمه في أكاديمية باريس، في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٦٧٥.

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٨)، دراسة في التوراة والإنجيل (١٧٩). ، هل العهد القديم كلمة الله (١٧١).

أما كاتب سطور التورات، فقد كان فريسة الجهل التام بشؤون الفلك، ولكن هذا لا يعفي يهوه من مسؤولياته، كان عليه أن يعرف كل شيء عندما كتبت التورات. [١]

سادسًا: الحيوانات البرية أولًا:

في سفر التكوين ١/ (٢٠-٣١): ٢٠وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ». ٢١فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ٢٢وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلًا: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». ٢٣وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا. ٢٤وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. ٢٥فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ٢٦وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». ٢٧فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ٢٨وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». ٢٩وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. ٣٠وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ. وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.

التعليق: هذه الفقرة تحتوي على مزاعم لا يمكن القبول بها وفقًا لما ورد بدأ ظهور مملكة الحيوان بظهور مخلوقات بحرية وطيور ذات أجنحة. والوصف التوراتي يخبرنا أن

---

(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ٩

الأرض نفسها لم تكن مأهولة بالكائنات الحية حتى مجيء اليوم التالي أي اليوم السادس كما سنرى في الفقرة التالية من ذات سفر التكوين. من المؤكد أن الأصول العضوية للحياة جاءت من البحر. من البحر تم تشكيل الأرض كما هو الشأن في تكوينها الذي أعطاها شكلها المعروف لنا، وعلى ظهرها وجد عالم الحيوانات ومن الحيوانات التي كانت تعيش على سطح الأرض وعلى وجه الخصوص من نوع معين من الزواحف يعتقد أن الطيور قد نشأت. إن العديد من الخصائص البيولوجية المشتركة بينهما تجعل هذا الاحتمال الظني ممكنًا. ووحوش الأرض لم يتم ذكرها حتى اليوم السادس بسفر التكوين حتى فترة ما بعد خلق الطيور وهذا الترتيب في الظهور بحيث تظهر الوحوش بعد الطيور ليس مقبولًا. (١)

سابعًا: لهفة تفضحهم وتنسب إلى ربهم نقصًا

في سفر التكوين ٢/ (١-٣): ١فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. ٣وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا.

التعليق: إن هذا الوصف التوراتي لليوم السابع يحتاج منا بعض التعليقات. وتنصب هذه التعليقات:

أولًا: وقبل كل شيء على ما تعنيه الكلمات المستخدمة في التوراة لوصف هذا اليوم السابع.

إن كلمة (جند) في تعبير: (وأكملت السموات والأرض وكل جندها) إنما هي كلمة غريبة في هذا السياق.

أما كلمة (استراح) التي وردت في النص فهي تفيد أن الله كان قد أصابه التعب في الأيام الستة الأولى(فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل) ومن هنا جاء يوم الراحة عند اليهود وهو يوم السبت.

ولا ريب أن هذه الراحة التي يفترض هذا النص التوراتي أن الله قد أخذها بعد اليوم

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٥٩)، هل العهد القديم كلمة الله (١٧١).

السادس من أيام العمل إنما هي خرافة اخترعها خيال كاتب الإصحاح الثاني من سفر التكوين. وربما كان هناك تفسير لوجود هذه الخرافة. إننا يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذا الوصف لعملية خلق العالم الذي نعرض له بالدراسة كما ورد بالتوراة إنما هو من النصوص التي سبق أن أشرنا إليها باعتبار أنها نصوص المرحلة الكهنوتية وهي المرحلة التي أخذ فيها (الكهنة) وهم الورثة الروحيون للنبي حزقيال (نبي السبي البابلي) على عاتقهم كتابة أسفار التوراة في القرن السادس قبل الميلاد. ومن المعروف أن أولئك الكهنة قد أعادوا صياغة وكتابة أسفار التوراة حسب مفهومهم وخبراتهم التي اكتسبوها وفقًا لمشيئتهم واهتماماتهم الخاصة التي ذكر الأب دي فو أن طابعها التشريعي كان جوهريًا.

وعلى حين لا يشير النص اليهودي للتوراة إلى راحة الله الذي تعب من عمله في الأيام الستة فسبت أي(استراح) نجد أن الكاتب (الكهنوتي) يقحمها على النص الذي يصف عملية خلق الله للعالم.

إن هذا الكاتب (الكهنوتي)يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع وهو يجعل الهدف الأهم من هذه الرواية هو راحة الله في اليوم السابع والله هو أول من احترم الراحة في اليوم السابع. ولا ريب أن العلم يصف مثل هذه المحاولة الكهنوتية لفرض الراحة من العمل يوم السبت بأنها مجرد وهم وتوهم.

إن تهافت الكاتب الكهنوتي لقصة الخلق في بدء سفر التكوين على استغراق كل مراحل الخلق المتعاقبة في نطاق أسبوع بهدف الحث على الطاعة الدينية من جانب الشعب اليهودي بقصد وجوب إلزامه بتقديس الراحة يوم السبت لا يقبل أبدًا إمكانية الدفاع عنه من وجهة النظر العلمية.

إننا اليوم ندرك تمامًا أن تكوين العالم والأرض قد حدث في غضون مراحل استمرت على امتداد فترات زمنية طويلة.

وحتى لو كانت عملية الخلق كما قدمتها لنا التوراة قد انتهت في مساء ذلك اليوم

السادس، ودونها ذكر لتلك الراحة التي فرضها سفر التكوين على الله مفترضًا أن الله قد أصابه التعب طوال الأيام الستة التي عمل فيها على خلق العالم، وحتى لو كان اليوم يستخدم بمعنى مجازي للإشارة إلى زمن غير محدود كما هو الشأن في القرآن الكريم يظل الوصف الكهنوتي التوراتي غير مقبول حيث أن تتابع وتوالي ظهور المخلوقات يتضمن تناقضًا تامًا مع المبادئ الأولية للمعرفة العلمية.

ويجوز أن نقول بناء على ما سبق بيانه إن هذا الوصف الكهنوتي لقصة الخلق بالتوراة يظل تصورًا غير معقول ولا مقبول كمجرد خرافة بحتة وتزييف غير معقول. والغرض منه يختلف تمامًا عن أي تفسير يهدف إلى الوصول إلى أن تكون الحقيقة معروفة.

فخلاصة ذلك أن السفر يتحدث عن ستة أيام أرضية تتكون من ليل ونهار " وكان صباح"، "وكان مساء"، وكان سابعها يوم السبت الذي استراح فيه الخالق - تعالى عن ذلك -، ومن المعلوم علميًا أن الخلق تم على فترات كونية تقدر بملايين السنين، والعلماء يقولون بأن الأرض احتاجت لملايين السنين حتى بردت قشرتها وغدت صالحة للحياة، فيما يتحدث السفر عن ظهور الماء على الأرض في أول أيامها، ثم ظهور النبات في ثالثها، والحيوانات في رابعها وخامسها. [1]

تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض.

وفي هذا المبحث سنناقش ونستعرض ما يلي:

أولًا: عمر خلق الأرض والإنسان حسب التوراة.

ثانيًا: ماذا يقول العلم الحديث بهذا الصدد.

ثالثًا: تفصيل الفترات الزمنية حسب معلومات الكتاب المقدس.

رابعًا: خطأ فاحش وسكوتهم عنه مفضوح

وإليك التفصيل

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٦١)، هل العهد القديم كلمة الله (١٧١)، قراءات في الكتب المقدسة (١٨٣)

أولًا: عمر خلق الأرض والإنسان حسب التوراة.

التقويم اليهودي يتوافق ويتسق مع أحداث العهد القديم وهو يشير إلى أن النصف الثاني من عام ١٩٧٥ لميلاد المسيح يماثل بدء العام ٥٧٣٦ منذ بداية خلق العالم حسب التقويم اليهودي وكانت عملية خلق الإنسان قد تمت بعد أيام عديدة ليكون له نفس عمر الأرض من حيث حسابها بسنوات التقويم اليهودي.

ملاحظة هامة: ومن المحتمل أن تصويبًا ينبغي أن نأخذه في اعتبارنا، ويتعلق هذا التصويب بحقيقة أن حساب الزمن في التقويم اليهودي يتم حسب الأعوام القمرية بينما التقويم المسيحي الميلادي المستخدم في الغرب يعتمد على السنوات الشمسية وهذا التصويب يلزم عمله إذا شئنا مزيدًا من الدقة، ولكن حيث إن حساب هذا الفارق لا يشكل إلا فرقًا مقداره لا يزيد على ٣٪ نجد له أثرًا طفيفًا. ولكي نجعل حساباتنا أكثر بساطة من الأسهل إهمال هذا الفارق حيث إنه لا يتعدى في الحساب كله أكثر من ثلاثين سنة لكل ألف سنة.

ولذلك نكون أقرب ما نكون إلى الصواب عندما نقول: إن التقدير العبري يرجع ببدء تاريخ العالم إلى سبعة وثلاثين قرنًا من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه السلام. [1]

وعلى هذا نقول: حسب الكتاب المقدس فعمر الأرض متزامن مع وجود آدم عليه السلام، وقد حدد الكتاب المقدس الزمن من آدم إلى الطوفان، ومن نوح عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام ومن إبراهيم عليه السلام حتى ميلاد السيد المسيح بحوالي ٥٠٠٠ عام[2].

يضاف إليهم ٢٠٠٠ عام تقريبًا" (بعد الميلاد) فيصبح عمر الأرض يكافئ عمر الإنسان وفي حدود ٧٠٠٠ عام أو يزيد ببضع عقود.

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٦٣)

(٢) ربما يكون من الصعب أن يجيب العلم الحديث بدقة عن تاريخ بداية خلق العالم بالضبط، وكل ما يستطيع العلم الحديث أن يومئ إليه هو مساحة من الزمان تشكل في غضونها نظام مجموعتنا الشمسية، ومن الممكن أن يكون العلم الحديث قد وصل إلى تحديد تقريبي في هذا الشأن. إن الفاصل الزمني بين بدء نشوء النظام الشمسي لعالمنا ووقتنا الحالي يقدرهالعلم الحديث بأربعة بلايين ونصف بليون سنة.

ثانيًا: ماذا يقول العلم الحديث بهذا الصدد:

نستطيع بناء على ذلك أن ندرك الفرق بين الحقيقة العلمية في هذا الصدد وبين المعلومات التي يقدمها لنا الكتاب المقدس بهذا الشأن، وهذه الحقائق تتعارض تماماً مع ما تقدمه لنا نصوص العهد القديم من معلومات في هذا الموضوع إن سفر التكوين يمدنا بمعلومات محددة مقتضبة عن المدة الزمنية التي انقضت منذ عهد سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم وعن المدة التي انقضت منذ عهد سيدنا إبراهيم إلى بدء تاريخ المسيحية. والمعلومات التي يقدمها لنا غير كافية ومن الضروري سد ثغراتها من مراجع أخرى.

ثالثًا: تفصيل الفترات الزمنية حسب معلومات الكتاب المقدس من آدم إلى إبراهيم:

بالإصحاحات ٤، ٥، ١١، ٢١، ٢٥ قدم لنا سفر التكوين معلومات متصلة بأنساب الأنبياء بدءًا من سيدنا آدم حتى سيدنا إبراهيم، ولما كان سفر التكوين يذكر عمر كل منهم وعمر الأب عند ميلاد الابن في الغالب الأعم، نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاد ووفاة كل خلف لكل سلف، كما هو واضح من الجدول التالي المستمد من النص الكهنوتي بسفر التكوين، حيث إن هذا النص هو الوحيد في التوراة الذي يعطي معلومات من هذا النوع، ومن هذا الجدول نستطيع أن نستنتج أن سيدنا إبراهيم وفقًا لمعلومات التوراة قد ولد بعد ١٩٤٨ سنة بعد سيدنا آدم، وفيما يلي جدول يوضح تاريخ الميلاد ومقدار العمر وتاريخ الوفاة بعد خلق آدم حتى نصل إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام:

الاسم	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
آدم	٠٠	٩٣٠	٩٣٠
شيث	١٣٠	٩١٢	١٠٤٢
أنوش	٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠
قينان	٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥
مهللئيل	٣٩٥	٨٩٥	١١٩٠
يارد	٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢
أخونخ	٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧
متوشالح	٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦
لامك	٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١
نوح	١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦
سام	١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦
أرفكشاد	١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦
شالح	١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٢
عابر	١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧
فالج	١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦
داعو	١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦
سروج	١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩
ناحور	١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧
تارح	١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣
إبراهيم	١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣

من إبراهيم إلى العصر المسيحي:

إن الكتاب المقدس لا يعطينا أية معلومات رقمية عن هذه الفترة الممتدة من سيدنا إبراهيم حتى العصر المسيحي مثل تلك المعلومات التي نجدها بسفر التكوين عن العصر السابق لعصر سيدنا إبراهيم وعصر أسلاف سيدنا إبراهيم، ويجب علينا أن نبحث عن مصادر أخرى للمعلومات لنتمكن من تحديد الزمن الذي يفصل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى.

إن هذا العصر الذي يمتد فيما بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى يقدر حاليًا بحوالي ثمانية عشر قرنًا قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

وبإضافة هذه المدة إلى المدة التي تفصل بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم كما يحددها سفر التكوين نجد أن هذه الإضافة تصل بنا إلى حوالي ثمانية وثلاثين قرنًا قبل ميلاد المسيح عليه السلام، (المدة التي تفصل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى ١٨ قرنًا قبل الميلاد + المدة التي تفصل بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم وهي ٢٠ قرنًا قبل الميلاد، إذن المدة بين سيدنا آدم وسيدنا عيسى عليه السلام = ١٨ + ٢٠ =٣٨ قرنًا قبل الميلاد)[(١)]

ومن ذلك أن (المطران جيمس أشار)، (١٥٨١-١٦٥٦) – مطران أرماغ في أيرلندا أصدركتابه الذي حسب فيه عمر العالم، وقد ذهب إلى أن الأرض قد خلقت في الأسبوع الذي ينتهي يوم السبت الموافق ٢٢ أكتوبر من ٤٠٠٤ق. م.

وفي عام ١٧٠١/ أضيفت تواريخ (جيمس أشار) إلى النسخة الإنجليزية الرسمية – وهي نسخة الملك جيمس للتوراة – ومن ثم فقد أصبح لهذه التواريخ سلطانًا قويًا، حتى أن الجيولوجيين الأوائل قابلوا مقاومة صلبة ودينية متعصبة لنظرياتهم التي تذهب إلى أن عمر العالم في الحقيقة يبلغ ملايين عديدة من السنين.[(٢)]

وقد زاد بعضهم الفترة من خلق الأرض إلى ميلاد المسيح فوصلت إلى حوالي ٥٠ قرناً أو أزيد قليلًا.[(٣)]

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٦٤)

(٢) بنو إسرائيل الحضارة التوراة والتلمود (٣٤٤-٣٤٥)

(٣) انظر إظهار الحق (٣/ ٨٥٨-٨٥٩)

رابعًا: خطأ فاحش وسكوتهم عنه مفضوح:

وهذا التقدير يستحيل إنكار الخطأ فيه، والسبب في هذا أن الخطأ ينبع من الغلطات التي في الكتاب المقدس في المدة التي يحددها الكتاب المقدس بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم، والتقويم اليهودي لا يزال يؤسس تقويمه على هذا الأساس الخاطيء.

وفي أيامنا هذه يمكن لنا أن نتحدى أولئك المدافعين التقليديين عن الحقيقة التوراتية، اعتمادًا على وضوح وجود التناقض بين أوهام الكهنة اليهود الذين كانوا يعيشون في القرن السادس قبل الميلاد ويتصرفون في شئون كتابة التوراة للناس وبين المعلومات والحقائق التي اكتشفها العلم الحديث. وعلى مدار قرون متلاحقة كانت هذه المعلومات القديمة تستخدم كقاعدة لتحديد أحداث العصر القديم وتنسب إلى المسيح.

وفيما قبل عصرنا الحديث كانت الطبعات المختلفة من الكتاب المقدس تمد القاريء بمقدمة تتضمن شرح التتابع التاريخي للأحداث التي مرت بالبشرية من خلق العالم وأيام تحريرهم للكتاب المقدس. ولقد كانت الأرقام تختلف وتتمايز بين وقت وآخر، وعلى سبيل المثال: -تعطينا طبعة الفولجاتا من الكتاب المقدس مثل هذا الانطباع عندما تجعل تاريخ حياة سيدنا إبراهيم ترجع إلى الوراء قليلًا محددة بدء الخليقة بأربعين قرنًا قبل الميلاد.

أما طبعة والتون من الكتاب المقدس المتعددة اللغات التي صدرت في القرن السابع عشر فهي تعطي القاريء لها بعديد اللغات قائمة بالأسماء والأعمار قريبة من القائمة التي سبق لنا تقديمها عن أنساب سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وبحلول العصر الحديث لم يعد المشرفون على طباعة الكتاب المقدس يستطيعون التمسك بمثل هذه الأنماط الجزافية لتحديد تاريخ الأحداث دون الاصطدام بواحد من الاكتشافات العلمية هنا أو هناك يحتم أن يكون تاريخ بدء العالم قد تم في زمان يسبق الزمان المحدد للأحداث بقرون عديدة، ولذلك قنع المشرفون على تحرير وإعادة طبع الكتاب المقدس بأن يحذفوا المقدمات التي كانوا يعرضون فيها لتحديد تاريخ الأحداث وفقا لنصوص الكتاب المقدس، أو اكتفوا بالتحذير بأن التاريخ المستمد من نصوص

الكتاب المقدس لا يشترط أن يكون مطابقًا للحقيقة مفضلين أن يسدلوا حجابًا كثيفًا على الرغبة في تحديد زمن الأحداث التاريخية التي يتحدث عنها نص من النصوص في الكتاب المقدس وذلك باستخدام عبارات من شأنها أن تفرض القبول كما هو دون نظر لأي اعتراضات تثار بشأنه.

وهذا هو السبب في أن النصوص التي تمت كتابتها لا تزال تحتفظ بقداستها على الرغم من أن الإنسان في القرن العشرين لا يستطيع الاستمرار في الاعتماد عليها في التأريخ الدقيق للأحداث وفقًا للتقديرات الوهمية للكهنة الذين كتبوا تلك النصوص بالكتاب المقدس، وذلك باعتبار ضرورة الإيمان بها دون نظر لأي اعتراض مهما يكن معقولًا بشأنها.

إن الحقائق العلمية لا تسمح لنا أن نعتبر أن ظهور الإنسان على سطح الأرض يمتد وراء حد معين لا يتعداه في الماضي.

ويجوز لنا أن نتأكد من أن الإنسان بقدرته على التصرف وكسب الأفعال الاختيارية وفقًا للتفكير الإنساني الذي يتمتع بالتعقل والذكاء الذي يميز الكائنات البشرية عن غيرها من المخلوقات – هذا الإنسان قد بدأ ظهوره على سطح الأرض في تاريخ محدد، و لا يستطيع أحد بطبيعة الحال أن يحدد بدقة في أي عام بدأ ظهور الإنسان في عصور التاريخ الماضية لتدل على قدراته العقلية الإبداعية القادرة على الإنجاز والإبداع؟ هذه المعرفة تجعل من الجائز لنا أن نعرف بدقة الآثار الدالة على وجود هذا الإنسان على سطح الأرض في تاريخ معين على امتداد عصور التاريخ منذ عشرات الآلاف من السنين.

وهذا التأريخ العلمي مهما يكن تقريبيًا يرجع إلى حياة الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ مثل إنسان كروما جون، فلقد تم الوصول إلى اكتشافات أخرى في أنحاء كثيرة من العالم لآثار وبقايا إنسان مرحلة ما قبل التاريخ، وهذه الآثار البشرية تعزى إلى أنواع من البشر أقل تدرجًا في سلم البشرية ولكن تأريخ أولئك البشر يمكن أن يرجع إلى مئات الآلاف من السنين، ولكن السؤال هو: هل كانوا بشرًا بالمعنى الحقيقي لكلمة البشر؟.

وعلى كل حال وسواءً كانوا بشرًا أو لم يكونوا كذلك لدينا معطيات علمية دقيقة بشكل كاف في مجال علم السلالات البشرية ترجع ببدء تاريخ نشأة البشر على سطح الأرض إلى تاريخ أبعد بكثير في الماضي من العصر الذي يحدده سفر التكوين لأوائل البشر، مما ينشأ عنه تعارض بين حقائق العلم بشأن بدء ظهور الإنسان على سطح الأرض وبين الحقائق الحسابية التي يقدمها سفر التكوين فيهذا الصدد. (١)

وصدق الله العظيم إذ يؤكد أن البشرية ضاربة جذورها في التاريخ قرونًا طويلة، فيقول: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه: ٥١-٥٢)، وقال أيضًا: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾(الفرقان: ٣٨)، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (إبراهيم: ٩). (٢)

٣ـ الطوفان

أولًا: تمهيد:

يروي لنا الإصحاح السادس والإصحاح السابع والإصحاح الثامن من سفر التكوين قصة الطوفان.

ونحن لا نجد في الحقيقة قصة واحدة للطوفان بل نجد قصتين، لم توضع إحداهما بعد إتمام الأخرى، ولكن تباعدت وتداخلت أجزاء إحداهما في الأخرى مع محاولة مكشوفة لمحاولة التنسيق بين الأحداث المختلفة. وإليك هذه النصوص:

أولًا: الإصحاح السادس: **١وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ**

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث (٦٥-٦٧)

(٢) هل العهد القديم كلمة الله (١٧١-١٧٢)

أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». ٤كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. ٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». ٨وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، ٩هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. ١٠وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ. ١١وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. ١٢وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. ١٣فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. ١٤اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. ١٥وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. ١٦وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ. ١٧فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. ١٨وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. ١٩وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. ٢٠مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا. ٢١وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا». ٢٢فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ.

ثانيًا: الإصحاح السابع: ١وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. ٢مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا

وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. ٣وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. ٤لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّام أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ». ٥فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ، ٦وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، ٧فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. ٨وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: ٩دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا. ١٠وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. ١١فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. ١٢وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. ١٣فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ. ١٤هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. ١٥وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. ١٦وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ. ١٧وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. ١٨وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ١٩وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. ٢٠خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. ٢١فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. ٢٢كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. ٢٣فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ،

وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. ٢٤وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.

ثالثًا: الإصحاح الثامن: ١ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. ٢وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. ٣وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، ٤وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. ٥وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ، ٦وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا ٧وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ٨ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، ٩فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. ١٠فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، ١١فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. ١٢فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجعُ إِلَيْهِ أَيْضًا. ١٣وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. ١٤وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ، ١٥وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلًا: ١٦«اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. ١٧وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ». ١٨فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. ١٩وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ، ٢٠وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ

الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، ٢١فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. ٢٢مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ».

وفي حقيقة الأمر نجد في هذه الإصحاحات الثلاثة تناقضات واضحة كبيرة.

والسبب في وجود هذه التناقضات أيضًا يرجع إلى وجود مصدرين لكتابة أسفار التوراة هما المصدر الياهواي والمصدر الكهنوتي. وكما هو معلوم فهذان المصدران اللذان صدرت عنهما كتابة أسفار التوراة يتناقضان ويتعارضان إلى حد كبير.

لقد تم تقطيع كل رواية للحدث إلى أجزاء وتم إدخال تعديلات وتفسيرات في مزيج تداخلت فيه عناصر أحد المصدرين في عناصر المصدر الآخر لدرجة أننا نستطيع أن نلاحظ بوضوح أننا ننتقل من أحد المصدرين إلى المصدر الآخر في ذات قصة الطوفان سبع عشرة مرة، وذلك في غضون ما لا يزيد على مئة سطر تقريبًا في هذا النص من سفر التكوين المكتوب باللغة الإنجليزية. (١)

ثانيًا: نظرة في قصة الطوفان ومدته:

ولو أننا نظرنا إلى قصة الطوفان ككل لوجدناها تمضي على هذا النحو: لما عم الفساد بين الناس قرر الله أن يدمرهم وأن يدمر كل المخلوقات الحية. وحذر الله سيدنا (نوحًا) من الطوفان قبل حدوثه وأمره أن يبني الفلك أو السفينة وأن يدخل فيها زوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث مع كائنات حية أخرى. ويختلف المصدران المتداخلان في رواية قصة الطوفان في تحديد الكائنات الحية الأخرى التي أمر الله سيدنا (نوحًا) أن يدخلها معه إلى السفينة. هناك مقطع من الرواية كهنوتي الأصل يشير إلى أن سيدنا نوحًا قد أخذ معه في السفينة زوجًا من كل نوع. ثم يخبرنا مقطع آخر من الرواية ياهوي الأصل أن الله قد أمر

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ٦٧

سيدنا نوحًا أن يأخذ معه في السفينة سبعة من كل نوع ذكورًا وإناثًا وذلك من الحيوانات المسماة بالحيوانات الطاهرة وأن يأخذ زوجًا واحدًا من الحيوانات غير الطاهرة وبعد ذلك، على كل حال، يخبرنا نص التوراة أن سيدنا نوحًا لم يدخل بالسفينة فعلًا إلا زوجًا واحدًا من كل نوع من الحيوانات. ويؤكد لنا المتخصصون في دراسة نصوص الكتاب المقدس مثل الأب دي فو أن هذه الرواية الأخيرة إنما هي النص المعدل من الرواية الياهوية.

وفي الرواية فقرة ترجع إلى الأصل الياهوي تشير إلى السبب في الطوفان هو ماء المطر المنهمر من السماء، وهناك رواية كهنوتية المصدر تؤكد لنا أن السبب في الطوفان هو سبب مزدوج أي أن الطوفان قد حدث بسبب ماء المطر وبسبب ماء الينابيع الأرضية أيضًا.

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وإلى منسوب أعلى من أعلى ذروة في قمم الجبال بالماء وتدمرت على الأرض كل الحياة. وبعد سنة من بدء الطوفان رست سفينة سيدنا نوح على جبل أرارات وخرج سيدنا نوح ومن معه من السفينة بعد انحسار المياه عن الأرض. وبالتوراة أيضًا موقفان مختلفان من الزمن الذي حدث فيه الطوفان والزمن الذي استغرقه دوام الطوفان. لقد استمر الطوفان أربعين يومًا وفقًا للمصدر الياهوي. واستمر الطوفان مائة وخمسين يومًا حسب النص الكهنوتي.[١]

ثالثًا: تاريخ وقوعه وآثاره:

ولا تحدد الرواية الياهوية تاريخ وقوع حدث الطوفان من حياة سيدنا نوح على حين تحدد الرواية الكهنوتية عمر سيدنا نوح عند حدوث الطوفان بأنه ستمائة عام. وتعطي هذه الرواية الكهنوتية إشارات محددة لزمن وقوع الطوفان بالنسبة إلى سيدنا آدم وإلى سيدنا إبراهيم وذلك من خلال قائمة الأنساب، ووفقًا للحسابات المستمدة من سفر التكوين نجد أن سيدنا نوحًا قد ولد بعد ١٠٥٦ سنة بعد سيدنا آدم[٢]وبناءً على ذلك يكون الطوفان قد حدث بعد ١٦٥٦ من خلق الله لسيدنا آدم. ويحدد سفر التكوين وقت

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ٦٧-٦٨.

(٢) (انظر جدول أسلاف سيدنا إبراهيم)

حدوث الطوفان بالنسبة لسيدنا إبراهيم أيضًا فيرجع بتاريخ حدوث الطوفان إلى ٢٩٢ سنة قبل مولد سيدنا إبراهيم.

ووفقًا لما ورد بسفر التكوين نجد أن الطوفان قد امتدت آثاره لتشمل كل الجنس البشري وكل المخلوقات الحية التي خلقها الله على سطح الأرض باعتبار أنها قد تم تدميرها جميعًا. وبذلك تكون البشرية قد أعادت تشكيل نفسها من خلال أبناء سيدنا نوح الثلاثة وزوجاتهم مما ينتج عنه أنه عندما ولد سيدنا إبراهيم بعد حوالي ثلاثة قرون فهو قد وجد البشرية قد أعيد تشكيلها إلى مجتمعات منفصلة. (١)

رابعًا: قصة توراتية بلا مصداقية:

السؤال هو: كيف يتسنى لمثل هذه التجمعات البشرية الكبيرة التعداد كتلك التي كانت موجودة في عصر سيدنا إبراهيم أن توجد في غضون ثلاثة قرون فقط؟ إن مثل هذه الملاحظة البسيطة تسلب هذه النصوص التوراتية عن قصة الطوفان كما أوردتها التوراة كل مصداقية تمت إلى الحقيقة بأي صلة.

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن المعلومات التاريخية المتاحة لنا تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية التوراتية عن الطوفان مع الحقائق العلمية التاريخية في هذا الصدد.

إن العصر الذي عاش فيه سيدنا إبراهيم قد تم تحديده بالسنوات من سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد إلى ١٨٥٠ سنة قبل الميلاد أي بفارق حسابي بسيط لا يزيد على خمسين سنة). فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من وجود سيدنا إبراهيم كما يقرر ذلك سفر التكوين عند ذكره للأنساب ينتج عن ذلك أن الطوفان قد حدث في القرن الحادي والعشرين أو القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد. ولكن في ذلك العصر وقبل ذلك العصر وبعد ذلك العصر في حياة متصلة الحلقات عاشت حضارات بشرية ظلت آثار حياتها موجودة على سطح الأرض كما تؤكد ذلك الدراسات العلمية التاريخية الحديثة.

---

(١) المصدر السابق ٦٨-٦٩.

وحتى لا يكون هذا الزعم الذي نزعمه جزافيًا نجد أن في هذه الفترة في إقليم مثل إقليم مصر على سبيل المثال لا الحصر أن القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى الذي سبق مباشرة تاريخ الأسرة الحادية عشرة في التاريخ المصري القديم. ونجد أن أسرة (أور) الثالثة كانت موجودة على أرض (بابل). ومن المعروف جيدًا أن حياة الناس لم تتوقف في هذه الأجزاء من العالم القديم ولم يحدث إعدام وتدمير لكافة مظاهر الحياة والبشر انعدمت فيه الحياة البشرية برمتها كما تقول التوراة. [1]

خامسًا: نتيجة مؤسفة:

ونحن لا نستطيع بناء على الروايات الثلاث التي تقدمها لنا التوراة عن قصة الطوفان أن نعتبر أن هذه الروايات يمكن أن تمدنا بمعلومات يمكن وصفها بأنها أحداث تتفق مع الحقيقة. ونحن مضطرون أن نعترف – لو شئنا أن تكلم بموضوعية – أن النصوص التوراتية التي وصلت إلينا لا تمثل تعبيرًا عن الحقائق. ومن الضروري أن نسأل أنفسنا ما إذا كان من الممكن أن يكون الله قد أنزل كلامًا بالكتاب المقدس مناقضًا للحقيقة مخالفًا لها.

إن من العسير أن نتقبل فكرة أن الله قد أعلم الإنسان أفكارًا وآراء لم تكن خرافية فقط، ولكنها متناقضة بعضها مع بعض ومناقضة لحقائق العلم أيضًا ومن الطبيعي أن نصل إلى ضرورة افتراض حدوث عمليات تحريف قد حدثت من جانب الناس، ونشأت عن مأثورات بشرية، وخبرات بشرية، وأقوال بشرية مرت من جيل إلى جيل في تواتر شفهي، أو من تنتقل نص مكتوب لهذا التراث الديني الذي كان قد سبقه كتابته على نحو آخر.

وعندما يدرك الإنسان أن نصًا مثل نص سفر التكوين قد تم تعديل نصوصه مرتين على الأقل في غضون ثلاثة قرون، فكيف يدهش الإنسان حين يجد فيه أمورًا غير معقولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع حقائق الواقع. وإذا كان تقدم المعارف البشرية الحديثة لم يتح لنا معرفة كل شيء، فهو على الأقل قد أتاح لنا قدرًا من المعارف العلمية الصحيحة التي تمكننا من

---

(١) المصدر السابق ٦٩

الحكم على مدى اتفاق أو اختلاف هذه الروايات القديمة بين أجزائها وبين المعارف العلمية التي أتيحت لنا وليس شيء أكثر معقولية من هذا الافتراض لو شئنا تفسيرًا لوجود التناقضات والأخطاء في نصوص التوراة دون حاجة إلى المغالطات في النقاش.

وإنه لمن المؤسف حقًا ألا يعترف المعلقون والشراح للنصوص المقدسة بهذا التفسير سواء كانوا مسيحيين أو يهودًا. (١)

المبحث الثالث: موقف المفسرين المسيحيين من الأخطاء في نصوص الكتاب المقدس.

ولكي يتبين هذا الموقف لا بد من تقسيمه إلى العناصر الآتية:

١ - تمهيد.

٢- (الأب دي فو) عرض جيد وموقف سيء.

٣- سبل أخرى للتبرير.

٤ - دانييلو والمبالغة المكشوفة.

٥- إقرار آخر وتبرير:

٦ - جهودهم في التوفيق بعد الضيق الذي سببته هذه الأخطاء لهم:

١ـتمهيد:

إن الإنسان ليدهش عندما يرى ردود الفعل الطائشة من جانب المفسرين

المسيحيين في محاولاتهم للدفاع عن هذه الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة بالكتاب المقدس من ذلك:

١ -أن بعضهم يضع يده ويتعرف على بعض هذه الأخطاء والمتناقضات ولا يترددون في التعامل مع هذه المسائل الشائكة.

٢ -وبعضهم يمرون باستخفاف على المسائل غير المقبولة ويصرون على الدفاع عن نصوصها كلمة كلمة.

---

(١) المصدر السابق صـ٧٠.

٣-ويحاول آخرون أن يقنعوا الناس عن طريق التماس الأعذار لتبرير وجود هذه الأخطاء والمتناقضات بالكتاب المقدس باللجوء إلى مناقشات معقدة بعيدة عن الموضوع لصرف الانتباه عن صميم المشكلة على أمل أن ما يستحيل قبوله عقليًا ومنطقيًا سيتم نسيانه في خضم المعلومات المعقدة غير ذات الصلة بالموضوع.[١] وسوف نتعرض لذلك بالمثال.

٢ـ(الأب دي فو) عرض جيد وموقف سيء:

أ - مدى وقوفه على أخطاء الكتاب المقدس:

في مقدمة ترجمته لسفر التكوين يتعرف بنفسه ويعترف بوجود هذه المشاكل المحرجة في نصوص سفر التكوين بل إنه يتوسع في شرح أبعادها وتوضيح وجاهتها وخطورتها.

ب- موقفه من هذه الأخطاء: وبالرغم من ذلك نجد أنه يبني موقفه إزاءها على أساس أن محاولتنا استعادة أحداث الماضي بدقة لا أهمية له.

إنه يكتب على سبيل المثال في ملاحظاته هذه في مقدمته ما نصه كما يلي: (إن حقيقة أن الكتاب المقدس قد عرض أوصافًا لسيل واحد أو طوفان واحد مدمر وقع في وادي نهر دجلة ونهر الفرات أو أكثر من طوفان، وإذا كان وصف التوراة لهذا الفيضان قد اعتراه كثير من المبالغة والتضخيم خلال تناقل وصفه على توالي الأجيال ليتخذ في النهاية شكل كارثة عالمية، فإن هذا لا يهم[٢]، ولكن المهم هو جوهر المسألة ومغزاها الذي يتمثل في أن كاتب النصوص المقدسة في هذا الصدد قد قام بتوظيف[٣] هذه الرواية عن الطوفان لتكريس وتأكيد التعاليم الخالدة التي مؤداها هو عدل الله ورحمته إزاء خبث الإنسان

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث صـ ٧٢.

(٢) وما هو المهم إذن بعد نسبة المبالغة والتضخيم وعدم المصداقية لكلام ينسب إلى الله جل وعلا.

(٣) الله يسمح بتدخل البشر في صياغة كلامه أهذا لعجز! ! أم لمكانة وإذا كان لمكانته عند الله فلماذا لا يؤيده بالحق كما سمح له بالتدخل في صياغة كلامه ورسالته إلى البشر بدلًا من أن يتركه يتخبط ثم إلى أي مدى يسمح للبشر بالتدخل في تغيير كلام الله أقول لو كان حقًا كلام الله ما سمح بذلك سبحان الله وصدق الله إذ قال (لا مبدل لكلماته) الكهف ٢٧.

وعناده، ونجاة المؤمنين من غضبه وعقابه). [١]

ج - **التعليق**: وهكذا وبهذه الطريقة حاول الأب دي فو تبرير عملية تحويل الخرافات التي أدخلها الكتاب المقدس في روايته لأحداث الطوفان إلى حدث ذي أبعاد إلهية - ويغدو الأمر كما لو كان فكرة مناسبة وملائمة لإدماج الخرافة من أجل تقوية الإيمان وتوظيفها لتدعيم الإيمان لدى الإنسان متبعًا في ذلك مبدأ أن المؤلف قد استخدم الخرافة فيما يبدعه المؤلف من البشر لتصوير وإبراز وتجسيم التعاليم الدينية. إن هذا الموقف التبريري يتم اتخاذه من جانب المفسرين المسيحيين لتبرير وتمرير النصوص التي يفترض أنها نصوص مقدسة تقدم للناس كلام الله.

ولو أباح واستساغ الإنسان مثل هذا التدخل البشري الإنساني فيما هو إلهي يجوز تمرير كل ما اعتسفه وأدخله البشر من إضافات كلام الله في الكتاب المقدس بناء على قاعدة أن وجود مقاصد وأهداف ومعان دينية يبرر أي إضافات وأي تدخل وإدماج لكلام البشر في كلام الله، وتغدو هذه الإضافات البشرية إلى كلام الله مشروعة مقبولة في نظر المفسرين المسيحيين مما يجيز إضافات ما كتبه كهنة القرن السادس من عند أنفسهم وأضافوه إلى كلام الله في القرن السادس قبل الميلاد. بما في ذلك ما أضافوه من روايات وهمية لا أساس لها من الصحة كتلك التي شاهدنا فيما سبق من أمثلة لها.

د - بل و محاولة مستميتة لرد العلم وإغلاق العقول والأعين عن الحقائق: ويعطينا الأب دي فو في مقدمته لسفر التكوين الأسباب التي تضطره إلى الدفاع عن نصوص الكتاب المقدس في كل الأحوال والظروف بأي وسيلة، وبأي ثمن حتى ولو كانت غير مقبولة من الناحية التاريخية أو من الناحية العلمية. إنه يطلب منا ألا ننظر إلى التاريخ التوراتي بذات القواعد العلمية التي يستخدمها الناس[٢]، بالنسبة إلى التاريخ البشري في

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ٧٢

(٢) الأصل أن لا يكون هناك أدنى تعارض بين أن يكون الكتاب المقدس روحاني يسمو بالإنسان وبين أن يتوافق مع العلم لأن الأصل هذا ينبني على كونه من عند الله الذي يرشد الخلق إلى مافيه صلاحهم في الدنيا

أيامنا الراهنة كما لو كانت هنالك معايير مختلفة لتمحيص حقائق التاريخ. إن التاريخ عندما تتم روايته بطريقة غير صحيحة لا يكون تاريخًا بل يغدو خيالًا وأوهامًا. ويتفق كل الناس على صحة هذا المبدأ. ولكن التاريخ الذي يريده الأب دي فو بالنسبة التوراة لا ينبغي – من وجهة نظره – أن يخضع للمعايير والمقاييس والقواعد المتفق عليها كشروط لصحة سرد الوقائع التاريخية.

إن مفسر التوراة يرفض أي تمحيص لما تسرده التوراة من خلال حقائق علم الجيولوجيا أو حقائق العلوم التي تبحث تطورات الحياة في العصور الجيولوجية.

إن التوراة كما يقول الأب دي فو لا تأبه بأي من هذه الدراسات العلمية.

إذا أردنا أن نربط نصوص التوراة وننظر إليها في ضوء مثل هذه العلوم فلقد ننتهي إلى تعارض أو إلى توافق مصطنع.

وجدير بالذكر أن نلاحظ أن هذا الدفع وهذا التبرير الذي يلجا إليه الأب دي فو إنما يتعلق بالتناقضات الموجودة بسفر التكوين على وجه خاص في الأحد عشر أصحاحًا الأولى منه.[1]

هـ – ماذا لو كان العلم مؤيدًا للنصوص المقدسة غير معارض:

ولكن لو كانت أي حقيقة علمية يتم الكشف عنها تؤيد وتبرهن على صحة أي حقيقة من حقائق الكتاب المقدس يتم الترحيب بها وتتخذ دليلًا على مصداقية وصحة محتويات الكتاب المقدس كله ولا يتردد المفسر في الاستشهاد بمثل هذه المعارف العلمية الحديثة لمساندة حقائق التوراة وفي ذلك وفي مثل هذه الحالات يقول الأب دي فو بالحرف الواحد: (إن الشكوك التي غيمت وأحاطت بهذه النصوص التوراتية قد انقشعت وزالت

والدين والذي خلق العلم ولا تخفى عليه خافية فإن زعموا غير ذلك فإنا نرد بعون الله تعالى، إن الوحي الإلهي لا يخطئ تاريخيا" أو علميا"، فإن كان هناك تعارض مع العلم في كتاب ينسب لله تعالى فإن مصداقية هذا الكتاب تكون مشكوك فيها، وعندما تتعارض محتويات الكتاب مع حقائق علمية مؤكدة (وليس نظريات علمية)، فإن هذا يثبت التلاعب والإضافات في هذا الكتاب.

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ص٧٥.

بفضل الاكتشافات التاريخية والاكتشافات التي تمت في إطار علم الآثار الشرقية) وبعبارة أخرى يمكن القول: لو كان العلم مفيدًا في تأييد إحدى روايات التوراة فلا بأس في ذلك، أما إذا دحضت حقائق العلم إحدى روايات التوراة فإن الرجوع إلى هذه الحقائق العلمية غير مقبول وغير مسموح به.

٣ـ سبل أخرى للتبرير:

ويدأب عدد كبير من المفسرين المسيحيين على تفسير الأخطاء والأمور غير المعقولة وتقديم تناقضات التوراة اعتمادًا على مقولة أن كتاب نصوص التوراة إنما كانوا متأثرين بثقافتهم الخاصة وأفكارهم المستمدة من حياتهم الاجتماعية والمتسقة مع العوامل المختلفة التي كانت تشكل وتكون ثقافتهم وعقليتهم[1] ومن هنا نشأ الاصطلاح الذي يطلق عليه اسم (الأنماط الأدبية الخاصة) وأفضى إدخال هذا الاصطلاح في مناقشات أولئك المفسرين إلى حل كل المشاكل والتناقضات والصعوبات[2]. ورغم أن هذه الطريقة لا يلجأ إليها كل المفسرين فهي لا تزال مستخدمة حتى اليوم.

وهناك طريقة أخرى لتبرير وتمرير النصوص التي يأباها المنطق ولا تتسق مع المعقولية وهي إغراق هذه النصوص في فيض من المديح والمبالغة في بيان ظروف هذه النصوص والاستطراد في معان بعيدة عن النص لتشتيت انتباه السامع أو القاريء عن وجوه وأسباب التناقض إلى معان ونواح أخرى.

٤ـ دانييلو والمبالغة المكشوفة:

إن تأملات وملاحظات الكاردينال دانييلو عن الطوفان تتبع هذه الطريقة – أي إغراق النصوص في فيض من المديح والمبالغة -. لقد ظهرت هذه التأملات في مجلة (الله حي) تحت عنوان (الطوفان والتعميد والحكم) حيث يكتب مانصه: (إن تقاليد الكنيسة القديمة قد وجدت في قصة الطوفان صورة المسيح والكنيسة) ويكتب أيضًا ما نصه: (إن

---

(١) من هم وما مدى علمهم وما دخل الثقافة والبيئة المحيطة في دقة نقل كلام الله للناس

(٢) قلت غطاء منمق للتحريف وإزالة ما يفضح

الطوفان حدث ذو جلالة عظيمة إنه حكم يصيب الجنس البشري كله) ولقد تأثر في ذلك بكتابات أوريجن في مواعظه عن حزقيال عندما تحدث عن حطام السفينة التي أنقذت العالم كله، ثم يستطرد الكاردينال دانييلو في بيان أهمية وقيمة الرقم ثمانية (٨) وهو الرقم الذي ذكرت التوراة أن الله قد أمر سيدنا نوحًا أن يأخذ معه في السفينة من كل نوع من أنواع الموجودات وهو أيضًا الرقم الذ يحدد عدد البشر على السفينة (باعتبار أنهم نوح وزوجته وأبناؤه الثلاثة وزوجاتهم) ويستعير دانييلو أيضًا ما سبق أن كتبه أيضًا جوستين في (المحاورة) عندما قال إن العدد (٨) يرمز أيضًا إلى اليوم الثامن (عندما قام المسيح من بين الموتى) ويقول أيضًا (ولقد كان نوح وهو أول من كتبت له الحياة بعد الطوفان صورة حية معبرة عن الدور الذي أداه المسيح في حقيقة حياة البشرية).

وتستمر المقارنة ويستمر الاستطراد في المقارنة بين سيدنا نوح الذي نجا وأنقذه البشرية من الهلاك بواسطة السفينة المصنوعة من الخشب الشبيه بخشب الصليب وطفت وعامت السفينة فوق الماء الشبيه بماء التعميد الذي ينقذ البشر من الهلاك من الجهة الأخرى، ويمكن أن يقال الكثير عن مثل هذه المقارنة.

وينبغي أن نتذكر أنها تعليقات على حادثة لا يمكن الدفاع عنها كحقيقة، سواء تعلقها بالعالم كله أو تعلقها بالوقت الذي وقعت فيه حادثة الطوفان، كما تحدد التوراة زمان حدوث الطوفان.

إن تعليقات الكاردينال دانييلو ترجع بنا إلى العصر الوسيط حيث كانت نصوص التوراة يتم قبولها دون أي مناقشة حيث كانت المعقولية معدومة الصلة بالنصوص. [1]

٥ـ إقرار آخر وتبرير:

ومع ذلك نجد بعض الكتابات المشجعة في ظلمات العصر الوسيط مثل كتابات القديس أوغسطين التي نبعت من تفكيره الشخصي المستقل المستنير الذي انفرد بالتقدم

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ٧٣-٧٤.

بالنسبة للعصر الذي عاش فيه القديس أوغسطين.

ومما لا شك فيه أن عصر آباء الكنيسة قد عرف مشاكل تتعلق بنقد النصوص إذ أننا نجد أن القديس أوغسطين يتحدث عن إحدى هذه المشكلات في خطابه رقم (٨٢) وعلى وجه الخصوص نجد ذلك في الفقرة التالية من هذا الخطاب إذ يقول فيها القديس أوغسطين ما نصه كما يلي: (إن الكتب المقدسة المعروفة باعتبار أنها وحدها هي الكتب القانونية هي الكتب التي تعلمت أن أوليها التفاتًا واحترامًا، وأعتقد أن محرريها لم يرتكبوا أي أخطاء في تحريرها. وعندما أصادف في أحدها كلامًا مناقضًا للحقيقة لا يخالجني أي شك في أن خطًا ما قد اعترى النسخة التي أجدها في يدي أو أن المترجم لم يكن دقيقًا أمينًا في الترجمة أو أن القصور إنما هو في قدرتي أنا على الفهم).

لم يكن من المعقول في نظر القديس أوغسطين القبول بأن النصوص المقدسة تحتوي على أخطاء.

كان القديس أوغسطين يؤمن تمامًا بعقيدة (عصمة النصوص المقدسة من الخطأ)، ولكنه كان يقر أيضًا ويعترف أيضًا بوجود أخطاء ومتناقضات في النصوص المقدسة، فيرجعها إلى أسباب إنسانية محضة.

وهذا المنحنى الذي نحاه القديس أوغسطين إنما هو منحى إنسان مؤمن يتمتع بحاسة نقدية سليمة في الوقت نفسه.

وفي عصر القديس أوغسطين لم تكن حقائق العالم من الوضوح والذيوع بحيث يظهر تناقضها مع نصوص الكتاب المقدس. وكانت رؤية مرنة وواسعة الأفق مثل رؤيته لمبررات عدم المعقولية في بعض النصوص المقدسة كافية لتبرير وتسطيح كثير من المشكلات التي تثار في أيامنا الراهنة عند مقابلة بعض نصوص التوراة بحقائق العلم. [1]

ولا يزال مفسرو الكتاب المقدس في أيامنا الراهنة يجتهدون في الدفاع عن نصوص التوراة أمام أي اتهام بالخطأ.

---

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث صـ٧٥.

٦ـ جهودهم في التوفيق بعد الضيق الذي سببته هذه الأخطاء لهم:

وللتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق وبين الاعتقاد السائد بين مفسري الكتاب المقدس ومؤداه هو الصدق المطلق لكل نصوص الكتاب المقدس على الرغم من ظهور ووضوح التناقض فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين الحقائق العلم من جهة أخرى، اجتهد علماء اللاهوت المسيحي في تعريف الحقيقة والتصورات الكلاسيكية للحقيقة وليس متاحًا في بحثنا هذا أن نعرض لكل تفاصيل الدراسات اللاهوتية المتصلة بموضوع (الحقيقة في التوراة) مثل تلك الدراسة التي قدمها أ. لورتز عام ١٩٧٢ تحت عنوان (ما هي حقيقة التوراة) وهي الدراسة التي أصدرتها دار سنتريون في باريس ويهمان فحسب بهذا الصدد أن نشير إلى رأي مؤلف هذه الدراسة فيما يتعلق بحقائق العلم.

يلاحظ مؤلف كتاب (ما هي حقيقة التوراة) أن المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان قد حذر من إعطاء رجال الدين المسيحي أي قواعد أو أحكام للتمييز بين الخطأ والحقيقة في التوراة حيث إن هناك اعتبارات أساسية تشير إلى استحالة هذا التمييز بين الخطأ والحقيقة، ولا تستطيع الكنيسة أن تتخذ قرارًا تحسم به الرأي بشأن صحة أو خطأ المناهج العلمية بحيث تحل بشكل عام مشكلة الحقائق والأخطاء في الكتاب المقدس.

ومن الواضح أن الكنيسة لا تستطيع أن تصدر تقييما صحيحا عن قيمة المنهج العلمي كوسيلة للوصول إلى المعرفة ولكن المسألة إنما هي شيء آخر تمامًا. إن المسألة هنا لا تتعلق بالنظريات العلمية ولكن المسألة في حقيقة الأمر تتصل بالحقائق العلمية الثابتة فعلًا في يومنا هذا، وفي عصرنا هذا ليس من الضروري أن يكون الإنسان متعمقًا في العلوم الوضعية ليعرف أن العالم لم يخلق من عدم منذ سبعة وثلاثين أو ثمانية وثلاثين قرنا مضت. إننا نعرف معرفة يقينية أن الإنسان لم يكن قد بدأ في الظهور على سطح الأرض آنذاك، وأن ترتيب الأدوار الجيولوجية التي بنى على أساسها هذا الترتيب التوراتي قد ثبت بطلانه بما لا يدع مجالًا لأي ريب. ولقد كان من الضروري لمؤلف كتاب (ما هي حقيقة التوراة؟) أن يعي مثل هذا الاعتبار على سبيل المثال لا الحصر.

إن ما يقوله مؤلف هذا الكتاب بشأن العلم إنما هو محاولة من جانبه لتنحية حقائق العلم حتى لا تكشف التناقض والخطأ في بعض نصوص التوراة يتضح لنا مدى ضيقهم وضجرهم إزاء حقائق العلم مما يفضي إلى استحالة الدفاع عن هذه الأخطاء التوراتية دفاعًا منطقيًا مقنعًا فيما عدا اللجوء إلى القصور البشري، والادعاء بأنهم الممثلون الشرعيون لجزء من الوحي الإلهي.

إن هذا الضيق الذي يعتري الأوساط المسيحية فيما يتعلق بشأن الوحي الإلهي (في التوراة) كان واضحًا جدًا في المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) بحيث إنه قد تطلب تجريب ما لا يقل عن ٥ صياغات، حتى اتفقوا على النص النهائي لقرارهم بعد ثلاث سنوات من المناقشات حتى ينتهوا من (هذا الوضع المؤلم الذي كان يهدد بسحب الأرض من تحت أقدام المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان) على حد تعبير صاحب القداسة الأسقف فيبر في مقدمته التي كتبها للوثيقة المسكونية الرابعة من الوحي الإلهي في التوراة.

وهنالك جملتان وردتا في هذه الوثيقة الخاصة بالوحي الإلهي في التوراة، وردتا في الفصل الرابع ص ٥٣، وتشير هاتان الجملتان إلى وجود شوائب في بعض النصوص مما يفضي إلى بطلانها بشكل لا يسمح بأي معارضة لهذا البطلان ومع ذلك تسبغ عليها هالة من الألوهية والقداسة عندما تقول بالحرف الواحد (وبالنظر إلى موقف الناس من الخلاص قبل مجيء المسيح فإن العهد القديم (التوراة) إنما يمكن كل الناس أن يعرفوا من هو الله؟ ومن هو الإنسان؟ وكيف تصرف الله بعدله ورحمته نحو الإنسان؟ وأسفار العهد القديم مع أنها تحوي مادة لا تبلغ حد الكمال وبها شوائب يعتريها البطلان فهي تحوي أيضًا ما يدل على أنها تعاليم إلهية حقيقية).

وليس هناك تعبير أكثر حسمًا من هذا التعبير الوارد في هذه الوثيقة مستخدمًا كلمات مثل (عديم الاكتمال) وكلمات مثل (ظاهر البطلان والخطأ) ليتضح الانتقاد الذي ينبغي أن يفضي إلى نبذ القبول بمحتوى هذه النصوص. إن مبدأ وجوب نبذ هذه النصوص قد

تم الاعتراف به بكل وضوح.

إن هذا النص إنما هو جزء من وثيقة رسمية أعلنها مؤتمر لرجال الدين المسيحي وتم التصويت عليها وصدرت عن المؤتمر الفاتيكاني المشار إليه بأغلبية ٢٣٤٤ صوتًا ضد ستة أصوات فقط عارضت إصداره.

ولو عن لأحد أن يتشكك في هذا القرار الصادر بمثل هذه الأغلبية لقطع الشك باليقين ما حرره أصحاب القداسة (الكاردينال ويبر) مصاغًا في الجملة التي كتبها يقول فيها بهذا الصدد ما نصه كما يلي: (إن أسفارًا معينة في التوراة اليهودية موجودة بالتوراة في الوقت الحالي وبها شوائب تنتقص مصداقيتها).

لقد ورد تعبير (ظاهر البطلان والخطأ) في صلب الوثيقة الفاتيكانية وورد تعبير (التوراة اليهودية في الوقت الحالي بها شوائب تنقص مصداقيتها) ربما تحاول الإيهام بأن هذا الاتهام إنما يلتصق فقط بالتوراة في نصوصها العبرية باعتبار أن النص العبري من التوراة فقط هو موضوع ذلك القرار الذي يدمغ بعض نصوصها بالنقص والبطلان والخطأ. [1].

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث ٧٧-٧٨.

ثم نتقل من مجلة المنار من (شبهات التاريخ على اليهودية والمسيحية)ولما قام الفيلسوف تولستوي الروسي يفند تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، ويبين بطلان الديانة المسيحية - انتصر له المتعلمون للعلوم والفنون حتى تلامذة المدارس وتلميذاتها، فهذا هو شأن الديانة المسيحية كلما ازداد المرء علمًا ازداد عنها بعدًا؛ وإنما كانت أوربا مسيحية أيام كانت في ظلمات الجهل والغباوة، وبعكسها الديانة الإسلامية هي حليفة العلوم، وقد كانت أمتها في عصور المدنية والعلم أشد تمسكًا بالدين، وصارت تبعد عن الدين كلما بعدت عن العلم.

الباب الخامس: متفرقات تتعلق بالعقيدة النصرانية.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أسرار الكنيسة السبعة

وقبل المناقشة التفصيلية لهذه الأسرار السبعة، ومعرفة أصلها، وتكوينها، وكيف تتم حسب الملة النصرانية، نحب أن نعرف ببعض التعريفات الخاصة بها، والتي تعتبر كمقدمة وتمهيد لما نريد التعرض له.

أولًا: معنى كلمة سر:

لكلمة " سر " في الكتاب المقدس ثلاثة معان:

١- المعنى المعروف والمشهور، وهو " الشيء المستتر"، كما في قوله " ٩وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا " (ملوك (٢) ١٧/ ٩)، وقوله " وَلاَ تُبِحْ بِسِرِّ غَيْرِكَ " (أمثال ٢٥: ٩).

٢- ويراد بها أيضًا كل شيء مقدس وغير منظور، كما في الفقرات الآتية:

" ١٤سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ " (مزمور ٢٥/ ١٤)، " لِدَانِيآلَ كُشِفَ السِّرُّ " (دانيال ٢/ ١٩)، " يُعْلِنُ سِرَّهُ لِعَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ " (عاموث ٣: ٧).

٣- وتأتي الكلمة أيضًا بمعنى " رمز أو إشارة أو علامة " كما في قوله في سفر الرؤيا (١٧/ ١- ٧) من وصف الزانية الجالسة على المياه: "٥وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «سِرٌّ. "، وقال الملاك " أَنَا أَقُولُ لَكَ سِرَّ الْمَرْأَةِ ".

ثانيًا: تعريف السر الكنسي:

أما أسرار الكنيسة فقد جاءت في الكتاب بمعنى مواهب أو أعطيات ولها علامات تشير إلى أمور مقدسة خفية.

مثال ذلك قول بولس عن الزواج "٣٢هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ. " (أفسس ٥/ ٣١) ومعنى ذلك أن الاتحاد المحسوس بين الرجل وزوجته علامة أو رمز إلى أمر روحي مكنون هو وحدة القلب والروح التي تشبه اتحاد المسيح والكنيسة.

فالسر الكنسي إذن معناه نعمة غير منظورة نحصل عليها بممارسة طقس ظاهر ذي علاقة بها على يد كاهن شرعي.

ثالثا: شروط إتمام السر:

١- مادة ملائمة للسر كالماء للمعمودية، والخبز والخمر لسر الشركة، والزيت للمسحة وهكذا.

٢- كاهن مشرطن قانونيا بوضع اليد.

استدعاء الروح القدس من الكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحلول الروح القدس.[١]

رابعًا: مفعول الأسرار:

اختلف النصارى حول مفعول الأسرار، هل لها قوة ذاتية تمنح فاعليها الخلاص والنعمة، أم أنها رموز مقدسة للدلالة على الخلاص والنعمة؟

الأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون أن الأسرار تمنح فاعليها النعمة بذاتيتها وقوتها.

يقول حبيب جرجس: " إن الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها، فبها يتطهر الإنسان ويولد ثانية ويتجدد وتغفر خطاياه، وبها يقبل الروح القدس، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا إلى الأبد "[٢]

أما الإنجيليون فيعتقدون أنها رموز للدلالة على نعمة الله.

ففي علم اللاهوت النظامي: " فالأسرار تعني في نظر الكنيسة الإنجيلية رموزا مقدسة، وختوم عهد النعمة أقامها الله للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه. وأيضًا لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله في المسيح حسب كلمته.

والأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة في ذاتها ولا في خادمها، ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس في الذين يقبلونها بالإيمان.[٣]

خامسًا: التأثر بالأديان الوثنية في إطلاق كلمة السر على الشعائر:

يقول فهيم عزيز: " السر ترجمة للكلمة اليونانية (Musterion) وهي تعني في

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس (٥، ٦، ١٤).

(٢) المصدر السابق (١٣).

(٣) علم اللاهوت النظامي (١١٣٦).

استعمالها اليوناني الأصلي الطقوس السرية والتعاليم المختصة بها لتفسيرها وكيفية إقامتها، وقد ارتبطت هذه الكلمة بالديانات السرية حيث كان يقوم الشخص ببعض الطقوس ويستلم بعض التعاليم السرية، وبذلك يصبح الشخص كاملا أو روحيا "[1]

سادسًا: عدد الأسرار:

عددها سبعة لتكون موافقة ومناسبة لحاجات الإنسان في هذه الحياة، وهي:

١- سر المعمودية

٢- سر المسحة المقدسة أو الميرون

٣- سر الشكر أو الافخارستيا.

٤- سر التوبة.

٥- سر مسحة المرضى.

٦- سر الزيجة.

٧- سر الكهنوت.

وليس في الكنيسة أكثر أو أقل من هذه الأسرار.

ونحاول الآن التعرف على حقيقة هذه الأسرار بشئ من التفصيل، مع مقارنة سر التعميد والتناول بالديانات الوثنية لأنهما هما السران المتفق عليهما بين الأرثوذكس والإنجيليين.

أولًا: سرالمعمودية

أهميته:يقول حبيب جرجس: " ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار المسيحية لأنه بمثابة باب يدخل منه المسيحي إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقا لما جاء في إنجيل يوحنا " إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ الله. " (٣/ ٥)، ولذلك يمنح هذا السر للمؤمن قبل أي سر آخر. ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في باقي الأسرار. [2]

---

(١) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس (٤٥).

(٢) أسرار الكنيسة السبعة (٢٢).

والمعمودية كلمة معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها الغسل لأجل التطهر ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمتا (اعتمد) و(عماد) وغيرهما. [١]

أسماؤه: وقد أطلق النصارى على سر المعمودية أسماء كثيرة:

يقول حبيب جرجس: " وبناء على مفاعيله باعتبار طقسه المنظور دعي حميمًا، وينبوعًا مقدسًا، وبالنظر إلى نتائجه غير المنظورة، دعاه الآباء ولادة جديدة، وتقديسًا وختم الإيمان، وختم الدين المسيحي، وحميم الخلاص، والولادة الثانية، حميم الحياة، وماء الحياة الدائمة، وهكذا من الأسماء الدالة على تأثيراته ومنحه "[٢]

أصل هذه الفريضة عند النصارى:

يذكر النصارى أن هذا السر بدأ منذ يوحنا المعمدان الذي يقولون عنه إنه كان يعمد الناس حتى إنه عمد المسيح نفسه.

ويقول الأستاذ أنيس الصائغ: " ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية "[٣]

والقول بأن يوحنا المعمدان كان يعمد بأمر إلهي قول ينظر إليه بمزيد من الحذر خاصة وأنه لم يرد في العهد القديم[٤]، ولا في أي مصدر آخر سوى الأناجيل، وهي ليست المصدر العلمي الموثوق به الذي يمكن الأخذ بأقواله على أنها صحيحة وحقيقية.

هذا إلى جانب أن معمودية يوحنا – على فرض أنه كان يعمد – تختلف عن معمودية النصارى؛ فيوحنا المعمدان – كما جاء في أناجيلهم – كان يعمد لأجل التوبة (متى ٣/ ١١) أما معمودية النصارى فلها غاية أخرى كما سيتبين فيما بعد.

أما الاستناد إلى ما جاء في إنجيل متى من أن المسيح أمرهم بالتعميد، فهذا القول أمر

---

(١) الكهنوت الطقسي في ضوء الوحي والتاريخ، عوض سمعان (٣٨)

(٢) أسرار الكنيسة السبعة (٢٢).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧).

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي (٤٠٣)

به المسيح – في نظرهم – بعد صلبه وموته وقيامته من القبر، وهي أمور تبين بالأدلة أنها باطلة، وما بني على باطل فهو باطل خاصة وأن المسيح عليه السلام لم يعمد أحدا في حياته.(١)

وقت التعميد:

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد.

(أ) فبعضهم يعمد الشخص في طفولته حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأ من الذنوب، وهذا هو الغالب.

(ب) وبعضهم يعمده في أي وقت من حياته.

(ج) والبعض الآخر يجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب.(٢)

نصوص التعميد:

جاء في إنجيل متى (٢٨/ ١٨ – ٢٠): " ١٨فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، ١٩فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. ٢٠وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ. "

غاية المعمودية في نظر النصارى:

اختلف النصارى حول غاية المعمودية، وذلك بناء على اختلافهم حول مفعول الأسرار.

فالتعميد في نظر الإنجيليين رمز أو علامة خارجية للمواعيد الإلهية فليس لها أي فعل داخلي تحدثه في النصراني.

أما الأرثوذكس والكاثوليك فيرون أن العميد شركة حقيقية مع المسيح، فالإنسان الذي يغطس تماما تحت سطح الماء يشبه إنسانا مات مع المسيح، وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنسانا جديدا لحياة جديدة"(٣)

---

(١) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، أحمد على عجيبة (٥٩٨ – ٥٩٩).

(٢) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي (٦٢).

(٣) انظر: علم اللاهوت النظامي (١٠٧٤)، تفسير أعمال الرسل (١١٤).

فالمعمودية في نظرهم موت، ودفن، وقيامة مع المسيح إلى حياة جديدة. (١)

هذا إلى جانب أن التعميد - في نظرهم - يمحو الخطيئة الأصلية، ويمحو لدى البالغ الخطايا الشخصية ويفي ما يتوجب عليه من ديون ويحدث فيهم الموت عن الخطيئة. (٢)

كما أنها - أي المعمودية - في نظرهم " ضرورية جدا للخلاص وبدونها لا يمكن للإنسان أن يخلص "(٣)

فالمعمودية في نظر الأرثوذكس والكاثوليك ليست إشارة أو رمزا ولكنها عمل - كما يقول حبيب جرجس - يترك أثرا في النفس هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية. "(٤)

ويستفاد من هذه الأقوال أن التعميد وحده كاف في محو الخطايا وغفران الذنوب، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول للنصارى لا حاجة إذن لصلب المسيح وموته وذلك لاستقلال التعميد بالخلاص ومغفرة الذنوب ومحو الخطايا.

كيف تتم المعمودية؟

اختلف النصارى أيضًا حول الكيفية التي يتم بها التعميد:

هل تتم بالتغطيس أو بالرش والسكب؟

اعتادت الكنيسة الإنجيلية رش الماء - وهو رأي الأغلبية - وبعضهم يفضل التغطيس بل يحسبه ضروريا للمعمودية، وبعضهم يرى أن الرش أو السكب مستحسن. (٥)

أما الأرثوذكس فيرون أن المعمودية لا تتم إلا بالتغطيس في الماء بواسطة رجال الكنيسة ويلزم أن يكون التغطيس ثلاث مرات.

والكاثوليك يرون أنها تكون بالتغطيس أو بالغسل أو بالرش. (٦)

---

(١) المعمودية في الكنيسة الواحدة (٢٩).

(٢) المسيح حياة نفس (٢٠٤).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية (٧٦)، أسرار الكنيسة السبعة (٢٦).

(٤) أسرار الكنيسة السبعة (٢٧).

(٥) علم اللاهوت النظامي (١٠٧٦).

(٦) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٦٠١ - ٦٠٢).

ويقول الأستاذ/ محمد مجدي مرجان (الذي كان نصرانيا وأسلم) وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يوحنا، صنعوا بئرا أو بركة صغيرة في كل كنيسة على غرار نهر الأردن الذي كان يعمد يوحنا الناس فيه، وملئوا البركة بالماء، فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره سواء أكان طفلا حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلا أو امرأة اعتنقت المسيحية حديثا، فإنه يخلع ملابسه ويصير عاريا كما ولدته أمه، ثم يأتي الكاهن ومساعده ويحملونه ويضعونه داخل البئر ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات في البحيرة حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركًا. [١]

تأثر النصرانية بالأديان الوضعية في التعميد:

يقول كمال الدين " قد شوهد أن كل ما في الطقوس والنظامات الرسمية للديانة الوثنية قد أدخل على دين عيسى النقي الطاهر ". [٢]

ويقول شارل جنيبير: " إلا أنه لا مجال للشك في أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على النصرانية شيئًا فشيئًا حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها ". [٣]

والتعميد كان من أهم الشعائر المنتشرة بين الوثنيين وقت وقبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

يقول لندي: " إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جدا، فقد كان شائعا في آسيا وأمريكا وكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث في الهيكل المدعو (هيكل الصليب) يصب الماء من إبريق وكان يدعون ماء العمادة: ماء الولادة الثانية ". [٤]

وقد أشار كثير من العلماء الأوروبيين إلى أن التعميد كان منتشرا منذ عهد قديم في بلاد كثيرة، فكانوا عندما يعمدون الأطفال في الهند ومنغوليا والتيبت ... "[٥]

---

(١) المسيح إنسان أم إله (٤٥ - ٤٦).

(٢) ينابيع المسيحية (٣٩).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (١٢٦).

(٤) العقائد الوثنية (١٢٨).

(٥) المصدر السابق (١٢٥).

وسنرى ذلك عند الأمم الوثنية واحدة تلو الأخرى:

١ـ التعميد عند المصريين:

يقول زكي شنودة: " وكان المصريون يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين ". (١)

وكان المصريون يعتقدون أن من يعمد تحصل له الولادة الثانية ويحصل على النعيم الأبدي – وذلك كما يعتقد النصارى في التعميد.

يقول جون لويمر: " ففي عبادة إيزيس كان العضو يولد من جديد عندما يستحم في المياه المقدسة ". (٢)

٢ـ التعميد عند الفارسيين:

وقد وجد التعميد عند الفارسيين القدماء، حيث كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضع أيام، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس، فيغمسه في إناء مملوء ماء، ثم يسمونه بما يريدون من الأسماء. (٣)

وكان التعميد واحدًا من طقوس ديانة (مثرا) الفارسية، وكان التعميد في هذه الديانة يتم عن طريق الاستحمام في دماء ثور، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن مثرا قدم ثورا ذبيحة وذلك لتخصيب الأرض. (٤)

٣ـ التعميد عند الهنود:

ذكر كثير من الباحثين أنه كان لدى البرهميين القدماء عادة تشبه ما يقوم به المصريون والفرس من طقوس وهي العمادة بعينها، وحين إجرائها يصلون ويتوسلون للشمس، ومن بعد قسم الأيمان المغلظة من المعمد على أداء الطاعة التامة للكهنة وحفظ الأسرار والنظافة على جسده يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش

---

(١) تاريخ الأقباط (١/ ٣٧).

(٢) تاريخ الكنيسة (١/ ١٩).

(٣) العقائد الوثنية (١٢٦).

(٤) انظر: معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٧٠٩).

بالماء (الخلق الجديد) ويلبسونه ثوبًا خصوصيًا وإكليلًا، ويرسمون على جبينه صليبًا ويضعون على صدره صليبًا. . . .[١]

٤ـ التعميد عند اليونانيين:

وكان التعميد أيضًا واحدا من طقوس الأديان اليونانية أيضًا.

ففي الديانة الأليوسيسة كان من يريد الدخول في هذا الدين يقوم بالاستحمام في الخليج ليتطهر من الدنس الجسمي والروحي.[٢]

وفي الديانة الأورفية كان التعميد واحدا من أهم طقوسها حتى لقد اعتقد بعض الباحثين أن المسيحية استمدت هذا السر منها.[٣]

٥ـ التعميد عند الرومانيين:

وكان الرومانيون الوثنيون أيضًا يقومون بطقوس التعميد وما شابهها " فكانوا يعمدون أولادهم بالماء ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا، وكانوا يعمدون أولادهم على اسمها وبركتها. . . ، ويدعون ماء العمادة (الماء المقدس)، ومن بعد العمادة يعطي الكاهن أبوي الطفل ورقة شهادة على أن ولدهما عمد وخلق ثانية، ثم لهم الحق بعد ذلك أن يعدونه من العائلة ويتخذون هذا اليوم عيدا عظيما. "[٤]

ثانيًا: سر التناول (العشاء الرباني)

وهو يرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ.

تعريفه: له تعريفات مختلفة تبعا لاختلافهم حول غاية العشاء الرباني.

فالإنجيليون يعرفونه: بأنه سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولها حسبما رسم المسيح، والقابلون باستحقاق يتناولون جسده ودمه مع جميع فوائده لا تناولا جسميا

---

(١) العقائد الوثنية (١٢٥ – ١٢٦).

(٢) قصة الحضارة مجلد ٢ (١/ ٣٤٢)

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثاني) (١٣).

(٤) العقائد الوثنية (١٢٧).

جسديا بل تناولا روحيا بالإيمان.[١]

أما الكاثوليك فيعرفونه بأنه سر حضور ربهم يسوع حضورا حقيقا بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر.

والخبز في نظرهم يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه.[٢]

أما الأرثوذكس فيعرفونه بتعريف يشبه تعريف الكاثوليك وذلك لأنهم متفقون في الغاية من العشاء الرباني.

يقول حبيب جرجس: " سر مقدس به يأكل المؤمن – المسيحي – جسد المسيح الأقدس ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر".[٣]

والخلاصة: أن الإنجيليين يرون أن حضور المسيح وقت تناول العشاء الرباني حضورا روحيا، أما الكاثوليك والأرثوذكس فيرون أن المسيح يحضر هذا السر – وقت الاحتفال به – حضورا حقيقيًا، وأن الخبز يتحول إلى جسد المسيح، والخمر يتحول إلى دمه تحولا حقيقيا، " وذلك أمر غريب في العقل، لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغه قط، إذ كيف يتحول الخبز لحما؟ وكيف يصير لحم شخص معين معروف؟ وكيف تتحول الخبز دما؟ وتصير دم شخص معين معروف! ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول في العقل. "[٤]

أسماؤه: وهذا السر من أهم الأسرار المسيحية ولذلك دعي عندهم " سر الأسرار "، "وأسمى أسرار الكنيسة ".

ولقد أطلق على هذا السر أسماء متعددة فهو (سر الشكر – العشاء الرباني – العشاء السري – العشاء الإلهي – مائدة الرب – مائدة المسيح - المائدة السرية – خبز الرب –

---

(١) تفسير أصول الإيمان (٢/ ١٣٧).

(٢) يسوع المسيح (٣٠٦ - ٣٠٧).

(٣) أسرار الكنيسة السبعة (٦٢).

(٤) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة (٢٠٤).

كأس الحياة الخلاصية – الأفخارستيا – والاجتماع – والتقدمة) إلى غير ذلك من الأسماء.

العناصر التي تستعمل في العشاء الرباني: الخبز والخمر هما عنصر العشاء الرباني وقد اختارهما المسيح – في نظرهم – لأنهما مادتان بسيطتان تشيران إلى جسده ودمه.[1]

وقد استدل المسيحيون على ذلك بما جاء في إنجيل متى " ٢٦وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». ٢٧وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ " (متى ٢٦/ ٢٦ – ٢٧).

وبما جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى (١١/ ٢٣ – ٢٦): " إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا ٢٤وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي»"

وقد اختلفت الكنائس حول استعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز، ونشأت بينهما منازعة شديدة على هذا الموضوع في القرن الحادي عشر.

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية في العشاء الرباني:

كان الوثنيون يمارسون طقوسا كثيرة من بينها فكرة (الوليمة المقدسة) يدعون فيها الأكل من لحوم آلهتهم والشرب من دمائهم، لكي تكون فيهم (أي في أجسادهم صفات وقوة آلهتهم)[2]

ولنعرض الآن لفكرة التناول عند الأمم الوثنية:

١ـ التناول في الديانة الهندية:

إن الأفخارستيا فكرة مأخوذة من مشركي الهند، فإن قدمائهم يتوقف ظاهر عبادتهم على ربان النار شعلها رب البيت صباحا ويبعث مع حراراتها صلاة حارة يستنزل بها رحمة القوة المستترة وراء الطبيعة، ورب البيت مثل الأب أو الكاهن تشارك امرأته في تقدمة

---

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي (١٠٩٢)، جسد الرب ودمه (١١).

(٢) المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد، صموئيل مشرقي.

القربان شراب مخمر ومن أقراص دقيق معجون بالسمن كقربان المسيحيين. (١)

٢ـ التناول في الديانة الفارسية:

يقول ول ديورانت: " وكان من مشروبات الفارسيين مشروب مسكر يسمى (الهوما) يقدمونه قربانا محببا آلهتهم، وكانوا يعتقدون أنه لا يبعث في مدمنه الهياج والغضب بل يبعث فيهم التقى والاستقامة " (٢)

ويقول شارل جنيبير: " ونقل إلينا جوستين – أحد المدافعين عن المسيحية في القرن الثاني الميلادي (١٠٠م – ١٦٥ م) أن أسرار مثيرا احتوت على نوع من الشعائر، يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك "(٣)

٣ـ في الديانة اليونانية:

كان اليونانيون المتعبدون بالأديان السرية يقيمون بعض الطقوس الدينية والتي كان من أهمها (التناول) أو (العشاء الرباني).

ففي الأسرار الأليوسيسة كانوا يتناولون – كما يقول ول ديورانت - عشاء ربانيا مقدسا إحياء لذكرى " ديميتير " ويشربون مزيجا مقدسا من دقيق الحنطة والماء ويأكلون كعكا مقدسا "(٤)

وفي أسرار (ديونيسس) كانوا يقيمون بعض الاحتفالات التي تمثل موت الإله (ديونيسس) وبعثه.

" وكان أهم هذه الاحتفالات أن يمسك النساء بماعز أو ثور أو رجل في بعض الأحيان (يرين أن الإله قد تقمصه) ويمزقنه إربًا وهو على قيد الحياة إحياء لذكرى تمزيق ديونيسس، ثم يشربن دمه، ويأكلن لحمه يتخذنه عشاء ربانيًا مقدسًا، معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة إلى أجسامهن ويستحوذ على أرواحهن، وكن في هذه الحماسة

---

(١) المسيح والتثليث، محمد وصفي (١٥٣).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٢/ ٤٢٢، ٤٣٣).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها (٧٧).

(٤) قصة الحضارة مجلد ٢ (١/ ٣٤٢).

القدسية يؤمن بأنهن سيصبحن والإله شيئًا واحدًا ". [١]

ثالثًا: سر (التوبة) الاعتراف.

تعريفه: هو سر مقدس به يرجع الخاطئ إلى الله ويتصالح معه تعالى، باعترافه بخطاياه أمام كاهن ليحصل منه على حل بالسلطان المعطى له من المسيح، وبه ينال التجديد وغفران الخطايا.

أسماؤه: أطلق عليه أسماء عديدة مثل: (حل الخطايا – ميناء ثانية بعد الغرق – اعتراف – مصالحة – معودية ثانية).

دليله: ويستدل النصارى على هذا السر بقول المسيح في متى للتلاميذ (١٨/ ١٧ – ١٨) "١٧وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ. ١٨اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ. " وكان هذا وعدا منه لهم، وبناء عليه أسس هذا السر بعدما قيامته عندما ظهر لتلاميذه: " ٢١فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أيضًا: «سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». ٢٢وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. ٢٣مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ». " (يوحنا ٢٠/ ٢١ -٢٣). [٢]

وقد سبق أن قلنا: إن أحداث القيامة لا يوثق بها.

وقد عرفنا من خلال القرآن الكريم أن الغافر هو الله، وأن الاعتراف بالذنب يكون في ضمير الإنسان وروحه. ويعني هذا أن التوبة والاعتراف أمران يربطان بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى: فلا واسطة حتى ولو كان نبيا. فكل نفس تحاسب حسب ما عمل بها صاحبها، والأنبياء لا يغفرون ذنوب الناس، ولم يبعثوا واسطة للغفران بين الله وبين الناس.

وقد صرح المسيح عليه السلام بأنه لم يؤمر أن يغفر للناس خطاياهم. وقد أناط الغفران لله وحده؛ لأنه أي المسيح ليس إلا نبيا بشرا وليس له سلطان لغفران الذنوب، فالعباد هم عباد الله، فهو

---

(١) المصدر السابق (٣٣٩).

(٢) أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس (١٠٣).

بمشيئته يغفر أو لا يغفر، وليس المسيح سوى نبي يدعو ويبلغ ويهدي إلى التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة/ ١١٨).

لكن النصرانية تصر على أن المسيح هو الذي أسس سر التوبة بعد قيامته من الأموات كما سبق.

أما عن كيفية الاعتراف فيرون أن بعض المؤمنين يلجأ إلى بديل عن الاعتراف.

فمنهم مثلًا من يطلب من الكاهن حل الخطايا (الصلاة على الرأس) قبل ما يسمى بالمناولة، ومنهم من يكتفي بترديد صلاة الاعتراف (أومن يارب وأعترف) التي يتلوها بعض الكهنة في القداس الإلهي مباشرة قبل المناولة.

والاعتراف الصحيح في الكنيسة هو الاعتراف الفردي الصادق أمام الكاهن، وفيه يقر التائب بخطاياه جميعها.

ويستثنى الذين هم على وشك الموت، فهم عاجزون عن الاعتراف، لذلك يمنحهم الكاهن الحل من خطاياهم ويناولهم جسد الرب ودمه الكريمين دونما تردد حسب ما يدعون.

والأساقفة والكهنة وحدهم يمنحون حل الخطايا للمؤمنين التائبين.

ولكي يتقبل الكاهن اعترافات المؤمنين ويحلهم من خطاياهم يجب أن يحصل على إذن خاص من أسقفه، ويستطيع كل كاهن بحكم رتبته، أن يحل من الخطايا جميع المؤمنين التائبين الذين في خطر الموت. ويتقدم المؤمنون إلى سر التوبة كلما دعتهم الحاجة. ومن المفضل أن يعترف المؤمن دوريا، وبخاصة خلال الصوم ولا سيما الصوم الأربعيني.

فمن الملاحظ أن للكهنة سلطانا كبيرا في التكفير عن الخطايا. . ونريد أن نسأل سؤالًا وهو: ألا تغفر خطايا من يعترف لربه بها بينه وبين الله؟ ألا تقبل التوبة إلا إذا كان الكاهن مشرفًا على التائب يسمع منه توبته؟

فغفران الذنوب أمر من اختصاص رب العالمين ومن يدع أنه يغفر الخطايا فهو مشرك بالله تعالى، ويقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾(التوبة/ ٣٤).

إذًا فهناك بعض الرهبان والأحبار يستغلون مواقعهم الدينية ليكسبوا الأموال الحرام من الناس فكيف يمكن أن يكونوا واسطة لغفران الذنوب؟ ، وقد أصبح غفران الذنوب بدعة عجيبة ، فإذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالا لشيء ما، طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب، وبالصك فراغ ترك يكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه.

رابعًا: سر مسحة المرضى.

تعريفه: يقول النصارى: هو سر مقدس به ينال المريض شفاء أمراضه الروحية والجسدية.

تأسيسه: يدعي النصارى بأن هذا السر أسس من السيد المسيح، ويستدلون على ذلك بأن يعقوب الرسول يشير إلى ذلك صريحًا بقوله " ١٤أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، ١٥وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ. " يعقوب (٥/ ١٤ – ١٥).

وقد مارس الرسل هذا السر عندما أرسلهم المسيح للكرازة كما قال مرقس الإنجيلي " وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ. " (مرقس ٦/ ١٣)[1]

الشروط اللازمة لإتمام هذا السر:

١ – الشخص القابل السر وهو المريض قوله " ١٤أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ ".

٢ – خادم السر بقوله " فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ ".

٣ – صورة السر وهي " الصلاة " بقوله " فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ ".

٤ – مادة السر بقوله " وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ ".

٥ – مفعول السر وهو الشفاء بقوله " ١٥وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ،

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة (١٢٨).

وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ. "

خامسًا: سر الزيجة.

تعريفه: يقولون: الزيجة هي ناموس طبيعي سنه الله تعالى منذ ابتداء الخليقة.

غايته: وقد حدد النصارى لسر الزيجة غايتين:

الأولى: هي نمو النوع البشري وحفظه بالتناسل حسب الأمر الإلهي.

الثانية: هي التعاون والتعاضد ومساعدة كل من الزوجين للآخر.

الشروط المطلوبة لعقد رباط الزيجة:

وقد اشترط النصارى لهذا السر أربعة شروط:

أولا: أن يكون العروسان مسيحيين لأنه بدون الإيمان بالمسيح لا يمكن نيل النعمة الإلهية المعطاة بهذا السر أو بغيره.

ثانيا: أن يكونا أرثوذكسيين لأنه لا وجه لنوال غير الأرثوذكس إكليلا أرثوذكسيا من يد كاهن أرثوذكسي.

ثالثًا: أن يكونا بعيدين عن القرابة الجسدية والروحية المعينة درجاتها من قوانين الكنيسة الأرثوذكسية.

رابعا: أن يكونا راضيين وقابلين الزواج بتمام الحرية والإرادة المطلقة.

أوصاف الزيجة المسيحية:

للزيجة المسيحية صفتان:

الأولى: وحدة الزيجة، وهي أن يكون للرجل امرأة واحدة، وللمرأة رجل واحد أي منع تعدد الأزواج والزوجات.

والثانية: عدم انفكاك هذه الزيجة، بمعنى حرمة الطلاق. [1]

كيف يتم هذا السر؟

يقرب القسيس رأس العروسين، ويربطهما برباط واحد ثم يتلو بعض العبارات،

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة (١٣٦ - ١٤٣ - ١٤٤).

وبذلك يتم العقد. ويشترط أن يتم الزواج في الكنيسة أما الزواج الذي يتم خارج الكنيسة فلا تعترف به، وتعده علاقة آثمة بين الرجل والمرأة.

ومن المفارقات العجيبة أن الأصل في المسيحية أن يترهب الناس ويعفوا أنفسهم عن الزواج، رجالا ونساء، ويستندون في ذلك إلى تأويل فاسد لعدم زواج السيد المسيح عليه السلام ولكنهم وجدوا أن هذا غير ممكن، فأجازوا الزواج، أي أن الأصل الترهب والاعفاف والزواج استثناء، إنه ضغط على النفس البشرية، وتجاهل لناموس الحياة من استمرارية الوجود البشري، وإعمار الكون.

أما عن تعدد الزواج، فقد كان معمولا به في العصور الأولى للمسيحية، أخذا من شريعة اليهود، وتمشيًا مع قول السيد المسيح عليه السلام" ١٧«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. "(متى ٥/ ١٧).

فوجدت الكنيسة نفسها أمام نص صريح للسيد المسيح، ووضع جديد أن تفرضه على الناس فرضا، وللتوفيق ومحاولة منه للخروج من هذا المأزق جعلت الزواج من واحدة فقط مباحا، وأيضًا للخروج من ارتكاب جريمة الزنا، ولكن لا يجوز الطلاق بأي حال إلا لعلة الزنا.

ويلاحظ أن هذا خروج على تعاليم المسيح عليه السلام إذ أن اليهودية تجيز الطلاق لأسباب كثيرة غير علة الزنا، فإذا تم الطلاق في المسيحية لعلة الزنا فإنه لا يجوز للزاني رجلا كان أو امرأة أن يتزوج مرة أخرى، أما إذا كلن الفراق لموت أحد الزوجين، فإن الحي يجوز له أن يتزوج، كذلك يجوز الطلاق إذا كان أحد الزوجين غير مسيحي – اختلاف الملتين – ولكن بشرط أن تتعذر الألفة بينهما.[1]

سادسًا: سر الميرون(أو المسحة المقدسة).

تعريفه: يقول النصارى: إننا بسر المعمودية نولد ولادة ثانية من فوق، ومن ولد ولادة

(١) ماذا تعرف عن المسيحية، كامل سعفان (١٣٨ – ١٣٩).

جديدة يحتاج إلى قوة تثبته وتحفظ وجوده ونموه في الحياة الروحية.

وهو سر مقدس به ينالون ختم موهبة الروح القدس.

تعريف كلمة الميرون:

هي كلمة يونانية معناها " طيب " وتطلق في الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو ٣٠ صنفا من أصناف الطيوب والعطور كالمر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان.

أسماؤه: ويطلق عليه أيضًا " وضع الأيادي " لأن الرسل كانوا يتممونه في العصر الأول بوضع الأيادي على المعتمدين، ويسمى أيضًا " مسحة سرية – وسر المسحة – ومسحة الخلاص ".

تأسيسه: يدعي النصارى أن يسوع هو الذي أسس هذا السر عندما قال: ": «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. ٣٨مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». ٣٩قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ"(يوحنا ٧/ ٣٧ – ٣٩).

وقت تطبيق هذا السر: عند الأرثوذكس تمنح الكنيسة هذا السر بعد المعمودية حالًا. [1]

سابعًا: سر الكهنوت:

معنى الكهنوت: السر الذي يحصل به الإنسان على النعمة التي تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة، فهو خلافة رسولية أخذها الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم، ويسلمونها لمن بعدهم، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح.

تأسيسه: يعتمد النصارى في تأسيس هذا السر على ما ورد في إنجيل متى: " ١٨اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ. " (١٨/ ١٨).

معنى ذلك أن المسيحية تعطى للكهنة سلطة تشبه سلطة الإله، وتطلق يدهم بلا حدود في التحكم في مصائر الشعب، إذ تجعل قولهم ملزمًا يتبعه الناس، وتأسيسًا على ذلك:

---

(١) المصدر السابق (٤٧ – ٥٧).

إذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص أنه ليس بمسيحي صار كذلك، وإذا قال إنه مسيحي كان مسيحيًا، فليس المعتقد حرا في اعتقاده بحيث يتصرف في معارفه كما يرشده عقله، بل إنه مشدود بشفتي رئيسه الديني. "(١)

ولقد تمسك آباء الكنيسة بشتى الأفكار التي تقوم على نظرية السر المقدس.

يقول عبد الأحد داود الأشوري " إن الاعتقاد النصراني القائل إن نفس الروح القدس هذا، أو الأقنوم الثالث في الثالوث المقدس، ينحدر من عرشه السماوي طوع إشارة أي قسيس أثناء احتفاله اليومي ببعض الطقوس، من أجل تقديس عناصرها وتغيير جوهرها وخصائصها إلى بعض عناصر أخرى، فوق الطبيعة، إن هذا الاعتقاد أمر مناف للعواطف الدينية لكل موحد، يهوديا كان أو مسلما، ولا يوجد شئ يهز مشاعر المسلم أكثر من الاعتقاد بأن الروح القدس- بإيعاز من أحد القسس – يغير دائما ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب، ويمحو ما يسمى بالخطيئة الأصلية، أو كالاعتقاد بأن العملية السحرية التي تجري على العناصر المادية للقربان المقدس، تحولها إلى دم وجسد إله متجسد "

بهذه الاعتقادات، وبالسلطان الكهنوتي، يهيمن رجال الاكليروس على الشعب، وسرعان ما يتوافد أفراد هذا الشعب على كرسي الاعتراف؛ لينالوا الغفران من الكهنة، وإذا تم الغفران صار للمغفور له الحق في تناول القربان المقدس، الذي يتحول إلى جسد ودم المسيح كما يزعمون. (٢)

إلى هنا تنهي الأسرار عند الكنيسة الأرثوذكسية، ولكن تخالفها الكنيسة الكاثوليكية في سر آخر وهو:

٨- سر عصمة البابا

وهذا السر تنفرد به الكنيسة الكاثوليكية، وهي تدعي عصمة بابا روما واستحالة ارتكابه الإثم أو الخطيئة، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس

---

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده (٣١).

(٢) انظر: ماذا تعرف عن المسيحية (١٤٣).

الرسول، أحد تلاميذ المسيح، والذي منحه السيد المسيح – بزعمهم – مفاتيح السماء والأرض، بمعنى أن كل ما يربطه على الأرض فهو مربوط في السماء، وكل ما حله على الأرض يكون أيضًا محلولا في السماء.

ولما ضيقت البروتستانية من نفوذ البابا في روما، وحدت من سلطته، اضطر بابا روما إلى تأكيد هذا السر بعقد مجمع مسكوني كاثوليكي في روما عام ١٨٦٩ م فتأكد في ذلك المجمع تمتع البابا في روما بالعصمه واستحالة ارتكابه الإثم، فواعجبي! ![1]

الخلاصة:

يقول ول ديورانت: " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على أحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف، فجاءت من مصر لآراء الثالوث المقدس، ويوم الحساب وأبدية الثواب والعقاب، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك، ومنها جائت عبادة أم الطفل، والاتصال الصوفي بالله، ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة، واللإدرية، وطمس معالم العقيدة المسيحية "[2]

ومن هنا نستطيع أن نقول إن أمر العقائد المسيحية وشعائرها، واستمدادها من الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة لها، ليس بخاف على الكهنة المسيحيين الذين يقودون شعب الكنيسة في أنحاء الأرض، ومما يؤكد هذا النظر أن الأستاذ/ محمد فؤاد الهاشمي، كان قسيسا فأسلم، يقول " إن المسيحية في أصلها دين روحي سماوي، جاء به المسيح من عند الله، ولكن الكهنة في كل زمان ومكان يحتكرون الأسرار لأنفسهم تلك الأسرار التي لو كشفنا عنها، لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه، وإنه ليمنعني من الدخول في أسرار

---

(١) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي (٦٨).

(٢) قصة الحضارة (٣/ ٢٧٥، ٢٧٦).

الكنائس عديد من الاعتبارات، سوف تزول ويأتي الوقت الذي نفصح فيه عن كل شئ، وقد احتفظ رجال الكهنوت بكثير من الأسرار، وأباحوا الرموز للشعب، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية، وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة، عندما وجه القول إلى الفريسيين والصدوقيين من اليهود قائلًا لهم: " لا تضعوا المصباح تحت المكيال " وقد عنى المسيح بالمكيال: الرموز والطقوس،

كما عنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس"[1].

الفصل الثاني: العبادات في عصر المسيح عليه السلام.

عندما ندرس العبادات التي جاء بها السيد المسيح، لا بد أن نطلع على عبادات العقائد التي كانت سائدة آنذاك في فلسطين والحضارات المجاورة، وخاصة عبادات اليهود والرومان، باعتبار أن الطرفين كانا الأكثر وضوحًا من حيث عقائدهما عند مجيء السيد المسيح عليه السلام.

أما العبادات في اليهودية فإن كثيرًا من المصادر دونت لها ووصفتها، وكذلك بثت الأناجيل شيئًا منها.

والواقع أن الحقبة التاريخية التي سبقت مجيء المسيح بحوالي مئة عام شهدت انطلاقًا شديدًا لتابعي اليهود فالظروف التي وجد فيها اليهود لم تكن مشجعة لهم على إقامة الشعائر الدينية، لأن الحملات الآشورية ثم البابلية والفارسية واليونانية قد تركت طابعًا لم يكن من السهل إزالته، حيث انتشرت في طول البلاد وعرضها العبادات الوثنية على اختلافها، وشيدت في كل أنحاء فلسطين معابد وهياكل لآلهة عديدة و كثيرة.

وأما ديانة يهوه فاضطهدت وضعفت، بل في كثير من الأحيان لم تعد كديانة من الديانات الأخرى الموجودة في البلاد بل أصبحت ديانة مكلفة كان ثمنها في بعض الأحيان حياة الذين كانوا يتمسكون بها ويحيونها حياة عملية.

وفي عام ١٦٧ ق. م قام أنطيخوس الرابع بإقامة تمثال يحتمل أن يكون تمثال جوبيتر

---

(١) الأديان في كفة الميزان، نقلا من النصرانية والإسلام (٩٨).

الأولمبي في نفس المكان الذي كان فيه ما يسمى مذبح التقدمة. وبذلك اعتبر اليهود هذا العمل بأنه نجس بيت الرب. وقد أصدر هذا الإمبراطور قرارًا يمنع اليهود من تقديم الذبائح والعبادة لله في بيت الرب. وكان هدف هذا القرار توحيد الديانة الرومانية والقضاء على تنوع الديانات. والوقع أن هذا القرار كان ضد جميع الديانات وليس الديانة اليهودية فحسب. وكان من يتعبد لآلهة أخرى ويقدم لها الذبائح يحكم عليه بالموت وآنذاك أرغم اليهود على أكل لحم الخنزير.

وكان من العادات اليهودية تعيين رئيسًا للكهنة الذين يكهنون لبيت الرب وقد عرفنا من خلال الأناجيل أن زكريا عليه السلام وهو الذي عاصر بداية حياة المسيح، كان يكهن للرب، لا سيما عندما جاء الملاك جبريل وبشر بولده يحيى.

وعندما ننظر إلى واقع العبادات لدى اليهود لابد لنا أن نشير إلى أنهم كانوا عدة فرق، وكان أهمها فرقة الفريسيين التي عاندت السيد المسيح ورفضت ما بشر به، وفي الوقت نفسه كانت جماعة الأسينيين في قمران تؤسس لنفسها عالمًا خاصًا بها. وقد برزت أيضًا فرقة الأتقياء من الفريسيين كجماعة ترفض الاندماج وتبني الثقافة الرومانية، وبرزت أيضًا فرقة الصدوقيين التي كانت تؤيد الحكم الروماني ولكنها ظلت على يهوديتها.

وكان عدد الكهنة الصدوقيين أكثر من غيرهم حتى انقلب الأمر للفريسيين زمن المسيح، وكان الصدوقيون يؤمنون بأسفار موسى الخمسة، ويرفضون كل تقليد شفهي وكل الطقوس الخاصة بالطهارة، وكان الصدوقيون أيضًا يرفضون قيامة الأموات كما أنهم لا يؤمنون بالملائكة ولا بالشيطان، ولا يؤمنون بالعناية الإلهية، ويعتقدون أن الإنسان حر في اختيار الخير ورفض الشر.

وقبل ظهور المسيح بسنوات بدا واضحًا أن اليهود على مختلف أحزابهم آنذاك تركوا التمسك بالناموس والمكتوب، واشتركوا في عبادات ومعاملات غير يهودية وقد تواطأت طبقة الكهنة آنذاك مع الرومان.

ومع ولادة المسيح وظهوره على ساحة الدعوة كانت العبادات اليهودية وكذلك المعاملات تسير جنبًا إلى جنب مع عبادات الوثنيين من الرومان ومعاملاتهم.

والواقع أنه لو رجعنا إلى تاريخ اليهود لرأينا أن الفترة التي بدأ فيها المسيح دعوته كانت فترة اضطراب وقلق وعدم استقرار من الناحية السياسية والدينية.

ومع ذلك كله فإننا نجد أن العبادات اليهودية وكذلك المعبد بقيت على حالها زمن بعثة المسيح.

إلا أن تطور العقيدة المسيحية بعد رفع المسيح لحق التطور في العبادات نفسها. فالصلاة تطورت وكذلك الصيام وكذلك بقية الأمور المتعلقة بالقرابين والمعبد والأعياد وتبرز الصلاة كأهم أنواع العبادات التي اهتم بها كتبة الأناجيل والقائمون على العقيدة النصرانية. وقد عرفنا أن اليهود قد أقاموا الصلاة، وعرف منهم الصلاة في أوقات ثلاثة، وكذلك الصلاة في أيام معروفة محددة.

وقد وردت في الأناجيل إشارات عديدة لصلاة السيد المسيح عليه السلام إن كانت في بيت الرب أو في أماكن أخرى.

وكذلك عرف السيد المسيح الصيام وقام به، وقد ظهر ذلك في الأناجيل بشكل واضح. وهناك عبادات أخرى كالأدعية وتقديم القرابين والاغتسال والقيام بالامتناع عن المحرمات كشرب الخمر أو الزنا أو هتك الأعراض والتعرش بالناس.

وكل هذه الأمور أصبحت تشريعات طورها الكهنة وكبار رجال الدين في العقيدة النصرانية.

الخدمة الكهنوتية

يورد إنجيل لوقا في الفصل الأول أن زكريا كان يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فرقته، وألقيت القرعة جريًا على سنة الكهنوت فأصابته ليدخل مقدس الرب ويحرق البخور، وكانت جماعة الشعب كلها تصلي في خارجه عند إحراق البخور، فمن خلال ما جاء في هذا الإنجيل نعرف أنه مع ولادة المسيح كانت هناك طقوس سائدة لدى اليهود. فهناك خدمة كهنوتية في بيت الرب يقوم بها كبير فرقة من فرق الكهنوت اليهودية، وهناك قرعة تجرى لمعرفة دور من يكهن.

ويرافق هذا العمل حرق البخور الذي هو عادة موجودة فرضتها التقاليد التي بثتها التوراة. وإلى جانب ذلك هناك صلاة جماعية يقوم بها الناس خارج المقدس الذي يكون بداخله الكاهن الأكبر.

ويتضح أيضًا أن هناك ما يسمى مذبح البخور، حيث يحرق فيه البخور لتكملة مهمة التقديس.

وقد أورد القرآن الكريم قصة زكريا وتعبده ودعائه.

فحسب النص القرآني فإن زكريا كان يتعبد بالصلاة في المحراب.

يقول الله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(مريم: ١١).

إذن فهناك صلاة وهناك تعبد في المحراب، وليس هناك شديد اختلاف في الإطار العام.

وجاء في إنجيل لوقا أنه لما انقضت ثمانية أيام فحان للطفل أن يختن سمي يسوع كما سماه الملاك قبل أن يحبل به.

وجاء أيضًا: ولما حان يوم طهوره بحسب شريعة موسى صعدا به إلى أورشليم ليقرباه للرب. كما كتب في شريعة الرب أن كل بكر ذكر ينذر للحرب وليقربا كما ورد في شريعة الرب زوجي يمام أو فرخي حمام.

فنرى أن المسيح عليه السلام يختن وهو ابن ثمانية أيام وذلك تطبيقًا لسنة إبراهيم عليه السلام وشريعة اليهود، التي سارت في الختان على نهج إبراهيم. فالختان إذًا من العبادات أو الطقوس التي كانت سائدة حين ولد المسيح عليه السلام.

ويتضح أيضًا أن هناك طقوسًا للطهارة تقوم بها المرأة بعد ولادتها بأربعين يومًا أما الغلام الذي يراد تطهيره فينذر للرب ثم يفدى بقربان.

ويتضح أيضًا أن قربان الفقراء من الناس كان عبارة عن فرخين من الحمام، أما الأغنياء فكانوا يقربون حملًا، وهذا ما ورد في نصوص التوراة، وخاصة في أسفار موسى الخمسة.

ويرد في الفصل الثاني من إنجيل لوقا أن هناك نبية هي حنة ابنة فانوئيل كانت متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار.

وهذه أيضًا إشارة لوجود صلاة وصوم عند اليهود زمن ولادة السيد المسيح. ويأتي في لوقا أن أبويه كانا يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح.

فعيد الفصح من أعياد اليهود المعروفة ويدوم عدة أيام.

وفي الفصل الثالث من لوقا تظهر عادة التعميد وقد ابتدعها يوحنا وهي من الأمور الهامة التي ترتبط بالعقيدة النصرانية.

جاء فيه (أنا أعمدكم بالماء) (وكان يقول للجموع التي تخرج إليه لتعتمد عن يده) (ولما اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع أيضًا وكان يصلي).

وندرك أن التعميد من صنع يوحنا وليس من صنع المسيح بمعنى أن هذه العادة سبقت خدمة المسيح.

ويتضح من الفصل الرابع أن المسيح عليه السلام كان يصوم أربعين يومًا وليلة. وقد نجد ذلك في التوراة عند الحديث عن موسى عليه السلام عندما ذهب ليتلقى تعاليم ربه. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(البقرة: ٥١).

وقد ورد أيضًا قول لوقا: مكتوب: (للرب إلهك تسجد) وهذا يعني أن في العقيدة السائدة زمن السيد المسيح سجودًا. والسجود لله لا يتم إلا في صلاة.

ومن عادات العبادات أن الناس كانوا يتعبدون يوم السبت ويذهبون إلى معبد الرب، يقول لوقا ودخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ.

ويمر أيضًا في إنجيل لوقا أن المسيح أمر الأبرص الذي شفاه وقال له: (اذهب إلى الكاهن فأره نفسك ثم قرب برئك ما أمر به موسى شهادة لديهم)، وهذا يعني أن الذي كان يشفى من مرض ما يقدم تقدمة وقربانًا للرب حسب ما قالت شريعة موسى.

وأورد إنجيل لوقا أن تلاميذ يوحنا يكثرون من الصوم ويقيمون الصلوات.

ويرد أيضًا: (وفي تلك الأيام ذهب إلى الجبل ليصلي فأحيا الليل كله في الصلاة).

ويرد أيضًا: (وبينما هو يصلي تبدل منظر وصارت ثيابه بيضًا تتلألأ كالبرق).

ويرد في إنجيل لوقا أن المسيح طلب السهر والصلاة من تلاميذه حتى يكونوا أهلًا للنجاة.

ويرد ما يسمى عشاء عيد الفصح، ويوم الفطير، وهو من الأعياد اليهودية المعروفة (وجاء يوم الفطير وفيه يجب ذبح حمل الفصح فأرسل بطرس ويوحنا وقال لهما اذهبا فأعدا لنا الفصح لنأكله).

ويرد أيضًا عن صلاته: (وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة وصار عرقه كقطرات دم متخثر تتساقط على الأرض. ثم قام عن الصلاة فرجع إلى تلاميذه فقال لهم ما بالكم نائمين قوموا فصلوا لئلا تقعوا في التجربة).

فمن خلال ما تقدم نعرف أن الصلاة كانت موجود كعبادة يقوم بها الأنبياء والكهنة والناس، وكذلك الصيام والختان والطهارة والأعياد، فمن هذه الأمور ما ظل المسيح سائرًا عليها ومنها ما رفضه ووضع بديلًا تعبديًا عنه.

الصلاة في العقيدة النصرانية.

من خلال النصوص التي وردت في الأناجيل ندرك أن المسيح عليه السلام كان يصلي وصلاته كانت تعبدًا لله وتقربًا له، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن الله أمر المسيح بالصلاة فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١).

والصلاة فرضت على سائر الأنبياء، لكن كل نبي يصلي حسب ما أملاه الوحي الإلهي عليه، ولم تشر الأناجيل ولا القرآن الكريم إلى كيفية الصلاة. بينما أشارت آية إلى أن زكريا كان يصلي وهو قائم، ولا ندري إذا كان القيام جزءًا من عدة حركات للصلاة أم أن الصلاة كانت تؤدى في حالة القيام فحسب.

وعندما يرد في إنجيل لوقا: (وأخذه الجهد فأمعن في الصلاة وصار عرقه كقطرات دم متخثر) نرى من خلال ذلك أن الصلاة التي كان يؤديها المسيح تأخذ جهدًا وليست هي صلاة بدون حركة، فإذا كان ساكنًا في وضع معين لا يتصبب العرق منه، ولا بد أن يكون قد أدى حركات عديدة حتى أخذ الجهد منه هذا المبلغ.

ويظهر أيضًا أن المسيح كان قد صلى في عدة أماكن فتارة في المعبد، وتارة في البرية،

وهذا يشير إلى أن صلاة المسيح لها مكان محدد، وعليه فإن حصر الصلاة في الكنيسة أو الدير لا يتبع الصلاة التي أداها المسيح في أي مكان دون تحديد.

وقد ورد في إنجيل متى في الفصل السادس ما يسمى الصلاة الربانية. وقد جاءت على لسان المسيح حسب هذا الإنجيل: ويقول فيها: (فصلوا أنتم هذه الصلاة أبانا الذي في السماء ليقدس اسمك ليأت ملكوتك، ليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء أرزقنا اليوم خبز يومنا، وأعفنا مما علينا. فقد أعفينا نحن أيضًا من لنا عليه، ولا تعرضنا للتجربة. بل نجنا من الشرير).

وبشكل عام فإن الصلاة حسب أكثرية المذاهب سبع صلوات في اليوم والليلة، وهي صلاة البكور وصلاة الساعة السادسة والحادية عشرة والثانية عشرة ومنتصف الليل. واهتمام المسيحية بالصلاة هو أكثر من اهتمامهم بالصوم، وليس للصلاة ترتيب خاص، وإنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان، وغاية ما يلزم أن تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي ذكرناها.

وحسب المذهب الأرثوذكسي فإن الصلاة تبدأ بصلاة النهوض من النوم، واتفقوا على أدعية معينة تقال في هذه الصلاة، تبدأ بقولهم باسم الآب والابن والروح القدس آمين المجد لك يا إلهنا المجد لك. أيها الملك السماوي المعزى روح الحق الحاضر في كل مكان وصقع، والمالىء الكل كنز الصالحات، ورازق الحياة، هلم واسكن فينا وطهرنا من دنس وخلص أيها الصالح نفوسنا.

ويستمر هذا الدعاء حتى قولهم: وأمجدك أيها الإله الكلمة الممجد في الآب والروح آمين. ويستشف من هذا أن الذي وضع هذه الأدعية ليس المسيح ﵇ بل القائمون على الديانة النصرانية. وتنبع هذه الأدعية من الإيمان بالتثليث وليس بالوحدانية، ويلاحظ كثرة الصفات التي يلصقونها بالمسيح ﵇وبعضها صفات من صفات الله التي تنم عن خلط بين المسيح وبين الذات الإلهية وصفاتها.

وعندهم كذلك الصلاة السحرية، وتبدأ أيضًا بقولهم: باسم الآب والإبن والروح

القدس آمين، قدوسٌ الله قدوسٌ القوي الذي لا يموت ارحمنا (ثلاثًا) المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى الدهر دهر الداهرين آمين. . . أيها الثالوث القدوس ارحمنا يارب اغفر خطايانا، ومن هذه الأدعية قولهم: أيتها الشفيعة الرهيبة غير المخذولة يا والدة الإله الكلية التسبيح لا تعرضي يا صالحة عن توسلاتنا. .).

وعندما نراجع بعض الأدعية التي وردت في بعض العقائد الفرعونية والهندية نرى تشابها كبيرًا بينها وبين الأدعية التي مرت معنا، وخاصة تلك التي تتعلق بالعذراء أم المسيح عليه السلام.

ويستند المسيحيون في صلواتهم على بعض ما ورد من مزامير التوراة كالمزمور الثالث والمزمور السابع والثلاثين، والمزمور الثاني والستين، والمزمور السابع والثماني والمزمور الثاني بعد المئة والمزمور الثامن والأربعين بعد المئة. وبعد المزامير يرددون تراتيل لا توجه لله، بل توجه للملائكة كقولهم: (يا رئيسي الجنود السماويين إننا نبتهل إليكم نحن غير المستحقين طالبين أن تشملانا بتضرعاتكما بستر أجنحة مجدكما) وهذا يحدد بيوم الاثنين. أما في يوم الثلاثاء فيرتلون بقولهم: (إن تذكار الصديق بالمديح وأنت أيها السابق تكفيك شهادة الرب، لأنك ظهرت بالحقيقة أشرف من كل الأنبياء). وفي يومي الأربعاء والجمعة يقولون: (خلص يارب شعبك وبارك ميراثك وامنح المؤمنين الغلبة على محاربهم واحفظ بقوة صليبك جميع المختصين بك. . .) وفي يوم الخميس: (أيها الرسل القديسون تشفعوا إلى الإله الرحيم أن يمنح غفران الزلات لنفوسنا)، وفي يوم السبت: (أيها الرسل والشهداء والأنبياء ورؤساء الكهنة والأبرار والصديقون الذين أكملتم حسنًا سوط الجهاد وحفظتم الإيمان. .).

وفي الصلاة هذه دعاء للأموات الراقدين يقولون فيه: (اذكر يارب عبيدك بما أنك صالح وسامحهم بكل ما خطئوا به إليك في هذا العمر لأنه ليس أحد بلا خطيئة إلا أنت القادر أن تمنح المنتقلين الراحة).

ويؤدون بعد هذه التراتيل المزمور الخمسين الموجود في التوراة الذي يقول (ارحمني يا الله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امح مآثمي. . . الخ).

وفي الصلاة نفسها يوجد ما يسمى التسبحة التاسعة ويقال عنها تسبحة السيدة والدة الإله. ويقولون فيها: (تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي) وهي من إنجيل لوقا. ثم يقولون فيها المزمور الثامن والأربعين بعد المئة، والمزمور التاسع والأربعين بعد المئة ويقولون فيه: (رتلوا للرب ترتيلة جديدة، فإن تسبحته في مجمع الأبرار ليفرح إسرائيل بخالقه وليبتهج بنو صهيون بملكهم. ليسبحوا لاسمه بالطبول ليرتلوا بالدف والمزمار) ثم يقولون في نفس الصلاة المزمور المئة والخمسين. وفيه أيضًا ترتيلة تحت عنوان المجد له.

أما الصلاة الثالثة فهي صلاة الغروب ويقولون فيها: (هلموا نسجد ونركع لملكنا وإلهنا، هلموا نسجد ونركع للمسيح ملكنا وإلهنا. هلموا نسجد ونركع للمسيح هذا هو ملكنا وربنا وإلهنا. والمسيح نفسه قال في الإنجيل لا تسجد إلا للإله، ولم يقل لا تسجد إلا للمسيح)، وفي هذه الصلاة يرتلون المزمور الثالث بعد المئة والمزمور المئة والأربعين والمزمور الحادي والأربعين بعد المئة الذي يقال فيه: (بصوتي إلى الرب صرخت، بصوتي إلى الرب تضرعت، أسكب أمامه تضرعي وأحزاني قدامه أخبر).

وفي هذه الصلاة أيضًا يرتلون المزمور التاسع والعشرين بعد المئة والمزمور السادس عشر بعد المئة. وفي هذه الصلاة أيضًا تراتيل منها ترتيلة المساء، وتقال يوم الأحد مساء ويوم الاثنين مساء وفيها يقولون: (الرب يستمع لي حين أصرخ إليه "مرتين"، لما دعوت استجاب لي إله بري. الرب يستمع لي حين أصرخ إليه "مرة" ثم يوم الثلاثاء مساء والأربعاء مساء والخميس مساء والجمعة مساء والسبت مساء، وفي هذه الأخيرة يقولون: (أهلنا يارب أن نحفظ في هذا المساء بغير خطيئة. مبارك أنت يارب إله آبائنا مسبح وممجد اسمك إلى الأبد).

وهناك صلاة رابعة تسمى صلاة النوم الصغرى. ويقولون فيها المزمور الخمسين الذي يقول: (ارحمني يا الله كعظيم وكمثل كثرة رأفتك امح مآثمي).

ويقولون فيها أيضًا المزمور التاسع والستين والمزمور الثاني والأربعين بعد المئة وفيها ما يسمى المجد له.

وهناك صلاة إلى الملك الحارس أو الملاك الحارس، يقولون فيها: (أيها الملاك القديس الملازم نفسي الشقية، وحياتي الذليلة، لا تهملني أنا الخاطيء، ولا تبتعد عني بسبب إسرافي وتبذخي، ولا تعط من فرصة للشيطان الشرير لكي يسود باقتداره على جسدي هذا المائت) وهناك صلوات إلى والدة الإله كما يقولون.

والصلاة الخامسة هي صلاة قبل المناولة. وهذه تعني أن المسيحي حين يزمع أن يتناول الأسرار المقدسة عليه أن يتلو صلاة النوم المعتادة، ويضيف عليها قانونًا آخر يقولون فيه: (أيها الرب المتحنن فليصر لي جسدك المقدس ودمك الكريم خبز حياة ودواء شافيا للأمراض الكثيرة)

ويلاحظ أيضًا في هذه الصلاة التشابه الكبير بين ما يقال هنا وما قاله الوثنيون الهنود في صلواتهم عن الإله براهما. ولعل عبارة جسدك المقدس ودمك الكريم تدل على ذلك، وفي هذه الصلاة كلام ودعاء للقديس يوحنا الذهبي الفم ولسمعان المترجم.

وهناك أيضًا صلوات مختلفة مثل صلوات المائدة وتقال قبل الأكل وبعد الأكل، وهناك صلاة عند مطالعة ما يسمى الكتاب المقدس، وصلاة قبل الدرس، وصلاة بعد الدرس، وصلاة قبل الاعتراف، وصلاة التوبة.

وهناك أشبه شيء بالصلاة وهي التراتيل التي ترافق بالألحان، وهي عبارة عن أدعية أيضًا وتمجيد للسيد المسيح وللعذراء، ولكنها ترافق بموسيقا، وذلك داخل الكنيسة. ولم تشر الكتب والمصادر المسيحية إلى أن هناك غسلًا أو ما يشبه الوضوء والطهارة قبل الصلاة. ففي الإسلام لا تصح الصلاة دون وضو وتطهير. وهنا لا بد أن يطرح سؤال يقول: هل الصلاة في المسيحية معنوية لفظية فحسب ولا تستدعي الطهارة والغسل؟ هل يمكن للذي يقوم من نومه وهو جنب أن يؤدي الصلاة الصباحية أو صلاة بعد النوم؟ هل يستطيع أي إنسان الدخول إلى الكنيسة وتأدية الصلاة دون أن يكون مغتسلًا أو متطهرًا من نجاسة البول أو الغائط أو الجنابة؟

فالمسيح عليه السلام كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض، وطوائف

النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس الماء ولا يستجمر. والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك، وصلاته صحيحة تامة ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلًا عما سوى ذلك.

ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود، وأقرب إلى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه. وحاشى المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد الحواريين. والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤون في صلاتهم من التوراة والزبور. وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلامًا قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجرى النوح والأغاني. فيقولون هذا قداس فلان وهذا قداس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه. وهم يصلون إلى الشرق، وما صلى المسيح إلى الشرق قط، وما صلى إلى أن رفعه الله إلا إلى بيت المقدس، وهي قبلة داود والأنبياء قبله). [(١)]

والواقع أن اختلافًا كبيرًا يقع بين المذاهب المسيحية بشأن الصلاة، فالبروتستانت لا يطلبون الرحمة لنفس الميت ولا النياح له. كل ما يحدث أن يدخل جثمان الميت إلى الكنيسة لتقرأ بعض الفصول، وتلقى العظة لمجرد تعزية أسرة المتوفى، أو للاستفادة من الموت، ولكن لا يصلون مطلقًا من أجل الميت، ولا يطلبون مغفرة ولا يسألون الله من أجل أبدية هذا الذي انتقل، وكنائس البوتستانت لا تتجه إلى الشرق مثل الأرثوذكس، كذلك إذا وقفوا للصلاة لا يتجهون إلى الشرق، بل في أي اتجاه حسب موضع كل منهم.

وليس للبروتستانت ما يسمى صلاة قنديل، أي صلاة مسحة المرضى سواء اعتبرت سرًا من أسرار الكنيسة أم لا. فهم لا يؤمنون بالأسرار أو بأية صلاة طقسية ولا بالصلاة على المرضى كسر كنسي فيه تقديس الزيت والدهن به، ولا يؤمنون بالصلوات السبع التي للكنيسة، لا بمواعيدها ولا بمحتوياتها، ولا يلتزمون بمبدأ الصلوات المحفوظة عمومًا.

---

(١) هداية الحيارى.

يصلي كل إنسان متى يشاء وكيفما يشاء، ولا يستخدمون صلاة (أبانا الذي في السموات) في بدء الصلاة ولا في نهايتها ولا يلتزمون بها إطلاقًا. كما لا يلتزمون مطلقًا بصلاة المزامير، ويرى الأرثوذكس أن الملائكة تعرف صلوات الناس لأنها تحمل الصلوات إلى العرش.

الصوم في العقيدة النصرانية

مثلما كان للعهد القديم أثره الأول والكبير في صلاة المسيحيين من حيث تلاوة مزامير وأقوال لأنبياء بني إسرائيل. فإن الصوم أيضًا هو امتداد من اليهودية إلى المسيحية مع تطور واضح على يد من يسمون الرسل وكتبة الأناجيل والرسائل والأعمال.

والصوم أساسي في العقيدة المسيحية حتى يرد أن الصوم عند المسيحيين أهم من الصلاة. والصوم توجيه اختياري لا إجباري. ومعنى الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار، ثم هو يتناول طعام خال من الدسم، ويشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء، وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على السيد المسيح عليه السلام حسب قول الأناجيل، وكذلك صيام يوم الجمعة، لأن المسيح، كما يزعمون، صلب يوم الجمعة، وعندهم ما يسمى صوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يومًا تنتهي بعيد الميلاد. ولديهم أيضًا الصوم المقدس، وعدد أيامه ٥٥ يومًا وهي عبارة عن الأربعين يومًا التي صامها المسيح مضافًا إليها أسبوعان. الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين، ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس. والأسبوع الثاني أسبوع الآلام، ويأتي بعد الأربعين وينتهي بأحد القيامة. ويمتنع في هذا الصوم أكل لحم حيوان أو ما يتولد منه، أو ما يستخرج من أصله، ويقتصر على أكل البقول ولا يعقد في أثنائه سر الزواج. ثم يجيء صيام الرسل، وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف، وتتراوح مدته بين ١٥ و ٤٩. ثم صوم العذراء ومدته ١٥ يومًا تبدأ من أول شهر مسرى وهو شهر عبراني.

وهناك ما يسمى الصوم الإفخارستي (أي الصوم استعدادًا للمناولة) وهو تراث كنسي قديم، ويكون بالانقطاع عن الطعام منذ منتصف الليل السابق ليوم المناولة، يستثنى من ذلك الأطفال والطاعنون في السن ومن عليهم أخذ دواء أو طعام أو شراب بحسب

وصفة طبيب. وفي حال إقامة القداس الإلهي مساءً وجب انقطاع المؤمن عن الطعام والشراب خمس ساعات قبل القداس الإلهي.

وقد ورد في الأناجيل ما يشير إلى صيام السيد المسيح عليه السلام.

فقد جاء في إنجيل متى: (فقد سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس فصام أربعين يومًا وأربعين ليلة حتى جاع) متى (٤: ١-٢)

وجاء أيضًا في إنجيل متى: وإذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين فإنهم يكلحون وجوههم ليظهر للناس أنهم صائمون. الحق أقول لكم إنهم أخذوا أجرهم، أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا يظهر للناس أنك صائم) متى (٦: ١٦-١٨)

ومن خلال قراءتنا لتعاليم الكنيسة، وخاصة الأرثوذكسية، نرى أن الصوم لم يكن رمزًا إنما هو وصية قائمة في العهد القديم كما هي قائمة في العهد الجديد.

والبروتستانت لا ينكرونه بصفة مطلقة، إنما يلغونه تقريبًا من الناحية العملية فيقول البروتستانت إن الصوم ينبغي أن يكون في الخفاء بين الإنسان والله عملًا بوصية الرب في العظة على الجبل.

وليست للبروتستانت أصوام ثابتة يصومها جميع المؤمنين في مواعيد محددة لها. وفي مناسبات خاصة بها إنما الصوم عندهم، في غالبيته، عمل فردي يصوم الفرد منهم متى شاء وكيف شاء. ولا سلطان للكنيسة عليه في هذا ولا تدخل لها في صومه. ويعتمدون على فهم خاطئ للآية التي تقول (لا يحكم أحد عليكم في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي في ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح) ولا يوافقون في الصوم على الطعام النباتي، والامتناع عن الأطعمة الحيوانية ويتهمون الأرثوذكس بأنهم في ذلك ينطبق عليهم على الأقل الجزء الأخير من الآية التي تقول في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان. . . ما نعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله للتتناول بالشكر).

ويرى الأرثوذكس أن الصوم في الخفاء خاص بالعبادة الفردية و ليس بالعبادة

الجماعية، لأنه يوجد هذان النوعان في العبادة. فالصوم الفردي في الخفاء لا يمنع الصوم العام لكي يشترك كل المؤمنين معًا في صومهم.

وتستند المسيحية في الصيام على ما جاء في العهد القديم من صوم الشعب أيام أستير وصوم أهل نينوى. وصوم الشعب أيام عزرا ونحميا والصوم أيام يوئيل. أما الصوم في العهد الجديد فقد ورد أن الرسل قد صاموا وليس في الخفاء فالصوم الجماعي مقبول وليس فيه رياء كما يقول البروتستانت.

الحج ومفهومه في المسيحية

لم يكن الحج يومًا من الأيام عبادةً من عبادات العقيدة النصرانية. فلم تشر الأناجيل إلى ذلك، ولم تظهر هذه العبادة في الكتابات المسيحية الأولى. وكبقية العبادات خضعت هذه العبادة أو الشعيرة لا اختراعات وابتداعات من قبل اللاهوتييت المسيحيين وخاصة البابا.

وباعتبار أن المسيح ﷺ قد ولد في فلسطين، ورفع إلى السماء منها فقد أنشئت له كنيسة في الناصرة وكنيسة القيامة في مدينة القدس، وكذلك كنيسة أخرى في بيت لحم، واعتبر المسيحيون كل بقعة تجول فيها المسيح مكانًا مقدسًا.

وراح اللاهوتيون مع مرور السنين يفلسفون مفهوم الحج بأنه زيارة واجبة على كل مسيحي إلى تلك الأماكن المقدسة.

كيف نشأ مفهوم الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين؟

في القرن الحادي عشر كانت الكنيسة مالكة غنية للحقول والمروج والبساتين، وكانت تستثمر العبيد والفلاحين الذين يخصونها استثمارًا وحشيًا. ربما أن الكنيسة كانت أكبر ملاك عقاري إقطاعي فقد كانت حصنًا روحيًا لعموم طبقة الإقطاعيين، وفي ذلك كانت تتلخص وظيفتها الاجتماعية، وكان رجال الدين يساعدون الإقطاعيين في السيطرة على الفلاحين والحرفيين، وذلك بالوعظ بالتعاليم المسيحية التي تقول: إن النظم الأرضية هي من صنع الرب، وإنه لا يصلح و لا يمكن بالتالي تغييرها وبمطالبة الكادحين بالخضوع التام لأسيادهم، وبوعد الودعاء بالنعيم في الجنة بعد الموت، وبتهديد المتمردين والعصاة

بالعذابات الأبدية في الجحيم.

وعندما أخذ العبيد يهبون ضد الأسياد في القرنين العاشر والحادي عشر وعندما بدأت أفعال الفرسان والإقطاعيين تصيب بالضرر أتباع الكنيسة من رهبان وغيرهم راحت الكنيسة تبتدع أساليب جديدة توطد من خلالها مواقعها المادية والمعنوية، وكان من أهم الأساليب التي ابتدعتها الكنيسة تحويل أنظار طبقة العبيد والفقراء نحو الشرق. فبدل النهب والسلب وجهتهم تجاه الشرق، أي تجاه بلاد الشام وفلسطين بالذات من خلال مفهوم الحج الذي طرحته.

وقد وجه البابا آنذاك نداء إلى جموع المسيحيين في الغرب يدعوهم فيه للحج إلى فلسطين، والقدس بالذات.

ويرى الباحثون أن التوجه لزيارة كنيسة القيامة وكنيسة المهد والأماكن الأخرى يعود للقرن الرابع الميلادي. لكن لم يكن ملحوظًا باعتباره طقسًا أو عبادة كالصلاة.

وما إن حل القرن الحادي عشر حتى غدا منتشرًا بقوة كبيرة في أوساط المسيحيين الغربيين وبدأت عمليات الحج بشكل فردي، ثم تطورت حتى أصبحت عملياتها تتكاثر وتكتسب طابعًا عامًا. وقد أشارت المصادر إلى أن جموعًا لا تحصى كانت تمضي من جميع أنحاء العالم إلى القدس.

وعمليات الحج أو زيارات الأماكن المقدسة انتشرت على درجة كبيرة بحيث انعكس هذا على كل قيم نظام المجتمع الإقطاعي الروحية، وفي المقام الأول على التصورات عن القداسة التي كانت لها أهمية كبيرة في الفكر الإقطاعي. وأصبحت عمليات الحج بمنزلة قسم إلزامي من الزهد والنسك. والتوجه بالسفر إلى القدس صفة لا غنى عنها في سيرة القديسين، وكل من كان يريد أن يخلق ويثبت لنفسه سمعة الطاهر (الفقير بالمسيح) كان يذهب إلى القدس لتكريم المقدسات المسيحية الموجودة هناك من قديم الزمان. والصلاة في كنيسة القيامة والتمتع بإجلال ومهابة بمشاهدة جميع الأماكن التي تجول فيها المسيح يومًا ما.

وقد ترابطت مفاهيم عادة الحج مع مفاهيم العهد بممارسة سلوك النساك المقدسين بدرجة عالية من الثقة، إلى حد أنه كان لا يندر لسير القديسين أن تنسب السفر إلى القدس، بقدر ما تنسب للقديسين أنفسهم على الرغم من أن كثيرًا منهم لم يذهب إلى فلسطين ولم يحج إلى القدس. وقد ألفت الكنيسة قصصًا خيالية قالت فيها إن القديسين الذين لم يحجوا إلى فلسطين كانت في نيتهم زيارة القدس.

لقد أصبح السفر إلى فلسطين للحج إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين قانونًا في سرد قصص القديسين.

أما من حيث التركيب الاجتماعي فقد كانت عمليات الحج حركة مزخرفة ملونة، وبدا أن أهداف الحجاج الفعلية كانت مختلفة على الرغم من أن الحج بدا للجميع مشروعًا دينيًا صرفًا. فكانت مثلًا لدى الفئات الفقيرة تعبيرًا مغلفًا بغلاف الدين، أما في عيون طبقة الإقطاعيين فقد كانت الأهداف المهمة هي البواعث الدنيوية، أي الرغبة في اكتساب سلع البذخ في الشرق، ورؤية أماكن جديدة والتخلص ولو مؤقتًا من رتابة الحياة القروية مع همومها اليومية.

ومن أمثلة ذلك أن أسقف أورليان المدعو أود إلرك عندما ذهب وحج إلى القدس اشترى فانوسًا نفيسًا من بطريرك القدس مقابل رطل من الذهب، وقال في ذلك أحد شواهد الحملات الصليبية، وهو رادولف غلابر: إن الأسقف حمل الفانوس إلى أورليان لأجل تجميل كنيسته حيث عاد على المرضى بالكثير من النفع.

وهناك أهداف أخرى تجلت من خلال مواقف بعض زعماء الإقطاعيين الأوربيين، ومثال ذلك أن روبير الأول النورماندي الذي انطلق إلى الشرق سنة ١٠٣٥ م أجبر أتباعه الكبار قبل بداية الحج على حلف اليمين والاعتراف بابنه غير الشرعي غليوم ابن الزنى (والذي أصبح الفاتح فيما بعد) وريثًا له. وهكذا كان الحج في هذه الحالة ذريعة مناسبة لأجل بلوغ هدف سياسي معين.

ومن عادات الزعماء الإقطاعيين أثناء سفرهم إلى فلسطين بغية الحج أنهم كانوا يوزعون شتى المجوهرات التي أخذوها مهم لهذه الغاية. وكانوا يعتبرون ذلك بمنزلة توطيد لنفوذهم في أوساط الشعب البسيط، وكانت الكنيسة تشجع هذه التوزيعات بوصفها فعلًا يرضي الله.

وتحت ذريعة الحج كان الفرسان ينضمون إلى الزعماء والملوك. ففي سنة ١٠٦٥م انطلق من ألمانيا إلى الحج زهاء سبعة آلاف شخص إلى اثني عشر ألفًا. وكان الذين لا أرض لهم وكذلك المعدمون يفتشون فيما وراء البحار عن الفرص لإصلاح أوضاعهم، وكان بعض منهم يرغبون في غفران الجرائم التي اقترفوها في بلادهم، والواقع أن الفرسان نهبوا في بلادهم الكنائس والأديرة، وعلى الرغم من ذلك توجهو إلى الحج لغايات وأهداف كثيرة أخرى. لقد تقبل هؤلاء المسيحية على طريقتهم كما فهموها وكيفوها للمفاهيم المألوفة على الإقطاعيين، وكانوا يتصورون الرب بصورة المولى الأعلى الذي يكافىء أتباعه الأرضيين بسخاء على خدمتهم الأمينة، ويغفر الخطايا، ويمنح الغبطة الأبدية في الجنة، كل هذا يفسر اتساع اشتراك الفرسان في عمليات الحج، وهذه العمليات كانت تلقى التحبيذ التام من جانب رجال الكنيسة.

إن حركة الحج التي اخترعها البابا والإقطاع قد هيأت للحروب الصليبية فكريًا وعمليًا، فقد أسهمت في تعاظم الأمزجة والميول الدينية الزهدية، وعرفت الأوربيين على الطرق إلى الشرق وعلى الوضع في الوطن العربي. وأهم ما أسهمت فيه تعطش الإطاعيين لامتلاك إقطاعات وأراض واسعة في الشرق العربي.

وإذا نظرنا إلى مفهوم الحج في وقتنا المعاصر الذي يخص المسيحية فإننا نرى ضعفًا كبيرًا فيه. بل انقطاعًا تامًا لدى بعض الفئات المسيحية، ومع الاحتلال الصهيوني لفلسطين زاد ضعف مفهوم الحج لدى المسيحيين.

ومن جانب آخر فقد أصدر البابا شنودة قرارًا يمنع فيه المسيحيين الأقباط من الذهاب

إلى القدس بحجة الحج ما دامت القدس في قبضة الاحتلال الصهيوني.

وبشكل عام فإن الكنائس الشرقية ترى في الحج إلى القدس في هذه الظروف ضربًا من الخروقات للمسيحية. فلا حج إلى بيت المقدس في ظل الاحتلال الصهيوني.

بينما قام البابا الحالي بزيارة إلى فلسطين وأدى حجه وزار كنيسة القيامة وكنيسة المهد وزار حائط البراق المسمى زورًا وبهتانًا حائط المبكى.

وبذلك شكل بادرة طيبة بالنسبة لليهود المحتلين. وفتح بابًا لجميع المسيحيين الغربيين الكاثوليك لزيارة الأماكن المقدسة ولو كانت تحت الاحتلال.

أما البروتستانت فإنهم يجدون باحتلال الصهاينة للقدس أمرًا محببًا بل أمرًا إلهيًا يهيء لمجيء المسيح الثاني، ويسجع البروتستانت الكيان الصهيوني على إقامة ما يسمى الهيكل مكان المسجد الأقصى. على الرغم من أن البروتستانت أكثر المسيحيين حقدًا على الإسلام وأكثر المسيحيين تحللًا من تعاليم الدين المسيحي فالحج بنظرهم أمر تافه إذا ما قيس بإعلان الحرب على المسلمين وإقامة الهيكل وتقوية الدولة اليهودية حتى يأتي المسيح حسب ما يزعمون. (١)

الفصل الثالث: الطوائف النصرانية والخلاف بينها.

أولًا: التعريف بالكنيسة.

إن كلمة " الكنيسة " كلمة معربة من الإغريقية، فهي من أصل يوناني، وهذا دليل واضح على أن نشأتها إنما كانت في أحضان الإمبراطورية الرومانية، غريبة عما كان يجب أن يكون مهدها ومنشؤها أورشليم، حيث يطلق على بيت الله المجمع الذي كان يرتاده يسوع المسيح ليعلم الشعب.

" ²³وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. " (متى ٤/ ٢٣).

---

(١) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ١٦١ – ١٨٧.

أما سر خروج الدعوة من أورشليم إلى آسيا الصغرى واليونان فيرجع إلى بولس الذي رآه اليهود بين قومه قد تزندق وحاولوا قتله فأثبت " لوقا " هذه الواقعة قائلا: " [٤٥]فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ امْتَلأُوا غَيْرَةً، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ. [٤٦]فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ. [٤٧]لأَنْ هكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ». " (لوقا ١٣/ ٤٥ – ٤٧).

وأصبحت الكنيسة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، أي في غير أرضها وسماتها ديانة ناشئة ضعيفة بين عمالقة أديان الخلاص الرسمية في الإمبراطورية الرومانية، كالبوذية والميتراسية، وتعرضت طيلة أربعة قرون وقبل الاعتراف بها للاضطهادات اليهودية والوثنية.

لقد أوصى بولس الأساقفة قائلا: " اِحْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ. " (أعمال الرسل ٢٠/ ٢٨).

ثانيًا: انقسام الكنيسة على ذاتها.

انقسمت الكنيسة على ذاتها في خلال الفترة من عام ٤٥١ إلى عام ١٥٢١م إلى مذاهب تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافا جوهريا، ومن ثم نشأت الكنائس المنشقة تباعا على هذا النحو:

١- الكنيسة المصرية الأرثوذكسية (تعني مستقيم الرأي) عام ٤٥١.

٢- كنيسة الموارنة بسوريا (نسبة إلى مؤسس المذهب) عام ٦٨٠.

٣- كنيسة الروم الأرثوذكس (تعني حر الفكر) عام ٨٧٩.

٤- كنيسة روما الكاثوليكية (تعني مقيم الحجة) عام ٨٧٩.

٥- الكنيسة البروتستانتية عام ١٥٢١.

وإن هذا الانقسام الجوهري دليل على أن العهد الجديد كتاب وضعي، قام بتصنيفه مجموعة من البشر، وفي هذا الانقسام الذاتي يقول المسيح: " [٢٥]فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ. " (متى ١٢/ ٢٥).

يقول عبد الأحد داود " إن أي دين يعتمد على مداولات وقرارات المجامع العامة

المؤمنة أو الملحدة هو دين مصطنع.

إن دين الإسلام هو الإيمان بالله الواحد والتسليم المطلق لمشيئته، هذا الإيمان يعتنقه الملائكة في السماء، والمسلمون في الأرض، إنه دين التقديس والاستنارة، وقلعة الإيمان التي لا يمكن للوثنية اقتحامها ". [(١)]

ثالثا: التعريف بالفرق

كانت هناك طوائف ومذاهب مسيحية كثيرة في عصر المسيحية الأولى، لكنها فنيت بسبب قسوة اليهود ثم الرومان، وأحيانا بسبب قسوة فرق المسيحية الأخرى التي نالت نصيبا من الحظوة لدى أباطرة الرومان.

أولًا: الكاثوليك:

١- تسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني الذين يقطنون بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، كما يوجد لها أتباع في بلاد أخرى في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأفريقيا وآسيا.

٢- يدعي الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، وأن بابوات روما هم خلفاؤه؛ لذلك فهم يسمون كنيستهم بالبطرسية أو الرسولية أو اللاتينية أو العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها هي التي تنشر المسيحية في العالم.

٣- تتبع كنيسة الكاثوليك في روما النظام البابوي وهو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا، ولهذا المجمع الحق في إصدار إرادات بابوية سامية، هي في نظرهم إرادات إلهية، لأن البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح ووصيه، فهو بالتالي يمثل الله، لذا كانت إرادته لا تقبل المناقشة أو الجدل.

معتقدات الكنيسة الكاثوليكية:

١- تقول كنيسة روما بأن روح القدس نشأ عن الله الآب، والابن معا.

---

(١) محمد في الكتاب المقدس (٢٠١).

٢- وتعتقد أيضًا بالمساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن.

٣- وتقول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين.

٤- ومن مستحدثاتها أنها أحلت الدم المخنوق، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير؛ وكل ذلك لتجذب إليها الجرمان الوثنيين واللادينيين.

٥- اعتادت كنيسة روما إصدار صكوك الغفران لمن يشاء من رعاياها.

وهناك طوائف أخرى تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وإن لم تكن تتبع اعتقادها في طبيعة المسيح ومشيئته وهم:

(أ) النسطورية:

تنسب إلى نسطور الذي كان بطريركا للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر، حيث أقام في مدينة أخميم حتى مات.

معتقدات هذه الفرقة:

يرى النسطورية أن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني وهو الابن، وليس ذلك الاتحاد بالمزج أو هو اتحاد حقيقي بل كان اتحادًا مجازيًا لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن.

وواضح جدًّا أن نسطورا بهذه المقالة يلغي تماما الاعتقاد السائد بألوهية السيد المسيح ولهذا كاتبه رؤساء الكنائس الأخرى للرجوع عن هذه المقالة، لكنه لم يستجب، فعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١ وقرر لعنه وطرده.

(ب) المارونية:

ومقر هذه الطائفة جبل لبنان، وتنسب إلى القديس يوحنا مارون الذي أعلن سنة ٦٦٧م أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة.

ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأي، لذلك اجتمع المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠م وقرر رفض نحلة مارون، وحرمانه ولعنه وتكفيره وتكفير كل من يذهب مذهبه.

وقد نزلت بأتباع مارون الاضطهادات وصنوف الأذى، فلم يجدوا لهم ملجأ إلا الفرار والاعتصام بمدن جبل لبنان، وقد تحايلت الكنيسة الكاثوليكية عليهم وقربتهم إليها، فأعلنوا لها الطاعة والاتحاد معها سنة ١١٨٢م، على أن يبقوا على رأيهم وبطريركهم الخاص بهم وإن كان يقر بالرياسة لبابا روما.

(ج) السريان:

هم من طوائف المسيحيين الآسيويين يقولون إن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصر) لكنهم يعترفون برياسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم.

ثانيًا: الأرثوذكس:

١- تسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية، أو كنيسة الروم الشرقيين لأن أتباعها كانوا من الروم الشرقيين، أي من شرق أوروبا كروسيا ودول البلقان واليونان.

٢- مقر هذه الكنيسة الأصلي كان مدينة القسطنطينية، بعد انفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤م، وتتبع تلك الكنيسة نظام الإكليروس، ويبدأ من البطريرك ويليه في الرتبة المطارنة، ثم الأساقفة ثم القامصة وهم قسس ممتازون يليهم القسس العاديون.

معتقدات الكنيسة الأرثوذكسية:

١- أصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الآب فقط.

٢- قالت بأفضلية الإله الآب عن الإله الابن.

٣- تصر الكنيسة الشرقية على أن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

٤- لم تقبل الكنيسة الشرقية أكل الدم المخنوق ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبان.

وهناك طوائف أخرى تتبع المذهب الأرثوذكسي، وإن كانت كنائسها مستقلة عنها وهي:

(أ) الكنيسة المصرية:

ورئيسها هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة، ويدعى حاليا بابا الإسكندرية ورئيس الإفريقيين المسيحيين، ويتبعه في هذه الرياسة سكان الحبشة المسيحيون، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية، وهو يعين لهم أسقفا يسوسهم.

نبذة تاريخية عن الكنيسة المصرية:

كانت مدينة الإسكندرية، في عصر الإمبراطورية الرومانية، تعتبر عاصمة كبرى للأسقفيات، ومن أساقفتها: أريوس زعيم الموحدين، وإثناسيوس زعيم التثليث، وديسقورس زعيم فكرة الإله المتجسد في يسوع المسيح.

وبما أن مصر في ذاك الوقت كانت نصرانية، فإنها أصبحت تعاني سياسيا من تبعيتها للإمبراطورية الرومانية، لدرجة أن المصريين هربوا من ديارهم، وسكنوا الكهوف، والمغارات هربا من ظلم الرومان، ومن العسف الذي كان واقعا عليهم، وتدل بعض المراجع التاريخية على أن التقويم القبطي، يبدأ من عصر الشهداء.

معتقداتها:

تعتقد الكنيسة المصرية أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثاني خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، حيث أعلن هذا الرأي، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية رفضته ووصفت هذا المجمع بأنه مجمع اللصوص، لكن بعد ذلك انعقد مجمع خليكدونية سنة ٤٥١م، وتقرر فيه أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقتا في المسيح، وبذلك رفض المجمع الأخير رأي الكنيسة المصرية، بل لعن هذا المجمع ديسقورس بطريرك الإسكندرية، إلا أن الأقباط المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع، بل ثاروا ضد الرومان، وطلبوا تعيين بطريرك من مذهبهم.

وقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، ونشط أتباع المذهب القبطي في الدعوة إليه والدفاع عنه، وينتشرون في ربوع البلاد ومن أبرز هؤلاء " يعقوب البرذاعي الذي يجول في البلاد الرومانية داعيًا إلى اعتناق المذهب القبطي المصري وسلك في سبيل ذلك كثيرًا من المخاطر والجرأة.

واستمر الحال هكذا حتى كان الفتح الإسلامي لمصر بقيادة عمرو بن العاص في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فنال المصريون الحرية السياسية إلى جانب الحرية الدينية، وذلك بانتصار الإسلام على دولة الروم، ثم امتد الفتح الإسلامي حتى غطى بقاع الأرض من أقصاها إلى أقصاها، ودخل الناس في دين الله أفواجا، بقناعة واقتناع ورغبة لا رهبة.

وقد لخص صاحب كتاب " تاريخ المسيحية في مصر" عقيدة الكنيسة المصرية فقال الآتي: " كنيستنا مستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعهما الكنائس الحبشية والسريانية الأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة – مثلثة الأقانيم – أقنوم الأب – وأقنوم الابن – وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة. "

(ب) الأرمن:

هم طوائف من المسيحيين موطنهم الأصلي أرمينيا، وإن كانوا ينتشرون في مصر وبعض بلاد الشرق الأوسط، يعتقدون في المسيح اعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة، كما أن لهم بطاركة مستقلين بهم، لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى.

ثالثا: البروتستانت (أو الإصلاح الديني).

١- ينتشر البروتستانت في ألمانيا وإنجلترا والدانمارك وهولنده وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، وهم يسمون كنيستهم الإنجيلية، بمعنى أن أتباع تلك الكنيسة يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحد آخر أو طائفة أخرى، فالكل قادر على فهمه.

وهذا الاتجاه منهم في فهم الإنجيل يعارضون به الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على رجال الكنيسة، الذين يعتقدون في جانبهم الإلهام، فضلا عن ادعائهم بتلقي تعاليم غير مكتوبة يتناقلها البابوات خلفا عن سلف. كما يصح أن نصفها بأنها

كانت تركز على التعليم العقلاني وبالتالي ثارت على البدع المتفشية في الكنيسة الكاثوليكية، ورأت فيها جنوحا عن تعاليم السيد المسيح فمثلا، عقيدتهم في القربان المقدس هو أنه خبز على الحقيقة، وخمر على الحقيقة، ولن يتحولا بأي حال من الأحوال إلى جسد المسيح ودمه، وإنما يمارسان للذكرى فقط.

٢- زعيمهم الأول هو لوثر، وكان من أشد الناس إنكارا على من ينظر في فلسفة أرسطو، وكان يلقبه بالخنزير الدنس الكذاب.

أصول البروتستانت

أولًا: ليس للقسيس البروتستانتي هيمنة على مقدرات شعب الكنيسة، فالجميع متساوون أمام الله، والجميع يتقدمون أمام الله بإيمان يقيني يبعث فيهم الثقة، وكل إنسان مسئول عن عمله أمام الله مباشرة، والله يجزي كل إنسان بعمله.

ومن هذا الاعتقاد فإن الكنيسة البروتستانتية تزين جدرانها بنصوص من التوراة، أو من العهد الجديد، وكلها تحض على الإيمان الحقيقي المصفى، مثل:

١- " [٢٢]اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا الله وَلَيْسَ آخَرَ. " (إشعياء ٤٥/ ٢٢)

٢- " [٢٨]تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. " (متى ١١/ ٢٨).

٣- ": إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ». (متى ٩/ ١٣).

ثانيًا: عند ممارسة العشاء الرباني، لا ترى فيها الكنيسة حلول الله الابن، أو استحضار الله الروح القدس، فهي تمارس العشاء الرباني وفقا أيضًا لتعاليم بولس، ومستندهم في ذلك: " [٢٣]لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أيضًا: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا [٢٤]وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». [٢٥]كَذلِكَ الْكَأْسَ أيضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي». (كورنثوس(١) ١١/ ٢٣ – ٢٥)

ثالثًا: يجري النظام الإداري فيها على انتخاب اللجنة التنفيذية بالاقتراع السري بين الأعضاء

القساوسة، وهذه اللجنة تتألف من رئيس ونائب رئيس وأمين عام وأمين الصندوق.

رابعًا: لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بالبابوية، ولا بالرتب الكهنوتية، فالكل سواء، وإنما التفاضل يكون بالحياة المثلى لقول المسيح ﷺ: " ٤٨فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ"(متى ٥/ ٤٨).

خامسًا: ويطالب البروتستانت أيضًا بإبطال عبادة الصور، وإبطال صكوك الغفران والتجارة ببيع الثواب.

سادسًا: من ناحية الثياب الكهنوتية لم يلتزم البروتستانت بهذه الثياب؛ ذلك لأن يسوع اختار تلاميذه من عامة اليهود من صيادي السمك وأوصاهم قائلا: " اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. " (متى ١٠/ ٧)

ولذلك فهم لا يعرفون إلا بالكرازة، وسرعان ما يختلطون بالناس، والناس يـألفونهم ويتيحون لهم فرص العمل دون أن ينكشف أمرهم.

وهم يعملون بوصية السيد المسيح ﷺ القائلة: " ١٦«هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. ١٧وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. ١٨وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. ١٩فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، ٢٠لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. "(متى ١٠/ ١٦ – ٢٠).

والحقيقة أن البروتستانت لم يغيروا شيئا من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري، بل إنهم فقط قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم، أو بمعنى آخر كانت حركة لإصلاح الكنيسة لا إصلاحا للمسيحية وإرجاعها إلى أصولها النقية، وأيضًا فتحوا باب العداوة بينهم وبين غيرهم من الطوائف المسيحية.

لذلك بقيت الموضوعات الجوهرية في الديانة النصرانية كما هي، مثل الآتي:

١ – التثليث ومدى سلامة قرارات المجامع السابقة في العقيدة.

٢- صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر.

٣- البحث عن إنجيل المسيح نفسه، والاقتصار على التعاليم التي أتى بها المسيح نفسه، واستبعاد التعاليم الأخرى

ولكن هذا لا يعني عدم ظهور مصلحين حقيقيين أرادوا فعلا إصلاح العقيدة من جذورها، وفيما يلي أسماء لبعض هؤلاء وما حاول القيام به:

أولًا: آريوس قسيس الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي.

أعلن آريوس أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود، أما المسيح والروح القدس فهما كائنان من خلق الله. فما كان جزاؤه إلا أن حكم عليه مجمع نيقية بالكفر والهرطقة ويتقرر قتله مع مشايعيه.

ثانيًا: أوريجانوس.

أعلن أن الله روح لا يدركه الفهم، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان، وأن الله لا يجزأ ولا يتجسد ولا يحصر. فحكم عليه بالحرمان وحرقت كتبه ثم طرد مع أتباعه.

ثالثًا: الفيلسوف المسيحي ترتليان في القرن الثالث الميلادي.

أعلن قوله " إننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطية أو جدلية بعد المسيح والإنجيل، لسنا بحاجة إلى شئ ".

رابعًا: الأسقف نسطور.

أنكر ألوهية المسيح، ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة.

خامسًا: الأسقف مقدونيوس أسقف القسطنطينية

أنكر ألوهية الروح القدس، فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م وقرر طرده وحرمانه وعزله.

سادسًا: المصلح الأسباني سرفيتوس.

أعلن وحدانية الله وإنكار الثالوث فتقرر حرقه حيا سنة ١٥٥٣م.

سابعًا: في بولونيا نادى سرسينس بوحدانية الله وبشرية المسيح، وقرر أن الإله لا يحل

في البشر، وقد تفرع عن عقيدته مذهب الموحدين، الذين قاموا يدعون إلى تطهير المسيحية من أدران الوثنية وجهالة التجسيد. وكان جزاؤهم كمن سبقوهم.

وهكذا لاحق عباد المسيح الموحدين في كل مكان وفي كل زمان، حتى انتشر الظلام في جميع أرجاء المعمورة وكان لابد من رسول ودين جديد لأهل الأرض، فجاء نور الإسلام فبدد ظلمات الشرك والأوثان، وأرسى عقيدة توحيد الخالق المنزه عن الشريك والوالد والصاحبة والولد، فأرجع القلوب والأفئدة إلى التوحيد الذي هو دين الأنبياء جميعا من لدن آدم أبي البشر حتى ختام رسالات السماء بمحمدﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء/ ٢٥)

ويقابل ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا، منسوبا إلى المسيح عليه السلام: " ٣وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. " (١٧/ ٣).

وسبق ذلك في العهد القديم، في سفر الخروج ضمن وصايا الرب لموسى عليه السلام" ٢«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ٣لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. ٤لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. ٥لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ ". (٢٠/ ٣- ٥)

ملخص الاتفاق والاختلاف العقدي بين الكنائس

أولا: ما هي التعاليم التي تتفق فيها الكنيستان الشرقية (الأرثوذكسية) والتقليدية (الكاثوليكية) والتعاليم التي تختلفان فيها؟

أولا – الاتفاقات هي:

(١) قبول تعاليم القوانين الثلاثة الأولى المسكونية، أي الرسولي والنيقوي والأثناسي، ما عدا كلمة «والابن» التي أضافها الغربيون على قانون الإيمان النيقوي، وكذلك كلمة «والابن» في القانون الأثناسي.

(٢) التعاليم الآتية التي نشأت بعد نشر القوانين المسكونية (وهي مرفوضة عند

الإنجيليين) وهي:

(أ) سلطان التقليد الكنسي وعقيدة أنه دستور للإيمان مع الكتاب المقدس.

(ب) شفاعة مريم العذراء والقديسين وصورهم (لا تماثيلهم) وذخائرهم.

(ج) عصمة الكنيسة، غير أن الكنيسة التقليدية تحصر العصمة في المنصب التقليدي، والكنيسة الشرقية في المجامع المسكونية السبعة وفي مجمع البطاركة.

(د) التبرير بالإيمان والأعمال معًا أي أن الإيمان والأعمال شرطان للتبرير.

(هـ) الأسرار السبعة مع فرق زهيد في ما يتعلق بالتثبيت والمسحة.

(و) التجديد بواسطة المعمودية، وضرورة المعمودية بالماء للخلاص.

(ز) الحِل الكهنوتي من الخطايا بالسلطان الإلهي.

(ح) استحالة الخبز والخمر بعد تقديسهما والسجود لهما.

(ط) ذبيحة القداس لأجل الأحياء والأموات. وهذا هو محور العبادة عندهم، وأما التبشير فثانوي.

(ي) الصلاة لأجل الموتى.

ثانيًا ـ ما تختلفان فيه:

(١) الكتاب المقدس: لم تمنع الكنيسة الشرقية استعمال الشعب للكتاب المقدس كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية.

(٢) انبثاق الروح القدس الأزلي (لا إرساله الزمني) من الابن، فإن الكنيسة الغربية تعتقد به والشرقية تنكره.

(٣) رياسة البابا وعصمته. فالكنيسة الغربية تعتقد أنهما حجر الزاوية في الإيمان المسيحي، والشرقية ترفضهما مطلقًا، وتحسبهما من تعاليم ضد المسيح.

(٤) الحبل بمريم العذراء بلا دنس، الذي نادى به الكاثوليك سنة ١٨٥٤م.

(٥) زواج أصحاب الدرجات الكهنوتية الأقل. فالكنيسة الشرقية تجيزه، والغربية تمنعه حيثما استطاعت.

(٦) منع كأس الأفخارستيا عن الشعب عند الكاثوليك.

(٧) أسلوب ممارسة عدة من الطقوس والفرائض. ومما تنفرد فيه الكنيسة الشرقية تغطيس المعتمد ثلاث مرات عوضًا عن السكب أو الرش، واستعمال الخمير في الأفخارستيا عوضًا عن الفطير، والصلاة للروح القدس ليبارك العناصر المقدسة، وشركة الأطفال في العشاء الرباني، ودهن الأطفال المعتمدين بالميرون، وتكرار المسحة في المرض.

ثانيا: ما هي التعاليم التي تتفق فيها الكنيستان الشرقية والإنجيلية (البروتستانتية) والتعاليم التي تختلفان فيها؟

أولًا – ما تتفقان فيه:

(١) الإيمان بالكتاب المقدس وقبول تعاليم قوانين الإيمان الثلاثة الأولى المسكونية.

(٢) تتفقان في رفض ما يأتي:

(أ) رياسة البابا وعصمته. (ب) الحبل بمريم العذراء بلا دنس. (ج) منع الكأس عن الشعب. (د) بتولية الكهنة والشمامسة الإلزامية. (غير أن الكنيسة الشرقية تمنع زواج الكاهن ثانية، وتأمر ببتولية الأساقفة).

ثانيًا ـ ما تختلفان فيه:

(١) انبثاق الروح القدس الأزلي (لا إرساله الزمني): هل هو من الآب وحده، أو من الآب والابن معًا. ويتفق الإنجيليون والكاثوليك في انبثاق الروح الأزلي. ولم يكن هذا الموضوع في عصر الإصلاح موضوع بحث، ولا جرى عليه جدال وخصام، فاتّخذته الكنائس المصلحة أمرًا مسلّمًا به. غير أن بعض اللاهوتيين يميلون إلى تقليل أهمية هذه المسألة كموضوعٍ للخلاف بين الشرقيين والغربيين، كما تبين في قرار مؤتمر بون سنة ١٨٧٤م المؤلّف من نوّاب من الكاثوليك القدماء والكنيسة الشرقية وبعض أساقفة وقسوس الكنيسة الأسقفية. وقد قامت هذه المسألة حاجزًا بين الشرق والغرب منذ أكثر من ألف سنة: هل انبثاق الروح الأزلي هو من الآب وحده، أو هل هو من الآب والابن معًا؟ فالكنيسة الشرقية (حفظًا لشأن الآب في الثالوث الأقدس) اعتقدت بالانبثاق من

الآب وحده. والكنيسة الغربية (حفظًا لشأن الابن في الثالوث) اعتقدت بالانبثاق من الآب والابن معًا. غير أنه لا فرق بينهما في أن الروح القدس مرسَلٌ من الآب والابن معًا لإتمام مقاصد إلهية في عمل الفداء (يو ١٤: ٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ٧). ولا فرق أيضًا من جهة عمله الخاص في تجديد القلب وتقديسه.

(٢) التعاليم التي نشأت بعد نشر القوانين الثلاثة الأولى المسكونية: الرسولي والنيقوي والأثناسي؛ فإن الكنيسة الشرقية تتفق فيها مع الغربية ضد الإنجيليين.

ثالثا: ما هي التعاليم التي تختلف فيها الكنيستان التقليدية والإنجيلية؟

ما تختلفان فيه فهو:

(١) دستور الإيمان: تعتبر الكنيسة التقليدية أن الكتاب المقدس والتقليد هما معًا دستور الإيمان. بينما يقول الإنجيليون أن الكتاب المقدس هو القانون الوحيد المعصوم للإيمان والأعمال، وهو كافٍ لإرشادنا إلى الخلاص وأن له سلطانًا على كل ما سواه.

(٢) الكتاب المقدس: وحوله اختلافات، منها:

(أ) عدد الأسفار القانونية: فإن أسفار العهد القديم الأبوكريفية تدخل عند التقليديين في الأسفار القانونية، والإنجيليون لا يحسبونها.

(ب) مطالعة الشعب للكتاب المقدس ونشره بين الناس: لا تستحسن الكنيسة التقليدية ذلك، والإنجيلية تنادي بلزومه وتسعى في توزيعه، لأن تعاليمها مؤسسة على الكتاب المقدس فقط.

(٣) مواضيع العبادة: وهي عند التقليديين:

(أ) الله (ب) مريم العذراء (ج) الملائكة والقديسون (د) صور القديسين وذخائرهم. وعند الإنجيليين الله فقط. فالتقليدي يقترب إلى المسيح بوسطاء من البشر، ويجعل عبادته لمريم العذراء تنوب عن عبادته ليسوع. والإنجيلي يقترب إلى المسيح مباشرة، ويصلي له باعتبار أنه كاهنه ومخلّصه العظيم الوحيد الكافي له، وشفيعه عن الآب.

٤ - الحالة الأصلية: «﴿نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ﴾ (تكوين ١: ٢٦). تقول الكنيسة التقليدية إن المقصود بكلمة «صورتنا» غير المقصود بكلمة «شبهنا» فكلمة «صورتنا» تعني أن الإنسان عاقل حرّ الاختيار، وإن كلمة «شبهنا» تعني أنه يشبه الله بما ناله من موهبة القداسة الأصلية، فقد وشّحه الله بالبر والقداسة بعد أن خلقه على صورته. أما الكنيسة الإنجيلية فتقول إن المقصود بكلمتي «صورتنا وشبهنا» هو واحد، لأن صورة الله التي خُلق عليها الإنسان أصلًا تشمل البر والقداسة.

(٥) الخطية الأصلية: يعلّم التقليديون أن الخطية الأصلية عيبٌ سلبيٌ، أو ضياع موهبة القداسة الأصلية المشار إليها بكلمة «كشبهنا» (تك ١: ٢٦) (أي ضياع مشابهة الله لا صورته). وهم يقولون إنه يزول تمامًا بالمعمودية. ويعلّم الإنجيليون أن الخطية الأصلية هي فساد إيجابي كلي يعمّ تشويه صورة الله الأصلية ومشابهته اللتين خلق عليهما الإنسان، وأن الإنسان يميل دائمًا إلى الخطية بعد المعمودية.

(٦) التبرير: يقول التقليديون إنه يتم بالإيمان والأعمال الصالحة معًا، ويقول الإنجيليون إنه بالإيمان فقط. ومما يختلفان فيه في شأن التبرير: (أ) معنى التبرير وفعله. يقول التقليديون إن التبرير يجعل الخاطئ بارًا في الذات بالتدريج (وعلى ذلك هو مرادف للتقديس عند الإنجيليين). ويقول الإنجيليون إنه هو قضاء الله وتصريحه بأن الخاطئ صار بارًا شرعًا، فصفح عن الخاطئ التائب بناء على استحقاق المسيح، وعلى شرط الإيمان به، وأن التقديس يتبعه، وهو عمل متميّز عنه.

(ب) معنى الإيمان. يقول التقليديون إنه تسليم عقلي وخضوع للسلطان الكنسي النائب عن الإلهي. ويقول الإنجيليون إنه قبول تعاليم الله بالثقة وإنه الاتكال الشخصي على المسيح والشركة الحيَّة معه.

(ج) المقام المعيَّن للأعمال الصالحة. يقول التقليديون إنها شروط التبرير. ويقول الإنجيليون إنها برهان التبرير ونتيجته، فهي ثمار التبرير لا سببه.

(د) إمكان التحقُّق من التبرير والخلاص. ينكره التقليديون إلا إذا أُسند على إعلان خاص من الله عن لسان الكنيسة المعصومة. ويثبته الإنجيليون على درجات مختلفة.

(٧) الكنيسة:

(أ) يعتقد التقليديون أن كنيسة المسيح الحقيقية هي كنيستهم لا غير، ويعتقد الإنجيليون أن الكنيسة غير المنظورة واحدة وعامة وتحت رياسة المسيح فقط، وأن الكنيسة المنظورة مؤلفة من جماعات كثيرة منتظمة تحت أسماء مختلفة.

(ب) يعتقد التقليديون أن صفات الكنيسة هي الوحدة والقداسة والجامعية والرسولية والعصمة وعدم إمكان السقوط، وأن هذه الصفات اجتمعت في كنيستهم وحدها، فهي الكنيسة الوحيدة الصحيحة في العالم، ولا خلاص لمن هو خارج عنها. وينكر الإنجيليون بعض تلك الصفات على المعنى البابوي، ويقولون إن كنيسة المسيح الصحيحة ليست تحت نظام واحد خارجي، بل هي الكنيسة غير المنظورة الروحية المؤلفة من كل المؤمنين بالحق في كل زمان ومكان، وأنها جسد المسيح وهو رأسها وربها بغضّ النظر عن نظامها الخارجي.

(٨) البابا: يعتقد الكاثوليك أنه خليفة بطرس، ورأس الكنيسة الجامعة، ونائب المسيح على الأرض. وينكر الإنجيليون ذلك، ويعتقدون أن المسيح هو رأس الكنيسة الوحيد.

(٩) الأسرار على وجه الإجمال:

(أ) تعريف السر: هو إشارة منظورة لنعمة غير منظورة، مرسوم بأمر صريح في العهد الجديد من المسيح (عند الإنجيليين) أو بمجرد سلطان الكنيسة (عند التقليديين).

(ب) عدد الأسرار: هي سبعة عند التقليديين واثنان عند الإنجيليين، وهما المعمودية والعشاء الرباني.

(ج) فائدة الأسرار: تُنال عند التقليديين بواسطة ممارستها بواسطة الكهنة خلفاء الرسل، وعند الإنجيليين بواسطة الإيمان في قلب كل تائب مؤمن يقبلها.

(١٠) المعمودية: كلاهما يختلفان في عملها في الخطية الأصلية وفي علاقتها بالتجديد

وفي ضرورتها للخلاص وغير ذلك.

(١١) الأفخارستيا: ما يعتقده التقليديون ويرفضه الإنجيليون:

(أ) الاستحالة والسجود للخبز والخمر. (ب) منع الكأس عند الكاثوليك عن الشعب. (ج) الأفخارستيا ذبيحة حقيقية، وسمُّوها «غير دموية» وهي تكرار ذبيحة المسيح على الصليب بواسطة الكاهن لأجل خطايا الأحياء والأموات، أي النفوس في المطهر.

(١٢) الأسرار الخمسة الأخرى هي: التثبيت، والاعتراف أو التوبة، والكهنوت أو الرسامة، والزيجة، والمسحة الأخيرة: يعتقد التقليديون أنها أسرار حقيقية. ويرفض الإنجيليون ذلك، غير أن بعضهم يمارس جزءًا منها بغير المعنى التقليدي.

(أ) التثبيت: تقبله الكنائس اللوثرية والأسقفية والمصلحة الألمانية كعملٍ يُضاف لمعمودية الأطفال بعد تعليمهم التعليم المسيحي. وأما باقي الكنائس الإنجيلية فترفضه، معتقدةً أن الاتحاد الاختياري بالكنيسة (الاشتراك في العشاء الرباني) بواسطة الاعتراف بالإيمان جهارًا يغني عنه.

(ب) الاعتراف أو التوبة: يعتقد التقليديون أن الاعتراف الشفاهي للكاهن والحِلّ منه كافيان لغفران الخطايا والآثام القابلة للغفران. وتستحسن قوانين الكنائس اللوثرية والأسقفية الاعتراف السري للراعي، وفي بعض الأحوال لا توجبه. والكنائس الأخرى تتركه لاختيار كل شخصٍ. ويرفض جميع الإنجيليين الحِلّ الكهنوتي. لكن القس عند الأسقفيين يصرّح جهارًا بمغفرة الله للتائبين إذا تمت فيهم شروط المغفرة.

(ج) الكهنوت أو الرسامة: يعتقد التقليديون بالكهنوت الخاص ووجوب الرسامة من الأساقفة فقط. وعندهم أن الكاهن ينال بتلك الرسامة السلطان الكهنوتي الخاص بالتقليديين. ويعتقد الإنجيليون بكهنوت جميع المؤمنين بالإجمال وحقهم في الاشتراك في سياسة الكنيسة، ولا ينسبون إلى خدّام الكنيسة شيئًا من السلطان الكهنوتي.

(د) الزيجة: الفرق بين الفئتين يقوم بنظامها وبقدرة الكنيسة وسلطانها على ما يختص بها وبمسألة الطلاق.

(هـ) المسحة الأخيرة: يرفضها الإنجيليون ويحسبون أن المقصود بها جاء في يع ٥: ١٤ و الصلاة وليس الدهن بالزيت، الذي هو علاج طبيعي.

(١٣) المطهر: هو عند الكاثوليك مكان وحال زمنيان (إلى الدينونة الأخيرة) متوسطان بين السماء وجهنم لتطهير المسيحيين غير الكاملين الذين يمكن إفادتهم بالصلوات والقُدّاسات لأجلهم. ويعتقد الإنجيليون أن في العالم الآتي حالتين فقط مختلفتين جدًا، هما السعادة التي لا توصف والشقاوة التي لا توصف، مع التفاوت في درجاتها. وكانت الفظائع التي نشأت عن تعليم المطهر الداعي الأول إلى الإصلاح. (١)

الصراع الكنسي في سبيل الاستقلال الديني

على مشارف التاريخ الحديث لمصر، تصادفنا قصة البطريرك " يوأنس " الثامن عشر، مع كنيسة روما الكاثوليكية.

فعندما تولى البطريرك رئاسة الكنيسة المصرية سنة ١٧٦٩م وكانت كنيسة روما تبذل أقصى جهدها، لضم الكنائس الشرقية – وعلى الأخص الكنيسة المصرية – وفي سبيل تحقيق هذا الهدف بعث بابا روما، مندوبا عنه إلى مصر، حاملا رسالة يدعو فيها البطريرك القبطي المصري، للاتحاد معه وأيضًا ليعرض عليه مشروع خطاب أعدته كنيسة روما ليكون صيغة للمصالحة بين الكنيستين بالرغم ما بينهما من خلافات جوهرية عقائدية وخاصة حول طبيعة يسوع المسيح – عليه السلام وطلبت من البطريرك المصري أن يوافق على هذه الطلبات يزعم أنها في صالح العقيدة المسيحية عامة؛ لإعلان الاتحاد بين الكنيستين.

وقد دفعت الثقة المفرطة بابا روما إلى عدم رفض بطريرك مصر لهذه الطلبات؛ لأن هذه الفترة بزغ فيها نجم الحضارة الأوروبية، وأصبحت ذات قوة اقتصادية وعسكرية وهيبة،

---

(١) من أحد المواقع على الشبكة العنكبوتية، وانظر: تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس (٤٣ – ٥٢).

وأخذت ترنو في طمع إلى ما حولها من البلاد الأخرى، إضافة إلى أن مصر وبلاد الشرق عامة، كانوا يعانون من حكم الأتراك العلمانيين، بعد سقوط الخلافة الإسلامية، وبالطبع كان الحال يسير للأسوأ، وكانت الظروف تعتبر مواتية لتحقيق الأطماع الأوروبية في البلاد الشرقية.

ورفض البطريرك المصري هذا العرض السخيف، ورد عليه بسخرية واستهزاء، ووفدت إلى مصر إرساليات بروتستانتية، كان من أهمها الإرسالية البريطانية والإرسالية الأمريكية عن طريق الشام.

وكانت خطة الأمريكيين هي القضاء على الكنيسة القبطية، وضم أبنائها إلى كنيسة بروتستانتية جديدة، بينما كانت خطة الإنجليز هي الإبقاء على كنيسة مصر مع التغلغل فيها والسيطرة عليها من الداخل.

وعملت الإرساليات الأمريكية على أن تنشأ المدارس الدينية للصغار والصبية في المراكز الرئيسية في القطر المصري، كالقاهرة والإسكندرية وأسيوط.

وبدأ نزول المبشرين الأمريكيين إلى مصر سنة ١٨٤٥ م، وأنشأوا أول مدرسة لهم سنة ١٨٥٥م، وأنشاوا كلية أسيوط سنة ١٨٦٥، وبلغت مدارس الإرسالية سنة ١٨٩٧ نحو ١٦٨ مدرسة يدرس بها ١١٠١٤ تلميذًا، وكانت كلما تكونت جالية بروتستانتية من المصريين في منطقة، أعطى المبشرون إليها المدرسة، لينشئوا غيرها في مكان آخر.

وقد عارضت الكنيسة القبطية المصرية هذا النشاط، وسافر بطريرك القبط إلى أسيوط على ظهر باخرة نيلية وضعها تحت إمرته الخديوي إسماعيل، وعمل على الوقوف في وجه النشاط البروتستانتي، وعلى منع القبط من إرسال أبنائهم إلى مدارس التبشير، وطاف والكهنة على البيوت يحرمون على كل أب إرسال أولاده إلى هذه المدارس، وأعلنت الحروم الكنسية ضد من يرسل أولاده إلى مدارس الإرساليات أو يزور مكتباتها أو يقرأ كتبها أو يصافي أو يصادق أحدا من المبشرين. (١)

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية (١٥٨، ١٥٩، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠٣ وما بعدها)، النصرانية والإسلام (١٣٦

وأخيرًا: بعد هذا العرض المسهب لهذه المسائل الخطيرة آن لنا أن نعرف الطريق الصحيح الذي يجب أن نسير عليه ألا وهو طريق الإسلام، وأن نؤمن بالكتاب الحق – القرآن الكريم– الذي﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(فصلت: ٤٢).

* * *

– ١٤٦)، ماذا تعرف عن المسيحية، كامل سعفان (١٤٧ – ١٥٠، ١٥٤ – ١٥٦، ١٦١ وما بعدها)، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش (٢٦٣)، حركات الإصلاح بين الإسلام والمسيحية، طارق عبد الحميد (٥٧،٧٩)، الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليربي، ترجمة/ سهيل زكار (١٠٩).

الفهرس

الفهرس الإجمالي للموسوعة